

تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُون

المُسَمَّى

ذِي الْبُرْتَدِ وَالْخَبَرِ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ
وَمِنْ عَاهِرِهِمْ مِنْ ذَوِي السَّائِلِ الْأَكْبَرِ

مُتَالِفٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلْدُون

٧٣٢-٨٠٨ هـ - ١٣٣٢-١٤٠٦ م

مراجعة الدكتور

سهيل زكار

ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس

الاستاذ خليل شحادة

طبعة مُسْتَكْمَلَةٌ وَمُقَارَنَةٌ مَعَ عِدَّةِ نَسَخٍ
وَمَخْطُوطَاتٍ وَمُذْقِلَةٌ بِحَوَاشِيٍّ وَشُرُوحٍ وَتَمْتَازُ
بِفَهَارِسٍ لِلْمَوْضُوعَاتِ وَالْأَعْلَامِ وَالْأَمَاكِنِ الْجُغْرَافِيَّةِ

الجزء الثاني

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb



حارة حريك - شارع عبد النور - برفياً: فكيك - صرب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣

فاكس: ٥٥٩٩٠٤ - ٩٦١١٥٥٩٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الثاني ويشتمل : أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة الى هذا العهد

وفيه ذكر معاصريهم من الامم المشاهير ، مثل السريانيين والنبط والكلدانيين والفرس
والقبط وبني اسرائيل وبني يونان والروم ، والإلام بأخبار دولهم . ويتقدّم الكلام في
ذلك مقدمتان :

إحداها في أمم العالم وأنسابهم على الجملة .
الثانية في كيفية أوضاع الانساب في هذا الكتاب .

المقدمة الاولى في أمم العالم واختلاف أجيالهم والكلام على الجملة في أنسابهم

اعلم أن الله سبحانه وتعالى اعتمر هذا العالم بخلقه وكرم بني آدم باستخلافهم في
ارضه ، وبثهم في نواحيها لتقام حكمته ، وخالف بين أممهم وأجيالهم إظهاراً لآياته ،
فيتعارفون بالانساب ، ويختلفون باللغات والالوان ، ويتمايزون بالسير والمذاهب
والاخلاق ، ويفترقون بالنحل والأديان والأقاليم والجهات . فمنهم العرب والفرس
والروم وبني اسرائيل والبربر ، ومنهم الصقالبة والحبيش والزنج ، ومنهم أهل الهند وأهل
بابل وأهل الصين وأهل اليمن وأهل مصر وأهل المغرب . ومنهم المسلمون والنصارى

واليهود والصابئة والمجوس ، ومنهم أهل الدير وهم أصحاب الخيام والحلل وأهل المدبر
وهم أصحاب المحاشر والقرى والأطم ، ومنهم البدو الظواهر والحضر الأهلون . ومنهم
العرب أهل البيان والفصاحة والعجم وأهل الرطانة بالعبرانية والفارسية والإغريقية
واللطينية والبربرية . خالف أجناسهم وأحوالهم وألسنتهم وألوانهم ليم أمر الله في اعتار
ارضه بما يتوزعونه من وظائف الرزق وحاجات المعاش بحسب خصوصياتهم ونحلهم
فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوجدانية إن في ذلك لآيات للعالمين .

واعلم أن الامتياز بالنسب أضعف المميزات لهذه الاجيال والأتم لخفائه واندراسه
بدروس الزمان وذهابه . ولهذا كان الاختلاف كثيراً ما يقع في نسب الجيل الواحد أو
الأمّة الواحدة اذا اتصلت مع الايام وتشعبت بطونها على الأحقاب كما وقع في
نسب كثير من أهل العالم مثل اليونانيين والفرس والبربر وقحطان من العرب . فاذا
اختلفت الأنساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظهر كل ناسب
على صحّة ما ادّعاه بشواهد الاحوال والمتعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما
يرجع الى ذلك من خصائص القبائل وسياث الشعوب والفِرَق التي تكون فيهم منتقلة
متعاقبة في بنهم .

وسئّل مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من أين
يعلم ذلك ؟ ف قيل له فإلى إسماعيل فأنكر ذلك وقال من يخبره به ؟ وعلى هذا درج كثير
من علماء السلف وكره ايضا أن يُرْفَعَ في أنساب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم بن
فلان بن فلان وقال من يخبره به . وكان بعضهم إذا تلا قوله تعالى : « والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله » قال : كَذَبَ النسابون . واحتجوا أيضا بحديث ابن
عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الكريم الى عدنان قال من ههنا كذب
الנסابون . واحتجوا أيضا بما ثبت فيه أنه عِلْم لا ينفع وجهالة لا تضرّ الى غير ذلك
من الاستدلالات .

وذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء مثل ابن اسحق والطبري والبخاري الى جواز
الرفع في الأنساب ولم يكرهوه ، محتجين بعمل السلف فقد كان أبو بكر رضي الله عنه
أنسب قريش لقريش ومضر بل ولسائر العرب وكذا ابن عباس وجُبَيْر بن مطعم
وعقيل بن أبي طالب وكان من بعدهم ابن شهاب والزهري وابن سيرين وكثير من

التابعين . قالوا وتدعو الحاجة اليه في كثير من المسائل الشرعية مثل تعصيب الورثة وولاية النكاح والعاقلة في الديات والعلم بنسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه القُرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر الى المدينة فان هذا من فروض الايمان ولا يعذر الجاهل به . وكذا الخلافة عند من يشترط النسب فيها . وكذا من يفرق في الحرّية والاسترقاق بين العرب والعجم . فهذا كله يدعو الى معرفة الانساب ويؤكد فضل هذا العلم وشرفه فلا ينبغي أن يكون ممنوعا .

وأما حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الى عدنان قال من ههنا كذب النسّابون يعني من عدنان . فقد أنكر السُّهيلي روايته من طريق ابن عباس مرفوعاً وقال الأصح انه موقوف على ابن مسعود . وخرج السُّهيلي عن أم سلمة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : مُعَدُّ بن عدنان بن أَدَد بن زَيْد بن البري بن أعراق الثري . قال وفُسرَت أم سلمة زيدا بأنه الهُمَيْسَع والبري بأنه نَبْتُ أو نَابِتٌ وأعراق الثري بأنه اسمعيل ، واسمعيل هو ابن ابراهيم وابراهيم لم تأكله النار كما لا تأكل الثرى . ورد السُّهيلي تفسير أم سلمة وهو الصحيح ، وقال إنما معناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم كلکم بنو آدم وآدم من تراب لا يريد أن الهُمَيْسَع ومن دونه ابن لاسمعيل لِصُلْبِهِ وعُضد ذلك باتفاق الأخبار على بعد المدة بين عدنان واسمعيل التي تستحيل في العادة أن يكون فيها بينهما أربعة آباء أو سبعة أو عشرة أو عشرون لأن المدة أطول من هذا كله كما نذكره في نسب عدنان فلم يبق في الحديث مُتَمَسِّكٌ لأحد من الفريقين . وأما ما رَووه من أن النسب عِلْمٌ لا ينفع وجَهالة لا تُضَرُّ فقد ضَعَّفَ الأئمة رَفَعَهُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم مثل الجرجاني وأبي محمد بن حَزْم وأبي عُمَرَ بن عُبَيْدِ البر .

وَأَلْحَقَ في الباب أن كل واحد من المذهبين ليس على إطلاقه فان الانساب القرية التي يمكن التوصل إلى معرفتها لا يَضُرُّ الاشتغال بها لدعوى الحاجة اليها في الأمور الشرعية من التعصيب والولاية والعاقلة وفرض الايمان بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسب الخلافة والفرقة بين العرب والعجم في الحرّية والاسترقاق عند من يشترط ذلك كما مرّ كله وفي الأمور العادية ايضا تثبت به اللُحْمَةُ الطيبعة التي تكون بها المدافعة والمطالبة . ومنفعة ذلك في اقامة المُلْك والدين ظاهرة . وقد كان صلى

الله عليه وسلم وأصحابه يُنسَبون إلى مُضَرَّ ويتساءلون عن ذلك . وَرُويَ عنه صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قال : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم . وهذا كله ظاهر في النسب القريب ، وأمَّا الأنساب البعيدة العسيرة المدرك التي لا يوقف عليها إلا بالشواهد والمقارنات لبعده الزمان وطول الأحقاب أو لا يوقف عليها رأساً لدروس الأجيال فهذا قد ينبغي أن يكون له وجه في الكراهة كما ذهب إليه من ذهب من أهل العلم مثل مالك وغيره لأنه شغل الإنسان بما لا يعنيه . وهذا وجه قوله صلى الله عليه وسلم فيما بعد عدنان من ههنا كَذَبَ النَّسَابُونَ لأنها أَحْقَاب متطاولة ومَعَالِم دَارِسَة لَا تُشْلِجُ الصُّدُورَ باليقين في شيء منها مع أَنَّ علمها لا ينفع وجهلها لا يضر كما نقل والله الهادي إلى الصواب .

ولنأخذ الآن في الكلام في أنساب العالم على الجملة ونترك تفصيل كل واحد منها إلى مكانه فنقول : إِنَّ النَّسَابِينَ كُلَّهُم اتَّفَقُوا على أَنَّ الأبَّ الأوَّلَ للخليقة هو آدم عليه السلام كما وقع في التنزيل إلا ما يذكره ضُعفاء الإخباريين من أن العِجْنَ والطَّمَّ أُمَّتَانِ كانتا فيما زعموا من قبل آدم ، وهو ضعيف متروك وليس لدينا من أخبار آدم وذريته إلا ما وقع في المصحف الكريم وهو معروف بين الأئمة . واتفقوا على أَنَّ الأرض عَمُرَتْ بنسله أَحْقَاباً وأجيالاً بعد أجيالٍ إلى عصر نوح عليه السلام وأنه كان فيهم أنبياء مثل شِيث وإدريس وملوك في تلك الأجيال معدودون وطوائف مشهورون بالبحل مثل الكلدانيين ومعناه الموحدون ، ومثل السريانيين وهم المشركون . وزعموا أَنَّ أُمَّمَ الصَّابَةِ منهم وأنهم من وَلَدِ صابىء بن لَمَك بن أَخْنُوخ ، وكان نَحَلَتْهُمْ في الكواكب والقيام لها كلها واستترال روحانيَّتها وأنَّ من حزبهم الكلدانيين أي الموحدين . وقد ألف أبو اسحق الصابي الكاتب مقالة في أنسابهم ونحلتهم . وذكر أخبارهم أيضاً دَاهِرُ مؤرِّخ السريانيين والبابا الصابي الحراني وذكروا استيلاءهم على العالم وجُملاً من نواميسهم . وقد اندرسوا وانقطع أثرهم . وقد يقال أَنَّ السريانيين من أهل تلك الأجيال ، وكذلك النُمرُودُّ والازدِهاق وهو المسمى بالضحَّاك من ملوك الفرس وليس ذلك بصحيح عند المحققين .

واتفقوا على أَنَّ الطَّوْفَانَ الذي كان في زمن نوح وبدعوته ذهب بَعْمَرَانِ الأرض أَجْمَع بما كان من خراب المعمور ومَهْلَكِ الذين ركبوا معه في السفينة ولم يعقبوا فصار

أهل الأرض كلهم من نسله وعاد أباً ثانياً للخليقة وهو نوحُ بنُ لَامِكُ ويُقالُ لَمَكُ بنُ مَتُوشَلَخِ بفتح اللام وسكونها ابنُ خَنُوخَ ، ويقالُ أَخَنُوخَ ، ويقالُ أَشْنَخَ ، ويقالُ أَخْنَحَ وهو إدريس النبي فيما قاله ابنُ إِسْحَاقَ ابنُ بَيرِدَ ويقالُ بَيرِدَ بنُ مَهْلَاثِيلَ ويقالُ ما هَلَايِلَ بنُ قَايِنَ ويقالُ قَيْنَ بنُ أَنُوشَ ويقالُ يَانِشَ بنُ شِيثَ بنِ آدَمَ ، ومعنى شِيثَ عطيةُ الله هكذا نَسَبَهُ ابنُ إِسْحَاقَ وغيرُهُ من الأئمة وكذا وقع في التوراة نَسَبُهُ وليس فيه اختلافٌ بين الأئمة . ونقل ابنُ إِسْحَاقَ أَنَّ خَنُوخَ الواقعُ إسمُهُ في هذا النسب هو إدريس النبي صلوات الله عليه وهو خلاف ما عليه الأكثرُ من النسابين فَإِنَّ إدريسَ عندهم ليس بِجَدِّ لَنُوحَ ولا في عمودِ نَسَبِهِ وقد زعم الحُكَمَاءُ الأقدمون أيضاً أَنَّ إدريسَ هو هِرْمِسُ المشهور بالإمامة في الحكمة عندهم . وكذلك يقال : أَنَّ الصابئة من ولد صابىء بن لَامِكُ وهو أخو نوح عليه السلام . وقيل أَنَّ صابىءَ مَتُوشَلَخَ جده .

واعلم أَنَّ الخلافَ الذي في ضبط هذه الأسماء إِنَّمَا عَرَضَ في مَخارجِ الحروفِ فَإِنَّ هذه الأسماءَ إِنَّمَا أَخَذَهَا العربُ من أَهلِ التوراةِ وَمَخارجُ الحروفِ في لغتهم غيرُ مَخارجِها في لغة العرب ، فاذا وقع الحرف متواسطاً بين حرفين من لغة العرب ، فتردّه العرب تارة الى هذا وتارة الى هذا . وكذلك إِشْبَاعُ الحركات قد تحذفه العرب اذا نقلت كلامَ العجم ، فَمِنْ ههنا اختلف الضبط في هذه الأسماء .

واعلم أَنَّ الْفَرَسَ والهندي لا يعرفون الطوفانَ وبعضُ الفرسِ يقولون كان بَابِلَ فقط . واعلم أَنَّ آدَمَ هو كِيومَرث وهو نهاية نسبهم فيما يزعمون ، وَأَنَّ أَفْرِيدُونَ المَلِكُ في آبائهم هو نوح ، وَأَنَّهُ بُعِثَ لَزدهاق وهو الضحَّاكُ فلبسه المَلِكُ وقبله كما يذكر بعد في أخبارهم . وقد تَرَجَّحُ صحة هذه الأنساب من التوراة وكذلك قصص الأنبياء الأقدمين اذ أخذت عن مسيلمي يهودا ومن نسخ صحيحة من التوراة يَغْلِبُ على الظن صحتها وقد وقعت العناية في التوراة بنسب موسى عليه السلام واسرائيل وشعوب الأسباط ونسب ما بينهم وبين آدَمَ صلوات الله عليه . والنسب والقصاص أمرٌ لا يدخله النَّسْخُ فلم يبقَ الا تحريُّ النَّسْخِ الصحيحة والنقلُ المعتمد . وأما ما يقال من أَنَّ علماءهم بدَّلُوا مواضع من التوراة بحسب أغراضهم في ديانتهم . فقد قال ابن عباس على ما نقل عنه البخاري في صحيحه : انَّ ذلك بعيد ، وقال معاذ الله ان تَعْمَدَ أُمَّةُ الأُمَمِ الى كتابها المُنزَلِ على نبيِّها فَتُبَدِّلَهُ أو ما في معناه ، وقال وَإِنَّمَا بَدَّلُوهُ

وحرّفوه بالتأويل ويشهد لذلك قوله تعالى : « وعندهم التوراة فيها حكم الله » ولو بدلوا من التوراة ألفاظها لم يكن عندهم التوراة التي فيها حكم الله وما وقع في القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها إليهم فإننا المعني به التأويل اللهم إلا أن يطرّقها التبديل في الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط . وتحريف من لا يحسن الكتابة بنسخها فذلك يمكن في العادة لا سيما وملكهم قد ذهب ، وجاعتهم انتشرت في الآفاق واستوى الضابط منهم وغير الضابط ، والعالم والجاهل ، ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لذهاب القدرة بذهاب الملك فتطرّق من أجل ذلك الى صحف التوراة في الغالب تبديل وتحريف غير متعمد من علمائهم وأخبارهم . ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها اذ تحرّى القاصد لذلك بالبحث عنه .

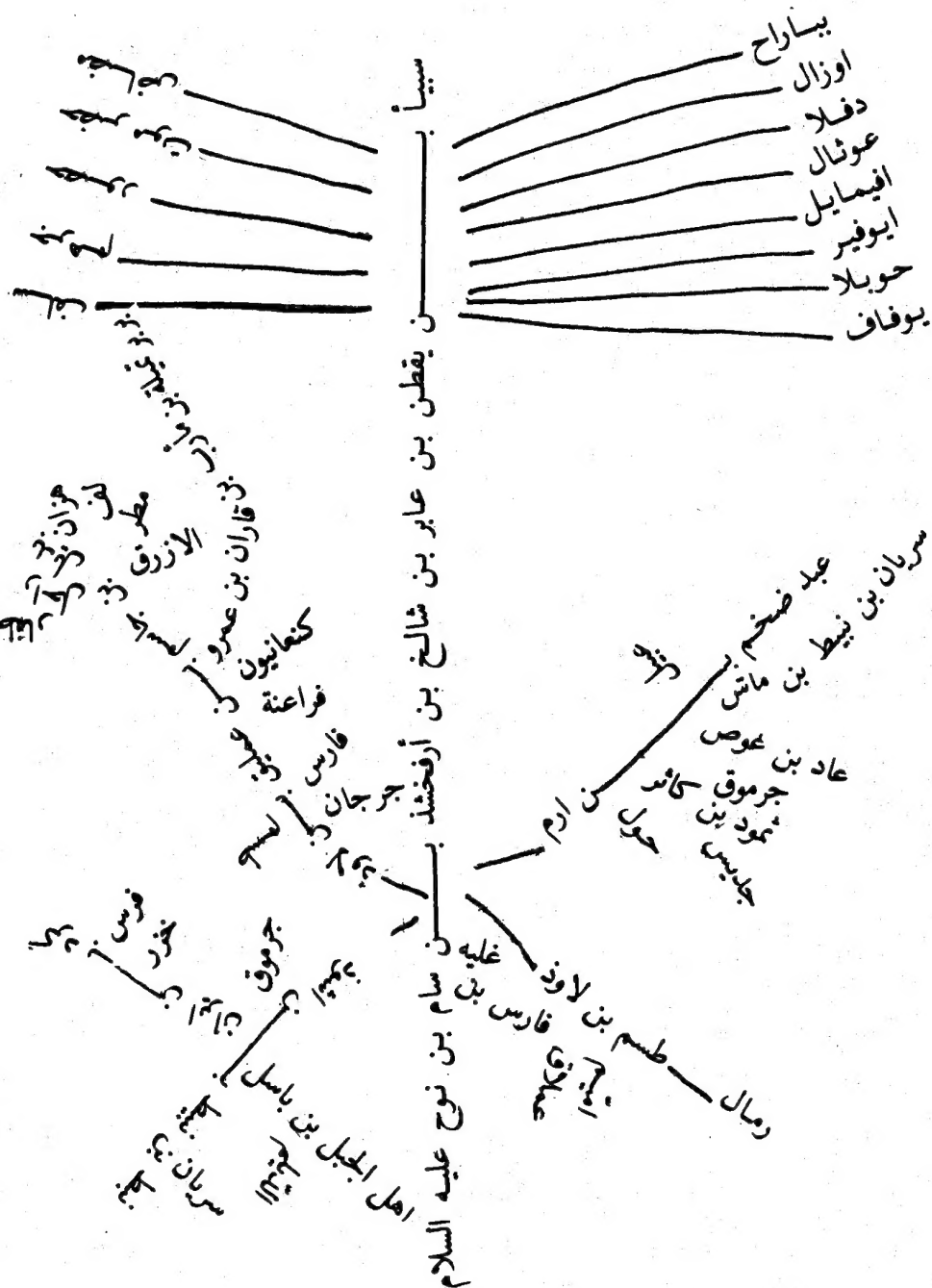
ثم اتفق النسابون ونقلت المفسرين على أن ولد نوح الذين تفرّعت الأمم منهم ثلاثة : سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم في التوراة ، وأن يافث أكبرهم وحام الأصغر وسام الأوسط . وخرّج الطبري في الباب أحاديث مرفوعة بمثل ذلك وأن سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش والزنج وفي بعضها السودان . وفي بعضها سام أبو العرب وفارس والروم ، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وحام أبو القبط والسودان والبربر ، ومثله عن ابن المسيّب ووهب بن منبّه . وهذه الأحاديث وإن صحّت فإننا الأنساب فيها بجملة ولا بدّ من نقل ما ذكره المحققون في تفرّيع أنساب الأمم من هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً . وكذلك نقل الطبري انه كان لنوح ولد اسمه كنعان وهو الذي هلك في الطوفان ، قال وتسميه العرب يام ، وآخر مات قبل الطوفان اسمه عابر . وقال هشام كان له ولد اسمه يوناظر والعقب إنّا هو من الثلاثة على ما أجمع عليه الناس وصحت به الأخبار ، فأما سام فن ولدته العرب على اختلافهم وإبراهيم وبنوه صلوات الله عليهم باتفاق النسابين . والخلاف بينهم إنّا هو في تفرّيع ذلك أوفي نسب غير العرب الى سام .

فالذي نقله ابن اسحق : أن سام بن نوح كان له من الولد خمسة وهم : أرفخشذ ولاوذ وإرم وأشوذ وغلیم . وكذا وقع ذكر هذه الخمسة في التوراة وأن بني أشوذ هم أهل الموصل ، وبني غلیم أهل خوزستان ومنها الأهواز . ولم يذكر في التوراة ولد لاوذ . وقال ابن اسحق : وكان للاوذ أربعة من الولد : وهم طشم وعمليق وجرجان وفارس قال : ومن العالقي أمّة جاسم فهم بنو كلف وبنو هزان وبنو مطر .

وبنو الأزرَق ومنهم بُدَيْلٌ وراحِلٌ وظَفَّارٌ ، ومنهم الكنعانيون وبرابرة الشام وفراعنة مِصْرَ . وعن غير ابن إسحق أَنَّ عبد بن ضَخَمٍ وأُمَيْمٍ من وُلد لآوَدَ . قال ابن اسحق : وكانت طَسَمٌ والعماليق وأُمَيْمٌ وجاسم يتكلمون بالعربية وفارس يحاورونهم إلى المشرق ويتكلمون بالفارسية .

قال ووُلدُ إِرَمَ : عَوْصٌ وكائِرٌ وعُبَيْلٌ ومن وُلد عَوْصَ عَادٌ ومترهم بالرمال والأحقاف إلى حضرموت . ومن وُلد كائِرُ ثُمُودٌ وجَدِيسٌ ومترل ثُمود بالحِجْرَيْنِ الشام والحجاز .

وقال هشام بن الكلبي : عُبَيْلٌ بن عَوْصٍ أَخُو عاد . وقال ابن حَزَمٍ عن قدماء النسَّابِينَ : أَنَّ لآوَدَ هو ابن إِرَمَ بن سام أَخُو عَوْصٍ وكائِرٌ . قال : فعلى هذا يكون جَدِيسٌ و ثُمُودٌ أَخَوَيْنِ ، وطَسَمٌ وعِمْلَاقٌ أَخَوَيْنِ أَبْنَاءُ عَمِّ لِحَامٍ وكلهم بنو عم عاد . قال : ويذكرون أَنَّ عبد بن ضَخَمٍ بن إِرَمَ وَأَنَّ أُمَيْمٍ بن لآوَدَ بن إِرَمَ . قال الطبري : وفهَّم الله لسانَ العربيَّةِ عاداً و ثُمُودَ وعُبَيْلٍ وطَسَمَ وجَدِيسَ وأُمَيْمَ وعِمْلِيقَ وهم العربُ العاربة . وربما يقال : إِنَّ من العرب العاربة يَقْطِنُ أَيْضاً ، ويسمون أَيْضاً العرب البائدة ولم يبقَ على وجه الأرض منهم أحد . قال : وكان يقال عادُ إِرَمَ فلعَمَّا هَلِكُوا قِيلَ ثُمُودُ إِرَمَ ثُمَّ هَلِكُوا فَقِيلَ لَسائِرُ وُلدِ إِرَمَ أَرْمانٌ وهم النَّبَطُ . وقال هشام بن محمد الكلبي : إِنَّ النَّبَطَ بنو نَبِيطَ بن مَاشِ بن إِرَمَ والسريان بنو سُرِيان بن نَبِيطَ . وذكر أَيْضاً أَنَّ فَارِسَ من ولد أشوذ بن سام وقال فيه فارس بن طبراش بن أشوذ ، وقيل أَنهم من أُمَيْمٍ بن لآوَدَ وقيل ابن غَلِيمٍ وفي التوراة : ذكر ملك الأهواز واسمه كَرْدَلا عمرو من بني غَلِيمٍ والأهواز متصلة ببلاد فارس . فلعل هذا القائل ظَنَّ أَنَّ أَهْلَ أهواز هم فارس والصحيح أَنهم من وُلد يافث كما يُذكر . وقال أَيْضاً إِنَّ البَريرَ من ولد عِمْلِيقَ بن لآوَدَ وَأَنهم بنو تميلة من مَأْرِبَ بن قاران بن عمر بن عَمْلِيقَ والصحيح أَنهم من كنعان بن حام كما يُذكر . وذكر في التوراة ولد إِرَمَ أربعة عَوْصَ وكائِرَ ومَاشَ ويقال مَشَحْ والرابع حَولَ . ولم يقع عند بني إِسْرَائِيلَ في تفسير هذا شيءٌ إِلَّا أَنَّ الجَرامِقَةَ من ولد كائِرَ . وقد قيل إِنَّ الكُردَ والدَّيْلِمَ من العرب . وهو قول مرغوبٌ عنه . وقال ابن سعيد كان لأشوذ أربعة من الولد إِيْرانَ ونَبِيطَ وجَرموقَ وباسلَ فن إِيْرانَ الفُرسَ والكُردَ والخَزَرَ ، ومن نَبِيطَ النَّبَطُ والسريان ، ومن جَرموقَ الجَرامِقَةُ وأَهْلُ الموصلَ ، ومن باسلَ الدَّيْلِمَ وأَهْلُ الجبل . قال الطبري : ومن وُلدِ أَرْفَخْشَدَ العَبْرانيون



وبنو عابر بن شالخ بن أرفخشذ وهكذا نسبة في التوراة . وفي غيره أن شالخ بن قين بن أرفخشذ وإنما لم يذكر قين في التوراة لأنه كان ساحراً وادّعى الألوهية .
وعند بعضهم أن التمروذ من ولد أرفخشذ وهو ضعيف وفي التوراة أن عابر ولد إثنين من الولد هما فالغ ويقطن ، وعند المحققين من النسابة أن يقطن هو قحطان عربته العرب هكذا . ومن فالغ إبراهيم عليه السلام وشعوبه ويأتي ذكرهم . ومن يقطن شعوب كثيرة في التوراة ذكر ثلاثة من الولد له وهم : الميرذاذ ومعرية ومضااض وهم جرهم وإرم وهم حضور وسالف وهم أهل السلفات وسباوهم أهل اليمن من حمير والتبابعة وكهلان وهدرماوت وهم حضرموت . هؤلاء خمسة ، وثمانية أخرى ننقل أسماءهم وهي عبرانية ولم نقف على تفسير شيء منها ولا يُعلم من أي البطون هم ، وهم : يبراح وأوزال ودفلا وعوثال وأفيايل وأيوفير وحويلا ويوفاف ، وعند النسابين أن جرهم من ولد يقطن فلا أدري من أيهم ، وقال هشام بن الكلبي : إن الهند والسند من نوفير بن يقطن والله أعلم .

وأما يافث فمن ولده الترك والصين والصقالبة وأجوج ومأجوج باتفاق من النسابين . وفي آخرين خلاف كما يذكر . وكان له من الولد على ما وقع في التوراة سبعة . وهم كومر وباوان وماذاي وماغوغ وقطوبال وماشخ وطيراش وعدّهم ابن اسحق هكذا وحذف ماذاي ولم يذكر كومر وتوغرما وأشبان وريغات هكذا في نص التوراة . ووقع في الإسرائيليات أن توغرما هم الخزر ، وأن أشبان هم الصقالبة ، وأن ريغات هم الإفرنج ويقال لهم برنسوس ، والخزر هم التركمان وشعوب الترك كلهم من بني كومر ولم يذكروا من أي الثلاثة هم . والظاهر أنهم من توغرما ونسبهم ابن سعيد إلى الترك ابن عامور بن سويل بن يافث ، والظاهر أنه غلط وأن عامور هو كومر صحف عليه .
وهم أجناس كثيرة منهم الطغرغر وهم التتر والخطا وكانوا بأرض طفاج والخرقلية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين كان منهم الخلع ، ويقال للهياطلة الصغد أيضاً . ومن أجناس الترك الغور والخزر والقفجاق ، ويقال الخفشاخ ، ومنهم يملك والعلان ، ويقال الأز ، ومنهم الشركس وأزكش . ومن ماغوغ عند الإسرائيليين يأجوج ومأجوج ، وقال ابن اسحق : إنهم من كومر ومن ماذاي الديلم ويسمون في اللسان العبراني ماهان . ومنهم أيضاً همدان وجعلهم بعض الإسرائيليين من بني همدان بن يافث وعد همدان ثامنًا للسبعة المذكورين من ولده .

وأما ياوان واسمه يونان فعند الإسرائيليين أنه كان له من الولد أربعة وهم : داود بن واليشا وكيتم وترشيش ، وأن كيتم من هؤلاء الأربعة هو أبو الروم والباقي يونان ، وأن ترشيش أهل طرسوس .

وأما قطوبال فهم أهل الصين من المشرق واللمان من المغرب . ويقال أن أهل افريقية قبل البربر منهم وأن الإفرنج أيضا منهم . ويقال أيضا أن أهل الأندلس قديماً منهم . وأما ماشخ فكان ولده عند الاسرائيليين بخراسان وقد انقضوا لهذا العهد فيما يظهر وعند بعض النسابين أن الأشبان منهم .

وأما طيراش فهم الفرس عند الإسرائيليين وربما قال غيرهم إنهم من كومر وأن الخزر والترك من طيراش وأن الصقالبة وبرجان والأشبان من ياوان وأن يأجوج ومأجوج من كومر وهي كلها مزاعم بعيدة عن الصواب . وقال اهروشيوش مؤرخ الروم أن القوط واللطين من ماغوغ . وهذا آخر الكلام في أنساب يافث .

وأما حام فمن ولده : السودان والهند والسند والقبط وكنعان باتفاق . وفي آخرين خلاف تذكره وكان له على ما وقع في التوراة أربعة من الولد وهم مصر ويقول بعضهم مصريم وكنعان وكوش وقوط . فمن ولد مصر عند الاسرائيليين فتروسيم وكسلوحيم ووقع في التوراة فلشنين منها معاً . ولم يتعين من أحدهما وبنو فلشنين الذين كان منهم جالوت . ومن ولد مصر عندهم كفتورع ويقولون هم أهل دمياط ووقع الانقلوس ابن أخت قبطش الذي خرب القدس في الجلوة الكبرى على اليهود . قال إن كفتورع هو قبطقاي ويظهر من هذه الصيغة أنهم القبط لما بين الإسمين من الشبه . ومن ولد مصر عنانيم وكان لهم نواحي إسكندرية وهم أيضاً بفتوحيم ولوديم ولها ييم . ولم يقع إلينا تفسير هذه الأسماء . وأما كنعان بن حام فذكر من ولده في التوراة أحد عشر منهم صيدون ولهم ناحية صيدا وإيموري وكرساش ، وكانوا بالشام وانتقلوا عندما غلبهم عليه يوشع إلى أفريقية فأقاموا بها . ومن كنعان أيضاً ييوسا وكانوا ببيت المقدس وهربوا أمام داود عليه السلام حين غلبهم عليه إلى أفريقية والمغرب وأقاموا بها . والظاهر أن البربر من هؤلاء المنتقلين أولاً وآخرأ إلا أن المحققين من نسابتهم على أنهم من ولد مازيغ بن كنعان فلعل مازيغ ينتسب إلى هؤلاء . ومن كنعان أيضاً حيث الذين كان ملكهم عوج بن عناق . ومنهم عرفان وأروادي وخوي ولهم نابلس وسنا ولهم طرابلس وضماري ولهم حمص وحما ولهم أنطاكية وكانت تسمى حما باسمهم وأما كوش بن حام

فذكر له في التوراة خمسة من الولد وهم سقنا وسبا وجويلا ورعما وسفخا ومن ولد رعاشاو وهم السند ودادان وهم الهند . وفيها أن الفروذ من ولد كوش ولم يعينه وفي تفاسيرها أن جويلا زويلة وهم أهل برقة . وأما أهل اليمن من ولد سبا . وأما قوط فعند أكثر الإسرائيليين أن القبط منهم . ونقل الطبري عن ابن اسحق أن الهند والسند والحبشة من بني السودان من ولد كوش . وأن النوبة وفزان وزغاوة والزنج منهم من كنعان . وقال ابن سعيد أجناس السودان كلهم من ولد حام ونسب ثلاثة منهم إلى ثلاثة سماهم من ولده غير هؤلاء الحبشة إلى حبش ، والنوبة إلى نوبة أو نوى ، والزنج إلى زنج ، ولم يسم أحداً من آباء الأجناس الباقية وهؤلاء الثلاثة الذين ذكروا لم يعرفوا من ولد حام فلعلهم من أعقابهم ، أو لعلها أسماء أجناس . وقال هشام بن محمد الكلبي إن الفروذ هو ابن كوش بن كنعان . وقال أهروشيوش مؤرخ الروم : إن سبا وأهل افريقية يعني البربر من جويلا بن كوش ويسمى يصول وهذا والله أعلم غلط لأنه مر أن يصول في التوراة من ولد يافث ولذلك ذكر أن حبشة المغرب من دادان ابن رعما من ولد مصر بن حام بنو قبط بن لاب بن مصر اه الكلام في بني حام . وهذا آخر الكلام في أنساب أُمم العالم على الجملة والخلاف الذي في تفاصيلها يذكر في أماكنه والله وليّ العون والتوفيق .

بربر بن اموري بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام

کرمساتش

بيوميا

صيدون

حیث

خوي -

دادا داد بن رحما
سفتا غرود سبب
کوش
مکرم

७१०
 ७१२
 ७१३
 ७१४
 ७१५

[illegible]

عند الاسرائيليين القبط بن قوط

المقدمة الثانية في كيفية وضع الانساب في كتابنا لأهل الدول وغيرهم

اعلم أن الأنساب تتشعب دائماً وذلك أن الرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر ، ويكون لكل واحد منهم كذلك ، وكل واحد منهم فرعٌ ناشئ عن أصلٍ أو فرع أو عن فرع فرع فصارت بمثابة الأغصان للشجرة تكون قائمة على ساق واحدة هي أصلها والفروع عن جانبيها ، ولكل واحدٍ من الفروع فروعٌ أخرى إلى أن تنتهي إلى الغاية . فلذلك اخترنا بعد الكلام على الأنساب للأمة وشعوبها أن نضع ذلك على شكل شجرة نجعل أصلها وعمود نسبها باسم الأعظم من أولئك الشعوب ومن له التقدم عليهم فيجعل عمود نسبها أصلها وتفرع الشعوب الأخرى عن جانبيه من كل جهة ، كأنها فروع لتلك الشجرة حتى تتصل تلك الأنساب عموداً وفروعاً بأصلها الجامع لها ظاهرة للعيان في صفحة واحدة ، فترسم في الخيال دفعة ويكون ذلك أعون على تصوّر الأنساب وتشعبها فإن الصور الحسية أقرب إلى الإرتسام في الخيال من المعاني المتعلقة . ثم لما كانت هذه الأمم كلها لها دول وسلطان ، اعتمدنا بالقصد الأول ذكر الملوك منهم في تلك الشجرات متصلة أنسابهم إلى الجدد الذي يجمعهم ، بعد أن نرسم على كل واحد منهم رتبته في تعاقبهم واحداً بعد واحدٍ بحرفٍ أب ج د فالألف للأول والباء للثاني والجيم للثالث والdal للرابع والهاء للخامس وهلم جراً . ونهاية الأجداد لأهل تلك الدولة في الآخر منهم ، ويكون للأول غصون وفروع في كل جهة عنه فإذا نظرت في الشجرة علمت أنساب الملوك في كل دولة وترتيبهم بتلك الحروف واحداً بعد واحد والله أعلم بالصواب .

القول في أجيال العرب وأوليتها واختلاف طبقاتهم وتعاقبها وأنساب كل طبقة منها

اعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة ، أهل الخيام لسكنائهم والخييل لركوبهم ، والأنعام لكسبهم ، يقومون عليها ، ويقتاتون من ألبانها ، ويتخذون الدفء والأثاث من أوبارها وأشعارها ، ويحملون أثقالهم على ظهورها . يتنازلون جِلاً متفرقة ،

ويتغنون الرزق في غالب أحوالهم من القنص ، ويختطف الناس من السبل ،
 ويتقلبون دائماً في المجالات فراراً من حمارة القيظ تارة ، وصبارة البرد أخرى ،
 وانتجاعاً لمراعي غنمهم ، وارتداداً لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم ، وحمل أثقالهم
 ودفعهم ومنافعهم ، فاختصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث ما بين البحر المحيط من
 المغرب الى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق . فعمروا اليمن والحجاز ونجداً وتهامة
 وما وراء ذلك مما دخلوا إليه في المائة الخامسة كما ذكروه من مصر وصحاري برقة
 وتلونها وقسطنطينة وأفريقية وزاغوا والمغرب الأقصى والسوس ، لاختصاص هذه البلاد
 بالرمال والقفار المحيطة بالأرياف والتلول والأرياف الآهلة بمن سواهم من الأمم في
 فصل الربيع وزخرف الأرض لرعي الكلاً والعشب في منابتها ، والتقل في نواحيها الى
 فصل الصيف لمدة الأقوات في سنتهم من حبوبها . وربما يلحق أهل العمران اثناء
 ذلك معرات من أضرارهم بإفساد السابلة ، ورعي الزرع مخضراً ، وانتهابه قائماً
 وحصيداً إلا ما حاطته الدولة ، وذادت عنه الحامية في المالك التي للسلطان عليهم
 فيها . ثم ينحدرون في فصل الخريف الى القفار لرعي شجرها ، وتناج إبلهم في
 رمالها ، وما أحاط به عملهم من مصالحها ، وفراراً بأنفسهم ووطعائهم من أذى البرد
 الى دفء مشاتها . فلا يزالون في كل عام مترددين بين الريف والصحراء ما بين الإقليم
 الثالث والرابع صاعدين ومنحدرين على ممر الأيام ، شعارهم لبس المخيط في
 الغالب ، ولبس العمام تيجاناً على رؤسهم يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم
 بفضلها وهم عرب المشرق ، وقوم يلقون منها الليث والاختدع قبل لبسها ثم يتلثمون بما
 تحت اذقانهم من فضلها وهم عرب المغرب حاكوا بها عمام زناتة من أمم البربر
 قبلهم . وكذلك لقنوا منهم في حمل السلاح اعتقال الرماح الخطية ، وهجروا تنكب
 القسي . وكان المعروف لأولهم ومن بالمشرق لهذا العهد منهم استعمال الأمرين .
 ثم إن العرب لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق
 والذلاقة في اللسان ولذلك سمو بهذا الاسم فإنه مشتق من الابانة لقولهم أعرب
 الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « الثيب تعرب عن
 نفسها » . والبيان سمته بين الأمم منذ كانوا . وانظر قصة كسرى لما طلب من خليفته على
 العرب النعمان بن المنذر أن يوفد عليه من كبارهم وخطبائهم من رضي لذلك ، فاختر
 منهم وفيد أوفده عليه وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف .

فهذه كلها شعائهم وسماتهم وأغلبها عليهم اتخاذ الإبل والقيام على نتائجها وطلب الانتجاع بها الارتياح مراعيها ومفاحص توليدها بما كان معاشهم منها . فالعرب أهل هذه الشعار من أجيال الآدميين . كما أن الشاوية أهل القيام على الشاة والبقر لما كان معاشهم فيها فلهذا لا يختصون بنسب واحد بعينه الا بالعرض ولذلك كان النسب في بعضهم مجهولاً عند الأكثر وفي بعضهم خفياً على الجمهور . وربما تكون هذه السمات والشعائر في أهل نسب آخر فيدعون باسم العرب إلا أنهم في الغالب يكونون أقرب الى الأولين من غيرهم . وهذا الانتقال لا يكون إلا في أزمنة متطاولة وأحقاب متداولة . ولذلك يعرض في الأنساب ما يعرض من الجهل والخفاء .

واعلم أن جيل العرب بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام كان في عاد الأولى وثمود والعمالة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمي إليهم من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح . ثم لما انقرضت تلك العصور وذهب أولئك الامم وأبادهم الله بما شاء من قدرته وصار هذا الجيل في آخرين ممن قرب من نسبهم من حمير وكهلان وأعقابهم من التابعة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام . ثم لما تطاولت تلك العصور وتعاقبت وكان بنو فالغ بن عابر أعالم من بين ولده واختص الله بالنبوة منهم إبراهيم بن تارخ^(١) وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغوب بن فالغ وكان من شأنه مع نمرود ما قصه القرآن . ثم كان من هجرته الى الحجاز ما هو مذكور ، وتحلف ابنه اسمعيل مع أمه هاجر بالحجر قرباناً لله ، ومرت بها رفقة من جرهم في تلك المفازة فخالطوها ونشأ اسمعيل بينهم ، وربّي في أحيائهم ، وتعلم لغتهم العربية بعد أن كان أبوه أعجمياً . ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ، ثم بعثه الله الى جرهم والعمالة الذين كانوا بالحجاز فأمن كثير منهم واتبعوه . ثم عظم نسله وكثر وصار بالجيل آخر من ربيعة ومضر ومن إليهم من إياد وعك وشعوب نزار وعدنان وسائر ولد اسمعيل وهم العرب التابعة للعرب . ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام . وخالطوا العجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في آماذ متطاولة وبقي خلفهم أحياء بادين في القفار والرمال والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة . وقبائل بالمشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة والحبشة وبلاد الشام والعراق

(١) تارخ او تارح كما في التورات .

والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان ، أم لا يأخذها الحصر والضبط ،
قد كاثروا أم الأرض لهذا العهد شرقاً وغرباً ، واعتزوا عليهم فهم اليوم أكثر أهل
العالم وأملك لأمرهم من جميع الأمم . ولما كانت لغتهم مستعجمة على اللسان المصري
الذي نزل به القرآن ، وهو لسان سلفهم ، سميناهم لذلك العرب المستعجمة فهذه
أجيال العرب منذ مبدأ الخليقة ولهذا العهد في أربع طبقات متعاقبة ، كان لكل طبقة
منها عصور وأجيال ودول وأحياء وقعت العناية بها دون من سواهم من الأمم لكثرة
أجيالهم واتساع النطاق من ملكهم . فلنذكر لكل طبقة أحوال جيلها وبعض أيامهم
ودولهم ، ومن كان عهدهم من ملوك الأمم ودولهم ، ليتبين لك بذلك مراتب
الأجيال في الخليقة كيف تعاقبت والله سبحانه وتعالى ولي العون .

برنامج بما تضمنه الكتاب من الدول في هذه الطبقات الأربع على ترتيبها والدول المعاصرين من العجم في كل طبقة منها

فنبداً أولاً بذكر الطبقة الأولى وهم العرب العاربة ونذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان
لهم من الملك والدولة . ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة من بني حمير بن سبا
ونذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك باليمن في التبابعة وأعقابهم . ثم نرجع إلى ذكر
معاصرهم من العجم وهم ملوك بابل من السريانيين ثم ملوك الموصل وبنو من
الجرامقة ثم القبط وملوكهم بمصر ، ثم بني إسرائيل ودولهم بيت المقدس قبل تخريب
بختنصر وبعده وبالصابئة ، ثم الفرس ودولهم الأولى والثانية ، ثم يونان ودولهم
الإسكندر وقومه ، ثم الروم ودولهم في القياصرة وغيرهم .

ثم نرجع إلى ذكر الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب من قضاعة وقحطان
وعدنان وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر . فنبداً بقضاعة وأنسابهم وما كان لهم من
الملك البدوي في آل النعمان بالحيرة والعراق ومن زاحمهم فيها من ملوك كندة بني حجر
آكل المرار . ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوي بالشام في بني جفنة بالبلقاء
والأوس والخزرج بالمدينة النبوية . ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بمكة في
قريش ثم ما شرفهم الله به وجيل الآدميين أجمع من النبوة ، وذكر الهجرة والسير
النبوية ، ثم نذكر ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فنترجم للخلفاء الأربعة وما
كان على عصرهم من الردة والفتوحات والفتن . ثم نذكر خلفاء الإسلام من بني أمية

وما كان لعهدهم من أمر الخوارج . ثم نذكر خلفاء الشيعة وما كان لهم من الدول في الإسلام . فالأولى الدولة العظيمة لبني العبّاس التي انتشرت في أكثر ممالك الإسلام ، ثم دولة العلوية المزارحين لها بعد صدر منها وهي دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ، ثم دولة العبيدية من الإسماعيلية بالقيروان ومصر ، ثم القرامطة بالبحرين ، ثم دعاة طبرستان والديلم ثم ما كان من هؤلاء العلوية بالحجاز ثم نذكر بني أمية المنازعين لبني العبّاس بالأندلس وما كان لهم من الدولة هنالك والطوائف من بعدهم ، ثم نرجع الى ذكر المستبدين بالدعوة العباسية بالمغرب والنواحي وهم بنو الأغلب بأفريقية وبنو حمدان بالشام وبنو المقلد بالموصل وبنو صالح بن كلاب بحلب وبنو مروان بديار بكر وبنو أسد بالحلة وبنو زياد باليمن وبنو هود بالأندلس .

ثم نرجع الى القائمين بالدعوة العبيدية بالنواحي وهم الصليحيون^(١) باليمن وبنو أبي الحسن الكلبي بصقلية وصنهاجة بالمغرب . ثم نرجع الى المستبدين بالدعوة العباسية من العجم في النواحي وهم بنو طولون بمصر ، ومن بعدهم بنو طغج وبنو الصفار بفارس وسجستان ، وبنو سامان فيما وراء النهر ، وبنو سبكتكين في غزنة وخراسان ، وغورية في غزنة والهند ، وبنو حسنويه من الكرد في خراسان . ثم نرجع الى ذكر المستبدين على الخلفاء ببغداد من العجم وهم أهل الدولتين العظيمتين القائمتين بملك الإسلام من بعد العرب وهم بنو بويه من الديلم والسلجوقية من الترك . ثم نرجع الى ملوك السلجوقية المستبدين بالنواحي وهم بنو طغتكين بالشام ، وبنو قطلمش ببلاد الروم ، وبنو خوارزم شاه ببلاد العجم وما وراء النهر ، وبنو سقمان بخلاط وأرمينية ، وبنو أرئق بماردين ، وبنو زنكي بالشام ، وبنو أيوب بمصر والشام . ثم الترك الذين ورثوا ملكهم هنالك ، وبنو رسول باليمن ثم نرجع الى ذكر التتر من الترك القائمين على دولة الإسلام والملاحين للخلافة العباسية ثم ما كان من دخولهم في دين الإسلام وقيامهم بالملك بالنواحي وهم بنو هولاكو بالعراق ، وبنو ذوشخان بالشمال ، وبنو أرنا ببلاد الروم ، ومن بعد بني هولاكو بنو الشيخ حسن ببغداد وتوريز ، وبنو المظفر بأصبهان وشيراز وكرمان ، وبعد بني أرنا ملوك بني عثمان من التركمان ببلاد الروم وما وراءها .

(١) وفي نسخة أخرى : الصليحيون

ثم نرجع إلى الطبقة الرابعة من المغرب وهم المستعجمة ومن له ملك بدوي منهم بالمغرب والمشرق . ثم نخرج بعد ذكر ذلك الى ذكر البربر ودولهم بالمغرب لأنهم كانوا من شرط كتابنا . وهناك نذكر برنامج دولهم والله سبحانه أعلم .

الطبقة الاولى من العرب وهم العرب العاربة وذكر نسبهم والإمام بملكهم ودولهم على الجملة

هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح ، وأعظمهم قدرة ، وأشدّهم قوة وآثاراً في الأرض ، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه . لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم ، يمتنع اطلاعنا عليها التطاول الأحقاب ودروسها إلا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر عن الانبياء بوحى الله إليهم ، وما سوى ذلك من الأخبار الأزلية فنقطع الاسناد . ولذلك كان المعتمد عند الإثبات في أخبارهم ، ما تنطق به آية القرآن في قصص الأنبياء الأقدمين ، أو ما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من أخبارهم وذكر دولهم وحروبهم ينقلون ذلك عن السلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أو سمعوه ممن هاجر إلى الإسلام من أخبار اليهود وعلمائهم أهل التوراة أقدم الصحف المنزلة فيما علمناه ، وما سوى ذلك من حطام المفسرين وأساطير القصص وكتب بدء الخليقة فلا نعول على شيء منه . وإن وجد لمشاهير العلماء تأليف مثل كتاب الياقوتية للطبري ، والبدء للكسائي ، فإنما نخوا فيها منحنى القصاص ، وجروا على أساليبهم ، ولم يلتزموا فيها الصحة ، ولا ضمنوا لنا الوثوق بها فلا ينبغي التعويل عليها ، وترك شأنها . وأخبار هذا الجيل من العرب وإن لم يقع لها ذكر في التوراة ، إلا أن بني إسرائيل من بين أهل الكتاب أقرب إليهم عصراً ، وأوعى لأخبارهم ، فلذلك يعتمد نقل المهاجرة منهم لأخبار هذا الجيل ، ثم إن هذه الامم على ما نقل كان لهم ملوك ودول .

فلوك جزيرة العرب وهي الأرض التي أحاط بها بحر الهند من جنوبها ، وخليج الحبشة من غربها ، وخليج فارس من شرقها ، وفيها اليمن والحجاز والشحر وحضرموت ، وامتد ملكهم فيها الى الشام ومصر في شعوب منهم على ما يذكر . ويقال : انهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام ، فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين ، ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور حسبما نذكره ، إلى أن

غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان . وهؤلاء العرب العاربة شعوب كثيرة . وهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعييل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضورا والسلفات . وسمي أهل هذا الجليل العرب العاربة ، إما بمعنى الرساخة في العروبية كما يقال : ليل الليل ، وصوم ضائم . أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها وقد تسمى البائدة أيضا بمعنى الهالكة ، لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم . فأما عاد وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر . وكان أبوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب ، وطال عمره وكثر ولده ، وفي التواريخ ولد له أربعة آلاف ولد ذكر لصلبه ، وتزوج ألف امرأة وعاش ألف سنة ومائتي سنة . وقال البيهقي : إنه عاش ثلثمائة سنة ، وملك بعده بنوه الثلاثة شديداً وبعده شداد وبعده إرم . وذكر المسعودي : إن الذي ملك من بعد عاد وشداد منهم هو الذي سار في المالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق . وقال الزمخشري : إن شداد هو الذي بنى مدينة إرم في صحارى عدن ، وشيدها بصخور الذهب وأساطين الياقوت والزبرجد ، يحاكي بها الجنة لما سمع وصفها طغياناً منه وعتواً . ويقال : إن باني إرم هذه هو إرم بن عاد . وذكر ابن سعيد عن البيهقي : أن باني إرم هو إرم بن شداد بن عاد الأكبر ، والصحيح أنه ليس هناك مدينة إسمها إرم وإنما هذا من خرافات القصاص وإنما ينقله ضعفاء المفسرين . وإرم المذكورة في قوله تعالى : « إرم ذات العماد » القليلة لا البلد . وذكر المسعودي أن ملك عوص كان ثلثمائة وأن الذي ملك من بعده إبنه عاد بن عوص ، وإن جيرون بن سعد بن عاد كان من ملوكهم ، وأنه الذي اختط مدينة دمشق ومصرها ، وجمع عُمَدَ الرخام والمرمر إليها وسمها إرم . ومن أبواب مدينة دمشق إلى هذا العهد باب جيرون ، وذكره الشعراء في معاهدها قال الشاعر :

النخل فالقصر فالحماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

وهذا البيت في الصوت الأول من كتاب الأغاني . وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق جيرون . ويزيد أخوان هما ابنا سعد بن لقمان بن عاد ، وبهما عرف باب جيرون ونهر يزيد . والصحيح أن باب جيرون إنما سمي باسم مولى من موالي سليمان عليه السلام في دولة بني إسرائيل ، جيرون كان ظاهراً في دولتهم . وذكر ابن سعيد في أخبار القبط : أن شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد

حارب بعضاً من القبط ، وغلب على أسافل مصر ونزل الإسكندرية وبنى بها حينئذ مدينة مذكورة في التوراة يقال لها أون ، ثم هلك في حروبهم ، وجمع القبط إخوتهم من البربر والسودان وأخرجوا العرب من ملك مصر .

ثم لما اتصل ملك عاد وعظم طغيانهم وعتوهم انتحلوا عبادة الأصنام والالوثان من الحجارة والخشب ويقال : أن ذلك لانتحالمهم دين الصابئة ، فبعث الله إليهم أخاهم هوداً ، وهو فيما ذكر المسعودي والطبري هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد ، وفي كتاب البدء لابن حبيب رباح بن حرب بن عاد ، وبعضهم يقول هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ . فوعظهم وكان ملوكهم لعهد : الخلجان ، ولقمان بن عاد بن عاديا بن صدا بن عادفا ، آمن به لقمان وقومه ، وكفر الخلجان ، وامتنع هود بعشيرته من عاد . وحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين وبعثوا الوفود من قومهم إلى مكة يستسقون لهم ، كان في الوفد على ما قاله الطبري نعيم بن هزال بن هزيل بن عبيل بن صدا بن عاد . وقيل ابن عتزم منهم ، وحلقمة بن الخسري ، ومروث بن سعد بن عتزم . وكان ممن آمن بهود واتبعه وكان بمكة من عاد هؤلاء : معاوية بن بكر وقومه ، وكانت هزيمة أخت معاوية عند نعيم بن هزال وولدت له عبيداً وعمراً وعامراً ، فلما وصل الوفد إلى مكة مروا بمعاوية بن بكر وابنه بكر ونزل الوفد عليه . ثم تبعهم لقمان بن عاد ، وأقاموا عند معاوية وقومه شهراً لما بينهم من الخولة ، ومكثوا يشربون وتغنيم الجرادتان قيتان لمعاوية بن بكر وابنه بكر . ثم غتاهم شعراً تذكرهم بأمرهم فانبعثوا ومضوا إلى الإستسقاء ، وتخلف عنهم لقمان بن عاد ومروث بن سعد ، فدعوا في استسقايتهم وتضرعوا وأنشأ الله السحب ونودي بهم أن اختاروا فاختاروا سوداء من السحب ، وأنذروا بعذابها فضت إلى قومهم وهلكوا كما قصه القرآن .

وفي خبر الطبري أن الوفد لما رجعوا إلى معاوية بن بكر ، لقيهم خبر مهلك قومهم هنالك ، وأن هوداً بساحل البحر ، وأن الخلجان ملكهم قد هلك بالريح فيمن هلك ، وأن الريح كانت تدخل تحت الرجل فتحمله حتى تقطعوا في الجبال وتقلع الشجر وترفع البيوت ، حتى هلكوا أجمعون انتهى كلام الطبري .

ثم ملك لقمان ورهطه من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال ألف سنة أو يزيد وانتقل ملكه إلى ولده لقمان ، وذكر البخاري في تاريخه أن الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً هو هدد بن بدد بن الخلجان بن عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر ، وأن المدينة

بساحل برقة اهـ ولم يزل ملكهم متصلاً إلى أن غلبهم عليه يعرب بن قحطان ، واعتصموا بجبال حضرموت إلى أن انقرضوا . وقال صاحب زجارات ملكهم عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر هو الذي حارب يعرب بن قحطان ، وكان كافراً بعيد القمر ، وأنه كان على عهد نوح ، وهذا بعيد لأن بعثة هود كانت عند استفحال دولتهم أو عند مبتدئها ، وغلب يعرب كان عند انقراضها ، وكذلك هدد الذي ذكر البخاري أنه ملك برقة إنما هو حافد الخلجان الذي اعتصم آخرهم بجبل حضرموت ، وخبر البخاري مقدم .

وقال علي بن العزيز الجرجاني : وكان من ملوك عاد يعمر بن شداد ، وعبد أبهر بن معد يكرب بن شمد بن شداد بن عاد ، وحناد بن مياد بن شمد بن شداد ، وملوك آخرون أبادهم الله والبقاء لله وحده . فأما عييل وهم إخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبي ، وإخوان عوص بن إرم فيما قاله الطبري ، وكانت ديارهم بالحجفة بين مكة والمدينة وأهلكهم السيل . وكان الذي اختط يثرب منهم هكذا قال المسعودي ، وقال هو يثرب بن ابائلة بن مهلهل بن عييل . وقال السهيلي إن الذي اختط يثرب من العماليق ، وهو يثرب بن مهلايل بن عوص بن عمليق . وأما عبد ضخم بن إرم فقال الطبري كانوا يسكنون الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل . وقال غيره إنهم أول من كتب بالخط العربي .

وأما ثمود وهم بنو ثمود بن كاثر بن إرم فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام ، وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال ، ويُقال لأن أعمارهم كان تطول فيأتي البلاء والخراب على بيوتهم ، فنحتوها لذلك في الصخر ، وهي لهذا العهد ، وقد مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ونهى عن دخولها كما في الصحيح ، وفيه إشارة إلى أنها بيوت ثمود أهل ذلك الجيل . ويشهد ذلك ببطلان ما يذهب إليه القصاص ، ووقع مثله للمسعودي من أن أهل تلك الأجيال كانت أجسامهم مفرطة في الطول والعظم ، وهذه البيوت المشاهدة المنسوبة إليهم بكلام الصادق صلوات الله عليه ، يشهد بانهم في طولهم وعظم حُجَرَاتِهِم مثلنا سواء فلا أقدم من عاد وأهل أجيالهم فيما بلغنا .

ويقال إن أول ملوكهم كان عابر بن إرم بن ثمود ملك عليهم مائتي سنة . ثم كان من بعده جندع بن عمرو بن الدبيل بن إرم بن ثمود . ويقال ملك نحواً من ثلثمائة سنة .

وفي أيامه كانت بَعَثَةُ صالح عليه السلام ، وهو صالح بن عَيْل بن أَسَف بن شَالِخ بن عَيْل بن كَاثِر بن ثُمُود ، وكانوا أَهْل كُفْرٍ وَبَغْيٍ وعبادة أوثان ، فدعاهم صالح إلى الدين والتوحيد . قال الطبري : فلَمَّا جاءهم بذلك كفروا وطلبوا الآيات ، فخرج بهم إلى هَضْبَةٍ من الأرض ، فتمخَّضت عن الناقة ونهاهم أَنْ يتعرضوا لها بَعْقَرٍ أو هلكة ، وأخبرهم مع ذلك أَنهم عاقروها ولا بدَّ ، ورأس عليهم قَدَار بن سالف ، وكان صالح وصف لهم عاقِرَ الناقة بصفة قَدَار هذا . ولما طال التذير عليهم من صالح ستموه وهُمُوا بقتله ، وكان يأوي إلى مسجدٍ خارج ملائمتهم ، فكمن له رَهْطٌ منهم تحت صخرة في طريقه ليقتلوه فانطبقت عليهم وهلكوا . وحينئذٍ ومضوا إلى الناقة ورماها قَدَارٌ بهم في ضرعها وقتلها ، ولحاً فصيلها إلى الجبل فلم يدركوه ، وأقبل صالح وقد تخوف عليهم العذاب ، فلَمَّا رآه الفصيل أقبل إليه ورغا ثلاث رغايات ، فأنذره صالح ثلاثاً ، وفي صبح الرابعة صُعِقُوا بصيحة من السماء تقطعت بها قلوبهم فأصبحوا جاثمين ، وهلك جميعهم حيث كانوا من الأرض ، إلا رجلاً كان في الحرم منعه الله من العذاب . قيل من هو يا رسول الله ؟ قال : أبو رغال . ويقال إنَّ صالحاً أقام عشرين سنة ينذرهم وتوفي ابن ثمان وخمسين سنة . وفي الصحيح أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ في غزوة تبوك بقرى ثُمُود فنهى عن استعمال مياههم وقال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاَّ وأنتم باكون أن يصيبكم ما أصابهم . اهـ كلام الطبري .

وقال الجرجاني : كان من ملوكهم دوبان بن يَمْنَع ملك الإسكندرية ، ومَوْهَب بن مَرَّة بن رحيب وكان عظيم المُلْك وأخوه هُوَيْل بن مَرَّة كذلك . وفيما ذكره المفسرون أَنهم أول من نحت الجبال والصخور ، وأنهم بنو ألفاً وسبعائة مدينة وفي هذا ما فيه . ثم ذهبوا بما كسبوا ودرجوا في الغابرين وهلكوا . ويقال إنَّ من بقاياهم أَهْلُ الرِّسِّ الذين كان نبيهم حَنْظَلَةُ بن صَفْوَان ، وليس ذلك بصحيح . وأهلُ الرِّسِّ هم حضور ويأتي ذكرهم في بني فالغ بن عابر ، وكذلك يزعم بعض النسابة أن ثقيفاً من بقايا ثُمُود هؤلاء وهو مردود . وكان الحجاج بن يوسف إذا سمع ذلك يقول كذبوا . وقال والله جلٌّ مِن قاتل يقول وثمود فما ابقى أي أهلكهم فما ابقى أحداً منهم . وأهلُ التوراة لا يعرفون شيئاً من أخبار عاد ولا ثُمُود لأنهم لم يقع لهم ذكر في التوراة ، ولا هود ولا لصالح عليهما السلام ، بل ولا لأحد من العرب العاربة ، لأن

سياق الأخبار في التوراة عن أولئك الأمم انما هولمن كان في عمود النسب ما بين موسى وآدم صلوات الله عليهم ، وليس لأحد من آباء هؤلاء الاجيال ذكر في عمود ذلك النسب فلم يذكروا فيها .

وأما جديس وطسم فعند ابن الكلبي أنَّ جديساً لإرم بن سام وديارهم اليمامة وهم أخوان لثود بن كائر ، ولذلك ذكرهم بعدهم وان طسماً لإلاوذ بن سام وديارهم بالبحرين . وعند الطبري أنها معاً لإلاوذ وديارهم باليمامة . ولهذين الإثنين خبر مشهور ينبغي سياقه عند ذكرهم . قال الطبري عن هشام بن محمد الكلبي بسنده إلى ابن اسحق وغيره من علماء العرب : أنَّ طسماً وجديساً كانوا من ساكني اليمامة ، وهي إذذاك من أخصب البلاد وأعمرها ، وأكثرها خيراً وثمراً وحدائق وقصوراً ، وكان ملك طسم غشوماً لا ينهأ شيء عن هواه ، ويقال له : عملوق وكان مضراً لجديس مستذلاً لهم ، حتى كانت البكر من جديس لا تهدي إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها . وكان السبب في ذلك أنَّ امرأة منهم كان اسمها هزيلة طلقها زوجها وأخذ ولده منها ، فأمر عملوق ببيعها وأخذ زوجها الخمس من ثمنها ، فقالت شعراً تتظلم منه ، فأمر ان لا تزوج منهم امرأة حتى يفتريها فقاموا كذلك حتى تزوجت الشموس ، وهي عقيقة ابنة غفار بن جديس أخت الأسود ، فافتضها عملوق ، فقال الأسود بن غفار لرؤساء جديس : قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار الذي ينبغي للكلاب أن تعافه فاطيعوني أدعوكم إلى عز الدهر ، فقالوا وما ذاك ، قال : أصنع للملك وقومه دعوة فاذا جاؤا ، يعني طسماً ، نهضنا إليهم بأسافنا فنقتلهم . فأجمعوا على ذلك ودفنوا سيوفهم في الرمل ، ودعوا عملوقاً وقومه فلما حضروا قتلوهم ، فأفنوهم ، وقتل الأسود عملوقاً ، وأفلت رباح بن مرة بن طسم فأتى حسان بن تبع مستغيثاً ، فنهض حسان في حمير لإغاثة حتى كان من اليمامة على ثلاث مراحل . قال لهم رباح إن لي أختاً مزوجة في جديس اسمها اليمامة ، ليس على وجه الأرض أبصر منها وانها لتبصر الراكب على ثلاث مراحل ، وأخاف أن تنظر القوم . فأمر كل رجل أن يقلع شجرة فيجعلها في يديه ويسير كأنه خلفها ، ففعلوا وبصرت بهم اليمامة فقالت لجديس : لقد سارت إليكم حمير وإني أرى رجلاً من وراء شجرة بيده كتف يتعرقها ، أو نعل يخصفها ، فاستبعدوا ذلك ولم يحفلوا به . وصيحتهم حسان وجنوده من حمير فأبادهم وخرّب حصونهم وبلادهم

وهرب الأسود بن غفَّار الى جبلي طيء ، فأقام بهما ، ودعا تُبَّعَ باليَمَّامة أخت رباح التي أبصرتهم فقلع عينها . ويقال إنه وجد بها عروقا سودا زعمت أنَّ ذلك من اكتحائها بالإثمد ، وكانت تلك البلد تسمى جَوْ فُسُمَيْتَ باليَمَّامة اسم تلك المرأة . قال أبو الفرج الأصبهاني : وكانت طيء تسكن الجُرْفَ من أرض اليمَن وهي اليوم محلة مُراد وهمدان ، وسيدهم يومئذ سامةُ بن لؤي بن الغوث بن طيء ، وكان الوادي مَسْبُوعاً وهم قليل عددهم ، وكان يختار بهم بعير في زمن الخريف ويذهب ثم يجيئُ من قابل ولا يعرفون مقرُّه ، وكانت الأزْدُ قد خرجت ايام سَيْل العِرم واستوحشت طيء فظعنوا على أثرهم ، وقالوا لسامة هذا البعيرُ إنما يأتي من الريف والخِضْبُ لان في بعره النوى ، فلما جاءهم زمن الخريف اتبعوه يسرون لسيره حتى هبط عن الجبلين ، وهجموا على النخل في الشعاب وعلى المواشي وإذا هم بالأسود بن غفَّار ، في بعض تلك الشعاب فهالهم خلقه وتخوفوه ، ونزلوا ناحية ونفضوا الطريق فلم يروا أحداً ، فأمر سامةُ ابنه الغوث بقتل الأسود ، فجاء إليه فعجب من صغر خلقه ، وقال : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليمَن وأخبره خبر البعير ثم رماه فقتله وأقامت طيء بالجبلين بعده .

وذكر الطبري عن غير ابن اسحق أنَّ تُبَّعَ الذي أوقع بجديس هو والد حسان هذا ، وهو ثبان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب ويأتي ذكره في ملوك اليمَن إن شاء الله تعالى انتهى كلام الطبري .

وقال غيره إنَّ حسان بن تُبَّعَ لما سار بِحِمير الى طَسْم بعث على مقدمته إليهم عبد كلال بن منوب بن حَجَر بن ذي رَعين من أَقِيال حِمير فسلك بهم رباح بن مَرَّة الرمل وكانت الزرقاء أخت رباح ناكحاً في طَسْم وتسمى عَترة واليَمَّامة ، وكانت تُبَصِّر على البعد فأنذرتهم فلم يقبلوا وصبح عبد بن كلال جديسا الى آخر القصة ، وبقيت اليمامة بعد طَسْم يباباً لا يأكل ثمرها إلا عوافي الطير والسباع حتى نزلها بنو حنيفة ، وكانوا بعثوا رائدهم عُبَيْد بن ثَعْلَبَة الحنني يرتاد لهم في البلاد ، فلما أكل من ذلك الثمر قال إنَّ هذا الطعامُ ! وحَجَرَ بعصاه على موضع قَصَبَةِ اليمَّامة ، فسميت حَجَرا واستوطنها بنو حنيفة وبها صَحِبَهُم الإسلام كما يأتي في أخبارهم إن شاء الله تعالى .

وأما العماقة فهم بنو عَمَلِيق بن لاوذ وبهم يضرب المَثَل في الطول والجثمان . قال

صالح بن عييل بن اسف بن شالخ بن عييل بن كاثر بن ثمود بن كاثر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام

قدار بن سالف

جندع بن عمرو بن الدييل بن ارم

طسم
جديس

موهب بن مرة بن رجب

ربو له بن ارم
بن سام بن نوح عليه السلام

الطبري : عَمَلِيْق أَبُو الْعَمَالِقَةِ كُلُّهُمْ أُمُّ تَفَرَّقَتْ فِي الْبِلَادِ ، فَكَانَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَأَهْلُ
عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ وَأَهْلُ الْحِجَازِ مِنْهُمْ ، وَكَانَتِ الْفِرَاعَةُ بِمِصْرَ مِنْهُمْ ، وَكَانَتِ الْجَبَابِرَةُ
بِالشَّامِ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمُ الْكَنْعَانِيُّونَ مِنْهُمْ . وَكَانَ الَّذِينَ بِالْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ وَالْمَدِينَةَ يُسَمُّونَ
جَاسِمَ ، وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ جَاسِمٍ هُوَلَاءُ بَنُو لَفٍّ وَبَنُو سَعْدٍ بَنُ هَزَالٍ وَبَنُو مَطَرٍ وَبَنُو
الْأَزْرَقِ ، وَكَانَ بَنُجْدٍ مِنْهُمْ بُدَيْلٌ وَرَاحِلٌ وَغَفَّارٌ وَبِالْحِجَازِ مِنْهُمْ إِلَى تَيْمَاءَ بَنُو الْأَرْقَمِ
وَيَسْكُنُونَ مَعَ ذَلِكَ نَجْدًا وَكَانَ مَلِكُهُمْ يُسَمَّى الْأَرْقَمُ ، قَالَ : وَكَانَ بِالطَّائِفِ بَنُو عَبْدِ
ضَخْمِ بْنِ عَادِ الْأَوَّلِ انْتَهَى .

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْ كُتُبِ التَّوَارِيخِ الَّتِي اطَّلَعَ عَلَيْهَا فِي خَزَائِنِ الْكُتُبِ بِدَارِ
الْخِلَافَةِ مِنْ بَغْدَادَ قَالَ : كَانَتْ مَوَاطِنُ الْعَمَالِقَةِ تَهَامَةً مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ فَتَرَلَوْهَا أَيَّامَ
خُرُوجِهِمْ مِنَ الْعِرَاقِ أَمَامَ النَّمَارِدَةِ مِنْ بَنِي حَامٍ ، وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ إِسْمَاعِيلُ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآمَنَ بِهِ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ . وَتَطَرَّدَ لَهُمُ الْمُلْكُ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْهُمْ
السُّمَيْدَعُ بْنُ لَأُوذَ بْنِ عَمَلِيْقٍ وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَتِ الْعَمَالِقَةُ مِنَ الْحَرَمِ ، أَخْرَجَتْهُمْ جُرْهُمُ
مِنْ قَبَائِلِ قَحْطَانَ فَتَفَرَّقُوا وَنَزَلَ بِمَكَانِ الْمَدِينَةِ مِنْهُمْ بَنُو عَيْلٍ بَنُ مَهْلَالٍ بَنُ عُوصِ بْنِ
عَمَلِيْقٍ فَعُرِفَتْ بِهِ ، وَنَزَلَ أَرْضَ أَيْلَةَ ابْنِ هُوْمَرٍ بَنِ عَمَلِيْقٍ ، وَاتَّصَلَ مُلْكُهَا فِي وَلَدِهِ
وَكَانَ السُّمَيْدَعُ سِمَةً لِمَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهُمُ السُّمَيْدَعُ بْنُ هُوْمَرٍ الَّذِي قَتَلَهُ
يُوشَعَ لَمَّا زَحَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ مُعْظَمُ
حُرُوبِهِمْ مَعَ هُوَلَاءِ الْعَمَالِقَةِ هُنَالِكَ ، فَغَلَبَهُ يُوشَعُ وَأَسْرَهُ وَمَلَكَ أَرْحَا قَاعَةَ الشَّامِ وَهِيَ
قَرِبَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَكَانَهَا مَعْرُوفٌ لِهَذَا الْعَهْدِ . ثُمَّ بَعَثَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعَثًا إِلَى
الْحِجَازِ فَمَلَكَوهُ وَانْتَزَعُوهُ مِنْ أَيْدِي الْعَمَالِقَةِ مَلُوكَهُ وَنَزَعُوا يَثْرِبَ وَبِلَادَهَا وَخَيْبَرَ . وَمِنْ
بَقَايَاهُمْ يَهُودُ قُرَيْظَةَ وَبَنُو النُّضَيْرِ وَبَنُو قَيْنَقَاعَ وَسَائِرُ يَهُودِ الْحِجَازِ عَلَى مَا نَذَرَهُ . ثُمَّ
كَانَ لَهُمْ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الرُّومِ وَمَلَكَوا أُذَيْنَةَ بَنِ السُّمَيْدَعِ عَلَى مَشَارِفِ الشَّامِ
وَالْجَزِيرَةِ مِنْ ثَغُورِهِمْ وَأَنْزَلُوهُمْ فِي التَّخُومِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ فَارَسَ ، وَهَذَا الْمَلِكُ أُذَيْنَةُ
ابْنُ السُّمَيْدَعِ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ :

أَزَالَ أُذَيْنَةُ عَنْ مُلْكِهِ وَأَخْرَجَ عَنْ أَهْلِهِ ذَا يَزَنَ

وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ حَسَّانُ بْنُ أُذَيْنَةَ ، وَمِنْ بَعْدِهِ طَرَفُ بْنُ حَسَّانَ بْنِ يَدْيَاهِ نَسَبُهُ إِلَى أُمِّهِ ،
وَبَعْدَهُ عَمْرُو بْنُ طَرَفٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُدَيْمَةِ الْأَبْرَشِ حُرُوبٌ ، وَقَتْلُهُ جُدَيْمَةُ
وَاسْتَوْلَى عَلَى مَلِكِهِمْ وَكَانَ آخِرًا مِنَ الْعَمَالِقَةِ كَمَا نَذَرَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ .

ومن هؤلاء الْعَمَالِقَةُ فِيمَا يَزْعَمُونَ عَمَالِقَةُ مِصْرَ وَأَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْقِبْطِ اسْتَنْصَرَ بِمَلِكِ الْعَمَالِقَةِ بِالشَّامِ لِعَهْدِهِ وَاسْمُهُ الْوَلِيدُ بْنُ دُومَغَ ، وَيُقَالُ ثُورَانُ بْنُ أَرَاثَةَ بْنِ فَادَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَمْلَاقٍ فَجَاءَ مَعَهُ مَلِكُ مِصْرَ وَاسْتَعْبَدَ الْقِبْطَ . قَالَ الْجُرْجَانِيُّ وَمَنْ ثُمَّ مَلَّكَ الْعَمَالِيقُ مِصْرَ وَيُقَالُ أَنَّ مِنْهُمْ فِرْعَوْنَ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ سِنَانُ بْنُ الْأَشَلِّ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُولَجِ بْنِ عَمْلِيقٍ ، وَفِرْعَوْنَ يُوسُفَ أَيْضاً مِنْهُمْ وَهُوَ الرِّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ فُورَانَ ، وَفِرْعَوْنَ مُوسَى كَذَلِكَ وَهُوَ الْوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ أَبِي أَهَوْنَ بْنِ الْهَلْوَانِ ، وَيُقَالُ أَنَّهُ قَابُوسُ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ نُمَيْرِ بْنِ السَّلَاسِ بْنِ فَارَانَ ، وَكَانَ الَّذِي مَلَّكَ مِصْرَ بَعْدَ الرِّيَّانِ بْنِ الْوَلِيدِ طَاشِمِ بْنِ مَعْدَانَ أَهْدَى كَلَامَ الْجُرْجَانِيِّ وَقَالَ غَيْرُهُ : الرِّيَّانُ فِرْعَوْنَ يُوسُفَ وَهُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْقِبْطُ نَقْرَاوَشَ وَأَنَّ وَزِيرَهُ كَانَ أَطْفِيرَ وَهُوَ الْعَزِيزُ وَأَنَّهُ آمَنَ بِيُوسُفَ ، وَأَنَّ أَرْضَ الْقِيُومِ كَانَتْ مَغَايِضَ لِلْمَاءِ فَدَبَّرَهَا يُوسُفَ بِالْوَحْيِ وَالْحِكْمَةِ حَتَّى صَارَتْ أَغْزَى الدِّيَّارِ الْمِصْرِيَةِ وَمَلَّكَ بَعْدَهُ ابْنَهُ دَارِمَ بْنِ الرِّيَّانِ ، وَبَعْدَهُ ابْنُهُ مَعْدَانُوسُ فَاسْتَعْبَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ الْكَلْبِيُّ : وَيَذْكُرُ الْقِبْطُ أَنَّهُ فِرْعَوْنَ مُوسَى ، وَذَكَرَ أَهْلُ الْأَثَرِ أَنَّهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبٍ وَأَنَّهُ كَانَ نَجَاراً مِنْ غَيْرِ بَيْتِ الْمَلِكِ فَاسْتَوَلَى إِلَى أَنْ وَلِيَ حَرَسُ السُّلْطَانِ ثُمَّ غَلِبَ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَبَدَّ بَعْدَهُ وَعَلَيْهِ انْفَرَضَ أَمْرُ الْعَمَالِقَةِ . وَلَمَّا غَرِقَ فِي اتِّبَاعِ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى الْقِبْطِ فَوَلَّوْا مِنْ بَيْتِ مَلِكِهِمْ دُلُوكَةَ الْعَجُوزِ كَمَا نَذَرَهُ فِي أَخْبَارِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَيْسَ عَنْدهُمْ ذِكْرُ لِعَمَالِقَةِ الْحِجَازِ وَعَنْدهُمْ أَنَّ عَمَالِقَةَ الشَّامِ مِنْ وَلَدِ عَمْلَاقِ بْنِ أَلِفَاذَ — بِتَفْخِيمِ الْفَاءِ — ابْنِ عَيْصُو أَوْ عَيْصَابَ أَوْ الْعَيْصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِرَاعَتُهُ مِصْرُ مِنْهُمْ عَلَى الرَّايَيْنِ وَأَمَّا الْكَنْعَانِيُّونَ الَّذِينَ ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ أَنَّهُمْ مِنَ الْعَمَالِقَةِ ، فَهُمْ عِنْدَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ مِنْ كَنْعَانَ ابْنِ حَامَ ، وَكَانُوا قَدْ انْتَشَرُوا بِبِلَادِ الشَّامِ وَمَلَكُوهَا ، وَكَانَ مَعَهُمْ فِيهَا بَنُو عَيْصُو الْمَذْكُورُونَ وَيُقَالُ لَهُمْ بَنُو يَدُومَ ، وَمِنْ أَيْدِيهِمْ جَمِيعاً ابْتَرَزَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ عِنْدَ الْحِجْيِ أَيَّامَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، وَلِذَلِكَ تَزَعُمُ زَنَاتَةُ الْمَغْرِبِ أَنَّهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَةِ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ . وَأَمَّا أُمَيْمٌ فَهُمْ إِخْوَانُ عَمْلَاقِ بْنِ لَأُوذَ قَالَ السُّهَيْلِيُّ : يُقَالُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْمِيمِ وَبِضْمِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْمِيمِ وَهُوَ أَكْثَرُ وَوَجَدْتُ بِخَطِّ بَعْضِ الْمَشَاهِيرِ أُمَيْمَ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ . وَيَذْكُرُ أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى الْبُنْيَانَ ، وَاتَّخَذَ الْبُيُوتَ وَالْأَطْطَامَ مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَسَقَفُوا بِالْخَشَبِ وَكَانَ دِيَارُهُمْ فِيمَا يُقَالُ أَرْضَ فَارِسَ ، وَلِذَلِكَ زَعَمَ بَعْضُ نَسَابَةِ الْفُرْسِ أَنَّهُمْ مِنْ أُمَيْمَ ، وَأَنَّ كَيْوَمَرْتِ الَّذِينَ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ هُوَ ابْنُ أُمَيْمَ بْنِ

لَاوَذَ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَكَانَ مِنْ شَعُوبِهِمْ وَبَارَ بْنَ أُمَيْمٍ نَزَلُوا رَمْلَ عَالِجَ بَيْنِ الْيَمَامَةِ وَالشَّحْرِ وَسَالَتْ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ فَهَلَكُوا .

وَأَمَّا الْعَرَبُ الْبَائِدَةُ مِنْ بَنِي أَرْفَخْشَدَ بْنِ يَقْطَنَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَخَ بْنِ أَرْفَخْشَدَ فَهُمْ جُرْهُمُ وَحَضْرَمَوْتُ وَالسُّلَفُ . فَأَمَّا حَضْرَمَوْتُ فَكَانَتْ دِيَارَهُمْ بِالرَّسِّ ، وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرِ وَعِبَادَةِ أوثَانٍ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ مِنْهُمْ إِسْمُهُ شُعَيْبُ بْنُ ذِي مِهْرَجٍ فَكَذَّبُوهُ وَهَلَكُوا كَمَا هَلَكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ وَأَمَّا جُرْهُمُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ : إِنْ يَعْزُبُ بْنُ قَحْطَانَ لَمَّا غَلَبَ عَادًا عَلَى الْيَمَنِ وَمَلَكَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَلِي إِخْوَتُهُ عَلَى الْأَقَالِيمِ ، وَوَلَّى جُرْهُمُ عَلَى الْحِجَازِ ، وَوَلَّى بِلَادَ عَادِ الْأُولَى وَهِيَ الشَّحْرُ ، عَادُ بْنُ قَحْطَانَ ، فَعَرَفَتْ بِهِ ، وَوَلَّى عُثْمَانُ يَقْطَنُ بْنُ قَحْطَانَ أَنْتَهَى كَلَامُ الْبَيْهَقِيِّ ، وَقِيلَ إِنَّمَا نَزَلَتْ جُرْهُمُ الْحِجَازَ ، ثُمَّ بَنَى قَطُّورُ بْنُ كَرْكَرَ بْنِ عَمَلَقٍ لِقَحْطَ أَصَابِ الْيَمَنِ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ كَانَ شَأْنُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَبُوَّتُهُ فَأَمَنُوا بِهِ وَقَامُوا بِأَمْرِهِ وَوَرِثُوا وَلَايَةَ الْبَيْتِ عَنْهُ حَتَّى غَلِبَتْهُمْ عَلَيْهِ خِرَازِعَةُ وَكَثَانَةُ فَخَرَجَتْ جُرْهُمُ مِنْ مَكَّةَ ، وَرَجَعُوا إِلَى دِيَارِهِمْ بِالْيَمَنِ إِلَى أَنْ هَلَكُوا .

وَأَمَّا حَضْرَمَوْتُ فَمَعْدُونٌ فِي الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ لِقَرَبِ أَزْمَانِهِمْ وَلَيْسُوا مِنَ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ لَأَنَّهُمْ بَاقُونَ فِي الْأَجْيَالِ الْمَتَأَخِّرَةِ ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّ جُمْهُورَهُمْ قَدْ ذَهَبَ مِنْ بَعْدِ عَصُورِهِمُ الْأُولَى وَانْدَرَجُوا فِي كِنْدَةٍ ، وَصَارُوا مِنْ عِدَادِهِمْ ، فَهُمْ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ قَدْ هَلَكُوا وَبَادَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مُلُوكُ التَّبَاعَةِ فِي عُلوِّ الصَّيْتِ وَنَهَايَةِ الذِّكْرِ . قَالَ وَذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ انْبَسَطَ مُلْكُهُ مِنْهُمْ ، وَارْتَفَعَ ذِكْرُهُ عَمْرُو الْأَشْنَبُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ يُرَامَ بْنِ حَضْرَمَوْتُ ثُمَّ خَلْفَهُ ابْنُهُ نَمِرُ الْأَزْجِ ، فَلَمَّا مِائَةُ سَنَةٍ وَقَاتَلَ الْعَمَالِقَةَ ، ثُمَّ مَلَكَ كَرِيبُ ذَوْكَرَابِ ، ثُمَّ نَمِرُ الْأَزْجِ مِائَةُ وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَهَلَكَ إِخْوَتُهُ فِي مُلْكِهِ . ثُمَّ مَلَكَ مَرْتَدُ ذَوْمَرْوَانَ بْنِ كَرِيبَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَانَ يَسْكُنُ مَارِبَ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى حَضْرَمَوْتُ ، ثُمَّ مَلَكَ عِلْقَمَةُ ذَوْقِيْعَانَ ابْنُ مَرْتَدُ ذِي مَرْوَانَ بِحَضْرَمَوْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَلَكَ ذَوْعِيلُ بْنُ ذِي قِيْعَانَ عَشْرَ سِنِينَ وَسَكَنَ صَنْعَاءَ وَغَزَا الصِّينَ فَقَتَلَ مُلْكَهَا وَأَخَذَ سَيْفَهُ ذَا النُّورِ ، ثُمَّ مَلَكَ ذَوْعِيلُ بْنُ ذِي عِيلَ بِحَضْرَمَوْتُ عَشْرَ سِنِينَ ، وَلَمَّا شَخَصَ سَنَانُ ذَوْ أَلَمَ لَغَزَا الصِّينَ تَحَوَّلَ ذَوْعِيلُ إِلَى صَنْعَاءَ وَاشْتَدَّتْ وَطْأَتُهُ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَزَا الرُّومَ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ ، وَأَوَّلَ مَنْ أَدْخَلَ الْحَرِيرَ وَالْذِّيْبَاجَ إِلَى الْيَمَنِ . ثُمَّ مَلَكَ بَدْعَاتُ بْنُ ذِي عِيلَ بِحَضْرَمَوْتُ أَرْبَعَ

سنين ، ثم ملك بدعيل بن بدعات وبني حصونا وخلف آثارا ، ثم ملك بديع ذو عيل ، ثم ملك حماد بن بدعيل بحضرموت فأنشأ حصنه المعقرب وغزا فارس في عهد سابور ذي الأكتاف وخرب وسي ودام ملكه ثمانين سنة وكان أول من اتخذ الحجاب من ملوكهم . ثم ملك يشرح ذو الملك بن ودب بن ذي حماد بن عاد من بلاد حضرموت مائة سنة وكان أول من رتب الرواتب وأقام الحرس والروابط . ثم ملك منعم بن ذي الملك دثار بن جذيمة بن منعم ، ثم يشرح بن جذيمة بن منعم ، ثم نمر بن بشرح ، ثم ساجن المسمى ابن نمر وفي أيامه تغلبت الحبشة على اليمن . هذه قبائل هذا الجيل من العرب العاربة وما كانوا عليه من الكثرة والملك إلى أن انقرضوا وأزال الله من أمرهم بالقحطانية كما نحن ذاكره . ولم تغفل منهم إلا من لم يصلنا ذكره من خيره والله وارث الأرض ومن عليها .

وأما جرهم فقال ابن سعيد : إنهم أمتان أمة على عهد عاد وأمة من ولد جرهم بن قحطان ، ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك أخوه جرهم الحجاز . ثم ملك من بعده ابنه عبد يا ليل ، ثم بعده ابنه عبد المدان بن جرهم ، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان ، ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة ، ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ، ثم ابنه الحرس . ثم ملك من بعده جرهم بن عبد ياليل ، ثم بعده ابنه عمرو بن الحرث ، ثم أخوه بشير بن الحرث ، ثم مضاض بن عمرو بن مضاض . قال وهذه الأمة الثانية هم الذين بعث إليهم اسمعيل عليه السلام وتزوج فيهم ، انتهى .

۱۰۰

مجلس شورای ملی

محمد بن ذی اللہ

بن زب من ذي حماد بن بدليل بن بدعا بن دعلج بن ذي عيل بن علفه

ذِي قَيْطَانِ بْنِ مَرْثَدٍ ذِي كَرْيَبٍ ذِي كَرْيَابِ بْنِ نَعْمِ الْأَزْجِ بْنِ عَمْرِو الْأَشْجَبِ بْنِ دُبَيْعَةَ بْنِ يَرْوَمٍ وَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بن عاصم

ਜੀ:

)



7

٧

5
2
U

۳۰۰

٤

الصدف بن حضرموت
قطان
بن عابر بن صالح بن ارفخشذ بن

وأما بنو سبا بن يقطن فلم يبيدوا ، وكان لهم بعد تلك الأجيال البائدة أجيال باليمن منهم حمير وكهلان وملوك التبابعة وهم أهل الطبقة الثانية . وفي مسند الإمام أحمد : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل هو فروة بن مسيك المرادي عن سبا أرجل هو أو امرأة أم أرض ؟ فقال بل رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة . فأما اليمانيون فذ حج وكندة والأزد والأشعر وأنمار وحمير . وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان . وثبت أن أباهم قحطان كان يتكلم بالعربية ولقنها عن الأجيال قبله فكانت لغة بنيهِ ولذلك سمّوا العرب المستعربة ولم يكن في آباء قحطان من لدن نوح عليه السلام إليه من يتكلم بالعربية ، وكذلك كان أخوه فالغ ، وبنيه إنما يتكلمون بالعجمية ، إلى أن جاء اسمعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما فتعلم العربية من جرهم فكانت لغة بنيهِ وهم أهل الطبقة الثالثة المسمّون بالعرب التابعة للعرب . فلنذكر هذا النسب ليتنظم أجياله مع الأجيال السابقة واللاحقة ونستوفي أنساب الأمم منها .

الخبر عن ابراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام ونسبه الى فالغ بن عابر وذكر أولاده صلوات الله عليهم وأحوالهم

ولنذكر الآن أهل هذا النسب ما بين اسمعيل ونوح عليهما السلام ومن كان منهم ، أو من إخوانهم أو أبنائهم من الأنبياء والشعوب والملوك وما كان لإسمعيل صلوات الله عليه من الولد . ونختم هذه الطبقة الأولى بذكرهم ، وإن كانوا عجماء في لغاتهم ، إلا أنهم أصون الخليقة في أنسابهم ، وكل البشر على بعض الآراء من أعقابهم ، وهم مع ذلك معاصرون لهذه الطبقة ، فيتسق الكلام فيهم على شرط كتابنا ، ويتميز بذكر أخبارهم أحوال الطبقات التي بعدهم على الوفاء والكمال .

فنبداً أولاً بذكر عمود هذا النسب على التوالي ، ثم نرجع إلى أخبارهم . وإسمعيل صلوات الله عليه هو ابن ابراهيم بن آزر وهو تارح وآزر اسمٌ لصنمه لُقِبَ به ابن ناحور بن ساروخ بالخاء أو بالغين ابن عابر أو عنبر بن شالح أو شليخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وهذه الأسماء الأعجمية كلها منقولة من التوراة ، ولغتها عبرانية ، ومخارج حروفها في الغالب مغايرة لمخارج الحروف العربية . وقد يجيء الحرف منها بين

حرفين من العريية ، فترده العرب الى أحد ذينك الحرفين وفي مخرجه ، فيتغير عن أصله ، ولذلك تكون فيها إمالة متسوية أو محضة ، فيصير الى حرف العلة الذي بعده من ياء أو واو ، فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف ، وإلا فشان الأعلام أن لا تختلف . وقال الطبري : إن بين شالغ وأرفخشذ أبا آخر اسمه قينن ، وسقط ذكره من التوراة لأنه كان ساحرا وادعى الألوهية . وقال ابن حزم : في كتب النصارى أن بين فالغ وعابر أبا آخر اسمه ملكيصدق وهو أبو فالغ .

واعلم أن نوحا صلوات الله عليه بلغ عمره يوم الطوفان ستمائة سنة ، وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ، فكانت جملة ذلك تسعمائة وخمسين سنة ، ألف سنة إلا خمسين وهذا نص المصحف الكريم ، وكذا وقع في التوراة بعينه . ومن الغريب الواقع في التوراة أن عمر إبراهيم كان يوم وفاة نوح ثلاثا وخمسين سنة ، لأنه قال إن أرفخشذ ولد لسام بعد سنتين من الطوفان ، ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة ولد له ابنه شالغ ، وبعد ثلاثين سنة ولد ابنه عابر ، وبلغ عابر أربعا وثلاثين سنة فولد ابنه فالغ ، وبلغ فالغ ثلاثين سنة فولد له أرغو ، وبلغ أرغو اثنتين وثلاثين سنة فولد شاروغ ، وبلغ شاروغ ثلاثين سنة فولد ناحور ، وبلغ ناحور تسعا وعشرين سنة فولد تارح ، وبلغ تارح خمسا وسبعين سنة فولد إبراهيم ، وجملة هذه السنين من الطوفان إلى ولادة إبراهيم مائتان وسبع وتسعون سنة ، وعمر نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسون سنة ، فيكون إبراهيم بعد وفاة نوح ابن ثلاث وخمسين سنة ، فيكون لقي نوحا صلوات الله عليهما وخالطه وأخذ عنه ، وهو على رأي بعضهم أب لجميع الشعوب من بعده ، فلذلك كان الأب الثالث للخلقة من بعد آدم ونوح صلوات الله عليهم أجمعين أه .

وفي كتاب البدء ونقله ابن سعيد : أن أول من ملك الأرض من ولد نوح ، كنعان بن كوش بن حام ، فسار من أرض كنعان بالشام الى أرض بابل ، فبنى مدينة بابل إثني عشر فرسخا في مثلها ، وورث ملكه ابنه النمرود بن كنعان ، وعظم سلطانه في الأرض ، وطال عمره ، وغلب على أكثر المعمور ، وأخذ بدين الصابئة ، وخالفه الكلدانيون منهم في التوحيد وأسماؤه ، ومال معهم بنو سام ، وكان سام قد نزل بشرق الدجلة ، وكان وصي أبيه في الدين والتوحيد ، وورث ذلك ابنه أرفخشذ ، ومعنى أرفخشذ مصباح مضيء ، فاشتغل بالعبادة ودعاه الكلدانيون الى القيام بالتوحيد

فامتنع . ثم قام من بعده ابنه شالغ وعاش طويلاً وقام من بعده بأمره ابنه عابر كذلك وخرج مع الكلدانيين على النمرود منكراً لعبادة الهياكل ، فغلبه نمرود وأخرجه من كوثا ، فلحق هو ومن معه من الحلفاء بالجزيرة وهي مدينة المجدل بين الفرات ودجلة . وعابر هذا هو أبو العبرانيين الذين تكلموا بالعبرانية ، واستفحل ملكه بالمجدل . قال ابن سعيد وورث من بعده ابنه فالغ وهو الذي قسّم الأرض بين ولد نوح ، وفي زمانه بنى النمرود الصرح ببابل ^(١) وكان من أمره ما نصّه القرآن ، وقام بأمر فالغ من بعده ابنه ملكان فيما زعموا وغلبه الجرامقة والنبط على ملكه ، وقام بالمجدل في ملكهم إلى أن هلك وخلف ابنه أتبيا ويقال له الخضر . وأما أرغوبين فالغ فعبر إلى كلواذا ودخل في دين النبط ، وهي بدعة الصابئة وولد له منهم ابنه شاروخ ، ثم بعده ناحور بن شاروخ ، ثم بعد تارح بن ناحور الذي سُمّي آزر ، واستخلص النمرود آزر وقدمه على بيت الأصنام ، والنمرود من ملوك الجرامقة واسمه هاصد بن كوش ، انتهى كلام ابن سعيد .

وولد لتارح وهو آزر على ما وقع في التوراة ثلاثة من الولد إبراهيم وناحور وهاران ، ومات هاران في حياة أبيه تارح ، وترك ابنه لوطا فهو ابن أخي إبراهيم . قال الطبري : ولد إبراهيم الخليل قيل بناحية كوثا من السواد وهو قول ابن إسحق ، وقيل بجرّان ، وقيل ببابل . وعامة السلف انه ولد على عهد نمرود بن كنعان بن كوش بن سام . وكان الكهان يتحدثون بولادة رجل يخالف الدين ، ويكسر الأصنام والأوثان ، فأمر بذبح الولدان ، فولدته أمه وتركته بمغارة في فلاة من الأرض حتى كبر وشب ، ورأى في الكواكب ما رآه ، وكملت نبوته ، فأحضرتة إلى أبيه ودعاه إلى التوحيد ، فامتنع وكسر إبراهيم الأصنام ، وأحضر عند نمرود وقذفه في النار ، فصارت بردا وسلاما ، وخرج منها ولم تعد عليه كما نصّ ذلك القرآن . ثم تدبر النمرود في أمره ، وطلب من إبراهيم أن يقرب قربانا يفتدي مما دعاه إليه ، فقال له إبراهيم : لن يقبل منك إلا الإيمان ، فقال : لا أستطيع ، وترك إبراهيم وشأنه .

ثم أمر الله إبراهيم بالخروج من أرض الكلدانيين ببابل فخرج به أبوه تارح ومعها على ما في التوراة ابنه ناحور بن تارح ، وزوجته ملكا بنت أخيه هاران ، وحافده لوط بن

(١) يقال ان الصرح سبعة الاف درجة ويقال ثلاثة الاف وشيء وجعل يرمي في السماء فيرجع نبله اليه مخضباً .. (البدا والتاريخ ج ٣ ص ٥٦) .

هاران ، قال في التوراة وكنته سارة يعني زوج ابراهيم ، ف قيل انها أخت ملكا بنت هاران بن تارح ، وقيل بنت ملك حران ، طعنت على قومها في الدين ، فتزوجها إبراهيم على أن لا يضرها . ويردّ هذا ما في التوراة انها خرجت معهم من أرض الكلدانيين إلى حرّان ، فتزوجها ، وقيل انها بنت هاران بن ناحور وهاران عم إبراهيم ، قاله السهيلي ، فأقاموا بحرّان ومات بها أبوه تارح وعمره مائتا سنة وخمس سنين ، ثم أمر بالخروج إلى أرض الكنعانيين ، ووعدّه الله بأن تكون أثراً لبنيه ، وأنهم يكثرّون مثل حصي الأرض . فتزل بمكان بيت المقدس وهو ابن خمس وسبعين سنة ، ثم أصاب بلد الكنعانيين مجاعة ، فخرج إبراهيم في أهل بيته وقدم مصر ، ووصف لفرعون ملك القبط جمال امرأته سارة فأحضرها عنده ، ولما همّ بها يبست يده على صدره ، فطلب منها الإقالة فدعت له الله فانطلقت يده . ويقال عاود ذلك ثلاثا يصاب في كلها وتدعو له فردّها إلى إبراهيم ، واستخدمها هاجر .^(١) قال الطبري والملك الذي أراد سارة هوسنان بن علوان وهو أخو الضحاك ، والظاهر أنه من ملوك القبط .

ثم ساروا إلى أرض كنعان بالشام ، ويقال أنّ هاجر أهداها ملك الأردن لسارة ، وكان اسمه فيما قال الضبيّ صلاوق ، وأنه انتزع سارة من إبراهيم ، ولما همّ بها صرع مكانه وسألها في الدعاء ، فدعت له فأفاق فردّها إلى إبراهيم ، وأخدمها هاجر أمة كانت لبعض ملوك القبط . ولما عاد إبراهيم إلى أرض كنعان ، نزل جيرون وهو مدفنه المسمى بالخليل ، وكانت معظمة تعظمها الصابئة ، وتسكب عليها الزيت للقربان ، وترعّم أنها هيكل المُشترى والزُهرة ، فسماها العبرانيون إيلياء ومعناه بيت الله .

ثم أن لوطا فارق إبراهيم عليه السلام لكثرة مواشيها وتابعها وضيق المرعى ، فتزل المؤتفكة بناحية فلسطين وهي بلاد العدور المعروف بعدور صقر ، وكانت هناك على ما

(١) ويروي الطبري هذه الحادثة في ج ١ ص ١٣٥ : (وكانت سارة من أحسن الناس فما يقال فكانت لا تعصي إبراهيم شيئا وبذلك أكرمها الله عز وجل فلما وصف لفرعون ووصف له حسنها وجالها ارسل الى ابراهيم فقال : ما هذه المرأة التي معك ؟ قال : هي أختي وتخوف إبراهيم ان قال هي امرأتي ان يقتله عنها . فقال لإبراهيم : زينها ثم ارسلها اليّ حتى انظر اليها ، فرجع إبراهيم الى سارة وأمرها فتهأت ثم ارسلها اليه ، فأقبلت حتى دخلت عليه ، فلما قعدت اليه تناولها بيده فيبست الى صدره . فلما رأى ذلك فرعون أعظم أمرها وقال : ادعي الله ان يطلق عني فوالله لا اريك مكروها ولأحسن اليك . فقالت : اللهم إن كان صادقا فاطلق يده ، فردّها الى إبراهيم ووهب لها هاجر جارية كانت له قبطية . وفي كتاب البدء والتاريخ ج ٣ — ص ٥٢ ما شابه ذلك .

نقله المحققون خمس قرى سدوم . ووجدهم على ارتكاب الفواحش ، فدعاهم الى الدين ، ونهاهم عن المخالفة ، فكذبوه وعتوا ، وأقام فيهم داعياً الى الله الى أن هلكوا كما قصه القرآن . وخرج لوط مع عساكر كنعان وفلسطين للقاء ملوك الشرق حين زحفوا الى أرض الشام ، وكانوا أربعة ملوك ملك الأهواز من بني غليم بن سام واسمه كَرَزِلَا عامر ، وملك بابل واسمه في التوراة شَنْعَا واسمه أمراقيل ويقال هو نمروذ ، وملك الاستار وما أدري معنى هذه اللفظة واسمه أَرْيُوح ، وملك كوثم ومعناه ملك أم أوجاعة واسمه ترعال . وكان ملوك كنعان الذين خرجوا إليهم خمسة على عدد القرى الخمسة ، وذلك أن ملك الأهواز كان استعبدهم اثنتي عشرة سنة ، ثم عَصَوْا فزحف إليهم واستجاش بالملوك المذكورين معه ، فأصابوا من أهل جبال يَسْعِينَ الى فاران التي في البرية وكان بها يومئذ الجويون من شعوب كنعان أيضا . وخرج ملك سدوم وأصحابه لمداغتهم فانهزم هو والملوك الذين معه من أهل سدوم ، وسباهم ملك الأهواز ومن معه من الملوك ، وأسروا لوطا وسبوا أهله وغنموا ماشيته . وبلغ الخبر إبراهيم عليه السلام فاتبعهم في ولده ومواليه نحواً من ثلثائة وثمانية عشر ، ولحقهم بظاهر دمشق فدهمهم ، فانفضوا وخلص لوطا في تلك الواقعة ، وجاء بأهله ومواشيه وتلقاهم ملك سدوم واستعظم فعلتهم .

ثم أوحى الله الى إبراهيم أن هذه الأرض أرض الكنعانيين التي أنت بها ، ملكتها لك ولذريتك وأكثرهم مثل حصي الأرض ، وأن ذريتك يسكنون في أرض ليست لهم أربعائة سنة ويرجع الحقب الرابع الى هنا .

ثم إن سارة وهبت مملوكتها هاجر القبطية لإبراهيم عليه السلام لعشر سنين من مجيئهم من مصر ، وقالت لعل الله يرزقك منها ولدا . وكان إبراهيم قد سأل الله أن يهب له ولداً فوعده به . وكانت سارة قد كبرت وعقمت عن الولد ، فولدت هاجر لإبراهيم إسماعيل عليهما السلام لست وثمانين من عمره ، وأوحى الله إليه أني قد باركت عليه وكثرته ويولد له اثنا عشر ولدا ، ويكون رئيساً لشعب عظيم . وأدركت سارة الغيرة من هاجر وطلبت منه إخراجها ، وأمره الله أن يطيع سارة في أمرها ، فهاجر بها إلى مكة ووضعها وابنها بمكان زَمَزَم عند دَوْحَةِ هنالك وانطلق . فقالت له هاجر : الله أمرك ؟ قال : نعم . فقالت : اذا لا يضيعنا . وانطلق إبراهيم وعطش إسماعيل بعد ذلك عطشا شديداً ، وأقامت هاجر تتردد بين الصفا والمروة ، إلى أن صعدت عليها

سبع مرات لعلها تجد شيئاً ، ثم أتته وهو يفحص برجليه فنبتت زَمْزَم .
وعن السدّي : أنه تركه في مكان الحجر ، واتخذ فيه عريشاً ، وأن جبريل هو الذي
همز له الماء بعقبه ، وأخبر هاجر أنها عين يشرب بها ضيفان الله ، وأن أبا هذا الغلام
سيجيء ويبنيان بيتاً لله هذا مكانه . ثم مرّت رفقة من جرّهم أو أهل بيت من جرّهم
أقبلوا من كداء ، ونزلوا أسفل مكة ، فرأوا الطير حائمة ، فقالوا : لا نعلم بهذا الوادي
ماء ، ثم أشرفوا فرأوا المرأة ونزلوا معها هنالك .

وعن ابن عبّاس : كانت أحياءها قريباً من ذلك المكان ، فلما رأوا الطير تحوم عليه ،
أقبلوا اليه فوجدوها ، فنزلوا معها حتى كان بها أهل أبيات منهم ، وشبّ إسماعيل
بينهم ، وتعلم اللغة العربية منهم ، وأعجبهم وزّوجوه امرأة منهم ، وماتت أمه هاجر
فدفنها في الحجر . ولما رجع إبراهيم وأقام في أهله بالشام ، وبالع أهل المؤتفكة في
العصيان والفاحشة ، ودعاهم لوط فكذبوه وأقام على ذلك . قال الطبري : فأرسل
الله رسولا من الملائكة لاهلاكهم ، ومروا بإبراهيم فأضافهم وخدمهم ، وكان من
ضحك سارة وبشارة الملائكة لها بإسحق وابنه يعقوب ما قصّه القرآن ، وكانت
البشارة بإسحق وإبراهيم ابن مائة سنة وسارة بنت تسعين . وفي التوراة إنه أمر أن يحرّر
ولده إسماعيل لثلاث عشرة سنة من عمره ، وكل من في بيته من الأحرار فكان ذلك
لتسع وتسعين من عمر إبراهيم ، وقال له ذلك عهد بيني وبينك وذريتك . ثم أهلك
الله المؤتفكة ونجى لوطاً إلى أرض الشام ، فكان بها مع عمه إبراهيم صلوات الله
عليها . وولدت سارة إسحق ، وأمر الله إبراهيم بعد ولادة إسماعيل وإسحق ببناء بيت
يعبد فيه ويذكر ، ولم يعرف مكانه فجعل له علامة تسير معه حتى وقفت به على
الموضع ، يقال انها ريح لينة لها رأسان تسير معه حتى تكون بالموضع ، ويقال بل
بعث معه جبريل لذلك حتى أراه الموضع . وكان إبراهيم يعتاد إسماعيل لزيارته ،
ويقال انه كان يستأذن سارة في ذلك ، وأنها شرطت عليه أن لا يقيم عندهم ، وأن
إبراهيم وجد امرأة لإسماعيل في غيبة منه وكانت من العاليت ، وهي عمارة بنت سعيد
بن أسامة بن أكيل ، فرآها فظة غليظة فأوصاها لإسماعيل بان يحول عتبة بابه ، فلما
قصت عليه الخبر والوصية قال ذلك أبي يأمرني أن أطلقك فطلقها . وتزوج بعدها
السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، وخالفه إبراهيم إلى بيته فتسهلت له
بالإذن وأحسنّت التحية وقربت الضوء والطعام ، فأوصاها لإسماعيل بأني قد رضيت

عتبة بابل ، ولما قصّت عليه الوصية قال ذلك أبي يأمرني بإمساكك فأمسكها . ثم جاء إبراهيم مرة ثالثة وقد أمره الله ببناء البيت وأمر اسمعيل باعائه ، فرفعوها من القواعد وتمّ بناؤها ، وأذن في الناس بالحج .

ثم زوّج لوط ابنته من مدين بن إبراهيم عليها السلام ، وجعل الله في نسلها البركة ، فكان منه أهل مدين الأمة المعروفة .

ثم ابتلى الله إبراهيم بذبح ابنه في رؤيا رآها وهي وحي ، وكانت الفدية ونجّى الله ذلك الولد كما قصّ في القرآن . واختلف في ذلك الذبيح من ولديه ف قيل إسمعيل وقيل إسحق ، وذهب إلى كلا القولين جماعة من الصحابة والتابعين ، فالقول بإسمعيل لابن عباس وابن عمر والشعبي ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي وقد يحتجون له بقوله صلى الله عليه وسلم : «أنا ابن الذبيحين» ، ولا تقوى الحجة به لأنّ عمّ الرجل قد يجعل أباه يضرب من التجوز لاسيما في مثل هذا الفخر . ويحتجون أيضا بقوله تعالى : «فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب» ، ولو كان ذبيحا في زمن الصبا ، لم تصح البشارة بابن يكون له لأنّ الذبيح في الصبا ينافي وجود الولد ، ولا تقوم من ذلك حجة ، لأنّ البشارة انما وقعت على وفق العلم بأنه لا يذبح وإنّا كان ابتلاء لإبراهيم ، والقول بإسحق للعبّاس وعمرو وعليّ وابن مسعود وكعب الأحبار وزيد بن أسلم ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعطاء والزهري ومكحول والسدي وقتادة .

وقال الطبري : والراجح أنه إسحق لأنّ نصّ القرآن يقتضي أن الذبيح هو المبشّر به ، ولم يبشّر إبراهيم بولد إلا من زوجته سارة ، مع أنّ البشارة وقعت إجابة لدعائه عند مهاجره من أرض بابل . وقوله إنّي ذاهب إلى ربّي سيهدين ، ثم قال عقبه : ربّ هبّ لي من الصالحين ، ثم قال عقبه فبشرناه بغلام حلیم . وذلك كله كان قبل هاجر ، لأنّ هاجر إنّما ملكتها سارة بمصر ، وملكها لإبراهيم بعد ذلك بعشر سنين ، فالمبشّر به قبل ذلك كله إنّما هو ابن سارة ، فهو الذبيح بهذه الدلالة القاطعة . وبشارة الملائكة لسارة بعد ذلك حين كانوا ضيوفا عند إبراهيم في مسيرهم لإهلاك سدوم ، إنّما كان تجديداً للبشارة المتقدّمة اهـ .

ثم توفيت سارة لمائة وسبع وعشرين من عمرها ، وذلك في قرية جيرون^(١) من بلاد بني حبيب الكنعانيين ، فطلب إبراهيم منهم مقبرة لها ، فوهبه عفرون بن صخر مغارة كانت في مزرعته ، فامتنع من قبولها إلا بالثمن ، فأجاب إلى ذلك ، وأعطاه إبراهيم أربعمئة مثقال فضة ودفن فيها سارة . وتزوج إبراهيم من بعدها قطورا بنت يقطان من الكنعانيين . وقال السهيلي قنطورا بزيادة نون بين القاف والطاء ، وهذا الاسم أعجمي وطاؤه قرية من التاء ، فولدت له كما هو مذكور في التوراة ستة من الولد وهم : زمران يقشان مُدان مدين أشبق شوخ . ثم وقع في التوراة ذكر أولادهم فولد يقشان سبا ودذان ، وولد دذان آشور ثم ولطوسيح ولاميم . وولد مدين عيفا وعيفين وحنوخ وأفيداع وألزاعا هذا آخر ولده من قنطورا في التوراة . وقال السهيلي : كان لإبراهيم عليه السلام أولاد آخرون خمسة من امرأة اسمها حُجَيْن أو حجون بنت أهيب ، وهم كبسان وفروخ وأميم ولوطان ونافس . ولما ذكر الطبري بني قنطورا الستة وسَمَّى منهم يقشان ، قال بعده : وسائرهم من الأخرى وهي رَعَوَة . ثم قال : ومن يَقْشَان جيل البربر اهـ . فولد إبراهيم على هذا ثلاثة عشر : فإسماعيل من هاجر ، وإسحق من سارة ، وستة من قنطورا كما ذكر في التوراة ، والخمسة بنو حُجَيْن عند السهيلي ، أو رَعَوَة عند الطبري .

وكان إبراهيم عليه السلام قد عهد لابنه إسحق أن لا يتزوج في الكنعانيين ، وأكد العهد والوصية بذلك لمولاه القائم على أموره ، ثم بعثه إلى حرّان مهاجرهم الأول ، فخطب من ابن أخيه بتويل بن ناحور بن آزر بنته رفقا فزوجها أبوها واحتملها ومن معها من الجوّاري وجاء بها إلى إسحق في حياة أبيه وعمره يومئذ أربعون سنة فترّوجها ، وولدت له يعقوب وعيصو توأمين وسنذكر خبرهما . ثم قبض الله نبيّه إبراهيم صلوات الله عليه بمكان هُجْرته من أرض كنعان وهو ابن مائة وخمسة وسبعين سنة ، ودفن مع سارة في مغارة عفرون الحبيسي ، وعُرف بالخليل لهذا العهد ، ثم جعل الله في ذريته النبوة والكتاب آخر الدهر .

(١) جيرون : بالفتح ، قال ابن الفقيه : ومن بنائهم جيرون عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود عليه السلام . ويقال إن الشياطين بنته ، وهي سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها ، قال : واسم الشيطان الذي بناه جيرون فسَمِّي به ... (معجم البلدان) وربما المقصود جيرون كما في التوراة .

فإسماعيل سكن مع جُرَّهُم بمكة وتزوج فيهم وتعلم لغتهم وتكلم بها وصار أبا لمن بعده من أجيال العرب ، وبعثه الله إلى جُرَّهُم والعالقة الذين كانوا بمكة ، وإلى أهل اليمن فآمن بعض وكفر بعض . ثم قبضه الله إليه وخلف ولده بين جُرَّهُم ، وكانوا على ما ذكر في التوراة اثنتي عشر أكبرهم بنيوت وهو الذي تقوله العرب نابت ونبت ، ثم قيذار وأدبيل وبسام ومشمع وذوما ومسار وحراه وقيا ويطور ونافس وقدا . قال ابن إسحق : وعاش فيما ذكر مائة وثلاثين سنة ، ودفن في الحجر مع أمه هاجر ، ويقال آجر . وفي التوراة أنه قبض ابن مائة وسبع وثلاثين سنة ، وأن شيعته سكنوا من حويلا إلى شور قبالة مِصْرَ من مدخل أثور ، وسكنوا على حذر شيع أخوته . وحويلا عند أهل التوراة هي جنوب برقة والواو منها قرية من الباء ، وشور هي أرض الحجاز ، وأثور بلاد الموصل والجزيرة . ثم ولي أمر البيت من بعد إسماعيل ابنه نابت ، وأقام ولده بمكة مع أخوالهم جُرَّهُم حتى تشعبوا وكثر نسلهم وتعددت بطونهم من عدنان في عِدَاد معد ، ثم بطون معد في ربيعة ومضر وإياد وأنمار بني نزار بن معد ، فضافت بهم مكة ، على ما نذكره عند ذكر قريش وأخبار ملكهم بمكة ، فكانت بطون عدنان هذه كلها من ولد إسماعيل لابنه نابت ، وقيل لقيذار ، ولم يذكر النسابون نسلاً من ولده الآخرين ، وتشعبت من إسماعيل أيضاً عند جماعة من أهل العلم بالنسب بطون قحطان كلها فيكون على هذا أبا لجميع العرب بعده .

وأما إسحق فأقام بمكانه من فلسطين ، وعمر وعمي بعد الكثير من عمره وبارك على ولده يعقوب فغضب بذلك أخوه عيصو ، وهمم بقتله فأشارت عليه رفقا بنت بتويل بالسير إلى حرّان عند خاله لابان بن بتويل ، فأقام عنده وزوجه بنتيه ، فزوجه أولاً الكبرى واسمها ليا وأخدمها جاريتها زلفة ، ثم من بعدها أختها الصغرى واسمها راحيل وأخدمها جاريتها بلها . وأول من ولد منهن ليا ولدت له روبيل ، ثم شمعون ، ثم لاوي ، ثم يهوذا . وكانت راحيل لا تحب فوهبت جاريتها بلها ليعقوب لتلد منه ، فولدت له دان ثم نفتالي . ولما فعلت ذلك راحيل وهبت أختها ليا ليعقوب عليه السلام جاريتها زلفة فولدت له كادو وآشر ، ثم ولدت ليا من بعد ذلك يساخر ، ثم زبولون ، فكل له بذلك عشرة من الولد . ثم دعت راحيل الله عز وجل أن يهب لها ولداً من يعقوب فولدت يوسف ، وقد كملت له بحرّان عشرون سنة ، ثم أمر بالرحيل إلى أرض كنعان التي وعدوا بملكها . فارتحل وخرج لابان في اتباعه وعزم له في المقام

عنده ، فأبى فودّعه وانصرف إلى حران وسار يعقوب لوجهه حتى إذا قرب من بند عبصو ، وهو جبل يسعين بأرض الكرك والشوبك لهذا العهد ، إعترضه عيصو لتلقيه وكرامته ، فأهدى إليه يعقوب من ماشيته هدية احتفل فيها وتودّد إليه بالخضوع والتضرّع ، فذهب ما كان عند عيصو وأوحى الله إليه بأن يكون اسمه إسرائيل ، ومَرَّ على أورشليم وهي بيت المقدس فاشترى هنالك مزرعة ضرب فيها فسطاطه وأمر ببناء مرجح سماه إيل في مكان الصخرة . ثم حملت راحيل هنالك فولدت له بنيامين ، وماتت من نفاسه ودفنها في بيت لحم . ثم جاء إلى أبيه إسحق بقرية جيرون من أرض كنعان فأقام عنده .

ومات إسحق عليه السلام لمائة وثمانين سنة من عمره ودفن مع أبيه في المغارة ، وأقام يعقوب بمكانه وولده عنده ، وشب يوسف عليه السلام على غير حالهم من كرامة الله به ، وقصّ عليهم رؤياه التي بشر الله فيها بأمره فغصوا به وخرجوا معه إلى الصيد ، فألقوه في الحب واستخرجهم السيارة الذين مروا به بعد ذلك وباعوه للعرب بعشرين مثقالاً ، ويقال إنّ الذي تولّى بيعه هو مالك بن دعر بن واين بن عيفا بن مدين . واشتراه من العرب عزيز مصر وهو وزيرها أو صاحب شرطتها . قال ابن إسحق واسمه أطفير بن رجب وقيل قوطفير . وكان ملكها يومئذ من العماليق ، الريّان بن الوليد بن دؤمغ ، وربى يوسف عليه السلام في بيت العزيز فكان من شأنه مع امرأته زليخا ، ومكثه في السجن ، وتعبيره الرؤيا للمحبوسين من أصحاب الملك ما هو مذكور في الكتاب الكريم . ثم استعمله ملك مصر عندما خشي السنة ^(١) والغلاء على خزائن الزرع في سائر مملكته يقدر جمعها وتصريف الأرزاق منها وأطلق يده بذلك في جميع أعماله ، وألبسه خاتمه وحمله على مركبه ، ويوسف لذلك العهد ابن ثلاثين سنة . فقبل عزل أطفير العزيز وولاه ، وقيل بل مات أطفير فترّج زليخا وتولّى عمله وكان ذلك سبباً لانتظام شمله بأبيه واخوته لما أصابتهم السنة بأرض كنعان وجاء بعضهم للميرة ، وكال لهم يوسف عليه السلام ، وردّ عليهم بضاعتهم وطالبهم بحضور أخيم فكان ذلك كله سبباً لاجتماعه بأبيه يعقوب بعد أن كبر وعمي .

قال ابن اسحق : كان ذلك لعشرين سنة من مغيبه ، ولما وصل يعقوب إلى بلبس قريباً من مصر ، خرج يوسف ليلقاه ، ويقال خرج فرعون معه ، وأطلق لهم أرض

(١) سنت الارض : صارت سنيناً أي اكل نباتها (قاموس) .

بليس يسكنون بها ويتنفعون . وكان وصول يعقوب صلوات الله عليه في سبعين ركباً من بنيه ، ومعه أيوب^(١) النبي من بني عيصو ، وهو أيوب بن برخا بن زبرج بن رعويل بن عيصو ، واستقروا جميعاً بمصر ثم قبض يعقوب صلوات الله عليه لسبع عشرة سنة من مقدمه ولماة وأربعين من عمره ، وحمله يوسف صلوات الله عليه إلى أرض فلسطين ، وخرج معه أكابر مصر وشيوخها بإذن من فرعون . واعترضهم بعض الكنعانيين في طريقهم ، فأوقعوا بهم ، وانتهاوا إلى مدفن إبراهيم وإسحق عليهما السلام فدفنوه في المغارة عندهما ، وانتقلوا إلى مصر ، وأقام يوسف صلوات الله عليه بعد موت أبيه ومعه إخوته إلى أن أدركته الوفاة فقُبِضَ لمائة وعشرين سنة من عمره ، وأدرج في تابوت وختم عليه ، ودفن في بعض مجاري النيل . وكان يوسف أوصى أن يحمل عند خروج بني إسرائيل إلى أرض اليَقَاع ، فيدفن هنالك ولم تزل وصيته محفوظة عندهم إلى أن حمله موسى صلوات الله عليه عند خروجه ببني إسرائيل من مصر .

ولما قبض يوسف صلوات الله عليه ، وبقي من بقي من الأسباط إخوته وبنيه تحت سلطان الفراعنة بمصر ، تشعب نسلهم ، وتعدّدوا إلى أن كثروا أهل الدولة وارتابوا بهم فاستعبدوهم . قال المسعودي : دخل يعقوب إلى مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف في سبعين ركباً ، وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى صلوات الله عليه نحواً من مائتين وعشر سنين ، فتداوهم ملوك القبط والعمالقة بمصر ، ثم أحصاهم موسى في التّيه ، وعدّ من يطيق حمل السلاح من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة ألف ويزيدون . وقد ذكرنا ما في هذا العدد من الوهم والغلو في مقدّمة الكتاب ، فلا نطوّل به . ووقعه في نصّ التوراة لا يقضي بتحقيق هذا العدد لأنّ المقام للمبالغة ، فلا تكون أعداده نصوصاً . وكان ليوسف صلوات الله عليه من الولد كثير ، إلّا أنّ المعروف منهم إثنان أفرايم ومنشى^(٢) وهما معدودان في الأسباط ، لأنّ يعقوب صلوات الله عليه أدركهما وبارك عليهما وجعلهما من جملة ولده ، وقد يزعم بعض من لا تحقيق عنده أنّ يوسف صلوات الله عليه استقلّ آخرًا بملك مصر . وينسب لبعض ضعفة المفسّرين ومعتمدهم في ذلك قول

(١) هو أيوب بن موص بن رازح بن عيص ، كذا في كتب التفسير ، قاله نصر .

(٢) ورد ذكره في التوراة : منس .

يوسف عليه السلام في دعائه : رب قد آتيتني من المُلْك . ولا دليل لهم في ذلك لأنَّ كل من مَلِك شيئاً ولو في خاصة نفسه فاستيلاؤه يُسمى مُلكاً حتى البيت والفرس والخادم ، فكيف من مَلِك التصرُّف ولو كان في شعب واحد منها فهو ملك وقد كان العرب يُسمُّون أهل القرى والمدائن ملوكاً ، مثل هَجَر ومَعَان ودُومة الجَنْدَل ، فما ظنك بوزير مصر لذلك العهد وفي تلك الدولة ، وقد كان في الخلافة العباسية تُسمَّى ولاية الأطراف وعمالها ملوكاً ، فلا استدلال لهم في هذه الصيغة . وأخرى أيضاً فيما يستدلون به من قوله تعالى : «وكذلك مكنا ليوسف في الأرض» أن لا يكون لهم فيه مستند لأنَّ التمكين يكون بغير الملك . ونص القرآن إنَّما هو بولايته على أمور الزرع في جمعه وتفريقه كما قال تعالى : «اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم» . ومساق القصة كلها أنه مرؤس في تلك الدولة بقرائن الحال كلها لا ما يتوهم من تلك اللفظة الواقعة في دعائه ، فلا نعدل عن النص المحفوف بالقرائن إلى هذا المتوهم الضعيف . وأيضاً فالقصة في التوراة قد وقعت صريحة في أنه لم يكن ملكاً ولا صار إليه مُلك . وأيضاً فالأمر الطبيعي من الشوكة والقطامة له يدفع أن يكون حصل له ملك بلأنه إنما كان في تلك الدولة قبل أن يأتي إليه إخوته منفرداً لا يملك إلا نفسه ولا يتأقُّ المُلْكُ في هذا الحال وقد تقدَّم ذلك في مقدمة الكتاب والله أعلم .

وأما عيصو بن إسحق فسكن جبال بني يَسْعِينَ من بني جوي ، إحدى شعوب كنعان ، وهي جبال الشراة بين تبوك وفلسطين وتُعرف اليوم ببلاد كرك والشوبك ، وكان من شعوبهم هناك على ما في التوراة بنو لوطان وبنو شوبال وبنو صمقون وبنو عنا وبنو ديشوق وبنو يصد وبنو ديسان سبعة شعوب . ومن بني ديشون الأشبان ، فسكن عيصو بينهم بتلك البلاد ، وتزوَّج منهم من بنات عنا بن يسعين من جوى ، وهي أهليقما ، وتزوَّج أيضاً من بنات حي من الكنعانيين عازا بنت أيلول ، وباسمت بنت إسماعيل عليه السلام . وكان له من الولد خمسة مذكورون في التوراة وأكبرهم أليفاز ، بالفاء المفخمة وإشباع حركتها وزاي معجمة من بعدها ، من عازا بنت أيلول ، ثم رعويل من باسمت بنت إسماعيل ، ثم يعوش ويعلام وقورح من أهليقما بنت عنا . وولد أليفاز ستة من الولد ثيال وأومار وصفو وكعتام وقتال وعماق السادس ، لسرية اسمها تمتاع وهي شقيقة لوطان بن يسعين . وولد رعويل بن عيصو أربعة من الولد ، ناحة وزيدم وشتا ومرا . هكذا وقع ذكر وُلد العيص وولدهم في التوراة ، وفيها أنَّ

العيص اسمه أروم^(١) ، فلذلك قيل لهم بنو أروم ، ولبعض الاسرائيليين أن أروم اسم لذلك الجبل ومعناه بالعبرانية الجبل الأحمر الذي لا نبات به . وقد يقع لبعض المؤرخين أن القياصرة ملوك الروم من ولد عيصو ، وقال الطبري : أن الروم وفارس من ولد رعويل ابن باسمت . وليس ذلك كله بصحيح ورأيت في كتاب يوسف بن كرمون مؤرخ العمارة الثانية بيت المقدس قبيل الجلوة الكبرى ، وكان من كهنوتينا اليهود وهو قريب من الغلط .

قال ابن حزم في كتاب الجماهرة : وكان لإسحق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب اسمه عيصاب أو عيصو ، كان بنوه يسكنون جبال الشراة بين الشام والحجاز ، وقد بادوا جملة ، إلا أن قوما يذكرون أن الروم من ولده وهذا خطأ . وإنما وقع لهم هذا الغلط لأن موضعهم كان يقال له أروم فظنوا أن الروم من ذلك الموضع ، وليس كذلك لأن الروم إنما نسبوا الى رومس باني رومة ، فإن ظن ظان أن قول النبي صلى الله عليه وسلم للحضر بن قيس هل لك في بلاد بني الأصفر العام ، وذلك في غزوة تبوك ، يدل على أن الروم من بني الأصفر وهو عيصاب المذكور فليس كما ظن . وقول النبي صلى الله عليه وسلم حق ، وإنما عنى عليه السلام بني عيصاب على الحقيقة لا الروم ، لأن مغزاه عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة كان إلى ناحية الشراة مسكن القوم المذكورين اهـ كلام ابن حزم .

وزعم أهروشيوش مؤرخ الروم أن أم الفينان وهاوا وعالوم وقدوح الأربعة من بنات كاتيم بن يوان ابن يافث ، والأول أصح لأنه نص التوراة . ثم كثر نسل بني عيصو بأرض يسعين وغلبوا الجويين على تلك البلاد وغلبوا بني مدين أيضا على بلادهم إلى أيلة . وتداول فيهم ملوك وعظماء كان منهم فالغ بن ساعور ، وبعده يودب بن زيدح ، ثم كان منهم هداد بن مدّاد الذي أخرج بني مدين عن مواطنهم ، ثم كان فيهم بعده ملوك إلى أن زحف يوشع الى الشام وفتح أريحاء وما بعدها وانتزع الملك من جميع الأمم الذين كانوا هنالك ، ثم استلحمهم بختنصر عندما ملك أرض القدس ، ولحق بعضهم بأرض يونان ، وبعضهم بأفريقية . وأما عمالق بن أليفاز فمن عقبه عند الاسرائيليين عمالقة الشام ، وفي قول فراعنة مصر من القبط ونسأب العرب ، يابون

(١) وفي نسخة أخرى : أدوم .

من ذلك ونسبهم إلى عملاق بن لاوذ كما مرّ. ثم بنو يروم وكنعان ولم يبق منهم عين تطرف والله الباقي بعد فناء خلقه .

وأما مَدِين بن إبراهيم فتزوَّج بَابنة لوط وجعل الله في نسلها البركة ، وكان له من الوُلْدِ خمسة عِيْفًا وَعِيْفَيْنِ وَخَنُوخَ وَأَنِيدَاغَ وَالزَّاعَا . وقد تقدّم ذكرهم في وُلْدِ إبراهيم من قَنْطُورَا ، فكان منهم مَدِين أُمَّة كبيرة ذات بطون وشعوب ، وكانوا من أكبر قبائل الشام وأكثرهم عدداً ، وكانت مواطنهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط ، وكان لهم تغلبٌ بتلك الأرض ، فعتوا وبغوا وعبدوا الآلهة ، وكانوا يقطعون السبل ويبخسون في المكيال . وبعث الله فيهم شعيبا نبيا منهم ، وهو ابن نويل بن رعويل بن عيا بن مَدِين . قال المسعودي : مَدِين هؤلاء من وُلْدِ الْمُخَضَّر بن جندل بن يعصب بن مَدِين ، وأنَّ شُعَيْبَا أخوهم في النسب ، وكانوا ملوكا عدة يسمون بكلمات أبجد إلى آخرها وفيه نظر . وقال ابن حبيب في كتاب البدء : هو شُعَيْب بن نوب بن أحزم بن مَدِين . وقال السهيلي : شعيب بن عيفا ، ويقال ابن صيفون ، وشعيب هذا هو شعيب موسى الذي هاجر إليه من مصر أيام القِبْط واستأجره على إنكاح ابنته آياه على أن يخدمه ثمانين سنين ، وأخذ عنه آداب الكتاب والنبوة حسبا يأتي عند ذكر موسى صلوات الله عليهما وأخبار بني إسرائيل . وقال الصيمري الذي استأجر موسى وزوجه : هو بَثْر بن رعويل ، ووقع في التوراة أنَّ اسمه يَبْثُر وأنَّ رعويل أباه أو عمّه هو الذي تولى عقد النكاح . وكان لِمَدِينِ هؤلاء مع بني إسرائيل حروب بالشام ، ثم تغلب عليهم بنو إسرائيل وانقرضوا جميعا .

وأما لوط بن هاران أخي إبراهيم عليهما السلام فقد تقدّم من خبره مع قومه ما ذكرناه هنالك ، ولما نجا بعد هلاكهم لحق بأرض فلسطين ، فكان بها مع إبراهيم إلى أن قبضه الله ، وكان له من الوُلْدِ على ما ذكر في التوراة عَمُون بتشديد الميم واشباع حركتها بالضمّ ونون بعدها ، وموآبي باشباع ضمة الميم واشباع فتحة الهمزة بعدها وياء تحتية وبعدها ياء ساكنة هوائية ، وجعل الله في نسلها البركة ، حتى كانوا من أكثر قبائل الشام ، وكانت مساكنهم بأرض البلقاء ومدائنهم في بلد موآبي ومعان وماوالاهما ، وكانت لهم مع بني إسرائيل حروب نذكرها في أخبارهم ، وكان منهم بلعام بن باعورا بن رسيوم بن برسيم بن موآبي ، وقصته مع ملك كنعان حين طلبه في الدعاء على بني إسرائيل أيام موسى صلوات الله عليه وأنَّ دعاءه صرف إلى

الكنعانيين ، مذكورة في التوراة ونوردها في موضعها .
وأما ناحور أخو إبراهيم عليه السلام فقد تقدّم ذكره أنه هاجر مع إبراهيم عليه السلام
من بابل الى حرّان ، ثم إلى الأرض المقدّسة ، فكان معه هنالك ، وكانت زوجته
ملّكا بنت أخيه هاران ، وملّكا هذه هي أخت سارة زوج إبراهيم عليه السلام وأم
إسحق ، وكان لناحور من ملّكا على ما وقع في نص التوراة ثمانية من الولد عوص
وبوص وقمويل وهو أبو الأرمن ، وكاس ومنه الكلدانيون الذين كان منه بختنصر
وملوك بابل ، وحذو وبلداس وبلداف ويثويل . وكان له من سرّيّة إسمها أدوما أربعة
من الولد وهم طالج وكاحم وتاخش وماعخا . هؤلاء ولد ناحور أخي إبراهيم كلهم
مذكورون في التوراة وهم اثنا عشر ولدا ، هؤلاء كلهم بادوا وانقرضوا ، ولم يبق منهم
إلا الأرمن من قويل بن ناحور أخي إبراهيم عليه السلام ابن آزر وهم لهذا العهد على
دين النصرانية ومواطنهم في أرمينية شرقي القسطنطينيّة ، والله وارث الأرض ومن عليها
وهو خير الوارثين . وهذا آخر الكلام في الطبقة الأولى من العرب ومن عاصرهم من
الأمم ، ولنزجّع إلى أهل الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة ، والله سبحانه وتعالى
الكفيل بالإعانة .

الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعربة وذكر أنسابهم وايامهم وملوكهم والامام ببعض الدول التي كانت على عهدهم

وإنّا سمّي أهل هذه الطبقة بهذا الإسم لأنّ السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم من قبلهم ، إعتبرت فيها الصيرورة ، بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم ، وهي اللغة العربية التي تكلموا بها ، فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم : استنوق الجمل ، واستحجر الطين . وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأمم فيما يعلم جيلا ، كانت اللغة العربية لهم بالأصالة وقيل العاربة .

واعلم أنّ أهل هذا الجيل من العرب يعرفون باليمنيّة والسبائيّة ، وقد تقدم أنّ نسابة بني إسرائيل يزعمون أنّ أباهم سبّا من وُلِدَ كوش بن كنعان ، ونسابة العرب يابون ذلك ويدفعونه ، والصحيح الذي عليه كافتهم أنهم من قحطان ، وأنّ سبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال ابن اسحق يعرب بن يشجب فقدم وآخر . وقال ابن ماكولا على ما نقل عنه السهيلي اسم قحطان مهزّم . وبين النسابة خلاف في نسب قحطان فقبل هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام أخو فالغ ، ويقطن ولم يقع له ذكر في التوراة ، وإنّا ذكر فالغ ويقطن . وقيل هو معرب يقطن لأنّه إسم أعجمي والعرب تصرّف في الأسماء الأعجمية بتبديل حروفها وتغييرها وتقديم بعضها على بعض . وقيل إنّ قحطان بن يمن بن قidar ، وقيل إنّ قحطان من وُلِدَ إسماعيل . وأصح ما قيل في هذا أنّه قحطان بن يمن بن قيدر ، ويقال الهميّسع بن يمن بن قidar ، وأنّ يمن هذا سميت به اليمن . وقال ابن هشام أنّ يعرب ابن قحطان كان يسمى يمنا وبه سميت اليمن . فعلى القول بأنّ قحطان من وُلِدَ إسماعيل تكون العرب كلهم من وُلِدِهِ لأنّ عدنان وقحطان يستوعبان شعوب العرب كلها .

وقد احتج لذلك من ذهب إليه بأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لرماة الأنصار : «ارموا يا بني إسماعيل فإنّ أباكم كان راميا» . والانسار من ولد سبا وهو ابن قحطان ، وقيل إنّما قال ذلك لقوم من أسلم من أقصى أخوة خزاعة بن حارثة بناء على أنّ نسبهم في سبا . وقال السهيلي ولا حجة في شيء منها لأنّه إذا كانت العرب كلها من ولد

إسماعيل ، فهذا من السهيليّ جنوح إلى القول بمفهوم اللقب وهو ضعيف . ثم قال :
والصحيح أنّ هذا القول إنّما كان منه صلى الله عليه وسلم لأسلم كما قدّمناه وإنّا أراد أنّ
خزاعة من معدّ بن إلياس بن مُضَرّ وليسوا من سبّا ، ولا من قحطان كما هو الصحيح
في نسبهم على ما يأتي . واحتجوا أيضا لذلك بأنّ قحطان لم يقع له ذكر في التوراة كما
تقدم ، فدلّ على أنه ليس من وُلِدَ عابر فترجّح القول بأنّه من إسماعيل ، وهذا مردود
بما تقدم أنّ قحطان معرب يَقْطُن وهو الصحيح ، وليس بين الناس خلاف في أنّ
قحطان أبو اليمن كلهم . ويقال إنه أوّل من تلّك بالعربية ومعناه من أهل هذا الجليل
الذين هم العرب المستعربة من اليمنية ، وإلاّ فقد كان للعرب جيل آخر وهم العرب
العاربة ، ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية ضرورة ولا يمكن أن يتكلّم بها من
ذات نفسه . وكان بنو قحطان هؤلاء معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة
ومظاهرين لهم على أمورهم ، ولم يزلوا مجتمعين في مجالات البادية مبعدين عن رتبة
المُلْك وترفه الذي كان لأولئك فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف
والنضارة ، فتشعبت في أرض الفضا فصائلهم ، وتعدّد في جوّ القفر أفخاذهم
وعشائرهم ونمّا عددهم ، وكثر إخوانهم من العالقة في آخر ذلك الجليل ، وزاحموهم
بمناكبهم ، واستجدوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم .

وكانت الدولة لبني قحطان متصلة فيهم ، وكان يعرب بن قحطان من أعظم ملوك
العرب . يقال إنه أوّل من حيّاه قومه بتحية المُلْك . قال ابن سعيد : وهو الذي ملك
بلاد اليمن وغلب عليها قوم عاد ، وغلب العالقة على الحجاز ، وولى إخوته على جميع
أعمالهم ، فولّى جرّهما على الحجاز ، وعاد بن قحطان على الشحر ، وحضرموت بن
قحطان على جبال الشحر ، وعُمان بن قحطان على بلاد عُمان هكذا ذكر البيهقي .

وقال ابن حزم : وعدّ لقحطان عشرة من الوُلْد وأنه لم يعقب منهم أحد ، ثم ذكر
ابنين منهم دخلوا في حِمير ، ثم ذكر الحرث بن قحطان ، وقال فولد فيما يقال له
لاسور ، وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي الرّس ، والرّس ما بين نجران إلى اليمن
ومن حضرموت إلى اليمامة ، ثم ذكر يعرب بن قحطان وقال فيهم الجُمَيْريّة والعُدّاد
انتهى . قال ابن سعيد وملك بعد يعرب ابنه يشجُب وقيل اسمه يَمَن واستبدّ أعمامه بما
في أيديهم من الممالك ، وملك بعده ابنه عبد شمس وقيل عابر ويسمى سبّا لأنه قيل
إنه أوّل من سنّ السبي ، وبني مدينة سبّا وسد مأرب . وقال صاحب التيجان إنه غزا

الأقطار وبني مدينة عين شمس باقليم مصر وولّى عليها ابنه بابلون . وكان لسبّا من
الوُلد كثير وأشهرهم حِمير وكهلان اللذان منها الامتان العظيمتان من اليمنيّة أهل
الكثرة والملك والعز ومُلك حِمير منهم أعظمه . وكان منهم التابعة كما يذكر في
أخبارهم ، وعدّ ابن حَزَم في وُلده زَيْدان وابنه نجران بن زيدان وبه سميت البلد .

ولما هلك سبّا قام بالملك بعده ابنه حِمير ويعرف بالعرنجج ، وقيل هو أول من تتوج
بالذهب ويقال إنه ملك خمسين سنة ، وكان له من الوُلد ستة فما قال السُهيلي :
واثل ومالك وزيد وعامر وعوف وسعد . وقال أبو محمد بن حزم الهميسع : ومالك
وزيد وواثل ومشروح ومعديكرب وأوس ومرة . وعاش فيما قال السُهيلي ثلثمائة سنة ،
وملك بعده ابنه واثل وتغلب أخوه مالك بن حِمير على عُمان ، فكانت بينهما
حروب . وقال ابن سعيد : إنّ الذي ملك بعد حِمير أخوه كهلان ، ومن بعده واثل
بن حِمير ، ثم من بعد واثل السكسك بن واثل ، وكان مالك بن حِمير قد هلك
وغلب على عُمان بعده ابنه قضاة فحاربه السكسك وأخرجه عنها ، وملك بعده ابنه
يعفر بن السكسك ، وخرجت عليه الخوارج ، وحاربه مالك بن الحاف بن
قضاة ، وطالت الفتنة بينهما ، وهلك يعفر وخلف ابنه النعمان حملا ويعرف
بالمعافر ، واستبد عليه من بني حِمير ماران بن عوف بن حِمير ويعرف بذئ رياش
وكان صاحب البحرين ، فنزل نجران واشتغل بحرب مالك بن الحاف بن قضاة .
ولما كبر النعمان حبس ذارياش واستبدّ بأمره وطال عمره وملك بعده ابنه أسجم بن
المعافر ، فاضطربت أحوال حِمير ، وصار ملكهم طوائف إلى أن استقر في الرايش
وبنيه التابعة كما نذكره .

ويقال إنّ بني كهلان تداولوا الملك مع حِمير هؤلاء ، وملك منهم جبار بن غالب بن
كهلان ، وملك أيضا من شعوب قحطان نجران بن زيد بن يعرب بن قحطان ،
وملك من حِمير هؤلاء ثم من بني الهميسع بن حِمير أبين بن زهير بن الغوث بن أبين
بن الهميسع ، واليه نسب عرب أبين من بلاد اليمن ، وملك منهم أيضا عبد شمس
بن واثل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن أبين بن الهميسع بن
حِمير ، ثم ملك من أعقابه شداد بن الملطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوّان بن
عبد شمس ، وبعده أخوه لقمان ، ثم أخوها ذو شدد وهذاد ومداثر ، وبعده ابنه
الصعب ويقال انه ذو القرنين ، وبعده أخوه الحرث بن ذي شدد ، وهو الرايش جدُّ

الملوك التابعة . وملك في حِمير أيضا من بني الهميسع من بني عبد شمس هؤلاء
حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس .
قال أبو المنذر هشام بن الكلبي في كتاب الأنساب ونقلته من أصل عتيق بخط
القاضي المحدث أبي القاسم بن عبد الرحمن بن حبيش قال : ذكر الكلبي عن
رجل من حِمير من ذي الكلاع قال : أقبل قيس يحرق موضعا باليمن ، فأبدى عن
أرج ، فدخل فيه ، فوجد سريرا عليه رجل ميت وعليه جبَابٌ وشيْ مذهبة ، في
رأسه تاج ، وبين يديه مجحن من ذهب ، وفي رأسه ياقوتة حمراء ، وإذا لوح مكتوب
فيه : بسم الله ربَّ حِمير أنا حسان بن عمرو القيل مات في زمان هيد وما هيد هلك
فيها اثنا عشر ألف قبيل فكنت آخرهم قبيلًا فابتنيت ذا شعبين ليجرني من الموت
فاخفرني اهـ كلامه . وقال الطبري : وقيل أن أول من ملك اليمن من حِمير شمر بن
الأملوك كان لعهد موسى عليه السلام وبني طقَّار وأخرج منها العالقة ، ويقال كان
من عمال الفرس على اليمن . انتهى الكلام في أخبار حِمير الأول والله سبحانه وتعالى
وليُّ العون .

الخبر عن ملوك التبابعة من حمير وأوليتهم باليمن ومصاير أمورهم

هؤلاء الملوك من وُلِدَ عبد شمس بن واثل بن الغوث باتفاق من النسّابين ، وقد مرَّ
نسبه إلى حمير ، وكانت مدائن ملكهم صنعاء ، ومأرب على ثلاث مراحل منها ،
وكان بها السد ، ضربته بلقيس ملكة من ملوكهم سدًا ما بين جبلين بالصخر والقار ،
فحققت به ماء العيون والأمطار ، وتركت فيه خروقا على قدر ما يحتاجون إليه في
سقيهم ، وهو الذي يسمى العرم والسكر وهو جمع لا واحد له من لفظه قال
الجعدي :

من سبأ الحاضرين مأرب اذ ينون من دون سيله العرما
أي السد ويقال ان الذي بنى السد هو حمير أبو القبائل اليمنية كلها قال الاعشى :

ففي ذلك للمؤتسى اسوة مأرب غطى عليه العرم

رخام بناه لهم حمير إذا جاءه من رame لم يرم

وقيل بناه لقمان الأكبر ابن عاد كما قاله المسعودي ، وقال : جعله فرسخاً في
فرسخ ، وجعل له ثلاثين شعباً . وقيل وهو الأليق والأصوب أنه من بناء سبأ بن
يَشْجَب ، وأنه ساق إليه سبعين وادياً ، ومات قبل إتمامه ، فأتته ملوك حمير من
بعده . وإنما رجحناه لأن المباني العظيمة ، والهيكل الشامخة ، لا يستقل بها الواحد
كما قدّمنا في الكتاب الأول ، فأقاموا في جناته عن اليمن والشمال كما وصف القرآن .
ودولتهم يومئذ أوفرما كانت ، وأترف وأبذخ وأعلى يداً وأظهر ، فلمّا طغوا وأعرضوا
سلّط الله عليهم الخلد ، وهو الجرذ فنقبه من أسفله فأجحفهم السيل ، وأغرق
جناتهم ، وخربت أرضهم ، وتمزّق ملكهم ، وصاروا أحاديث .

وكان هؤلاء التبابعة ملوكاً عدّة في عصور متعاقبة ، وأحقاب متطاولة ، لم يضبطهم
الحصر ، ولا تقيدت منهم الشوارد . وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن إلى ما بعد عنهم
من العراق والهند والمغرب تارة ، ويقتصرون على اليمن أخرى ، فاختلّت أحوالهم
واتفقت أسياء كثيرة من ملوكهم ، ووقع اللبس في نقل أيامهم ودولهم ، فلنأت بما
صحّ منها متحرّياً جهّداً لا استطاعة عن طموسٍ من الفكر ، واقتفاء التقايد المرجوع

اليها والأصول المعتمد على نقلها ، وعدم الوقوف على أخبارهم مدونة في كتاب واحد والله المستعان .

قال السهيلي : معنى تبع الملك المتبع . وقال صاحب المحكم : التبابعة ملوك اليمن وأحدهم تبع لأنهم يتبع بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام آخر تابعاً له في سيرته ، وزادوا الباء في التبابعة لارادة النسب . قال الزمخشري : قيل للملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون ، كما قيل الأقبال لأنهم يتقبلون . قال المسعودي : ولم يكونوا يسمون الملك منهم تبعاً حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت ، وقيل حتى يتبعه بنو جشم بن عبد شمس ، ومن لم يكن له شيء من الأمرين فيسمى ملكاً ولا يقال له تبع . وأول ملوك التبابعة باتفاق من المؤرخين ، الحرث الرائي ، وإنما سمي الرائي لأنه رآه الناس بالعباءة . واختلف الناس في نسبه بعد اتفاقهم على أنه من ولد وائل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن ابي بن الهميسع بن حمير فقال ابن إسحق وأبو المنذر بن الكلبي : إن قيساً بن معاوية بن جشم . فابن إسحق يقول في نسبه إلى سبا الحرث بن عدي بن صيفي ، وابن الكلبي يقول الحرث بن قيس بن صيفي . وقال السهيلي هو الحرث بن همال بن ذي شدد بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل وجشم جد سبا هو بن عبد شمس ، هذا عند المسعودي . وعند بعضهم أنه أخوه وأنها معاً إنا وائل . وذكر المسعودي عن عبيد بن شرية الجرهمي ، وقد سأله معاوية عن ملوك اليمن في خبر طويل ونسب الحرث منهم ، فقال : هو الحرث بن شدد بن الملطاط بن عمرو وأما الطبري فاختلف نسبه في نسب الحرث ، فمرة قال : وبنت ملك التبابعة في سبا الأصغر ونسبه كما مر . وقال في موضع آخر والحرث بن ذي شدد هو الرائي جد الملوك التبابعة ، فجعله إلى شدد ولم ينسبه إلى قيس ولا عدي من ولد سبا . وكذلك اضطرب أبو محمد بن حزم في نسبه في الجمهرة مرة إلى الملطاط ومرة إلى سبا الأصغر ، والظاهر أنه تبع في ذلك الطبري والله أعلم .

وملك الحرث الرائي فيما قالوا مائة وخمسة وعشرين سنة ، وكان يسمى تبعاً ، وكان مؤمناً فيما قال السهيلي . ثم ملك بعده ابنه أبرهة ذو المنار مائة وثمانين سنة . قال المسعودي ، وقال ابن هشام : أبرهة ذو المنار هو ابن الصعب بن ذي مدائر بن الملطاط ، وسمي ذا المنار لأنه رفع المنار ليهدى به . ثم ملك من بعده أفريقش بن

أبرهة مائة وستين سنة . وقال ابن حزم هو أفريقش بن قيس بن صيفي أخو الحرث الرائش ، وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى أفريقية ، وبه سميت . وساق البربر إليها من أرض كنعان ، مرَّ بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم ، فاحتل الفل منهم ، وساقهم إلى أفريقية ، فأنزلهم بها ، وقتل ملكها جرجير . ويقال إنَّه الذي سمى البرابرة بهذا الاسم لأنه لما افتتح المغرب ، وسمع رطانتهم قال : ما أكثر بربرتهم فسموا البرابرة . والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة ، ومنه بربرة الأسد . ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم إلى الآن بها ، وليسوا من نسب البربر ، قاله الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين .

ثم ملك من بعد أفريقش أخوه العبد بن أبرهة ، وهو ذو الأذعار عند المسعودي قال : سميَّ بذلك لكثرة دعر الناس من جوره . وملك خمسا وعشرين سنة ، وكان على عهد سليمان بن داود وقبله بقليل ، وغزا ديار المغرب ، وسار إليه كيقاوس بن كنعان ملك فارس فبارزه وانهزم كيقاوس وأسره ذو الأذعار ، حتى استنقذه بعد حين من يده وزيره رُستم زحف إليه يجمع فارس إلى اليمن وحارب ذا الأذعار فغلبه واستخلص كيقاوس من أسره كما نذكره في أخبار ملوك فارس . وقال الطبري إنَّ ذا الأذعار اسمه عمرو بن أبرهة ذي المنار بن الحرث الرائش بن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر انتهى . وكان مهلك ذي الأذعار فيما ذكر ابن هشام مسموماً على يد الملكة بلقيس .

وملك من بعده الهدهاد بن شرجيل بن عمرو بن ذي الأذعار وهو ذو الصرح ، وملك ستاً أو عشرة فيما قال المسعودي . وملكته بعده ابنته بلقيس سبع سنين . وقال الطبري : إنَّ اسم بلقيس يلقيمة بنت اليشرج بن الحرث بن قيس انتهى . ثم غلبهم سليمان عليه السلام على اليمن كما وقع في القرآن فيقال تزوجها ، ويقال بل عزها في التأيم ، فتزوجت سدد بن زرعة بن سبا ، وأقاموا في ملك سليمان وابنه أربعاً وعشرين سنة . ثم قام بملكهم ناشر بن عمرو ذي الأذعار ، ويعرف بناسر النعم ، لفظين مركبين جعلاً اسماً واحداً كذا ضبطه الجرجاني . وقال السهيلي ناشر بن عمرو ، ثم قال ويقال ناشر النعم . وفي كتاب المسعودي نافر بن عمرو ، ولعله تصحيف ونسبه إلى عمرو ذي الأذعار وليس يتحقق في هذه الأنساب كلها أنها للصلب فإنَّ

الآماد ، طويلة والأحقاب بعيدة ، وقد يكون بين اثنين منها عدد من الآباء ، وقد يكون ملصقاً به . وقال هشام بن الكلبي أن ملك اليمن صار بعد بلقيس إلى ناشر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له ياسر أنعم ، لا نعامه عليهم بما جمع من أمرهم وقوي من ملكهم . وزعم أهل اليمن أنه سار غازياً إلى المغرب ، فبلغ وادي الرمل ولم يبلغه أحدٌ ولم يجد فيه مجازاً لكثرة الرمل ، وعبر بعض أصحابه ، فلم يرجعوا فأمر بصنم من نحاس نصب على شفير الوادي ، وكتب في صدره بالخط المسند هذا الصنم لياسر أنعم الحميري ليس وراءه مذهب * فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب انتهى .

ثم ملك بعد ياسر هذا ابنه شمر مرعش ، سمي بذلك لارتعاش كان به . ويقال انه وطىء أرض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدائنها وخرّب مدينة الصغد وراء جيحون ، فقاتل العجم «شمر كنداي» شمر خرب . وبني مدينة هنالك فسميت باسمه هذا ، وعربته العرب فصار سمرقند . ويقال انه الذي قاتل قباذ ملك الفرس وأسرّه ، وأنه الذي حير الحيرة . وكان ملكه مائة وستين سنة ، وذكر بعض الإخباريين أنه ملك بلاد الروم ، وأنه الذي استعمل عليهم ماهان قيصر فهلك ، وملك بعده ابنه دقيوس . وقال السهيلي في شمر مرعش الذي سمي به سمرقند انه شمر بن مالك ومالك هو الأملاك الذي قيل فيه :

فنقب عن الأملاك واهتف بذكره وعش دار عز لا يغالبه الدهر وهذا غلط من السهيلي فإنهم مجمعون على أن الأملاك كان لعهد موسى صلوات الله عليه وشمر من أعقاب ذي الأذعار الذي كان على عهد سليمان ، فلا يصح ذلك إلا أن يكون شمر ابرهة ، ويكون أول دولة التبابعة .

ثم ملك على التبابعة بعد شمر مرعش تبع الاقرن واسمه زيد . (قال السهيلي) وهو ابن شمر مرعش وقال الطبري انه ابن عمرو ذي الأذعار . وقال السهيلي إنما سمّي الأقرن لشامة كانت في قرنه ، وملك ثلاثاً وخمسين سنة . وقال المسعودي ثلاثاً وستين . ثم ملك من بعده ابنه ملكي كرب وكان مضعفاً ولم يغز قط إلى أن مات . وملك بعده ابنه تبان أسعد أبو كرب ، ويقال هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التبابعة . وعند الطبري أن الذي بعد ياسر ينعم بن عمرو ذي الأذعار تبع الأقرن أخوه ، ثم بعد تبع الأقرن شمر مرعش بن ياسر ينعم ، ثم من بعده تبع الأصغر وهو تبان أسعد أبو كرب هذا هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التبابعة . وقال الطبري : ويقال له الرائد

وكان على عهد يستاسب وحافده أردشير يَمَن ابن ابنه أسفنديار من ملوك الفرس وأنه شخص من اليمن غازيا ومرّ بالحيرة فتحيّر عسكره هنالك فسميت الحيرة . وخلف قوما من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاة فأقاموا هنالك وبنوا الإطام ، واجتمع إليهم ناس من طيرة وكلب والسكون وأباد والحرث بن كعب . ثم توجه إلى الانبار ثم الموصل ثم أذربيجان ، ولقي الترك فهزمهم وقتل وسبى ، ثم رجع إلى اليمن ، وهابته الملوك وهادنه ملوك الهند . ثم رجع لغزو الترك ، وبعث إليه حسّان إلى الصغد ، وإبنة يعفر إلى الروم ، وابن أخيه شمر ذي الجناح إلى الفرس . وان شمر لقي كيقباز ملك الفرس فهزمه ، وملك سمرقند وقتله ، وجاز إلى الصين فوجد أخاه حسّان قد سبقه إليها ، فأثخنا في القتل والسبي ، وانصرفا بما معها من الغنائم إلى أبيهما . وبعث ابنه يعفر إلى القسطنطينية فتلقيه بالجزية ، والأتاوة فسار إلى رومة ، وحصرها ووقع الطاعون في عسكره ، فاستضعفهم الروم ووثبوا عليهم فقتلوه ، ولم يفلت منهم أحد . ثم رجع إلى اليمن ، ويقال أنه ترك ببلاد الصين قوما من حمير وأنهم بها لهذا العهد ، وأنه ترك ضعفاء الناس بظاهر الكوفة فتحيروا هنالك وأقاموا معهم من كل قبائل العرب .

وقال ابن إسحق إن الذي سار إلى المشرق من التبابعة تبع الآخر ، وهو تَبَّان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب بن زيد الأقربن ابن عمرو ذي الأذعار ، وتَبَّان أسعد هو حسّان تبع وهو فيما يقال أول من كسا الكعبة ، وذكر ابن إسحق الملاء والوصائل ، وأوصى ولاته من جرهم بتطهيرها وجعل لها باباً ومفتاحاً ، وذكر ابن إسحق أنه أخذ بدين اليهودية ، وذكر في سبب تهوده أنه لما غزا إلى المشرق مرّ بالمدينة يثرب فملكها ، وخلف ابنه فيهم ، فعدوا عليه وقتلوه غيلة ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلّة من بني النجّار . فلما أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة مجمعا على خرابها فجمع هذا الحيّ من أبناء قيلة لقتاله فقاتلهم ، وبينما هم على ذلك جاءه حبران من أحبار يهود من بني قريظة ، وقالوا له : لا تفعل فانك لن تقدر وأنها مهاجرة نبيّ قرشي يخرج آخر الزمان فتكون قراراً له . وانه أعجب بهما واتبعها على دينهما ، ثم مضى لوجهه . ولقيه دون مكة نفر من هذيل ، وأغروه بهال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز ، فنهاه الحبران عن ذلك وقالوا له إنما أراد هؤلاء هلاكك . فقتل نفر من الهذليين وقدم مكة فأمره الحبران بالطواف بها والخضوع ، ثم كساها كما تقدّم ، وأمر ولاتها من

جرّهم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات ، وجعل لها باباً ومفتاحاً ، ثم سار إلى اليمن . وقد ذكر قومه ما أخذ به من دين اليهودية ، وكانوا يعبدون الأوثان ، فتعرضوا لمنعه ثم حاكموه إلى النار التي كانوا يحاكمون إليها ، فتأكل الظالم وتدع المظلوم ، وجاؤا بأوثانهم . وخرج الخبران متقلدان المصاحف ، ودخل الحميريون فأكلتهم وأوثانهم ، وخرج الخبران منها ترشح وجوههم وجباههم عرقاً ، فأمنت حمير عند ذلك ، وأجمعوا على اتباع اليهودية . ونقل السهيلي عن ابن قتيبة في هذه الحكاية أنّ غزاة تبع هذه ، إنما هي استصرخة أبناء قيلة على اليهود ، فانهم كانوا نزلوا مع اليهود حين أخرجوهم من اليمن على شروط ، فنقضت عليهم اليهود فاستغاثوا بتبع فعند ذلك قدمها . وقد قيل : ان الذي استصرخه أبناء قيلة على اليهود إنما هو أبو جبلة من ملوك غسان بالشام ، جاء به مالك بن عجلان ، فقتل اليهود بالمدينة ، وكان من الخزرج كما نذكر بعد . ويعضد هذا أنّ مالك بن عجلان بعيد عن عهد تبع بكثير ، يقال إنه كان قبل الاسلام بسبعائة سنة ذكره ابن قتيبة . وحكى المسعودي في أخبار تبع هذا أنّ أسعد أباً كرب سار في الأرض ، ووطأ الممالك وذلّلها ووطأ أرض العراق في ملك الطوائف ، وعميد الطوائف يومئذ خرداد بن سابور ، فلقى ملكاً من ملوك الطوائف اسمه قباد ، وليس قباد بن فيروز ، فانهمز قباد وملك أبو كرب العراق والشام والحجاز وفي ذلك يقول تبع أبو كرب :

إذ حسينا جادنا من دماء	ثم سرنا بها مسيرا بعيذا
واستبحنا بالخيّل خيل قباد	وابن اقليد جاءنا مصفودا
وكسوننا البيت الذي حرّم	الله ملاء منضدا وبرودا
وأقننا به من الشهر عشا	وجعلنا لبابه اقليدا

* (وقال أيضا) *

لست بالتبع اليماني ان لم	تركض الخيل في سواد العراق
أو تؤدّي ربيعة الخرج قسرا	لم يعقها عوائق العوّاق

وقد كانت لكندة معه وقائع وحروب ، حتى غلبهم حجر بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة من ملوك كهلان ، فدانوا له ورجع أبو كرب إلى اليمن ، فقتله حمير وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك من بعد أبي كرب هذا فيما قال ابن إسحق ربيعة بن نصر بن الحرث بن نمارة بن لخم ولخم أخو جذام . وقال ابن هشام ويقال ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر . كان أبو حارثة تخلف باليمن بعد خروج أبيه ، وأقام ربيعة بن نصر ملكاً على اليمن بعد هؤلاء التابعين الذين تقدم ذكرهم ، ووقع له شأن الرؤيا المشهورة . قال الطبري عن ابن إسحق عن بعض أهل العلم أن ربيعة بن نصر رأى رؤيا هالته وفضع بها ، وبعث في أهل مملكته في الكهنة والسحرة والمنجمين وأهل العيافة ، فأشاروا عليه باستحضار الكاهنين المشهورين لذلك العهد في إباد وغسان ، وهما شقّ وسطيح . قال الطبري شقّ هو أبو صعب شكر بن وهب بن أمول بن يزيد بن قيس عبقري بن أنمار ، وسطيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذيب بن عدي بن مازن بن غسان ، ولوقوع اسم ذيب في نسبه كان يعرف بالذبيسي . فأحضرهما وقص عليهما رؤياه وأخبراه بتأويلها ، أن الحبشة يملكون بلاد اليمن من بعد ربيعة وقحطان بسبعين سنة ، ثم يخرج عليهم ابن ذي يزن من عدن فيخرجهم ، ويملك عليهم اليمن ، ثم تكون النبوة في قريش في بني غالب بن فهر . ووقع في نفس ربيعة أن الذي حدثه الكاهنان من أمر الحبشة كائن ، فجهز بنيته وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرداذ فأسكنهم الحيرة .

ومن بيت ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر . قال ابن إسحق ولما هلك ربيعة بن نصر اجتمع ملك اليمن لحسان بن تبان أسعد أبي كرب . قال السهيلي وهو الذي استباح طسماً كما ذكرناه ، وبعث على المقدمة عبد كهلان بن يثرب بن ذي حرب بن حارث بن ملك بن عبدان بن حجر بن ذي رعين . واسم ذي رعين يريم وهو ابن زيد الجمهور ، وقد مرّ نسبه إلى سبأ الأصغر . وقال السهيلي في أيام حسان تبع كان خروج عمرو بن مزيقيا من اليمن بالأزد ، وهو غلط من السهيلي لأن أبا كرب أباه إنما غزا المدينة فيما قال هو صريحاً للأوس والخزرج على اليهود وهو من غسان ونسبه إلى مزيقيا ، فعلى هذا يكون الذي استصرخه الأوس والخزرج على اليهود إنما هو من ملوك غسان كما يأتي في أخبارهم . قال ابن إسحق : ولما ملك حسان بن تبيع بن تبان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يظأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التابعة تفعل ، فكرهت حمير

وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم ، فكلّموا أخاً له كان معهم في
العسكر يقال له عمرو ، وقالوا له اقتل أخاك نملكك وترجع بنا إلى بلادنا . فتابعهم
على ذلك وخالفه ذورعين في ذلك ونهى عمراً عن ذلك ، فلم يقبل وكتب في
صحيفة وأودعها عنده :

ألا من يشتري سهرا بنوم
سعيد من بيت قرير عين
فأما حمير غدرت وخانت
فعذرة الاله لذي رعين
ثم قتل عمرو أخاه بعرضة لخم ، وهي رجة مالك بن طوق ، ورجع حمير إلى اليمن
فنع النوم عليه السهر ، وأجهد ذلك فشكى إلى الأطباء عدم نومه والكهان
والعرافين ، فقالوا ما قتل رجل أخاه إلا سلط عليه السهر . فجعل يقتل كل من أشار
عليه بقتل أخيه ولم يغنه ذلك شيئاً ، وهمّ بذي رعين فذكره شعره فكانت فيه
معذرتة ونجاته . وكان عمرو هذا يسمّى مؤثبان ، قال الطبري : لوثوبه على أخيه ،
وقال ابن قتيبة لقلّة غزوه ولزومه الوثب على الفراش . وهلك عمرو هذا لثلاث وستين
سنة من ملكه .

قال الجرجاني والطبري : ثم مرّج أمر^(١) حمير من بعده وتفرقوا ، وكان ولد حسان
تبع صغاراً لا يصلحون للملك وكان أكبرهم قد استهوت الجن ، فوثب على ملك
التبابعة عبد كلال مؤثبا فملك عليهم أربعاً وتسعين سنة ، وكان يدين بالنصرانية ، ثم
رجع ابن حسان تبع من استهواء الجن فملك على التبابعة . قال الجرجاني ملك ثلاثاً
وسبعين سنة وهو تبع الأصغر ذو المغازي والاثار البعيدة . قال الطبري : وكان أبوه
حسان تبع قد زوج بنته من عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية من ملوك
كندة ، فولدت له ابنة الحرث بن عمرو ، فكان ابن تبع بن حسان هذا ، فبعثه على
بلاد معدّ ، وملك على العرب بالحيرة مكان آل نصر بن ربيعة . قال وانعقد الصلح
بينه وبين كيقباد ملك فارس على أن يكون الفرات حدّاً بينهم ، ثم أغارت العرب
بشرقي الفرات ، فعاتبه على ذلك ، فقال لا أقدر على ضبط العرب الا بالمال
والجند ، فأقطعه بلاداً من السواد ، وكتب الحرث إلى تبع يغريه بملك الفرس ،
وتضعيف أمر كيقباد ، فغزاهم . وقيل إنّ الذي فعل ذلك هو عمرو بن حجر أبوه
الذي ولاه تبع أبو كرب ، وأنه أغراه بالفرس واستقدمه إلى الحيرة ، فبعث عساكره
مع ولده الثلاثة إلى الصغد والصين والروم ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

(١) مرج الامر : ضيّعه ولم يحكمه .

قال الجرجاني : ثم ملك بعد تبع بن حسان تبع أخوه لأمه وهو مدثر بن عبد كلال ، فملك إحدى وأربعين سنة . ثم ملك من بعده ابنه وليعة بن مدثر سبعا وثلاثين سنة . ثم ملك من بعده أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شيبه بن مدثر قيلف بن يعلق بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن ذي أصبح الحرث بن مالك ، أخوذي رعين ، وكعب أبو سبا الأصغر . قال الجرجاني : وبعض الناس يزعم أن أبرهة بن الصباح إنما ملك تهامة فقط . قال : ثم ملك من بعده حسان بن عمرو بن تبع بن ملكي كرب سبعا وخمسين سنة ، ثم ملك لخيتعة^(٢) ولم يكن من أهل بيت المملكة . قال ابن إسحق ولما ملك لخيتعة غلب عليهم ، وقتل خيارهم ، وعبث برجالات بيوت المملكة منهم ، قيل إنه كان ينكح ولدان حمير ، يريد بذلك أن لا يملكوا عليهم ، وكانوا لا يملكون عليهم من نكح ، نقله ابن إسحق . وقال أقام عليهم مملكا سبعا وعشرين سنة ، ثم وثب عليه ذو نواس زرة تبع بن تبان أسعد أبي كرب ، وهو حسان أبي ذي معاهر فيما قال ابن إسحق ، وكان صبياً حين قتل حسان ثم شب غلاماً جميلاً ذاهية وفضل ووضاعة ففتك بالخيتعة^(١) في خلوة اراده فيها على مثل فعلاته القبيحة ، وعلمت به حمير وقبائل اليمن فلكوه واجتمعوا عليه ، وجدد ملك التبابعة ، وتسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية ، وكانت مدته فيما قال ابن إسحق ثمانية وستين سنة ، الى هنا اهـ ترتيب ابى الحسن الجرجاني . ثم قال : وقال آخرون ملك بعد أفريقش بن أبرهة قيس بن صيفي ، وبعده الحرث بن قيس بن مياس ، ثم ماء السماء بن ممره ثم شرحبيل وهو يصحب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن علي بن الهمال بن المنثلم بن جهيم ، ثم الصعب بن قرين بن الهمال بن المنثلم ، ثم زيد بن الهمال ، ثم ياسر بن الحرث بن عمرو بن يعفر ، ثم زهير بن عبد شمس أحد بني صيفي بن سبا الأصغر وكان فاسقا مجرماً يفتض أبكار حمير حتى نشأت بلقيس بنت الإشرع بن ذي جدن بن الإشرع بن الحرث بن قيس بن صيفي فقتلته غيلة ، ثم ملك . ولما أخذها سليمان ملك لمك بن شرحبيل ، ثم ملك ذو وداغ فقتله ملكي كرب بن تبع بن الأقرن وهو أبو ملك ، ثم هلك . فملك أسعد بن

(٢) قوله لخيتعة وقيل اسمه لخيعه بن بنوف وهو هكذا في القاموس قاله نصر . وقد ذكره ابن الأثير في كتاب الكامل باسم لخيتعة .

(١) في نسخة أخرى وفي مكان آخر : لخيتعة .

قيس بن زيد بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي بن سبا ، وهو أبو كرب ، ثم ملك حسّان ابنه فقتله عمرو أخوه ووقع الاختلاف في حمير ، ووثب على عمرو الخثيعة ينوف ذو الشناتر وملك . ثم قتله ذو نواس بن تبع وملك . اهـ كلام الجرجاني .

وزعم ابن سعيد ونقله من كتب مؤرخي المشرق أنّ الحرث الرايش هو ابن ذي شدّد ويعرف بذي مدائر ، وأنّ الذي ملك بعده ابنه الصعّب وهو ذو القرنين ، ثم ابنه أبرهة بن الصعّب وهو ذو المنار ، ثم العبد ذو الأشفارا بن أبرهة بن عمرو ذي الأذعار ابن أبرهة ، ثم قتلته بلقيس . قال في التيجان : إنّ حمير خلعه ، وملكوا شرحبيل ابن غالب بن المتّاب بن زيد بن يعفر بن السكسك بن وائل وكان بمأرب ، فجازبه ذو الأذعار وحارب ابنه الهذهاد بن شرحبيل من بعده ، وابنته بلقيس بنت الهذهاد الملكة من بعده ، فصالحته على التزويج وقتلته ، وغلبها سليمان عليه السلام على اليمن إلى أن هلك وابنه رَجَبَم من بعده . واجتمعت حمير من بعده على مالك بن عمرو ابن يعفر بن عمرو بن حمير بن المتّاب بن عمرو بن يزيد بن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير ، وملك بعده ابنه شمر يرعش وهو الذي خرّب سمرقند ، وملك بعده ابنه صيفي بن شمر على اليمن ، وسار أخوه أفریقش بن شمر إلى أفريقية بالبربر وكنعان فملكها . ثم انتقل الملك إلى كهلان وقام به عُمران بن عامر ماء السماء بن حارثة امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وكان كاهنا ، ولما احتضر عهد إلى أخيه عمرو بن عامر المعروف بمزريقا وأعلمه بخراب سد مأرب وهلاك اليمن بالسيل ، فخرج من اليمن بقومه وأصحاب اليمن سيل العرم فلم ينتظم لبني قحطان بيعته ، واستولى على قصر مأرب من بعده ربيعة بن نصر . ثم رأى رؤيا ونذر بملك الحبشة وبعث ولده إلى العراق وكتب إلى سابور الأشعاني فأسكنهم الحيرة وكثرت الخوارج باليمن . فاجتمعت حمير على أن تكون لأبي كرب أسعد بن عدي بن صيفي فخرج من ظفار وغلب ملوك الطوائف باليمن ، ودوّخ جزيرة العرب ، وحاصر الأوس والخزرج بالمدينة ، وحمل حمير على اليهودية ، وطالت مدّته وقتلته حمير . وملك بعده ابنه حسّان الذي أباد طسماً ، ثم قتله أخوه عمرو بمداخلة حمير ، وهلك عمرو . فملك بعده أخوه لأبيه عبد كلال بن منوب ، وفي أيامه خلع سابور أكتاف العرب . وملك بعده تبع بن حسّان وهو الذي بعث ابن أخيه الحرث بن عمرو

الكندي إلى أرض بني مَعَدَّ بن عدنان بالحجاز فملك عليهم . وملك بعده مُرثِد بن عبد كلال . ثم ابنه وليعة وكثرت الخوارج عليه ، وغلب أبرهة بن الصَّبَّاح على تهامة اليمن ، وكان في ظَفَّار دار التبابعة حَسَّان بن عمرو بن أبي كرب ، ثم وثب بعده على ظَفَّار ذُو شَنَاتِر ، وقتله ذُو نُوَاس كما مرَّ ، هذا ترتيب ابن سعيد في ملوكهم .

وعند المسعودي : أنه لما هلك كليكرب بن تَبَّع المعروف بالأقرن ، قال وهو الذي سار قومه نحو خُرَّاسَانَ والصغد والصين ، وولي بعده حسان بن تَبَّع ، فاستقام له الأمر خمسا وعشرين سنة ، ثم قتله أخوه عمرو بن تبع ، وملك أربعاً وستين سنة ، ثم تبع أبو كَرَب وهو الذي غزا يَثْرِب وكسا الكعبة بعد أن أراد هدمها ، ومنعه الخبران من اليهود ، وتهود وملك مائة سنة . ثم بعده عمرو بن تبع أبي كَرَب ، وخلع وملكوا مرثد بن عبد كلال ، واتصلت الفتن باليمن أربعين سنة . ومن بعده وليعة بن مُرثِد تسعاً وثلاثين سنة . ومن بعده أِبْرَهَة بن الصَّبَّاح بن وليعة بن مُرثِد ، ويدعى شيبة الحمد ثلاثاً وتسعين سنة ، وكانت له سير وقصص . ومن بعده عمرو ذُو قَيْقَانَ تسع عشرة سنة . ومن بعده لخيتعة ذُو شَنَاتِر ومن بعده ذُو نُوَاس .

وأما ابن الكلبي والطبري وابن حَزْم فعندهم أن تبع أسعد أبي كَرَب هو ابن كليكرب بن زَيْد الأقرن ابن عمرو بن ذي الأذعار بن أِبْرَهَة ذي المنار الرايش بن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر . وقال السُّهَيْلِيّ أنه أسقط أسماء كثيرة وملوكا . وقال ابن الكلبي وابن حزم : ومن ملوك التبابعة أفریقش بن صيفي ، ومنهم شَمْر يَرْعَش ابن ياسر يَنْعَم بن عمرو ذي الأذعار ، ومنهم بَلْقِيس ابنة اليَشْرُح بن ذي جَدَن بن اليَشْرُح بن الحَرث الرايش بن قَيْس بن صَيْفِي . ثم قال ابن حزم بعد ذكر هؤلاء من التبابعة : وفي أنسابهم اختلاف وتحليل وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة ، ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلاَّ طرف يسير لاختلاف روايتهم وبعد العهد اهـ . وقال الطبري لم يكن للملوك اليمن نظام وإنما كان الرئيس منهم يكون ملكا على مخالفه لا يتجاوزه ، وإن تجاوز بعضهم عن مخالفه بمسافة يسيرة من غير أن يرث ذلك الملك عن آبائه ولا يرثه أبناؤه عنه إنما هو شأن شدَّاد المتلصصة يغيرون على النواحي باستغفال أهلها ، فإذا قصدتهم الطلب لم يكن لهم ثبات ، وكذلك كان أمر ملوك اليمن يخرج أحدهم من مخالفه بعض الأحيان ويبعد في الغزو والإغارة فيصيب ما يمر به ، ثم يتشمَّر عند خوف الطلب زاحفا إلى مكانه من غير أن يدين له أحد من غير مخالفه

بالطاعة أو يؤدّي إليه خراجاً اهـ .

وأما الخبر عن ذي نُوَاس وما بعده فاتفق أهل الأخبار كلهم أنّ ذا نُوَاس هو ابن تَبان أسعد واسمه زرة ، وأنه لما تغلب على ملك آبائه التبابعة ، تسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية ، وحمل عليه قبائل اليمن ، وأراد أهل نَجْران عليها ، وكانوا من بين العرب يدينون بالنصرانية ولهم فضل في الدين واستقامة . وكان رئيسهم في ذلك يسمّى عبدالله بن الثامر ، وكان هذا الدين وقع اليهم قديماً من بقية أصحاب الحوارين من رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له ميمون نزل فيهم ، وكان مجتهداً في العبادة ، بحجاب الدعوة ، وظهرت على يده الكرامات في شفاء المرضى ، وكان يطلب الخفاء عن الناس جهده ، وتبعه على دينه رجل من أهل الشام اسمه صالح ، وخرجا فارّين بأنفسهما ، فلما وطئا بلاد العرب اختطفتهما سيارة فباعوهما بنجران ، وهم يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، ويلقون عليها في الأعياد من حلّيم وثياهم ، ويعكفون عليها أياماً . وافترقا في الدير على رجلين من أهل نجران ، وأعجب سيد ميمون صلاته ودينه وسأله عن شأنه ، فدعاه إلى الدين وعبادة الله ، وأنّ عبادة النخلة باطل ، وأنه لو دعا معبوده عليها هلك . فقال له سيده إن فعلت دخلنا في دينك . فدعا ميمون فأرسل الله ريحاً فجعلت النخلة من أصلها ، وأطبق أهل نجران على أتباع دين عيسى صلوات الله عليه . ومن رواية ابن إسحق أنّ ميمون نزل بقرية من قرى نجران ، وكان يمرّ به غلمان أهل نجران ، يتعلمون من ساحر كان بتلك القرية ، وفي أولئك الغلمان عبدالله بن الثامر ، فكان يجلس إلى ميمون ، ويسمع منه فأمن به واتبعه ، وحصل على معرفة اسم الله الاعظم ، فكان بحجاب الدعوة لذلك ، واتبعه الناس على دينه ، وأنكر عليه ملك نجران وهمّ بقتله . فقال له : لن تطيق حتى تؤمن وتوحد فأمن ثم قتله ، فهلك ذلك الملك مكانه ^(١) . واجتمع أهل نجران

(١) العبارة هنا غير واضحة تماماً وهي اوضح عند الطبري في كتابه تاريخ الملوك والأمم الجزء ٢ ص ١٠٥ : « ... لم يبق احد بنجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك ، قال : لا تقدر على ذلك . فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض ليس به بأس فلما غلبه قال عبدالله بن الثامر : إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فانك ان فعلت ذلك سلطت عليّ فقتلتني ، فوجد الله ذلك الملك وشهد بشهادة عبدالله بن الثامر ثم ضربه بعضا في يده فشجّه شجرة غير كبيرة فقتله ، فهلك الملك مكانه ... »

على دين عبدالله بن الثامر ، وأقام أهل نجران على دين عيسى صلوات الله عليه ، حتى دخلت عليهم في دينهم الأحداث . ودعاهم ذونواس إلى دين اليهودية ، فأبوا . فسار إليهم في أهل اليمن وعرض عليهم القتل فلم يزدتهم إلا جاحاً ، فحدّد لهم الأخاديد ، وقتل وحرّق حتى أهلك منهم فيما قال ابن إسحق عشرين ألفاً أو يزيدون ، وأفلت منهم رجل من سبا يقال له دَوْس ذو ثُعْلَبَان فسلك الرمل على فرسه وأعجزهم .

مَلِكُ الْحَبَشَةِ الْيَمَنَ

قال هشام بن محمد الكلبيّ في سبب غزو ذي نواس أهل نجران أنّ يهودياً كان بنجران أفعدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً ، فرفع أمره إلى ذي نواس ، وتوسّل له باليهودية واستنصره على أهل نجران وهم نصارى ، فحمي له ولدينه وغزاهم . ولما أفلت دَوْس ذو ثُعْلَبَان فقدم على قَيْصَر صاحب الروم يستنصره على ذي نواس ، واعلمه بما ركب منهم وأراه الإنجيل قد احترق بعضه بالنار ، فكتب له إلى النَجَاشِيّ يأمره بنصره ، وطلب بثّاره ، وبعث معه النَجَاشِيّ سبعين ألفاً من الحبشة . وقيل إنّ صريخ دَوْس كان أولاً للنَجَاشِيّ ، وإنه اعتذر إليه بقلة السفن لركوب البحر ، وكتب إلى قَيْصَر وبعث إليه بالإنجيل المحرق ، فجاءته السفن وأجاز فيها العساكر من الحبشة ، وأمر عليهم أرباطاً رجلاً منهم ، وعهد إليه بقتلهم وسيهم وخراب بلادهم فخرج أرباط لذلك ومعه أبرهة الأشرم فركبوا البحر ، ونزلوا ساحل اليمن . وجمع ذونواس حَمِير ومن أطاعه من أهل اليمن على افتراق واختلاف في الأهواء ، فلم يكن كبير حرب وانهمزوا . فلما رأى ذونواس ما نزل به وبقومه وجه بفرسه إلى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه وخاض ضحصاص البحر . ثم أفضى به إلى غمرة فأقحمه فيه ، فكان آخر العهد به ، ووطىء أرباط اليمن بالحبشة ، وبعث إلى النجاشي بثلاث السبي كما عهد له ، ثم أقام بها فضبطها وأذل رجالات حَمِير ، وهدم حصون الملك بها مثل سلجيق وسون وغمدان ، وقال ذو يزن يرثي حَمِير وقصور الملك باليمن :

لَا تَهْلِكُنْ أَسْفًا فِي إِثْرٍ مِنْ مَاتَا
وَبَعْدَ سَلْجِيقَ يَبْنِي النَّاسُ أَبْيَاتَا

هَوْنُكَ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فَاتَا
أُبْعَدُ سُونُ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ

وفي رواية هشام بن محمد الكلبي أَنَّ السفن قدمت على النَّجَاشِيِّ من قَيْصَر ، فحمل فيها الحبش ونزلوا بساحل اليمن ، واستجاش ذو نُوَاس بأَقْيَال حِمِير فامتنعوا من صريخه وقالوا : كل أحد يقاتل عن ناحيته . فألقى ذو نُوَاس باليد ولم يكن قتال . وأنه سار بهم إلى صَنْعَاء ، وبعث عماله في النواحي لقبض الأموال ، وعهد بقتلهم في كل ناحية ، فقتلوا . وبلغ ذلك النَّجَاشِيَّ فجَهَّز إلى اليمن سبعين ألفاً ، وعليهم أَبْرَهَة فبلغوا صَنْعَاء ، وهرب ذو نُوَاس واعترض البحر فكان آخر العهد به . وملك أبرهة اليمن ولم يبعث إلى النَّجَاشِيَّ بشيء وذكر له أنه خلع طاعته فوجه جيشاً من أصحابه عليهم أَرْبَاط . ولما حلَّ بساحته دعاه إلى النصفة والتزال فتبارزا وخدعه أَبْرَهَة ، وأكمن عبداً له في موضع المبارزة ، فلما التقيا ضربه أَرْبَاط فشرم أنفه ، وسمي الأَشْرَم وخالفه العبد من الكمين فضرب أَرْبَاطاً فأنفذه ، وبلغ النَّجَاشِيَّ خبر أَرْبَاط فعلف ليريقن دمه (١) . ثم كتب إليه أَبْرَهَة واسترضاه فرضي عليه واقره على عمله .

وقال ابن إسحق إِنَّ أَرْبَاط هو الذي قدم اليمن أولاً وملكه وانتقض عليه أَبْرَهَة من بعد ذلك ، فكان ما ذكرنا من الحرب بينهما وقتل أَرْبَاط ، وغضب النَّجَاشِيَّ لذلك ثم أرضاه واستبدَّ أبرهة بملك اليمن .

ويقال إِنَّ الحبشة لما ملكوا اليمن أمر أَبْرَهَة بن الصَّبَّاح ، وأقاموا في خدمته . قاله ابن سلام : وقيل إِنَّ مَلِك حِمِير لما انقرض أمر التبابعة صار متفرقاً في الأذواء من وُلْد زَيْد الجُمُهور . وقام بملك اليمن منهم ذُو يَزَن من وُلْد مَالِك بن زَيْد . قال ابن حَزَم : واسمه عَلَس بن زَيْد بن الحَرْث بن زَيْد الجُمُهور . وقال ابن الكلبي وأبو الفَرَج الأَصْبَهَانِي : هو عَلَس بن الحَرْث بن زَيْد بن الغوث بن سَعْد بن عَوْف بن عَدِي بن مَالِك بن زَيْد الجُمُهور . قالوا كلهم : ولما ملك ذُو يَزَن بعد مهلك ذي نُوَاس واستبدَّ أمر الحبشة على أهل اليمن ، طالبوهم بدم النصاري الذين في أهل نَجْرَان ، فساروا إليه وعليهم أَرْبَاط ، ولقيهم فيمن معه فانهزم واعترض البحر ، فأقحم فرسه وغرق فهلك بعد ذي نُوَاس ، وولي ابنه مُرَيْد بن ذي يَزَن مكانه ، وهو الذي استجاشه امرؤ القيس على بني أَسَد وكان من عقب ذي يَزَن أيضاً ، من هؤلاء الأذواء عُلَقَمَة ذُو قَيْفَال بن شَرَّاحِيل بن ذي يَزَن ، وملك مدينة الهَوْن فقتله أهلها من هَمْدَان اهـ . ولما استقرَّ أبرهة في ملك اليمن أساء السير في حِمِير ، ورؤسائهم وبعث في رَيْحَانَة بنت عُلَقَمَة بن

(١) الضمير يعود إلى أبرهة .

مالك بن زيد بن كهلان فانتزعها من زوجها أبي مرة بن ذي يزن ، وقد كانت ولدت منه ابنه معديكرب ، وهرب أبو مرة ، ولحق بأطراف اليمن واصطفى أبرهة ريحانة فولدت له مسروق بن أبرهة وأخته بسباسة . وكان لأبرهة غلام يُسمى عمددة ، وكان قد ولّاه الكثير من أمره ، فكان يفعل الأفاعيل حتى عدا عليه رجل من حمير أو خثعم فقتله وكان حليماً فأهدر دمه .

غزو الحبشة الكعبة

ثم إن أبرهة بن كنيصة بصنعاء تسمى القليس لم ير مثلاً وكتب إلى النجاشي بذلك ، وإلى قيصر في الصناع والرّخام والفسيفساء ، وقال لست بمتمته حتى أصرف إليها حج العرب . وتحدث العرب بذلك فغضب رجل من السادة ، أحد بني فقيم ، ثم أحد بني مالك ، وخرج حتى أتى القليس فقعدها فيها ، ولحق بأرضه . وبلغ أبرهة وقيل له الرجل من البيت الذي يحج إليه العرب ، فحلف ليسيرن إليه يهدمه . ثم بعث في الناس يدعوهم إلى حج القليس ، فضرب الداعي في بلاد كنانة بسهم فقتل . وأجمع أبرهة على غزو البيت وهدمه ، فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل . فلقيه ذو نفر الحميريّ وقاتله فهزمه وأسرّه ، واستبقاه دليلاً في أرض العرب . قال ابن إسحق : ولما مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فأتوه بالطاعة وبعثوا معه أبا رغال دليلاً ، فأنزله الغميس بين الطائف ومكة فهلك هنالك ورجمت العرب قبره من بعد ذلك قال جرير :

إِذَا مَاتَ الْفَرَزْدَقُ فَارْجُمُوهُ كَمَا تَرْمُونَ قَبْرَ أَبِي رِغَالٍ

ثم بعث أبرهة خيلاً من الحبشة ، فانتهوا إلى مكة ، واستاقوا أموال أهلها ، وفيها مائتا بعير لعبد المطلب وهو يومئذ سيد قريش ، فهموا بقتاله ثم علموا أن لا طاقة لهم به فاقصروا . وبعث أبرهة حنافة الحميريّ إلى مكة يعلمهم بمقصده من هدم البيت ، ويؤذنه بالحرب إن اعترضوا دون ذلك ، وأخبر عبد المطلب بذلك عن أبرهة ، فقال له : والله ما نريد حربه ، وهذا بيت الله فان يمنعه فهو بيته وان يخلي عنه فما لنا نحن من دافع . ثم انطلق به إلى أبرهة ، ومرّ بذي نفر وهو أسير ، فبعث معه إلى سائس الفيل ، وكان صديقاً لذي نفر ، فاستأذن له على أبرهة ، فلما رآه جلّه ونزل عن سريه ، فجلس معه على بساطه . وسأله عبد المطلب في الإبل . فقال له أبرهة هلا

سألت في البيت الذي هو دينك ودين آبائك وتركت البعير . فقال عبد المطلب : أنا ربّ الإبل وللييت ربّ سيمنعه . فردّ عليه إبله . قال الطبريّ : وكان فيما زعموا قد ذهب مع عبد المطلب عمرو بن لُعابة بن عدي بن الرمل سيّد كنانة ، وخُوَيْلِد بن وائل سيّد هُذَيْل ، وعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ويرجع عن هدم البيت ، فأبى عليهم ، فانصرفوا . وجاء عبد المطلب وأمر قريشاً بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب للتحرّز فيها ، ثم قام عند الكعبة ممسكاً بحلقة الباب ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه ، وعبد المطلب ينشد ويقول :

لا همّ إنّ العبد	يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبنّ صليهم	ومحالمهم أبداً محالك
وانصر على آل الصليب	وعابديه اليوم آلك

في أبيات معروفة .

ثم أرسل الله عليهم الطير الأبايل من البحر ، ترميهم بالحجارة فلا تصيب أحداً منهم إلاّ هلك مكانه ، وأصابه في موضع الحجر من جسده كالجدري والحصبة فهلك ، وأصيب أبرهة في جسده بمثل ذلك ، وسقطت أعضاؤه عضواً عضواً ، وبعثوا بالفيل ليقدم على مكة فربض ولم يتحرك فنجا . واقدم فيل آخر فحصب ^(١) وبعث الله سيلاً مجحفاً فذهب بهم ، وألقاهم في البحر . ورجع أبرهة إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فانصدغ صدره عن قلبه ومات .

ولمّا هلك أبرهة ملك مكانه ابنه يكسوم وبه كان يكنى واستفحل ملكه وأذلّ حمير وقبائل اليمن ووطئتهم الحبشة ، فقتلوا رجالهم ونكحوا نساءهم واستخدموا أبناءهم . ثم هلك يكسوم بن أبرهة فملك مكانه أخوه مسروق ، وساءت سيرته وكثر عسف الحبشة باليمن ، فخرج ابن ذي يزن واستجاش عليهم بكسرى ، وقدم اليمن بعساكر الفرس ، وقتل مسروقاً وذهب أمر الحبشة بعد أن توارث ملك اليمن منهم أربعة في اثنتين وسبعين سنة أولهم أرباط ، ثم أبرهة ، ثم ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة .

(١) أي ضرب بالحصاء .

قصة سيف بن ذي يزن وملك الفرس على اليمن

ولما طال البلاء من الحبشة على أهل اليمن ، خرج سيف بن ذي يزن الحِميريّ من الأذواء بقية ذلك السلف ، وعقب أولئك الملوك ، وديال الدولة المفوض للخمود . وقد كان أبرهة انتزع منه زوجته ريحانة بعد أن ولدت منه ابنه مَعْدٍ يَكْرِبُ كما مرّ . ونسبه فيما قال الكلبيّ سيف بن ذي يزن بن عافر بن أسلم بن زيد بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور ، هكذا نسبه ابن الكلبيّ ، ومالك بن زيد هو أبو الأذواء . فخرج سيف وقدم على قيصر ملك الروم وشكى إليه أمر الحبشة ، وطلب أن يخرجهم ويبعث على اليمن من شاء من الروم ، فلم يسعفه عن الحبشة ، وقال الحبشة على دين النصارى . فرجع إلى كسرى وقدم الحيرة على النعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها من أرض العرب ، فشكى إليه ، واستمعله النعمان إلى حين وفادته على كسرى ، وأوفد معه وسأله النصر على الحبشة وأن يكون ملك اليمن له . فقال : بعدت أرضك عن أرضنا ، أو هي قليلة الخير إنما هي شاءٌ وبغير ولا حاجة لنا بذلك . ثم كساه وأجازه ، فنثر دنانير الاجازة ونهبها الناس يوهم الغنى عنها بما في أرضه . فأنكر عليه كسرى ذلك . فقال : جبال أرضي ذهب وفضة ، وإنما جئت لتمنعي من الظلم . فرغب كسرى في ذلك ، وأمهله للنظر في أمره ، وشاور أهل دولته ، فقالوا في سجونك رجال حبستهم للقتل ابعثهم معه فإن هلكوا كان الذي أردت بهم ، وإن ملكوا كان ملكاً إزددته إلى ملكك . وأحصوا ثمانمائة وقدم عليهم أفضلهم وأعظمهم بيتاً وأكبرهم نسباً وكان وَهْرَزُ الدَّيْلَمِيِّ .

وعند المسعودي وهشام بن محمد والسَّهَيْلِيُّ أن كسرى وعده بالنصر ولم ينصره وشغل بحرب الروم ، وهلك سيف بن ذي يزن عنده ، وكبر ابنه ابن رِيحَانَةَ وهو مَعْدٍ يَكْرِبُ وعرفته أمّه بأبيه ، فخرج ووفد على كسرى يستنجزه في النصرة التي وعد بها أباه ، وقال له : أنا ابن الشيخ اليمني الذي وعدته . فوهبه الدنانير ونثرها إلى آخر القصة . وقيل إن الذي وفد على كسرى وأباد الحبشة هو النعمان بن قَيْس بن عُبَيْد بن سَيْف بن ذي يزن . قالوا ولما كتبت الفرس مع وَهْرَزُ وكانوا ثمانمائة ، وقال ابن قتيبة كانوا سبعة آلاف وخمسمائة ، وقال ابن حَزْم كان وَهْرَزُ من عقب جاماسب عمّ أنوشروان ، فأمره على أصحابه وركبوا البحر ثمان سفائن فغرقت منها سفيتان وخلصت ست إلى

ساحل عدن . فلما نزلوا بأرض اليمن ، قال وَهَزَرَ لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئت من قوس عربي ورجلي مع رجلك حتى نظفر أو نموت . قال أنصفت . وجمع ابن ذي يَزَن من استطاع من قومه ، وسار إليه مسروق بن أْبْرَهَةَ في مائة ألف من الحبشة وأوباش اليمن ، فتوافقوا للحرب ، وأمر وَهَزَرَ ابنه أن يناوشهم القتال فقتلوه ، وأحفظه ذلك . وقال : أروني ملكهم . فأروه إياه على الفيل عليه تاجه وبين عينيه ياقوتة حمراء ثم نزل عن الفيل إلى الفرس ، ثم إلى البغلة . فقال وَهَزَرَ ، ركب بنت الحمار ، ذَلَّ وذَلَّ ملكه . ثم رماه بسهم فصكَّ الياقوتة بين عينيه ، وتغلغل في دماغه ، وتنگس عن دابته وداروا به ، فحمل القوم عليهم وانهزم الحبشة في كل وجه ، وأقبل وهزرا إلى صنعاء ، ولما أتى بابها قال : لا تدخل رايتي منكوسة . فهدم الباب ، ودخل ناصبا رايته فللك اليمن ونفى عنها الحبشة وكتب بذلك إلى كسرى وبعث إليه بالأموال . فكتب إليه أن يملك سيف بن ذي يَزَن على اليمن على فريضة يؤدِّيها كل عام ففعل ، وانصرف وهزرا إلى كسرى .

وملك سيف اليمن وكان أبوه من ملوكها وخلف وهزرا نائباً على اليمن في جماعة من الفرس ضمهم إليه وجعله لنظر ابن ذي يَزَن وأنزله بصنعاء . وانفرد ابن ذي يَزَن بسلطانه ، ونزل قصر الملك وهو رأس غَمْدَان ، يقال إِنَّ الصَّحَّاك بناه على اسم الزَّهْرَةَ وهو أحد البيوت السبعة الموضوعة على أسماء الكواكب وروحانياتها ، خرب في خلافة عثمان قاله المسعودي .

وقال السَّهَيْلِيُّ : كانت صَنْعَاء تسمى أوال ، وصنعاء اسم بانيتها صنعاء بن أوال بن عَمَيْر بن عَابِر بن شَالِخ . ولَمَّا استقل ابن ذي يَزَن بملك اليمن وفدت العرب عليه يهنوه ^(١) بالملك ، ولما رجع من سلطان قومه وأباد من عدوهم ، وكان فيمن وفد عليه مشيخة قُرَيْش وعظماء العرب لعهدهم من أبناء إِسْمَاعِيل وأهل بيتهم المنصوب لحجهم ، فوفدوا في عشرة من رؤوسائهم فيهم عبد المطلب ، فأعظمهم سيف وأجلهم وأوجب لهم حقهم ووفر من ذلك قسم عبد المطلب من بينهم . وسأله عن بنيه حتى ذكر له شأن النبي صلى الله عليه وسلم وكفالاته إياه بعد موت عبدالله أبيه عاشر ولد عبد المطلب ، فأوصاه به وحضه على الإبلاغ في القيام عليه ، والتحفظ به

(١) الصحيح ان يقول : « وفدت العرب عليه يهنوه أو «تهنيه» لان الفعل من الأفعال الخمسة ولم يتقدم عليه ما يوجب حذف النون . »

من اليهود وغيرهم ، وأسّر إليه البشري بنبوته وظهور قريش قومهم على جميع العرب .
وأسنى جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمتها لبعدها غايتها في المهمة ، وعلو
نظرها في كرامة الوفد ، وبقاء آثار الترف في الصبابة شاهد لشرافة الحال في الأول .
ذكر صاحب الأعلام وغيره أنه أجاز سائر الوفد بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشرة
وصائف وعشرة أرطال من الورق والذهب وكرش مليء من العنبر وأضعاف ذلك
بعشرة أمثاله لغبد المطلب .

قال ابن إسحق : ولما انصرف وهزّر إلى كسرى غزا سيف على الحبشة وجعل يقتل
ويقر بطون النساء ، حتى إذا لم يبق إلا القليل جعلهم خولا واتخذ منهم طواوير يسعون
بين يديه بالحرب ، وعظم خوفهم منه . فخرج يوما وهم يسعون بين يديه ، فلما
توسطهم وقد انفردوا به عن الناس ، رموه بالحرب فقتلوه ، ووثب رجل منهم على
الملك . وقيل ركب خليفة وهزّر فيمن معه من المسلحة ، واستلحم الحبشة وبلغ ذلك
كسرى ، فبعث وهزّر في أربعة آلاف من الفرس وأمره بقتل كل أسود أو منتسب إلى
أسود ولو جعداً قطعاً ففعل ، وقتل الحبشة حيث كانوا ، وكتب بذلك إلى كسرى ،
فأمره على اليمن فكان يجيبه له حتى هلك . واستضافت حشابة ملك الحِميريين بعد
مهلك ابن ذي يزن وأهل بيته إلى الفرس ، وورثوا ملك العرب وسلطان حِمير باليمن
بعد أن كانوا يزاحمونهم بالمناكب في عراقهم ، ويجوسونهم بالغزو خلال ديارهم . ولم
يبق للعرب في الملك رسم ولا طلل إلا أقبالا من حِمير وقحطان رؤساء في أحيائهم
بالبدو لا تعرف لهم طاعة ، ولا ينفذ لهم في غير ذاتهم أمر ، إلا ما كان لكهلان
إخوتهم بأرض العرب من ملك آل المنذر من لخم على الحيرة والعراق بتولية فارس ،
وملك آل جفنة من غسان على الشام بتولية آل قيصر كما يأتي في أخبارهم .

وقال الطبري : لما كانت اليمن لكسرى بعث إلى سَرَنْدِيب من الهند قائداً من قواده ،
ركب إليها البحر في جند كثيف ، فقتل ملكها واستولى عليها ، وحمل إلى كسرى منها
أموالا عظيمة وجواهر . وكان وهزّر يبعث العير إلى كسرى بالأموال والطيوب ، فتمرّ
على طريق البحرين تارة وعلى أرض الحجاز أخرى . وعدا بنو تميم في بعض الأيام
على عيره بطريق البحرين ، فكتب إلى عامله بالانتقام منهم ، فقتل منهم خلقا كما
يأتي في أخبار كسرى . وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرّت بهم ، وكان
في جوار رجل من أشراف العرب من قَيْس ، فكانت حرب الفجّار بين قيس وكنانة

بسبب ذلك وشهدا النبي صلى الله عليه وسلم وكان ينبل فيها على أعمامه أي يجمع لهم النبل .

قال الطبري : ولما هلك وهزأ أمر كسرى من بعده على اليمن ابنه المرزبان ، ثم هلك فأمر حافده خَرَجِسْرُوبن التيجان بن المرزبان ، ثم سخط عليه وحمل إليه مقيدا ، ثم أجاره ابن كسرى وخلق سبيله ، فعزله كسرى وولى باذان فلم يزل إلى أن كانت البعثة وأسلم باذان وفشا الإسلام باليمن كما نذكره عند ذكر الهجرة وأخبار الإسلام باليمن . هذا آخر الخبر عن ملوك التبابعة من اليمن ومن ملك بعدهم من الفُرس ، وكان عدد ملوكهم فيما قال المسعودي سبعة وثلاثين ملكا في مدة ثلاثة آلاف ومائتي سنة إلا عشراً ، وقيل أقل من ذلك . فكانوا يتزلون مدينة ظَفَّار . قال السُّهَيْلِيّ زمار وظفَّار اسمان لمدينة واحدة ، يقال بناها مالك بن أبرهة وهو الأملوك ويسمى مالك وهو ابن ذي المنار ، وكان على بابها مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود :

يوم شيدت ظفار فقل لمن	أنت فقالت لخير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت	ان ملكي اجابش الاشار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت	ان ملكي لفارس الاحرار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت	ان ملكي لقريش النجار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت	ان ملكي لخير سنجار
وقليلا ما يلبث القوم فيها	غير تشييدها لحامي البوار
من أسود يلقيهم البحر فيها	تشعل النار في أعالي الجدار

ولم تزل مدينة ظَفَّار هذه منزلا للملوك ، وكذلك في الإسلام صدر الدولتين ، وكانت اليمن من أرفع الولايات عندهم ، بما كانت منازل العرب العاربة ، وداراً للملوك العظماء من التبابعة والأقيال والعباهلة . ولما انقضى الكلام في أخبار حمير وملوكهم باليمن من العرب ، استدعى الكلام ذكر معاصريهم من العجم على شرط كتابنا لنستوعب أخبار الخليقة ، ونميز حال هذا الجيل العربي من جميع جهاته ، والأمم المشاهير من العجم الذين كانت لهم الدول العظيمة لعهد الطبقة الأولى والثانية من العرب وهم النبط والسريانيون أهل بابل ، ثم الجَرَّامِقَة أهل الموصل ، ثم القبط ، ثم بنو اسرائيل والفرس ويونان والروم ، فلنأت الآن بما كان لهم من الملك والدولة وبعض أخبارهم على اختصار ، والله ولي العون والتوفيق ، لا رب غير ولا مأمول إلا خيره .

٣ زرعة ذو نولاس - بن تبان بن أسعد أبي كرب بن كلبكرب بن تبع الاقون بن زيد - بن عمر ذي الاذعار ابن ابرهة ذي المنار - ابن الحرث الرايش بن ذي سدد

عمر ثوبان - بن تبان بن أسعد أبي كرب بن كلبكرب بن تبع الاقون بن زيد - بن عمر ذي الاذعار ابن ابرهة ذي المنار - ابن الحرث الرايش بن ذي سدد

٢

ط

ح

شمر مرعش ابن ياسر بنع - بن عمر ذي الاذعار ابن ابرهة ذي المنار - ابن الحرث الرايش بن ذي سدد

2٤

ج

بلقيس

يلقمة بنت اليشرح - بن شمر بن افریقش بن ابرهة

افریقش

بن قيس بن صيفي بن سبا الاصغر

بن الملطاط بن عمرو بن ذي بقرم بن الصوار بن عبد شمس

الخبر عن ملوك بابل من النبط والسريانيين وملوك الموصل ونيوى من الجرامقة

قد تقدم لنا أنّ ملك الأرض من بعد نوح عليه السلام كان لكنعان بن كوش بن حام ، ثم لابنه النمرود من بعده ، وانه كان على بدعة الصابئة ، وأنّ بني سام كانوا حنفاء ينتحلون التوحيد الذي عليه الكلدانيون من قبلهم . قال ابن سعيد : ومعنى الكلدانيين الموحدين . ووقع ذكر النمرود في التوراة منسوباً إلى كوش بن حام ، ولم يقع فيها ذكر لكنعان بن كوش ، فالله أعلم بذلك . وقال ابن سعيد أيضاً : وخرج عابر بن شالخ بن أرفخشذ فغلبه ، وسار من كوثا إلى أرض الجزيرة والموصل فبنى مدينة مجدل هنالك ، وأقام بها إلى أن هلك ، وورث أمره ابنه فالغ من بعده ، وأصاب النمرود وقومه على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ما أصابهم في الصرح وكانت البليلة وهي المشهورة . وقد وقع ذكرها في التوراة ولا أدري معناها . والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليها ، ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم ، قول بعيد في العادة ، إلا أن يكون من خوارق الأنبياء فهو معجزة حينئذ ولم ينقلوه كذلك . والذي يظهر أنه إشارة إلى التقدير الإلهي في خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما وقع في القرآن الكريم ، ولا يعقل في أمر البليلة غير ذلك .

وقال ابن سعيد سوريان بن نبيط ولاءه فالغ على بابل ، فانتقض عليه وحاربه ، ولما هلك فالغ قام بأمره بعده ابنه ملكان ، فغلبه سوريان على الجزيرة ، وملكها هؤلاء الجرامقة إخوانه في النسب بنو جرموق بن أشوذ بن سام ، وكانت مواطنهم بالجزيرة وكان ابن أخت سوريان منهم الموصل بن جرموق ، فولاه سوريان على الجزيرة وأخرج بني عابر منها ، ولحق ملكان منها بالجبال فأقام هناك ، ويقال إن الخضر من عقبه ، واستبد الموصل على خاله سوريان بن نبيط ملك بابل ، وامتازت مملكة الجرامقة من مملكة النبط . وملك بعد الموصل ابنه راتق وكانت له حروب مع النبط ، وملك من بعده ابنه أثور وبقي ملكها في عقبه وهو مذكور في التوراة ، وملك بعده ابنه نينوى وبني المدينة المقابلة للموصل من عدوة دجلة المعروفة باسمه ، ثم كان من عقبه سنجاريف بن أثور بن نينوى بن أثور وهو الذي بنى مدينة سنجار وغزا بني إسرائيل فصلبوه على بيت المقدس .

وقال البيهقي : إن الجزيرة ملكها بعد مقتل سنجاريف أخوه ساطرون ، وهو الذي بنى مدينة الخضر في بركة سنجار على نهر الترتار لتولعه بصيد الأسود في غيضاها . وملك من بعده ابنه زان وكان يدين بالصباثة ، ويقال إن يونس بن متى بعث إليه ويونس من الجرامقة من سبط بنيامين بن إسرائيل من ابنه ، فأمن به زان بن ساطرون بعد الذي قصه القرآن من شأنه معهم ، ثم أن يختصر لما غلب على بابل زحف إليه ودعاه إلى دين الصباثة ، وشرط له أن يبقيه في ملكه فأجاب . ولم يزل على الجزيرة حتى زحف إليه جيوش الفرس مع أرتاق ، فضمن القيام بالمجوسية على أن يبقوه في ملكه ، وكتب بذلك أرتاق إلى بهمن فيضمن له ، فأجابه بأن هذا رجل متلاعب بالأديان فاقتله ، فقتله أرتاق وانقرض ملكه بعد ألف وثلثمائة سنة فيما قال البيهقي . وفي أربعين ملكا منهم ، وصارت الجزيرة للملوك الفرس ، والذي عند الإسرائيليين سنجاريف من ملوك نينوى وهم أولاد موصل بن أشوذ بن سام . وأنه كان قبله بالموصل ملوك منهم وهم فول وتلفات وبلناص ، وأنهم ملكوا بلد الأسباط العشرة ، وهي شمورون المعروفة بالسامرة ، وأنه غرب الأسباط الذين كانوا فيها إلى نواحي أصبهان وخراسان ، وأسكن أهل كومة وهي الكوفة في شمورون هذه ، فسلط الله عليهم السباع يفترسونهم في كل ناحية . فشكوا ذلك إلى سنجاريف وسألوه أن يخبرهم عن بلد شمورون في قسمة أي كوكب هي كي يتوجهوا إليه ، ويستزلوا روحانيته على طريق الصباثة ، فأعرض عن ذلك وبعث كاهنان إليهم من اليهود فعلموهم دين اليهودية ، وأخذوا به . وهؤلاء عند اليهود هم الشجرة نسبة إلى شجرة وهي شمورون ، وليس الشجرة عندهم من بني إسرائيل ، ولأن دينهم صحيح في اليهودية .

وزحف سنجاريف عندهم إلى بيت المقدس بعد استيلائه على شمورون فحاصرها ، وداخله العجب بكثرة عساكره ، فقال لبني إسرائيل من الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم إلهكم ، وفرغ ملك بني إسرائيل إلى نبيهم مدليلا ، وسأله الدعاء فدعا له وأمنه من شر سنجاريف ، ونزلت بعسكره في بعض لياليهم آفة سماوية ، فأصبحوا كلهم قتلى . يقال أحصى قتلاهم فكانوا مائة وخمسة وثمانين ألفاً ، ورجع سنجاريف إلى نينوى ، ثم قتله أولاده في سجوده لمعبوده من الكواكب ، وولي ابنه أيسر حدون ، ثم استولى عليهم بعد ذلك بختنصر كما سذكره في خبره .

وأما ملوك بابل فهم النبط بنو نبيط بن أشوذ بن سام . وقال المسعودي : نبيط بن ماش بن إرم ، وكانوا موطنين بأرض بابل وملك منهم سوريان بن نبيط ، وقال المسعودي : هو أحد نبيط بن ماش ملك أرض بابل بولاية من فالغ ، فلما مات فالغ أظهر بدعة الصابئة ، وانتحلها بعده ابنه كتعان ويلقب بالتمروذ . وملك بعده ابنه كوش وهو تمروذ . إبراهيم عليه السلام ، وهو الذي قدم أباه آزر فاصطفاه هاجر على بيت الأصنام لأن أرعوبن فالغ لما هلك أبوه فالغ وكان على دين التوحيد الذي دعاه إليه أبوه عابر ، رجع حينئذ أرغو إلى كوئا ، ودخل مع التمارذة في دين الصابئة ، وتوارثها بنوه إلى آزر بن ناحور ، فاصطفاه هاجر بن كوش وقدمه على بيت الأصنام ، وولد له إبراهيم عليه السلام ، وكان من أمره ما ذكرنا فيما نصه التترييل ونقله الثقات . ثم توالى ملوك التمارذة ببابل وكان منهم بختنصر على ما ذهب إليه بعضهم ، ويقال إن الجرامقة وهم أهل نينوى غلبوا على بابل وملكها سنجاريف منهم واستعمل فيها بختنصر من ملوكها ، ثم انتقض عليه بالجزا والطاعة ، وغزا بني اسرائيل بيت المقدس ، فاقتحمها عليهم بعد الحصار ، وأثنى فيهم بالقتل والأسر ، وقتل ملكهم وخرّب مسجدهم وتجاوزهم إلى مصر فملكها . ولما هلك بختنصر ملك من بعده فيما ذكره ابنه نَشَبَتْ نَصْر ، ثم من بعده بَنِيصَّر وغزاه أَرْتاق مرزبان كسرى من ملوك الكينية فقتله وملك بابل وأعمالها وصار النبط والجرامقة رعية للفرس ، وانقرضت دولة التمارذة ببابل ، هكذا ذكر ابن سعيد ونقله عن داهر مؤرخ دولة الفرس ، وجعل السريانيين والنبط أمة واحدة ، وهما دولة واحدة . وأما المسعودي فجعلها دولتين . وأما السريانيون فقال هم أول ملوك الأرض بعد الطوفان ، وسمّى من ملوكهم تسعة متعاقبين في مائة سنة أو فوقها بأسماء أعجمية لا فائدة في نقلها لقلة الوثوق بالأصول التي بأيدينا من كتبه وكثرة التغير في الأسماء الأعجمية . نعم ذكر أن شوشان بشينين معجمتين ، وأنه أول من وضع التاج على رأسه . والرابع منهم انه الذي كَوَّرَ الكُورَ وَمَدَّنَ المَدْنَ وَأَنَّ ملك الهند لعهدده كان اسمه رُتَيْيل وأنه على ملكه واستولى على السريانيين ، وأن بعض ملوك المغرب ظاهرهم عليه وانتزع لهم ملكهم منه وردّه عليهم . وسمّى الثامن منهم ماروت وأشار في آخر كلامه إلى أنهم كانوا مستولين على بابل وعلى الموصل ، وأن ملوك اليمن ربما غلبوهم على أمرهم بعض الأحيان . وذكر في التاسع أنه كان غير مستقل بأمره ، وإن أخاه كان مقاسمه في سلطانه ، وأن أول من

اتخذ الخمر فلانٌ وأوّل من ملك فلانٌ ، وأوّل من لعب بالصقور والشطرنج فلانٌ ، مزاعم كلها بعيدة من الصحة . إنما وجهه أن السريانيين لما كانوا أقدم في الخليقة نسب اليهم كل قديم من الأشياء ، أو طبعي كالخط واللغة والسحر والله أعلم .
وأما النبط فعند المسعودي أنهم من أهل بابل لقوله في ترجمتهم ذكر ملوك بابل والنبط وغيرهم المعروفين بالكلدانيين ، وذكر أن أولهم نمروذ الجبار ونسبه الى ماش بن إرم بن سام ، وذكر أنه الذي بنى الصرح ببابل ، واحتفر نهر الكوفة . ونسب النمرود في موضع آخر الى كوش بن حام لا أدري هو أو غيره . ثم عدّ ملوكهم بعد النمرود ستاً وأربعين أو نحوها في ألف وأربعمائة من السنين باسماء أعجمية متعذر ضبطها فتركت نقلها . إلا أنه ذكر في الموفى منهم عدد العشرين وبعد التسعمائة من سنينهم انه الذي غزت فارس لعهد مدينة بابل . وذكر في الموفى عدد ثلاثة وثلاثين منهم عند الألف والأربعمائة من سنينهم انه سنجاريق الذي حارب بني اسرائيل حاصرهم ببيت المقدس حتى أخذ الجزية منهم . وأن آخر ملوكهم دارينوش ، وهو دار الذي قتله الإسكندر لما ملك بابل . هذا ما ذكره المسعودي ولم يذكر منهم نمروذ الخليل عليه السلام . وذكر ان مدينتهم بابل وأن الذي اختطها اسمه نير واسم امرأته شمرام ملوك السريانيين اسمان أعجميان لا وثوق لنا بضبطها . وقال الطبري نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام صاحب ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان يقال عاد إرم ، فلما هلكوا قيل ثمود إرم ، فلما هلكوا قيل نمروذ إرم ، فلما هلك قيل لسائر ولد إرم إزمان فهم النبط ، وكانوا على الإسلام ببابل حتى ملكهم نمروذ فدعاهم إلى عبادة الأوثان فعبدها انتهى كلام الطبري .

وقال هروشيوش مؤرخ الروم : إنه نمروذ الجسيم ، وإن بابل كانت مربعة الشكل ، وكان سورها في دور ثمانين ميلا ، وارتفاعه مائتا ذراع وعرضه خمسون ذراعا ، وهو كله مبني بالآجر والرصاص ، وفيه مائة باب من النحاس ، وفي أعلاه مساكن الحراس والمقاتلة تبيت على الجانبين في سائر دورة الطريق بينهما . وحول هذا السور خندق بعيد المهوى ، يجري فيه الماء ، وأن الفرس هدموه ، ولما تغلبوا على ملك بابل تولى ذلك منهم جيرش وهو كسرى الأول انتهى كلام هروشيوش .

ويظهر من كلام هؤلاء ان اسم النمرود سمى لكل من ملك بابل لوقوعه في أهل أنساب مختلفة مرّة إلى سام ومرّة إلى حام . وزعم بعض المؤرخين أن نمروذ الخليل

عليه السلام هو النمرود بن كنعان بن سنجارييف بن النمرود الأكبر ، وأنَّ بَخْتَنْصَر من عقبه وهو ابن برزاد بن سنجارييف بن النمرود^(١) ، وأنَّ الفُرس الكينية غلبوا بختنصر على بابل ، ثم أبقوه واستعملوه عليها ، وأنَّ كسرى الأول من بني ساسان خرب مدينة بابل . وعند الإسرائيليين وينقلونه عن كتاب دانيال وأرميا من أنبيائهم وضبط هذا الاسم يَرْمِيا أن بَخْتَنْصَر من عقب كاسد بن حاور وهو أخو ابراهيم الخليل ، وبنو كاسد هؤلاء من ملوك بابل ويعرفون بالكسدانيين نسبة إليه ، وأنَّ بختنصر منهم ملك أكثر المعمور ، وغلب على بني اسرائيل ، وأزال دولتهم ، وخرب بيت المقدس ، وانتهى ملكه إلى مصر وما وراءها ، وكان ملكه خمسا وأربعين . وملك بعده ابنه أويل مروود ثلاثا وعشرين سنة ، وبعده ابنه بلينصر ثلاث سنين ثم زحف إليه دارا من ملوك الفرس وصهره كورش فحاصروه بمدينة بابل ، وقال بعض الاسرائيليين ان بختنصر وملوك بابل من كسديم ، وكسديم من عيلام بن سام وهو أخو أشوذ ، ومن أشوذ ملوك الموصل انتهى الكلام في ملوك الموصل وملوك بابل .

وهذا غاية ما أدى إليه البحث من أخبارهم وأنسابهم ، وكان من هؤلاء والكلدانيين دين الصابئة وهو عبادة الكواكب واستجلاب روحانيتها . ويذكر أنهم كانوا لذلك أهل عناية بأرصاد الكواكب ، ومعرفة طبائعها ، وخلاص المولدات ، وما يشابه ذلك من علوم النجوم والطلسمات والسحر ، وأنهم نهجوا ذلك لأهل الربع الغربي من الأرض . وقد يشهد لذلك قراءة من قرأ : وما أنزل على المَلِكَيْن بكسر اللام ، مشيراً إلى أن هاروت وماروت من ملوك السريانيين ، وهم أول ملوك بابل ، وعلى القراءة المشهور وأنها من الملائكة ، فيكون اختصاص هذه الفتنة ، والابتلاء ببابل من بين أقطار الأرض ، دليلاً على وفور قسطها من صناعة السحر الذي وقع الابتلاء به ، ومما يشهد لانتحالم السحر وفنونه من النجوم وغيرها ، أن هذه العلوم وجدناها من متحل أهل مصر المجاورين لهم ، وكان لملوكها عناية شديدة بذلك ، حتى كان من مباهاتهم موسى بذلك وحشر السحرة له ما كان ، وبقايا الآثار السحرية في بربابي أنحيم من صعيد مصر ما يشهد لذلك ايضاً والله أعلم .

(١) ورد هذا الاسم بالدال وهو الاصح وفي اماكن اخرى كثيرة بالذال .

الخبر عن القبط وأولية ملكهم ودولهم وتصاريق أحوالهم والامام بنسبهم

هذه الأمة أقدم أم العالم وأطولهم أمدًا في الملك ، واختصوا بملك مضر وما إليها ، ملوكها من لدن الخليفة إلى أن صبحهم الإسلام بها ، فانتزعها المسلمون من أيديهم . ولعهدهم كان الفتح ، وربما غلب عليهم جميع من عاصرهم من الأمم حين يستفحل أمرهم مثل العماليقة والفُرس والروم واليونان ، فيستولون على مضر من أيديهم ، ثم يتقلص ظلمهم ، فراجع القبطُ ملكهم هكذا إلى أن انقرضوا في مملكة الإسلام .

وكانوا يسمون الفَرَاعِنَة سمة للملوك مضر في اللغة القديمة ، ثم تغيرت اللغة وبقي هذا الاسم مجهول المعنى ، كما تغيرت الحِمَيْرِيَّة إلى المِصْرِيَّة ، والسُرْيَانِيَّة إلى الرومية . ونسبهم في المشهور إلى حام بن نوح ، وعند المسعودي إلى بَنَصْر بن حام ، وليس في التوراة ذكر لبَنَصْر بن حام وإنما ذكر مصرايم وكوش وكنعان وقوط . وقال السهيلي إنهم من ولد كنعان بن حام لأنه لما نسب مصر ، قال فيه : مصر بن النبط أو ابن قِبط بن النبط من وُلد كوش بن كنعان . وقال أهروشيوش : إن القبط من وُلد قبط ابن لايق بن مصر . وعند الإسرائيليين أنهم من قوط بن حام . وعند بعضهم أنهم من كفتوريم قِبطَقَاين ومعناه القِبط .

وقال المسعودي اختص بَنَصْر بن حام أيام النمرود ابن أخيه كنعان بولاية أرض مصر ، واستبد بها وأوصى بالملك لابنه مصر ، فاستفحل ملكه ما بين أسوان واليمن والعريش وأَيْلِيَّة وقرسيَّة^(١) ، فسميت كلها أرض مصر نسبة إليه ، وفي قبليها النوبة وفي شرقها الشام وفي شمالها بحر الزقاق وفي غربها برقة والنيل من دونها . وطال عمر مصر وكبر ولده وأوصى بالملك لأكبرهم وهو قِبط بن مصر أبو الأقباط ، فطال أمد ملكه وكان له بنون أربع : قِبط بن مِصْر وأن مِصْر هو الذي قسم الأرض وعهد إلى أكبرهم بالملك وهو قِبط ، فغلب عليهم فأضيفوا إليه لمكان الملك والسن ، وملك بعد قِبط بن مصر أشمون بن مصر ، ثم من بعده صائثم أخوهما أتريب ، ثم عد ملوكًا بأسماء

(١) وفي نسخة أخرى : فرسية .

أعجمية بعيدة عن الضبط لعجمتها وفساد الأصول التي بين أيدينا من كتبه ، ثم لما ذكر ستة منهم بعد أتريب قال : فكثّر ولد بنصر بن حام وتشاغبوا وملك عليهم النساء ، فسار إليهم ملك الشام من العالقة الوليد بن دومع فملكهم وانقادوا إليه .

وأما ابن سعيد فيما نقل من كتب المشاركة فقال : ملك مصر ابنه قبط ، ثم من بعده أخوه أتريب . قال : وفي أيام قبط زحف شَدّاد بن مَدّاد بن شَدّاد بن عاد إلى مصر ، وغلب على أسافلها ، ومات قبط في حروبه ، ثم جمع أتريب قومه واستظهر بالبربر والسودان على العرب حتى أخرجهم إلى الشام ، واستبدّ أتريب بملك مصر وبني المدينة المنسوبة إليه ، ومدينة عين شمس . وملك بعده ابن أخيه البودشير بن قبط وهو الذي بعث هرمساً المصري إلى جبل القمر حتى ركب جرية النيل من هنالك ، وعدل البطيحة الكبرى التي تنصب إليها عيون النيل ، وعمر بلاد الواحات وحول إليها جمعا من أهل بيته . ثم ملك من بعده عديم بن البودشير ، ثم ابنه شَدّات بن عديم ، ثم ابنه مَنذُوش بن شَدّات وجدّد مدينة عين شمس . وكان لهم في السحر آثارٌ عجيبة .

ثم ملك بعده ابنه مَقْلَوش بن مَقْلَوش وَعَبَدَ البَقَر وصوّرها من الذهب ، ثم هلك وخلف ابنه مَرْقِيش فغلب عليه عمه أَشْمُون بن قِيط ، وبني مدينة الأشمون . وملك بعده ابنه أَشَاد بن أَشْمُون ، ثم من بعده عمه صابن قِيط وبني مدينة باسمه ، وملك بعده ابنه ندراس وكان حكيماً وهو الذي بنى هيكل الزهرة الذي هدمه بختنصر . وملك بعده ابنه مَالِيق بن ندراس فرفض الصابئة ودان بالتوحيد ، ودوّخ بلاد البربر والأندلس ، وحارب الإفرنج . وملك بعده ابنه خَرَيّتا بن مَالِيق فرجع عن التوحيد إلى الصابئة ، وغزا بلاد الهند والسودان والشام . وملك بعده ابنه كلكي بن حريبا ، وهو الذي تسميه القبط حكيم الملوك ، واتخذ هيكل زُحَل وعهد إلى أخيه مَالِيا بن خَرَيّتا ، واشتغل باللهو فقتله ابنه خَرَطِيش وكان سَقّاً كاللدماء ، والقِبط تزعم أنه فرعون الخليل عليه السلام ، وأنه أول الفراعنة . ولما تعدّى بالقتل إلى أقاربه سَمَّته ابنته حوريّا ، وملك القبط من بعده فنازعها أبراحس من ولد عمها أتريب ، وحاربه فكان لها الغلب ، وانهمز أبراحس إلى الشام ، فاستظهر بالكنعانيين وبعث ملكهم قائده جِيروُن فلما قرب مِصر استقبلته حوريا وأطعمته في زواجها على أن يقتل أبراحس ويبنى مدينة الاسكندرية ففعل ، ثم قتلته آخرأ مسموما واستقام لها الأمر ، وبنت منارة الاسكندرية ، وعهدت بأمرها لِدَلِيقَةِ ابنة عمها باقوم ، فخرج عليها

أَيْمَنَ مِنْ نَسْلِ أَتْرِبَ طَالِباً بِثَأْرِ قَرِيْبِهِ اِبْرَاحِسَ ، وَلَحَقَ بِمَلِكِ الْعِمَالِقَةِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ الْوَلِيدُ اِبْنُ دَوْعِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْعِمَالِقَةِ فَاسْتَنْصَرَ بِهِ وَجَاءَ مَعَهُ وَمَلِكُ دِيَارِ مِصْرَ .
وَاسْتَبَدَّ بِالْقِبْطِ نَقْرَؤُسُ فَاسْتَغْلَ بِاللَّدَّاتِ ، وَاسْتَكْفَى مِنْ بَنِيهِ أَطْفِيرَ وَهُوَ الْعَزِيزُ فَكْفَاهُ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِ وَدَبَّرَ لَهُ يَوْسُفَ الْفَيُومَ بِالْوَحْيِ وَالْمُهَنْدِسَةَ ، وَكَانَتْ أَرْضُهَا مَغَايِضَ لِلْمَاءِ فَأَخْرَجَهُ وَعَمَّرَ الْقَرْيَ مَكَانَهُ عَلَى عِدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ ، فَجَعَلَهُ عَلَى خَزَائِنِهِ . وَمَلِكُ بَعْدَهُ دَارِمُ بْنُ الرِّيَّانِ وَتَمَتَّتْ الْقِبْطُ وَيَمُوصُ . وَكَانَ يَوْسُفُ مَدْبِرَ أَمْرِهِ بِوَصِيَّةِ أَبِيهِ ، وَمَاتَ لِعَهْدِهِ فَأَسَاءَ السَّيْرَةُ وَهَلَكَ غَرِيقاً فِي النَّيْلِ . وَمَلِكُ بَعْدَهُ اِبْنُهُ مَعَدُّ أَنْوَسُ بْنُ دَارِمٍ فَتَرَهَّبَ وَاسْتَخْلَفَ اِبْنَهُ كَاشِمَ فَاسْتَعْبَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلْقِبْطِ ، وَقَتْلَهُ حَاجِبُهُ وَنَصَبَ بَعْدَهُ اِبْنُهُ لَاطِشُ ، فَاسْتَغْلَ بِاللَّهُوِ فَخْلَعَهُ ، وَنَصَبَ آخَرَ مِنْ نَسْلِ نِذْرَاسَ اسْمُهُ لُحُوبُ فَتَجَبَّرَ ، وَتَذَكَّرَ الْقِبْطُ أَنَّهُ فِرْعَوْنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَأَهْلُ الْأَثَرِ يَقُولُونَ : إِنَّهُ الْوَلِيدُ بْنُ مَصْعَبٍ وَأَنَّهُ نَجَاراً تَقَلَّبَ حَالُهُ إِلَى عِرَاقَةِ الْحَرَسِ ، ثُمَّ تَطَوَّرَ إِلَى الْوِزَارَةِ ، ثُمَّ إِلَى الْاِسْتِبْدَادِ . وَهَذَا بَعِيدٌ لَمَّا قَدَّمَاهُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ . وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ : بَلْ كَانَ فِرْعَوْنُ مُوسَى مِنَ الْأَقْبَاطِ .

ثُمَّ هَلَكَ فِرْعَوْنُ مُوسَى ، وَخَشِيَ الْقِبْطُ مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ ، فَلَمَّكُوا عَلَيْهِمْ دُلُوكَةً مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ وَهِيَ الَّتِي بَنَتِ الْحَائِطُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ ، وَيَعْرِفُ بِحَائِطِ الْعَجُوزِ لِأَنَّهَا طَالَ عُمُرُهَا حَتَّى كَبُرَتْ وَاتَّخَذَتْ الْبِرَابِي وَمِقَايِيسَ النَّيْلِ . ثُمَّ سَمَّى الْمَسْعُودِيُّ مِنْ بَعْدِ دُلُوكَةِ ثَمَانِيَةِ مِنْ مَلُوكِهِمْ عَلَى ذَلِكَ النُّحُو مِنْ عَجْمَةِ الْأَسْمَاءِ ، وَقَالَ فِي الثَّامِنِ إِنَّهُ فِرْعَوْنُ الْأَعْرَجِ الَّذِي اعْتَصَمَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْتَنَصَّرَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مِضَرَ وَقَتْلَهُ وَهَدَمَ هَيْكَلَ الصَّابِئَةِ وَوَضَعَ بِيوتَ النَّيْرَانِ لَهُ وَلَوْلَدِهِ . وَذَكَرَ فِي تَوَارِيخِهِمْ قَالَ : قَالَ اِبْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : وَهَذِهِ الْعَجُوزُ دُلُوكَةٌ هِيَ الَّتِي جَدَّدَتْ الْبِرَابِي بِمِصْرَ ، أَرْسَلَتْ إِلَى امْرَأَةٍ سَاحِرَةٍ كَانَتْ لِعَهْدِهَا اسْمُهَا تَرْوَرَةُ ، وَكَانَتْ السَّحَرَةَ تَعْظُمُهَا ، فَعَمَلَتْ بِرَبِيٍّ مِنْ حِجَارَةٍ وَسَطَ مَدِينَةٍ مَنَفَ ، وَصَوَّرَتْ فِيهَا صُورَ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ نَاطِقٍ وَأَعْجَمَ ، فَلَا يَقَعُ شَيْءٌ بِتِلْكَ الصُّورَةِ إِلَّا وَقَعَ بِمِثَالِهَا فِي الْخَارِجِ . وَكَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ امْتِنَاعٌ مِمَّنْ يَقْصِدُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ النَّاسِ بِالسَّحَرِ ، وَأَقَامَتْ عَلَيْهِمْ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى بَلَغَ صَبِيٌّ مِنْ أَبْنَائِهِمْ اسْمُهُ دَرْكُونُ بِطُلُوسَ فَلَمَّكُوهُ ، وَأَقَامَتْ مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ ^(١) ، ثُمَّ مَاتَ فَوَلَّوْا اِبْنَهُ يَرْيَدِيسَ بْنُ دَرْكُونِ ، وَمِنْ بَعْدِهِ أَخَاهُ نَقَاسُ بْنُ نَقَرَّاسَ ، وَمِنْ بَعْدِهِ

(١) لَعَلَّ الْمُدَّةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَرَبْمَا يَكُونُ الْخَطَأُ حَصَلَ فِي النُّسخِ .

مَرِينَا بن مَرِينُوس ، ثم ابنه اسْمَارُوس بن مَرِينَا فطغى عليهم وخلعوه وقتلوه ، وولوا عليهم من أشرفهم بلوطيس بن مناكيل أربعين سنة ، ثم استخلف مالوس بن بلوطيس ومات ، فاستخلف أخاه مَنَاكِيل بن بلوطيس ثم توفي ، فاستخلف ابنه بركة ابن مناكيل فللهم مائة وعشرين سنة ، وهو فِرْعَوْن الأعرج الذي سبى أهل بيت المقدس ، ويقال أنه خُلِع .

وقال ابن عبد الحكم : وولي من بعده ابنه مَرِينُوس بن بَرَكَة ، فاستخلف ابنه قُرقون بن مَرِينُوس فللهم ستين سنة ثم هلك ، واستخلف أخاه نِقَاس بن مَرِينُوس . وكانت البرابي كلها اذا فسد منها شيء لا يصلحه إلا رجل من ذرية تلك العجوز الساحرة التي وضعها ، ثم انقطعت ذريتها ففسدت البرابي أيام نقاس هذا ، وتجاسر الناس على طلب الملك الذي في أيديهم ، وهلك نِقَاس ، واستخلف ابنه قَوْمِس بن نِقَاس ، فللهم دهرًا ثم ملك بَخْتَنْصَرِيَّت المقدس ، واستلحم بني اسرائيل وقرقهم وقتل وخرّب ولحقوا بمصر ، فأجارهم قَوْمِس ملكها وبعث فيهم بَخْتَنْصَر فنعمهم وزحف إليه وغلب عليه وقتله وخرّب مدينة مَنَف . وبقيت مصر أربعين سنة خرابا . وسكنها أَرَمِيَاء مدة ثم بعث إليه بَخْتَنْصَر فلحق به ثم ردّ أهل مصر إلى موضعهم ، وأقاموا كذلك ما شاء الله إلى أن غلب الفرس والروم على سائر الأمم ، وقاتل الروم أهل مصر إلى أن وضعوا عليهم الجزى ، ثم تقاسمها فارس والروم ، ثم تداولوا ملكها فتوالت عليها نواب الفُرس . ثم ملكها الإسكندر اليوناني وجدّد الإسكندرية ، والآثار التي خارجها مثل عمود السواري ورواق الحكمة .

ثم غلب الروم على مصر والشام وأبقوا القِبْط في ملكها وصرفوهم في الولاية بمصر إلى أن جاء الله بالإسلام ، وصاحب القبط بمصر والإسكندرية المَقْوُوس ، واسمه جُرْنِج بن مينا فيما نقله السَّهْلِيّ . فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حَاطِب بن أبي بَلْتَعَة ، وجبرا مولى أبي رَهْم الغفاريّ ، فقارب الإسلام وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته المعروفة ذكرها أهل السير كان ، فيها البغلة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركبها وتسمى دلدل ، والحمار الذي يسمّى يَعْفُور ، ومارية القبطيّة أم ولده إبراهيم وأمّها وأختها سيرين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن ، وقدح من قوارير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ، وعسل استظرفه له من بنها إحدى قرى مصر معروفة بالعسل الطيب .

ويقال إن هِرَقْل لما بلغه شأن هذه الهدية اتهمه بالميل الى الإسلام فغزله عن رياسه القِبْط .

وخرَجَ مُسْلِمٌ في صحيحه من رواية أبي ذرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ أَوْ إِنكُمْ مُسْتَفْتِحُونَ مِصْرَ فاستوصوا بأهلها خيراً ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمَةً أَوْ صَهْرًا . » ورواه ابن إسحق عن الزُّهْرِيِّ وقال : قلت للزُّهْرِيِّ ما الرَّحِمُ التي ذكر؟ قال : كانت هَاجِرَ أم اسمعيل منهم . ولبعض رواة الحديث في تفسير الصَّهْرِ أَنَّ مَارِيَةَ أم ابراهيمَ منهم ، أهداها له المقوقس ، وكانت من كورة حَقَنَ من عمل أَنْصَنَاءَ . وقال الطَّبْرِيُّ إِنَّ عمرو بن العاص لما ملك مصر أخبرهم بوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم ، فقال : هذا نَسَبٌ لَا يَحْفَظُ حَقَّهُ إِلَّا نَبِيٌّ لَأَنَّهُ نَسَبٌ بَعِيدٌ وَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ هَاجِرَ كانت امرأةً لملك من ملوكنا ووقعت بيننا وبين أهل عين شمس حروب كانت لهم في بعضها دولة فقتلوا الملك وسبوا ، ومن هنالك تسيرت الى أبيكم ابراهيم .

ولما كمل فتح مصر والإسكندرية وارتحل الروم الى القسطنطينية ، أقام المقوقس والقبط على الصلح الذي عقده لهم عمرو بن العاص وعلى الجزى ، وأبقوه على رئاسة قومه ، وكانوا يشاورونه فيما ينزل من المهمات الى أن هلك ، وكان ينزل الإسكندرية وفي بعض الأوقات ينزل منف من أعمال مصر . واختلط عمرو بن العاص الفسطاط بموضع خيامه التي كان يحاصر مصر منها ، فقتل بها المسلمون وهجروا المدينة التي كان بها المقوقس ، الى أن خربت . وكان في خرابها ومهلك المقوقس انقراض أمرهم . وبقي أعقابهم الى هذا الزمان يستعملهم أهل الدول الإسلامية في حسابات الخراج ، وجبايات الأموال لقيامهم عليها ، وغنائم فيها ، وكفايتهم في ضبطها وتنميتها . وقد يهاجر بعضهم الى الإسلام فترفع رتبته عند السلطان في الوظائف المالية التي أعلاها في الديار المصرية رتبة الوزارة ، فيقلدونهم إياها ليحصل لهم بذلك قرب من السلطان وحظ عظيم في الدولة ويسطة يد في الجاه ، تعددت منهم في ذلك رجال ، وتعينت لهم بيوت قصر السلطان نظره على الاختيار منها لهذا العهد . وعامتهم يقيم على دين النصرانية الذين كانوا عليها لهذا العهد ، وأكثرهم بنواحي الصعيد وسائر الأعمال مُتَحَرِّفُونَ بِالْفَلَحِ وَاللَّحْظِ غالب على أمره .

وَأَمَّا إِقْلِيمُ مِصْرَ فكان في أيام القِبْطِ والفراعنة جسوراً كله بتقدير وتدير يحبسونه

ويرسلونه كيف شاءوا ، والجئات حفاف النيل من أعلاه إلى أسفله ما بين أسوان ورشيد ، وكانت مدينة مَنَف وعين شمس ، يجري الماء تحت منازلها وأفنيتها بتقدير معلوم ، ذكر ذلك كله عبد الرحمن بن شماس ، وهو من خيار التابعين ، يرويه عن أشياخ مصر قالوا : ومدينة عين شمس كانت هيكل الشمس ، وكان فيها من الأبنية والأعمدة والملاعب ما ليس في بلد . قلت : وفي مكانها لهذا العهد ضيعة متصلة بالقاهرة يسكنها نصارى من القبط وتسمى المطرية . قالوا : ومدينة مَنَف مدينة الملوك قبل الفراعنة وبعدهم إلى أن خربها بختنصر كما تقدّم في دولة قؤيس بن يقاس ، وكان فرعون ينزل مدينة مَنَف ، وكان لها سبعون باباً وبني حيطانها بالحديد والصفير^(١) ، وكانت أربعة أنهار تجري تحت سريره ذكره أبو القاسم بن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك قال : وكان طولها إثني عشر ميلاً ، وكانت جباية مصر تسعين ألف ألف دينار مكررة مرتين بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل . وانما سميت بمصر بمصر بن يئصر بن حام ، ويقال انه كان مع نوح في السفينة فدعا له فأسكنه الله هذه الارض الطيبة ، وجعل البركة في ولده . وحدّها طولاً من برقة إلى أيلة ، وعرضاً من أسوان إلى رشيد . وكان أهلها صابئة ، ثم حملهم الروم لما ملكوها بعد قسطنطين على النصرانية ، عندما حملوا على الأمم المجاورة لهم من الجلالقة والصقالبة وبرجان والروس والقبط والحبشة والنوبة ، فدانوا كلهم بذلك ورجعوا عن دين الصابئة في تعظيم ألياكل وعبادة الأوثان ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

(١) ربما يعنى النحاس الأصفر أو الذهب .

هؤلاء العاقبة الذين غلبوا القبط على مصر وملكوها الى ايام موسى عليه السلام وفرعون الذي اغرقه الله منهم

ظلمہ کاشم بن معدانوس بن دارم بن الریان بن الولید بن دوعغ

موجودہ حالات پر

تبر و منع از

۱۰۰

زَنْقَلَا بْنُ بَنِي إِسْهَاقَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَرْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَسْرَةَ بْنِ صَاحِبِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ إِيْسَازَ بْنِ حَامِ

کلکلی

مساج
منعمان

سودان

کے

وہ

...

53

بہارِ نبوی

13

3.

3.

الحسن الذي اعطاه

هو فرعون ابراهيم

کذا وجب

۱۰۰

فومس بن نفاس

استاد

اسرار بن مرینا

الخبر عن بني اسرائيل وما كان لهم من النبوة والملك
وتغليبهم على الارض المقدسة بالشام وكيف تجددت دولتهم بعد
الانقراض وما اكتنف ذلك من الأحوال

قد ذكرنا عند ذكر إبراهيم وبنيه صلوات الله وسلامه عليهم ما كان من شأن يعقوب
بن إسحق واستقراره بمصر مع بنيه الأسباط ، وفي التوراة أن الله سماه إسرائيل . وإيل
عندهم كلمة مرادفة لعبد وما قبلها من أسماء الله عز وجل وصفاته والمضاف أبدا
متأخر في لسان المعجم ، فلذلك كان إيل هو آخر الكلمة وهو المضاف . ثم قبض الله
نبيه يعقوب بمصر لمائة وسبع وثمانين سنة من عمره ، وأوصى أن يدفن عند أبيه ،
فطلب يوسف من فرعون أن يطلقه لذلك ، فأذن له . وأمر أهل دولته بالإنطلاق
معه ، فانطلقوا وحملوه إلى فلسطين فدفنوه بمقبرة آبائه ، وهي التي اشتراها إبراهيم من
الكنعانيين . ورجع يوسف إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي لمائة وعشرين سنة من
عمره ، ودفن بمصر وأوصى أن يحملوا شلوه معهم اذا خرجوا إلى أرض الميعاد ، وهي
الأرض المقدسة .

وأقام الأسباط بمصر وتناسلوا وكثروا حتى ارتاب القبط بكثرتهم واستعبدوهم ، وفي
التوراة أن ملكا من الفراعنة جاء بعد يوسف لم يعرف شأنه ولا مقامه في دولة آبائه ،
فاسترق بني اسرائيل واستعبدوهم . ثم تحدث الكهّان من أهل دولتهم بأن نبوة تظهر في
بني اسرائيل ، وأن ملكك كائن لهم مع ما كان معلوما من بشارة آبائهم لهم بالملك ،
فعمد الفراعنة إلى قطع نسلهم بذبح الذكور من ذريتهم . فلم يزالوا على ذلك مدة
من الزمان حتى ولد موسى . وهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب .
وأمه يوحانذ بنت لاوى عمة عمران وكان قاهث بن لاوى من القادمين إلى مصر مع
يعقوب عليه السلام وولد عمران بمصر وولد هارون لثلاث وسبعين من عمره ، وموسى
لثمانين ، فجعلته أمه في تابوت وألقته في ضحضاح^(١) اليم ، وأرصدت أخته على
بعد لتنظر من يلتقطه فتعرفه . فجاءت ابنة فرعون الى البحر مع جواربها فرأته

(١) في التوراة : أخذت له سफطا من البردي ، وطلته بالحمز والزفت ، ووضعت الولد فيه ووضعت بين
الحلفاء ، ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به .

واستخرجته من التابوت فرحمته . وقالت : هذا من العبرانيين فن لنا بظئر^(١) ترضعه . فقالت لها أخته أنا آتيكم بها . وجاءت بأمّه فاسترضعتها له ابنة فرعون ، إلى أن فُصل . فأنت به إلى ابنة فرعون وسمته موسى وأسلمته لها . ونشأ عندها ثم شب ، وخرج يوما يمشي في الناس وله صولة بما كان له في بيت فرعون من المربي والرضاع فهم لذلك أخواله ، فرأى عبرانياً يضربه مصريّ فقتل المصري الذي ضربه ودفنه ، وخرج يوما آخر فاذا هو برجلين من بني اسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره ، فقال له ومن جعل لك هذا ؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت الآخر بالأمس . ونمي الخبر إلى فرعون فطلبه ، وهرب موسى إلى أرض مَدْيَن^(٢) عند عقبة أَيْلَةَ .

وبنو مَدْيَن أُمَّةٌ عظيمةٌ من بني إبراهيم عليه السلام ، كانوا ساكنين هناك وكان ذلك لأربعين سنة من عمره ، فلقى عندهم بنتين لعظيم من عظمائهم فسقى لهما ، وجاءتا به إلى أبيهما فزوجه باحدهما ، كما وقع في القرآن الكريم ، وأكثر المفسرين على أنه شُعَيْب بن نَوْفَل بن عِيقا بن مدين وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم . وقال الطبريّ : الذي استأجر موسى وزوجه بنته رَعْوِيل^(٣) وهو يَنْتَر حَبْر مَدْيَن ، أي عالمهم ، وأن رعويل هو الذي زوجه البنت وأن اسمه يَنْتَر . وعن الحسن البصريّ انه شعيب رئيس بني مَدْيَن . وقيل انه ابن أخي شعيب . وقيل ابن عمه . فأقام عند شعيب صهره مقبلاً على عبادة ربّه ، إلى أن جاءه الوحي وهو ابن ثمانين سنة ، وأوحى إلى أخيه هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ، فأوحى الله إليهما بأن يأتيا فرعون ليبعث معهما بني اسرائيل فيستنقذانهم من مملكة القبط ، وجور الفراعنة ، ويخرجون إلى الأرض المقدسة التي وعدهم الله بملكها على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب . فخرجا إليه وبلغا بني اسرائيل الرسالة فآمنوا به واتبعوه ، ثم حضرا إلى فرعون وبلغاه أمر الله له بأن يبعث معهما بني اسرائيل وأراه موسى عليه السلام معجزة العصا ، فكان من تكذيبه وامتناعه واحضار السحرة لما رأى موسى في معجزته ثم إسلامهم ما نصّه القرآن العظيم .

ثم تمادى فرعون في تكذيبه ومناصبته ، واشتدّ جوره على بني اسرائيل واستعبادهم

(١) الظئر : ج أظؤر وأظآر : المرضعة لولد غيرها (قاموس)

(٢) وفي التوراة : مديان .

(٣) وفي التوراة : رعوئيل

واتخاذهم سخريا في مهنة الأعمال ، فأصاب فرعون وقومه الجوائح العشرة واحدة بعد أخرى يسألهم عند وقوعها ، ويتضرع الى موسى في الدعاء بانجلائها ، إلى أن أوحى الله الى موسى بخروج بني اسرائيل من مصر . ففي التوراة انهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم ان كان كفايتهم ، أو يشتركون مع جيرانهم ان كان أكثر ، وان ينضحوا دمه على أبوابهم لتكون علامة ، وأن يأكلوه سواء برأسه وأطرافه ، ومعناه لا يكسرون منه عظما ولا يدعون شيئا خارج البيوت ، وليكن خبزهم فطيرا ذلك اليوم وسبعة ايام بعده ، وذلك في اليوم الرابع عشر من فصل الربيع ، وليأكلوا بسرعة وأوساطهم مشدودة ، وخفافهم في أرجلهم ، وعصيم في أيديهم ، ويخرجوا ليلا وما فضل من عشائهم ذلك يحرقوه ^(١) بالنار ، وشرع هذا عيداً لهم ولاعقابهم ويسمى عيد الفصح .

وفي التوراة أيضا انه قتل في تلك الليلة أبكار النساء من القبط ودوابهم ومواشيهم ليكون لهم بذلك ثقل عن بني اسرائيل . وأنهم أمروا أن يستعبروا منهم حليا كثيرا يخرجون به ، فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بمامعهم من الدواب والأنعام ، وكانوا ستمائة ألف أو يزيدون . وشغل القبط عنهم بالمآثم التي كانوا فيها على موتاهم ، وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام ، استخرجه موسى صلوات الله عليه من المدفن الذي كان به بإلهام من الله تعالى ، وساروا لوجههم حتى انتهوا الى ساحل البحر بجانب الطور . وأدركهم فرعون وجنوده ، وأمر موسى بأن يضرب البحر بعصاه ويقطعهم ، فضربه فانفلق طرقا . وسار فيها بنو اسرائيل وفرعون وجنوده في اتباعه ، فهلكوا ، ونزل بنو اسرائيل بجانب الطور ، وسبّحوا مع موسى بالتسبيح المنقول عندهم وهو : نسبح الرب البهي ، الذي قهر الجنود ، ونبذ فرسانها في البحر المنيع المحمود الى آخره . قالوا : وكانت مريم أخت موسى وهارون صلوات الله عليهما تأخذ الدف بيدها ، ونساء بني اسرائيل في أثرها بالدفوف والطبول ، وهي تُرتّل لهنّ التسبيح سبحان الرب القهار الذي قهر الخيول وركبائها ألفاها في البحر وهو معنى الأول .

ثم كانت المناجاة على جبل الطور وكلام الله لموسى والمعجزات المتتابعة ، ونزول الألواح ، ويزعم بنو اسرائيل أنها كانت لوحين فيها الكلمات العشرة وهي : كلمة التوحيد ، والمحافظة على السبت بترك الأعمال فيه ، وبرّ الوالدين ليطول العمر ، والنهي

(١) الأصح ان يقول يحرقونه .

عن القتل ، والزنا ، والسرقه ، وشهادة الزور ، ولا تمتدّ عين إلى بيت صاحبه ، أو امرأته ، أو لشيء من متاعه . هذه الكلمات العشرة التي تضمنتها الألواح .

وكان سبب نزول الألواح أن بني اسرائيل لما نجوا ونزلوا حول طور سينا صعد موسى إلى الجبل ، فكلّمه ربّه وأمره أن يُذكّر بني اسرائيل بالنعمة عليهم في نجاتهم من فرعون وأن يتطهروا ويغسلوا ثيابهم ثلاثة أيام ، ويحتلموا في اليوم الثالث حول الجبل من بعد ، ففعلوا وظلت الجبل غمامة عظيمة ذات بروق ورعود ففرعوا ، وقاموا في سفح الجبل دهشين ، ثم غشى الجبل دخان في وسطه عمود نور وتزلزل له الجبل زلزلة عظيمة شديدة ، واشتدّ صوت الرعد الذي كانوا يسمعون ، وأمر موسى صلوات الله عليه بأن يقرب بني اسرائيل لسماع الوصايا والتكاليف ، قال فلم يطيقوا فأمر بحضور هارون وتكون العلماء غير بعيد ففعل ، وجاءهم بالألواح .

ثم سار بعد ذلك إلى ميعاد الله بعد أربعين ليلة ، فكلّمه ربه وسأله الرؤية ، فنعها فكان الصعق وساخ الجبل ، وتلقى كثيرا من أحكام التوراة في المواعظ والتحليل والتحريم . وكان حين سار الى الميعاد استخلف أخاه هارون على بني اسرائيل ، واستبطأ موسى ، وكان هارون قد أخبرهم بأنّ الحلّى الذي أخذوه للقبض محرّم عليهم ، فأرادوا حرقه وأوقدوا عليه النار . وجاء السامريّ في شيعه له من بني اسرائيل ، وألقى عليه شيئا كان عنده من أثر الرسول ، فصار عجلاً وقيل عجلا حيوانا ، وعبدّه بنو اسرائيل ، وسكت عنهم هارون خوفا من افتراقهم . وجاء موسى صلوات الله عليه من المناجاة وقد أخبر بذلك في مناجاته ، فلما رآهم على ذلك ألقى الألواح ، ويقال كسرها ، وأبدل غيرها من الحجارة ، وعند بني اسرائيل انهما اثنان ، وظاهر القرآن أنها أكثر مع أنه لا يبعد استعمال الجمع في الاثنان ، ثم أخذ برأس أخيه ووبّخه واعتذر له بما اعتذر ثم حرق العجل ، وقيل برده بالمبرد وألقاه في البحر .

وكان موسى صلوات الله عليه لما نجا بني اسرائيل الى الطور بلغ خبره الى بيثراً^(١) صهره من بني مدين ، فجاء ومعه بنته صفورا زوجة موسى عليه السلام التي زوجها به أبوها رعويل كما تقدّم ، ومعها ابناها من موسى وهما جرشون وعازر ، فتلقاها موسى صلوات الله عليه بالبرّ والكرامة وعظمه بنو اسرائيل ، ورأى كثرة الخصومات

(١) وفي التوراة : يثرون .

على موسى ، فأشار عليه بأن يتخذ النقباء على كلِّ مائة أو خمسين أو عشرة فيفصلوا بين الناس ، وتفصل أنت فيما أهم وأشكل ، ففعل ذلك .

ثم أمر الله موسى ببناء قبة للعبادة والوجي من خشب الشَّمشَاد ، ويقال هو السُنْط وجلود الأنعام وشعر الأغنام ، وأمر بتزيينها بالحرير والمصبغ والذهب والفضة على أركانها صَوَّرَ منها صور الملائكة الكروبيين على كيفيات مفصلة في التوراة في ذلك كله ، ولها عشر سرادقات مقدرة الطول والعرض ، وأربعة أبواب وأطناب من حرير منقوش مصبغ ، وفيها دفوف وصفائح من ذهب وفضة ، وفي كلِّ زاوية بابان وأبواب وستور من حرير ، وغير ذلك مما هو مشروح في التوراة . ويعمل تابوت من خشب الشَّمشَاد طول ذراعين ونصف في عرض ذراعين في ارتفاع ذراع ونصف مصفحاً بالذهب الخالص من داخل وخارج ، وله أربع حلق في أربع زوايا ، وعلى حافته كروبيبان من ذهب يعنون مثالي مَلَكَيْنِ بأجنحة ويكونان متقابلين ، وان يصنع ذلك كله فلان شخص معروف من بني إسرائيل . وأن يعمل مائدة من خشب الشَّمشَاد طول ذراعين في عرض ذراع ونصف بطناب ذهب ، واكليل ذهب ، بحافة مرتفعة باكليل ذهب ، وأربع حلق ذهب في أربع نواحيها مغروزة في مثل الرَّمانة من خشب ملبّس ذهباً ، وصحافاً ومصافي وقصاعاً على المائدة كلها من ذهب . وان يعمل منارة من ذهب ، بست قضبات من كلِّ جانب ثلاث وعلى كل قضبة ثلاث سُرُج ، وليكن في المنارة أربعة قناديل ، ولتكن هي وجميع آلاتها من قنطار من ذهب . وأن يعمل مذبحاً للقربان ، ووصف ذلك كله في التوراة بأنم وصف .

ونصبت هذه القبة أول يوم من فصل الربيع ونصب فيها تابوت الشهادة وتضمن هذا الفصل في التوراة من الأحكام والشرائع في القربان والنحور وأحوال هذه القبة كثيراً وفيها : أن قبة القربان كانت موجودة قبل عبادة أهل العجل ، وأنها كانت كالكعبة يصلّون إليها وفيها ، ويتقرّبون عندها ، وأن أحوال القربان كانت كلها راجعة إلى هارون عليه السلام بعهد الله إلى موسى بذلك ، وأن موسى صلوات الله عليه كان إذا دخلها يقفون حولها وينزل عمود الغمام على بابها ، فيخرون عند ذلك سَجْداً لله عز وجل ، ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذي هو نور ويخاطبه ويناجيه وينهاه ، وهو واقف عند التابوت صامداً لما بين ذيتك الكروبيين . فإذا فصل

الخطاب يخبر بني اسرائيل بما أوحاه إليه من الأوامر والنواهي ، وإذا تحاكموا إليه في شيء ليس عنده من الله فيه شيء ، يجيء إلى قبة القربان ، ويقف عند التابوت ، ويصمد لما بين ذينك الكروبيين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الخصومة .

ولما نجا بنو اسرائيل ودخلوا البرية عند ستينا أول المصيف لثلاثة أشهر من خروجهم من مصر ، وواجهوا جبال الشام وبلاد بيت المقدس التي وعدوا بها أن تكون ملكاً لهم على لسان إبراهيم واسحق ويعقوب صلوات الله عليهم بمسيرهم إليها ، وأتوه باحصاء بني اسرائيل من يطبق حمل السلاح منهم من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستائة ألف أويديون ، وضرب عليهم الغزو ورتب المصاف والميمنة والميسرة ، وعين مكان كل سبط في التعبئة وجعل فيه التابوت والمذبح في القلب ، وعين لخدمتها بني لاوى من أسباطهم ، وأسقط عنهم القتال لخدمة القبة ، وسار على التعبئة سالكا على برية فاران ، وبعثوا منهم إثني عشر نقيبا من جميع الأسباط فأتوهم بالخبر عن الجبارين . كان منهم كالب بن يوفنا بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب ، ويوشع بن نون بن أليشامع بن عميئون بن بارص بن لعدان بن تاجن بن تالح بن أراشيف بن رافح بن بريعا بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب ، فاستطابوا البلاد واستعظموا العدو من الكنعانيين والعماليقة ، ورجعوا إلى قومهم يخبرونهم الخبر وخذلوهم ، إلا يوشع وكالب فقالا لهم ما قالا وهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما . وخامر بنو اسرائيل عن اللقاء ، وأبوا من السير إلى عدوهم ، والأرض التي ملكهم الله ، إلى أن يهلك الله عدوهم على غير أيديهم .

فسخط الله ذلك منهم وعاقبهم بأن لا يدخل الأرض المقدسة أحد من ذلك الجيل إلا كالب ويوشع . وإنما يدخلها أبناؤهم والجيل الذي بعدهم ، فأقاموا كذلك أربعين سنة في برية سينا وفاران ، يترددون حوالي جبال الشراة ، وأرض ساعير ، وأرض بلاد الكرك والشوبك ، وموسى صلوات الله عليه بين ظهرانيهم يسأل الله لطفه بهم ومغفرته ويدفع عنهم مهالك سخطه ، وشكوا الجوع ، فبعث الله لهم المن حبات بيض منتشرة على الأرض مثل ذرير الكزبرة ، فكانوا يطحنونه ويتخذون منه الخبز لأكلهم . ثم قرموا إلى اللحم فبعث لهم السلوى طيراً يخرج من البحر ، وهو طير السماني ، فياكلون منه ، ويدخرون ثم طلبوا الماء ، فأمر أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وأقاموا على ذلك ثم ارتاب واحد منهم اسمه فودح بن

ايصهر بن قاهث ، وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث ، فارتاب هو وجماعة منهم من بني اسرائيل بشأن موسى ، واعتمدوا مناصبته فاصابتهم قارعة وخسفت بهم وبه الأرض وأصبحوا عبرة للمعتبرين . واعترم بنوا إسرائيل على الاستقالة مما فعلوه والزحف إلى العدو ، ونهاهم موسى عن ذلك فلم ينتهوا وصعدوا جبل العالقة فحاربهم أهل ذلك الجبل فهزموهم وقتلوه في كل وجه . فأمسكوا وأقام موسى على الاستغفار لهم ، فأرسل إلى ملك أدوم يطلب الجواز عليه إلى الأرض المقدسة فمنعهم ، وحال دون ذلك .

ثم قبض هارون صلوات الله عليه لمائة وثلاثة وعشرين سنة من عمره ، ولأربعين سنة من يوم خروجهم من مصر ، وحزن له بنو اسرائيل لأنه كان شديد الشفقة عليهم ، وقام بأمره الذي كان يقوم به ابنه العيزار^(١) ، ثم زحف بنو اسرائيل إلى بعض ملوك كنعان ، فهزموهم وقتلوه وغنموا ما أصابوا معهم ، وبعثوا إلى سيحون ملك العموريين من كنعان في الجواز في أرضه إلى الأرض المقدسة فمنعهم وجمع قومه وغزا بني اسرائيل في البرية ، فحاربوه وهزموه وملكوا بلاده إلى حدّ بني عمّون ، ونزلوا مدينته وكانت لبني مؤاب . وتغلب عليها سيحون . ثم قاتلوا عوجا وقومه من كنعان وهو المشهور بعوّج بن عوّق ، وكان شديد البأس فهزموه وقتلوه وبنوه وأثخنوا في أرضه ، وورثوا أرضهم إلى الأردن بناحية أريحا . وخشي ملك بني مؤاب من بني إسرائيل ، واستجاش بمن يحاوره من بني مدين وجمعهم ، ثم أرسل إلى بلعام بن باعورا وكان يتزل في التخم بين بلاد بني عمّون وبني مؤاب ، وكان بحاب الدعوة معبراً للأحلام . واستدعاه ليستعين بدعائه ، وأتاه الوحي بالنبي عن الدعاء ، وألحّ عليه ذلك الملك وأصعده إلى الاماكن الشاهقة ، وأراه معسكر بني اسرائيل منها ، فدعا لهم وأنطقه الله بظهورهم وانهم يملكون إلى الموصل . ثم تخرج أمة من أرض الروم فيغلبون عليهم ، فغضب الملك وانصرف بلعام إلى بلاده .

وفشا في بني إسرائيل الزنا بينات مؤاب ومدين فأصابهم الموتان ، فهلك منهم أربعة وعشرون ألفا . ودخل فنحاص بن يعزرا على رجل من بني إسرائيل في خيمته ومعه امرأة من بني مدين قد أدخلها للزنا بمراى من بني إسرائيل ، فطعنها برمحها وانتظمها وارفع الموتان عن بني إسرائيل . ثم أمر الله موسى واليعازر بن هارون باحصاء بني

(١) وفي التوراة اسمه : اليعازر .

إسرائيل بعد فناء الجيل الذي أحصاهم موسى وهارون ببرة سينا ، وانقضاء الأربعين سنة التي حرم الله عليهم فيها دخول تلك الأرض ، وإن يبعث بعثا من بني إسرائيل إلى مَدْيَن الذين أعانوا بني مؤاب ، فبعث اثني عشر ألفا من بني إسرائيل وعليهم فنحاص بن العيزر بن العزر بن هارون ، فحاربوا بني مَدْيَن وقتلوا ملوكهم وسبوا نساءهم وملكوا أموالهم ، وقسم ذلك في بني إسرائيل بعد أن أخذ منه الله ، وكان فيمن قتل بلعام بن باعورا . ثم قسّم الأرض التي ملك من بني مَدْيَن والعموريين وبني عَمّون وبني مؤاب ، ثم ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا شاطئ الأردن ، وقال الله قد ملكتكم ما بين الأردن والفرات كما وعدت آباءكم . ونهوا عن قتال عيصو الساكنين ساعير وبني عَمّون وعن أرضهم . وأكمل الله الشريعة والأحكام والوصايا لموسى عليه السلام ، وقبضه إليه لمائة وعشرين سنة من عمره ، بعد أن عهد إلى فتاه يوشع أن يدخل ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة ليسكنوها ، ويعملوا بالشريعة التي فُرِضَتْ عليهم فيها ، ودفن بالوادي في أرض مؤاب ولم يعرف قبره لهذا العهد .

وقال الطَّبْرِي : مدّة عُمُر موسى صلوات الله عليه مائة وعشرون سنة ، منها في أيام أَقْرِيذُونَ عشرون ، ومنها في أيام مَنوَجَهْر مائة . قال : ثم سار يوشع من بعد موسى إلى أريحا ، فهزم الجبارين ودخلها عليهم . وقال السُّدِّي : إنَّ يوشع تَنَبَّأ بعد موسى ، وسار إلى أريحا فهزم الجبارين ، ودخلها عليهم ، وأن بلعام بن باعورا كان مع الجبارين يدعو على يوشع ، فلم يستجب له ، وصرف دعاؤه على الجبارين . وكان بلعام من قرى البلقاء ، وكان عنده الاسم الأعظم ، فطلبه الكنعانيون في الدّعاء على بني إسرائيل فامتنع ، وألحوا عليه فأجاب ، ودعا فصرف دعاؤه ، وكان قيامه للدّعاء على جبل حسان مطلا على عسكر بني إسرائيل ، هذا خبر السُّدِّي في أنَّ دّعاء بلعام كان لعهد يوشع . والذي في التوراة أنّه كان لعهد موسى ، وأنَّ بلعام قتل لعهد موسى كما مرّ في خبر الطَّبْرِي .

وقال السُّدِّي : إنَّ يوشع بعد وفاة موسى صلوات الله عليه أمر أن يعبر ، فسار ومعه التابوت تابوت الميثاق ، حتى عبر الأردن ، وقاتل الكنعانيين فهزمهم ، وأنَّ الشمس جنحت للغروب يوم قتالهم ودعا الله يوشع فوقف الشمس ^(١) حتى تمت عليهم

(١) وفي الطبري ج ١ ص ٢٢٨ : فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديدا حتى أمسوا وغربت الشمس ودخل السبت فدعا الله فقال للشمس : انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله اللهم اردد عليّ الشمس فودّت عليه الشمس .

الهزيمة ، ثم نازل أربحاء ستة أشهر^(١) ، وفي السابع نفخوا في القرون ، وضع الشعب ضجة واحدة ، فسقط سور المدينة فاستباحوها وأحرقوها . وكمل الفتح واقتسموا بلاد الكنعانيين كما أمرهم الله . هذا مساق الخبر عن سيرة موسى صلوات الله عليه وبني إسرائيل أيام حياته وبعد مماته حتى ملكوا أربحا .

وفي كتب الإخباريين أن العمالقة الذين كانوا بالشام قاتلهم يوشع فهزمهم وقتل آخر ملوكهم وهو السميدع بن هوبر بن مالك . وكان لقاؤهم إياه مع بني مدين في أرضهم وفي ذلك يقول عوف بن سعد الجهمي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَلَقَمِيَّ بْنَ هَوْبَرٍ
تَرَامَتْ عَلَيْهِ مِنْ يَهُودَ جَحَافِلٍ
بِأَيْلَةٍ أَمْسَى لَحْمُهُ قَدْ تَمَزَّعًا
تَمَانُونَ أَلْفًا حَاسِرِينَ وَذَرَّعًا

ذكره المسعودي وقد تقدّم لنا خلاف النسابة في هؤلاء العمالقة وأنهم لعمليق بن لاوذ أول لعلقي بن أليفاز بن عيصو الثاني ، لنسابة بني إسرائيل سار إليه علماء العرب . وأما الأمم الذين كانوا بالشام لذلك العهد ، فأكثرهم لبني كنعان وقد تقدّمت شعوبهم ، وبنو أروم أبناء عمّون ، وبنو مؤاب أبناء لوط ، وثلاثتهم أهل يستعير^(٢) وجبال الشراة وهي بلاد الكرك والشوبك والبلقا ، ثم بنو فلسطين من بني حام ويسمى ملكهم جالوت وهو من الكنعانيين منهم ، ثم بنو مدين ثم العمالقة . ولم يؤذن لبني إسرائيل في غير بلاد الكنعانيين فهي التي اقتسموها وملكوها وصارت لهم تراثا ، وأما غيرها فلم يكن لهم فيها إلا الطاعة والمغارم الشرعية من صدقة وغيرها .

وفي كتب الإخباريين أنّ بني إسرائيل بعد ملكهم الشام ، بعثوا بعوثهم إلى الحجاز ، وهنالك يومئذ أمة من العمالقة يسمّون جاسم ، وكان اسم ملكهم الإرم بن الأرقم ، وكان أوصاهم أن لا يستبقوا منهم من بلغ الحلم . فلما ظهرُوا على العمالقة وقتلوا

(١) يتفق ابن خلدون مع الطبري وابن الاثير حول المدة التي حاصر يوشع مدينة أربحا في الطبري ج ١ ص ٢٢٨ «فاحاط بمدينة اربحا ستة اشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضع الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة» وفي الكامل ج ١ ص ٢٠٢ وقيل بل حصها ستة اشهر فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور» -

اما ابو الفداء فيذكر ان مدة حصار اربحا كانت ستة ايام ويوافق ذلك ما ذكر في التوراة ، الاصحاح السادس من سفر يوشع : «ان الحصار كان ستة ايام وفي اليوم السابع سقط السور» .

(٢) وفي نسخة اخرى : يستعير .

الأرقم ، استبقوا ابنه وضنوا به عن القتل لوضاءته . ولما رجعوا من بعد الفتح ، وبخهم إخوانهم ومنعواهم دخول الشام وأرجعواهم إلى الحجاز ، وما تملكوا من أرض يثرب ، فزلوها واستثم لهم فتح في نواحيها ، ومن بقاياهم يهود خيبر وقريظة والنضير . قال ابن إسحق قريظة والنضير والتحام وعمرو هو هزل من الخرج . وقال ابن الصريح : ابن التومان بن السبط بن أليسع بن سعد ابن لاوى بن النمام بن يتحوم بن عازر بن عزربن هارون عليه السلام . واليهود لا يعرفون هذه القصة وبعضهم يقول كان ذلك لعهد طالوت والله أعلم .

الخبر عن حكام بني اسرائيل بعد يوشع الى أن صار أمرهم إلى الملك وملك عليهم طالوت

ولما قبض يوشع صلوات الله عليه بعد استكمال الفتح ، وتمهيد الأمر ، ضيّع بنو إسرائيل الشريعة ، وما أوصاهم به وحذرهم من خلافه ، فاستطالت عليهم الأمم الذين كانوا بالشام ، وطمعوا فيهم من كل ناحية . وكان أمرهم شورى فيختارون للحكم في عامتهم من شاؤا ، ويدفعون للحرب من يقوم بها من أسباطهم ، ولهم الخيار مع ذلك على من يلي شيئا من أمرهم ، وتارة يكون نبيا يديرهم بالوحي ، وأقاموا على ذلك نحو من ثلثمائة سنة لم يكن لهم فيها ملك مستفحل ، والملوك تناوشهم من كل جهة ، إلى أن طلبوا من نبينهم شمويل أن يبعث عليهم ملكا ، فكان طالوت ، ومن بعده داود ، فاستفحل ملكهم يومئذ وقهروا أعداءهم ، على ما يأتي ذكره بعد . وتسمى هذه المدة بين يوشع وطالوت مدة الحكام ومدة الشيوخ .

وأنا الآن أذكر من كان فيها من الحكام على التابع معتمدا على الصحيح منه ، على ما وقع في كتاب الطبري والمسعودي ، ومقابلا به ما نقله صاحب حمة^(١) من بني أيوب في تاريخه عن سفر الحكام والملوك من الاسرائيليات ، وما نقله أيضا هروشيوش مؤرخ الروم في كتابه الذي ترجمه للحكم المستنصر من بني أمية قاضي النصراني وترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ . قالوا كلهم : لما فتح يوشع مدينة أريحا سار إلى نابلس فملكها ودفن هنالك شلو^(٢) يوسف عليه السلام ، وكانوا حملوه معهم

(١) يعني ابي الفداء

(٢) يعني رفاة يوسف عليه السلام .

عند خروجهم من مصر . وقد ذكرنا انه كان أوصى بذلك عند موته . وقال الطبري : إنه بعد فتح أريحاء نهض الى بلد عاي من ملوك كنعان ، فقتل الملك وأحرق المدينة ، وتلقاه خيقون ملك عمّان ، وبارق ملك أروشلیم بالجزي واستندموا (٣) بأمانه فأمّنهم . وزحف إلى خيقون ملك الأرمانيين من نواحي دمشق فاستنجد بيوشع ، فهزم يوشع ملك الأرمن إلى حوران واستلحمهم وصلب ملوكهم ، وتبع سائر الملوك بالشام فاستباح منهم واحدا وثلاثين ملكا . وملك قيسارية ، وقسم الأرض التي ملكها بين بني اسرائيل ، وأعطى جبل المقدس لكالب ابن يوفنا فسكن مدينة أورشليم ، وأقام مع بني يهودا ، ووضع القبة التي فيها تابوت العهد والمذبح والمائدة والمثارة على الصخرة التي في بيت المقدس . وأما بنو أفرايم فكانوا يأخذون الجزية من الكنعانيين ، ثم قبض يوشع وفي سفر الحُكّام أنه قبض لثمان وعشرين سنة من ملكه ، وهو ابن مائة وعشرين سنة . وقال الطبري : ابن مائة وستة وعشرين سنة . والأول أصبح . قال : وكان تدبير يوشع لبني اسرائيل في زمن منوشهر عشرين سنة ، وفي زمن أفراسياب سبع سنين . وقال أيضا : إن ملك اليمن شمر بن الأملوك من حمير كان لعهد موسى وبني ظفّار وأخرج منها العمّالقة . ويقال أيضا : كان من عمّال الفرس على اليمن . وزعم هشام بن محمد الكلبي أن الفلّ من الكنعانيين بعد يوشع احتملهم أفريقش بن قيس بن صيفي من سواحل الشام ، في غزاته الى المغرب التي قتل فيها جرجيس الملك ، وأنه أنزلهم بأفريقية ، فنهزم البربر وترك معهم صهاجة وكتامة من قبائل حمير انتهى .

وقام بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا بن حصرون بن بارص بن يهودا وقد مرّ نسبه ، وكان فنحاص بن العيزر بن هارون كوهنا ، يتولى أمر صلاتهم وقربانهم ، ثم تنبأ وتنبأ أبوه العيزر وكان كالب مضعفا فأقاما كذلك سبع عشرة سنة . وقال الطبري كان مع كالف في تدبيرهم حزقيل بن يودي ، ويقال له ولد العجوز لأنه ولد بعد أن كبرت أمّه وعقمت . وحدث عن وهب بن منبه أن حزقيل هذا دبّرهم بعد كالب ولم يقع لهذا ذكر في سفر الحُكّام . ثم بعد يوشع اجتمع بينو يهودا وبنو شمعون لحرب الكنعانيين ، فغلبوهم وقتلوهم ، وفتحوا أورشليم وقتلوا ملكها ، ثم فتحوا غزة وعسقلان وملكوا الجبل كله ، ولم يقتلوا الغور . وأما سبط بنيامين فكان في قسمهم

(٣) اي دخلوا في ذمته .

بلد اليونانيين في أرضهم ، وأخذوا منهم الخراج واختلطوا بهم ، وعبدوا آلهتهم
فسلط الله عليهم ملك الجزيرة واسمه كوشان شقنائم ، ومعناه أظلم الظالمين . ويقال
إنه ملك الأرمن في الجزيرة ودمشق وملك حوران وصيدا وحرّان ويُقال والبحرين
ويُقال انه من أدوم .

وقال الطبري : من نسل لوط فاستعبد بني إسرائيل ثمان سنين بعد وفاة كالب بن
يوفنا ، ثم ولي الحكم فيهم عثيثال ابن أخيه قنّاز ابن يوفنا فحاربهم كوشان هذا ،
وازال ملكته عن بني إسرائيل ، ثم حاربه فقتله وكان له بعد ذلك حروب سائر أيامه
مع بني مؤاب وبني عمون أسباط لوط ومع العماليق إلى أن هلك لأربعين سنة من
دولته . ثم عبد بنو إسرائيل الأوثان من بعده فسلط الله عليهم ملك بني مؤاب واسمه
عفلون ، بعين مهملة ومعجمة ساكنة ولام مضمومة تجلب واوا ساكنة ونون بعدها ،
فاستعبدهم ثمانى عشرة سنة . ثم قام بتدبيرهم أيهوذا بن كارا من سبط أفرام ، وقال
ابن حزم : من بنيامين ، وضبطه بهمة مالة تجلب ياء ثم هاء مضمومة تجلب واوا ثم
زال معجمة فأنقذهم من يد بني مؤاب وقتل ملكهم عفлон بجيلة تمت لهم في ذلك .
وهو أنه جاءه رسولا عن بني إسرائيل متنكرا بهدايا وتحف منهم حتى اذا خلا به طعنه
فأنفذه ولحق بمكانه من جبل أفرام ، ثم اجتمعوا ونزلوا فقتلوا من الحرس نحو من
عشرة آلاف ، وغلب ببني اسرائيل بني مؤاب واستلحمهم وهلك لثمانين سنة من
دولته .

وقام بتدبيرهم بعده شمكار بن عناث من سبط كاد ، وضبطه بفتح الشين المثلثة
بعدها ميم ساكنة وكاف تقرب من مخرج الجيم ويحلب فتحها الفا وبعدها راء مهملة ،
ومات لسنة من ولايته وبنو إسرائيل على حياهم من المخالفة ، فسلط الله عليهم ملك
كنعان واسمه يافين ، بقاء شفوية تقرب من الباء ، فسرح إليهم قائده سميرا فملك عليهم
أمرهم واستعبدهم عشرين سنة . وكانت فيهم كوهنة امرأة متنبئة اسمها دافورا بقاء
هوائية تقرب من الباء ، وهي من سبط نفتالي ، وقيل من سبط أفرام ، وقيل كان
زوجها بارق ابن أبي نوعم من سبط نفتالي واسمه اليبودق ، فدعته إلى حرب سميرا
فأبى إلا أن تكون معه فخرجت ببني إسرائيل ، وهزموا الكنعانيين ، وقتل قائدهم
سميرا وقامت بتدبيرهم أربعين سنة يرادفها زوجها بارق بن أبي نوعم . قال
هروشيوش : وعلى عهدا كان أول ملوك الروم اللطينيين بأنطاكية بنقش بن شطونش

وهو أبو القباصرة . ثم توفيت دافورا وبقي بنو اسرائيل فوضى وعادوا إلى كفرهم فسلبت الله عليهم أهل مَدْيَنَ والعالمقة .

قال الطبري : وبنو لوط الذين بتخوم الحجاز قهزوهم سبع سنين ، ثم تنبأ فيهم من سبط منشى بن يوسف كدعون بن يواش ، وضبطه بفتح الكاف القرية من الجيم وسكون الدال المهمله بعدها وعين مهمله مضمومة تجلب واوا وبعدها نون ، فقام بتدبيرهم . وقد كان لمدّين ملكان أحدهما اسمه رابح والآخر صلمناع ، فبعث إلى بني إسرائيل عساكره مع قائدين عوديب وزديف ، وأهمّ بني إسرائيل شأنهم ، فخرج بهم كدعون فهزموا بني مَدْيَنَ ، وغنموا منهم أموالا جمّة ، ومكثوا أيام كدعون هذا على استقامة في دينهم ، وغلب لأعدائهم أربعين سنة ، وكان له من الولد سبعون ولدا ، وعلى عهده بنيت مدينة طرسوس . وقال جرجيس بن العميد : وملطية أيضا . ولما هلك قام بتدبيرهم ولده أبو مليخ ، وكانت أمّه من بني شخام^(١) ابن منشى بن يوسف من أهل نابلس ، فانجدوه بالمال وقتل بني أييب كلهم ثم نازعوه بنو شخام أخواله الأمر ، وطالت حروبه معهم ، وهلك محاصرا لبعض حصونهم بحجر طرحته عليه امرأة من السور فشدخه . فقال لصاحب سلاحه أجهز عليّ لثلا يقال قتلته امرأة . وذلك لثلاث سنين من ولايته .

ثم دبّر أمرهم بعده طولاع بن فوا بن داود من سبط يساخر ، وضبطه بطاء قرية من التاء تجلب ضممتها واوا ثم لام ألف ثم عين . وقال الطبريّ هو ابن خال أبي مليخ وابن عمه . (قلت) : والظاهر أنه ابن خاله لأن سبط هذا غير سبط ذاك . وقال ابن العميد : هو من سبط يساخر إلا أنه كان نازلا في سائر من جبل أفرائيم . فمن هنا والله أعلم وقع اللبس في نسبه ، ودبّرهم ثلاثا وعشرين سنة . قال هروشيوش : وعلى عهده كان بمدينة طرونية من ملوك الروم اللطينيين برمامش بن بنقش . وملك ثلاثين سنة وقد مضى ذكره . ولما هلك طولاع قام بتدبيرهم بعده ياثير بن كلعاد من سبط منشى بن يوسف وضبطه بياء مثناة تحتية مفتوحة وألف ثم همزة مكسورة بعدها ياء أخرى ثم راء مهمله ، وقام في تدبيرهم اثنتين وعشرين سنة ، ونصب أولاده كلهم حكاما في بني اسرائيل وكانوا نحو من ثلاثين ، فلما هلك طغفوا وعبدوا الأصنام ،

(١) وفي التوراة نفتالي .

(٢) وفي نسخة أخرى : سخام .

فسلط الله عليهم بني فلسطين وبني عمّون فقهرهم ثماني عشرة سنة .
وقام بتدبيرهم يفتاح من سبط منشى ، وضبطه بياء مثناة تحتانية وفاء ساكنة وتاء
مثناة من فوق بفتحة تجلب ألفاء ثم حاء مهملة ، فلما قام بأمرهم طلب ضريبة النحل
من بني عمّون فامتنعوا من إعطائها وكانوا ملوكا منذ ثلثائة سنة ، فقاتلهم وغلبهم عليها
وعلى اثنتين وعشرين قرية معها ، ثم حارب سبط أفرايم وكانوا مستبدين وحدهم
عن بني اسرائيل ، فارادهم على اتفاق الكلمة والدخول في الجماعة حتى استقاموا على
ذلك ، وأقام في تدبيرهم ست سنين . وعلى عهده أصابت بلاد يونان الجماعة العظيمة
التي هلك فيها أكثرهم .

ولما هلك قام بتدبيرهم أبصان من سبط يهودا من بيت لحم ، وضبطه بهمزة مفتوحة
وباء موحدة ساكنة وصاد مهملة بفتحة تجلب ألفا وبعدها نون ، ويقال أنه جدّ داود
عليه السلام ، بوغز بن سلمون بن نحشون بن عمينا ذاب بن رمّ بن حصرون بن بارص
بن يهودا . وحصرون هذا هو جد كالب بن يوفنا الذي دبرهم بعد يوشع . ونحشون
كان سيّد بني يهود العهد خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام ، وهلك في التيه .
ودخل ابنه سلمون أرحا مع يوشع ونزل بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس .
قال هروشيوش : في أيام أبصان هذا كان انقراض ملك السريانيين ، وخروج القوط
وحروبهم مع النبط .

وأقام أبصان في تدبير بني اسرائيل سبع سنين ثم هلك . فقام بتدبيرهم
إيلون من سبط زبولون وضبطه بهمزة مكسورة تجلب ياء ثم لام مضمومة
تجلب واوا ثم نون ، فدبرهم عشر سنين ثم هلك . فدبرهم عبدون بن هلال من سبط
أفرايم ثمان سنين . وقال ابن العميد اسمه عكرون بن هليان وكان له أربعون ابنا
وثلاثون حافدا . قال هروشيوش : وفي أيامه خربت مدينة طرونة قاعدة الروم
اللطينيين خربها الروم الغريقيون ^(١) في فتنة بينهم . ولما هلك عبدون دفن بأرض أفرايم
في جبال العالقة واختلف بنو اسرائيل بعده وعبدوا الأصنام وسلط الله عليهم بني
فلسطين فقهرهم أربعين سنة ، ثم تخلصهم ^(٢) من أيديهم شمشون بن مانوح من
سبط دان ، ويعرف بشمشون القوي لفضل قوّة كانت في يده ويعرف أيضا بالجبار

(١) يعني الروم الاغريقين .

(٢) الاصح أن يقول «خلصهم» .

وكان عظيم سبطه ، ودبر بني اسرائيل عشر سنين بل عشرين سنة ، وكثرت حروبه مع بني فلسطين ، وأثنى فيهم وأتيح لهم عليه في بعض الأيام فأسروه ثم حملوه وحبسوه . واستدعاه ملكهم بعض الأيام الى بيت آلتهم ليكلمه فامسك عمود البيت ، وهزه بيده فسقط البيت على من فيه وماتوا جميعا .

ولما هلك اضطربت بنو اسرائيل وافترقت كلمتهم وانفرد كل سبط بحاكم يولونه منهم ، والكهنونية فيهم جميعا في عقب العيزار بن هرون من لدن وفاة هرون عليه السلام بتوليته موسى صلوات الله عليه بالوحي ، ومعنى الكهنونية إقامة القرايين من الذبح والبخور على شروطها وأحكامها الشرعية عندهم . وقال ابن العميد : إنه ولي تدبيرهم بعد شمشون حاكم آخر اسمه ميخائيل بن راعيل ، دبرهم ثمان سنين ، ولم تكن طاعته فيهم مستحكمة ، وأن الفتنة وقعت بين بني اسرائيل ففني فيها سبط بنيامين عن آخرهم .

ثم سكنت الفتنة وكان الكوهن فيهم لذلك العهد عالي بن بيطات بن حاصاب بن إيلان بن فنحاص بن العيزار بن هرون ، وقيل من ولد ايتامار بن هرون ، وضبطه بعين مهملة مفتوحة تجلب ألفا ثم لام مكسورة تجلب ياء تحتانية . فلما سكنت الفتنة كانوا يجرعون إليه في أحكامهم وحروبهم . وكان له ابنان عاصيان ، فدفعها إلى ذلك ، وكثر لعده قتال بني فلسطين ، وفشا المنكر من ولديه ، وأمر بدفعهم عن ذلك فلم يزدادوا إلا اعتوا وطغينا ، وأنذر الأنبياء بذهاب الأمر عنه وعن ولده ، ثم هزمهم بنو فلسطين في بعض أيامهم وأصابوا منهم ، فتذامر بنو اسرائيل ، واحتشدوا وحملوا معهم تابوت العهد ، ولقيهم بنو فلسطين ، فانهزم بنو اسرائيل أمامهم وقتلوا ابنا عالي كوهن كما أنذره أبوها وشمويل . وبلغ أباهما الكوهن خبر مقتلها فمات أسفا لأربعين سنة من دولته ، وغنم بنو فلسطين التابوت فيما غنموه ، واحتملوه إلى بلادهم بعسقلان وغزة ، وضربوا الجزية على بني اسرائيل ، ولما مضى القوم بالتابوت فيما حكى الطبري ، وضعوه عند آلتهم فقلها مرارا فأخرجوه إلى ناحية من القرية ، فأصيبوا فتبادروا بإخراجه وحملوه على بقرتين لها تبيعان ووضعناه عند أرض بني اسرائيل ، ورجعنا إلى ولديهما وأقبل إليه بنو اسرائيل فكان لا يدنوا منه أحد إلا مات حتى أذن شمویل لرجلين منهم حملاه إلى بيت أمها وهي أرملة فكان هنالك حتى ملك طالوت اه . وكان ردهم التابوت لسبعة أشهر من يوم حملوه ، وكان عالي الكوهن

قد كفل ابن عمه شمويل بن الكتان بن يوام بن إلياهد بن ياو بن سوف . وسوف هو أخو حاصاب بن البلى بن يحاص .

وقيل إن شمويل من عقب فورش وهو قارون بن يصهار بن قاهات بن لاوى . ونسبه إليه شمويل بن القنا بن يروحام بن أليهوذ بن يوحا بن صوب بن ألقانا بن يويل بن عزيز ابن صنعينا بن ثاحت بن أسر بن القانا بن النشاسات بن قارون . وكانت أمه نذرت أن تجعله خادما في المسجد ، وألقتة هنالك فكفله عالي وأوصى له بالكهونية ، ثم أكرمه الله بالنبوة ، وولاه بنو إسرائيل أحكامهم فدبرهم عشر سنين . وقال جرجيس بن العميد : عشرين سنة ونهاهم عن عبادة الأوثان فانتها وحاربوا أهل فلسطين واستردوا ما كانوا أخذوا لهم من القرى والبلاد ، واستقام أمرهم ثم دفع الأمر الى ابنه يؤال وأبيا ، وكانت سيرتهما سيئة . فاجتمع بنو إسرائيل الى شمويل ، وطلبوه أن يسأل الله في ولاية ملك عليهم ، فجاء الوحي بولاية طالوت . فولاه وصار أمر بني إسرائيل ملكا بعد أن كان مشيخة ، والله معقب الأسر بحكمته لا رب غيره .

الخبر عن ملوك بني اسرائيل بعد الحكام ثم افتراق أمرهم والخبر
عن دولة بني سليمان بن داود على السبطين يهوذا وبنيامين
بالقدس الى انقراضها

لما نقم بنو إسرائيل على يوال وأبيا ابني شمويل ما نقموا من أمورهم ، واجتمعوا إلى
شمويل ، وسألوه من الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم ويجمع نشرهم
ويدفع الذل عنهم ، فجاء الوحي بأن يولي الله طالوت ويدهنه بدهن القدس ، فأبوا
بعد أن أمر شمويل بأن يستهوا عليه ، فاستهوا على بني آباهم ، فخرج السهم على
طالوت وكان أعظمهم جسما فولوه ، واسمه عند بني اسرائيل شاول بن قيس بن أفيل ،
بالقاء الهوائية القريبة من الباء ، ابن صاروا بن نحورت بن أفياح ، فقام بملكهم ،
واستوزر أفنين ابن عمه نير بن أفيل . وكان لطالوت من الولد يهوناتان وملكيشوع
وتشبات وأنبياداف . وقام طالوت بملك بني اسرائيل ، وحارب أعداءهم من بني
فلسطين وعمون ومؤاب والعمالة ومدّين فغلب جميعهم ، ونصر بنو اسرائيل نصراً لا
كفاء له . وأول من زحف إليهم ملك بني عمّون ونازل قرية بلقاء فهجم عليهم
طالوت ، وهو في ثلثمائة ألف من بني اسرائيل فهزمهم واستلحمهم ، ثم أغزى ابنه في
عساكر بني اسرائيل الى فلسطين فنال منهم ، واجتمعوا لحرب بني اسرائيل فزحف
إليهم طالوت وشمويل فانهزموا واستلحمهم بنو اسرائيل ، وأمر شمويل أن يسير إلى
العمالة وأن يقتلهم ودوابهم ففعل ، واستبقى ملكهم أعّاع مع بعض الأنام ، فجاء
الوحي إلى شمويل بأن الله قد سخطه وسلبه الملك فخره بذلك ، وهجره شمويل
فلم يره بعد .

وأمر شمويل أن يقدس داود ، وبعث له بعلامته فسار إلى بني يهوذا في بيت لحم ،
وجاء به أبوه أيشا فمسحه شمويل ، وسلب طالوت روح الجسد ، وحزن لذلك ثم
قبض شمويل وزحف جالوت وبنو فلسطين إلى بني اسرائيل فبرز إليهم طالوت في
العساكر وفيهم داود بن إيشا من سبط يهوذا ، وكان صغيراً يرعى الغنم لأبيه ، وكان
يقذف بالحجارة في مخلاته فلا تكاد تخطىء . قال الطبري : وكان شمويل قد أخبر
طالوت بقتل جالوت ، وأعطاه علامة قاتلة ، فاعترض بني اسرائيل حتى رأى

العلامة فيه فسلمه وأقام في المصاف . وقد احتمل الحجارة في مخلاته ، فلما عاين جالوت قذفه بحجارة فصكه في رأسه ومات ، وانهزم بنو فلسطين ، وحصل النصر . فاستخلص طالوت حينئذ داود وزوجه ابنته ، وجعله صاحب سلاحه ، ثم ولاه على الحروب فاستكفى به . وكان عمره حينئذ فيما قال الطبري ثلاثين سنة . وأحبه بنو إسرائيل ، واشتملوا عليه ، وابتلي طالوت وبنوه بالغيرة منه ، وهم بقتله ونفذ لذلك ماراً ، ثم حمل ابنه يهوثان على قتله ، فلم يفعل لخلعة ومصافاة كانت بينهما ودس إلى داود بدخيلة أبيه فيه ، فلحق بفلسطين وأقام فيهم أياماً ، ثم إلى بني مؤاب كذلك ، ثم رجع إلى سبطه يهوذا بنواحي بيت المقدس ، فأقام فيهم يقاتل معهم بني فلسطين في سائر حروبهم ، حتى إذا شعر به طالوت طلب بني يهوذا باسلامه إليه ، فأبوا فزحف إليهم فأخرجوه عنهم ، ولحق ببني فلسطين وقاتلهم طالوت في بعض الأيام فهزموه ، واتبعوه وأولاده يقاتلون دونه حتى قتل يهوثان ومشوى وملكيشوع وبنو فلسطين في اتباعه حتى إذا أيقن بالهلكة قتل نفسه بنفسه . وذلك فيما قال الطبري لأربعين سنة من ملكه .

ثم جاء داود إلى بني يهوذا فلكوه عليهم ، وهو داود بن إيشا بن عوفذ ، بالفاء الهوائية ، ابن بوغر واسمه أفصان بالفاء ، الهوائية والصاد المشمة . وقد قدمنا ذكره في حكّام بني إسرائيل بن سلمون الذي نزل بيت لحم لأول الفتح ابن نحشون سيد بني يهوذا عند الخروج من مصر ابن عميناذاب بن إرم بن حصرون بن بارص بن يهوذا ، هكذا نسبه في كتاب اليهود والنصارى ، وأنكره ابن حزم قال : لأن نحشون مات بالثيه وإنما دخل القدس ابنه سلمون ، وبين خروج بني إسرائيل من مصر وملك داود ستائة سنة باتفاق منهم ، والذي بين داود ونحشون أربعة آباء ، فإذا قسمت الستائة عليهم يكون كل واحد منهم إنما ولد له بعد المائة والثلاثين سنة وهو بعيد .

ولما ملك داود على بني يهوذا نزل مدينتهم حفرون بالفاء الهوائية ، وهي قرية الخليل عليه السلام لهذا العهد ، واجتمع الأسباق كلهم إلى يشوشات بن طالوت ، فملكه في أورشليم وقام بأمره وزير أبيه أفيند وقد مرّ نسبه .

وفي كتاب أسفار الملوك من الاسرائيليات أنّ رجلاً جاء الداود بعد وفاة طالوت ، فأخبره بمهلكه ومهلك أولاده في هزيمتهم أمام بني فلسطين ، وأمر هذا الرجل أن يقتله لما أدركوه ، فقتله وجاء بتاجه ودملجه إلى داود ، وانتسب إلى العالقة ، فقتله

داود بقتله ، وبكى على طالوت ، وذهب الى سبط يهوذا بأرض حفرون بالقاء القرية من الباء ، وهي قرية الخليل لهذا العهد ، وأقام شيوخاً^(١) بن طالوت في اورشليم ، والأسباط كلهم مجتمعون عليه ، وأقامت الحرب بينهم وبين داود أكثر من ستين ، ثم وقع الصلح بينهم والمهادنة ، وأذعن الأسباط الى داود وتركوه ، ثم اغتاله بعض قواده وجاء برأسه الى داود فقتله به . وأظهر عليه الحزن والأسف وكفل أخواته وبنه أحسن كفاًلة .

واستبدّ داود بملك بني اسرائيل ثلاثين سنة من عمره وقاتل بني كنعان فغلبهم ، ثم طالت حروبه مع بني فلسطين ، واستولى على كثير من بلادهم ، ورتب عليهم الخراج . ثم حارب أهل مؤاب وعمّون وأهل أدوم وظفر بهم وضرب عليهم الجزية ، ثم خرب بلادهم بعد ذلك ، وضرب الجزية على الأرمن بدمشق وحلب ، وبعث العمّال لقبضها . وصانعه ملك انطاكية بالهدايا والتحف ، واختط مدينة صهيون وسكنها واعترم على بناء مسجد في مكان القبة التي كانوا يضعون بها تابوت العهد ويصلون إليها . فأوحى الله الى دانيال نبيّ على عهده أنّ داود لا يبني وإنما يبنيه ابنه ويدوم ملكه فسّر داود بذلك . ثم انتقض عليه ابنه ابشوم ، وقتل أخاه أمون غيره منه على شقيقه بامان وهرب . ثم استماله داود وردّه ، وأهدر دم أخيه وصيّره الحكم بين الناس . ثم رجع ثانياً لأربع سنين بعدها وخرج معه سائر الأسباط ، ولحق داود بأطراف الشام وقيل لحق بخيبر وما إليها من بلاد الحجاز ، ثم تراجع للحرب فهزمه داود وأدركه يؤاب وزير داود وقد تعلق بشجرة فقتله ، وقتل في الهزيمة عشرون ألف من بني اسرائيل ، وسبق رأس قشلوط لوليّ أبيه داود فبكى عليه وحزن طويلاً ، واستألف الأسباط ورضي عنهم ورضوا عنه . ثم أحصى بني اسرائيل فكانوا ألف ألف ومائة ألف ، وسبط يهوذا أزيد من أربعمائة ألف . وعوتب في الوحي لأنه أحصاهم بغير إذن ، وأخبره بذلك بعض الأنبياء لعهدّه .

وأقام داود صلوات الله عليه في ملكه والوحي يتتابع عليه ، وسور الزبور تنزل . وكان يسبح بالأوتار والمزامير ، وأكثر المزامير المنسوبة إليه في ذكر التسبيح وشأنه . وفرض على الكهنوتية من سبط لاوى التسبيح بالمزامير قدام تابوت العهد إثني عشر كوهناً لكلّ

(١) هكذا بالأصل . وفي مكان آخر يشوشات وفي الشجرة : أشوشان .

ساعة . ثم عهد عند تمام أربعين سنة من دولته لابنه سليمان صلوات الله عليهما ، ومسحه مابان النبي وصادوق الخبر مسحة التقديس ، وأوصى ببناء بيت المقدس . ثم قبض صلوات الله عليه ودفن في بيت لحم ، وكان لعهد من الأنبياء نامان وكاد وآصاف . وكان الكهنون الأعظم افيثار بن أحيلج من عقب عالي الكوهن الذي ذكرناه في الحكام ، وكان من بعده صادوق .

ثم قام بالملك من بعده من بني اسرائيل ابنه سليمان صلوات الله عليه وهو ابن إثنتين وعشرين سنة ، فاستفحل ملكه وغالب الأمم ، وضرب الجزية على جميع ملوك الشام مثل فلسطين وعمون وكنعان وموآب وأدوم والأرمن ، وأصهر إليه الملوك من كل ناحية بيناتهم ، وكان ممن تزوج بنت فرعون مصر . وكان وزيره يوآب بن نيترا وهو ابن أخت داود اسمها صوريا ، وكان وزيراً لداود فلما ولي سليمان استوزره فقام بدولته ثم قتله بعد ذلك ، واستوزر يشوع بن شيداح ^(١) ، ولأربع سنين من ملكه شرع في بيت المقدس بعهد أبيه إليه بذلك ، فلم يزل إلى آخر دولته بعد ان هدم مدينة انطاكية وبنى مدينة تدمر في البرية وبعث إلى ملك صور ليعينه في قطع الخشب من لبنان ، وأجرى على الفعلة فيه في كل عام عشرين ألف كر من الطعام ومثلها من الزيت ومثلها من الخمر . وكان الفعلة في لبنان سبعين ألفاً ولنحت الحجارة ثمانين ألفاً وخدمة المناولة سبعون ألفاً ، وكان الوكلاء والعرفاء على ذلك العمل ثلاثة آلاف وثلثمائة رجل .

ثم بنى الهيكل وجعل ارتفاعه مائة ذراع في طول ستين وعرض عشرين . وجعل بدائره كله أروقة وفوقها مناظر ، وجعل بدائر البيت ابريداً من خارج ، ونمقه وجعل الظهر مقوراً ليودع فيه تابوت العهد . وصفح البيت من داخله وسقفه بالذهب ، وصنع في البيت كرويين من الخشب مصفحتين بالذهب وهما تماثلان للملائكة الكرويين ، وجعل للبيت أبواباً من خشب الصنوبر ، ونقش عليها تماثيل من الكرويين والنرجس والنخل والسوسن وغشاها كلها بالذهب . وأتم بناء الهيكل في سبع سنين ، وجعل لها باباً من ذهب ، ثم بنى بيتاً لسلاحه أقامه على أربعة صفوف من العمد من خشب الصنوبر في كل صف خمسة عشر عموداً ، ووضع فيه مائتي

(١) وفي التوراة : يشوع بن شيراخ .

(٢) الكر : ميكال قيل انه اربعون اردباً (قاموس) .

ترس من الذهب ، في كل ترس ستمائة من حجر الجواهر والزمرد ، وثلثمائة درقة من الذهب ، في كل درقة ثلثمائة من حجر الباقوت ، وسمى هذا البيت غيضة لبنان . وصنع منبراً لجلوسه تحت رواق وكراسي كثيرة كلها من العاج ملبسة من الذهب . ثم بنى من فوق هذا البناء بيتاً لابنة فرعون التي تزوج بها ، وصنع بها أوعية النحاس لسائر ما يحتاج إليه بالبيت ، واسترضى الصناع لذلك من مدينة صور . وعمل مذبح القربان بالبيت من الذهب ، ومائدة الخبز الوجوه من الذهب ، وخمس منابر عن يمين الهيكل ، وخمسا عن يساره بجميع آلاتها من الذهب ، ومجامر من الذهب . وأحضر موروث أبيه من الذهب والفضة والأوعية الحسنة فأدخلها إلى البيت ، وبعث إلى تابوت العهد من صهيون قرية داود إلى البيت الذي بناه له ، فحمله رؤساء الأسباط والكهنوتية على كواهلهم حتى وضعوه تحت أجنحة التمثالين للكروبيين بالمسجد . وكان في التابوت اللوحان من الحجارة اللذين صنعها موسى عليه السلام بدل الألواح المنكسرة ، وحملوا مع تابوت العهد قبة القربان وأوعيتها إلى المسجد . وأقام سليمان أمام المذبح يدعو في يوم مشهود ، اتخذ فيه وليمة لذلك ذبح فيها إثنين وعشرين ألفاً من البقر ، ثم كان يقرب ثلاث مرات من السنة قرابين وذبائح كاملة ، ويبخّر البخور وجميع الأوعية لذلك كلها ذهب . وكانت جبايته في كل سنة ستمائة قنطار وستة وستون قنطاراً من الذهب ، غير الهدايا والقربان إلى بيت المقدس . وكانت له سفن بحر الهند تجلب الذهب والفضة والبضائع والفيلة والقروود والطواويس ، وكانت له خيل كثيرة مرتبة تجلب من مصر وغيرها تبلغ ألفاً وستمائة فرس معدة كلها للحرب . وكانت له ألف امرأة لفراشه ما بين حرة وسرية منها ثلثمائة سرية . وفي الأخبار للمؤرخين أنه تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء الله ، وكان يقرب كل يوم خمسة آلاف بدنة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة . ثم ساء إلى ملك اليمن وسار إليه فوافى صنعاء من يومه ، وطلب الهدهد لالتماس الضوء ، وكانت قنقه أى ملتمس الضوء له في الأرض فافتقده ، ورجع إليه بخبر بلقيس كما قصه القرآن . ودافعه بالهدية فلم يقبلها ، فلاذت بطاعته ودخلت في دينه وطاعته ، وملكته أمرها ووافته بملك اليمن ، وأمرها بأن تتزوج فنكرت ذلك لمكان الملك فقال لا بد في الدين من ذلك . فقالت زوّجني ذا تبع ملك همدان فزوّجها إياه وملكه على اليمن واستعملها فيه ورجع إلى الشام . وقيل تزوّجها وأمر الجن فبنوا لها سليمان

وغمدان . وكان يزورها في الشهر مرة يقيم عندها ثلاثاً ، وعلماء بني إسرائيل ينكرون وصوله إلى الحجاز واليمن ، وإنما ملك اليمن عندهم بمراسلة ملكة سبأ ، وأنها وفدت عليه في اورشليم ، واهدت إليه مائة وعشرين قنطاراً من الذهب ، ولؤلؤاً وجوهرات واصنافاً من الطيب والمنسك والعنبر فأجازها وأحسن إليها . وانصرفت ، هكذا في كتاب الأنساب من كتبهم .

ثم انتقض على سليمان آخر أيامه هدرور ملك الأرمن بدمشق ، وهداد ملك أدوم ، وكان قد ولي على ضواحي بيت المقدس وجميع أعماله يربعان بن نباط من سبط أفرايم ، واستكفى به في ذلك ، وكان جباراً فعوثب بالوحي على لسان أخيا النبي في توليته فأراد قتله ، وشعر بذلك يربعان فهرب إلى مصر ، فأنكحه فرعون ابنته وولدت له ابنه ناباط وأقام بمصر .

وقبض سليمان صلوات الله عليه لأربعين سنة من ملكه ، وقيل إثنين وخمسين ، ودفن عند أبيه داود صلوات الله عليهما . وافترق ملك بني إسرائيل من بعده كما نذكره إن شاء الله تعالى .

اسمه بوغر

ج ٦

سليمان بن داود بن ايشا بن عوفيد بن افصان بن سلمون بن نخشون بن عميناذاب بن رام بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن اسرائيل صلوات الله عليه

اشوشان بن طالوت
اسمه شاول
اسمه شاول
اسمه شاول

الخبر عن افتراق بني إسرائيل منهم بيت المقدس على سبط يهوذا وبنيامين الى انقراضه

لما قبض سليمان صلوات الله عليه وسلامه ، ولي ابنه رُحْبَعُم^(١) ، وضبطه براء مهملة وحاء مهملة مضمومتين وياء موحدة ساكنة وعين مهملة مضمومة وميم ، فقام بأمره وزاد في عمارة بيت لحم وغزة وصور وأيلة ، واشتد على بني إسرائيل وطلبوا منه تخفيف الضرائب ، فامتنع وطالبهم بالوظائف ، وأخذ فيهم برأي الغواة من بطانته ، فقموا عليه ذلك وانتقصوا . وجاءهم يُرْبَعُم بن نباط من مصر ، فبايعوه وولّوه عليهم ، واجتمع عليه سائر الأسباط العشرة من بني إسرائيل ، ما عدا سبط يهوذا وبنيامين ، وتراحفوا للحرب . ثم دعاهم بعض أنبيائهم للصلح فتواضعوا واصطلحوا .

وفي السنة الخامسة من ملك رُحْبَعُم زحف شيشاق ملك مصر إلى بيت المقدس ، فهرب رُحْبَعُم ، واستباحها شيشاق ورجع وضرب عليهم الجزية ، ثم دفعوه ومنعوه . فأقام بنو داود في سلطانهم على بني يهوذا وبنيامين بيت المقدس وعسقلان وغزة ودمشق وحلب وحمص وحماة وما إلى ذلك من أرض الحجاز ، وملك الأسباط العشرة بنواحي نابلس وفلسطين ، ثم نزلوا مدينة شومرون وهي شمرة وسامرة في الناحية الشرقية الشمالية من الشام مما يلي الفرات والجزيرة ، واتخذوها كرسياً للملكهم ذلك ، وأقاموا على هذا الافتراق إلى حين انقراض أمرهم ، ووقعوا في الجلاء الذي كتب الله عليهم كما نذكره .

ثم هلك رُحْبَعُم لسبع عشرة سنة من دولته ، وولي بعده على سبط يهوذا وبنيامين بأرض القدس ابنه أفيآ^(٢) ، وضبطه بهمزة مفتوحة ومتوسطة بين الفاء والذال من لغتهم وياء مثناة من تحت مشددة وألف ، وكان على مثل سيرة أبيه . وكان عابداً صواماً ، وكانت أيامه كلها حرباً مع يُرْبَعُم بن نباط وبني إسرائيل ، وهلك لثلاث سنين . وولى بعده ابنه أسا^(٣) ، بضم الهمزة وفتح السين المهملة وألف

(١) وفي التوراة : ورد اسمه رحبعام .

(٢) وفي نسخة أخرى : أفيآ .

(٣) وفي نسخة أخرى : آسا .

بعدها ، ابن أفياء . وطال أمد ملكه ، وكان رجلاً صالحاً ، وكان على مثل سيرة جدّه داود صلوات الله عليه ، وتعدّدت الأنبياء في بني اسرائيل على عهده ، ومات يُرْبَعُم بن نباط لستين من ملكه ، وملك بعده ابنه ناداب وقتله يَعْشَا بن أحياء كما نذكر في أخبارهم . ثم وقعت بينه وبين أسا حروب ، واستمد أسا بملك دمشق فزحف معه ، وكان يعشأ ملك السامرة في ناحية يثرب لبنائها ، فهرب وترك آلات البناء ، فنقلها أسا ملك القدس وبنى بها الحصون . ثم خرج عليهم زادح ملك الكوش في ألف ألف مقاتل ، ولقيهم أسا فهزمهم وأثنى فيهم . ولم تزل الحرب قائمة بين أسا وبين الاسباط بالسامرة سائر أيامه ، وعلى عهده اختطت السامرة كما نذكر بعد .

ثم هلك أسا بن أفياء لإحدى وأربعين سنة من ملكه ، وولي بعده ابنه يهوشاف (١) ، بياض مفتوحة مثناة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها ألف ثم ظاء بين الذال والظاء المعجمتين ، فكان على مثل سيرة أبيه ، وكانت أيامه مع أهل السامرة وملوكهم سلماً . واجتمع ملوك العمالة ، ويقال أروم (٢) ، وخرج لحربهم فهزمهم وغنم أموالهم . وكان لعهد من الانبياء إلياس بن شوياق ، واليسع بن شوبوات . وقال ابن العميد : إيليا ومنحيا وعبوديا . وكانت له سفن في البحر يجلب له فيها بضائع الهند فأصابها قاصف الرياح فتكسرت وغرقت . ثم هلك لخمس عشرة وعشرين سنة من ملكه ، وولي ابنه يهورام (٣) ، بفتح المثناة التحتيّة ثم هاء مضمومة تجلب واوا ثم راء مفتوحة تجلب ألفاً وبعدها ميم ، وانتقض عليه أروم ، وولوا عليهم ملكاً منهم ، فزحف إليهم (٤) ووقع بهم في سفيرا أوسط بلادهم ، وأثنى فيهم بالسبي والقتل . ثم رجع عنهم ، وأقاموا في عصيانهم . وعلى عهده زحف ملك الموصل إلى الاسباط بالسامرة ، فكانت بينه وبينهم حروب كما نذكر .

وقال ابن العميد : كانت على بني مؤاب جزية مضروبة لبني يهوذا ، مائتان من الغنم كل سنة ، فمنعوها ، واجتمع ملوك القدس والسامرة لحربهم وحاصروهم سبعة أيام ، وفقدوا الماء فاستسقى لهم اليسع وجرى الوادي . فخرج أهل مؤاب فظنوه ماء ،

(١) وفي نسخة أخرى : يهوشافاط .

(٢) وفي نسخة أخرى : أدوم .

(٣) وفي التوراة : يهورام .

(٤) وفي نسخة أخرى : زحف فيهم .

فقتلهم بنو إسرائيل وأنخنوا فيهم . وفي أيام يهورام رفع إيليا النبي وانتقل سره الى اليسع ، وكان على عهده من الأنبياء أيضا عبوديا .

ثم هلك يورام ثمان سنين من ملكه ، ودفن عند جد داود ، وولي بعده ابنه أحزيا هو^(١) ، بهزمة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاي معجمة ساكنة ثم ياء مشناة تحتية بفتحة تجلب ألفاً ثم هاء مضمومة تجلب واواً ، وأمه غثليا بنت عمري أخت أجاب^(٢) وسار سيرة خاله ، وملك سنة واحدة ، وقيل ستين ، وخرج لقتال ملك الحزيرة والموصل واستنفر معه صاحب السامرة يورام ابن خاله أجاب ، فاقتتلوا معه ثم انصرفوا وابن خاله جريح . وجاءه أحزيا هو في بعض الأيام يعوده وكان^(٣) ابن يهوشافاض بن منشي من سبط منشا بن يوسف يترصد قتل يورام بن أجاب ملك السامرة ، فأصاب فرصة في ذلك الوقت فقتلها جميعا . وقال ابن العميد ان يورام بن أجاب ملك السامرة خرج لحرب أروم ، في رواية كلعاد وخرج معه أحزيا هو فقتلا في تلك الحرب . قال : وقيل ان ياهو عشارمي بسهم فأصاب يورام بن أجاب . وكان لغصره من الانبياء اليسع وعامور وفنحاء .

ثم ملك بعد أحزيا أمه غثليا بنت عمري كذا وقع اسمها في كتاب الطبري ، وفي كتاب الإسرائيليات اسمها أضايلة . ويقال كانت من جواري سليمان ، ثم استفحل ملكها بالقدس وقتلت بني داود كلهم ، وأغفلت ابناً رضيعاً من ولد أبيها أحزيا هو اسمه يواش ، بضم الياء الثناة التحتية ثم همزة مفتوحة تجلب ألفاً ثم شين معجمة ، أخفته عمته يهوشيع بنت يهورام في بعض زوايا القدس ، وعلم بمكانه زوجها يهود يادع^(٤) وهو يومئذ الكوهن الأعظم . حتى اذا كملت له سبع سنين ، ونقم بنو يهوذا سيرة غثليا ، اجتمعوا الى يهود يادع الكوهن فاخرج لهم يواش بن أحزيا هو من مكانه ، واستحلفهم فبايعوا له وقتلوا جدته غثليا ومن معها لسبع سنين من ملكها .

(١) وفي التوراة : أحزيا .

(٢) وفي نسخة أخرى أخاب .

(٣) يياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٢٥٤ ثم ملك بعد آسا ابنه سافاط وفي شرحه : هو يهو

شافاط ولم يذكر شيئاً عن ابن يهوشافاط ، اوسافاط ، او يهوشافاض هذا . والذي في التوراة : يهورام

بن يهوشافاط — الاصحاح الثامن من سفر الملوك الثاني .

(٤) وفي نسخة أخرى : يهويادع وكذلك في التوراة .

وقام يواش بملكه في تدبير يهوديادع الكوهن ، ثم أراد عبادة الأصنام ، ففنه زكريا النبي فقتله . وكان لعهد من الأنبياء اليسع وعوفريا وزكريا بن يهوديادع . وهلك يهوديادع ثلاث وعشرين سنة من ملك يواش بعد أن جدّد يواش بيت المقدس ، ولثمان وثلاثين من ملكه قبض اليسع النبي صلوات الله عليه ، وعلى عهده زحف شريال ملك الكلنديين ببابل إلى بيت المقدس ، ويقال ملك نينوى والموصل . وقال ابن العميد : ملك الشام فأعطاهم جميع ما في خزائن الملك وبيت المقدس من الأموال ، ودخل في طاعتهم إلى أن قتله وزراؤه وأهل دولته لأربعين سنة من ملكه . وولّوا مكانه ابنه أمصيا هو ، بفتح الهززة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاي بعدها ياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ثم هاء مضمومة تجلب واواً ، واستبدّوا عليه ثم ثار عليهم بأمه وقتلهم أجمعين . وسار إلى أروم فظفر بهم ، وقتل منهم نحواً من عشرين ألفاً ، ثم زحف إليه ملك الأسباط بالسامرة^(١) ولقيه فهزمه وحصل في أسره . وسار إلى بيت المقدس فحاصرها ، وهدم من سورها نحواً من أربعائة ذراع ، واقتحمها فغنم ما في خزائن بيت السلطان ، وبيت الهيكل من الأموال والأواني والذخائر ورجع إلى السامرة ، فأطلق أمصيا هو ملك القدس ، فرجع إلى قومه ورمّ ما تملّك من سورها . ولم يزل مملكا حتى نعموا عليه أفعاله فقتلوه لسبع وعشرين سنة من ملكه . وكان لعهد من الأنبياء يونا وناحوم ، وتنبأ لعصره عاموص . ولما قتلوا أمصيا هو ولّوا ابنه عزيا هو^(٢) ، بعين مهملة مضمومة وزاي معجمة مكسورة مشدّدة وياء مثناة تحتانية تجلب ألفاً وهاء تجلب واواً ، وطالت مدّته ثلاثا وخمسين سنة ، واختلفت فيها أحواله . قال ابن العميد : ولخمس من ملكه كان ابتداء وضع سينيّ الكبس التي هي سنة بعد أربع تريد يوماً على الماضية بحساب ربع يوم في كل سنة الذي اقتضاه حساب مسير الشمس عندهم . قال : وليت من ملكه انقراض ملك الأرمن من الموصل وصارت إلى بابل ، لاثنين وعشرين من ملكه غزا ملك بابل واسمه فول مدينة السامرة فاقتحمها ، وأعطاه ملكها بكرة من المال فرجع عنه . قال : ولعهد ملك على بابل رينوس ويُلَقَّب قطب الملك ، ولعهد ملك على

(١) كذا بياض بالأصل وفي التوراة يواش بن يواحاز بن ياهو .

(٢) وفي التوراة : عزريا هو .

(٣) وهي السنة الكبيسة اي ٤/١ ٣٦٥ يوماً .

اليونانيين ملكهم الأول من مدينة أنقياس لثلاث وعشرين سنة من تملك عزيا هو . قال : ولإحدى وخمسين من ملكه ملك بابل بختنصر الأول . قال : ولعهده أيضا كان الملك الأول من الروم المقدويس ويسمى فروس . ولعهده كان من الأنبياء يوشع وغوزيا وأموص وأشعيا ويونس بن متى . قال ابن العميد وانتهت عساكر عزيا هو إلى ثلثمائة ألف ، وأصابه البرص بدعاء الكوهن لما أراد أن يخالف التوراة في استعمال البخور وهو محرم على سبط لاوى ، فبرص ولزم بيته سنة وصار ابنه يؤام ينظر في أمر الملك إلى أن تغلب على أبيه . قال هروشيوش : وعلى عهده أيضاً قتل شرديال آخر ملوك بابل من الكلدانيين على يد قائده أرباط بن المادس ، واستبد بملك بابل وأصاره إلى قومه بعد حروب طويلة ، ثم زحف إلى القوط والعرب من قضاة فحاربهم طويلاً وانصرف عنهم .

ثم هلك عزيا هو لثلاث وخمسين سنة من ملكه ، وملك بعده ابنه يواب وكان صالحاً تقياً ، وكان لعهده من الأنبياء هوشيع^(١) وأشعيا ويوبيل^(٢) وعوفد . وفي أيامه ابتداء غلب ملك الجزيرة على اليهود وكانوا يعرفون بالسوريانيين . ثم هلك يواب لست عشرة من ملكه ، وملك ابنه أحاز ، بهمة مفتوحة بمائة وحاء مهملة تجلب ألفاً وزاي معجمة ، فخالف سنة آبائه ، وعبد بنو إسرائيل الأوثان في أيامه ، وحارب الأرمن واستجاش عليهم بملك الموصل ، فزحف معه وحاصر دمشق وملكها منهم واستباحها ، ورجع إلى بلاده . ثم خرج أحاز لحربهم فهزموه وقتلوا من اليهود مائة وعشرين ألفاً ونحوها ، وارجعوا أحاز إلى دمشق أسيراً . قال هروشيوش : وعلى عهد أحاز كان انقراض ملك الماريس على يد كيرش ملك الفرس ، ورجعت أعمالهم إليه . ويقال : ان آخر ملوكهم هو اشتانيش ، وكان جد كيرش لأمه ، وكفله صغيراً فلما شب وملك حارب جدّه فقتله وانتزع ملكه . وقال ابن العميد عن المسيحي : ولذلك العهد ملك على الروم الفرنجة غير اليونان ، الاخوان روملس ورومانس ، واختط مدينة رومة . وقال هروشيوش : ولعهده ملك على الروم اللطينيين بأرض أنطاكية روملس ، ثم مركة وبنى مدينة رومة .

(١) وفي نسخة أخرى : هوسيع .

(٢) وفي نسخة أخرى : يوبيل كما في التوراة .

ثم هلك أحاز لست عشرة من ملكه ، وولى ابنه حزقيا هو ، بجاء مهملة مكسورة وزاي معجمة ساكنة وقاف مكسورة وياء مثناة تحتانية مشددة تجلب ألفاً وهاء مضمومة تجلب واواً ، فقطع عبادة الأوثان وسار سيرة جدّه داود ، ولم يكن في ملوك بني يهوذا مثله . وعصى على ملك الموصل وبابل وكوريش^(١) وهزم فلسطين وخرب قراهم . وفي أيامه وأيام أبيه سار شليشار ملك الجزيرة والموصل إلى الاسباط بالسامرة ، فضرب عليهم الجزية . ثم سار في أيامه فأزال ملكهم . ولاربع من ملكه زحف إليه رضين ملك دمشق ورجع عنه من غير قتال . ولاربع عشرة من ملكه زحف إليه سنجاريف^(٢) ملك الموصل بعد فتح السامرة ، فافتتح أكثر مدائن يهوذا وحاصره بيت المقدس . وصانعه حزقيا هو بثلاثمائة قنطار من الفضة وثلاثين من الذهب أخرج فيها ما كان في الهيكل ، وبيت الملك من المال ونثر الذهب من أبواب المسجد ، دفع ذلك له ورجع عنه . ثم فسد ما بينها وزحف إليه سنجاريف ثانياً وحاصره وامتنع من قبول مصانعته ، وقال : من ذا الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم أنتم الحكم . فخافوا منه وفرعوا إلى النبي شعياء في الدعاء فأمنهم منه ودعا عليه فوق الطاعون في عسكره ، ثم تواقعوا في بعض الليالي ، فبلغ قتلاهم مائة وعشرين ألفاً ورجع سنجاريف إلى نينوى والموصل ، فقتله أبنائوه وهربوا إلى بيت المقدس وملك ابنه السرمعون .

وقال الطبري إنّ ملك بني اسرائيل أسر سنجاريف وأوحى الله الى شعياء أن يطلقه فأطلقه . قال : وقيل إنّ الذي سار إليه سنجاريف من ملوك بني اسرائيل كان أعرج ، وأنّ سنجاريف لعهد ملك أذربيجان ، وكان يدعى سليمان الأعسر ، فلما نزل بيت المقدس صار بينها احقاد كامنة ، فتواقعوا وهلك عامة عسكرهما ، وصار ما معها غنيمة لبني اسرائيل ، وبعث ملك بابل إلى حزقيا ملك الفرس بالهدايا والتحف ، فأعظم موصلها ، وبالغ في كرامة الوفد وفخر عليهم بخزائنه وطوفهم عليها ، فنكر ذلك عليه شعياء النبي وأنذره بأن ملوك بابل يغنمون جميع هذه الخزائن ، ويكون من أبنائك خصيان في قصرهم .

ثم هلك حزقيا هو لتسع وعشرين سنة من ملكه ، وولى ابنه منشا ، بميم مكسورة ونون

(١) وفي نسخة اخرى توريش .

(٢) وفي التوراة : سنحاريب .

مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف ، وكان عاصياً قبيح السيرة ، وكانت آثاره في الدين شنيعة ، وأنكر عليه شعيا النبي أفعاله ، فقتله نشرأ بالمناشير من رأسه إلى مغرق ساقيه ، وقتل جماعة من الصالحين معه . وفي التاسعة والثلاثين من ملكه ، ملك سنجاريف الصغير مملكة الموصل قاله ابن العميد وفي الثانية والخمسين بنيت بوزنطية بناها بورس الملك ، وهي التي جددتها قسطنطين وسماها باسمه . وفي أيامه ملك برومة قنوقرسوس الملك ، وفي الحادية والخمسين من ملكه زحف سنجاريف ملك الموصل إلى القدس فحاصرها ثلاث سنين ، وافتتحها في الرابعة والخمسين من ملكه . وولي بعده ابنه أمون ، بهزمة قريبة من العين والميم مضمومة تجلب واواً ثم نون ، وكانت حاله مثل حال أبيه فملك سنتين ، وقيل اثنتي عشرة ، ثم اغتاله عبيده فقتلوه ، واجتمع بنو يهوذا فقتلوا أولئك العبيد ، وأقاموا ابنه يوشيا مكانه ، وضبطه بياء مثناة تحتية مضمومة تجلب واواً بعدها شين معجمة مكسورة ثم ياء مثناة تحتية بفتحة تجلب ألفاً . فلما ملك أحسن السيرة وهدم الأوثان وكان صالح الطريقة مستقيم الدين ، وقتل كهنة الأصنام وهدم البيوت والمذابح التي بناها يُرْبَعَام بن نباط بالبرابرة . وكان في أيامه من الأنبياء صفونا^(١) وكلكدي امرأة شالوم وناحوم . وتنبأ لعهد أرمياء بن أَلْحيا^(٢) من نسل هارون ، وأخبرهم بالجللاء إلى بابل سبعين سنة ، فأخذ يوشيا قبة القربان وتابوت العهد وأطبق عليهما في مغارة فلم يعرف مكانهما من بعد ذلك . وفي أيامه ملك الجحوس بابل . ولاحدى وثلاثين من دولته ملك فرعون الأعرج مصر وزحف لقتال مسيح بالفرات ، فخرج يوشيا لحربه وانهمز يوشيا فهلك بسهم أصابه لاثنتين وثلاثين من دولته .

وولي بعده ابنه يوأش ، ويقال اسمه يهُوَيَا حَاز فعطل أحكام التوراة ، وأساء السيرة ، فرحف إليه فرعون الأعرج ، وأخذه ورجع به إلى مصر فمات هنالك . وضرب على أرضهم الخراج مائة قنطار فضة وعشرة ذهابا ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر . وولوا مكانه أخاه ألياقم بن يوشيا ، بهزمة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة تحتانية يحلب فتحها ألفا وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم ، وكان عاصياً كافراً ، وكان يأخذ الخراج لفرعون من بني يهوذا على قدر أحوالهم . ثم زحف إليه بختنصر ملك بابل لسبع من ولاية ألياقم ،

(١) وفي التوراة : صفنيا بن كوشي — نبوة صفنيا — الفصل الاول .

(٢) وفي التوراة : إرميا بن خلقياء — نبوة ارميا ، الفصل الاول .

فلما جازى وسار إلى بيت المقدس فحرب عليهم الجزية أولاً ، ودخل ألياقم في طاعته ثلاث سنين ، وسلط الله عليه أروم وعمون ومواب والكلدانيين ، ثم انتقض عليه فسر الجيوش إليه ، فقبضوا عليه واحتملوه إلى بابل ، فهلك في طريقه لاحتد عشرة سنة من ملكه . وولى بختنصر مكانه ابنه يخنيو ، بفتح الياء المثناة التحتانية بعدها خاء معجمة مضمومة ثم نون ساكنة وبعدها ياء تحتانية تجلب ضممتها واواً ، فأقام ثلاثة أشهر ، ثم زحف إليه وحاصره ، وأخرج إليه أمه وأشراف مملكته فأشخصهم إلى بلده . وجمع أهله ورجال دولته وسائر بني اسرائيل نحواً من عشرة آلاف ، واحتملهم أسارى إلى بابل ، وغنم جميع ما كان في الهيكل والخزائن من الأموال وجميع الأواني التي صنعها سليمان للمسجد ، ولم يترك بمدينة القدس إلا الفقراء والضعفاء وبقي يخنيو ملك بني اسرائيل محبوساً سبعة وثلاثين سنة .

وقال ابن العميد : إن بختنصر سار إلى القدس في الثالثة من مملكة ألياقم ، وسبى طائفة منها ، وانتهب جميع ما في بيت الهيكل . وكان في سنة دانيال وخانيا وعزاريا وميصاد . وإن في السنة الخامسة من ملكه قاتل بختنصر فرعون الأعرج ملك مصر ، وفي الثانية من ملك ألياقم غزا بختنصر القدس ووضع عليهم الخراج وأبقى ألياقم في ملكه وهلك لثلاث سنين بعد ذلك وملك ابنه يخنيو . وكان لعهد من الأنبياء ارميا وأوريا بن شعيا وموري والد حزقيا . وفي أيامه تنبأ دانيال ، ثم سار بختنصر ليخنيو فأشخصه إلى بابل كما مر .

وقال الطبري ووافقه نقل هروشيوش : إن بختنصر ولّى مكان يخنيو بن ألياقم عمه متنيا ، بميم مفتوحة وتاء مثناة فوقانية مفتوحة مشددة ونون ساكنة وياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ، ويسمى صدقيا هو ، وكان عاصياً قبيح السيرة ، ولتسع سنين من ولايته انتقض على بختنصر ، فزحف إليه في العساكر وحاصر بيت المقدس وبني عليها المدر للحصار ، وأقام ثلاث سنين واشتد الحصار بهم ، فخرجوا هاربين منها إلى الصحراء واتبعهم العساكر من الكلدانيين وأدركوهم في أريحا ، فقبض على ملكهم صدقيا هو وأتى به أسيراً فسمّل عينيه . وقال الطبري : وذبح ولده بمراى منه ، ثم اعتقله ببابل إلى أن مات . ولحق بعض من بني اسرائيل بالحجاز فأقاموا مع العرب ، وكان لعهد من الأنبياء ارميا وحباقون وباروخ . وبعث بختنصر قائده نبوزرaddon ، بنون مفتوحة وياء موحدة مضمومة تجلب واواً بعدها زاي وراء مفتوحة تجلب ألفاً

وذال مضمومة تجلب واوا بعدها نون ، بعثه إلى مدينة القدس ، وكانوا يدعونها مدينة يروشالم^(١) ، فخرّبها وخرّب الهيكل وكسر عمد الصفر التي نصبها سليمان في المسجد طول كل عمود منها ثمانية عشر ذراعاً وطول رؤوسها ثلاثة أذرع ، وكسر صرح الزجاج وسائر ما كان بها من آثار الدين والملك ، واحتمل بقية الأواني وما كان وجده من المتاع ، وسبى الكوهن سارية والخبر منشأ وخدمة الهيكل إلى بابل . قال هروشيوش : وأبقى صدقياً هو محبوساً ببابل إلى أن أطلقه بزداق قائد بهمن ملك الفرس حين غلبوا على بابل فأطلقه ووصله وأقطعه .

وقال مؤرخ حماة^(٢) ووافقه المسعودي : أن بختنصر بعد تخريب القدس هرب منه بعض ملوك بني اسرائيل إلى مصر وبها فرعون الأعرج ، وطلبه بختنصر فأجاره فرعون وسار إليه بختنصر فقتله وملك مصر . وافتتح من المغرب مدائن وبث فيها دعائه ، وكان إرمياء نبي بني اسرائيل من سبط لاوى ، ويقال اسمه إرمياء بن خلقياء ، وكان على عهده صدقياً هو ووجده بختنصر في محبسهم فأطلقه واحتمله معه في السبي إلى بابل ، وقيل انه مات في محبسه ولم يدركه بختنصر . وكذلك احتمل معهم دانيال بن حزقيل من أنبيائهم .

وقال ابن العميد : وولي جدليا بن أحان على من بقي من ضعفاء اليهود بالقدس ، ولسبعة أشهر من ولايته قام إسماعيل بن متنيا بن إسماعيل من بيت الملك فقتل جدليا واليهود والكلدانيين الذين معهم ، ثم هرب إلى مصر وهرب معه ارميا ، وهرب حبقون إلى الحجاز فمات وكان قيماً ولحقهم بمصر . وتنبأ ارمياء في مصر وبابل وأورشليم وصور وصيدا وعمون ثمانية وثلاثين سنة ، ورجمه أهل الحجاز فمات . وكان فيما أخبرهم به مسير بختنصر إلى مصر وتخريبه هياكلها وقتله أهلها . ولما دخل بختنصر مصر نقل جسده إلى الإسكندرية ودفنه بها ، وقيل دفن بالقدس لوحيته . وأمّا حزقياء هو فقتله اليهود في السبي .

قال الطبري : وافترقت جالية بني اسرائيل في نواحي العراق إلى ان ردّهم ملوك الفرس إلى القدس فعمروه وبنوا مسجده . وكان لهم فيه ملك في دولتين متصلتين إلى أن وقع بهم الخراب الثاني والجلوة الكبرى على يد طيطش من ملوك القياصرة كما نذكر بعد .

(١) أو اورشليم .

(٢) يعني ابي الفداء .

ولنذكر هنا ما وقع من الخلاف في نسب بختنصر هذا ، والى من يرجع من الأمم :
فقد ذهب قوم الى أنه من عقب سنجاريف ملك الموصل الذي كان يقاتل بني
اسرائيل والسامرة بالقدس . قال هشام بن محمد الكلبي فيما نقل الطبري : هو بختنصر بن
نبوزراذون بن سنجاريف ، ثم نسب سنجاريف إلى نمرود بن كوش بن حام الذي
وقع ذكره في التوراة في ولدكوش وعدّ بين سنجاريف والنمرود ستة عشر أباً أو نحوها
أولهم داريوش بن فالغ وعصا^(١) بن نمرود ، أسماء غير مضبوطة يغلب على الظن
تصحيفها لعدم دراية الأصول وقلة الوثوق بضبطها . وقيل إنّ بختنصر من نسل
أشود^(٢) بن سام ، ولم يقع الينا رفع هذا النسب ولعله أصبح من الأول لأنه قد تقدّم
نسب سنجاريف في الجرامقة ثم في الموصل منهم وهم من ولد أشود باتفاق من أهل
فارس ، نقله أيضاً الطبري عن ابن الكلبي ، وان اسمه بختمرسه فسمي بختنصر ،
وكان يملك ما بين الأهواز والروم من غربي دجلة أيام هراسب ويستاسب وبهمن من
ملوك الفرس ، وانه افتتح ما يليه من بلاد بابل والشام ثم سار الى القدس فافتتحها كما
تقدّم ، وقيل ان بهمن بعث رسله إلى القدس في طلب الطاعة منهم فقتلوه ، فبعث
بهمن أصهبداً للناحية القريبة من مملكته ، وبعث معه داريوش^(٣) من ملوك ماري بن
نابت ، وكيرش بن كيكوس من ملوك بني غليم بن سام ، وأحشوارش بن كيرش بن
جاماهن من قرابته . وسار معهم بختنصر بن نبوزراذون بن سنجاريف صاحب
الموصل الذي لقومه البرآت في أهل المقدس فكان ما وقع من الفتح . وقيل كان
بختنصر صاحب الموصل في مقدّمتهم وكان الفتح على يده .

وأما بنو اسرائيل فيزعمون أنّ بختنصر من الكلدانيين ، وهم وُلِدَ ناحور بن آزر أبي
إبراهيم عليه السلام ، وكان لهم الملك ببابل وكان بختنصر هذا من أعقابهم ، وكان
مدّة دولته خمسا وأربعين سنة ، وكان فتحه المقدس ثمانية عشر من دولته . وملك
بعده أويل مَرَّوْمَاخ ثلاثا وعشرين سنة ، ثم بعده ابنه فيلسنصر بن أويل ثلاث
سنين ، ثم غلب عليهم كوروش وأزال ملكهم وهو الذي ردّ بني اسرائيل إلى بيت
المقدس فعمره وجدّدوا به ملكاً كما نذكره .

(١) وفي التوراة : عوص .

(٢) وفي التوراة : اشور .

(٣) وفي نسخة اخرى : داريوش .

وفد اختلف في كيرش الذي ردّ بني اسرائيل الى القدس من هو بعد اتفاقهم على أنه من الفرس ، ف قيل هو يستاسب ولم يكن ملكاً وإنما كان مملكاً على خوزستان وأعمالها من قبل كيقوس وبنجسون بن سياوش وهراسب من بعدهما ، وكان عظيم الشأن ولم يكن ملكاً . وقيل إنّ كيرش هو ابن احشوارش بن جاماسب بن هراسب ، وابوه أحشوارش هذا الذي بعثه بهمن . ولما رجع من ذلك الفتح بعثه الى ناحية الهند والسند وانصرف الى حصن الأبر فولاه بابل وتزوج من سبي بني اسرائيل ابنة ابي حاول الرّحا واخت مردخاي من الرضاع ، وهو من أنبياء بني اسرائيل . فترعم النصراني انها ولدت عند حيرا حوارس إلى بابل ابنه كيرش هذا فحضنه مردخاي ولقنه دين اليهودية ، ولزم سائر أنبيائهم مثل متنيا وعازريا وميثائل وعزيز . وولي دانيال احكام دولته ، وجعل إليه أمره وأذن له أن يخرج ما في الخزائن من السبي والذخائر والآنية ويردّه إلى مكانه ويقوم في بناء القدس فعمره . وراجع بنو إسرائيل وسأله هؤلاء الأنبياء أن يرجعوا إلى بيت المقدس فنعمهم اغتباطاً بمكانهم .

وقيل إنّ كيرش هو كيرش بن كيكوبن غليم بن سام ، وهو الذي كنا قدمنا أن بهمن بعثه مع قائده بختنصر الى فتح بيت المقدس ، وأنّ بختنصر ملكه بهمن على بابل ، وكان يسمى بختنرسى كما ذكرنا ، فملكها وملك ابنه من بعده ثلاثا وعشرين سنة ، ثم ابنه بلتنصر سنة واحدة ، ثم بلغ بهمن سوء سيرته فعزله وولّى على بابل داريوش المأذة بن ماداي ، ثم عزله وولى كيرش بن كيكو ، وكتب إليه بهمن بان يرفق ببني اسرائيل ويحسن ملكتهم وأن يردهم إلى أرضهم ويولي عليهم من يختارونه ، ففعل ، فاختاروا دانيال من أنبيائهم فولاه . وقيل وهو لعلماء بني اسرائيل انّ بلتنصر حافد بختنصر وهو ملك بابل والكلدانيين ، وأنّ دارا ويسمى داريوش ملك ماري ، وكورش وهو كيرش ملك فارس ، كان في طاعته فانتقضا عليه ، وخرج إليهم في العساكر فانهزم أولاً ، ثم بعث عساكره وقواده إليهم فهزمهم ثم قتله خادمه على فراشه . ولحق بداريوش وكورش وزحفا إلى بابل فغلبا الكلدانيين عليها ، واختص دارا وقومه ماداي وأظنهم الديلم ببابل ونواحيا . واختص كورش وقومه فارس بسائر الاعمال والكور ، وكان كورش نذر ببناء بيت المقدس واطلاق الجالية ورد الآنية ، ثم هلك دارا وانفرد كورش بالملك على فارس ومادي ووفى بنذره هذا محصل الخلاف في بختنصر وكيرش والله أعلم .

الخبر عن دولة الأسباط العشرة وملوكهم الى حين انقراض أمرهم

قد تقدّم لنا في دولة سليمان عليه السلام أنّ يربعام بن نباط من سبط افرايم كان والياً لسليمان على جميع نواحي يورشليم^(١) وهي بيت المقدس ، وقيل إنّما كان والياً على عمل بني يوسف بنابلس وما إليها ، وكان جباراً وإن سليمان عوتب على ولايته من الله وانتقض ولحق بمصر ، فلما قبض سليمان ووّلي ابنه رحبعم واختلف عليه بنو إسرائيل بما بلوا من سوء ملكته والزيادة في الضرائب عليهم ، واجتمع الأسباط العشرة ما عدا يهوذا وبنيامين فاستقدموا يربعام بن نباط من مصر فبايعوا له وولوه الملك عليهم وحاربوا رحبعم ومن في طاعته وهم سبط يهوذا وبنيامين ، فامتنعوا عليهم بمدينة يورشليم ، ثم انحازوا إلى جهة فلسطين في عمل بني يوسف . ونزل يربعم مدينة نابلس بملك الأسباط العشرة ومنعهم من الدخول إلى بيت المقدس والقربان فيه ، وكان عاصياً مسخوط السيرة .

ولم يزل الحرب بينه وبين رحبعم بن سليمان وابنه أياً من بعده واثنين من ملك أسا بن أيّا ، وكان أياً ظاهراً عليه في حروبه ، ثم هلك يربعام بن نباط لستين من ملك أياً ولثلاث وعشرين من ملكه ، فولّي مكانه على الأسباط يوناذاب وكان على مثل سيرة أبيه من الجور وعبادة الأصنام ، فسلط الله عليه بعشا بن أحيا فقتله وجميع أهل بيته لستين من ملكه . وقام بملك الأسباط فلم يزل يحارب أسا بن أياً وأهل القدس سائر أيامه . وكان أسا يستمدّ عليه بملك دمشق من الأرمن . وسار معه إليه مرة ، وكان أعشا بن أحيا نبي يثرب ، فأجفل أمامهم وترك الآلات فأخذها أسا وبنى بها الحصون وهلك أعشا بن أحيا لأربع وعشرين سنة من ملكه ودفن في برصا مدينة ملكهم بعد أن أنذره بالهلاك نبيهم فاهو . ولما هلك ولي بعده ابنه إيليا ، ويقال إيلها في السادسة والعشرين من ملك أسا فأقام سنين ثم بعث عساكر بني إسرائيل إلى محاصرة بعض المدن بفلسطين ، فوثب عليه سبط من الأسباط من عقب كان يعرف زمري صاحب المراكب ، ويقال ابن اليافا ، فقتله وجميع أهل بيته وقام

(١) هي اورشليم .

بالمملك ومكث أياما يسيرة خلال ما بلغ الخبر لبني اسرائيل بمكانهم من حصار فلسطين ، فلم يرضوه وملكوا عليهم صي بن كسات من سبطه ورجعوا الى زمري المتوثب على الملك فحاصروه ، فلما أحيط به دخل مجلس الملك وأوقد ناراً لتحرقه فاحترق فيه لسبعة أيام من فورتهم .

وكان عمري بن ناداب من سبط أفرايم ويلقب صاحب الحربة يرادف صي في الملك فقتله واستبد ، وذلك في الحادية والثلاثين من ملك أسا . ثم اختلف عليه بنو اسرائيل ونصب بعضهم بنيامين فنال من سبط يساخر ، وحاربهم عمرى فغلبهم . وكان ينزل مدينة برصا ، ولست سنين من ملكه اختط مدينة السامرة ابتاع لها جبل شمران^(١) من رجل اسمه سامر بقنطار فضة ، وبنى فيه قصوره وسميت سبسطية ، ثم غلبت عليها النسبة إلى البائع . ويقال إن الاسم كان شو مرون فعرب سامرة وأهملت شينها المثلثة ، وكانت هذه المدينة مدينة ملكهم الى انقراض أمرهم .

ثم هلك عمري لإثنتي عشرة سنة من ولايته ودفن في نابلس ، وقام بملك الأسباط من بعده ابنه أحاب^(٢) ، وكان على مذهبه ومذهب سلفه منهم من الكفر والعصيان ، وتزوج بنت ملك صيدا ، وبنى هيكلاً بسامرة وجعل فيه صنماً يسجد له وأفحش في قتل الأنبياء ، وبنى قرية أريحاء ودعا عليه إيليا النبي فحقطوا ثلاث سنين خرج فيها إيليا إلى البرية فسكنها ، ثم رجع فدعا وأنزل الله المطر وذبح الذين حملوا أحاب على عبادة الأصنام هكذا قال ابن العميد .

والذي قاله الطبري إن هذا النبي الذي دعا عليهم هو الياس بن سين ، وقيل ابن ياسين من نسل فنحاص بن العازار . وكان بعث إلى أهل بعلبك وإلى أحاب وقومه . وقال الطبري : فكذبوه فأصابهم القحط ثلاثاً ، ففزعوا إليه في الدعاء وباهلهم في أصنامهم فلم تغن شيئاً ، فدعاهم فطروا ، ثم انهم أقاموا على ما كانوا عليه من الكفر والعصيان . وكان أحاب شديداً عليه ودعا عليه الياس ثم طلب من الله أن يتوفاه بعد أن أنذر الناس بهلاكه وهلاك قومه بل عقبه . وتنبأ بعده اليسع بن أخطوب من سبط افرايم ، وقيل ابن عم الياس . وقال ابن عساكر : اسمه اسباط بن عدي بن شوليم

(١) وفي التوراة « واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة .

(٢) وفي التوراة : آحاب .

بن افرائيم . قال الطبري : كان مستخفياً مع الياس يجبل قاسيون من ملك بعلبك ، ثم خلفه في قريته انتهى كلام الطبري .

وقال ابن العميد : في أيام أحاب أوحى الله إلى إيليا أن يبارك على إلياس بن بغسا ففعل ذلك ، وان يبارك على أدوم بدمشق ، وعلى ياهو ملكاً على بني اسرائيل ففعل ذلك . وهو أيضاً على عهد أحاب فجاء سنداب ملك سورية فحاصر أحاب بن عمري والأسباط العشرة في السامرة ، وخرجوا إليه فهزموه واستلحموا عامة عسكره ، ثم رجع إليهم من العام القابل فخرجوا إليه وهزموه ثانياً وقتلوا من عسكره نحواً من مائة ألف ، ومروا في اتباعهم ، وامتنع سنداب في بعض حصونه وأحاطوا به فخرج إليهم مُلقياً بنفسه على ملكهم أحاب ، فعفا عنه وردّه إلى ملكه ، وسخط ذلك النبي من فعله وأنذره بعذاب يصيب ولده عقوبة من الله تعالى على إيقائه عليهم . ثم خرج أحاب من ملك الأسباط مع يهوشافاط ملك يهوذا المقدس لمحاربة ملك سورية ، فأصابه سهم هلك فيه ودفن بسامرة لإثنتين وعشرين سنة من ملكه . قال ابن العميد : وقيل لثمان عشرة . وقال إنّا خرج لحرب كلعاد ملك أدوم فانهزم وقتل .

ولما هلك ملك من بعده ابنه أحزيا ويقال أمشيا وكان عاصياً سييء السيرة قتل عاموص النبي وعبد بعلا الصنم وهلك لستين ، فملك أخوه يوآم وقيل انه لتسع عشرة من ملك يهوشافاط ملك الفرس ، فملك يوآم على الأسباط إثنتي عشرة سنة زحف فيها أولاً إلى مؤاب لما منعوه الجزية التي كانت عليهم للأسباط مائتين من الغنم في كلّ سنة ، واستنجد ملك يهوذا لحربهم فحاصرهم سبعة أيام وفقدوا الماء ، فاستسقى لهم اليسع وجرى الوادي وخرج أهل مؤاب يظنون دماً ، فقتلهم بنو اسرائيل . وجمع هذاد ملك ادوم لحصار سامرة ونازلها ثلاث سنين ، ثم دعا عليهم اليسع فاجفلوا ورجعوا إلى بلادهم . وفي الثانية عشر من ملك يوآم ملك الأسباط ثار عليه يهوشافاط بن يشا من سبط منشا بن يوسف ، وذلك عند منصرفه من محاربة ملوك الجزيرة وأروم مع أحزيا بن يهورام ملك القدس ، وكان جريحاً فعاده أحزيا وكان هذا الفتى ياهويترصد قتل يوآم فأمكنته الفرصة فيه تلك الساعة فقتله وقتل معه أحزيا ملك القدس وبني يهوذا وملك على الأسباط .

وقال ابن العميد : خرج يؤام بن أحآب ملك الأسباط لحرب أدوم ومعه أحرزيًا ملك القدس فقتلا جميعا في تلك الحرب . وقيل إن ياهو بن منشأ رمى بسهم فأصاب يؤام بن أحآب فمات .

ولما ملك ياهو على الأسباط قتل بني أحآب كلهم كما أمره إليسع ، وهلك لخمس وثلاثين من ملكه وولي ابنه يوأص ، وقيل يهوذا ، ولثمان وعشرين من دولة يوأص بن أحرزيًا ملك يهوذا القدس وكان قبيح السيرة عبّاداً للأصنام وعمل مذبحاً بسامرة وهلك لسبع عشرة من ملكه ، وولي بعده ابنه يوأش لسبع وثلاثين من دولة يوأص بالقدس وزحف إلى القدس فملكها من يد أمصيا ملك يهوذا ، وهدم من سورها أربعائة ذراع ، وسبى أهل المقدس وسبى بني عزريّا الكوهن ، وأخذ جميع ما في المسجد ورجع إلى سامرة . ومرض إليسع فعاده يوأش فوعده بأنه يهلك أدوم ويظفر بهم ثلاث مرات ، فكان كذلك ، وهلك لثلاث عشرة سنة من ملكه . وولي من بعده ابنه يربعام وكان سيء السيرة وزحف إلى أمصيا ملك يهوذا ، وقيل إن الذي زحف إلى أمصيا إنما هو يوأش أبوه ، فهزمه وأخذه أسيراً وساربه إلى القدس فاقتحمها عنوة وغنم جميع ما في خزانها وسبى بني عزريّا الكوهن ، ورجع إلى السامرة فأطلق أمصيا . ثم لا حدى وأربعين سنة من ملكه ، ولسبع وعشرين من ملك عزيا هو بن أمصيا ملك القدس .

قال ابن العميد : وبقي بنو اسرائيل بالسامرة فوضى إحدى عشرة سنة ، ثم ملكوا ابنه زكريّا في الثامنة والثلاثين من ملك عزيا هو فملك ستة أشهر ، وقال ابن العميد شهراً ، ثم وثب به مناخيم بن كاد من سبط زبلون من أهل برصا فقتله ، وملك مكانه إثنتي عشرة سنة . وقال ابن العميد عشرين سنة . قال وفي التاسعة والثلاثين من ملك عزيا هو خرج إلى مدينة برصا ففتحها عنوة واستباحها ، وزحف إليه فول ملك الموصل فصانعه بألف قطار من الفضة ورجع عنه ، وكانت سيرته رديئة ، ولما هلك مناخيم ملك ابنه بقحيّا لاربعين من دولة عزيا ملك القدس فأقام فيهم إثنتي عشرة سنة ، وقال ابن العميد ستين ، ثم ثار عليه من عماله باقح بن رصليّا^(١) وكان على طريقة من تقدّمه في الضلال فأقام ملكاً على الأسباط بالسامرة عشرين سنة ، وهلك لدولته عزيا بن أمصيا ملك يهوذا بالقدس ، وأقام باقح بن رصليّا على سوء السيرة

(١) وفي نسخة أخرى : رصليّا .

وعبادة الأصنام إلى أن قتله هويشيع بن إيليا من سبط كاد في الثالثة من ملك يواب ملك القدس وبقى الأسباط بعده فوضى عشر سنين ، ثم ملكوا قاتله هوبشيع بن إيليا المذكور ، فأقام مملكا عليهم سبع سنين وفي أيامه زحف إليه ملك أثور^(١) والموصل فصير الأسباط في دولته وأدوا إليه الخراج ، ثم ان هويشيع راسل ملك مصر في الاستعانة به والرجوع إلى طاعته ، فلما بلغ ذلك إلى ملك الموصل زحف إليه وحاصره في مدينة السامرة ثلاث سنين واقتحمها في الرابعة . وتقبض على هوبشيع لتسع سنين من ملكه ونقله مع الأسباط كلهم إلى الموصل ، ثم بعثهم إلى قرى أصبهان وأنزلهم بها ، وقطع ملك بني اسرائيل من السامرة وبقى ملك يهوذا وبنيامين بالقدس ، وكان ذلك لعهد احزيا بن أخاز من ملوكهم لسنة من دولته .

وتعاقبت ملوكهم بعد ذلك بالقدس إلى أن انقرضوا . وجمع ملك الموصل من كوره غاراً وحماة وصفرارام ، ويقال ومركتا وأسكنهم بالسامرة . قال ابن العميد وتفسيرها حفيظة ويوآطر . قالوا وسلط الله عليهم السباع يفترسونهم فبعثوا إلى ملك الموصل أن يعرفهم بصاحب قسمة السامرية من الكواكب ليتوجهوا إليه بما يناسبه على طريقة الصابئة ، فقبل إن العشرية التي رسخت فيها وهي دين اليهودية تمنع من ذلك ومن ظهور أثره . فبعث إليهم كوهنين من عامة اليهود يعلمانهم اليهودية فتلقوها عنهما ، فهذا أصل السامرة في فرق اليهود وليسوا منهم عند أهل ملتهم لا في نسبهم ولا في دينهم ، والله مالك الأمور لا رب غيره ولا معبود سواه سبحانه وتعالى .

(١) وفي التوراة : اشور .

الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الأول وما كان لبنى اسرائيل فيها من الملك في الدولتين لبنى حشمناي وبني هيردوس إلى حين الخراب الثاني والجلوة الكبرى

هذه الأخبار التي كانت لليهود ببيت المقدس والملك الذي كان لهم في العمارة بعد
جلاء بختنصر وأمر الدولتين اللتين كانتا لهم في تلك المدة ، لم يكتب فيها أحد من
الأئمة ولا وقفت في كتب التواريخ مع كثرتها واتساعها على ما يلزم بشيء من ذلك .
ووقع بيدي وأنا بمصر تأليف لبعض علماء بني اسرائيل من أهل ذلك العصر في أخبار
البيت والدولتين اللتين كانتا بها ما بين خراب بختنصر الأول وخراب طيطش^(١) الثاني
الذي كانت عنده الجلوة الكبرى ، استوفى فيه أخبار تلك المدة بزعمه ومؤلف
الكتاب يُسمى يوسف بن كريبون وزعم أنه كان من عظماء اليهود وقوادهم عند زحف
الروم إليهم ، وأنه كان على صولة^(٢) ، فحاصره أسسيانوس أبو طيطش واقتحمها
عليه عنوة ، وقر يوسف إلى بعض الشباب وكمن فيها ثم حصل في قبضته بعد ذلك ،
واستبقاه ومنّ عليه وبقي في جملته . وكانت له تلك وسيلة إلى ابنه طيطش عندما
أجلى بني اسرائيل عن البيت فتركه بها للعبادة كما يأتي في أخباره . هذا هو التعريف
بالمؤلف .

وأما الكتاب فاستوعب فيه أخبار البيت واليهود بتلك المدة وأخبار الدولتين اللتين كانتا
بها لبني حشمناي وبني هيردوس من اليهود ، وما حدث في ذلك من الأحداث
فلخصتها هنا كما وجدتها فيه لأنني لم أقف على شيء فيها لسواه ، والقوم أعلم بأخبارهم
إذا لم يعارضها ما يقدم عليها . وكما قال صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل
الكتاب . فقد قال ولا تكذبوهم . مع أن ذلك إنما هو راجع إلى أخبار اليهود
وقصص الأنبياء التي كان فيها التزليل من عند الله ، لقوله بعد ذلك : « وقولوا آمنا
بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم » . وأما الخبر عن الوقائع المستندة إلى الحس فخير
الواحد كاف فيه إذا غلب على الظن صحته ، فينبغي أن نلحق هذه الأخبار بما تقدم

(١) وفي نسخة أخرى : طيطس .

(٢) قوله على صولة : بلد قريب من المقدس كما في التوراة ولعلها المسماة اليوم بصفد (بخط العطار) .

من أخبارهم لتكمل لنا أحوالهم من أول أمرهم إلى آخره والله أعلم . ولم التزم صدقة من كذبه والله المستعان .

قال الطبري وغيره من الأئمة : كان يرميًا ويقال أرميا بن خلقيا من أنبياء بني اسرائيل ومن سبط لاوى ، وكان لعهد صدقيا هو آخر ملوك بني يهوذا بيت المقدس ، ولما توغلوا في الكفر والعصيان أُنذِرهم بالهلاك على يد بختنصر وسأله عنه وأطلقه واحتمله معه في السبي ، وكان فيما يقوله أرميا إنهم يرجعون إلى بيت المقدس بعد سبعين سنة يملك فيها بختنصر وابنه وابن ابنه ويهلكون ، واذا فرغت مملكة الكلدانيين بعد السبعين يفتقدكم . يخاطب بذلك بني اسرائيل في نص آخر له عند كمال سبعين لخراب المقدس . وكان شعيا بن أمصيا من أنبيائهم أخبرهم بأنهم يرجعون إلى بيت المقدس على يد كورش من ملوك الفرس ، ولم يكن وجد لذلك العهد ، فلما استولى كورش على بابل وأزال مملكة الكلدانيين أذن لبني اسرائيل في الرجوع إلى بيت المقدس وعمارة مسجدها ، ونادى في الناس أن الله أوصاني أن أبني بيتا فمن كان لله وسعيه لله فليمض إلى بنيه . فمضى بنو اسرائيل في اثنين وأربعين ألفا وعليهم زيريا فيل ، بالفاء الهوائية ، بن شالتهيل بن يوخنيا آخر ملوكهم بالمقدس الذي حبسه بختنصر وقد مر ذكره . وقد مضى معهم عزير النبي من عقب أشيوع بن فنحاص ابن العازر بن هارون وبينه وبين أشيوع ستة آباء . لم أثق بنقلها لغلبة الظن بأنها مصحفة ، وردّ عليهم كورش الأواني وكانت لا يعبر عنها من الكثرة . قال ابن العميد : كانت خمسة آلاف وأربعمائة قصعة ذهبا وفضة . فمضوا إلى بيت المقدس وشرعوا في العمارة وشرع كورش وسعى عليهم في ابطال ذلك بعض اعدائهم من السامرة ، ولم يكن أمد السبعين التي وعدهم بها انقضى لأن الخراب كان ثمان عشرة من ملك بختنصر وكانت دولته خمسة وأربعين ومدة ابنه وابن ابنه خمس وعشرون ، فبقيت من السبعين ثمانية عشر التي نفدت من ملك بختنصر قبل الخراب ، فنموا من العمارة بسعاية السامرية إلى أن انقضت الثمان عشرة .

وجاءت دولة دارا من ملوك الفرس فأذن لهم في العمارة وعاد السامرة لسعايتهم في ابطال ذلك عند دارا ، فأخبره أهل دولته أن كورش أذن لهم في ذلك فخلّى سبيلهم وعمرّوا بيت المقدس في الثانية من ملك دارا الأول ، وهو أرفخشذ والكوهن يومئذ عزير ، وجدّد لهم التوراة بعد ستين من رجوعهم إلى البيت . ثم هلك زيريا فيل

وخلفه فيهم بهشميَّاس ، وقبض العزير وخلفه شمعون الصفا من بني هرون أيضا .
 وقال يوسف بن كريون : إنَّ بختنصر لما رجع إلى بابل أقام ملكاً سبعا وعشرين
 سنة ، وملك بعده ابنه بَلْتَنَصْر ثلاث سنين ، وانتقض عليه داريوش ملك ماضي ،
 وأظنهم الديلم وكيرش ملك فارس ، وهزمتهم عساكره كما مر ، فعمل في بعض أيامه
 صنيعاً لقواده سروراً بالواقع ، وسقاهم في أواني بيت المقدس التي احتملها جدّه من
 الهيكل ، فسخط الله لذلك ورأى تلك الساعة كأنَّ يداً خرجت من الحائط تومي
 بكتابة كلمات بالخط الكلداني والكلمات عبرانية ، وهي أحصى وزن نفذ ، فارتاع
 لذلك هو والحاضرون وفرغ إلى دانيال النبي في تفسيرها . قال وهبُ بن منبّه وهو من
 أعقاب حزقيل الأصغر وكان خلفاً من دانيال الأكبر ، فقال له دانيال : هذه الكلمات
 تنذر بزوال ملكك ومعناها أنَّ الله أحصى مدّة ملكك ، ووزن أعمالك ، ونفذ قضاؤه
 بزوال ملكك عنك وعن قومك . وقتل في تلك الليلة بَلْتَنَصْر ، وكان ما قدّمناه من
 استقلال كورش وقومه فارس بالملك ورد الجالية إلى بيت المقدس ، وأطلق لهم المال
 لعمارتها شكراً على الظفر بالكلدانيين ومضى بنو إسرائيل معهم عزّوا الكاهن ونجماً
 ومردخاي وجميع رؤوساء الجالية يبنون البيت والمذبح على حدودها وقرّبوا القرابين .
 وكان كورش بعد ذلك يطلق لهم في كل سنة من الحنطة والزيت والبقرة والغنم والخمر
 ما يحتاجون اليه في خدمة البيت ويطلق لهم جارية واسعة . وجرى ملوك الفرس بعده
 على سنته في ذلك إلا قليلاً في أيام أخشوروش ^(١) منهم ، كان وزيره هامان وكان
 من العالقة ، وكان طالوت قد استخلفهم بأمر الله ، فكان هامان يعاديهم لذلك
 وعظمت سعايته فيهم وحمله على قتلهم . وكان مردخاي من رؤوسائهم قد زوّج أخته
 من الرضاع لأخشوروش ، فدس إليها مردخاي أن تشفع إلى الملك في قومها فقبلها
 وعطف عليهم وأعادهم إلى أن انقرضت دولة الفرس بمهلك دارا ، واستولى بنيونان
 بمهلك دارا على ملك فارس .

وملك الاسكندر بن فيلفوس ^(٢) ودوّخ الأرض ، وفتح سواحل الشام ، وسار إلى
 بيت المقدس لأنها من طاعة دارا ، وخاف الكهنة من وصوله إليهم ، ورأى في بعض

(١) وفي التوراة سفر استير الفصل السادس : اخشوروش وفي كتب التاريخ اخشوروش .

(٢) هو الإسكندر المقدوني ابن فيليس .

تمثال^(١) رجلاً فقال : أنا رجل أرسلت لمعونتك . ونهاه عن أذية المقدس ، وأوصاه بامتنال اشارتهم . فلما وصل إلى البيت لقيه الكوهن ، فبالغ في تعظيمه ودخل معه إلى الهيكل ، وبارك عليه ، ورغب إليه الإسكندر أن يضع هنالك تمثاله من الذهب المذكور به ، فقال : هذا حرام لكن تصرف همتك في مصالح الكهنة والمصلين ويجعل لك من الذكر دعاؤهم لك ، وأن يسمي كل مولود لبني اسرائيل في هذه السنة بالاسكندر ، فرضي الاسكندر وحمل لهم المال وأجزل عطية الكوهن ، وسأله أن يستخير الله في حرب دارا ، فقال له : امض والله مُظْفِرُكَ . وحض دانيال وقص عليه الإسكندر رؤيا رآها فأولها له بأنه يظفر بدارا .

ثم انصرف الاسكندر وسار في نواحي بيت المقدس ، ومرّ بنابلس ولقية سنبلاط السامريّ وكان أهل المقدس أخرجه عنهم ، فأضافه وأهدى له أموالاً وأمتعة واستأذنه في بناء هيكل في طول يريد فأذن له ، فبناه وأقام صهره منشأ كوهنا فيه ، وزعم أنه المراد بقوله في التوراة اجعل البركة على جيل كريد . فقصده اليهود في الأعياد ، وحملوا اليه القرابين وعظم أمره ، وغص بشأنه أهل بيت المقدس ، إلى أن خربه هرمايوس بن شمعون أول ملوك بني حشمناي كما يأتي ذكره .

ثم هلك الإسكندر ببابل بعد استيفاء مدته لإثنتين وثلاثين من ملكه وقد كان قسم ملكه بين عطاء دولته ، فكان سلباقوس بعد الإسكندر وكان عظيم أصحابه ، فأكرم اليهود وحمل المال إلى فقراء البيت ثم سعى عنده بأن في الهيكل أموالاً وذخائر نفيسة ورغبوه في ذلك ، فبعث عظيمًا من قواده اسمه أردوس ليقبض ذلك المال فحضر بالبيت ، وأنكر الكاهن حنينان^(٢) أن يكون بالبيت إلا بقية الصدقات من فارس ويونان وما أعطاهم سلباقوس آنفاً ، فلم يقبل ، ووكل بهم في الهيكل فتوجهوا بالدعاء . وجاء أردوس ليقبض المال فصدع في طريقه ، وجاء أصحابه إلى الكوهن حنيناً وجماعة الكهنة يسألون الاقالة والدعاء لأردوس ، فدعوا له وعوفي وارتحل . وازداد الملك سلباقوس اعظاماً للبيت وحمل ما كان يحمل إليهم مضاعفاً .

(١) العبارة هنا مشوشة ولم نجد في المراجع التي بين أيدينا على ما يصحح هذه العبارة . ومقتضى السياق : ورأى امام تمثال رجلاً فقال ...

(٢) ورد اسمه في التوراة حناني (سفر ترحميا — الفصل الأول) .

قال ابن كزيون : ثم ترجمت التوراة لليونانيين وكان من خبرها أن تلامي^(١) ملك مصر من اليونانيين بعد الإسكندر ، وكان من أهل مقدونية ، وكان محباً للعلوم ومشغوفاً بالحكمة والكتب الإلهية . وذكرت له كتب اليهود الأربعة والعشرون سفراً فتاقت نفسه للوقوف عليها ، وكتب إلى كهنة القدس في ذلك وأهدى له ، فاختر سبعين من أحرار اليهود وعلمائهم وفهم كوهن عظيم اسمه العازر ، وبعثهم إليه ومعهم الأسفار فتلقاهم بالكرامة وأوسع لهم النزول ورتب مع كل واحد كاتباً يملئ عليه ما يترجم له ، حتى ترجم الأسفار من العبرانية إلى اليونانية ، وصححها وأجاز الأحرار وأطلق لهم من كان بمصر من سبي اليهود نحواً من مائة ألف ، وصنع مائدة من الذهب نقش عليها صورة أرض مصر والنيل ورصعها بالجواهر والفصوص وبعث بها إلى القدس فأودعت في الهيكل .

ثم ملك تلامي صاحب مصر ، واستولى بعده أنطيوخوس صاحب مقدونية على أنطاكية ثم على مصر ، وأطاعه ملوك الطوائف بأرض العراق ، واستفحل ملكه وعظم طغيانه ، وأمر الأمم بعبادة الأصنام . وعمل أصناماً على صورته ، فامتنع اليهود من قبولها وسعى بهم عنده بعض شرارهم ، وكانوا أهل نجدة وشوكة ، فسار أنطيوخوس إليهم وأنخن فيهم بالقتل والسبي ، وفروا إلى الجبال والبراري ، فرجع واستخلف على بيت المقدس قائده فليلقوس ، وأمره أن يحملهم على السجود لأصنامهم وعلى أكل الخنزير وترك السبت والختان ، ويقتل من يخالفه . ففعل ذلك أشد ما يكون ، وبسط على اليهود أيدي أولئك الأشرار الساعين ، وقتل العازر الكوهن الذي ترجم لهم التوراة لما امتنع من السجود لصنمه وأكل قربانه . وكان فيمن هرب إلى الجبال والبراري متيتياً بن يوحنا بن شمعون الكوهن الأعظم ويعرف بجشمناي بن حونيّا من بني نوداب من نسل هارون عليه السلام ، وكان رجلاً صالحاً خيراً شجاعاً ، وأقام بالبرية وحزن لما نزل بقومه . فلما أبعد أنطيوخوس الرحلة عن القدس ، بعث متيتياً إلى اليهود يعرفهم بمكانه ، وينمعض لهم ويحرضهم على الثورة على اليونانيين ، فأجابوه وتراسلوا في ذلك ، وبلغ الخبر فليلقوس قائد أنطيوخوس ، فسار في عسكره إلى البرية طالباً متيتياً وأصحابه ، فلما وصل إليهم حاربهم فغلبوه وانهزم في عساكره .

(١) هو بطليموس مؤسس دولة البطالسة في مصر .

وقوي اليهود على الخلاف ، وهلك متيتيا خلال ذلك وقام بأمره ابنه يهوذا فهزم
عساكر فليلقوس ثانية . وشغل أنطيوخوس بحروب الفرس فزحف إليهم من مقدونية ،
واستخلف عليهم ابنه أفطر ، وضم إليه عظيماً من قومه اسمه ليشاوش ، وأمرهم أن
يبعثوا العساكر إلى اليهود ، فبعثوا ثلاثة من قوادهم وهم نيقانور وتلميئاس
وصردوس ، وعهد إليهم بإبادة اليهود حيث كانوا فسارت العساكر ، واستنفروا سائر
الأرمن من نواحي دمشق وحلب ، وأعداء اليهود من فلسطين وغيرهم . وزحف يهوذا
بن متيتيا مقدّم اليهود للقائهم بعد أن تضرعوا إلى الله وطاقوا بالبيت وتمسحوا به ،
ولقيهم عسكر نيقانور فهزموه ، واثخنوا فيه بالقتل ، وغنموا ما معهم ، ثم لقيهم
عسكر القائد ابن تلميئاس وصردوس ثانياً فهزموهما كذلك ، وقبضوا على فليلقوس
القائد الأول لأنطيوخوس فأحرقوه بالنار ، ورجع نيقانور إلى مقدونية فدخلها وخبر
ليشاوش وأفطر ابن الملك بالهزيمة ، فجزعوا لها . ثم جاءهم الخبر بهزيمة أنطيوخوس أمام
الفرس ، ثم وصل إلى مقدونية واشتد غيظه على اليهود ، وجمع لغزوهم فهلك دون
ذلك بطاعون في جسده ، ودفن في طريقه . وملك أفطر وسموه أنطيوخوس باسم
أبيه .

ورجع يهوذا بن متيتيا إلى القدس ، فهدم جميع ما بناه أنطيوخوس من المذابح ، وأزال
ما نصبه من الأصنام ، وطهر المسجد ، وبنى مذبحاً جديداً للقربان ، فوضع فيه
الحطب ودعا الله أن يرهم آية في اشتعاله من غير نار ، فاشتعل كذلك ولم ينطفئ إلى
الخراب الثاني أيام الجلوة ، واتخذوا ذلك اليوم عيداً سموه عيد العساكر .

ونازل ليشاوش فزحف إليه يهوذا بن متيتيا في عسكر اليهود وثبت عسكر ليشاوش
فانهزموا ، ولجأ إلى بعض الحصون وطلب التزول على الأمان على أن لا يعود إلى
حربهم ، فأجابه يهوذا على أن يدخل أفطر معه في العقد وكان ذلك . وتم الصلح
وعاهد أفطر اليهود على أن لا يسير إليهم ، وشغل يهوذا بالنظر في مصالح قومه .

قال ابن كزيون : وكان لذلك العهد ابتداء أمر الكيتم وهم الروم ، وكانوا برومية وكان
أمرهم شورى بين ثلثائة وعشرين رئيساً ، ورئيس واحد عليهم يسمونه الشيخ يدبر
أمرهم ، ويدفعون للحروب من يثقون بغنائه وكفايته منهم أو من سواهم . هكذا كان
شأنهم لذلك العهد ، وكانوا قد غلبوا اليونانيين واستولوا على ملكهم ، واجازوا البحر
إلى إفريقية فلكوها كما يأتي في أخبارهم ، فأجمعوا السير إلى أنطيوخوس أفطر وابن

عمه ليشاوش بقية ملوك يونان بأنطاكية ، وكاتبوا يهوذا ملك بني اسرائيل بالقدس يستميلونهم عن طاعة أنطيوخوس واليونانيين فأجابوهم إلى ذلك ، وبلغ ذلك أنطيوخوس فنبذ إلى اليهود عهدهم وسار إلى حربهم فهزموه ونالوا منه . ثم راسلهم في الصلح وأن يقيموا على عهدهم معه وتُحمل لبيت المقدس بما كان يحمله من المال ، وأن يقتل من عنده من شرار اليهود الساعين عليهم ، فتم العهد بينهم على ذلك وقتل شملاوش من الساعين على اليهود ، ثم جهز أهل رومة قائد حروبهم دمترياس ^(١) بن سلياقوس إلى أنطاكية ، ولقيه أنطيوخوس أظفر فانهزم أنطيوخوس وقتل هو وابن عمه ليشاوش ، وملك الروم أنطاكية . ونزلها قائدهم دمترياس وكان أَلْقِيمُوس الكوهن من شرار اليهود عند أنطيوخوس ، فلما ملك دمترياس قائد الروم فسعى عنده في اليهود ورغبه في ملك القدس والاستيلاء على أمواله ، فبعث قائده نيقانور لذلك وخرج يهوذا ملك القدس لتلقيه وطاعته ، وقدم بين يديه الهدايا والتحف ، فقال نيقانور إلى مسالمة اليهود وحسن رأيه وأكد بينه وبينهم العهد . ورجع وبادر أَلْقِيمُوس الكوهن إلى دمترياس وأخبره بميل قائده نيقانور إلى اليهود ، وزاد في إغرائه فبعث إلى قائده ينكر عليه ويستحثه لإنفاذ أمره ، وأن يحمل يهوذا مُقَيِّدًا . وبلغ ذلك يهوذا فلهحق بمدينة السامرة صَبْصُطِيَّة ، واتبعه نيقانور في العساكر فكرر عليه يهوذا وهزمه وقتل أكثر عساكر الروم الذين معه . ثم ظفر به فصلبه على الهيكل ببيت المقدس ، واتخذ اليهود ذلك اليوم عيداً وهو ثالث عشر آذار .

ثم بعث قائد الروم دمترياس من قابل قائده الآخر يَغْتَرُوس في ثلاثين ألفاً من الروم لمحاربة اليهود ، وخرجت عساكرهم من القدس ، وفروا عن ملكهم يهوذا وافترقوا في الشباب ، وأقام معه منهم فلٌ قليل ، واتبعهم يَغْتَرُوس فلقبه يهوذا وأكمن له فانهزم اليهود ، وخرج عليهم كمين الروم فقتل يهوذا في كثير من ولايته ودفن إلى جانب أبيه متيتياً . ولحق أخوه يوناثال فيمن بقي من اليهود ، بناحي الأردن وتحصنوا بيثر سبع ، فحاصروهم يَغْتَرُوس هنالك أياماً ، ثم بيتوه فهزموه وخرج يوناثال واليهود في اتباعه فتقبضوا عليه ، ثم أطلقوه على مسالمة اليهود وأن لا يسير إلى حربهم . فهلك يوناثال إثر ذلك وقام بأمر اليهود أخوهما الثالث شِمْعُون ، فاجتمع إليه اليهود من كل ناحية وعظمت عساكره ، وغزا جميع أعدائهم ومن ظاهر عليهم من سائر الأمم ، وزحف

(١) هو القائد الروماني الشهير ميتريدات .

إليه دمترياس قائد الروم بانطاكية فهزمه شمعون وقتل غالب عسكره .
ولم تعاودهم الروم بعدها بالحرب إلى أن هلك شمعون . وثب عليه صهره تلمي زوج
أخته فقتله وتقبض على بنيه وامراته ، وهرب ابنه الأكبر قانوس بن شمعون إلى غزة
فامتنع بها ، وكان اسمه يوحان وكان شجاعا قتل في بعض الحروب شجاعاً اسمه
هرقانوس فسماه أبوه باسمه . ثم اجتمع عليه اليهود وملكوه وسار إلى بيت المقدس ،
وفرّ تلمي المتوثب على أبيه إلى حصن داخون ، فامتنع به وسار هرقانوس إلى محاربتة
وضيق عليه ، وأشرف تلمي في بعض الأيام من فوق السور بأم هرقانوس وأخته
يتهدده بقتلها ، فكف عن الحرب ، وانصرف لحضور عيد المظال ببيت المقدس
فقتل تلمي أخته وأمه وفرّ من الحصن .

قال ابن كريون : ثم زحف دمترياس بن سلياقوس قائد الروم إلى القدس وحاصر
اليهود فامتنعوا ، وثلم السور ، وراسلوه في تأخير الحرب إلى انقضاء عيدهم ، ففعل
على أن يكون له نصيب في القربان . ووقعت في نفسه صاغية اليهم ، وأهدى تماثيل
للبيت فحسن موقعها عندهم ، وراسلوه في الصلح على المسألة والمظاهرة لبعض
فاجاب . وخرج إليه هرقانوس ملك اليهود وأعطاه ثلثمائة بدره من الذهب استخرجها
من بعض قبور بني داود . ورحل عنهم الروم ، وشغل هرقانوس في رمّ ما ثلّم^(١) من
السور ، وحدثت خلال ذلك فتنة بين الفرس والروم فسار إليهم دمترياس في جموع
الروم ، وبينما أبطأ هرقانوس ملك اليهود لحضور عيدهم اذ جاءه الخبر بأن الفرس
هزموا دمترياس ، فنهز الفرصة وزحف إلى أعدائه من أهل الشام وفتح نابلس
وحصون أروم التي بجبل الشراة ، وقتل منهم خلقا ووضع عليهم الجزية واخذهم
بالختان والتزام أحكام التوراة ، وخرّب الهيكل الذي بناه سنبلاط السامري في طول
بريد ياذن الإسكندر ، وقهر جميع الأمم المجاورين لهم ، ثم بعث وجوه اليهود
وأعيانهم إلى الأشياخ والمدبرين بومومة يسأل تجديد العهد ، وأن يردّوا على اليهود ما
أخذ أنطيوخس ويونان من بلادهم التي صارت في مملكة الروم ، فأجابوا وكتبوا له
العهد بذلك وخاطبوه بملك اليهود . وإنما كان يسمى من سلف قبله من آبائه بالكوهن
فسمى نفسه من يومئذ بالملك ، وجمع بين منزلة الكهنة ومنزلة الملك ، وكان أول
ملوك بني حشمناي . ثم سار إلى مدينة السامرة صبطية ففتحها وخرّبها وقتل أهلها .

(١) أي ترميم ما تهدّم .

قال ابن كريبون : وكان اليهود في دينهم يومئذ ثلاث فرق . فرقة الفقهاء وأهل القياس ^(١) ويسمّونهم الفروشم وهم الربانيون ، وفرقة الظاهريّة المتعلقين بظواهر الألفاظ من كتابهم ويسمّونهم الصدوقيّة وهم القراؤون ، وفرقة العبّاد المنقطعين إلى العبادة والتسبيح والزهاد فيما سوى ذلك ويسمّونهم الحيسيد . وكان هرّقانوس وآباؤه من الربانيين ، ففارق مذهبهم إلى القرائين لأنه جمع اليهود يوما عندما تمهد أمره ، وأخذ بمذاهب الملك ، وألقى به في صنيع احتفل فيه ولأن لهم جانبه وخضع في قوله وقال : أريد منكم النصيحة . فطمع بعض الربانيين فيه وقال : إنّ النصيحة أن تنزل عن الكهنوت وتقتصر على الملك وقد فاتك شرطها لأنّ أمك كانت سبية من أيام أنطيوخوس . فغضب لذلك وقال للربانيين : قد حكمتكم في صاحبكم فأخذوا في تأديبه بالضرب فتكر لهم من أجل ذلك ، وفارق مذهبهم إلى مذهب القرائين ، وقتل من الربانيين خلقاً كثيراً ، ونشأت الفتنة بين هاتين الطائفتين من اليهود ، واتصلت بينهم الحرب إلى هذا العهد .

وهلك هرّقانوس لاحدى وثلاثين سنة من دولته ، وملك بعده ابنه أرسنبّلوس وكان كبيرهم ، وكان له ولدان آخران وهم أنطقنوس ويحبّ الملك له ويبغض الإسكندر فأبعده إلى جبل الخليل ، فلما ملك أرسنبّلوس أخذ من اخوته بمذهب أبيهم وقبض على الإسكندر وأمه واستخلص أنطقنوس وقدمه على العساكر ، واكتفى به في الحروب ، وترفع عن تاج الكهنوت وكبس تاج الملك . وخرج أنطقنوس إلى الأمم المجاورين الخارجين عن طاعتهم فردّهم إلى الطاعة ، وكثرت السعاية فيه عند أخيه من البطانة وأغروه به ، فلما قدم أنطقنوس من مغيبه وافق عيد المظال ، وكان أخوه ملتزماً بيته لمرض طرّقه ، فعدل أنطقنوس عن بيته إلى الهيكل للتبرك ، فأوهما الملك أنّه إنما فعل ذلك لاستمالة الكهنوتية والعامة وأنّه يروم قتل أخيه ، وعلامة ذلك أنّه جاء بسلاحه ، فعهد أرسنبّلوس إلى حشمانه وغللمان قصره إن جاء متسلحاً أن يقتلوه . وكان ذلك وتمت حيلة البطانة وسعايتهم عليه وعلم أرسنبّلوس أنّ قد خدع في أخيه ، فندم واغتم ولطم صدره حتى قذف الدم من فيه ، وأقام عليلاً بعده حولاً كاملاً ثم هلك . فأفرجوا على أخيه الإسكندر من محبسه ، وبايعوا له بالملك واستقام له الأمر ، ثم انتقض عليه أهل عكا وأهل صيدا وأهل غزة بعثوا إلى قبرص ، وسار

(١) وفي نسخة أخرى : أهل القيافة .

الإسكندر إلى عكا فحاصرها وكانت كِلُوبَطْرَه ملكة من بقية اليونان قد انتقض عليها ابنها واسمه الظيرو وأجاز البحر إلى جزيرة قبرص فملكها ، فبعث أهل عكا أنهم يملكونه وأجاز إليهم في ثلاثين ألف مقاتل ، حتى إذا أفرج الإسكندر عن حصارهم راجعوا أمرهم ومنعوا الظير ، وامن الدخول إليهم ، فسار في بلاد الإسكندر ونزل على جبل الخليل فقتل منه خلقاً ، ونزل على الأردن . وفي خلال ذلك زحف الإسكندر إلى صيدا ففتحها عنوة واستباحها ، وعاد إلى القدس وقد أطاعته البلاد وحسم داء المنتقضين عليه .

ثم تجددت الفتنة بين اليهود بالقدس وذلك أنهم اجتمعوا في عيد المظال بالمسجد ، وحضر الإسكندر معهم فتلاعبوا بين يديه مراماة بما عندهم من مشموم ومأكول ، وأصاب الإسكندر رمية من الرّبّانيين فغضب لها ، وشاتهم القراؤن بما كانوا من شيعته ، فشتموا الإسكندر وقتلوا الشام وأصحابه فلم يغن عنهم ، وعظم فيهم الفتك وانفض الجمع ، وعهد الإسكندر أن يستد المذبح والكهنة بجائط عن الناس ، ونفذ أمره بذلك ، واتصلت الفتنة بين اليهود سب سنين قتل من الرّبّانيين نحو من خمسين ألفاً ، والاسكندر يعين القرائن عليهم ، وبعثوا إلى دمتريوس المسمّى أنطيوخوس ، ويدلوا له المال فسار معهم إلى نابلس ولقي الإسكندر فهزمه وقتل عامّة أصحابه ورجع . فخرج الإسكندر إلى الرّبّانيين وأنخن فيهم وظفر منهم بجاعة تريد على ثلثمائة فقتلهم صبراً وقهر سائر اليهود . وسار إلى دمتريوس ففتح الكثير من بلاده ، وخرج فظفر به الإسكندر وقتله .

وعاد إلى بيت المقدس لثلاث سنين في محاربة الرّبّانيين ودمتريوس ، فاستقام أمره وعظم سلطانه ثم طرده المرض فقام عليلًا ثلاثاً آخرين ، وخرج بعدها لحصار بعض الحصون وانتقضوا عليه فمات هنالك ، وأوصى امرأته الإسكندرة بكتان موته حتى يفتح الحصن وتسير بشلوه^(١) إلى القدس فتدفنه فيه ، وتصانع الرّبّانيين على ولدها فتملكه ، لأن العامّة إليهم أميل . ففعلت ذلك واستدعت من كان نافرا من الرّبّانيين ، وجمعتهم وقدمتهم للشورى ، واستبدت بالملك . وكان لها إبنان من الإسكندر بن هرّقانوس ، اسم الأكبر منها هرّقانوس ، والآخر أرسنبّلوس ، وكانا صغيرين عند موت أبيهما فلما كبرا عينت هرّقانوس للكهنة وقدّمت أرسنبّلوس على

(١) ج اشلاء وهنا تعني جثته أو رفاتة .

العساكر والحروب ، وضمت إليه الرّبانيين ، وأخذت الرهن من جميع الأمم وسألها الرّبانيون في الأخذ بثأرهم من القرائين خلقاً كثيراً . وجاء القراؤون إلى ابنها الكهّنون ينكرون ذلك وآته اذا فعل بهم ذلك ، وقد كانوا شيعا لأبيه الإسكندر ، فقد تحدث النفرة من سائر الناس . وسألوه أن يلتمس لهم اذنفا في الخروج عن القدس والبعد عن الرّبانيين ، فأذنت لهم رغبة في انقطاع الفتنة ، وخرج معهم وجوه العسكر . ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها ، ويقال إن ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها . وكان ابنها أرسطبلوس قائد العسكر لما شعر بموتها خرج إلى القرائين يستدعهم إلى نصرته فأجازوه ، وتقبضت هي على إبنيه وامراته ، واجتمعت عليه العساكر من النواحي وضرب البوق وزحف لحرب أخيه هرقلانوس والرّبانيين ، وحاصروهم أرسطبلوس ببيت المقدس ، وعزم على هدم الحصن فخرج إليه أعيان اليهود والكهّنونة ساعين في الصلح بينهما ، وأجاب على أن يكون ملكاً ويبقى هرقلانوس على الكهّنونة ، فتم ذلك واستقر عليه أمره .

ابتداء أمر أنظفتر^(١) أبو هيردوس

ثم سعى في الفتنة بينهما أنظفتر أبو هيردوس ، وكان من عظماء بني اسرائيل من الذين جمعوا مع العزير من بابل ، وكان ذا شجاعة وبأس ، وله يسار وقتية من الضياع والمواشي . وكان الاسكندر قد ولّاه على بلاد أروم^(٢) وهي جبال الشراة ، فأقام في ولايتها سنين ، وكثر ماله وأنكحوه منهم ، فكان له منها أربعة من الأبناء وهم فسيلو وهيردوس وفرودا ويوسف ، وبنت اسمها سلومث . وقيل أن أنظفتر لم يكن من بني اسرائيل ، وإنما كان من أروم وربى في جملة بني خشمناي وبيوتهم . فلما مات الاسكندر وملك زوجته الاسكندرة عزلته عن جبال الشراة ، فأقام بالقدس . حتى اذا استبد بالامر أرسطبلوس ، وكان بين هرقلانوس وأنظفتر مودة وصحبة ، فغصّ أرسطبلوس بمكانه من أخيه لما يعلم من مكر أنظفتر وهمّ بقتله ، فانفض عنه وأخذ في التدبير على أرسطبلوس . وفشا في الناس تبغضه إليهم وينكر تغلبه ، وبذكر لهم أن هرقلانوس أحق بالملك منه ، ثم حذر هرقلانوس من أخيه وخيل إليه أنه يريد قتله ،

(١) وهو معروف في التاريخ باسم انتيبتر

(٢) وفي نسخة ثانية أدوم

وبعث لشيعة هرقانوس المال على تخوفه من ذلك حتى تمكن منه الخوف ، ثم أشار عليه بالخروج الى ملك العرب هرثمة ، وكان يحب هرقانوس ، فعقد معه عهداً على ذلك ، ولحق هرقانوس بهرثمة ومعه أنظفتر ، ثم دعوا هرثمة الى حرب أرسنبلوس فأجابهم بعد مراوغة ، وتزاحفوا ونزع الكثير من عسكر أرسنبلوس إلى هرقانوس ، فرجع هارباً الى القدس ، ونازلهم هرقانوس وهرثمة واتصلت الحرب وطال الحصار . وحضر عيد الفطير وافتقد اليهود القرابين فبعثوا إلى أصحاب هرقانوس فيها ، فاشتطوا في الثمن ، ثم أخذوه ولم يعطوهم شيئاً ، وقتلوا بعض النساء طلبوه في الدعاء على أرسنبلوس وأصحابه ، وامتنع فقتلوه ، ووقع فيهم الرءاء فمات منهم أم .

قال ابن كريون : وكان الأرمن ببلاد دمشق وحمص وحلب ، وكانوا في طاعة الروم ، فانتقضوا عليهم في هذه المدة وحدثت عندهم صاغية إلى الفرس ، فبعث الروم قائدهم فقيوس^(١) فخرج لذلك من رومية ، وقدم بين يديه قائده سكانوس فطوع الأرمن ولحق دمشق ، ثم لحقه فقيوس ونزل بها . وتوجهت إليه وجوه اليهود في أثرهم ، وبعث إليه أرسنبلوس من القدس وهرقانوس من مكان حصاره ، كل واحد منهما يستنجد على أخيه ، وبعثوا إليه بالأموال والهدايا فأعرض عنها ، وبعث إلى هرثمة ينهيه عن الدخول بينهما فرحل عن القدس ، ورحل معه هرقانوس وأنظفتر ، وأعاد أرسنبلوس رسله وهداياه من بيت المقدس ، وألح في الطلب وجاء أنظفتر الى فقيوس بغير مال ولا هدية ، فنكث عنه فقيوس ، فرجع إلى رغبته ومسح أعطافه وضمن له طاعة هرقانوس الذي هو الكهنوت الأعظم . ويحصل بعد ذلك إضعاف أرسنبلوس فأجابه فقيوس على أن يتحيل له في الباطن ويكون ظاهره مع أرسنبلوس حتى يتم الأمر ، وعلى أن يحملوا الخراج عند حصول أمرهم ، فضمن أنظفتر ذلك . وحضر هرقانوس وأرسنبلوس عند فقيوس القائد يتظلم كل واحد من صاحبه ، فوعدهم بالنظر بينهم إذا حل بالقدس .

وبعث أنظفتر في جميع الرعايا فجاءوا شاكين من أرسنبلوس ، فأمره فقيوس من إنصافهم فغضب لذلك واستوحش وهرب من معسكر فقيوس وتحصن في القدس ، وسار فقيوس في أثره فترل أربحا ثم القدس وخرج أرسنبلوس واستقال ، فأقاله وبذل له الأموال على أن يعينه على أخيه ويحمل له ما في الهيكل من الأموال والجواهر ،

(١) هو القائد الروماني المعروف بمبيوس .

ويعث معه قائده لذلك ، فمنعهم الكهنونية وثارت بهم العامة وقتلوا بعض أصحاب القائد وأخرجوه . فغضب فقيوس وتقبض لحينه على أرسطبلوس ، وركب ليقتمهم البلد فامتنعت عليه ، وقتل جماعة من أصحابه فرجع ، وأقام عليهم . ووقعت الحرب بالمدينة بين شيع أرسطبلوس وهرقانوس ، وفتح بعض اليهود الباب لفمقيوس فدخل البلد وملك القصر وامتنع الهيكل عليه ، فأقام يحاصره أياما ، وصنع آلة الحصار فهدم بعض أبراجه واقتحمه عنوة ، ووجد الكهنونية على عبادتهم وقربانهم مع تلك الحرب ، ووقف على الهيكل فاستعظمه ولم يمد يده إلى شيء من ذخائره ، وملك عليهم هرقانوس ، وضرب عليهم الخراج يحمله كل سنة . ورفع يد اليهود عن جميع الأمم الذين كانوا في طاعتهم ، ورد عليهم البلدان التي ملكها بنو حشماني ، ورجع إلى رومة .

واستخلف هرقانوس وأنظفتر على المقدس وأنزل معها قائده سكانوس الذي قدّمه لفتح دمشق وبلاد الأرمن عندما خرج من رومية ، وحمل أرسطبلوس وابنيه مقيدين معه ، وهرب الثالث من بنيه وكان يسمى الإسكندر ولحقه فلم يظفر به . ولما بعد فقيوس عن الشام ذاهباً إلى مكانه خرج هرقانوس وأنظفتر إلى العرب ليحملوهم على طاعة الروم ، فخالفهم الإسكندر بن أرسطبلوس إلى المقدس وكان متغيباً بتلك النواحي منذ مغيب أبيه لم يبرح ، فدخل إلى المقدس وملكه اليهود عليهم وبني ما هدمه فقيوس من سور الهيكل ، واجتمع إليه خلق كثير . ورجع هرقانوس وأنظفتر فسار إليهم الإسكندر وهزمهم وأثنى في عساكرهم . وكان قائد الروم كينانوس قد جاء إلى بلاد الأرمن من بعد فقيوس ، فلحق به واستنصره على الإسكندر فسار معه إلى القدس ، وخرج إليهم الإسكندر فهزموه ، ومضى إلى حصن له يسمى الإسكندرونة واعتصم به .

وسار هرقانوس إلى القدس فاستولى على ملكه ، وسار كينانوس قائد الروم إلى الإسكندر فحاصره بحصنه واستأمن إليه فقبله وعفا عنه وأحسن إليه . وفي أثناء ذلك هرب أرسطبلوس أخو هرقانوس من محبسه برومية ، وابنه أنطقنوس واجتمع إليه ، فحاربه كينانوس وهزمه وحصل في أسره فردّه إلى محبسه برومية ، ولم يزل هنالك إلى أن تغلب قيصر على رومية ، واستحدث الملك في الروم . وخرج فقيوس من رومية إلى نواحي عمله وجمع العساكر لمحاربة قيصر ، فأطلق

ارستبلوس من محبسه ، وأطلق معه قائدين في إثني عشر ألف مقاتل ، وسرّحهم إلى الأرمن واليهود ليردوهم عن طاعة فقيوس ، وكتب فقيوس إلى أنظفتر بيت المقدس أن يكفيه أمر أرسطبلوس ، فبعث قوما من اليهود لقوه في بلاد الأرمن ودسّوا له سماً في بعض شرابه كان فيه حتفه . وقد كان كينانوس كاتب الشيخ صاحب رومية في إطلاق من بقي من أرسطبلوس فأطلقهم .

قال ابن كيريون : وكان أهل مصر لذلك العهد انتقضوا على ملكهم تلماي وطرده وامتنعوا من حمل الخراج إلى الروم ، فسار إليهم واستنفر معه أنظفتر فغلبهم وقتلهم ، وردّ تلماي إلى ملكه واستقام أمر مصر . ورجع كينانوس إلى بيت المقدس فجدد الملك هرقانوس ، وقدم أنظفتر مديّر المملكة وسار إلى رومية .

قال ابن كيريون : ثم غضبت الفرس على الروم فندبوا إلى ذلك قائداً منهم يسمى عربوس ، وبعثوه لحربهم ، فرّ بالقدس ودخل إلى الهيكل وطالب الكهنة بما فيه من المال ، وكان يسمى العازر من صلحاء اليهود وفضلائهم ، فقال له : إن كينانوس وفقيوس لم يفعلوا ذلك بتلك . فاشتدّ عليه . فقال : أعطيك ثلثمائة من الذهب وتقجاني عن الهيكل . ودفع إليه سبيكة ذهب على صورة خشبة كانت تلقى عليها الصور التي تنزل من الهيكل الذي تجدد ، وكان وزنها ثلثمائة فأخذها ونقض القول وتعدّى على الهيكل ، وأخذ جميع ما فيه منذ عمارتها من الهدايا والغنائم وقرابات الملوك والأمم وجميع آلات القدس ، وسار إلى لقاء الفرس فحاربوه وهزموه وأخذوا جميع ما كان معه وقتل . واستولت الفرس على بلاد الأرمن من دمشق وحمص وحلب وما إليها ، وبلغ الخبر إلى الروم فجهزوا قائداً عظيماً في عساكر جمّة اسمه كسناو ، فدخل بلاد الأرمن الذين كانوا غلبوا عليها . وساروا إلى القدس فوجد اليهود يحاربون هرقانوس وأنظفتر فأعانها حتى استقام مُلكُ هرقانوس ثم سار إلى الفرس في عساكره فغلبهم وحملهم على طاعة الروم ، ورد الملوك الذين كانوا عصوا عليهم إلى الطاعة ، وكانوا اثنين وعشرين ملكاً من الفرس كان فقيوس قائد الروم هزمهم ، فلما سار عنهم انتقضوا .

قال ابن كيريون : ثم ابتدأ أمر القياصرة وملك على الروم يولياس ولقبه قيصر لأن أمّه ماتت حاملاً به عند مخاضها فشق بطنها عنه فلذلك سُمّي قيصر ، ومعناه بلغتهم القاطع . ويسمّى أيضاً يولياس باسم الشهر الذي ولد فيه وهو يولييه خامس

شهورهم^(١) ومعنى هذه اللفظة عندهم الخامس ، وكان الثلاثاء والعشرون المدبرون أمر الروم والشيخ الذي عليهم قد أحكموا أمرهم مع جماعة الروم على أن لا يقدموا عليهم ملكا ، وأنهم يعينون للحروب في الجهات قائدا بعد آخر . هذا ما اتفقوا عليه النقلة في الحكاية عن أمر الروم وابتداء ملك القياصرة . قالوا ولما رأى قيصر هذا الشيخ الذي كان لذلك العهد كبر وشب على غاية من الشجاعة والاقدام ، فكانوا يبعثونه قائدا على العساكر إلى النواحي ، فأخرجوه مرة إلى المغرب فدوَّخ البلاد ، ورجع فسمت نفسه إلى الملك فامتنعوا له وأخبروه أن هذا سنة آبائهم منذ أحقاب ، وحدّثوه بالسبب الذي فعلوا ذلك لأجله ، وهو أمر كيوس وأنه عهد لأولهم لا ينقض ، وقد دوَّخ فمقيوس الشرق ، وطوَّع اليهود ولم يطمع في هذا فوثب عليهم قيصر وقتلهم واستولى على ملك الروم منفردا به وسَمَّى قيصر ، وسار إلى فمقيوس بمصر فظفر به وقتله ، ورجع فوجد بتلك الجهات قواد فمقيوس فسار إليهم يولياس قيصر ومربلاذ الأرمن فأطاعوه ، وكان عليهم ملك اسمه متردات فبعثه قيصر إلى حربهم .

فسار في الأرمن ولقيه هرقانوس ملك اليهود بعسقلان ونفر معه إلى مصر هو وأنظفتر لمحوا بعض ما عرف منهم من موالاة فمقيوس ، وساروا جميعا إلى مصر ولقيتهم عساكرها واشتدَّ الحرب فحصر بلادهم ، وكادت الأرمن أن يهزموا ، فثبت أنظفتر وعساكر اليهود وكان لهم الظفر واستولوا على مصر ، وبلغ الخبر إلى قيصر فشكر لأنظفتر حسن بلائه واستدعاه فسار إليه مع ملك الأرمن متردات فقبله وأحسن وعده . وكان أنظفتر بن أرسنبولس قد اتصل بقيصر وشكى بأن هرقانوس قتل أباه حين بعثه أهل رومة لحرب فمقيوس ، فتحيَّل عليه هرقانوس وأنظفتر وقتلاه مسموماً ، فأحسن أنظفتر العذر لقيصر بأنه إنما فعل ذلك في خدمة من ملك علينا من الروم ، وإنما كنت ناصحا لقائدهم فمقيوس بالأمس ، وأنا اليوم أيها الملك لك أنصح وأحب ، فحسن موقع كلامه من قيصر ورفع منزلته وقدمه على عساكره لحرب الفرس ، فسار إليه أنظفتر وأبلى في تلك الحروب ومناصبه قيصر ، فلما انقلبوا من بلاد الفرس أعادهم قيصر إلى ملك بيت المقدس على ما كانوا عليه . واستقام الملك هرقانوس وكان خيرا ، إلا أنه كان ضعيفا عن لقاء الحروب فتغلب

(١) يولي: هو شهر تموز وهو الشهر السابع كما في تقويمنا الحالي ، ولكن السنة عندهم كانت تبدأ بشهر اذار او «مارت» فيكون شهر يولي هو الخامس كما ذكر .

عليه أنظفتر ، واستبد على الدولة ، وقدم ابنه فسيلو ناظرا في بيت المقدس ، وابنه هيردوس عاملا على جبل الخليل . وكان كما بلغ الحلم واحتازوا الملك من أطرافه وامتلأ أهل الدولة منهم حسداً وكثرت السعاية فيهم ، وكان في أطراف عملهم ناثراً من اليهود يسمى حزقيّا وكان شجاعاً صعلوكاً واجتمع إليه أمثاله فكانوا يغيرون على الأرمن وينالون منهم . وعظمت نكايتهم فيهم فشكى عامل بلاد الأرمن وهو سفيوس ابن عم قيصر الى هيردوس وهو يجبل الخليل ما فعله حزقيّا وأصحابه في بلادهم ، فبعث هيردوس إليه سرية فكبسوهم ، وقتل حزقيّا وغيره منهم ، وكتب بذلك إلى سفيوس فشكره وأهدى إليه اليهود .

ونكر اليهود ذلك من فعل هيردوس وتظلموا منه عند هرقانوس وطلبوه في القصاص منه ، فأحضروه في مجلس الأحكام وأحضر السبعين شيخاً من اليهود ، وجاء هيردوس مسلحاً ودافع عن نفسه ، وعلم هرقانوس بغرض الأشياخ ، ففصلوا المجلس فنكروا ذلك على هرقانوس ، ولحق هيردوس ببلاد الأرمن فقدمه سفيوس على عمله .

ثم أرسل هرقانوس إلى قيصر يسأل تجديد عهد الروم لهم ، فكتب له بذلك ، وأمر بأن يحمل أهل الساحل خراجهم إلى بيت المقدس ما بين صيدا وغزة ، ويحمل أهل صيدا إليها في كل سنة عشرين ألف وسق من القمح ، وأن يرد على اليهود سائر ما كان بأيديهم إلى الفرات واللاذقية وأعمالها وما كان بنو حشمناني فتحوه عنوة من عدوات الفرات ، لأن فقيوس كان يتعدى عليهم في ذلك ، وكتب العهد بذلك في ألواح من نحاس بلسان الروم ويونان ، وعلفت في أسوار صور وصيدا واستقام أمر هرقانوس .

قال ابن كريتون : ثم قُتل قيصر ملك الروم . وأنظفتر وزير هرقانوس المستبد عليه . أما قيصر فوثب عليه كيساوس من قواد فقيوس فقتله ، وملك وجمع العساكر وعبر البحر إلى بلاد أشيت ففتحها ، ثم سار إلى القدس وطالبهم بسبعين بكرة من الذهب ، فجمع له أنظفتر وبنوه من اليهود ، ثم رجع كيساوس إلى مقدونية فأقام بها . وأما أنظفتر فإن اليهود داخلوا القائد ملكياً الذي كان بين أظهرهم من قبل كيساوس في قتل أنظفتر وزير هرقانوس ، فأجابهم الى ذلك ، فدسوا إلى ساقيه سمّاً فقتله ، وجاء ابنه هيردوس إلى القدس مجمعا قتل هرقانوس ، فكفّه فسيلو عن ذلك ، وجاء كيساوس من مقدونية إلى صور ، ولقي هرقانوس وهيردوس وشكوا إليه ما فعله قائده ملكيا من

مداخلة اليهود في قتل أنظفتر ، فأذن لهم في قتله فقتلوه . ثم زحف كينانوس بن أخي قيصر وقائده أنطيوخس^(١) في العساكر لحرب كيساوس المتوثب على عمه قيصر ، فلقبهم قريبا من مقدونية فظفرا به وقلعاه ، وملك كينانوس مكان عمه وسمى أوغسطس قيصر بإسم عمه . فأرسل إليه هرقانوس ملك اليهود بهدية وفيها تاج من الذهب مرصع بالجواهر وسأل تجديد العهد لهم ، وأن يطلق السبي^(٢) الذي سبي منهم أيام كيساوس ، وأن يرد اليهود إلى بلاد يوناث وأثينة ، وأن يجري لهم ما كان رسم به عمه قيصر ، فأجابه إلى ذلك كله .

وسار أنطيانوس وأوغسطس قيصر إلى بلاد الأرمن بدمشق وحمص ، فلقته هنالك كلبطرة ملكة مصر وكانت ساحرة ، فاستأمنته وتزوجها وحضر عنده هرقانوس ملك اليهود . وجاء جماعة من اليهود فشكوا من هيردوس وأخيه فسيلو وتظلموا منها ، وأكذبهم ملكهم هرقانوس وأبى عليها ، وأمر انطيانوس بالقبض على أولئك الشاكين وقتل منهم ، ورجع هيردوس وأخوه فسارا إلى مكانها ومكان أبيهما من تدبير مملكة هرقانوس ، وسار أنطيانوس إلى بلاد الفرس فدوخوا وعاث في نواحيها وقهر ملوكهم وقفل إلى رومة .

قال ابن كرتون : وفي خلال ذلك لحق أنطقنوس وجماعة من اليهود بالفرس ، وضمنوا للملكهم أن يحملوا إليه بكرة من الذهب وثمانمائة جارية من بنات اليهود ورؤسائهم يسبين له ، على أن يملكه مكان عمه هرقانوس ويسلمه إليه ، ويقتل هيردوس وأخاه فسيلو ، فأجابهم ملك الفرس إلى ذلك ، وسار في العساكر وفتح بلاد الأرمن وقتل من وجد بها من قواد الروم ومقاتلتهم ، وبعث قائده بعسكر من القدس مع أنطقنوس مورياً بالصلاة في بيت المقدس والتبرك بالهيكل ، حتى إذا توسط المدينة ثار بها وأفحش في القتل ، وبادر هيردوس إلى قصر هرقانوس ليحفظه ، ومضى فسيلو إلى الحصن يضبطه . وتورط من كان بالمدينة من الفرس قتلهم اليهود عن آخرهم ، وامتنعوا على القائد ، وفسد ما كان دبره في أمر أنطقنوس فرجع إلى استمالة هرقانوس وهيردوس ، وطلب الطاعة منهم للفرس وأنه يتلطف لهم عند الملك

(١) وفي نسخة ثانية : انطونيوس .

(٢) السبي : بضم السين ج (سبي) ويطلق في الاغلب على النساء ، أما الرجال فيعبر عنهم في مثل هذا الحال بالأسرى .

في إصلاح حالهم ، فصغى هرقانوس وفسيلو إلى قوله وخرجوا إليه . وارتاب هيردوس وامتنع فارتحل بها قائد الفرس حتى اذا بلغ الملك بيلاد الأرمن تقبض عليها فأت فسيلو من ليلته ، وقيد هرقانوس واحتمله إلى بلاده ، وأشار أنطقنوس بقطع أذنه لينمعه من الكهنونة .

ولما وصل ملك الفرس إلى بلاده أطلق هرقانوس من الاعتقال ، وأحسن إليه إلى أن استدعاه هيردوس ، كما يأتي بعد ، وبعث ملك الفرس قائده إلى اليهود مع أنطقنوس ليملك ، فخرج هيردوس عن القدس إلى جبل الشّارة فترك عياله بالحصن عند أخيه يوسف ، وسار إلى مصر يريد قيصر . فأكرمه كلبطرة ملكة مصر ، وأركبته السفن إلى رومية ، فدخل بها انطيانوس إلى أوغسطس قيصر ، وخبره الخبر عن الفرس والقدس ، فملكه أوغسطس وألبسه التاج وأركبه في رومية في زي الملك ، والهااتف بين يديه بأن أوغسطس ملكه . واحتفل انطيانوس في صنيع له حضره الملك أوغسطس قيصر وشيوخ رومية ، وكتبوا له العهد في ألواح من نحاس ، ووضعوا ذلك اليوم التاريخ ، وهو أول ملك هيردوس .

وسار أنطيانوس بالعسكر إلى الفرس ومعه هيردوس ، وفارقه من أنطاكية وركب البحر إلى القدس لحرب أنطقنوس ، فخرج أنطقنوس إلى جبال الشّارة للإستيلاء على عيال هيردوس ، وأقام على حصار الحصن ، وجاء هيردوس فحاربه وخرج يوسف من الحصن من ورائه ، فانهزم أنطقنوس إلى القدس ، وهلك أكثر عسكره . وحاصره هيردوس وبعث أنطقنوس بالأموال إلى قواد العسكر من الروم فلم يجيبوه ، وأقام هيردوس على حصاره حتى جاءه الخبر عن أنطيانوس قائد قيصر أنه ظفر بملك الفرس وقتله ودوّخ بلادهم ، وأنه عاد ونزل الفرات . فترك هيردوس أخاه يوسف على حصار القدس مع قائد الروم سيساو ، ومن تبعهم من الأرمن ، وسار للقاء أنطيانوس ، وبلغه وهو بدمشق أن أخاه يوسف قتل في حصار القدس على يد قائده أنطقنوس ، وأنّ العساكر انفضت ورجعوا إلى دمشق ، وجاء سيساو منهزماً قائداً أنطيانوس بالعساكر . وتقدّم هيردوس وقد خرج أنطقنوس للقائه فهزمه ، وقتل عامّة عسكره واتبعه إلى القدس . ووافاه سيساو قائد الروم فحاصروا القدس أياماً ، ثم اقتحموا البلد وتسللوا صاعدين إلى السور ، وقتلوا الحرس وملكوا المدينة ، وأفحش سيساو في قتل اليهود ، فرغب إليه هيردوس في الابقاء . وقال له : إذا قتلت قومي

فعلی من تملکني ؟ فرفع القتل عنهم وردّ ما نهب وقرب إلى البيت تاجا من الذهب وضعت فيه ، وحمل إليه هيردوس أموالا . ثم عثروا على أنطقنوس مخفيا بالمدينة ، فقيده سيساو القائد ، وسار به إلى أنطيانوس ، وقد كان سار من الشام إلى مصر ، فجاءه بأنطقنوس هنالك ، ولحق بهم هيردوس وسأل من أنطيانوس قتل أنطقنوس فقتله . واستبد هيردوس بملك اليهود وانقرض ملك بني حشمناي والبقاء لله وحده .

انقراض ملك بني حشمناي وابتداء ملك هيردوس وبنيه

وكان أول ما افتتح به ملكه أن بعث إلى هرقانوس الذي احتمله الفرس وقطعوا أذنه يستقدمه ليأمن على ملكه من ناحيته ، ورغبه في الكهنوتية التي كان عليها ، فرغب وحذره ملك الفرس من هيردوس ، وعزله اليهود الذين معه ، وأراه أنها خديعة وأنه العيب الذي به يمنع الكهنوتية ، فلم يقبل شيئا من ذلك . وصغى إلى هيردوس وحسن ظنه به وسار إليه وتلقاه بالكرامة والإعطاء وكان يخاطبه بأبي في الجمع والخلوة . وكانت الإسكندرية بنت هرقانوس تحت الإسكندر وابن أخيه أرسنبيلوس ، وكانت بنتها منه مريم تحت هيردوس ، فاطلعتا على ضمير هيردوس من محاولة قتله ، فخبرتاه بذلك وإشارتا عليه باللاحاق بملك العرب ليكون في جواره ، فخاطبه هرقانوس في ذلك وأن يبعث إليه من رجالاتهم من يخرج به إلى أحيائهم ، وكان حامل الكتاب من اليهود مضطغنا على هرقانوس لأنه قتل أخاه وسلب ماله ، فوضع الكتاب في يد هيردوس ، فلما قرأه ردّه إليه وقال : أبلغه إلى ملك العرب وأرجع الجواب إليّ . فجاءه بالجواب من ملك العرب إلى هرقانوس ، وأنه أسعف وبعث الرجال فالتقهم بوصولك إليّ . فبعث هيردوس من يقبض على الرجال بالمكان الذي عينه ، وأحضرهم وأحضر حكام البلاد اليهود والسبعين شيخا . وأحضر هرقانوس وقرأ عليه الكتاب بخطه ، فلم يجر جوابا وقامت عليه الحجة ، وقتله هيردوس لوقته لثمانين سنة من عمره وأربعين من ملكه ، وهو آخر ملوك بني حشمناي .

وكان للإسكندر بن أرسنبيلوس ، ابن يسمي أرسنبيلوس ، وكان من أجمل الناس صورة ، وكان في كفالة أمه الإسكندرية ، وأخته يومئذ تحت هيردوس كما قلناه . وكان هيردوس يغص به وكانت أخته وأمها يؤملان أن يكون كوهنا بالبيت مكان جدّه هرقانوس ، وهيردوس يريد نقل الكهنوتية عن بني حشمناي ، وقدم لها رجلا من

عوام الكهنوتية ، وجعله كبير الكهنوتية ، فشق ذلك على الاسكندرية بنت هرقانوس وبنتها مريم زوج هيردوس . وكان بين الإسكندرية وكلوبطره ملكة مصر مواصلة ومهاداة ، وطلبت منها أن تشفع زوجها أنطيانوس في ذلك إلى هيردوس ، فاعتذر له هيردوس بأن الكواهن لا تغزل ، ولو أردنا ذلك فلا يمكننا أهل الدين من عزله ، فبعث بذلك إلى الإسكندرية . ودست الإسكندرية إلى الرسول الذي جاء من عند أنطيانوس ، وأتحفته بمال فضمن لهم أن أنطيانوس يعزم على هيردوس في بعث أرسطبلوس إليه ، ورجع إلى أنطيانوس فرغبه في ذلك ووصف له من جماله وأغراه باستقدامه ، فبعث فيه أنطيانوس إلى هيردوس وهذبه بالوحشة إن منعه ، فعلم أنه يريد منه القبيح ، فقدّمه كهنونا وعزل الأول ، واعتذر لانطيانوس بأن الكوهن لا يمكن سفره ، واليهود تنكر ذلك . فأغفل أنطيانوس الأمر ولم يعاود فيه .

ووكّل هيردوس بالإسكندرية بنت هرقانوس عهدته من يراعي أفعالها ، فاطلع على كتبها إلى كلوبطرة أن تبعث إليها السفن والرجال يوصلنها إليها ، وأن السفن وصلت إلى ساحل يافا ، وأن الإسكندرية صنعت تابوتين لتخرج فيهما هي وابنتها على هيئة الموتى . فأرصد هيردوس من جاء بهما من المقابر في تابوتيها فويخها ثم عفا عنها . ثم بلغه أن أرسطبلوس حضر في عيد المظال ، فصعد على المذبح وقد لبس ثياب القدس وازدحم الناس عليه وظهر من ميلهم إليه ومحبتهم ما لا يعبر عنه ، فغص بذلك واعمل التدبير في قتله . فخرج في منتزه له بأريحاء في نيسان ، واستدعى أصحابه وأحضر أرسطبلوس ، فطعموا ولعبوا وانغمسوا في البرك يسبحون وعمد غلمان هيردوس إلى أرسطبلوس فغمسوه في الماء حتى شرق وفاض ، فاغتم الناس لموته وبكى عليه هيردوس ودفنه ، وكان موته لسبع عشرة سنة من عمره . وتأكدت البغضاء بين الإسكندرية وابنتها مريم زوج هيردوس أخت هذا الغريق ، وبين أم هيردوس وأخته ، وكثرت شكواهما إليه فلم يشكهما لمكان زوجته مريم وأمها منه .

قال ابن كريون : ثم انتقض أنطيانوس على أوغسطس قيصر وذلك انه تزوج كلوبطره وملك مصر ، وكانت ساحرة فسحرته واستألتة ، وحملته على قتل ملوك كانوا في طاعة الروم ، وأخذ بلادهم وأمواهم ، وسبي نسايتهم وأمواهم وأولادهم . وكان من حملته هيردوس وتوقف فيه خشية من أوغسطس قيصر ، لأنه كان يكرمه بسبب ما صنع في الآخرين ، فحمله على الانتقاض والعصيان ، ففعل وجمع

العسكر واستدعى هيردوس فجاءه وبعثه إلى قتال العرب ، وكانوا خالفوا عليه ، ففضى هيردوس لذلك ومعه أنيثاون قائد كلوبطرة ، وقد دست له أن يجرّ الهزيمة على هيردوس ليقتل ففعل . وثبت هيردوس وتخلص من المعترك بعد حروب صعبة هلك فيها بين الفريقين خلق كثير .

ورجع هيردوس إلى بيت المقدس فصالح جميع الملوك والأمم المجاورين له ، وامتنع العرب من ذلك فسار إليهم وحاربهم ، ثم استباحهم بعد أيام ومواقف بذلوا وجمعوا له الأموال وفرض عليهم الخراج في كل سنة ورجع . وكان أنطيانوس لما بعثه إلى العرب سار هو إلى رومة وكانت بينه وبين أغسطس قيصر حروب هزمه قيصر في آخرها وقتله ، وسار إلى مصر فخافه هيردوس على نفسه لما كان منه في طاعة أنطيانوس ومولاته ، ولم يمكنه التخلف عن لقائه . فأخرج خدمه من القدس فبعث بأمّه وأخته إلى قلعة الشراة لنظر أخيه قُرودا ، وبعث بزوجه مريم وأمها الإسكندرية إلى حصن الإسكندرونة لنظر زوج أخته يوسف ورجل آخر من خالصته من أهل صور اسمه سوما وعهد إليهما بقتل زوجته وأمّها إن قتله قيصر .

ثم حمل معه الهدايا وسار إلى أوغسطس قيصر وكان تحقد له صحبة أنطيانوس ، فلما حضر بين يديه عنقه وأزاح التاج عن رأسه وهمّ بعقابه ، فتلطف هيردوس في الاعتذار ، وأنّ مولاته لأنطيانوس إنما كان لما أولى من الجميل في السعاية عند الملك وهي أعظم أباديه عندي ، ولم تكن مولاتي له في عداوتك ولا في حربك ولو كان ذلك وأهلك نفسي دونه كنت غير ملوم ، فإن الوفاء شأن الكرام . فإن أزلت عني التاج فما أزلت عقلي ولا نظري ، وإن أبقيتني فأنا محل الصنيعة والشكر . فانبسط أوغسطس لكلامه وتوجه كما كان ، وبعثه على مقدّمته إلى مصر ، فلما ملك مصر وقتل كلوبطره وهب لهيردوس جميع ما كان أنطيانوس أعطاه إياه ونفل . فأعاد هيردوس إلى ملكه بيت المقدس وسار إلى رومية .

قال ابن كريتون : ولما عاد هيردوس إلى بيت المقدس أعاد حرمة من أماكنهنّ ، فعادت زوجته مريم وأمّها من حصن الإسكندرونة وفي خدمتها يوسف زوج أخته وسوما الصوري وقد كانا حدثا المرأة وأمّها بما أسر إليهما هيردوس ، وقد كان سلف منه قتل هرقانوس وأرسطبلوس فشكرتا له . وبينما هو آخذ في استمالة زوجته إذ رمتها أخته بالفاحشة مع سوما الصوري في ملاحاة جرت بينهما ، ولم يصدّق ذلك هيردوس

للعداوة والثقة بعفة الزوجة . ثم جرى منها في بعض الأيام وهو في سبيل استئثارها عتاب فيما أسر إلى سؤما وزوج أخته ، فقويت عنده الظنة بهم جميعا وأن مثل هذا السر لم يكن إلا لأمر مريب ، وأخذ في إخفائها وإقصائها ودست عليه أخته بعض النساء تحدّثه بأن زوجته داخلته في أن تستحضر السمّ وأحضره فجرب وصح وقلل للحين صهره يوسف وصاحبه سؤما ، واعتقل زوجته ثم قتلها وندم على ذلك ، ثم بلغه عن أمها الاسكندرية مثل ذلك فقتلها . وولّى على أروم مكان صهره رجلا منهم اسمه كرسوس وزوجه أخته ، فسار إلى عمله وانحرف عن دين التوراة والإحسان الذي حملهم عليه هرقانوس ، وأباح لهم عبادة صنمهم وأجمع الخلاف ، وطلق أخت هيردوس فسعت به إلى أخيها وخبرته بأحواله وأنه آوى جماعة من بني حشمنائي المرشحين للملك منذ اثني عشر سنة . فقام هيردوس في ركائبه ، وبحث عنه فحضر وطالبه ببني حشمنائي الذي عنده ، فأحضرهم فقتله وقتلهم ، وأرهف حدّه وقلل جماعة من كبار اليهود ومقدميهم ، اتهمهم بالإنكار عليه . فأذعن له الناس واستفحل ملكه وأهمل المراقبة لوصايا التوراة وعمل في بيت المقدس سورا واتخذ منزله لعب ، وأطلق فيه السباع ويحمل بعض الجهلة على مقابلتها فتفترسهم ، فنكر الناس ذلك وأعمل أهل الدولة الحيلة في قتله فلم تتم لهم ، وكان يمشي متنكراً للتجسس على أحوال الناس ، فعظمت هيئته في النفوس .

وكان أعظم طوائف اليهود عنده الرّبانيون بما تقدّم لهم في ولايته ، وكان لطائفة العبّاد من اليهود المسمى بالحيسيد مكانة عنده أيضا ، كان شيخهم مناحيم لذلك العهد محدثا وكان حدثه وهو غلام بمصير الملك له ، وأخبره وهو ملك بطول مدّته في الملك فدعا له ولقومه . وكان كلفاً ببناء المدن والحصون ، ومدينة قيسارية من بنائه . ولما حدثت في أيامه المجاعة شمر لها وأخرج الزرع للناس وبثه فيهم ييعا وهبة وصدقة ، وأرسل في الميرة من سائر النواحي ، وأمر قيصر في سائر تخومه وفي مصر ورومة أن يحملوا الميرة إلى بيت المقدس ، فوصلت السفن بالزرع إلى ساحلها من كل جهة . وأجرى على الشيوخ والأيتام والأرامل والمنقطعين كفايتهم من الخبز ، وعلى الفقراء والمساكين كفايتهم من الحنطة ، وفرّق على خمسين ألفا قصدوه من غير ملته ، فرفعت المجاعة وارتفع له الذكر والثناء الجميل .

قال ابن كريون : ولما استفحل ملكه وعظم سلطانه أراد بناء البيت على ما بناه سليمان

بن داود ، لأنهم لما رجعوا إلى القدس باذن كورش عين لهم مقدار البيت لا يتجاوزونه ، فلم يتم على حدود سليمان ، ولما اعترم على ذلك ابتداءً أولاً بإحضار الآلات مستوفيات خشية أن يحصل الهدم وتطول المدة وتعرض القواطع والموانع . فأعد الآلات وأكمل جمعها في ست سنين ، ثم جمع الصناع للبناء وما يتعلق به فكانوا عشرة آلاف ، وعين ألفاً من الكهنة يتولون القدس الأقدس الذي لا يدخله غيرهم . ولما تم له ذلك شرع في الهدم فحصل لاقرب وقت ، ثم بنى البيت على حدوده وهيئته أيام سليمان وزاد في بعض المواضع على ما اختاره ووقف عليه نظره ، فأكمل في ثمان سنين . ثم شرع في الشكر لله تعالى على ما هيأ له من ذلك فقرب القربان واحتفل في الولائم وإطعام الطعام ، وتبعه الناس في ذلك أياماً فكانت من محاسن دولته .

قال ابن كريون : ثم ابتلاه الله بقتل أولاده وكان له ولدان من مريم بنت الإسكندرية قتيلة السم ، أحدهما الإسكندر والآخر ارسطوبولس ، وكانا عند قتل أمهما غائبين برومة يتعلمان خط الروم ، فلما وصلا وقد قتل أمهما حصلت بينه وبينهما الوحشة ، وكان له ولد آخر اسمه أنظفتر على اسم جدّه ، وكان قد أبعد أمّه راسيس لمكان مريم ، فلما هلكت واستوحش من ولدها لطلب محل راسيس منه ، قدم ابنها أنظفتر وجعله وليّ عهده ، وأخذ في السعاية على اخوته خشية منها بأنهما يرومان قتل أبيهما فانحرف عنهما . واتفق أن سار إلى أوغسطس قيصر ومعه ابنه إسكندر ، فشكاه عنده وتبرأ الإسكندر وحلف على براءته ، فأصلح بينهما قيصر ورجع إلى القدس . وقسم القدس بين ولده الثلاثة ، ووصاهم ووصى الناس بهم ، وعهد أن لا يخالطوهم خشية مما يحدث عن ذلك ، وأنظفتر مع ذلك متاد على سعائته بهما وقد داخل في ذلك عمه قدودا وعمته سلومنت ، فأغروا أباه بأخويه المذكورين حتى اعتقلهما . وبلغ الخبر أرسلاوش ملك كفتور ، وكانت بنته تحت الإسكندر ، منها فجاء إلى هيردوس مظهراً السخط على الإسكندر والانحراف عنه وتحيل في إظهار جرائعها ، وأطلعها على جلية الحال وسعاية أخيه وأخته ، فأنكشف له الأمر وصدقه وغضب على أخيه قدودا ، فجاء إلى أرسلاوش وأحضره عند هيردوس حتى أخبره بمصدوقية الحال ، ثم شفعه فيه وأطلق ولديه ورضي عنهما ، وشكر لأرسلاوش من تلاففه في تلافي هذا الأمر وانصرف إلى بلده .

ولم ينف ذلك أنظفتر عن تدبيره عليهما ، وما زال يغري أباه ويدس له من يغريه حتى

أسخطه عليهما ثانية واعتقلهما ، وأمضى بهما في بعض أسفاره مقيدتين . ونكر ذلك بعض أهل الدولة فدرس أنظفتر إلى أبيه المنكر عليّ من المدبرين عليك ، وقد ضمن لحجامك الإسكندر مالا على قتلك . فأنزل هيردوس بهما العقاب ليتكشف الخبر ، ونمي بأن ذلك الرجل معه . ولذعه العقاب وأقر على نفسه وقتل هو وأبوه والحجّام ، ثم قتل هيردوس ولديه وصلبيهما على مصطبة . وكان لابنه الإسكندر ولدان من بنت أرسلالوش ملك كفتور وهما كوبان والإسكندر ، ولابنه أرسنبولس ثلاثة من الولد : أعرباس وهيردوس وأستروبولس . ثم ندم هيردوس على قتل ولديه ، وعطف على أولادهما فزوّج كوبان بن الإسكندر بابنة أخيه قدودا وزوّج ابنة ابنه أرسنبولس من ابن ابنه أنظفتر ، وأمر أخاه قدودا وابنه أنظفتر بكفالتهم والإحسان اليهم ، فكرها ذلك واتفقا على فسخه وقتل هيردوس متى أمكن .

وبعث هيردوس ابنه أنظفتر إلى أوغسطس قيصر ، ونما الخبر إليه بأن أخاه قدودا يريد قتله ، فسخطه وأبعده وألزمه بيته . ثم مرض قدودا واستبدّ أخاه هيردوس ليعوده فعاده ثم مات ، فحزن عليه ثم حزن باستكشاف ما نمي إليه ، فعاقب جواريه ، فأقرت إحداهما بأن أنظفتر وقدودا كانا يجتمعان عند رسيس أم أنظفتر يدبران على قتل هيردوس على يد خازن أنظفتر ، فأقر بمثل ذلك وأنه بعث على السم من مصر وهو عند امرأة قدودا ، فأحضرت فأقرت بأن قدودا أمرها عند موته بآراقتة ، وأنها أبقت منه قليلا يشهد لها إن سئلت . فكتب هيردوس إلى ابنه أنظفتر بالقدوم ، فقدم مستريا بعد أن أجمع على الهروب ، فنعى خدام أبيه . ولما حضر جمع له الناس في مشهد وحضر رسول أوغسطس وقدم كاتبه نيقالوس . وكان يحب أولاد هيردوس المقتولين ويميل إليهما عن أنظفتر ، فدفع يخاصمه حتى قامت عليه الحجة وأحضر بقية السم وجرب في بعض الحيوانات فصدق فعله ، فحبس هيردوس ابنه أنظفتر حتى مرض وأشرف على الموت ، وأسف على ما كان منه لأولاده فهم يقتل نفسه ، فنعى جلساؤه وأهله ، وسمع من القصر البكاء والصراخ لذلك ، فهم أنظفتر بالخروج من محبسه ومنع ، وأخبر هيردوس بذلك وأمر بقتله في الوقت فقتل . ثم هلك بعده لخمسة أيام ولسبعين سنة . من عمره وخمس وثلاثين من ملكه .

وعهد بالملك لابنه أركلاوش وخرج كاتبه نيقالوس فجمع الناس وقرأ عليهم العهد وأراهم خاتم هيردوس عليه ، فبايعوا له وحمل أباه إلى قبره على سرير من الذهب

مرصع بالجوهر والياقوت وعليه ستور الديباج منسوجة بالذهب ، وأجلس مسنداً ظهره إلى الاراتك والناس أمامه من الاشراف والرؤساء ، ومن خلفه الخدم والغلمان ، وحواليه الجوارى بأنواع الطيب إلى أن اندرج في قبره .

وقام أركلاوش بملكه وتقرّب إلى الناس بإطلاق المسجونين ، فاستقام أمره وانطلقت الألسنة بدم هيردوس والطنع عليه . ثم انتقضوا على أركلاوش بملكه بما وقع منه من القتل فيهم ، فساروا إلى قيصر شاكين بذلك وعابوه عنده بأنه ولي من غير أمره ، وحضر أركلاوش وكتبه نيقالوس بخصمهم ودفع دعاويهم ، وأشار عظماء الروم بإبقائه فملكه قيصر وأعادته إلى القدس . وأساء السيرة في اليهود وتزوج امرأة أخيه الإسكندر وكان له أولاد منها فماتت لوقتها . ووصلت شكاية اليهود بذلك كله إلى قيصر فبعث قائدا من الروم إلى المقدس ، فقيّد أركلاوش وحمله إلى رومة لسبع سنين من دولته ، وولى على اليهود بالقدس أخاه أنطيفس ، وكان شراً منه واغتصب امرأة أخيه فيلقوس^(١) وله منها ولدان ، ونكر ذلك عليه علماء اليهود والكهنونية . وكان لذلك العهد يوحنا بن زكريا فقتله في جماعة منهم ، وهذا هو المعروف عند النصارى بالمعمدان الذي عمد عيسى أي طهره بماء المعمودية بزعمهم .

وفي دولة أنطيفس هذا مات أوغسطس قيصر ، فملك بعده طبريانوس وكان قبيح السيرة ، وبعث قائده بعبلاس بصنم من ذهب على صورته ليسجد له اليهود فامتنعوا ، فقتل منهم جماعة ، فأذنوا بحربه وقاتلوه وهزموه . وبعث طبريانوس العساكر مع قائده إلى القدس فقبض على أنطيفس وحمله مقيدا . ثم عزله طبريانوس إلى الأندلس فمات بها وملك بعده على اليهود أغرباس ابن أخيه أرسطبلوس المقتول ، وهلك في أيامه طبريانوس قيصر وملك نيروش^(٢) وكان أشراً من جميع من تقدّمه ، وأمر أن يُسمّى إلهو ، وبنى المذبح للقربان وقرب وأطاعته الناس إلا اليهود ، وبعثوا إليه في ذلك أفيلو الحكيم في جماعة فشتهم وحبسهم وسخط اليهود . ثم قبحت أحواله وساءت أفعاله وثارَت عليه دولته فقتلوه ، ورموا شلوه في الطريق فأكلته الكلاب . ثم ملك بعده قلدبيوش قيصر وأطلق أفيلو والذين معه إلى بيت المقدس ، وهدم المذابح التي كان نيروش بناها .

(١) وهو معروف باسم فيليس .

(٢) وفي نسخة ثانية نيرون .

وكان أغرباس حسن السيرة معظماً عند القياصرة وهلك لثلاث وعشرين سنة من دولته . وملك بعده ابنه أغرباس بأمر اليهود وملك عشرين سنة ، وكثرت الحروب والفتن في أيامه في بلاد اليهود والأرمن ، وظهرت الخوارج والمتغلبون ، وانقطعت السبل وكثر المهرج داخل المدينة في القدس . وكان الناس يقتل بعضهم بعضاً في الطرقات يحملون سكاكين صغار محدّين لها فإذا ازدحم مع صاحبه في الطريق طعنه فأهواه حتى صاروا يلبسون الدروع لذلك ، وخرج كثير من الناس عن المدينة فراراً من القتل . وهلك وُلْدُ اطربانوس قيصر ونيروش من بعده ، وملك على الروم فيلقوس قيصر فسعى بعض الشرار عنده بأن هؤلاء الذين خرجوا من القدس يذمّون على الروم ، فبعث إليهم من قتلهم وأسرههم .

واشتدّ البلاء على اليهود وطالت الفتن فيهم ، وكان الكهنة الكبار فيهم لذلك العهد عَنَانِي ، وكان له ابن اسمه العازار وكان ممن خرج من القدس وكان فاتكاً مصعلكاً ، وأنضم إليه جماعة من الأشرار ، وأقاموا يغيرون على بلاد اليهود والأرمن وينهبون ويقتلون ، وشكّتهم الأرمن إلى فيلقوس قيصر ، فبعث من قيده وحمله وأصحابه إلى رومة ، فلم يرجع إلى القدس إلا بعد حين .

واشتدّ قائد الروم بيت المقدس على اليهود وكثر ظلمه فيهم ، فأخرجوه عنهم بعد أن قتلوا جماعة من أصحابه ، ولحق بمصر فلقى هنالك أغرباس ملك اليهود راجعاً من رومية ومعه قائدان من الروم ، فشكى إليه فيلقوس بما وقع من اليهود ، ومضى إلى بيت المقدس فشكى إليه اليهود بما فعل فيلقوس وأنهم عازمون على الخلاف ، وتلطف لهم في الإمساك عن ذلك حتى تبلغ شكيتهم إلى قيصر ويعتذر منه ، فامتنع العازار بن عَنَانِي وأبى إلا المخالفة ، وأخرج القربان الذي كان بعثه معه نيروش قيصر من البيت ، ثم عمد إلى الروم الذين جاؤا مع أغرباس فقتلهم حيث وجدوا ، وقتل القائدين . ونكر ذلك أشياخ اليهود واجتمعوا لحرب العازرا وبعثوا إلى أغرباس ، وكان خارج القدس ، فبعث إليهم بثلاثة آلاف مقاتل ، فكانت الحرب بينهم وبين العازار سجالات ، ثم هزمهم وأخرجهم من المدينة ، وعاث في البلد وخرّب قصور الملك ونهبها وأموالها وذخايرها ، وبقي أغرباس والكهنة والعلماء والشيوخ خارج القدس . وبلغهم أنّ الأرمن قتلوا من وجدوه من اليهود بدمشق ونواحيها وبقيسارية ، فساروا إلى بلادهم وقتلوا من وجدوه بنواحي دمشق من الأرمن . ثم

سار أغرباس إلى قيرش قيصر وخبره الخبر فامتعض لذلك ، وبعث إلى كسنيثا وقائده على الأرمن ، وقد كان مضى إلى حرب الفرس فدوّخها وقهرهم ، وعاد إلى بلاد الأرمن فتزل دمشق فجاءه عهد قيصر بالمسير مع أغرباس ملك اليهود إلى القدس ، فجمع العساكر وسار وخرّب كل ما مرّ عليه . ولقيه العازار الثائر بالقدس فانهزم ورجع ، ونزل كسنيثا وقائد الروم فأتحن فيهم ، وارتحل كسنيثا إلى قيساريّة ، وخرج اليهود في اتباعهم فهزموهم ، ولحق كسنيثا وأغرباس بقيصر قيرش ، فوافقوا وصول قائده الأعظم اسبنانوس^(١) عن بلاد الغرب ، وقد فتح الأندلس ودوّخ أقطارها فعهد إليه قيرش قيصر بالمسير إلى بلاد اليهود وأمره أن يستأصلهم ويهدم حصونهم . فسار ومعه ابنه طيطوش وأغرباس ملك اليهود ، وانتهاوا إلى أنطاكيّة ، وتأهب اليهود لحربهم ، وانقسموا ثلاث فرق في ثلاث نواحي مع كل فرقة كهنون ، فكان عناني الكهنون الأعظم في دمشق ونواحيها ، وكان ابنه العازر كهنون بلاد أروم وما يليها إلى أيلة ، وكان يوسف بن كريّون كهنون طبريّة وجبل الخليل وما يتصل به ، وجعلوا فيما بقي من البلاد من الأغوار إلى حدود مصر من يحفظها من بقية الكهنوتيّة . وعمر كل منهم أسوار حصونه ورتب مقاتلته .

وسار اسبنانوس بالعساكر من أنطاكية فتوسط في بلاد الأرمن وأقام ، وخرج يوسف بن كريّون من طبرية فحاصر بغض الحصون بناحية الأغرباس ففتحه واستولى عليه ، وبعث أهل طبريّة من ورائه إلى الروم فاستأمنوا إليهم ، فزحف يوسف مبادراً وقتل من وجد فيها من الروم ، وقبل معذرة أهل طبرية . وبلغه مثل ذلك عن جبل الخليل فسار إليهم وفعل فيهم فعله في طبرية . فزحف إليه اسبنانوس من عكا في أربعين ألف مقاتل من الروم ومعه أغرباس ملك اليهود وسارت معهم الأمم من الأرمن وغيرهم ، إلا أروم فإنهم كانوا حلفاء لليهود منذ أيام هرقانوس . ونزل أسبنانوس بعساكره على يوسف بن كريّون ومن معه بطبريّة فدعاهم إلى الصلح ، فسألوا الإمهال إلى مشاورة الجماعة بالقدس ، ثم امتنعوا وقتلهم أسبنانوس بظاهر الحصن ، فاستلحمهم حتى قل عددهم ، وأغلقوا الحصن فقطع عنهم الماء خمسين ليلة ، ثم بيّتهم الروم فاقتحموا عليهم الحصن فاستلحموهم ، وأفلت يوسف بن كريّون ومن معه من الفل فامتنعوا ببطن الأعراب ، وأعطاهم أسبنانوس الأمان ، فقال إليه يوسف وأبى القوم إلا أن

(١) وفي نسخة أخرى : أسبانوس .

يقتلوا أنفسهم وهما يقتله ، فوافقهم على رأيهم إلى أن قتل بعضهم بعضا ولم يبق من
يخشاه ، فخرج إلى أسبنانوس مطارحاً عليه ، وحرّضه اليهود على قتله فأبى واعتقله
وخرب أعمال طبرية وقتل أهلها ورجع إلى قيسارية .

قال ابن كريون : وفي خلال ذلك حدثت الفتنة في القدس بين اليهود داخل
المدينة ، وذلك أنه كان في جبل الخليل بمدينة كوشالة يهودي اسمه يوحنا ، وكان
مرتكبا للفظائع واجتمع إليه أشراؤهم فقوي بهم على قطع السابلة والنهب والقتل ،
فلما استولى الروم على كوشالة لحق بالقدس وتآلف عليه أشراؤ اليهود من فل البلاد التي
أخذها الروم ، فتحكم على أهل المقدس وأخذ الأموال وزاحم عتاني الكهنون
الأعظم ، ثم عزله واستبدل به رجلا من غواتهم وحمل الشيوخ على طاعته ، فامتنعوا
فتغلب عليهم فقتلهم . فاجتمع اليهود إلى عتاني الكهنون وحاربهم يوحنا وتحصنوا في
القدس ، وراسله عتاني في الصلح فأبى ، وبعث إلى أروم يشتجيشهم فبعثوا إليه
بعشرين ألفا منهم ، فأغلق عتاني أبواب المدينة دونهم ، وحاط بهم من الأسوار ، ثم
استغفلوه وكبسوا المدينة ، واجتمع معهم يوحنا فقتلوا من وجوه اليهود نحو من
خمسة آلاف وصادروا أهل النعم على أموالهم ، وبعثوا يوحنا إلى المدن الذين
استأمنوا إلى الروم فغنم أموالهم وقتل من وجد منهم . وبعث أهل القدس في استدعاء
أسبنانوس وعساكره فرحف من قيسارية حتى إذا توسط الطريق خرج يوحنا من
القدس وامتنع ببعض الشباب ، فقال إليه أسبنانوس بالعسكر وظفر بالكثير منهم
فقتلوه . ثم سار إلى بلاد أروم ففتحها ، وبسبطينية بلاد السامرة ففتحها أيضا ،
وعمر جميع ما فتح من البلاد ، ورجع إلى قيسارية ليزيح عله ويسير إلى القدس .
ورجع يوحنا أثناء ذلك من الشباب ، فغلب على المدينة ، وعاث فيهم بالقتل ،
وتحكم في أموالهم ، وأفسد حريمهم .

قال ابن كريون : وقد كان ثار بالمدينة في مغيب يوحنا ثائرا آخر اسمه شمعون ،
 واجتمع إليه اللصوص والشرار حتى كثر جمعه وبلغوا نحو من عشرين ألفا ، وبعث
إليه أهل أروم عسكرا فهزمهم واستولى على الضياع ونهب الغلال ، وبعث إلى امرأته
من المدينة فردّها يوحنا من طريقها وقطع من وجد معها ، ثم أسعفوه بأمرأته وسار
إلى أروم فحاربهم وهزمهم ، وعاد إلى القدس فحاصرها وعظم الضرر على أهلها
شمعون خارج المدينة ويوحنا داخلها ، ولجؤا إلى الهيكل وحاربوا يوحنا فغدا

وقتل منهم خلقا ، فاستدعوا شمعون لينصرهم من يوحنا فدخل ونقض العهد وفعل
أشْر من يوحنا .

قال ابن كريون : ثم ورد الخبر إلى أسبنانوس وهو بمكانه من قيسارية بموت قيروش
قيصر وأن الروم ملكوا عليهم مضعفاً اسمه نطاوس فغضب البطارقة الذين مع
أسبنانوس وملكوه ، وسار إلى رومة وخلف نصف العسكر مع ابنه طيطش ، وقدم بين
يديه قائدين إلى رومة لمحاربة نطاوس الذي ملكه الروم فهزم وقتل ، وسار أسبنانوس
إلى اسكندرية وركب البحر منها ، ورجع طيطش إلى قيسارية إلى أن ينسلخ فصل
الشتاء ويزيح العلل .

وعظمت الفتن والحروب بين اليهود داخل القدس وكثر القتل حتى سالت الدماء في
الطرق ، وقتل الكهنة على المذبح وهم لا يقربون الصلاة في المسجد لكثرة
الدماء ، وتعذر المشي في الطرق من سقوط حجارة الرمي ومواقد النيران بالليل ،
وكان يوحنا أخبر القوم وأشْرهم .

ولما انسلخ الشتاء زحف طيطش في عساكر الروم إلى أن نزل على القدس وركب إلى
باب البلد يتخير المكان لمعسكره ويدعوهم إلى السلم ، فصموا عنه وأكمنوا له بعض
الخوارج في الطريق فقاتلوه ، وخلص منهم بشدته ، فعبى عسكره من الغد ونزل
بجبل الزيتون شرقي المدينة ورتب العساكر والآلات للحصار . واتفق اليهود داخل
المدينة ورفعوا الحرب بينهم ، وبرزوا إلى الروم فانهزموا ، ثم عاودوا فظهروا ، ثم
انتقضوا بينهم وتحاربوا ودخل يوحنا إلى القدس يوم الفطر فقتل جماعة من الكهنة
وقتل جماعة أخرى خارج المسجد . وزحف طيطش وبرزوا إليه فردوه إلى قرب
معسكره ، وبعث إليهم قائده نيقانور في الصلح فأصابه سهم فقتله ، فغضب
طيطش وصنع كبشا وأبراجا من الحديد توازي السور وشحنها بالمقاتلة ، فأحرق اليهود
تلك الآلات ودفنوها وعادوا إلى الحرب بينهم .

وكان يوحنا قد ملك القدس ومعه ستة آلاف أويديون من المقاتلة ، ومع شمعون
عشرة آلاف من اليهود وخمسة آلاف من أروم ، وبقية اليهود بالمدينة مع العازر
وأعطى طيطش الزحف بالآلات وثلم السور الأول وملكه إلى الثاني ، فاصطالح اليهود
بينهم وتذاَمروا^(١) واشتد الحرب ، وباشرها طيطش بنفسه ثم زحف بالآلات إلى

(١) تذاَمروا : بمعنى تلاوموا ربما عنى المؤرخ تذاَمروا بمعنى تحاضوا على القتال .

السور الثاني فثلمه ، وتذامر اليهود فنعوهم عنه ومكثوا كذلك أربعة أيام .
وجاء المدد من الجهات إلى طيطش ولاذ اليهود بالأسوار وأغلقوا الأبواب ، ورفع
طيطش الحرب ودعاهم إلى المسالمة ، فامتنعوا . فجاء بنفسه في اليوم الخامس
وخاطبهم ودعاهم وجاء معه يوسف بن كريون فوعظهم ورغبهم في أمنة الروم
ووعدهم ، وأطلق طيطش أسراهم فجنح الكثير من اليهود إلى المسالمة ، ومنعهم
هؤلاء لرؤسا الخوارج ، وقتلوا من يروم الخروج إلى الروم ، ولم يبق من المدينة ما
يعصمهم إلا السور الثالث .

وطال الحصار واشتد الجوع عليهم والقتل ، ومن وجد خارج المدينة لرعي العشب
قتله الروم وصلبوه ، حتى رحمهم طيطش ورفع القتل عمن يخرج في ابتغاء
العشب . ثم زحف طيطش إلى السور الثالث من أربع جهاته ونصب الآلات ، وصبر
اليهود على الحرب وتذامر اليهود وصعب الحرب وبلغ الجوع في الشدة غايته ، واستأمن
ميتاي الكوهن إلى الروم وهو الذي خرج في استدعاء شمعون ، فقتله شمعون وقتل بنيه
وقتل جماعة من الكهنونية والعلماء والأئمة ممن حذر منه أن يستأمن . ونكر ذلك العازر
بن عناني ولم يقدر على أكثر من الخروج من بيت المقدس . وعظمت المجاعة فمات
أكثر اليهود ، وأكلوا الجلود والخشاش^(١) والميتة ، ثم أكل بعضهم بعضا ، وعثر على
امرأة تأكل ابنها ، فأصاب رؤساؤهم لذلك رحمة ، وأذنوا في الناس بالخروج ،
فخرجت منهم أمم وهلك أكثرهم حين أكلوا الطعام . وابتلع بعضهم في خروجه ما
كان له من ذهب أو جوهر ضنة به ، وشعر بهم الروم فكانوا يقتلونهم ويشقون عنها
بطونهم ، وشاع ذلك في توابع العسكر من العرب والأرمن فطردهم طيطش .

وطمع الروم في فتح المدينة وزحفوا إلى سورها الثالث بالآلات ولم يكن لليهود طاقة
بدفعها وإحراقها فثلموا السور ، وبني اليهود خلف الثلثة فأصبحت منسدة ، وصدمها
الروم بالكبش فسقطت من الحدة ، واستماتوا في تلك الحال إلى الليل . ثم بيت الروم
المدينة وملكوا الأسوار عليهم وقاتلوهم من الغد فانهزموا إلى المسجد ، وقاتلوا في
الحصن ، وهدم طيطش البناء ما بين الأسوار إلى المسجد ليتسع المجال . ووقف ابن
كريون يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا ، وخرج جماعة من الكهنونية فأمهم ومنع

(١) حشرات الارض — حية الجبل (قاموس)

الرؤساء بقيتهم ، ثم باكرهم طيطش بالقتال من الغد فانهمزوا الأقداس (٢) وملك الروم المسجد وصحنه .

واتصلت الحرب أياما وهدمت الأسوار كلها وثلم سور الهيكل ، وأحاطت العساكر بالمدينة حتى مات أكثرهم وفر كثير . ثم اقتحم عليهم الحصن فملكه ونصب الأصنام في الهيكل ومنع من تخريبه . ونكر رؤساء الروم ذلك ودرسوا من اضرم النار في أبوابه وسقفه ، وألقى الكهنونة أنفسهم جزعا على دينهم وحزنوا ، واختفى شمعون ويوحنا في جبل صهيون ، وبعث إليهم طيطش بالأمان فامتنعوا وطرقوا القدس في بعض الليالي ، فقتلوا قائدا من قواد العسكر ورجعوا إلى مكان اختفائهم . ثم هرب عنهم أتباعهم وجاء يوحنا ملقيا بيده إلى طيطش فقيده ، وخرج إليه يوشع الكوهن بآلات من الذهب الخالص من آلات المسجد فيها منارتان ومائدتان ، ثم قبض على فتحاس خازن الهيكل ، فأطلعه على خزائن كثيرة مملوءة دنانير ودراهم وطينا فامتلات يده منها ، ورحل عن بيت المقدس بالغنائم والأموال والأسرى ، وأحصى الموتى في هذه الواقعة . قال ابن كريتون : فكان عدد الموتى الذين خرجوا على الباب للدفن بأخبار مناحيم الموكل به مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا وثمانمائة . وقال غير مناحيم كانت عدتهم ستمائة ألف دون من ألقى في الآبار ، أو طرح إلى خارج الحصن وقتل في الطرقات ولم يدفن . وقال غيره كان الذي أحصى من الموتى والقتلى ألف ألف ومائة ألف والسبي والأسارى مائة ألف ، كان طيطش في كل منزلة يلقي منهم إلى السباع إلى أن فرغوا . وكان فيمن هلك شمعون أحد الخوارج الثلاثة .

وأما الفرار بن عفان فقد كان خرج من القدس عندما قتل شمعون أمثاي الكوهن كما ذكرنا ، فلما رحل طيطش عن القدس نزل في بعض القرى وحصنها واجتمع إليه فل اليهود ، واتصل الخبر بطيطش وهو في انطاكية ، فبعث إليه عسكرا من الروم مع قائده سلباس فحاصروهم أياما ، ثم نهض الكهنونة وأولادهم وخرجوا إلى الروم مستميتين ، فقاتلوا إلى أن قتلوا عن آخرهم . وأما يوسف بن كريتون فافتقد أهله وولده في هذه الوقائع ولم يقف لهم بعدها على خبر وأراد طيطش على السكنى عنده برومة ، فتضرع إليه في البقاء بأرض القدس ، فأجابه إلى ذلك وتركه . وانقرضت دولة اليهود أجمع ، والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى لا انقضاء للملكه ..

(٢) الأصح ان يقول : فانهمزوا الأقداس .

اغرباس بن اغرباس — بن ارستولوس — بن هيردوس بن انظفتر المستولى على هرقانوس آخر ملوك بني حشمتاي

هيردوس —

— سيمبولوس

انظفتر —

— امريكلوش

انطيفس —

— بن الاسكندر — بن الاسكندر

ارستبلوس بن الاسكندر — انطقنوس —
 هرقانوس — ارستبلوس بن الاسكندر —
 ارستبلوس — (يوحنا) —
 يوناثال —
 مينييا بن يوحنا — الكهنة —
 شمعون —
 الكهنة — من بني جشماني

الخبر عن شأن عيسى بن مريم صلوات الله عليه في ولادته
وبعثته ورفعته من الارض والالمام بشأن الحواريين بعده وكتبهم
الاناجيل الاربعة وديانة النصارى بملته واجتماع الاقسة على
تدوين شريعته

كان بنو ماثان من وُلد داود صلوات الله عليه كهنونية بيت المقدس ، وهو ماثان بن
أعازر بن أليهود بن أخس بن رادوق بن عازور بن ألياقم بن أيود بن زرو قابل بن
سالات بن يوخانيا بن يوشيا السادس عشر من ملوك بني اسرائيل بن أمون بن عمون
ابن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يواش بن أحزيا بن يورام بن يهوشافاط بن آسا بن
رحبعم بن سليمان ابن داود صلوات الله عليهما . ويوخانيا بن يوشيا السادس عشر من
ملوك بني سليمان ولد في جلاء بابل وهذا النسب نقلته من انجيل متى ^(١) . وكانت
الكهنونية العظمى من بعد بني حشمناي لهم ، وكان كبيرهم قبل عصر هيردوس
عمران أبو مريم ، ونسبه ابن إسحق إلى أمون بن منشا الخامس عشر من ملوك بيت
المقدس من لدن سليمان أبيهم ، وقال فيه عمران بن ياشم بن أمون . وهذا بعيد لأن
الزمان بين عمون وعمران أبعد من أن يكون بينهما أب واحد ، فإن أمون كان قبيل
الخراب الأول وعمران كان في دولة هيردوس قبيل الخراب الثاني ، وبينهما قريب
من أربعائة سنة . ونقل ابن عساكر ، والظن أنه ينقل عن مستند ، أنه من ولد
زريافيل الذي ولي على بني اسرائيل عند رجوعهم إلى بيت المقدس ، وهو ابن يخنيا
آخر ملوكهم الذي حبسه بختنصر وولّى عمه صدقيا هو بعده كما مرّ . وقال فيه :
عمران بن ماثان بن فلان بن فلان إلى زريافيل ، وعدّ نحواً من ثمانية أباء بأسماء

(١) بعد مقارنة الاسماء في انجيل متى ظهر تبان في بعض الاسماء وهذه هي الاسماء : ابراهيم ولد اسحاق
واسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا واخوته ويهوذا ولد قارص وزارح من تamar وقارص ولد حصرون
وحصرون ولد آرام وأرام ولد عميناب وعميناب ولد نحشون ونحشون ولد سلمون وسلمون ولد بوغز من
ارحاب وبوغز ولد عوبير من راعوت وعوبير ولد يسي ويسى ولد داود الملك ، وداود الملك ولد سليمان
من التي كانت لأوبا ، وسليمان ولد رحبعام ورحبعام ولد أبيا وأبيا ولد آسا وآسا ولد يوشافاط ويوشافاط
ولد يورام ويورام ولد عزيا وعزيا ولد يوثام ويوثام ولد آحاز وآحاز ولد حزقيا وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد
أمون وأمون ولد يوشيا ويوشيا ولد يكنيا واخوته في جلاء بابل .

عبرانية لا وثوق بضبطها ، وهو أقرب من الأول وفيه ذكر ماثان الذي هو شهرتهم ، ولم يذكره ابن إسحق .

وكان عمران أبو مريم كهنوناً في عصره ، وكانت تحتة حنة بنت فاقود بن فيل وكانت من العابدات ، وكانت أختها إيشاع ويقال خالتها تحت زكريّا بن يوحنا ، ونسبه ابن عساكر الى يهوشافاظ خامس ملوك القدس من عهد سليمان أبيهم وعد ما بينه وبين يهوشافاظ إثني عشر أباً أولهم يوحنا بأسماء عبرانية ، كما فعل في نسب عمران ، ثم قال وهو أبو يحيى صلوات الله عليهما ، ويقال بالمد والقصر من غير ألف ، وكان نبياً من بني اسرائيل صلوات الله عليهم اهـ . ونقلت من كتاب يعقوب بن يوسف النجّار ماثان يعني ماثان من سبط داود ، وكان له ولدان يعقوب ويؤاقيم ، ومات فتزوّج أمهما بعده مطنان ، ومطنان بن لاوي من سبط سليمان بن داود وسمي ماثان فولدت هالي من مطنان . ثم تزوّج ومات ولم يعقب فتزوّج امرأته أخوه لأمه يعقوب بن ماثان فولدت منه يوسف خطيب مريم ونسب إلى هالي ، لأنّ من أحكام التوراة إنّ مات من غير عقب فامرأته لآخيه وأول ولد منها ينسب إلى الأول ، فلهذا قيل فيه يوسف بن هالي بن مطنان ، وإنّا هو يوسف بن يعقوب بن ماثان وهو ابن عمّ مريم لحا^(١) .

وكان ليوسف من البنين خمسة بنين وبنت وهم يعقوب ويوشا وبيلول وشمعون ويهوذا وأختهم مريم ، كانوا يسكنون بيت لحم . فارتحل بأهله ونزل ناصرة وسكن بها وتعلم النجارة حتى صار يلقّب بالنجار . وتزوّج يؤاقيم حنة أخت إيشاع العاقر امرأة زكريّا بن يوحنا المعمدان ، وأقامت ثلاثين سنة لا يولد لها ، فدعوا الله وولد لها مريم فهي بنت يؤاقيم موثان وهو ماثان . وولدت إيشاع العاقر من زكريا ابنه يحيى . قلت في التنزيل مريم ابنة عمران فليعلم أنّ معنى عمران بالعبرانية يؤاقيم وكان له إسمان اهـ . وعن الطبري وكانت حنة أم مريم لا تحبل ، فنذرت لله إنّ حملت لتجعلن ولدها حبساً ببيت المقدس على خدمته على عاداتهم في نذر مثله ، فلما حملت ووضعتها لفتها في خرقتها وجاءت بها إلى المسجد فدفعها إلى عباده وهي ابنة إمامهم وكهونهم ، فتنازعوا في كفالتها ، وأراد زكريّا أن يستبدّها لأنّ زوجه إيشاع خالتها ، ونازعه في ذلك لمكان أبيها من إمامهم ، فاقترعوا فخرجت قرعة زكريّا عليها فكفلها ووضعتها في

(١) لحا : بفتح اللام وشد الحاء المهملة قاله نصر .

مكان شريف من المسجد لا يدخله سواها وهو المحراب فيما قيل . والظاهر أنها دفعتها إليهم بعد مدة إرضاعها .

فأقامت في المسجد تعبد الله وتقوم بسدانة البيت في نوبتها حتى كان يضرب بها المثل في عبادتها ، وظهرت عليها الأحوال الشريفة والكرامات كما قصّه القرآن . وكانت خالتها إيشاع زوج زكريا أيضا عاقراً ، وطلب زكريّا من الله ولداً ، فبشره بيحيى نبياً كما طلب ، لأنه قال يرثني ويرث من آل يعقوب وهم أنبياء فكان كذلك . وكان حاله في نشوه وصباه عجباً وولد في دولة هيردوس ملك بني اسرائيل ، وكان يسكن القفار ويقتات الجراد ويلبس الصوف من وبر الابل ، وولاه اليهود الكهنوتية بيت المقدس ، ثم أكرمه الله بالنبوة كما قصه القرآن . وكان لعهدده على اليهود بالقدس أنطيفس بن هيردوس وكان يسمى هيردوس^(٢) باسم أبيه ، وكان شريراً فاسقاً واغتصب امرأة أخيه وتزوَّجها ولها ولدان منه ، ولم يكن ذلك في شرعهم مباحاً ، فنكر ذلك عليه العلماء والكهنوتية وفيهم يحيى بن زكريا ، المعروف بيوحنا ويعرفه النصارى بالمعمدان ، فقتل جميع من نكر عليه ذلك وقتل فيهم يحيى صلوات الله عليه . وقد ذكر في قتله أسباب كثيرة وهذا أقربها إلى الصحة .

وقد اختلف الناس هل كان أبوه حياً عند قتله فقول إنه لما قتل يحيى طلبه بنو اسرائيل ليقتلوه ، ففرّ أمامهم ودخل في بطن شجرة كرامة له فدهم عليه طرف رذائه خارجاً منها ، فشقوقها بالمنشار وشق زكريا فيها نصفين . وقيل بل مات زكريا قبل هذا والمشقوق في الشجرة إنما هو شعيا النبي وقد مرّ ذكره . وكذلك اختلف في دفنه فقول دفن ببيت المقدس وهو الصحيح . وقال ابو عبيد بسنده إلى سعيد بن المسيب أن بختنصر لما قدم دمشق وجد دم يحيى بن زكريّا يغلي ، فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن دمه . ويشكل أن يحيى كان مع المسيح في عصر واحد باتفاق وأن ذلك كان بعد بختنصر بأحقاب متطاولة وفي هذا ما فيه . وفي الإسرائيليات من تأليف يعقوب بن يوسف النجّار أن هيردوس قتل زكريا عندما جاء الجوس للبحث عن إيشوع والانداز به ، وأنه طلب ابنه يوحنا ليقتله مع من قتل من صبيان بيت لحم ، فهربت به أمّه إلى الشقراء واختفت . فطالب به أباه زكريّا وهو كهنون في الهيكل ، فقال لا

(٢) وفي الانجيل : هيردوس .

علم لي هو مع أمّه فهدّده وقتله . ثم قال بعد قتل زكريا بسنة تولى الكهنونية يعقوب بن يوسف إلى أن مات هيرودوس .

وأما مريم سلام الله عليها فكانت بالمسجد على حالها من العبادة إلى أن أكرمها الله بالولاية وبين الناس في نبوتها خلاف من أجل خطاب الملائكة لها . وعند أهل السنة أنّ النبوة مختصة بالرجل ، قاله أبو الحسن الأشعري وغيره وأدلة الفريقين في أمّاكنها . وبشرت الملائكة مريم باصطفاء الله لها ، وأنها تلد ولدًا من غير أب يكون نبيًا ، فعجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة أنّ الله قادر على ما يشاء ، فاستكانت وعلمت أنّها محنة بما تلقاه من كلام الناس فاحتسبت .

وفي كتاب يعقوب بن يوسف النجّار أنّ أمّها حنة توفيت لثمان سنين من عمر مريم ، وكان من سنتهم أنّها إن لم تقبل التزويج يفرض لها من أرزاق الهيكل ، فأوحى الله إليه أن يجمع أولاد هارون ويردّها إليهم ، فن ظهرت في عصاه آية تدفعها إليه تكون له شبه زوجة ولا يقربها ، وحضر الجمع يوسف النجار فخرج من عصاه حمامة بيضاء ووقفت على رأسه ، فقال له زكريّا هذه عزراء الرب تكون لك شبه زوجة ولا تردّها . فاحتملها متكرّها بنت إثنتي عشرة سنة إلى ناصرة فأقامت معه ، إلى أن خرجت يوماً تستسقي من العين فعرض لها الملك ^(١) أولاً وكلمها ثم عاودها وبشرها بولادة عيسى كما نصّ القرآن . فحملت وذهبت إلى زكريا بيت المقدس فوجدته على الموت وهو يحد بنفسه ، فرجعت إلى ناصرة ، ورأى يوسف الحمل فلطم وجهه وخشي الفضيحة مع الكهنونية فيما شرطوا عليه ، فأخبرته بقول الملك ، فلم يصدّق وعرض له الملك في نومه وأخبره أنّ الذي بها من روح القدس ، فاستيقظ وجاء إلى مريم فمسجد لها وردّها إلى بيتها . ويقال إنّ زكريا حضر لذلك وأقام فيهما سنة اللعان الذي أوصى به موسى ، فلم يصبها شيء وبرّأهما الله . ووقع في إنجيل متى أنّ يوسف خطب مريم ووجدها حاملاً قبل أن يجتمعا ، فعزم على فراقها خوفاً من الفضيحة ، فأمر في نومه أن يقبلها وأخبره الملك بأن المولود من روح القدس ، وكان يوسف صديقاً وولد على فراشه إيشوع انتهى .

وقال الطبري : كانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها ، وفي رواية عنه أنه ابن خالها ، وكانوا سدة في بيت المقدس لا يخرجان منه إلّا لحاجة الإنسان ، وإذا نفذ

(١) وفي نسخة أخرى : الملك .

ماؤهما فيملآن من أقرب المياه . فضت مريم يوماً وتحلف عنها يوسف ، ودخلت المغارة التي كانت تعهد أنها للورد ، فتمثل لها جبريل بشراً ، فذهبت لتجزع ، فقال لها «إنّا أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً» فاستسقاها . وعن وهب بن منبه أنه نفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى الرحم ، فاشتملت على عيسى ، فكان معها ذو قرابة يسمى يوسف النجار ، وكان في مسجد يجبل صهيون ، وكان لخدمته عندهم فضلٌ ، وكانا يجمرانه ويقمانه . وكانا صالحين مجتهدين في العبادة ، ولما رأى ما بها من الحمل استعظمه وعجب منه لما يعلم من صلاحها وأنها لم تغب قط عنه ، ثم سألها فردّت الأمر إلى قدرة الله ، فسكت وقام بما ينوبها من الخدمة . فلما بان حملها أفضت بذلك إلى خالتها إيشاع ، وكانت أيضاً حبلى بيحيى ، فقالت لها اني أرى ما في بطنى يسجد لما في بطنك . ثم أمرت بالخروج من بلدها خشية أن يعيرها قومها ويقتلوا ما في بطنها ، فاحتملها يوسف إلى مصر وأخذها المخاض في طريقها ، فوضعت كما قصّه القرآن ، واحتملته على الحمار ، وأقامت تكتم أمرها من الناس وتحفظ به ، حتى بلغ إثنتي عشرة سنة وظهرت عليه الكرامات ، وشاع خبره ، فأمرت أن ترجع به إلى إيلياء فرجعت . وتابعت عنه المعجزات وانثال الناس عليه يستشفون ويسألون عن الغيوب .

قال الطبري : وفي خبر السدي أنها إنما خرجت من المسجد لحيض أصابها ، فكان نفخ الملك ، وأن إيشاع خالتها التي سألتها عن الحمل وناظرتها فيه فحجتها بالقدرة ، وأن الوضع كان في شرقي بيت لحم قريبا من بيت المقدس وهو الذي بنى عليه بعض ملوك الروم البناء الهائل لهذا العهد .

قال ابن العميد مؤرخ النصارى : ولد لثلاثة أشهر من ولادة يحيى بن زكريا ، ولاحدى ثلاثين من دولة هيردوس الأكبر ، ولإثنتين وأربعين من ملك أوغسطس قيصر .

وفي الإنجيل أن يوسف تزوّجها ومضى بها ليكتم أمرها في بيت لحم ، فوضعت هنالك ووضعت في مذود لأنها لم يكن لها موضع نزل . وأن جماعة من الجوس بعثهم ملك الفرس يسألون أين ولد الملك العظيم ؟ وجاءوا إلى هيردوس يسألونه وقالوا جئنا لنسجد له ، وحدّثوه بما أخبر الكهان وعلماء النجوم من شأن ظهوره ، وأنه يولد ببيت لحم من ابن ستين فما دونها . وسمع أوغسطس قيصر بخبر الجوس فكتب إلى هيردوس يسأله ،

فكتب له بمصدوقية خبره وأنه قتل فيمن قتل من الصبيان . وكان يوسف النجار قد أمر أن يخرج به الى مصر ، فأقام هنالك إثنتي عشرة سنة ، وظهرت عليه الكرامات ، وهلك هيرودوس الذي كان يطلبه وأمروا بالرجوع إلى إيليا ، فرجعوا . وظهر صدق شعيا النبي في قوله عنه من مصر دعوتك . وفي كتاب يعقوب بن يوسف النجار حذراً من أن يكتب كما أمر أوغسطس في بعض أيامه فاجأها المخاض وهي في طريقها على حمار ، فصابرتها إلى قرية بيت لحم وولدت في غار وسماه إيشوع ، وأنه لما بلغ سنتين ، وكان من أمر الجحوس ما قدّمناه ، حذر هيرودوس من شأنه وأمر أن يقتل الصبيان بيت لحم ، فخرج يوسف به وبأمه إلى مصر ، أمر بذلك في نومه ، وأقام بمصر سنتين حتى مات هيرودوس ، ثم أمر بالرجوع فرجع إلى ناصرة ، وظهرت عليه الخوارق من احياء الموتى وبراء المعتهين وخلق الطير وغير ذلك من خوارقه ، حتى إذا بلغ ثماني سنين كفّ عن ذلك .

ثم جاء يوحنا^(١) المعمدان من البرية ، وهو يحيى بن زكريا ، ونادى بالتوبة والدعاء إلى الدين ، وقد كان شعيا أخبر أنه يخرج أيام المسيح ، وجاء المسيح من الناصرة ولقبه بالأردن فعمده يوحنا وهو ابن ثلاثين سنة ، ثم خرج إلى البرية واجتهد في العبادة والصلاة والرهبانية واختار تلامذته الإثني عشر : سمعان بطرس وأخوه أندراوس ويعقوب بن زبدي وأخوه يوحنا وفيليس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشائر ويعقوب بن حلفا وتداوس وسمعان القناني^(٢) ويهوذا الأسخريوطي . وشرع في إظهار المعجزات . ثم قبض هيرودوس الصغير على يوحنا وهو يحيى بن زكريا لنكيره عليه في زوجة أخيه ، فقتله ودفن بنابلس .

ثم شرّع المسيح الشرائع من الصلاة والصوم وسائر القربات ، وحلّل وحرّم وأنزل عليه الانجيل ، وظهرت على يديه الخوارق والعجائب ، وشاع ذكره في النواحي ، واتبعه الكثير من بني إسرائيل ، وخافه رؤساء اليهود على دينهم ، وتآمروا في قتله . وجمع عيسى الحواريين فباتوا عنده ليلتين يطعمهم ويبالغ في خدمتهم بما استعظموه ، قال وإنما فعلته لتتأسوا به ، وقال يعظهم ليكفرن بي بعضكم قبل أن يصيح الديك ثلاثاً ويبيعني أحدكم بثمان بخس وتأكلوا ثمني ، ثم افترقوا . وكان اليهود قد بعثوا العيون

(١) وفي الانجيل يوحنا .

(٢) وفي انجيل متى : سمعان الغيور او سمعان القناني او القانوني .

عليهم ، فأخذوا شمعون من الحواريين فتبرأ منهم وتركوه ، وجاء يهوذا الأسخريوطي وبايعهم على الدلالة عليه بثلاثين درهماً ، وأراهم مكانه الذي كان يبيت فيه ، وأصبحوا به إلى فلاطش النبطي ^(١) قائد قيصر على اليهود . وحضر جماعة الكهتونية وقالوا هذا يفسد ديننا ويحل نواميسنا ويدعي الملك فاقتله . وتوقف فصاحوا به وتوعده بإبلاغ الأمر إلى قيصر فأمر بقتله .

وكان عيسى قد أبلغ الحواريين بأنه يشبه على اليهود في شأنه فقتل ذلك الشبه وصلب ، وأقام سبعا . وجاءت أمه تبكي عند الخشبة فجاءها عيسى وقال : مالك تبكي ؟ قالت : عليك . قال : إن الله رفعني ولم يصبني إلا خير وهذا شيء شبه لهم ، وقولي للحواريين يلقوني بمكان كذا . فانطلقوا إليه وأمرهم بتبليغ رسالته في النواحي ، كما عين لهم من قبل . وعند علماء النصارى أن الذي بعث من الحواريين إلى رومة بطرس ومعه بولس من الأتباع ولم يكن حوارياً ، وإلى أرض السودان والحبشة ويعبرون عن هذه الناحية بالأرض التي تأكل أهلها والناس متى العشار ، وأندراوس إلى أرض بابل ، والمشرق توماس ، وإلى أرض أفريقية فيلبس ، وإلى أفسوس قرية أصحاب الكهف يوحنا ، وإلى أورشليم وهي بيت المقدس يوحنا ، وإلى أرض العرب والحجاز برتلوماوس ، وإلى أرض برقة والبربر شمعون القناني .

قال ابن إسحق : ثم وثب اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويفتنونهم ، وسمع قيصر بذلك وكتب إليه فلاطش النبطي قائده بأخباره ومعجزاته وبغي اليهود عليه وعلى يوحنا قبله ، فأمرهم بالكف عن ذلك . ويقال قتل بعضهم . وانطلق الحواريون إلى الجهات التي بعثهم إليها عيسى فأمن به بعض وكذب بعض . ودخل يعقوب أخو يوحنا إلى رومة فقتله غالوس قيصر وحبس شمعون ، ثم خلص وسار إلى أنطاكية ثم رجع إلى رومة أيام قلوديش قيصر بعد غالوس ، واتبعه كثير من الناس وآمن به بعض نساء القياصرة وأخبرها بخبر الصليب ، فدخلت إلى القدس وأخرجته من تحت الزبل والقمامات بمكان الصلب وغشته بالحرير والذهب وجاءت به إلى رومة .

وأما بطرس كبير الحواريين وبولص اللذان بعثهما عيسى صلوات الله عليه إلى رومة فانهما مكثا هنالك يقيمان دين النصرانية ، ثم كتب بطرس الإنجيل بالرومية ونسبه إلى مرقس تلميذه ، وكتب متى الإنجيل بالعبرانية في بيت المقدس ونقله من بعد ذلك

(١) وفي الإنجيل يلاطس النبطي .

يوحنا بن زبدي إلى رومة ، وكتب لوقا انجيله بالرومية وبعثه الى بعض أكابر الروم ، وكتب يوحنا بن زبدي انجيله برومة . ثم اجتمع الرسل الحواريون برومة ووضعوا القوانين الشرعية لدينهم وصيروها بيد إقليمنطس تلميذ بطرس ، وكتبوا فيها عدّة الكتب التي يجب قبولها ، فن القديمة : التوراة خمسة أسفار ، وكتاب يوشع بن نون ، وكتاب القضاة ، وكتاب راعوث ، وكتاب يهوذا ، وأسفار الملوك أربعة كتب ، وسفر بنيامين ، وسفر المقباسين^(١) ثلاثة كتب ، وكتاب عزرا الامام ، وكتاب أشير ، وكتاب قصة هامان ، وكتاب أيوب الصديق ، ومزامير داود النبي ، وكتب ولده سليمان خمسة ، ونبؤات الأنبياء الصغار والكبار ستة عشر كتاباً ، وكتاب يشوع بن شارخ^(٢) . ومن الحديث : كتب الانجيل الأربعة ، وكتب القتاليقون سبع رسائل ، وكتاب بولس أربع عشرة رسالة ، والإيركسيس وهو قصص الرسل ويسمى أفليمد ثمانية كتب تشتمل على كلام الرسل وما أمروا به ونهوا عنه .

وكتاب النصراني الكبار إلى أساقفتهم الذين يسمون البطارقة ببلاد معينة يعلمون بها دين النصرانية فكان : برومة بطرس الرسول الذي بعثه عيسى صلوات الله عليه ، وكان بيت المقدس يعقوب النجار ، وكان بالاسكندرية مرقس تلميذ بطرس ، وكان بيزنطية وهي قسطنطينية أندرواس^(٣) الشيخ ، وكان بانطاكية^(٤) .

وكان صاحب هذا الدين عندهم والمقيم لمراسمه يسمونه البطرک وهو رئيس الملة وخليفة المسيح فيهم ، ويبعث نوابه وخلفاءه إلى من بعد عنهم من أمم النصرانية ويسمونه الأسقف أي نائب البطرک ، ويسمّون القرا بالقسيس ، وصاحب الصلاة بالجالثليق ، وقومة المسجد بالشمامسة ، والمنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب ، والقاضي بالمطران . ولم يكن بمصر لذلك العهد أسقف إلى أن جاء دهندس الحادي عشر من أساقفة اسكندرية وكان بطرک أساقفة بمصر . وكان الاساقفة يسمون البطرک أبا ، والقسوس يسمون الأساقفة أبا ، فوقع الاشتراك في اسم الاب ، فاخترع اسم

(١) وهو سفر المكتابين وهو كتابان : الاول والثاني ، كما في التوراة .

(٢) وفي التوراة : يشوع بن سيراخ .

(٣) وفي الانجيل اندراوس .

(٤) بياض بالاصل وفي الانجيل : وكان في الكنيسة التي بانطاكية انبياء ومعلمون منهم برنابا وسمعان الملقب بالاسود ولوقوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيردوس رئيس الربع وشارل (اعمال الرسل الفصل

البابا لبطرك الاسكندرية لىتميز عن الأسقف فى اصطلاح القسوس ، ومعناه أبو الالباء فاشتهر هذا الاسم . ثم انتقل الى بطرك رومة لأنه صاحب كرسي بطرس كبير الحوارين ورسول المسيح ، وأقام على ذلك لهذا العهد يسمى البابا .

ثم جاء بعد قلوديش قيصر نيرون قيصر فقتل بطرس كبير الحوارين وبولص اللذين بعثها عيسى صلوات الله عليه الى رومة ، وجعل مكان بطرس أرنوس برومة . وقتل مرقص الإنجيلي تلميذ بطرس وكان بالاسكندرية يدعو الى الدين سبع سنين ويبعثه فى نواحي مصر وبرقة والمغرب وقتله نيرون ، وولى بعده جنينيا وهو أول البطارقة عليها بعد الحوارين . وثار اليهود فى دولته على أسقف بيت المقدس وهو يعقوب النجار وهدموا البيعة ودفنوا الصليب الى أن أظهرته هيلانة أم قسطنطين كما ذكره بعد ، وجعل نيرون مكان يعقوب النجار ابن عمه شمعون بن كىافا .

ثم اختلفت حال القياصرة من بعد ذلك فى الأخذ بهذا الدين وتركه كما يأتي فى أخبارهم ، الى أن جاء قسطنطين بن قسطنطين باني المدينة المشهورة ، وكانت فى مكانها قبله مدينة صغيرة تسمى بيزنطية . وكانت أمه هيلانة صالحة فأخذت بدين المسيح لإثنتين وعشرين سنة من ملك قسطنطين ابنها ، وجاءت الى مكان الصليب فوقفت عليه وترحمت وسألت عن الخشبة التى صلب عليها بزعمهم ، فأخبرت بما فعل اليهود فيها وأنهم دفنوها وجعلوا مكانها مطرحاً للقامة والنجاسة والجيف والقاذورات ، فاستعظمت ذلك واستخرجت تلك الخشبة التى صلب عليها بزعمهم ، وقيل من علامتها أن يمسها ذو العاهة فيعافى لوقته ، فطهرتها وطيبتها وغشتها بالذهب والحريز ، ورفعها عندها للتبرك بها ، وأمرت ببناء كنيسة هائلة بمكان الخشبة تزعم أنها قبره وهي التى تسمى لهذا العهد قامة^(١) . وخرّب مسجد بني إسرائيل وأمرت بأن تلقى القاذورات والكناسات على الصخرة التى كانت عليها القبة التى هي قبله اليهود ، الى أن أزال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند فتح بيت المقدس كما ذكره هنالك .

وكان من ميلاد المسيح الى وجود الصليب ثلثائة وثمان وعشرون سنة ، وأقام هؤلاء النصرانية بطاركتهم وأساقفتهم على إقامة دين المسيح على ما وضعه الحواريون من القوانين والعقائد والأحكام . ثم حدث بينهم اختلاف فى العقائد وسائر ما ذهبوا إليه

(١) كان اسمها قيامه فحرفوها قامة . كذا فى الخطط قاله نصر . اهـ .

من الإيمان بالله وصفاته ، وحاش لله وللمسيح وللحواريين أن يذهبوا إليه ، وهو معتقدهم الثلاثي . وإنما حملهم عليه ظواهر من كلام المسيح في الإنجيل لم يهتدوا إلى تأويلها ، ولا وقفوا على فهم معانيها ، مثل قول المسيح حين صلب بزعمهم : أذهب إلى أبي وأبيكم . وقال : افعلوا كذا وكذا من البر لتكونوا أبناء أبيكم في السماء وتكونوا تامين ، كما أن أباكم الذي في السماء تام . وقال له في الإنجيل إنك أنت الابن الوحيد . وقال له شمعون الصفا إنك ابن الله حقاً . فلما أثبتوا هذه الأبوة من ظاهر هذا اللفظ زعموا أن عيسى ابن مريم من أب قديم ، وكان اتصاله بمريم تجسد كلمة منه مازجت جسد المسيح وتدرعت به ، فكان مجموع الكلمة والجسد ابناً ، وهو ناسوت كلي قديم أزلي ، وولدت مريم إلهاً أزلياً والقتل والصلب وقع على الجسد والكلمة ، ويعبرون عنها بالناسوت واللاهوت .

وأقاموا على هذه العقيدة ووقع بينهم فيها اختلاف ، وظهرت مبتدعة من النصرانية اختلفت أقوالهم الكفرية ، كان من أشدهم ابن دنصان ، ودافعهم هؤلاء الأساقفة والبطاركة عن معتقدهم الذين كانوا يزعمونه حقاً ، وظهر يونس الشميماني بطرك انطاكية بعد حين أيام افلوديس قصير ، فقال بالوحدانية ونفى الكلمة والروح ، وتبعه جماعة على ذلك . ثم مات فرد الأساقفة مقالته وهجروها ولم يزالوا على ذلك إلى أيام قسطنطين بن قسطنطين ، فتنصّر ودخل في دينهم . وكان باسكندرية أسكندروس البطريرك وكان لعهد أريوش^(١) من الأساقفة ، وكان يذهب إلى حدوث الإبن وأنه إنما خلق الخلق بتفويض الأب إليه في ذلك ، فمنعه اسكندروس الدخول إلى الكنيسة وأعلم أن إيمانه فاسد ، وكتب بذلك إلى سائر الأساقفة والبطاركة في النواحي . وفعل ذلك بأسقفين آخرين على مثل رأي أريوش ، فدفعوا أمرهم إلى قسطنطين وأحضرهم جميعاً لتسع عشرة من دولته ، وتناظروا . ولما قال أريوش : إن الإبن حادث وأن الأب فوّض إليه بالخلق . وقال الإسكندروس : بالخلق استحق الألوهية ، فاستحسن قسطنطين قوله وأذن له أن يشيد بكفر أريوش .

وطلب الإسكندروس باجتماع النصرانية لتحرير المعتقد الإيماني ، فجمعهم قسطنطين وكانوا ألفين وثلاثمائة وأربعين أسقفاً وذلك في مدينة نيقية ، فسمي المجتمع مجتمع نيقية ، وكان رئيسهم الإسكندروس بطرك إسكندرية ، وأسطانس بطرك أنطاكية ،

(١) وفي نسخة أخرى أريوس .

ومقاريوس أسقف بيت المقدس . وبعث سلطوس بطرك رومة بقسيس حضر معهم لذلك نيابة عنه ، فتفاوضوا وتناظروا واتفقوا عنهم ، بعد الاختلاف الكثير ، على ثلثائة وثمانية عشر أسقفاً على رأي واحد ، فصار قسطنطين إلى قولهم ، وأعطى سيفه وخاتمه وباركوا عليه ووضعوا له قوانين الدين والملك ، ونفى أريوش وأشيد بكفره وكتبوا العقيدة التي اتفق عليها أهل ذلك المجمع ، ونصّها عندهم على ما نقله ابن العميد من مؤرخيهم والشهرستاني في كتاب الملل والنحل وهو :

« نؤمن بالله الواحد الأحد الأب مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى وبالإبن الوحيد إيشوع المسيح ^(٢) ابن الله ذكر الخلائق كلها وليس بمصنوع إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وكل شيء الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا بعث العوالم وكل شيء الذي نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولد من مريم البتول وصلب أيام فيلاطوس ودفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه وهو مستعدّ للمجيء تارة أخرى بالقضاء بين الأحياء والأموات وتؤمن بروح الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه بمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة قدسية مسيحية جاثليقية وقيام أبداننا بالحياة الدائمة أبد الآبدين انتهى » .

هذا هو اتفاق المجمع الأول الذي هو مجمع نيقية وفيه إشارة إلى حشر الأبدان ولا يتفق النصارى عليه ، وإنما يتفقون على حشر الأرواح ويسمون هذه العقيدة الأمانة ، ووضعوا معها قوانين الشرائع ويسمونها الهمايون :

وتوفي الإسكندروس البطرك بعد هذا المجمع بخمسة أشهر ، ولما عمرت هلانة أم قسطنطين الكنائس وأحب الملك أن يقدها ويجمع الاساقفة لذلك ، وبعث أوسانيوس بطرك القسطنطينية وحضر معهم أثناس بطرك الإسكندرية ، واجتمعوا في صور وكان أوسانيوس الذي أخرجه إسكندروس مع أريوس من كنيسة إسكندرية . وكان بسبب ذلك مجمع نيقية وكتاب الأمانة . ونفى أريوس حينئذ وأوسانيوس وصاحبها ولعنوا . جاء أوسانيوس من بعد ذلك وأظهر البراءة من أريوس ومن مقالته فقبله قسطنطين وجعله بطركاً بالقسطنطينية ، فلما اجتمعوا في صور وكان فيهم أومانوس على رأي أريوس ، فأشار أوسانيوس بطرك القسطنطينية بأن يظاهر أثناس بطرك الاسكندرية عن مقالة أريوس . فقال أومانوس : إن أريوس لم يقل إن المسيح

(٢) وهو يسوع المسيح كما في الانجيل .

خلق العالم وإنما قال هو كلمة الله التي بها خلق كما وقع في الإنجيل . فقال أناس بطرك الاسكندرية : وهذا الكلام أيضا يقتضي أن الابن مخلوق وأنه خلق المخلوقات دون الأب لأنه إذا كان يخلق به فالأب لم يخلق شيئاً لأنه مستعين بغيره والفاعل بغيره محتاج إلى ذلك المتم فهو في ذاته الخالق والله سبحانه متزه عن ذلك وإن زعم أريوس أن الأب يريد الشيء والابن يكونه فقد جعل فعل الابن أتم لأن الأب إنما له الإرادة فقط وللابن الإختراع فهو أتم .

فلما ظهر بطلان مقالة أريوس وثبوا على أومانيوس المناظر عن مقالة أريوس وضربوه ضرباً وجيعاً ، وخلصه ابن اخت الملك ، ثم قلدسوا الكنائس ، وانفض الجمع وبلغ الخبر إلى قسطنطين فقدم على بطركية أوسانيوس بالقسطنطينية وغضب عليه ومات لستين من رئاسته ، واجتمع بعد ذلك أصحاب أريوس إلى قسطنطين فحسبوا له تلك المقالة ، وأن جماعة نيقية ظلموا أريوس وبغوا عليه وصدوا عن الحق في قولهم إن الأب مساوٍ للابن في الجوهريّة وكاد الملك أن يقبل منهم . فكتب إليه كيراش أسقف بيت المقدس يحذره من مقالة أريوس قبل ورجع . واختلف حال ملوك القياصرة بعد قسطنطين في الأخذ بالأمانة أو بمقالة أريوس ، وظهور إحدى الطائفتين متى كان الملك على دينهم . وأفحش بعض ملوك القياصرة في الحق على مخالفه ، فقال له بعض العلماء والحكماء : لا تنكر المخالفة فالحنفاء يختلفون أيضاً وإنما هم الخلق يحمدون الله ويصفونه بالصفات الكثيرة والله يحب ذلك . فسكن بعض الشيء وكان بعضهم يعرض عن الطائفتين ويخلي كل أحد ودينه .

ثم كان المجمع الثاني بقسطنطينية بعد مجمع نيقية بمائتين وخمسين سنة اجتمعوا للنظر في مقالة مقدونيوس وسليوس ، بأن جسد المسيح بغيرنا موت وأن اللاهوت أغناه عنها ، مستدلين بما وقع في الإنجيل أن الكلمة صار لحماً ولم يقل صار إنساناً ، وجعلنا من الإله عظيماً وأعظم منه والأب أفضل عظماً . وقال : إن الأب غير محدود في القوة وفي الجوهر . فأبطلوا هذه المقالة ولعنوها وأشادوا بكفرهما وزادوا في الأمانة التي قررها جماعة نيقية ما نصه : « نؤمن بروح القدس المتقّى من الأب » . ولعنوا من يزيد بعد ذلك على كلمة الأمانة أو ينقص منها .

ثم كان لهم بعد ذلك بأربعين سنة المجمع الثالث على نسطوريوس البطريرك بالقسطنطينية لأنه كان يقول : إن مريم لم تلد إلهاً وإنما ولدت إنساناً ، وإنما اتحد به في المشيئة لا في الذات وليس هو إلهاً حقيقية بل بالموهبة والكرامة . ويقول بجوهرين

وأقنومين : وهذا الرأي الذي أظهره نسطوريوس كان رأي تاودوس وديودوس الأسقفين ، وكان من مقالاتها أنّ المولود من مريم هو المسيح والمولود من الآب هو الابن الأزلي والابن الأزلي حلّ في المسيح المحدث فسمي المسيح ابن الله بالموهبة والكرامة ، وإنّا الاتحاد بالمشيئة والارادة . فأثبتوا لله ولدين أحدهما بالجواهر والثاني بالنعمة . وبلغت مقالة نسطوريوس إلى كيرلس بطرك اسكندرية ، فكتب الى بطرك رومة وهو أكليمس ، وإلى يوحنا وهو بطرك أنطاكية ، وإلى يوناوس أسقف بيت المقدس . فكتبوا إلى نسطوريوس ليدفعوه عن ذلك بالحجة فلم يرجع ولا التفت إلى قولهم . فاجتمعوا في مدينة أفسيس^(١) في مائتين أسقفاً للنظر في مقالته ، فقرروا إبطاها ولعنوه وأشاروا بكفره ، ووجد عليهم يوحنا بطرك أنطاكية حيث لم ينتظروا حضوره فخالفهم ووافق نسطوريوس ، ثم أصلح بينهم باوداسوس من بعد مدة واتفقوا على نسطوريوس . وكتب أساقفة المشاركة أمانتهم وبعثوا بها إلى كيرلس فقبلها ونفى نسطوريوس إلى صعيد مصر ، فترل أخميم ومات بها لسبع سنين من نزولها ، وظهرت مقالته في نصارى المشرق وبفارس والعراق والجزيرة والموصل الى الفرات .

وكان بعد ذلك بإحدى وعشرين سنة المجمع الرابع بمدينة خلقدونية ، اجتمع فيه ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفاً من فتيان قيصر للنظر في مقالة ديسقورس بطرك الاسكندرية لأنه كان يقول : المسيح جوهرٌ من جوهرين وأقنوم من أقنومين وطبيعة من طبيعتين ومشية من مشيتين . وكانت الأساقفة والبطاركة لذلك العهد يقولون بجوهرين وطبيعتين ومشيتين وأقنوم واحد ، فخالفهم ديسقورس في بعض الأساقفة وكتب خطه بذلك ولعن من يخالفه . فأراد مرقيان قيصر قتله ، فأشارت البطارقة بإحضاره وجمع الأساقفة لمناظرته ، فحضر بمجلس مرقيان قيصر واقتضح في مخاطبتهم ومناظرتهم . وخاطبته زوج الملك فأساء الردّ فلطمته بيدها ، وسأله الحاضرون بالضرب ، وكتب مرقيان قيصر إلى أهل مملكته في جميع النواحي بأنّ يجمع خلقدونية هو الحق ومن لا يقبله يقتل . ومرّ ديسقورس بالقدس وأرض فلسطين وهو مضروب منفي فاتبعوا رأيه ، وكذلك اتبعه أهل مصر والإسكندرية ، وولّى وهو في النفي أساقفة كثيرة كلهم يعقوبية .

قال ابن العميد : وإنما سمي أهل مذهب ديسقورس يعقوبية لأنّ اسمه كان في الغلانية

(١) وهي مدينة أفسس كما في الإنجيل .

يعقوب ، وكان يكتب إلى المؤمنين من المسكين المنفي يعقوب . وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا إليه . وقيل بل كان شاويرش بطرك أنطاكية على رأي ديسقورس وكان له تلميذ اسمه يعقوب ، فكان شاويرش يبعث يعقوب إلى المؤمنين ليثبتوا على أمانة ديسقورس فنسبوا إليه .

قال : ومن جمع خلقدونية افترت الكنائس والأساقفة إلى يعقوبية وملكية ونسطورية ، فاليعقوبية أهل مذهب ديسقورس الذي قرّره آنفاً ، والملكية أهل الأمانة التي قرّرها جماعة نيقية وجماعة خلقدونية بعدهم وعليها جمهور النصرانية ، والنسطورية أهل المجمع الثالث وأكثرهم بالشرق . وبقي الملكية واليعقوبية يتعاقبون في الرئاسة على الكراسي بحسب من يريد من القياصرة وما يختارونه من المذهبين .

ثم كان بعد ذلك بمائة وثلاثين سنة أو ثلاث وستين سنة المجمع الخامس بقسطنطينية في أيام يوسيطانوس قيصر ، للنظر في مقالة أفسح لأنه نقل عنه أنه يقول : بالتناسخ وينكر البعث . ونقل عن أساقفة أنقرا والمصيصة والرها أنهم يقولون أن جسد المسيح فطائسا^(١) . فأحضر قيصر جمعهم بالقسطنطينية لينظرهم البطرك بها ، فقال البطرك : إن كان جسد المسيح فني فقله وفعله كذلك . وقال الأسقف أفسح : إنما قام المسيح من بين الأموات ليحقق البعث والقيامة ، فكيف تنكر ذلك أنت ؟ وجمع لهم مائة وعشرين أسقفا فأشادوا بكفره وأوجبوا لعنتهم ولعنة من يقول بقولهم . واستقرت فرق النصارى على هذه الثلاثة .

الخبر عن الفرس وذكر أيامهم ودولهم وتسمية ملوكهم وكيف كان مصير أمرهم الى تمامه وانقراضه

هذه الأمة من أقدم أُمم العالم وأشدهم قوة وآثارا في الأرض ، وكانت لهم في العالم دولتان عظيمتان طويلتان : الأولى منها الكينية ، ويظهر أن مبتدأها ومبتدأ دولة التبابعة وبني إسرائيل واحد وأن الثلاثة متعاصرة . ودولة الكينية هذه هي التي غلب عليها الإسكندر والساسانية الكسروية ، ويظهر أنها معاصرة لدولة الروم بالشام ، وهي التي غلب عليها المسلمون . وأما ما قبل هاتين الدولتين فبعيد ، وأخباره متعارضة

(١) الواضح ان هذه الكلمة محرّفة ومقتضى السياق : فني .

ونحن ذاكرون ما اشتهر من ذلك . وأما أنسابهم فلا خلاف بين المحققين أنهم من وُلِدَ سام بن نوح وأن جدّهم الأعلى الذي ينتمون إليه هو فرس ، والمشهور أنهم من وُلِدَ إيران بن أشوذ بن سام بن نوح . وأرض إيران هي بلاد الفرس ، ولما عربت قيل لها إعراق ، هذا عند المحققين . وقيل إنهم منسوبون إلى إيران بن إيران بن أشوذ ، وقيل إلى غليم بن سام . ووقع في التوراة ذكر ملك الأهواز كردامر من بني غليم ، فهذا أصل هذا القول والله أعلم ، لأنّ الأهواز من ممالك بلاد فارس . وقيل : إلى لاوذ بن إرم بن سام ، وقيل إلى أميم بن لاوذ ، وقيل إلى يوسف بن يعقوب بن إسحق . ويقال إن الساسانية فقط من وُلِدَ إسحق وأنه يسمى عندهم وَتْرَك ، وأن جدّهم منشهر بن منشهر بن فرمس بن وَتْرَك ، هكذا نقل المسعودي هذه الأسماء وهي كما تراه غير مضبوطة . وفيما قيل : إنّ الفرس كلهم من وُلِدَ إيران بن أفريدون الآتي ذكره ، وأن من قبله لا يسمون بالفرس والله أعلم . وكان أوّل ما ملك إيران أرض فارس فتوارث أعقابها الملك ثم صارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة ، ثم اتسعت مملكتهم إلى الإسكندرية غرباً وباب الابواب شمالاً . وفي الكتب أنّ أرض إيران هي أرض الترك ، وعند الإسرائيليين أنهم من وُلِدَ طيراس بن يافث وإخوتهم بنو مادي بن يافث وكانوا مملكة واحدة .

فأما علماء الفرس ونسأبتهم فيأبون من هذا كله وينسبون الفرس إلى كيومرث ولا يرفعون نسبه إلى ما فوقه ، ومعنى هذا الإسم عندهم ابن الطين وهو عندهم أوّل النسب ، هذا رأيهم . وأما مواطن الفرس فكانت أوّل أمرهم بأرض فارس وبهم سميت ، ويحاورهم إخوانهم في نسب أشوذ بن سام وهم فيما قال البيهقي : الكرد والديلم والخزر والنبط والجرامقة . ثم صارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة وسائر هؤلاء الأمم ، ثم اتسعت ممالكهم إلى الإسكندرية .

وفي هذا الجليل على ما اتفق عليه المؤرخون أربع طبقات : الطبقة الأولى تسمى اليشدانية ، والطبقة الثانية تسمى الكينية ، والطبقة الثالثة تسمى الاشكانية ، والطبقة الرابعة تسمى الساسانية ، ومدة ملكهم في العالم على ما نقل ابن سعيد عن كتاب تاريخ الأمم لعلي بن حمزة الأصبهاني ، وذلك من زمن كيومرث أبيهم إلى مهلك يزدرجرد أيام عثمان أربعة آلاف سنة ومائتا سنة ونحو إحدى وثمانين سنة . وكيومرث عندهم هو أوّل ملك نصب في الأرض ويزعمون ، فيما قال المسعودي ، أنه

عاش ألف سنة ، وضبطه بكاف أول الإسم قبل الياء المثناة من أسفل ، والسهيلي ضبطه ، بحيم مكان الكاف والظاهر أن الحرف بين الجيم والكاف كما قدمناه .

الطبقة الاولى من الفرس وذكر ملوكهم وما صار اليه في الخليقة أحوالهم

الفرس كلهم متفقون على أن كيومرت هو آدم الذي هو أول الخليقة ، وكان له ابن اسمه منشأ ولنشأ سيامك ولسيامك أفروال ومعه أربعة بنين وأربع بنات ، ومن أفروال كان نسل كيومرت ، والباقون انقضوا فلا يعرف لهم عقب . قالوا : وولد لأفروال أوشهنك بيشداد ، فاللفظة الأولى حرفها الأخير بين الكاف والقاف والجيم واللفظة الأخرى معناها بلغتهم النور ، قاله السهيلي .

وقال الطبري : أول حاكم بالعدل ، وكان أفروال وارث ملك كيومرت وملك الاقاليم السبعة . قال الطبري عن ابن الكلبي : إنه أوشهنك بن عابر بن شالغ ، قال : والفرس تدعيه وترغم أنه بعد آدم بمائتي سنة ، قال وإنما كان نوح بعد آدم بمائتي سنة فصيره بعد آدم . وأنكره الطبري لأن شهرة أوشهنك تمنع من مثل هذا الغلط فيه ، ويزعم بعض الفرس أن أوشهنك بيشداد هو مهلايل وأن أباه أفروال هو قين وأن سيامك هو أنوش وأن منشأ هو شيث وأن كيومرت هو آدم . قال وزعمت الفرس أن ملك أوشهنك كان أربعين سنة فلا يبعد أن يكون بعد آدم بمائتي سنة . وقال بعض علماء الفرس : أن كيومرت هو كوبر بن يافث بن نوح ، وأنه كان معمرًا ونزل جبل دناوند من جبال طبرستان وملكها ، ثم ملك فارس وعظم أمره وأمر بنيه حتى ملكوا بابل . وأن كيومرت هو الذي بنى المدن والحصون واتخذ الخيل وتسمى بآدم وحمل الناس على دعائه بذلك ، وأن الفرس من عقب ولده ماداي ، ولم يزل الملك في عقبهم في الكينية والكسروية إلى آخر أيامهم .

وتقول الفرس أن أوشهنك وهو مهلايل ملك الهند ، قالوا وملك بعد أوشهنك طهمورث بن أنوجهان بن أنكهد بن أسكهد بن أوشهنك . وقيل مكان أسكهد فيشداد ، وكلها أسماء أعجمية لا عهدة علينا في نقلها لعجمتها وانقطاع الرواية في الأصول التي نقلت منها :

قال ابن الكلبي : إن طهمورث أول ملوك بابل وأنه ملك الأقاليم كلها وكان محموداً في ملكه وفي أول سنة من ملكه ظهر بيوراسب ودعا إلى ملة الصابئة . وقال علماء الفرس : ملك بعد طهمورث جمشيد ومعناه الشجاع الجماعه وهو جَمّ بن نوجهان أخو طهمورث ، وملك الأرض واستقام أمره ، ثم بטר النعمة وساءت أحواله فخرج عليه قبل موته بسنة بيوراسب وظفر به فنشره بمنشار وأكله وشرط أمعاه . وقيل إنه ادّعى الربوبية فخرج عليه أولاً أخوه أستوير فاخفى . ثم خرج بيوراسب فانتزع الأمر من يده وملك سبعمئة سنة . وقال ابن الكلبي مثل ذلك .

قال الطبري : بيوراسب هو الازدهاك والعرب تسميه الضحاك ، وهو بصاد بين السين والزاي وجاء قريب من الهاء وكاف قريبة من القاف وهو الذي عني أبو نواس بقوله :
وكان منا الضحاك تعبه الـ * جامل^(١) والجن في محاربا

لأنّ اليمن تدعيه . قال : وتقول العجم إنّ جمشيد زوج أخته من بعض أهل بيته وملك على اليمن فولدت الضحاك . وتقول أهل اليمن في نسبه الضحاك بن علوان بن عبيدة بن عويج ، وأنه بعث على مصر أخاه سنان بن علوان ملكاً وهو فرعون إبراهيم ، قاله ابن الكلبي .

وأما الفرس فينسبونوه هكذا : بيوراسب بن رتيكان بن ويدوشتك بن فارس بن أفروال ، ومنهم من خالف في هذا . ويزعمون أنه ملك الأقاليم كلها ، وكان ساحراً كافراً وقتل أباه ، وكان أكثر إقامته ببابل .

وقال هشام : ملك الضحاك وهو نمروذ الخليل بعد جمشيد وأنه التاسع منهم ، وكان مولده بدنياوند ، وأنّ الضحاك سار إلى الهند فخالفه أفريدون إلى بلاده فملكها ، ورجع الضحاك فظفر به أفريدون وحبسه بجبال دنياوند ، واتخذ يوم ظفر به عيداً . وعند الفرس أنّ الملك إنّما كان للبيت الذي وطنه أوشهناك وجمشيد وأنّ الضحاك هو بيوراسب خرج عليهم وبنى بابل ، وجعل النبط جنده ، وغلب أهل الأرض بسحره ، وخرج عليه رجل من عامّة أصهبان اسمه عالي ، ويده عصا علّق فيها جراباً واتخذها راية ، ودعا الناس إلى حربه ، فأجابوا وغلبه فلم يدع الملك وأشار بتولية بني جمشيد لأنّه من عقب أوشهناك ملكهم الأول ابن أفروال ، فاستخرجوا أفريدون من مكان اختفائه فلكوه واتبع الضحاك فقتله ، وقيل أسره بدنياوند . ويقال كان على

(١) الجامل : قطع الإبل مع رعاته وأربابه .

عهد نوح وإليه بعث . ولهذا يقال إن أفريدون هو نوح ، والتحقيق عند نسبة الفرس على ما نقل هشام بن الكلبي أن أفريدون من وُلِدَ جمشيد بينهما تسعة آباء . وملك مائتي سنة وردَّ غصوب الضحاك ومظالمه . وكان له ثلاثة بنين الأكبر سَرْمُ والثاني طوج والثالث إيرج ، وأنه قسّم الأرض بينهم ، فكانت الروم وناحية المغرب لسَرْمُ ، والترك والصين والعراق لإيرج وآثره بالتاج والسرير ، ولما مات قتله أخواه واقتسما الأرض بينهما ثلثمائة سنة .

ويزعمون أن أفريدون وآبائه العشرة يلقبون كلهم أشكيان ، وقيل في قسمته الأرض بين ولده غير هذا ، وأنّ بابل كانت لإيرج الأصغر وكان يسمّى خيارث ويقال كان لإيرج إبنان : وندان وأسطوبة وبنت إسمها خورك ، وقتل الإبنان مع أبيهما بعد مهلك أفريدون ، وأنّ أفريدون ملك خمسمائة سنة وأنه الذي يحا آثار ثمود من النبط بالسواد ، وأنه أول من تسمّى بكبي ، فقيل كي أفريدون ومعناه التتزيه أي مخلص متصل بالروحانيات . وقيل معناه البهاء لأنه يغشاه نور من يوم قتل الضحاك ، وقيل معناه مدرك الثأر . وكان منوشهر الملك ابن منشحر بن إيرج من نسل أفريدون ، وكانت أمّه من وُلِدَ إسحق عليه السلام فكفلته حتى كبر ، فملك وثار بأبيه إيرج من عمه بعد حروب كانت له معها ، ثم استبدّ ونزل بابل وحمل الفرس على دين إبراهيم عليه السلام ، وثار عليه فراسياب^(١) ملك الترك فغلبه على بابل وملكها . ثم اتبعه إلى غياض طبرستان فجهّز العساكر لحصاره وسار إلى العراق فملكه . ويقال فراسياب هذا من عقب طوج بن أفريدون ، ولحق ببلاد الترك عندما قتل منوشهر جدّ طوج فنشأ عندهم وظهر من بلادهم فلهذا نسب إليهم .

وقال الطبري : لما هلك منوشهر بن منشحور ، غلب أفراسياب بن أشك بن رستم بن ترك على خيارات ، وهي بابل ، وأفسد مملكة فارس وحيرها ، فثار عليه زومر بن طهارست ، ويقال راسب بن طهارست . وينسب إلى منوشهر في تسعة آباء ، وأن منوشهر غضب على طهارست وكانوا يحاربون أفراسياب فهم بقتله وشفع فيه أهل الدولة فنفاه إلى بلاد الترك ، وتزوَّج منهم ثم عاد إلى أبيه وأعمل الخيلة في إخراج إمرأته من بلاد الترك وكانت ابنة وامن ملك الترك ، فولدت له زومر ابنه . وقام بالملك بعد منوشهر وطرده أفراسياب عن مملكة فارس وقتل جدّه وامن في حروبه

(١) وفي نسخة أخرى : أفراسياب .

مع الترك ، ولحق أفراسياب بتركستان واتخذ يوم ذلك الغلب عيداً ومهرجناً وكان ثالث أعيادهم . وكان غلبه على بلاد فارس لإثنتي عشرة سنة من وفاة منوشهر جدّه ، وكان زومر بن طهارست هذا محموداً في سيرته وأصلح ما أفسد أفراسياب بن خيارت من مملكة بابل ، وهو الذي حفر نهر الزاب بالسواد ، وبنى على حافته المدينة العتيقة وسماها الزواهي ، وعمل فيها البساتين وحمل إليها بزور الأشجار والرياحين . وكان معه في الملك كرشاسب من وُلِدَ طوج بن أفريدون وقيل من وُلِدَ منوشهر ، ويقال إنما كان رديفاً له وكان عظيم الشأن في أهل فارس ، ولم يملك وإنما كان الملك لزومر بن طهارست ، وهلك لثلاث سنين من دولته . وفي أيامه خرج بنو إسرائيل من التيه وفتح يوشع مدينة أريحاء ودال الملك من بعده للكينية حسباً يذكر وأولهم كيقباز . ويقال إن مدّة الملك لهذه الطبقة كانت ألفين وأربعائة وسبعين سنة فيما قال البيهقي والأصهباني ، ولم يذكر من ملوكهم إلا هؤلاء التسعة الذين ذكرهم الطبري والله وارث الأرض ومن عليها .

قبیل هو المتسمى آدم

ب.

خرجت علی طهورث وهو
من ولد اقوال وقیل من ولد طوج
ابن افریدون

بیوراسب —
الضحاک

د

اسطوبه
وندان
خوبرك
أول من لقب كي

ز

و

ح

راسب بن طهارت — بن منوشهر بن منشر بن ایرج — بن افریدون بن جمشید بن طهورث بن اوشهنگ — بن اقوال بن کومرت
وقیل زومر

کرشاسب —
ادنوارتسب

کرشاسب — بن طوج —
سم — بن یس — بن یس — بن یس —
بن یس — بن یس — بن یس —
بن یس — بن یس — بن یس —

الطبقة الثانية من الفرس وهم الكينية وذكر ملوكهم وأيامهم إلى حين إنقراضهم

هذه الطبقة الثانية من الفرس وملوكهم يعرفون بالكينية لأن إسم كل واحد مضاف إلى كي وقد تقدّم معناه ، والمضاف عند العجم متأخر عن المضاف إليه وأولهم فيها قالوا كيقباز من عقب منوشهر بينها أربعة آباء ، وكان متزوجاً بامرأة من زؤوس الترك ولدت له خمسة من البنين : كي وافيا وكيكاوس وكي أرش وكي نية وكي فاسمن ، وهؤلاء هم الجبابرة وآباء الجبابرة . قال الطبري : وقيل إن الملوك الكينية وأولادهم من نسله جرت بينه وبين الترك حروب ، وكان مقبياً بنهر بلخ يمانع الترك من طروق بلاده وملك مائة سنة وانتهى .

وملك بعده ابنه كيكاوس بن كينية وطالب حروبه مع فراسيات ملك الترك ، وهلك فيها ابنه سياوخش ، ويقال كان على عهد داود ، وأن عمراً ذا الأذعار من ملوك التبابعة غزاه في بلاده فظفر به وحبسه عنده باليمن ، وسار وزيره رستم بن دستان بجنود فارس إلى غزو ذي الأذعار فقتله وتخلص كيكاوس إلى ملكه . وقال الطبري كان كيكاوس عظيم السلطان والحماية ، وولد له ابنه سياوخش فدفعه إلى رستم الشديد ابن دستان ، وكان أصهر بسجستان حتى إذا كملت تربيته وفصاله رده إلى أبيه ، فرضيه وكفلت به امرأة أبيه فسخطه ، وبعثه لحراب فراسيات^(١) وأمره بالمناهضة ، فراوده فراسيات في الصلح ، وامتنع أبوه كيكاوس فخشى منه على نفسه ، ولحق بفراسيات فزوجه بته أم كي خسرو ، ثم خشيه فراسيات على نفسه وأشار على ابنته بقتله فقتلته . وترك ابنة فراسيات حاملاً بخسرو وولدت له هنالك ، وأعمل كيكاوس الحيلة في إخراجه فلحق به .

ويقال إنه لما بلغه قتل ابنه ، بعث عساكره مع قواده فوطثوا بلاد الترك وأثخنوا فيها وقتلوا بني فراسيات فيمن قتلوه . قال الطبري وإنه غزا بلاد اليمن ولقيه ذو الأذعار في حمير وقحطان ، فظفر به وأسره وحبسه في بئر وأطبق عليه . وإن رستم سار من سجستان فحارب ذا الأذعار ثم اصطالحا على أن يسلم إليه كيكاوس فأخذه ورجع إلى

(١) وفي نسخة أخرى : افراسيات .

بابل ، وكافاه كيكائوس على ذلك بالعتق من عبودية الملك ، ونصب لجلوسه سريرا من فضة بقوائم من ذهب وتوجه بالذهب ، وأقطعه سجستان وأباستان ، وهلك لئاه وخمسين من دولته ، وملك بعده فيما قال الطبري والمسعودي والبيهقي وجماعة من المؤرخين ، حافده كي خسرو وابن ابنه سباوخش .

وقال السهيلي : إنه ملك كي خسرو وبعد ثلاثة آخرين بينه وبينه كيكائوس فأولهم بعده ابنه كي كينة ، ثم من بعده ابنه أجو بن كي كينة ، ثم عمه سباوخش بن كيكائوس ، ثم بعد الثلاثة كي خسرو بن سباوخش اه . وهو غريب فانهم متفقون على أن سباوخش مات في حياة أبيه في حروب الترك .

قال الطبري : وقد كان كيكائوس بن كي كينة بن كيقباز ملك كي خسرو حين جاءه من بلاد الترك مع أمه وأسفاقدين بنت فراسيات . قالوا ولما ملك بعث العساكر مع أجو إلى أصبهان لحرب فراسيات ملك الترك للطلب بئار أبيه سباوخش ، فرحفوا إلى الترك وكانت بينهم حروب شديدة انهزمت فيها عساكر الفرس ، فنهض كي خسرو بنفسه إلى بلخ وقدم عساكره وقواده فقصدوا بلاد الترك من سائر النواحي وهزموا عساكرهم وقتلوا قوادهم . وكان قاتل سباوخش بن كي خسرو فيمن قتل منهم ، وبعث فراسيات ابنه وكان ساحرا إلى كيخسر ويستميله ، فعمد إلى القواد بمنعه وقتاله ، وقاتل فقتل ، وزحف فراسيات فلقبه كي خسرو وكانت بينها حروب شديدة انجلت عن هزيمة فراسيات والترك ، واتبعه كي خسرو فظفر به في أذربيجان فذبحه وانصرف ظافرا . وكان فيمن حضر معه لهذا الفتح ملك فارس وهو كي أوجن بن حينوش بن كيكائوس بن كي كينة بن كيقباز ، وهو عند الطبري أبو كيراسف الذي ملك بعد كيخسرو على ما نذكر .

وملك على الترك بعد فراسيات جوراسف ابن أخيه شراسف . ثم أن كي خسرو ترهب وترهد في الملك واستخلف مكانه كيراسف بن كي أوجن الذي قدمنا أنه أبوه عند الطبري ولد كيخسرو فقبل غاب في البرية ، وقيل مات ، وذلك لستين سنة من ملكه .

ولما ملك كيراسف اشتدت شوكة الترك فسكن لقتالهم مدينة بلخ على نهر جيحون ، وأقام في حروبهم عامة أيامه ، وكان أصهب ما بين الأهواز والروم من غربي دجلة في أيام بختنرسي المشتهر ببختنصر ، وأضاف إليه كيراسف ملكا عندما سار إليه وأذن له

في فتح ما يليه ، وسار إلى الشام معه ملوك الفرس وبختنصر ملك الموصل وله
سنجاري ففتح بيت المقدس ، وكان له الظهور على اليهود واستأصلهم كما مرّ في
أخبارهم ، وبختنصر هذا الذي غزا العرب وقتلهم واستباحهم ، ويقال إنّ ذلك
كان في أيام كي بُهمُن حافد كيستاسب بن كهراسف .

قال هشام بن محمد : أوحى الله إلى أرميا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان حافد
زريافيل الذي رجّع بني إسرائيل إلى بيت المقدس ، بأمر بختنصر أن يفرّق العرب
الذين لا أغلاق لبيوتهم ويستبيحهم بالقتل ويعلمهم بكفرهم بالرسل واتخاذهم
الآلهة . وفي كتاب الإسرائيليين والوحي بذلك كان إلى يرميا بن خلقيا وقد مرّ ذكره ،
وأنه أمر أن يستخرج معدّ بن عدنان من بينهم ويكفله إلى انقضاء أمر الله فيهم
انتهى .

قال : فوثب بختنصر على من وجده ببلاده من العرب للميرة ، فحبسهم ونادى
بالغزو وجاءت منهم طوائف مستسلمين فقبلهم وأنزلهم بالأنبار والحيرة .
وقال غير هشام إنّ بختنصر غزا العرب بالجزيرة وما بين أيلة والأبلة ، وملأها عليهم
خيلا ورجالا ولقية بنو عدنان فهزمهم إلى حضّورا واستلحمهم أجمعين . وأنّ الله
أوحى إلى أرميا ويوحنا أن يستخرجا معدّ بن عدنان الذي من ولده محمد أختم به
النبيّين آخر الزمان ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وردفه يوحنا على البراق وجاء به إلى
حرّان ، وربى بين أنبياء بني إسرائيل .

ورجع بختنصر إلى بابل وأنزل السبي بالأنبار فقبل أنبار العرب وسميت بهم ،
وخالطهم النبط بعد ذلك . ولما هلك بختنصر خرج معدّ بن عدنان مع أنبياء بني
إسرائيل إلى الحجّ فحجّوا ، وبقي هنالك مع قومه وتزوج بعانة بنت الحارث بن
مضااض الجرهمي ، فولدت له نزار بن معدّ .

وأما كهراسف فكان يحارب الترك عامّة أيامه ، وهلك في حروبهم لمائة وعشرين سنة
من ملكه ، وكان محمود السيرة ، وكانت الملوك شرقا وغربا يحملون إليه الأتاوة
ويعظمونه ، وقيل إنه ولّى ابنه كيستاسب على الملك وانقطع للعبادة . ولما ملك ابنه
كيستاسب شغل بقتال الترك عامّة أيامه ، ودفع لحروبهم إنه أسفنديار فعظم عناؤه
فيهم . وظهر في أيامه زرادشت الذي يزعم المجوس نبوّته ، وكان فيما زعم أهل
الكتاب من أهل فلسطين خادما لبعض تلامذة أرميا النبيّ خالصة عنده ، فخانه في

بعض أموره فدعا الله عليه فبرص ولحق بأذربيجان وشرع بها دين المجوسية . وتوجه إلى كيستاسب فعرض عليه دينه فأعجبه وحمل الناس على الدخول فيه ، وقتل من امتنع .

وعند علماء الفرس أن زرادشت من نسل منوشهر الملك ، وأن نبياً من بني إسرائيل بعث إلى كيستاسب وهو يبلغ ، فكان زرادشت وجاماسب العالم ، وهو من نسل منوشهر أيضاً ، يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبي بالعبرانية ، وكان جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجمه لزرادشت ، وأن ذلك كان ثلاثين سنة من دولة كيهراسف .

وقال علماء الفرس : إن زرادشت جاء بكتاب ادّعاء وحياً ، كتب في إثني عشر ألف بعده نقشا بالذهب ، وأن كيستاسب وضع ذلك في هيكل باصطخر ووكل به الهرايدة ومنع من تعليمه العامة . قال المسعودي : ويسمى ذلك الكتاب نَسْنَاهُ وهو كتاب الزمزمة ، ويدور على ستين حرفاً من حروف المعجم . وفسره زرادشت وسمي تفسيره زند ، ثم فسر التفسير ثانياً وسمّاه زنديه ، وهذه اللفظة هي التي عربتها العرب زنديق . وأقسام هذا الكتاب عندهم ثلاثة : قسم في أخبار الأمم الماضية ، وقسم في حدثان المستقبل ، وقسم في نواميسهم وشرائعهم مثل أن المشرق قبلة وأن الصلوات في الطلوع والزوال والغروب وأنها ذات سجديات ودعوات . وجدّد لهم زرادشت بيوت النيران التي كان منوشهر أحمرها ، ورتب لهم عيدين : النيروز في الاعتدال الربيعي والمهرجان في الاعتدال الخريفي ، وأمثال ذلك من نواميسهم . ولما انقرض ملك الفرس الأول أحرق الإسكندر هذه الكتب ، ولما جاء أردشير جمع الفرس على قراءة سورة منها تسمى أسبا . قال المسعودي : وأخذ كيستاسب بدين المجوسية من زرادشت لخمس وثلاثين سنة من نبوته فيما زعموا ، ونصب كيستاسب مكانه جاماسب العالم من أهل أذربيجان ، وهو أول موبدان كان في الفرس انتهى .

قال الطبري : وكان كيستاسب مهادناً أرجاماسب ملك الترك وقد اشترط عليه أن تكون دابة كيستاسب موقفة على بابه بمنزلة دواب الرؤسا عند أبواب الملوك ، ففعله من ذلك زرادشت وأشار عليه بفتنة الترك ، فبعث إلى الدابة والموكل بها وصرفها إليه . وبلغ الخبر إلى ملك الترك فبعث إليه بالعتاب والتهديد وأن يبعث بزرداشت إليه وإلا فيعزّره . وأغلظ كيستاسب في الجواب وآذنه بالحرب ، وسار بعضها إلى بعض

واقْتلوا وقتل رزين بن كيستاسب وانهزم الترك وأُتخِنَ فيهم الفرس ، وقتل ساحر الترك قيدوشق ورجع كيستاسب إلى بلخ . ثم سعى عنده بابنه أسفنديار فحبسه وقبده وسار إلى جبل بناحية كرمان وسجستان فانقطع به للعبادة ودراسة الدين . وخلف أباه كهراسف في بلخ شيخا قد أبطله الكبر وترك خزائنه وأمواله فيها مع إمراته ، فغزاهم بخا خدراسفُ وقَدَّم أخا جورا في جموع الترك وكان مرشحا للملك فأُتخِنَ واستباح واستولى على بلخ ، وقتل كهراسف أباهم وغنموا الأموال وهدموا بيوت النيران وسبوا حمائي بنت كيستاسب وأختها ، وكان فيما غنموه العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه زركش كاويان وهي راية الحداد الذي خرج على الضحَّاك وقتله . وولَّى أفريدون فسموا بتلك الراية ورصعوها بالجواهر ووضعوها في ذخائرهم ييسطوها^(١) في الحروب العظام ، وكان لها ذكر في دولتهم وغنمها المسلمون يوم القادسية .

ثم مضى خدراسف ملك الترك في جموعه إلى كيستاسب وهو يجبال سجستان متعبداً فتحصن منه وبعث إلى ابنه أسفنديار مع جاماسب العالم وهو في الجبل فقلَّده الملك ومحاربة الترك ، فسار إليهم وأبلى في حروبهم فانهزموا ، وغنم ما معهم واسترد ما كانوا غنموه والراية زركش كاويان في جملة . ثم دخل أسفنديار إلى بلادهم في اتباعهم وفتح مدينتهم عنوة ، وقتل ملكهم خدراسف وإخوته ، واستلحم مقاتلته واستباح أمواله ونساءه ، ودخل مدينة فراسيات ودوخ البلاد ، وانتهى إلى بلاد صُول والتبت ، وولَّى على كل ناحية من الترك ، وفرض الخراج ، وانصرف إلى بلخ وقد غصَّ به أبوه .

قال هشام بن محمد : فبعثه إلى رستم ملك سجستان الذي كان يستنفره كيقيباذ جدَّهم من ملوك اليمن ، وأقطعه تلك الممالك جزاءً لفعله . فسار إليه أسفنديار وقاتله رستم وهلك كيستاسب لمائة وعشرين سنة . ويقال إنه الذي ردَّ بني إسرائيل إلى بلادهم وأنَّ أمه كانت من بني طالوت . ويقال إنَّ ذلك هو حافد بهمن . وقيل إن الذي رذكهم هو كورش من ملوك بابل أيام بهمن بأمره .

ثم ملك بعد كيستاسب حافده كي بهمن ويقال أردشير بهمن . قال الطبري : ويعرف بالطويل الباع لاستيلائه على الممالك والأقاليم . قال هشام بن محمد : ولما ملك سار إلى سجستان طالبا بثأر أبيه فكانت بينهما حروب فقتل فيها رستم بن دستان وأبوه

(١) الاصح ان يقول : ييسطونها .

وإخوته وأبنائه . ثم غزا الروم وفرض عليهم الأتاوة وكان من أعظم ملوك الفرس ،
وبنى مدنا بالسواد ، وكانت أمه من نسل طالوت لأربعة آباء من لدنه وكانت له أم
ولد من سبي بني إسرائيل إسمها راسف وهي أخت زريافيل الذي ملكه على اليهود
بيت المقدس وجعل له رياسة الجالوت وملك الشام ، وملك ثمانين سنة ، فملك
حمايي ملكها الفرس لحماها ولحسن أدبها وكمال معرفتها وفروسياتها ، وكانت بلغت شهرا
أزاد . وقيل إنما ملكوها لأنها لما حملت من أبيها بدار الأكبر سألته أن يعقد له التاج
في بطنها ففعل ذلك . وكان ابنه ساسان مرشحا للملك فغضب ، ولحق بجبال
اصطخر زاهد يتولى ماشيته بنفسه ، فلما مات أبوه فقدوا ذكرا من أولاده فولوا حمايي
هذه وكانت مظفرة على الأعداء . ولما بلغ إليها دارا الأشد ، سلمت إليه الملك
وسارت إلى فارس واختطت مدينة دار ايجرد ، وردت الغزو إلى بلاد الروم ، وأعطيت
الظفر فكثر سبيهم عندها ، وملك ثلاثين سنة . ولما ملك إليها دارا نزل بابل وضبط
ملكه وغزا الملوك وأدوا الخراج إليه ، ويقال إنه الذي رتب دواب البرد . وكان
معجبا بابنه دارا حتى سمّاه بإسمه وولاه عهده وهلك لابنتي عشرة سنة .

وملك بعده ابنه دارا بهمن ، وكان له مربّي إسمه بيدلي قتله أبوه دارا بسعاية وزيره
أرشيش محمود ، وندم على قتله . فلما ولي دارا جعل على كتابته أخا بيدلي ثم استوزره
رعيا لمرباه مع أخيه ، فاستفسده على أرشيش وزيره ووزير أبيه وعلى سائر أهل الدولة
استوحشوا منه . وقال هشام بن محمد : وملك دارا بن دارا أربع عشرة سنة فأساء
السيرة وقتل الرؤساء وأهلك الرعية وغزاه الاسكندر بن فيلبس ملك بني يونان . وقد
كانوا يسمّونه ^(١) فوثب عليه بعضهم وقتله ، ولحق بالإسكندر وتقرب
بذلك إليه فقتله الإسكندر وقال هذا جزاء من اجترأ على سلطانه ، وتزوج بنته
روشنك كما نذكره في أخبار الإسكندر .

وقال الطبري : قال بعض أهل العلم بأخبار الماضين كان لدارا من الولد يوم قتل أربع
بنين أسسك وبنودار وأردشير وبنت إسمها روشنك وهي التي تزوجها الإسكندر .
قال : وملك أربع عشرة سنة ، هذه هي الأخبار المشهورة للفرس الأولى إلى ملكهم
الأخير دارا .

(١) لم نجد في كتب التاريخ لقبا لدارا بن دارا ، ولكن ابن الأثير ذكر أن دارا بن بهمن بن اسفنديار كان
يلقب : جهرزاد أي كريم الطبع .

قال هروشيوش مؤرخ الروم في مبدأ دولة الفرس هؤلاء إنما كانت بعد دخول بني إسرائيل إلى الشام ، وعلى عهد عثيثال بن قناز بن يوفنا ، وهو ابن أخي كالب بن يوفنا الذي دبر أمر بني إسرائيل بعد يوشع . قال : وفي ذلك الزمان خرج أبو الفرس من أرض الروم الغريقيين من بلاد آسيا واسمه بالعربية فارس باليونانية يرشور وبالفارسية يرشيرش ، فترل بأهل بيته في ناحية وتغلب على أهل ذلك الموضع فنسبت إليه تلك الأمة ، واشتق اسمها من اسمه ، وما زال أمرهم ينمو إلى دولة كيرش الذي يقال فيه أنه كسرى الأول ، فغلب على الفضاغيين ، ثم زحف إلى مدينة بابل وعرض له دونها النهر الثاني بعد الفرات وهو نهر دجلة ، فاحتضر له الجداول وقسمه فيها ، ثم زحف إلى المدينة وتغلب عليها وهدمها ، ثم حارب السريانيين فهلك في حروبهم ببلاد شيت . وولى ابنه قنيشاش بن كيرش فثأر منهم بآبيه ، وتخطاهم إلى أرض مصر فهدم أوثانهم ونقض شرائعهم ، فقتله السحرة وذلك لألف سنة من ابتداء دولتهم فولى أمر الفرس دارا وقتل السحرة بمصر وردّ عمالة^(١) السريانيين إليهم ، ورجع بني إسرائيل إلى الشام في الثانية من أيامه ، وزحف إلى بلاد الروم الغريقيين طالبا ثأر كيرش ، فلم يزل في حروبهم إلى أن هلك لثلاث وعشرين من دولته ثار عليه أحد قواده فقتله ، وولى بعده ابنه أرتشخار أربعين سنة ، وولى بعده ابنه دارا أنطوسيع عشرة سنة .

ثم ولي بعده ابنه أرتشخار بعد أن نازعه كيرش بن نوطو فقتله أرتشخار واستولى على الأمر وسالم الروم الغريقيين ، ثم انتقضوا عليه واستعانوا بأهل مصر ، فطالت الحرب ثم اصطلحوا ووقعت الهدنة ، وهلك أرتشخار وذلك على عهد الاسكندر ملك اليونانيين وهو خال الاسكندر الأعظم ، وهلك لعهد ، فولى أبو الاسكندر الأعظم بيلد مقدونية وهو ملك فيلبش .

وهلك أرتشخار أوقش لست وعشرين من دولته وولى من بعده ابنه شخشار أربع سنين ، وفي أيامه ولي على مقدونية واليونانيين وسائر الروم الغريقيين الاسكندر بن فيلبش . ثم ولي بعده شخاردارا وعلى عهده تغلب الاسكندر على يهود بيت المقدس وعلى جميع الروم الغريقيين ، ثم حدثت الفتنة بينه وبين دارا وتراحفوا مرات انهزم في كلها ، وكان لاسكندر الظهور عليه ، ومضى إلى الشام ومصر فلكها وبني

(١) بكسر العين : تولى إياالة ، وبفتحها : عمل الناقة ، وبضمها : أجر العامل ورزقه .

الإسكندرية ، وانصرف فلقية دارا أنطوس فهزمه وغلب على ممالك الفرس واستولى على مدينتهم وخرج في اتباع دارا فوجده في بعض طريقه جريحا ، ولم يلبث أن هلك من تلك الجراحة ، فأظهر الاسكندر الحزن عليه وأمر بدفنه في مقابر الملوك ، وذلك لألف سنة ونحو من ثمانين سنة منذ ابتداء دولتهم كما قلناه انتهى كلام هروشيوش . وقال السُّهيلي : وجده مشخنا في المعركة فوضع رأسه على فخذه وقال : يا سيد الناس لم أرد قتلك ولا رضيته فهل من حاجة ؟ فقال تترّوج ابنتي وتقتل قاتلي ففعل الاسكندر ذلك . وانقرض أمر هذه الطبقة الثانية والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى .

۲. ابن دارا ی ط ح ز
 اشك بن دارا بن حایى بنت بهمن بن اسفندیار بن کیستاسب بن کهراسب بن کي کاوس بن کینوش بن کینه

و ط
 کیخسرو بن سیاوخش —
 ک ک
 کي أجوا —
 ج
 کي کینه —

بن کینه بن کيقباد
 بن کيقاوش

قال ابن العميد : في ترتيب هؤلاء الملوك الفرس من بعد كيرش إلى دارا . آخرهم يقال : إنه ملك من بعد كورش ابنه قبوسيسوس ثمانياً وقيل تسعاً وقيل إثنين وعشرين سنة ، وقيل إنه غزا مصر واستولى عليها وتسمى بختنصر الثاني ، وملك بعد أريوش بن كستاسب خمسا وعشرين سنة وهو أول الملوك الأربعة الذين عناهم دانيال بقوله ثلاث ملوك يقومون بفارس والرابع يكثر ماله ويعظم على من قبله . فأولهم دارا بن كستاسب وهو مذكور في المحسطي ، والثاني دارا ابن الأمة ، والثالث الذي قتله الاسكندر ، وقيل بل هو الرابع الذي عناه دانيال لأنه جعل أول الأربعة داريوش وأخشورش العادي وسركورش ورديفه في الملك ، ثم عد الثلاثة بعده . وفي الثانية من ملكة داريوش بن كيستاسب لبابل تمت سبعون سنة لخراب القدس ، وفي الثالثة كمل بناء البيت ، ثم ملك بعد داريوش بن كيستاسب هذا أسمرديوس المحوسي سنة واحدة وقيل ثلاث عشرة سنة وسمى مجوسيا لظهور زرادشت بدين المجوسية في أيامه . ثم ملك أخشويرش بن داريوش عشرين سنة وكان وزيره هامان العمليقي ، وقد مرت قصته مع الجارية من بني اسرائيل . ثم ملك من بعده ابنه أرطحشاش بن أخشويرش ويلقب بطويل اليدين ، وكانت أمه من اليهود بنت أخت مردخاي ، وكانت خطيئة عند أبيه ، وعلى يدها تخلص اليهود من سعاية وزيره فيهم عنده ، وكان العزيز في خدمته ، ولعشرين من دولته أمر بهدم أسوار القدس ثم رغب إليه العزيز في تجديد فبناها في اثنتي عشرة سنة . قال ابن العميد عن المحسطي إن العزيز هذا ويسمى عزراء هو الرابع عشر من الكهنة من لدن هرون عليه السلام ، وأنه كتب لبني اسرائيل التوراة وكتب الأنبياء من حفظه بعد عودهم من الجلاء الأول ، لأن بختنصر كان أحرقها ، وقيل أن الذي كتب لهم ذلك هو يشوع بن أبوصادوق . ثم ملك من بعده أرطحشاش الثاني خمس سنين وقيل إحدى وثلاثين وقيل ست عشرة وقيل شهرين ، ورجح ابن العميد الخمس لموافقتها سياقة التواريخ ، وكان لعهد أبقرط وسقراط في مدينة أشيكاش ، ولعده كتب النواميس الإثني عشر . ثم ملك بعده صغريتوس ثلاث سنين وقيل سنة واحدة وقيل سبعة أشهر ، ولم يزل محنقاً لمرض كان به إلى أن هلك . ثم ملك من بعده دارا ابن الأمة ويلقب الناكيش ، وقيل داريوش ألياريوس ، ملك سبع عشر سنة وكان على عهده من حكماء يونان سقراط وفيثاغورس وأقليوس ، وفي الخامسة من دولته انتقض أهل مصر على يونان واستبدوا

بملكهم بعد مائة وأربع وعشرين سنة ، كانوا فيها في ملكتهم ، ثم ملك من بعده
أرطحشاش ابن أخي كورش داريوش إحدى عشرة سنة وقيل إثنين وعشرين سنة
وقيل أربعين وقيل إحدى وعشرين ، وكان لعهد ألياقم الكوهن الذي داهن الكهنونية
سناً وأربعين سنة . ثم ملك من بعده أرطحشاش وتسمى أخوش ، ويقال أوغش ،
عشرين سنة وقيل خمسا وعشرين وقيل تسعا وعشرين ، وزحف إلى مصر فملكها
وهرب منها فرعون ساناق إلى مقدونية وإسمه قصطرا ، وبني أرطحشاش قصر الشمع
وجعل فيه هيكلًا وهو الذي حاصره عمرو بن العاص وملكه . ثم ملك من بعده ابنه
أرشيش بن أرطحشاش ، وقيل إسمه فارس ، أربع سنين وقيل إحدى عشرة ،
وكان لعهد من حكماء يونان بقراط وأفلاطون ودمقراطس ، ولعهد قتل بقراط على
القول بالتناسخ وقيل لم يكن مذهبه وإنما ألزمه بعض تلامذته ثم شهدوا عليه وقتل
مسموما قتله القضاة بمدينة أثينا . ثم ملك من بعده ابنه دارا بن أرشيش عشرين سنة
وقيل ست عشرة . وقال ابن العميد عن أبي الراهب : إنه دارا الرابع الذي أشار إليه
دانيال كما مر ، وكان هذا الملك عظيما فيهم وتغلب على يونان ، وألزمهم الوظائف التي
كانت عليهم لآبائهم وملكهم يومئذ الإسكندر بن فيلبس وكان عمره ست عشرة سنة ،
فقطع فيه دارا وطلب الضريبة فنع وأجاب بالاغلاظ وزحف إليه فقاتله وقتله
واستولى الإسكندر على ملك فارس وما وراءه انتهى كلام ابن العميد .

الطبقة الثالثة من الفرس وهم الأشكانية ملوك الطوائف وذكر دولهم ومصاير أمورهم الى نهايتها

هذه الطبقة من ملوك الفرس يعرفون بالأشكانية ، وكافها أقرب إلى الغين ، من وُلد
أشكان بن دارا الأكبر ، وقد مر ذكره ، وكانوا من أعظم ملوك الطوائف عنه افتراق
أمر الفرس ، وذلك أن الإسكندر لما قتل دارا الأصغر استشار معلمه أرسطو في أمر
الفرس ، فأشار عليه أن يفرق رياستهم في أهل البيوت منهم ففترق كلمتهم ويخلص
لك أمرهم ، فولّى الإسكندر عظماء النواحي من الفرس والعرب والنبط والجرامقة كلاً
على عمله واستبد كل بناحية واستقام له مُلك فارس والمشرق . ولما مات الإسكندر
قسم ملكه بين أربعة من أمرائه : فكان مُلك مقدونية وأنطاكية وما إليها من ممالك

الروم لفيلبس من قواده ، وكانت الإسكندرية ومصر والمغرب لفيلاذفُس ولقبه بطليموس ، وكان الشام وبيت المقدس وما إلى ذلك لدمطوس ، وكان السواد إلى الجبال والأهواز وفارس ليلاقش سيلقس ولقبه أنطيوخس وأقام السواد في ملكته أربعاً وخمسين سنة .

قال الطبري : وكان أشك بن دارا الأكبر خلفه أبوه بالريّ فنشأ بها فلما كبر وهلك الإسكندر جمع العساكر وسار يريد أنطيوخس ، والتقى بالموصل فانهزم أنطيوخس وقتل ، وغلب أشك على السواد من الموصل إلى الريّ وأصبيان ، وعظمه سائر ملوك الطوائف لشرفه ونسبه وأهدوا إليه من غير أن يكون له عليهم إيالة في عزل ولا تولية ، بل إنّا كانوا يعظمونه ويبدؤن بإسمه في المخاطبات وهم مع ذلك متعادون ، تختلف حالاتهم بعضهم مع بعض في الحرب والمهادنة . وقال بعضهم : كان رجلاً من نسل الملوك من فارس مملكا على الجبال وأصبيان والسواد لقوات الاسكندر .

ثم غلب بعد ذلك ولده على السواد وجمعه إلى الجبال وأصبيان وصار كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، ولذلك قصر ذكر هؤلاء الملوك دون غيرهم من الطوائف ، فمنهم من قال : إنه أشك بن دارا ، كما قدّمنا ، وهو قول الفرس . وقيل هو أشك عقب أسفنديار بن كستاسب بينهما ستة آباء . وقيل هو أشك بن أشكان الأكبر من وُلد كينية بن كيقباز ، ويقال : إنه كان أعظم الأشكانية وقهر ملوك الطوائف وعلى إصطخر لاتصالها بأصبيان وتخطّأها إلى ما يتاخمها من بلاد فارس فغلب عليه واتصل ملكه عشرين سنة . وملك بعده جور بن أشك وغزا بني إسرائيل بسبب قتلهم يحيى بن زكريا .

وقال المسعودي : ملك أشك بن أشك بن دارا بن أشكان الأول منهم عشرين سنة ، ثم سابور ابنه ستين سنة وغزا بني إسرائيل بالشام ونهب أموالهم ، ولإحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى صلوات الله عليه بأرض فلسطين . ثم ملك عمّه جور عشرين سنة ، ثم نير بن سابور إحدى وعشرين سنة وفي أيامه غلب طيطش قيصر على بيت المقدس وخرّبها وأجلى منها اليهود كما مرّ . ثم جور بن نير تسع عشرة سنة ، ثم جرسى أخوه أربعين سنة ، ثم هرمز أخوها أربعين سنة ، ثم ابنه أردوان بن هرمز خمس عشرة سنة ، ثم ابنه كسرى بن أردوان أربعين سنة . ثم ابنه يلاوش بن كسرى أربعاً وعشرين سنة ، وفي أيامه غزت الروم السواد مع قيصر يطلبون بثأر أنطيوخس ملك

أنطاكية من اليونان الذي قتله أشك جدّ يلاوش هذا ، فجمع يلاوش العساكر واستنفر ملوك الطوائف بفارس والعراق فوجهوا له بالمدد واجتمع له أربعائة ألف من المقاتلة ، وولّى عليهم صاحب الحضرم وكان من ملوك الطوائف على السواد ، فزحف إلى قيصر فقتله واستباح عسكر الروم وقتل وفتح أنطاكية وانتهى إلى الخليج . وولّى من بعد يلاش إبنه أردوان بن يلاوش ثلاث عشرة سنة . ثم خرج عليه أردشير بن بابك بن ساسان وجمع مئلك فارس من أيدي ملوك الطوائف وجدّد الدولة الساسانية كما نذكر في أخبارهم .

قال الطبري : وفي أيام الطوائف كانت ولادة عيسى صلوات الله عليه لخمس وستين من غلب الإسكندر على بابل ولاحدى وخمسين من ملك الأشكانية ، والنصاري يزعمون أن ذلك كان لمضي ثلثمائة وثلاث وستين من غلب الإسكندر على بابل . قال الطبري : وجميع سني الطوائف من لدن الإسكندر إلى ظهور أردشير بن بابك واستوائه على الأمر مائتان وستون سنة ، وبعضهم يقول خمسمائة وثلاث وعشرون سنة . وقال بعضهم : ملك في هذه المدة منهم تسعون ملكا على تسعين طائفة كلهم يعظم ملوك المدائن منهم وهم الأشكانيون .

يا ي ط ح ز ج د ب
أردوان بن يلاوش بن كسرى بن أردوان بن هرمز بن فيروز بن سابور بن أشك بن
أشك بن دارا الأكبر

الطبقة الرابعة من الفرس وهم الساسانية والخبر عن ملوكهم الأكاسرة إلى حين الفتح الإسلامي

هذه الدولة كانت من أعظم الدول في الخليقة وأشدّها قوة وهي إحدى الدولتين اللتين صبحهما الإسلام في العالم وهما دولة فارس والروم . وكان مبدأ أمرها من توثب أردشير ابن بابك شاه ملك مرو ، وهو ساسان الأصغر ابن بابك بن سامان بن بابك بن هرمز بن ساسان الأكبر بن كي بهمن . وقد تقدّم ذكر كي بهمن وأنّ ابنه ساسان غضب لما توج للملك أخوه دارا وهو في بطن أمّه ، ولحق بجبال إصطخر فأقام هنالك وتناسل ولده بها إلى أن كان ساسان الأصغر منهم ، فكان قيما على بيت النار

لاصطخر ، وكان شجاعا ، وكانت إمرأته من بيت مُلك فولدت له ابنه بابك ، وُولد لبابك أردشير وضبطه الدارقطني : بالراء المهملة . وكان على إصطخر يومئذ ملك من ملوك الطوائف وله عامل على دار ايجرد خصي اسمه سري ، فلما أتت لأردشير سبع سنين جاء به جدّه ساسان إلى ملك إصطخر وسأله أن يضمه إلى عامل دار ايجرد الخصي يكفله إلى أن تتم تربيته ، ولما هلك عامل دار ايجرد أقام بأمره فيها أردشير هذا وملكها ، وكان له علم من المنجمين بأن الملك سيصير إليه ، فوثب على كثير من ملوك الطوائف بأرض فارس فاستولى عليهم ، وكتب إلى أبيه بذلك ، ثم وثب على عامل إصطخر فغلبه على ما بيده وملك إصطخر وكثيرا من أعمال فارس .

وكان زعيم الطوائف يومئذ أردوان ملك الأشكانيين فكتب إليه يسأله أن يتوجه فعتقه ، وكتب إليه بالشخص فامتنع ، وخرج بالعساكر من إصطخر وقدم موبدان رورين فتوجه ثم فتح كرمان وبها ملك من ملوك الطوائف ، وولى عليها ابنه ، وكتب إليه أردوان يتهدده وأمر ملك الأهواز من الطوائف أن يسير إليه فرجع مغلوبا . ثم سار أردشير إلى أصهبان فقتل ملكها واستولى عليها ، ثم إلى الأهواز فقتل ملكها كذلك ، ثم زحف إليه أردوان عميد الطوائف فهزمه أردشير وقتله وملك همذان والجبل وأذربيجان وأرمينية والموصل ثم السودان . وبنى مدينة على شاطئ دجلة شرقي المدائن . ثم رجع إلى إصطخر ففتح سجستان ثم جرجان ثم مرو وبلخ وخوارزم إلى تخوم خراسان ، وبعث بكثير من الرؤوس إلى بيت النيران ، ثم رجع إلى فارس ونزل صول وأطاعه ملك كوشان ومكران ثم ملك البحرين بعد أن حاصرها مدة ، وألقى ملكها بنفسه في البحر . ثم رجع فترل المدائن وتوجه ابنه سابور ، ولم يزل مظفرا وقهر الملوك حوله وأنخن في الأرض ، ومدن المدن واستكثر العمارة وهلك لأربع عشرة سنة من ملكه بإصطخر بعد مقتل أردوان .

وقال هشام بن الكلبي : قام أردشير في أهل فارس يريد الملك الذي كان لأبائه قبل الطوائف وأن يجمعه للملك واحد ، وكان أردوان ملكا على الاردوانيين وهم أنباط السواد ، وكان بابا ملكا على الأرمنيين وهم أنباط الشام ، وبينهما حرب وفتنة فاجتمعا على قتال أردشير فحارباها مناوبة . ثم بعث أردشير إلى بابا في الصلح على أن يدعه في الملك ويخلى بابا بينه وبين أردوان ، فلم يلبث أن قتل أردوان واستولى على السواد فأعطاه بابا الطاعة بالشام ودانت له سائر الملوك وقهرهم . ثم رجع إلى أمر

العرب وكانت بيوتهم على ريف العراق يتزلون الحيرة ، وكانوا ثلاث فرق : الأولى تنوخ ومنهم قضاة الذين كنا قدّمنا أنهم كانوا اقتتلوا مع ملك من التبابعة وأتى بهم وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويضعونها غربي الفرات بين الأنبار والحيرة وما فوقها فأنقوا من الإقامة في مملكة أردشير وخرجوا إلى البرية ، والثانية العبّاد الذين كانوا يسكنون الحيرة وأوطنوها ، والثالثة الأحلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الناكثين عن طاعة الفرس ولا من العبّاد الذين دانوا بهم . فملك هؤلاء الأحلاف الحيرة والأنبار وكان منهم عمرو بن عديّ وقومه ، فعمرّوا الحيرة والأنبار ونزلوا وخرّبوها وكاننا من بناء العرب أيام بختنصر ، ثم عمرها بنو عمرو بن عديّ لما أصاروها نزلًا^(١) لملكهم إلى أن أصبحهم الإسلام ، واختط العرب الإسلاميون مدينة الكوفة فدنّرت الحيرة .

وكان أردشير لمّا ملك أسرف في قتل الأشكانية حتى أفناهم لوصية جدّه ، ووجد بقصر أردوان جارية إستملحها ودفعت عن نفسها القتل بإنكار نسبها فيهم ، فقالت أنا مولاة وبكر ، فواقعها وحملت وظنّت الأمن على نفسها ، فأخبرته بنسبها فتنكّر ودفعها إلى بعض مرازيته ليقتلها ، فاستبقاها ذلك المرزبان إلى أن شكى إليه أردشير قلة الولد والخوف على ملكه من الانقطاع وندم على ما سلف منه من قتل الجارية وإتلاف الحمل ، فأخبره بحياتها وأنها ولدت ولدًا ذكرًا وأنه سمّاه سابور وأنه قد كملت خصاله وآدابه ، فاستحضره أردشير واختبره فرضيه وعقد له التاج .

ثم هلك أردشير فملك سابور من بعده فأفاض العطاء في أهل الدولة وتحير العمّال ، ثم شخص إلى خراسان فهدّ أمورها ، ثم رجع فشخص إلى نصّيين فملكها عنوة فقتل وسبى ، وافتتح من الشام مدنا وحاصر أنطاكية وبها من الملوك أريانوس فاقتحمها عليه وأسره وحمله إلى جنديسابور فحبسه بها إلى أن فاداه على أموال عظيمة ويقال على بناء شاذروان تستر ويقال جدع أنفه وأطلقه ويقال بل قتله ، وكان يجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضّر وبها ملك من الجرامقة يقال له الساطرون من ملوك الطوائف وهو الذي يقول فيه الشاعر :

وأرى الموت قد تدلى من الحضّر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنّا للسدّواهي ذا ثراء وجوهر مكنون

(١) بضم النون والزاي : المتزل ، بكسر فسكون : المجتمع ، وبفتح وكسر المكان الذي يتزل فيه (قاموس) .

وقال المسعودي : وهو الساطرون بن إستطرون من ملوك السريانيين . قال الطبري : وتسميه العرب الضيزن . وقال هشام بن محمد الكلبي : من قضاة وهو الضيزن بن معاوية بن العميد بن الأجدم بن عمرو بن النخع بن سليم ، وسندكر نسب سليم في قضاة . وكان بأرض الجزيرة وكان معه من قبائل قضاة ما لا يحصى وكان ملكه قد بلغ الشام ، فخلف سابور في غزاته إلى خراسان وعاث في أرض السواد ، فشخص إليه سابور عند انقضاء غزاته حتى أناخ على حصنه وحاصره أربع سنين قال الأعشى :

ألم تر للحضر إذ أهلـــــــــــــــهُ بنعمة وهل خالد من نعم
أقام به سابور الجنود حولين يضرب فيه القمم
ثم إن ابنة ساطرون واسمها النصيرة خرجت إلى رَبَضِ^(١) المدينة وكانت من أجمل
النساء ، وسابور كان جميلا ، فأشرفت عليه فشغفت به وشُغِفَ بها ، وداخلته في أمر
الحصن ودلّته على عورته فدخله عنوة وقتل الضيزن وأباد قضاة الذين كانوا معه
وأكثرهم بنو حلوان فانقرضوا ، وخرب حصن الحضَر . وقال عديّ بن زيد في
رثائه :

وأخو الحَضْرَ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ تَجَبَّى إِلَيْهِه والخِسابور
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلْسًا فَلَطِيرٌ فِي ذِرَاهُ وَكُورٌ
لَمْ يَهَيْبِهِ رِيحُ الْمُنُونِ فَبَا دَالْمُكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورٌ
ثُمَّ أَعْرَسَ بِالنَّضِيرَةِ بَعِينَ النَّمْرِ وَبَاتَ لَيْلَهَا تَتَضَوَّرُ فِي فِرَاشِهَا وَكَانَ مِنَ الْحَرِيرِ مَحْشُوبًا بِالْقَزِّ
وَالْقَسِيِّ فَإِذَا وَرَقَةٌ آسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفِرَاشِ تُؤْذِيهَا ، فَقَالَ : وَيَحْكُ مَا كَانَ أَبُوكَ
يَغْذِيكَ ؟ قَالَتْ الزَّبْدُ وَالْمُخُّ وَالشَّهْدُ وَصَفْوُ الْخَمْرِ ، فَقَالَ : وَأَيْبِكَ لَأَنَا أَحَدُثُ عَهْدًا
وَأَبْعَدُ وَدًا مِنْ أَيْبِكَ الَّذِي غَذَاكَ بِمِثْلِ هَذَا . وَأَمَرَ رَجُلًا رَكِبَ فَرَسًا جَمُوحًا وَعَصَبَ
غَدَائِرَهَا بِذَنْبِهِ وَلَمْ يَزَلْ يَرْكُضُهُ حَتَّى تَقْطَعْتَ أَوْصَالَهَا .

وعند ابن اسحق أنّ الذي فتح حصن الحَضَر وخرّبه وقتل الساطرون هو سابور ذو الأكتاف . وقال السهيلي : لا يصح لأنّ الساطرون من ملوك الطوائف والذي أزال ملكهم هو اردشير وابنه سابور ، وسابور ذو الأكتاف بعدهم بكثير هو التاسع من ملوك أردشير . قال السهيلي وأوّل من ملك الحيرة من ملوك الساسانية سابور بن

(١) الربض : ما حول المدينة من بيوت ومساكن ، سور المدينة أو الضاحية (قاموس).

أردشير ، والحيرة وسط بلاد السواد وحاضرة العرب ، ولم يكن لأحد قبله من آل ساسان حتى استقام العرب على طاعته ، وولّى عليهم عمرو بن عديّ جدّ آل المنذر بعده وأنزله الحيرة ، فجبى خراجهم وإتاوتهم واستعبدهم لسلطانه وقبض أيديهم عن الفساد باقطار ملكه وما كانوا يرومونه بسواد العراق من نواحي مملكته . وولّى بعده ابنه امرأ القيس بن عمرو بن عديّ وصار ذلك ملكا لآل المنذر بالحيرة توارثوه حسبا نذكر بعد .

وهلك سابور ثلاثين سنة من ملكه ووليّ بعده ابنه هرمز ويعرف بالبطل فلك سنة واحدة ، ووليّ بعده ابنه بهرام بن هرمز وكان عامله على مذحج من ربيعة ومضر وسائر بادية العراق والجزيرة والحجاز أمرؤ القيس بن عمرو بن عديّ وهو أول من تنصّر من ملوك الحيرة وطال أمداً ملكه . قال هشام بن الكلبي : ملك مائة وأربع عشرة سنة من لدن أيام سابوراه .

وكان بهرام بن هرمز حليماً وقوراً وأحسن السيرة واقتدى بآبائه ، وكان ماني الثنويّ الزنديق صاحب القول بالنور والظلمة قد ظهر في أيام جدّه سابور فاتبعه قليلاً ثم رجع إلى المجوسية دين آبائه ، ولمّا ولي بهرام بن هرمز جمع الناس لامتحانه ، فأشادوا بكفره وقتله وقالوا زنديق . قال المسعودي : ومعناه أنّ من عدل عن ظاهر إلى تأويله ينسبونه إلى تفسير كتاب زرادشت الذي قدّمنا أنّ اسمه زنده فيقولون زنديه فعربته العرب فقالوا زنديق ، ودخل فيه كل من خالف الظاهر إلى الباطن المنكر ، ثم اختص في عرف الشرع بمن يظهر الإسلام ويبطن الكفر .

ثم هلك بهرام بن هرمز ثلاث سنين وثلاثة أشهر من دولته ، ووليّ ابنه بهرام ثماني عشرة سنة عكف أولها على اللذات ، وامتدّت أيدي بطانته إلى الرعايا بالخور والظلم فخربت الضياع والقرى حتى نبّه الموبدان لذلك بمثل ضربه له ، وذلك أنّه سامره في ليلة فرّ راجعا من الصيد فسمعا بومين يتحدّثان في خراب ، فقال بهرام ليت شعري هل أحد فهم لغات الطير؟ فقال له الموبدان : نعم إنّنا نعرف ذلك أيها الملك وإنهما يتحاوران في عقد نكاح وإنّ الأنثى اشترطت عليه إقطاع عشرين ضيعة من الخراب فقبل الذكّر وقال : إذا دامت أيام بهرام أقطعتك ألفاً . فتفطّن بهرام لذلك وأفاق من غفلته وأشرف على أحوال ملكه مباشرة بنفسه وقابضاً أيدي البطانة عن الرعية وحسنت أيامه إلى أن هلك . ووليّ بعده بهرام بن بهرام بن بهرام ثلاثة أسماء

متشابهة وتلقب شاه ، وكان مملكاً على سجستان وهلك لأربع سنين من دولته . وملك بعده أخوه قرسين بن بهرام تسع سنين أخرى ، وكان عادلاً حسن السيرة . وملك بعده ابنه هرمز بن قرسين فوجل منه الناس لفظاظته ، ثم أبدل من خلقه الشر بالخير وسار فيهم بالعدل والرفق والعمارة وهلك لسبع سنين من ولايته . وكان هؤلاء كلهم يتزلون جنديسابور من خراسان . ولما هلك ولم يترك ولداً شق ذلك على أهل مملكته لميلهم إليه ووجدوا ببعض نسائه حملاً فتوجوه وانتظروا إتمامه ، وقيل بل كان هرمز أبوه أوصى بالملك لذلك الحمل فقام أهل الدولة بتدبير الملك ينتظرون تمام الولد .

وشاع في أطراف المملكة أنهم يتلومون^(١) صبيّاً في المهد فطمع فيهم الترك والروم ، وكانت بلاد العرب أدنى إلى بلادهم وهم أحوج إلى تناول الحبوب من البلاد لحاجتهم إليها بما هم فيه من الشظف وسوء العيش ، فسار منهم جمع من ناحية البحرين وبلاد القيس ووحاظة فأنأخوا على بلاد فارس من ناحيتهم وغلبوا أهلها على الماشية والحرث والمعيش ، وأكثر الفساد ومكثوا في ذلك حيناً ولم يغزهم أحد من فارس ولا دافعهم لصغر الملك ، حتى إذا كبر وعرضوا عليه الأمور فأحسن فيها الفصل وبلغ ست عشرة سنة من عمره^(٢) ، ثم أطاق حمل السلاح نهض حينئذ للاستبداد بملكه . وكان أول شيء ابتدأ به شأن العرب ، فجهّز إليهم العساكر وعهد إليهم أن لا يبقوا على أحد ممن لقوا منهم ، ثم شخص بنفسه إليهم وغزاهم وهم غازون ببلاد فارس فقتلهم وأبرح القتل ، وهربوا أمامه وأجاز البحر في طلبهم إلى الخطّ وتعدّى إلى بلاد البحرين قتلاً وتخريباً . ثم غزا بعدها رؤوس العرب من تميم وبكر وعبد القيس فأثنى فيهم وأباد عبد القيس ولحق فلهم بالرمال ثم أتى اليمامة فقتل وأسر وخرب ثم عطف إلى بلاد بكر وتغلب ، ما بين مملكة فارس ومناظر الروم بالشام ، فقتل من وجد هنالك من العرب وطمّ مياههم وأسكن من رجع إليه من بني تغلب دارين^(٣) من البحرين والخطّ من بني تميم هجروا من بكر بن وائل كرمان ويدعون بكر إياد ومن بني حنظلة الأهواز ، وبني مدينة الأنبار والكرخ والسوس . وفيما قاله غيره إن إياداً كان تشتو بالجزيرة وتصيف بالعراق وتشن الغارة . وكانت

(١) لا معنى لهذه الكلمة حسب سياق الجملة وربما تكون محرفة عن : يولون .

(٢) الأصح أن يقول : لما أطاق حمل السلاح .

(٣) بمعنى البلد .

تسمى طِمًا^(١) لانطباقها على البلاد ، وسابور يومئذ صغير حتى اذا بلغ القيام على ملكه شرع في غزوهم ورئيسهم يومئذ الحرث بن الأغَرّ الأيادي ، وكتب إليهم بالندرج بذلك رجل^(٢) من إياد كان بين ظهرائي الفرس ، فلم يقبلوا حتى واقعهم العساكر فاستلحمهم وخرجوا إلى أرض الجزيرة والموصل إجلاء ولم يعاودوا العراق . ولما كان الفتح طلبهم المسلمون بالجزيرة مع تغلب وغيرهم فأنفوا ولحقوا بأرض الروم . وقال السهيلي : عند ذكر سابور بن هرمز إنه كان يخلع أكتاف العرب ولذلك لقبه العرب ذو الأكتاف ، وأنه أخذ عمرو بن تميم بأرضهم بالبحرين وله يومئذ ثلثمائة سنة وإنه قال : إنما أقتلكم معاشر العرب لأنكم تزعمون أن لكم دولة . فقال له عمرو بن تميم : ليس هذا من الحزم أيها الملك فإن يكن حقا فليس قتلك إياهم بدافعه وتكون قد اتخذت يدا عندهم ينتفع بها ولدك وأعقاب قومك . فيقال إنه استبقاه ورحم كبره .

ثم غزا سابور بلاد الروم وتوغل فيها ونازل حصونهم ، وكان ملوك الروم على عصره قسطنطين وهو أول من تنصّر من ملوكهم وهلك قسطنطين وملك بعده إليانوس من أهل بيته وانحرف عن دين النصرانية وقتل الاساقفة وهدم البيع وجمع الروم وانحدر لقتال سابور . واجتمعت العرب معهم لثأرهم عند سابور بمن قتل منهم وسار قائد إليانوس واسمه يوسانوس في مائة وسبعين ألفا من المقاتلة ، حتى دخل أرض فارس ، وبلغ خبره وكثرة جموعه إلى سابور فأحجم عن اللقاء وأجفل وصحبه العرب ، ففضوا جموعه وهرب في فلّ من عسكره ، واحتوى إليانوس على خزائنه وأمواله واستولى على مدينة طيسون من مدائن ملكه . ثم استنفر أهل النواحي واجتمعت إليه فارس وارتجع مدينة طيسون وأقاما متظاهرين ، وهلك إليانوس بسهم أصابه ، فبقي الروم فوضى وفرعوا إلى يوسانوس القائد أن يملكوه ، فشرط عليهم الرجوع إلى دين النصرانية كما كان قسطنطين فقبلوا . وبعث إليه سابور في القدوم عليه ، فسار إليه في ثمانين من أشرف الروم ، وتلقاه سابور وعانقه وبالغ في إكرامه وعقد معه الصلح على

(١) الطم : البحر ، العدد الكثير (قاموس)

(٢) ربما كان يقصد به لقيطاً بن يعمر الأيادي ، وكان كاتباً في البلاط الفارسي ومن قصيدته المنذرة :

يا أيها الراكب المزجي مطيته
لا تلهكم إبـل ليست لكم إبـل
إلى الجزيرة مرثاداً ومتجعجعا
إن العدو بعظم منكم قرععا

أن يعطي الروم قيمة ما أفسدوه من بلاد فارس وأعطوا بدلا عن ذلك نصيبين فرضي بها أهل فارس ، وكانت مما أخذه الروم من أيديهم فملكها سابور وشرّد عنها أهلها خوفا من سطوته ، فنقل إليها من أهل إصطخر وأصبهان وغيرهما . وانصرف يوسانوس بالروم وهلك عن قرب ورجع سابور إلى بلاده .

وفيا نقله بعض الإخباريين إن سابور دخل بلاد الروم متنكرا وعثر عليه فأخذ وحبس في جلد ثور وزحف ملك الروم بعساكره إلى جنديسابور فحاصرها ، وإن سابور هرب من حبسه ودخل جنديسابور المدينة ثم خرج إلى الروم فهزمهم وأسر ملكهم قيصر ، وأخذه بعارة ما خرّب من بلاده ونقل التراب والغروس إليها ثم قطع أنفه وبعث به على حمار إلى قومه ، وهي قصة واهية تشهد العادة بكذبا .

ثم هلك سابور لاثنتين وسبعين سنة من ملكه وهو الذي بنى مدينة نيسابور وسجستان وبنى الإيوان المشهور لمقعد ملوكهم ، وملك لعهد أمرو القيس بن عديّ ، وأوصى بالملك لأخيه أردشير بن هرمز ، وفك في أشرف فارس وعظائمهم فخلعوه لأربعين سنة من دولته . وملكوا سابور بن ذي الأكتاف فاستبشر الناس برجوع ملك أبيه إليه ، وأحسن السيرة ورفق بالرعية وحمل على ذلك العمّال والوزراء والحاشية ولم يزل عادلا ، وخضع له عمه أردشير المخلوع ، وكانت له حروب مع إياد وفي ذلك يقول شاعرهم :

على رغم سابور بن سابور أصبحت قبابُ إياد حولها الخيل والنعم
وقيل إن هذا الشعر إنما قيل في سابور ذي الأكتاف . ثم هلك سابور لخمس سنين من دولته ، وملك أخوه بهرام ويلقب كرمان شاه وكان حسن السياسة وهلك لإحدى عشرة سنة من دولته رماه بعض الرماة بسهم في القتال فقتله . وملك بعده ابنه يزدرجدر الأثيم ، وبعض نسابة الفرس يقول إنّه أخوه ولي ابنه وإنّا هو ابن ذي الأكتاف . وقال هشام بن محمد : كان فظاً غليظا كثير المكر والخديعة يفرغ في ذلك عقله وقوة معرفته وكان معجبا برأيه سيء الخلق كثير الحدة يستعظم الزلة الصغيرة ويردّ الشفاعة من أهل بطانته متبها للناس قليل المكافاة . وبالجملّة فهو سيء الأحوال مذمومها واستوزر ، لأول ولايته برسيّ الحكيم ويسمى فهر برشي ومهر مرسة ، وكان متقدّما في الحكمة والفضائل وأمل أهل المملكة أن تهرب من يزدرجدر الأثيم ، فلم يكن ذلك واشتدّ أمره على الأشراف بالاهانة وعلى من دونهم بالقتل . وبينما هو جالس في

مجلسه يوما إذا بفرس^(١) عابر لم يطق أحد إمساكه قد وقف ببابه ، فقام إليه ليتولى إمساكه بنفسه فرمحه فمات لوقته لاحدى وعشرين سنة من ملكه .

وملك بعده ابنه بهرام بن يزديجرد ويلقب بهرام جور ، وكان نشوؤه ببلاد الحيرة مع العرب أسلمه أبوه إليهم فربي بينهم وتكلم بلغتهم ولما مات أبوه قدم أهل فارس رجلا من نسل أردشير ، ثم زحف بهرام جور بالعرب فاستولى على ملكه كما نذكر في أخبار آل المنذر . وفي أيام بهرام جور سار خاقان ملك الترك إلى بلاد الصغد من ممالكه فهزمه بهرام وقتله ، ثم غزا الهند وتزوج ابنة ملكهم فهابته ملوك الأرض ، وحمل إليه الروم الأموال على سبيل المهادنة ، وهلك لتسع وعشرين من دولته .

وملك ابنه يزديجرد بن بهرام جور واستوزر مهر برسي الحكيم الذي كان أبوه استوزره ، وجرى في ملكه بأحسن سيرة من العدل والاحسان ، وهو الذي شرع في بناء الحائط بناحية الباب والأبواب ، وجعل جبل الفتح سدا بين بلاده وما وراءها من أمم الأعاجم ، وهلك لعشرين سنة من دولته .

وملك من بعده ابنه هرمز وكان ملكا على سجستان فغلب على الدولة ولحق أخوه فيروز بملك الصغد بمرور الروذ . وهذه الأمم هم المعروفون قديما بالهياطلة وكانوا بين خوارزم وفرغانة ، فأمر فيروز بالعساكر وقاتل أخاه هرمز فغلبه وحبسه . وكانت الروم قد امتنعت من حمل الخراج فحمل إليهم العساكر مع وزيره مهر برسي ، فأثنى في بلادهم حتى حملوا ما كان يحملونه واستقام أمره وأظهر العدل . وأصابهم القحط في دولته سبع سنين فأحسن تدبير الناس فيها وكفّ عن الجباية وقسم الأموال ، ولم يهلك في تلك السنين أحد إتلافاً . وقيل أنه استسقى لرعيته من ذلك القحط فسقوا وعادت البلاد إلى أحسن ما كانت عليه . وكان لأول ما ملك أحسن إلى الهياطلة جزاء بما أعانوه على أمره ، ففوي ملكهم أمره وزحفوا إلى أطراف ملكه وملكوا طخارستان وكثيرا من بلاد خراسان وزحف هو إلى قتالهم فهزموه وقتلوه وأربعة بنين له وأربعة إخوة واستولوا على خراسان بأسرها . وسار إليهم رجل من عظماء الفرس من أهل شيراز فغلبهم على خراسان وأخرجهم منها حتى ألقوا بجميع ما أخذوه من عسكر فيروز من الأسرى والسبي ، وكان مهلكه لسبع وعشرين من ملكه . وبنى المدن بالري

(١) وردت هذه القصة في كتاب التاج للجاحظ ص ٢٧٤ : « ... وقالت الفرس ، هذا ملك من الملائكة جعله الله في صورة فرس ، فبعثه لقتل يزديجرد لما ظلم الرعية وعاث في الأرض » .

وجرجان وأذربيجان .

وقال بعضهم : إنَّ ملك الهياطلة الذي سار إلى فيروز اسمه خشتوا^(١) ، والرجل الذي استرجع خراسان من يده هو خرشوس من نسل منوشهر ، وإن فيروز استخلفه لما سار إلى خشتوا والهياطلة على مدينتي الملك وهما طبسون ونهرشير ، فكان من أمره مع الهياطلة بعد فيروز ما تقدّم .

وملك بعد فيروز بن يزدجرد ابنه يلاوش بن فيروز ونازعه أخوه قباد الملك فغلبه يلاوش ولحق قباد بخاقان ملك الترك يستنجده . وأحسن يلاوش الولاية والعدل وحمل أهل المدن على عمارة ما خرب من مدنها ، وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن ، وهلك لأربع سنين من دولته . وملك من بعده أخوه قباد بن فيروز وكان قد سار بعساكر الترك أمدّه بها خاقان ، فبلغه الخبر بمهلك أخيه وهو بنيسابور من طريقه ، وقد لقي بها إبناً كان له هنالك حملت به أمّه منه عند مروره ذلك إلى خاقان ، فلما أحل بنيسابور ومعه العساكر سأل عن المرأة ، فأحضرت معها الخبر وجاء الخبر هنالك بمهلك أخيه يلاوش فتمتّ بالمولود وسار إلى سرحد الذي كان أبوه فيروز استخلفه على المدائن ، ومال الناس إليه دون قباد واستبدّ عليه . فلما كبر وبلغ سن الاستبداد بأمره أنف من استبداد سرحد عليه ، فبعث إلى أصبهج البلاد وهو سابور مهران فقدم عليه وقبض على سرحد وحبسه ثم قتله ولعشرين من دولته حبس وخلع . ثم عاد إلى الملك وصورة الخبر عن ذلك أنّ مزدك الزنديق كان إباحياً ، وكان يقول باستباحة أموال الناس وأنها فيء ، وأنه ليس لأحد ملك شيء ولا حجره ، والأشياء كلها ملك لله مشاع بين الناس لا يختص به أحد دون أحد وهو لمن اختاره ، فعثر الناس منه على متابعة مزدك في هذا الاعتقاد واجتمع أهل الدولة فخلعوه وحبسوه ، وملكوا جاماسات أخاه .

وخرج رزمهر شاكيا داعياً لقباذ ويقرب إلى الناس بقتل المزدكية ، وأعاد قباد إلى ملكه ، ثم سعت المزدكية عنده في رزمهر بإنكار ما أتى قبلهم فقبله ، واتهمه الناس برأي مزدك فانتقضت الأطراف وفسد الملك وخلعوه وحبسوه وأعادوا جاماسات . وقر قباد من محبسه ولحق قباد بالهياطلة وهم الصغد مستجيشاً لهم ، ومرّ في طريقه بأبو شهر فتزوج بنت ملكها وولدت له أنوشروان ، ثم أمدّه ملك الهياطلة ، فزحف إلى

(١) وفي الكامل : أخشنوار .

المدائن لست سنين من مغيبه وغلب أخاه جاماسات واستولى على الملك . ثم غزا بلاد الروم وفتح آمد وسبى أهلها وطالت مدته وابتنى المدن العظيمة منها مدينة أرجان بين الأهواز وفارس ، ثم هلك لثلاث وأربعين سنة من ملكه في الكرة الأولى .

وملك ابنه أنوشروان بن قباد بن فيروز بن يزدجرد ، وكان يلي الأصبهذ وهي الرياسة على الجنود ، ولما ملك فرق أصبهذ البلاد على أربعة فجعل : أصبهذ المشرق بخراسان والمغرب بأذربيجان وبلاد الخزر واستردّ البلاد التي تغلب عليها جيران الأطراف من الملوك مثل السند وبست الرُخج وزابلستان وطخارستان ودهستان . وأثنى في أمة البارز وأجلى بقيتهم ، ثم أدهنوا واستعان بهم في حروبه . وأثنى في أمة صول واستلحمهم ، وكذلك الجرامقة وبلنجر واللان وكانوا يحاورون أرمينية ويتملاؤن على غزوها فبعث إليهم العساكر واستلحموهم وأنزل بقيتهم أذربيجان . وأحكم بناء الحصون التي كان بنائها قباد وفيروز بناحية صول واللان لتحصين البلاد ، وأكمل بناء الأبواب والسور الذي بناه جدّه بجبل الفتح ، بنوه على الأزماق المنفوخة تقوص في الماء كلما ارتفع البناء إلى أن استقرّت بقعر البحر وشقت بالخناجر فتمكن الحائط من الأرض ثم وصل السور في البرما بين جبل الفتح والبحر ، وفتحت فيه الأبواب ثم وصلوه في شعاب الجبل وبقي فيه إلى أن كمل . قال المسعودي : إنه كان باقيا لعصره . والظنّ أن التتر خربوه بعدلما استولوا على ممالك الإسلام في المائة السابعة ، ومكانه اليوم في مملكة بني ذو شيوخان ملوك الشمال منهم . وكان لكسرى أنوشروان في بنائه خبر مع ملوك الخزر .

ثم استفحل ملك الترك زحف خاقان سيحور وقتل ملك الهياطلة واستولى على بلادهم وأطاعه أهل بلنجر وزحف إلى بلاد صول في عشرة آلاف مقاتل ، وبعث إلى أنوشروان يطلب منه ما أعطاه أهل بلنجر في الفداء ، وضبط أنوشروان أرمينية بالعساكر ، وامتنعت صول بملكها أنوشروان والناحية الأخرى بسور الأبواب ، فرجع خاقان خائبا .

وأخذ أنوشروان في إصلاح السابلة والأخذ بالعدل وتفقد أهل المملكة وتحير الولاة والعَمال مقتديا بسيرة أردشير بن بابك جدّه . ثم سار إلى بلاد الروم وافتتح حلب وقبرص وحمص وانطاكية ومدينة هرقل ثم الاسكندرية ، وضرب الجزية على ملوك القبط ، وحمل إليه ملك الروم الفدية ، وملك الصين والتبت الهدايا . ثم غزا بلاد

الخزر وأدرك فيهم بثأره وما فعلوه ببلادهم . ثم وفد عليه ابن ذي يزن من نسل الملوك
التبابعة يستجيشه على الحبشة فبعث معه قائدا من قواده في جند من الديلم فقتلوا
مسروقا ملك الحبشة باليمن وملكوها ، وملك عليهم سيف بن ذي يزن . وأمره أن
يبعث عساكره إلى الهند فبعث إلى سرديب قائدا من قواده فقتل ملكها واستولى عليها
وحمل إلى كسرى أموالا جمّة . وملك على العرب في مدينة الحيرة . ثم سار نحو
الهياطلة مطالباً بثأر جدّه فيروز فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته ، وتجاوز بلخ وما
وراءها ، وأنزل عساكره فرغانة وأنخن في بلاد الروم وضرب عليهم الجزى . وكان
مكرما للعلماء محبا للعلم وفي أيامه ترجم كتاب كليلية وترجمه من لسان اليهود ^(١) وحله
بضرب الأمثال ويحتاج إلى فهم دقيق . وعلى عهده ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لإثنتين وأربعين سنة من ملكه وذلك عام الفيل . وكذلك ولد أبوه عبدالله بن عبد
المطلب لأربع وعشرين من ملكه .

قال الطبري : وفي أيامه رأى الموبدان الإبل الصعاب تقود الخيل العرب وقد قطعت
دجلة وانتشرت في بلادها فأفزع ذلك ، وقصّ الرؤيا على من يعبرها ، فقال : حادث
يكون من العرب . فكتب كسرى إلى النعمان أن يبعث إليه بمن يسأله عما يريد فبعث
إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حسان بن نفيلة الغساني وقصّ عليه الرؤيا فدله على
سطيح ، وقال له : إئت أنت فسار إليه وقصّ عليه الرؤيا فأخبره بتأويلها وأن ملك
العرب سيظهر والقصة معروفة . وكان فيما قاله سطيح إنه يملك من آل كسرى أربعة
عشر ملكا فاستطال كسرى المدّة وملكوا كلهم في عشرين سنة أو نحوها .

وبعث عامل اليمن وهرز بهديّة وأموال وطرف من اليمن إلى كسرى ، فأغار عليها بنو
يربوع من تميم وأخذوها ، وجاء أصحاب العير إلى هوزة بن عليّ ملك اليمامة من بني
حنيفة ، فسار معهم إلى كسرى فأكرمه وتوجه بعقد من لؤلؤ ومن ثمّ قيل له ذو
التاج ، وكتب إلى عامله بالبحرين في شأنهم ، وكان كثيرا ما يوقع بيني تميم ويقطعهم
حتى سمّوه المكفّر فتحيل عليهم بالميرة ، وناذى مناديه في أحيائهم : إن الأمير يقسم
فيكم بحصن المشعر ميرة ، فتسايلوا ^(٢) إليه ودخلوا الحصن ، فقتل الرجال وخصى

(١) ترجم الكتاب من اللغة الهندية . وفي مقدمة هذا الكتاب عرض وافي لكيفية الحصول عليه من المكتبة
الهندية .

(٢) أي قدموا من كل جهة كالسيل .

الصبيان . وجاءت هدية أخرى من اليمن على أرض الحجاز أجازها رجل من بني كنانة فعدت عليه قيس وقتلوه وأخذوا الهدية ، فنشأت الفتنة بين كنانة وقيس لأجل ذلك وكانت بينهما حرب الفجار عشرين سنة وشهدا رسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرا كان ينبل على أعمامه . ثم هلك أنوشروان ثمان وأربعين من دولته وملك ابنه هرمز .

قال هشام : وكان عادلا حتى لقد أنصف من نفسه خصيًّا كان له ، وكانت له خولة في الترك وكان مع ذلك يقتل الأشراف والعلماء ، وزحف إليه ملك الترك شبابة في ثلثمائة ألف مقاتل ، فسار هرمز إلى هراة وباذغيس لحرهم ، وخالفه ملك الروم إلى ضواحي العراق ، وملك الخزر إلى الباب والأبواب ، وجموع العرب إلى شاطيء الفرات . فعاثوا في البلاد ونهبوا واكتنفته الأعداء من كل جانب ، وبعث قائده بهرام صاحب الري إلى لقاء الترك ، وأقام هو بمكانه من خراسان بيت هراة وباذغيس ، وقاتل بهرام الترك وقتل ملكهم شبابة بسهم أصابه واستباح معسكره وأقام بمكانه . فرحف إليه برمومة بن شبابة بالترك فهزمه بهرام وحاصره في بعض الحصون حتى استسلم وبعث به إلى هرمز أسيرا ، وبعث معه بالأموال والجواهر والآنية والسلاح وسائر الأمتعة يقال في مائتين وخمسين ألفا من الأحمال ، فوقع ذلك من هرمز أحسن المواقع . وغص أهل الدولة ببهرام وفعله فأكثروا فيه السعاية وبلغ الخبر إلى بهرام فخشيته على نفسه فداخل من كان معه من المرازبة وخلعوا هرمز ، ودعوا لابنه أبرويز وداخلهم في ذلك أهل الدولة ، فلحق أبرويز بأذربيجان خائفا على نفسه ، واجتمع إليه المرازبة والأصبهانيون فلكوه . ووثب بالمدائن الأشراف والعظماء ونفدويه . وبسطام خال أبرويز فخلعوا هرمز وحبسوه تحرزا من قتله .

وأقبل أبرويز بمن معه إلى المدائن فاستولى على الملك ، ثم نظر في أمر بهرام وتحرز منه وسار إليه وتوافقا بشط النهر^(١) ، ودعاه أبرويز إلى الدخول في أمره ويشترط ما أحب ، فلم يقبل ذلك وناجزه الحرب فهزمه . ثم عاود الحرب مرارا وأحس أبرويز بالقتل من أصحابه فرجع إلى المدائن منهزما ، وعرض على النعمان أن يركبه فرسه فنجا عليها . وكان أبوه محبوسا بطبسون فأخبره الخبر وشاوره فأشار عليه بقصد موريق ملك الروم يستجيشه ، ففسي لذلك ونزل المدائن لإثنتي عشرة سنة من ملكه .

(١) ثلاث قرى بين واسط وبغداد .

وفي بعض من طرق هذا الخبر أنّ أبرويز لمّا استوحش من أيّه هرمز لحق بأذربيجان واجتمع عليه من اجتمع ولم يحدث شيئا . وبعث هرمز لمحاربة بهرام قائداً من مرابته فانهزم وقتل ورجع فلهم إلى المدائن وبهرام في أتباعهم ، واضطرب هرمز وكتب إلى أخت المرزبان المهزوم من بهرام تستحثه للملك فسار إلى المدائن وملك ، وأتاه أبوه فتواضع له أبرويز وتبرأ له من فعل الناس وأنه إنّما حمّله على ذلك الخوف ، وسأله أن يستقم له ممن فعل به ذلك وأن يؤنسه بثلاثة من أهل النسب والحكمة يحادثهم كل يوم فأجابته ، واستأذنه في قتل بهرام جوبين فأشار به . وأقبل بهرام حينئذ وبعث خاليه نفدويه وبسطام يستدعيانه للطاعة فردّ أسوأ ردّ وقاتل أبرويز واشتدّت الحرب بينهما ، ولما رأى أبرويز فشل أصحابه شاور أباه ولحق بملك الروم ، وقال له خاله عند وصولهم من المدائن : نخشى أن يدخل بهرام المدائن ويملك أباك وبعث فينا إلى ملك الروم . وانطلقوا إلى المدائن فقتلوا هرمز ثم ساروا مع أبرويز وقطعوا الفرات ، واتبعتهم عساكر بهرام وقد وصلوا إلى تخوم الروم وقاتلوهم وأسروا نفدويه خال أبرويز ورجعوا عنهم . ولحق أبرويز ومن معه بأنطاكية وبعث إلى قيصر موريق يستنجد به فأجابته وأكرمه وزوّجه ابنته مريم ، وبعث إليه أخاه بناطوس بستين ألف مقاتل وقائدهم ، واشترط عليه الإتاوة التي كان الروم يحملونها ، فقبل وسار بالعساكر إلى أذربيجان ووافاه هنالك خاله نفدويه هارباً من الأسر الذي كانوا أسروه . ثم بعث العساكر من أذربيجان مع أصبهذ الناحية ، فانهزم بهرام جوبين ولحق بالترك وسار أبرويز إلى المدائن فدخلها وفرق في الروم عشرين ألف ألف دينار وأطلقهم إلى قيصر .

وأقام بهرام عند ملك الترك وصانع أبرويز عليه ملك الترك وزوجته حتى دست عليه من قتله ، واغتم لذلك ملك الترك وطلقها من أجله ، وبعث إلى أخت بهرام أن يتزوجها فامتنعت ، ثم أخذ أبرويز في مهادة قيصر موريق وألطفه ، وخلعه الروم وقتلوه وملّكوا عليهم ملكاً اسمه قوفا قيصر ، ولحق ابنه بأبرويز فبعث العساكر على ثلاثة من القواد وسار أحدهم ودّخوا الشام إلى فلسطين ، ووصلوا إلى بيت المقدس فأخذوا أسقفها ومن كان بها من الأقسّة وطالبوهم بخشب الصليب فاستخرجوها من الدفن وبعثوا بها إلى كسرى ، وسار منهم قائد آخر إلى مصر واسكندرية وبلاد النوبة فلكوا ذلك كلّهُ ، وقصد الثالث قسطنطينية وخيم على الخليج وعاث في ممالك الروم .

ولم يجب أحد إلى طاعة ابن موريق وقتل الروم قُوماً الذي كانوا مملوكوه لما ظهر من فجوره ، وملكوا عليهم هرقل فافتتح أمره بغزو بلاد كسرى وبلغ نصيبين ، فبعث كسرى قائداً من أساورته فبلغ الموصل وأقام عليها يمنع الروم المجاوزة ، وجاز هرقل من مكان آخر إلى جند فارس ، فأمر كسرى قائده بقتاله فانهزم وقتل وظفر هرقل بحصن كسرى وبالمدائن ، ووصل هرقل قريباً منها ثم رجع . وأولع كسرى العقوبة بالجنح المنهزمين ، وكتب إلى سخراب بالقدوم من خراسان وبعثه بالعساكر ، وبعث هرقل عساكره والتقى بأذرعات وبصرى^(١) فغلبتهم عساكر فارس ، وسار سخراب في أرض الروم يخرب ويقتل ويسبي حتى بلغ القسطنطينية ، ورجع وعزله أبرويز عن خراسان وولى أخاه .

وفي مناوبة هذا الغلب بين فارس والروم نزلت الآيات من أول سورة الروم . (قال الطبري) : وأدنى الأرض التي أشارت إليها الآية هي أذرعات وبُصرى التي كانت بها هذه الحروب . ثم غلبت الروم لسبع سنين من ذلك العهد وأُخبر المسلمون بذلك الوعد الكريم لما أُهمُّهم من غلب فارس الروم ، لأن قريشاً كانوا يتشيعون لفارس لأنهم غير دائنين بكتاب ، والمسلمون يودّون غلب الروم لأنهم أهل كتاب ، وفي كتب التفسير بسط ما وقع في ذلك بينهم .

وأبرويز هذا هو الذي قتل النعمان بن المنذر ملك العرب وعامله على الحيرة سخطه بسعاية عديّ بن زيد العبادي وزير النعمان ، وكان قد قتل أباه وبعثه إلى كسرى ليكون عنده ترجيماً للعرب كما كان أبوه قد فعل بسعايته في النعمان وحمله على أن يخطب إليه إبنته ، وبعث إليه رسوله بذلك عديّ بن زيد فترجم له عنه في ذلك مقالة قبيحة أحفظت كسرى أبرويز مع ما كان تقدّم له في منعه الفرس يوم بهرام كما تقدّم ، فاستدعاه أبرويز وحبسه بساباط ، ثم أمر به فطرح للقبلة^(٢) ، وولى على العرب بعده أياس بن قبيصة الطائي جزاءً بوفاء ابن عمه حسان يوم بهرام كما تقدّم .

(١) بلد في الشام مشهورة بصناعة السيوف .

(٢) (المعروف في كتب الأدب أن النعمان زوج ابنة عدي ، وإن بني مرينا - وهي أسرة تكره بني ايوب : أسرة عدي - قد أحفظها هذا الزواج الذي أدى إلى ملكية النعمان لأنها كانت تريد أن يتولى الملك ولد آخر من أولاد المنذر الرابع فأخذت تتقرب إلى النعمان وتدس الدسائس على عدي - فغضب عليه النعمان وسجنه فشفع به كسرى فأخفقت الشفاعة ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل زاد النعمان على ذلك قتل عدداً فغضب زيد ابنه ودبر مكيدة دفعت كسرى لقتل النعمان) .

ثم كان على عهده وقعة ذي قار لبكر بن وائل ومن معهم من عبّس ونمّج على الباهوت مسلحة كسرى بالحيرة ومن معه من طيء ، وكان سببها أنّ النعمان بن المنذر أودع سلاحه عند هانيء بن مسعود الشيباني وكانت شِكَّة ألف فارس ، وطلبها كسرى منه ، فأبى إلا أن يردها إلى بيته ، فأذنه كسرى بالحرب وأذنوه بها . وبعث كسرى إلى أياس أن يزحف إليه بالمسالح التي كانت ببلاد العرب بأن يوافوا أياسا ، واقتتلوا بذي قار وانهمزت الفرس ومن معهم . وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اليوم انتصف العرب من العجم وبني نُصِرُوا أوحى إليه بذلك أو نفث في روعه ، قيل إن ذلك كان بمكة وقيل بالمدينة بعد وقعة بدر بأشهر .

وفي أيام أبرويز كانت البعثة لعشرين من ملكه وقيل لإثنتين وثلاثين حكاها الطبري ، وبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعو إلى الإسلام ، كما تقدّم في أخبار اليمن وكما يأتي في أخبار الهجرة .

ولما طال ملك أبرويز بَطَرٌ وأَشِرَ وخَسِرَ الناس في أموالهم وولّى عليهم الظِّلْمَةَ وضيق عليهم المعاش وبغض عليهم ملكه . وقال هشام : جمع أبرويز من المال ما لم يجمعه أحد ، وبلغت عساكره القسطنطينية وأفريقية ، وكان يشترى بالمداخن ويصيّف بهمدان ، وكان له اثنتا عشرة ألف امرأة ، وألف فيل وخمسون ألف دابة . وبنى بيوت النيران وأقام فيها اثني عشر ألف هربرد وأحصى جبايته ثمان عشرة سنة من ملكه فكان أربعائة ألف ألف مكررة مرتين وعشرون ألف ألف مثلها فحمل إلى بيت المال بمدينة طَبَسُون ، وكانت هنالك أموال أخرى من ضرب فيروز بن يزدجرد منها اثنا عشر ألف بدرة في كل بدرة من الورق مصارفة أربعة آلاف مثقال فتكون جملتها ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال مكررة مرتين في صنوف من الجواهر والطيوب والأمتعة والآنية لا يحصها إلا الله تعالى . ثم بلغ من عتوه واستخفافه بالناس أنه أمر بقتل المقيدين في سجونه وكانوا ستة وثلاثين ألفاً ، فنقم ذلك عليه أهل الدولة وأطلقوا ابنه شيرويه واسمه قَبَاد وكان محبوساً مع أولاده كلهم لاندثار بعض المنجمين له بأن بعض ولده يغتاله فحبسهم ، وأطلق أهل الدولة شيرويه وجمعوا إليه المقيدين الذين أمر بقتلهم ، ونهض إلى قصور الملك بمدينة نهرشير فلكها وحبس أبرويز وبعث إلى ابنه شيرويه يعتقه ، فلم يرض ذلك أهل الدولة وحملوه على قتله ، وقتل ثمان وثلاثين سنة من ملكه ، وجاءته أختاه بُوران وأزرميدخت فأسمعتاه وأغلظتا له فيما فعل فبكى

ورمى التاج عن رأسه ، وهلك لثمانية أشهر من مقتل أبيه في طاعون وهلك فيه نصف الناس أو ثلثهم ، وكان مهلكه لسبع من الهجرة فيما قال السهيلي .

ثم ولي ملك الفُرس من بعده ابنه أردشير طفلا ابن سبع سنين لم يحدا من بين الملك سواه لأن أبرويز كان قتل المرشحين كلهم من بنيه وبني أبيه ، فللك عظماء فارس هذا الطفل أردشير وكفله بهادرخشنش صاحب المائدة في الدولة ، فأحسن سياسة ملكه وكان شهريران بتخوم الروم في جند ضمتهم إليه أبرويز وحموهم هنالك وصاحب الشورى في دولتهم ، ولما لم يشاوروه في ذلك غضب وبسط يده في القتل ، وطمع في الملك وأطاعه من كان معه من العساكر . وأقبل الى المدائن وتحصن بهادرخشنش بمدينة طبسون دار الملك ، ونقل إليها الأموال والذخائر وأبناء الملوك ، وحاصرها شهريران فامتنعت ، ثم داخل بعض العسس ففتحوا له الباب فاقتحمها وقتل العظماء واستصفى الأموال وفضح النساء .

وبعث أردشير الطفل الملك من قتله لسنة ونصف من ملكه ، وملك شهريران على التخت ولم يكن من بيت الملك ، وامتنع لقتل أردشير جماعة من عظماء الدولة وفيهم زاذان فروخ وشهريران ووهب مؤدب الأساورة ، وأجمعوا على قتل شهريران . وداخلوا في ذلك بعض حرس الملك فتعاقدوا على قتله ، وكانوا يعملون قدام الملك في الأيام والمشاهد سيماطين ، ومر بهم شهريران بعض أيام بين السباطين وهم مسلحون فلما حاذاهم طعنوه فقتلوه وقتلوا العظماء بعد قتل أردشير الطفل .

ثم ملكوا بوران بنت أبرويز ودفعت أمر الدولة إلى (١) قبائل شهريران من حرس الملك وهو فروخ بن ماخدشيراز من أهل إصطخر ، ورفعت رتبته ، وأسقطت الخراج عن الناس ، وأمرت برم القناطير والجسور وضرب الورق ، وردت خشبة الصليب على الجاثليق ملك الروم ، وهلكت لسنة وأربعة أشهر . وملكوا بعدها خشنشده من عمومة أبرويز عشرين يوما فللك أقل من شهر . ثم ملك أزميدخت بنت أبرويز وكانت من أجل نسائهم ، وكان عظيم فارس يومئذ فروخ هُرمز أصهبذ خراسان فأرسل إليها في التزويج ، فقالت هو حرام على الملكة ودعته ليلة كذا ، فجاء وقد عهدت إلى صاحب حرسها أن يقتله ففعل ، فأصبح بدار الملك قتيلا وأخفى أثره . وكان لما سار إلى أزميدخت استخلف على خراسان ابنه رستم ، فلما سمع بخبر أبيه

(١) الواضح من سياق الجملة ان كلمة سقطت اثناء النسخ فتكون الجملة (الى رجل من قبائل شهريران).

أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن وملكها ، وسمل أزميدخت وقتلها ، وقيل سمها فانت وذلك لسته أشهر من ملكها ، وملكوا بعدها رجلا من نسل أردشير بن بابك وقتل لأيام قلائل ، وقيل بل هو من ولد أبرويز اسمه فروخ زاذ بن خسرو وجدوه بحصن الحجارة قريب نصيبين ، فجاءوا به إلى المدائن وملكوه ثم عصوا عليه فقتلوه . وقيل لما قتل كسرى بن مهرخشش طلب عطاء فارس من يولونه الملك ولو من قبل النساء ، فأتى برجل وجد بميسان اسمه فيروز بن مهرخشش ويسمى أيضا خشنشدة أمه صهاربخت بنت يرادقرار بن أنوشروان فملكوه كرها ، ثم قتلوه بعد أيام قلائل . ثم شخص رجل من عطاء الموالي وهو رئيس الخول إلى ناحية الغرب ، فاستخرج من حصن الحجارة قرب نصيبين ابناً لكسرى كان لجأ إلى طبسون فملكوه ، ثم خلعه وقتلوه لسته أشهر من ملكه .

وقال بعضهم : كان أهل إصطخر قد ظفروا بيزدجرد بن شهربار بن أبرويز فلما بلغهم أن أهل المدائن عصوا على ابن خسرو فروخ زاذ أتوا بيزدجرد من بيت النار الذي عندهم ويدعى أردشير ، فملكوه بإصطخر وأقبلوا به إلى المدائن ، وقتلوا فروخ زاذ خسرو لسته من ملكه . واستقل يزدجرد بالملك وكان أعظم وزرائه رئيس الموالي الذي جاء بفخرزاد خسرو من حصن الحجارة . وضعفت مملكة فارس ، وتغلب الأعداء على الأطراف من كل جانب ، فزحف إليهم العرب المسلمون بعد ستين من ملكه ، وقيل بعد أربع ، فكانت أخبار دولته كلها هي أخبار الفتح نذكرها هنالك إلى أن قتل بمرو بعد نيف وعشرين سنة من ملكه .

هذه هي سياقة الخبر عن دولة هؤلاء الأكاسرة الساسانية عند الطبري . ثم قال آخرها : فجميع سني العالم من آدم إلى الهجرة على ما يزعمه اليهود أربعة آلاف سنة وستائة وإثنان وأربعون سنة ، وعلى ما يدعيه النصارى في توراة اليونانيين ستة آلاف سنة غير ثمان سنين ، وعلى ما يقوله الفرس إلى مقتل يزدجرد أربعة آلاف ومائة وثمانون سنة ومقتل يزدجرد عندهم ثلاثين من الهجرة ، وأما عند أهل الإسلام فبين آدم ونوح عشرة قرون والقرن مائة سنة وبين نوح وإبراهيم كذلك وبين إبراهيم وموسى كذلك ونقله الطبري عن ابن عباس وعن محمد بن عمرو بن واقد الإسلامي عن جماعة من أهل العلم وقال : إن الفترة بين عيسى وبين محمد صلى الله عليه وسلم ستائة سنة ورواه عن سلمان الفارسي وكعب الأخبار والله أعلم بالحق في ذلك والبقاء لله الواحد القهار .

الخبر عن دولة يونان والروم وأنسابهم ومصايرهم

كان هؤلاء الأمم من أعظم أمم العالم وأوسعهم ملكا وسلطانا ، وكانت لهم الدولتان العظيمتان للإسكندر والقيصرة من بعده الذين صبحهم الإسلام وهم ملوك بالشام ، ونسبهم جميعاً إلى يافث باتفاق من المحققين ، إلا ما ينقل عن الكندي في نسب يونان إلى عابر بن فالغ وأنه خرج من اليمن بأهله وولده مغاضبا لأخيه قحطان فترل ما بين الافرنجة والروم فاختلط نسبه بهم ، وقد ردّ عليه أبو العباس الناشي في ذلك بقوله :

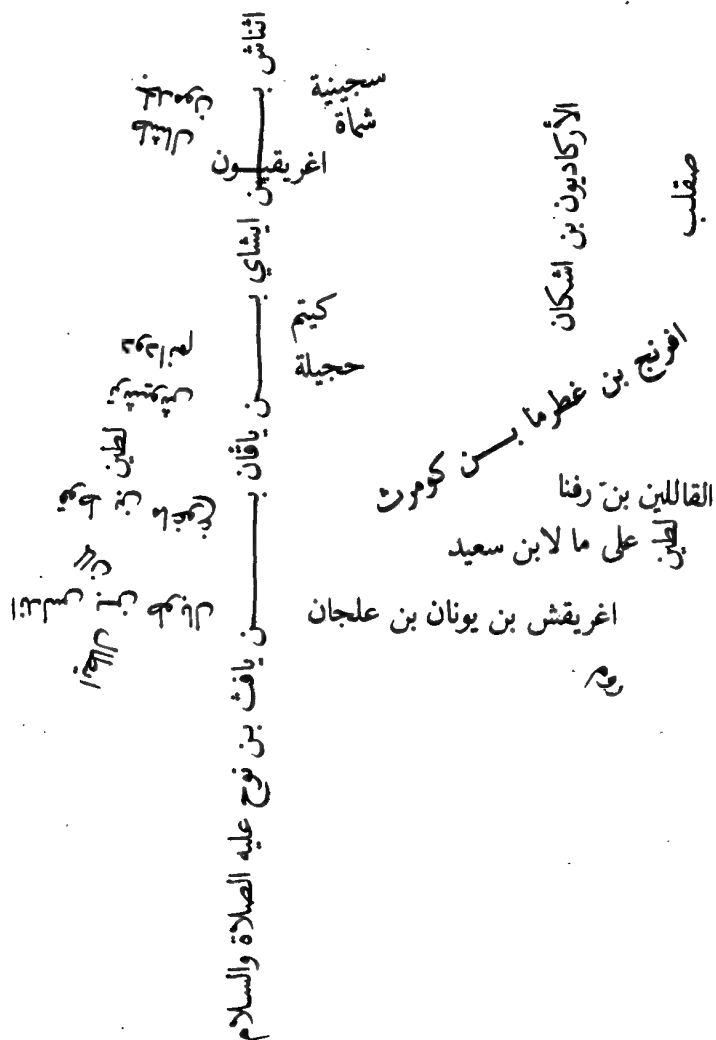
تخلط يونان بقحطان ضلّة لعمرى لقد باعدت بينها جدّا

ولذلك يقال إنّ الاسكندر من تبع ، وليس شيء من ذلك بصحيح ، وإنما الصحيح نسبهم إلى يافث ، ثم إنّ المحققين ينسبون الروم جميعا إلى يونان الأغريقيون منهم واللطينيون . ويونان معدود في التوراة من ولّد يافث لصلبه ، وإسمه فيها يافانُ بقاء تقرب من الواو ، فعربته العرب الى يونان .

وأما هروشيوش فجعل الغريقين خمس طوائف منتسبين إلى خمسة من أبناء يونان وهم : كيتم وحجيلة وترشوش ودودانم وإيشاي ، وجعل من شعوب إيشاي سجينيّة وأثناش وشمالا وطشال ولخدمون . ونسب الروم اللطينيين فيهم ولم يعين نسبهم في أحد من الخمسة ، ونسب الافرنج إلى غطرما بن عומר بن يافث ، وقال : إن الصقالبة إخوانهم في نسبه ، وقال : إنّ الملك كان في هذه الطوائف لبني أشكان بن غومر والملوك منهم هؤلاء الغريقيون قبل يونان وغيرهم . ونسب القوط الى ماداي بن يافث وجعل من إخوانهم الارمن ، ثم نسب القوط مرة أخرى إلى ما غوغ بن يافث وجعل اللطينيين من إخوانهم في ذلك التسب . ونسب القائلين منهم إلى رفّا بن غومار ، ونسب إلى طوبال بن يافث الأندلس والإيطاليين والأركاديين ، ونسب إلى طبراش بن يافث أجناس الترك . واسم الغريقين عنده يشمل أبناء يونان كلهم كما ذكره ، ويتّوع الروم إلى الغريقين واللطينيين .

وقال ابن سعيد فيما نقله من تواريخ المشرق عن البيهقي وغيره : إنّ يونان هو ابن علجان بن يافث ، قال : ولذلك يقال لهم العلوج ويشركهم في هذا النسب سائر

أهل الشمال من غير الترك ، وإنَّ الشعوب الثلاثة من وُلد يونان ، فالإغريقيون من ولد أغريقش بن يونان والروم من وُلد رومي بن يونان واللطينيون من وُلد لطين بن يونان ، وإنَّ الإسكندر من الروم منهم والله أعلم . ونحن الآن نذكر أخبار الدولتين الشهيرتين منهم مبلغ علمنا والله الموفق للصواب سبحانه وتعالى .



الخبر عن دولة يونان والاسكندر منهم وما كان لهم من الملك والسلطان الى انقراض أمرهم

هؤلاء اليونانيون المتشعبون إلى الغريقيين واللطينيين — كما قلناه — اختصوا بسكنى الناحية الشمالية من المعمور مع إخوانهم من سائر بني يافث كلهم كالصقالبة والترك والافرنجة من ورائهم وغيرهم من شعوب يافث ، ولهم منها الوسط ما بين جزيرة الأندلس إلى بلاد الترك بالشرق طولا وما بين البحر المحيط والبحر الرومي عرضاً ، فواطن اللطينيين منهم في الجانب الغربي ومواطن الغريقيين منهم في الجانب الشرقي والبحر بينهما خليج القسطنطينية . وكان لكل واحد من شعبي الغريقيين واللطينيين منهم دولة عظيمة مشهورة في العالم .

واختص الغريقيون باسم اليونانيين ، وكان منهم الإسكندر المشهور الذكر أحد ملوك العالم ، وكانت ديارهم كما قلناه بالناحية الشرقية من خليج القسطنطينية بين بلاد الترك ودروب الشام ، ثم استولى على ما وراء ذلك من بلاد الترك والعراق والهند ، ثم جال أرمينية وما وراءها من بلاد الشام وبلاد مقدونية ومصر والاسكندرية ، وكان ملوكهم يعرفون بملوك مقدونية .

وذكر هروشيوش مؤرخ الروم من شعوب هؤلاء الغريقيين بنو لجدمون وبنو أنتناش ، قال : وإليهم ينسب الحكماء الأنتاشيون وهم ينسبون لمدينتهم أجدة أنتناش ، قال : ومن شعوبهم أيضا بنو طمآن ولجدمون كلهم بنو شمالا بن إيشاي ، وقال في موضع آخر : لجدمون أخو شمالا .

وكانت شعوب هذه الأمة قبل الفرس والقبط وبني إسرائيل متفرقة بافتراق شعوبها ، وكان بينهم وبين إخوانهم اللطينيين فتن وحروب ، ولما استفحل ملك فارس لعهد الكينية أرادوهم على الطاعة لهم ، فامتنعوا وغزتهم فارس ، فاستصرخوا عليهم بالقبط فسالوهم إلى محاربة الغريقيين حتى أذلّوهم وأخذوا الجزى منهم وولّوا عليهم . ويقال : إن أفريدون ولّى عليهم ابنه ، وأن جدّه الإسكندر لأبيه من أعقابه . ويقال : أن بختنصر لما ملك مصر والمغرب أنفوه بالطاعة وكانوا يحملون خراجهم إلى ملك فارس عدداً من كرات الذهب أمثال البيض ضريبة معلومة عليهم في كل سنة ، ولما فرغوا

من شأن أهل فارس وأنفوا ملكهم بالجزى والطاعة صرفوا وجوههم إلى حرب اللطينيين ، ثم استفحل أمر الإيشائيين من الغريقيين ولم يكن قوامهم إلا الجرُمونيون ، فغلبوهم وغلبوا بعدهم اللطينيين والفرناسيين والأركاديين ، واجتمع إليهم سائر شعوب الغريقيين واعتز سلطانهم وصار لهم الملك والدولة .

وقال ابن سعيد : إنَّ الملك استقرَّ بعد يونان في ابنه أغريقش في الجانب الشرقي من خليج قسطنطينية ، وتوالى الملك في ولده وقهروا اللطينيين والروم ودال ملكهم في أرمينية ، وكان من أعظمهم هرقل الجبار بن ملكان بن سلقوس بن أغريقش ، يقال : إنه ضرب الأتاوة على الأقاليم السبعة . وملك بعده ابنه يلاقُ وإليه تنسب الأمة اليلاقية وهي الآن باقية على بحر سودان . واتصل الملك في عقب يلاق إلى أن ظهر إخوانهم الروم واستبدوا بالملك ، وكان أولهم هردوس بن منطرون بن رومي بن يونان فللك الأمم الثلاثة وصار اسمه لقباً لكل من ملك بعده ، وسُمِّت به يهود الشام كل من قام بأمرها منهم . ثم ملك بعده ابنه هرْمِس ، فكانت له حروب مع الفرس إلى أن قهره وضربوا عليه الأتاوة ، فاضطرب حينئذ أمر اليونانيين وصاروا دُولاً وممالك . وانفرد الاغريقيون برئيس لهم ، وصنع مثل ذلك اللطينيون ، إلا أنَّ اللقب بملك الملوك كان لملك الروم ، ثم ملك بعده ابنه مَطْرِيُوش فحمل الأتاوة لملك الفرس لاشتغاله بحرب اللطينيين والاغريقيين . وملك بعده ابنه فيلفوش^(١) وكانت أمّه من ولد سَرَم من ولد أفريدون الذي ملكه أبوه على اليونان ، فظهر وهدم مدينة أغريقية وبنى مدينة مقدونية في وسط الممالك بالجانب الغربي من الخليج . وكان محباً للحكمة فلذلك كثّر الحكماء في دولته . ثم ملك من بعده ابنه الاسكندر وكان معلمه من الحكماء أرسطو .

وقال هروشيوش : إنَّ أباه فيلفوش إنما ملك بعد الاسكندر بن تراوش أحد ملوكهم العظماء ، وكان فيلفوش صهراً له على أخته لينبادة بنت تراوش ، وكان له منها الإسكندر الأعظم . قال : وكان ملك الإسكندر بن تراوش لعهد أربعة آلاف وثمانمائة من عهد الخليفة ولعهد أربعائة أو نحوها من بناء رومة ، وهلك وهو محاصر لرومة قتله اللطينيون عليها لسبع سنين من دولته . فولي أمر الغريقيين والروم من بعده صهره على أخته لينبادة فيلفوش ابن آمنة بن هركلش ، واختلفوا عليه فافترق أمرهم

(١) هو فيليبس المقدوني والد الاسكندر .

وحاربهم إلى أن انقادوا وغلبيهم على سائر أوطانهم . وأراد بناء القسطنطينية فنهه
الجرمانيون بما كانت لهم ، فقاتلهم حتى استلحمهم ، واجتمع إليه سائر الروم
والغريقيين من بني يونان ، وملك ما بين المانية وجبال ارمينية . وكان الفرس لذلك
العهد قد استولوا على الشام ومصر فاعتزم فيلفوش على غزو الشام ، فاغتاله في طريقه
بعض اللطيين وقتله بشاركان له عنده . وولي من بعده ابنه الإسكندر فاستمر على
مطالبة بلاد الشام ، وبعث إليه ملوك فارس في الخراج على الرسم الذي كان لعهد
أبيه فيلفوش ، فبعث إليه الإسكندر إني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض
الذهب وأكلتها . ثم زحف إلى بلاد الشام واستولى عليها وفتح بيت المقدس وقرب فيه
القربان وذلك لعهد مائتين وخمسين من فتح بختنصر إياها ، وامتنع أهل فارس
لانتراعه إياها من ملكتهم ، فزحف إليه دارا في ستين ألفا من الفرس ولقيه الإسكندر
في ستمائة ألف من قومه فغلبيهم وفتح كثيرا من مدن الشام ورجع إلى طرسوس ،
فزحف إليه دارا ولقيه عليها فهزمه الإسكندر وافتتح طرسوس . ومضى وبني
الإسكندرية .

ثم تراحف مع دارا وهزمه وقتله وتخطى إلى فارس فملك بلادها وهدم
مدينة الملك بها وسبى أهلها ، وأشار عليه معلمه أرسطو بأن يجعل الملك في
أسافلهم لتتفرق كلمتهم ويخلص إليه أمرهم ، فكتب الإسكندر ملوك كل ناحية من
الفرس والنبط والعرب وملك على كل ناحية وتوجه فصاروا طوائف في ملكهم ،
واستبد كل واحد منهم بجهة كان ملكها لعقبه ومعلمه أرسطو هذا من اليونانيين وكان
مسكنه أثينا وكان كبير حكماء الخليفة غير منازع ، أخذ الحكمة عن أفلاطون اليوناني ،
كان يعلم الحكمة وهو ماش تحت الرواق المظلل له من حرّ الشمس فسمى تلاميذه
بالمشائين . وأخذ أفلاطون عن سقراط ويعرف بسقراط الدنّ بسكناه في دنّ من
الخزف اتخذ له رهبانيته ، وقتله قومه أهل يونان مسموما لما نهاهم عن عبادة
الأوثان ، وكان هو أخذ الحكمة عن فيثاغورس منهم ، ويقال : إن فيثاغورس أخذ
عن تاليس حكيم ملطية ، وأخذ تاليس عن لقمان . ومن حكماء اليونانيين
ديمقراطيس ، وأنكيثاغورس كان مع حكمته مبرزا في علم الطب وبعث فيه بهمن
ملك الفرس إلى يونان فامتنع من إيفاده عليه ضنّانة به ، وكان من تلامذته جالينوس
لعهد عيسى عليه السلام ومات بصقلية ودفن بها .

ولما استولى الاسكندر على بلاد فارس تخطّاها إلى بلاد السند فملكها وبنى بها مدينة سمّاها الإسكندرية ، ثم زحف إلى بلاد الهند فغلب على أكثرها وحاربه فور ملك الهند فانهزم وأخذه الإسكندر أسيراً بعد حروب طويلة ، وغلب على جميع طوائف الهند وملك بلاد الصين والسند وذلك إليه الملوك وحملت إليه الهدايا والخراج من كل ناحية ، وراسله ملوك الأرض من أفريقية والمغرب والافرنجة والصقالبة والسودان . ثم ملك بلاد خراسان والترك ، واختط مدينة الإسكندرية عند مصب النيل في البحر الرومي ، واستولى على الملوك يقال : على خمسة وثلاثين ملكاً . وعاد إلى بابل فمات بها ، يقال مسموماً سمّه عامله على مقدونية لأنّ أمّه شكته إلى الاسكندر فتوعده فأهدى له سمّاً وتناوله فمات لإثنتين وأربعين سنة من عمره ، بعد أن ملك إثنتي عشرة سنة ، سبعاً منها قبل مقتل دارا وخمسا بعده .

قال الطبري : ولما مات عرض الملك على ابنه إسكندروس فاختر الرهبانية ، فلّك يونان عليهم لوغوس من بيت الملك ولقبه بطليموس . قال المسعودي : ثم سارت هذه التسمية لكل من يملك منهم ومدينتهم مقدونية ويتزلون الاسكندرية ، وملك منهم أربعة عشر ملكاً في ثلثمائة سنة .

وقال ابن العميد : كان قسّم الملك في حياته بين أربعة من أمرائه بطليموس فليادا^(١) كان على الاسكندرية ومصر والمغرب ، وفيلفوس بمقدونية وما إليها من ممالك الروم وهو الذي سمّ الاسكندر ، ودمطرس بالشام ، وسلقنوس^(٢) بفارس والمشرق . فلما مات استبدّ كل واحد بناحيته .

وكتب أرسطو شرح كتاب هرمس وترجمه من اللسان المصري إلى اليوناني ، وشرح ما فيه من العلوم والحكمة والطلسمات . وكتاب الأسطخيس يحتوي على عبادة الأول ، وذكر فيه أنّ أهل الأقاليم السبعة كانوا يعبدون الكواكب السيّارة . كل إقليم لكوكب ، ويسجدون له ويُبَخَّرُون ويُقَرَّبُون ويدبحون ، وروحانية ذلك الكوكب تدبرهم بزعمهم . وكتاب الأسطاطس يحتوي على فتح المدن والحصون بالطلسمات والحكم ، ومنها طلسمات لانزال المطر وجلب المياه . وكتب الأشطرطاش في الاختيارات على سرى القمر في المنازل والاتصالات ، وكتب أخرى في منافع

(١) وفي نسخة أخرى : بطليموس فلديغوس .

(٢) وفي نسخة أخرى سلقوس .

وخواص الأعضاء الحيوانيات والأحجار والأشجار والحشائش .

وقال هروشيوش : إن الذي ملك بعد الاسكندر صاحب عسكره بطليموس بن لاوي ،
فقام بأمرهم ونزل الاسكندرية واتخذها داراً للملكهم . ونهض كلمش بن الاسكندر
وأمة بنت دارا ولينبادة أم الاسكندر وساروا إلى صاحب أنطاكية وإسمه فشاندر
فقتلهم . واختلف الغريقيون على بطليموس وافترق أمره وحارب كل واحد منهم
ناحيته ، إلى أن غلبهم جميعاً واستقام أمره ، ثم زحف إلى فلسطين وتغلب على اليهود
وأثنى فيهم بالقتل والسبي والأسر ، ونقل رؤساءهم إلى مصر ، ثم هلك لأربعين سنة
من ملكه . وولي بعده ابنه فلديغيش ، وأطلق أسرى اليهود من مصر ، ورد الأواني
إلى البيت وجباهم بآنية من الذهب وأمرهم بتعليقها في مسجد القدس ، وجمع
سبعين من أحرار اليهود ترجموا له التوراة من اللسان العبراني إلى اللسان الرومي
واللطيني ، ثم هلك فلديغيش ثمان وثلاثين سنة من ملكه .

وولي بعده ابنه أنطريس ويلقب أيضاً بطليموس لقبهم المخصوص بهم إلى آخر
دولتهم ، فانهقدت السلم بينه وبين أهل أفريقية على مدعيون ملك قرطاجنة ، ووفد
عليه وعقد معه الصلح عن قومه ، وزحف قواد رومة إلى الغريقيين ونالوا منهم . ثم
هلك أنطريس لست وعشرين سنة من ملكه ، وولي بعده أخوه فلوباذي فزحف إليه
قواد رومة فهزمهم وجال في ممالكهم ، ثم كانت حروبه معهم بعدها سجالاً .
وزحف إلى اليهود فملك الشام عليهم وولى الولاة من قبله فيهم وأثنى بالقتل والسبي
فيهم ، يقال : إنه قتل منهم نحواً من ستين ألفاً ، وهلك لسبع عشرة سنة من ملكه .
وولي بعده ابنه إيفانش وعلى عهده كانت فتنة أهل رومة وأهل أفريقية التي اتصلت
نحواً من عشرين سنة ، وافتتح أهل رومة صقلية وأجاز قوادهم إلى أفريقية وافتتحوا
قرطاجنة ، كما نذكر في أخبارهم ، وهلك إيفانش لأربع وعشرين سنة من دولته .
وولي بعده بالاسكندرية ابنه فلوماطر فزحف الغريقيون إلى رومة ، وكان فيهم
صاحب مقدونية وأهل أرمينية والعراق وظاهرهم ملك النوبة واجتمعوا لذلك ،
فغلبهم الرومانيون وأسروا صاحب مقدونية ، وهلك فلوماطر لخمس وثلاثين سنة من
ملكه . وولي بعده ابنه إيرياطش وعلى عهده استفحل ملك أهل رومة واستولوا على
الأندلس وأجازوا البحر إلى قرطاجنة بأفريقية فلكوها وقتلوا ملكها أشدريال وخرّبوا
مدينتها بعد أن عمرت تسعمائة سنة من بنائها كما نذكر في أخبارها . وزحف أيضاً أهل

رومة إلى الغربيين فغلبوهم وملكوا عليهم مدينتهم قرنطة من أعظم مدنها ، يقال : إنها كانت ثانية قرطاجنة .

ثم هلك إيرياطش لسبع وعشرين سنة من مدته وولي بعده ابنه شوطار سبع عشرة سنة وعلى عهده استفحل ملك أهل رومة ومهدوا الأندلس ، وملك بعده أخوه الاسكندر عشر سنين ، ثم ابنه ديونشيس مائة وثلاثين سنة وعلى عهده استولى الرومانيون على بيت المقدس ووضعوا الجزية على اليهود ، وزحف قيصر يولش^(١) من قوادهم إلى الافرنجة ولياش أيضا من قوادهم إلى الفرس فغلبوهم جميعا وما حولهم إلى أنطاكية واستولوا على ما كان لهم من ذلك . وخرج الترك من بلادهم فأغاروا على مقدونية فردّهم هابس قائد الرومانيين بالمشرق على أعقابهم .

وهلك ديونشيس فوليت بعده ابنته كلابطرة ستين فيما قال هزوشوش لخمسة آلاف ونيف من مبدأ الخليفة ولسبعائة سنة من بناء رومة ، وعلى عهدها استبد قيصر يولش بملك رومة وغلب عليها القواد أجمع ومحا دولتهم منها وذلك بعد مرجعه من حرب الافرنج ، ثم سار إلى المشرق فلما إلى أرمينية ونازعه مبانش هنالك فهزمه قيصر ، وفرّ مبانش إلى مصر مستنجدا بملكها وهي يومئذ كلابطرة ، فبعثت برأسه إلى قيصر خوفا منه ، فلم يغنها ذلك وزحف قيصر إليها فلما مصر والإسكندرية من كلابطرة هذه وانقرض ملك اليونانيين ، وولى قيصر على مصر والإسكندرية وبيت المقدس من قبله وذلك لسبعائة أو نحوها من بناء رومة ولخمسة آلاف من مبدأ الخليفة .

وذكر البيهقي : إن كلابطرة زحفت إلى أرض اللطينيين وقهرتهم ، وأرادت العبور إلى الأندلس فعال دونها الجبل الحاجز بين الأندلس والافرنج فاستعملت في فتحه الحيل^(٢) والنار حتى نفذت إلى الأندلس ، وإن مهلكها كان على يد أوغسطس يولش^(٣) ثاني القياصرة . وكذا ذكر المسعودي وأنها ملكت لإثنين وعشرين سنة ، وكان زوجها أنطونيوس مشاركا لها في ملك مقدونية ومصر ، وأن قيصر أوغسطس زحف إليهم فهلك زوجها أنطونيوس في حروبه ، ثم أراد التحكّم في كلابطرة ليستولي

(١) وفي نسخة أخرى : قيصر يوليوس .

(٢) (ورد في تاج العروس : الحول والحيل والحول ، كعنب هو الحلق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف) .

(٣) وفي نسخة أخرى : أوغسطس يوليوس .

على حكمتها إذ كانت بقية الحكماء من آل يونان ، فخطبها وتحيّلت في إهلاكه وإهلاك نفسها بعد أن اتخذت بعض الحيات القاتلة التي بين الشام والحجاز وأطلقتها بمجلسها بين رياحين نصبتها هنالك ، ولست الحيات فهلكت لحينها وأقامت بمكانها كأنها جالسة ، ودخل أوغسطس لا يشعر بذلك حتى تناول من تلك الرياحين ليشمها فأصابته الحية وهلك لحينها وتمت حيلتها عليه . وانقرض ملك اليونانيين بهلاكها ، وذهبت علومهم إلا ما بقي بأيدي حكمائهم في كتب خزائهم حتى بحث عنها المأمون وأمر باستخراجها فترجمت له من هروشيوش .

وأما ابن العميد فعند ملوك مصر والإسكندرية بعد الإسكندر أربعة عشر آخرهم كلابطره كلهم يسمون بطليموس ، كما قال المسعودي . ولم يذكر ملوك المشرق منهم بعد الإسكندر ولا ملوك الشام ولا ملوك مقدونية الذين قسم الملك فيهم كما ذكرناه إلا بذكر ملك إنطاكية من اليونانيين ويسميه أنطيوخس كما ذكرناه الآن ، وذكر في أسماء ملوك مصر هؤلاء وفي عددهم خلافا كثيرا إلا أنه سمي كل واحد منهم بطليموس ، فقال في بطليموس الأول : إنه أخو الإسكندر أو مولاه اسمه فلا فادافسد أو أرنداوس أو لوغس أو فيليبس ملك سبعا وقيل أربعين ، قال : وفي عصره بنى سلقیوس وأظنه ملك المشرق منهم قامة وحلب وقنشرين وسلوقية واللاذقية ، قال : ومنها كان الكوهن الأعظم بالقدس سمعان بن خونيا^(١) وبعده أخوه العازر ، قال : وفي التاسعة من ملك لوغس جاء أنطيوخس المعظم إلى بلاد اليهود واستعبدهم ، وفي الحادية عشر حارب الروم فغلبوه وأسروه وأخذوا منه ابنه أبقافس رهينة ، وفي الثالثة عشر تزوج أنطيوخس كلابطره بنت لوغس زوجها له أبوها وأخذ سورية بلاد المقدس في مهرها ، وفي التاسعة عشر وثب أهل فارس والمشرق على ملكهم فخلعوه وولّوا ابنه ثم هلك لوغس .

قال ابن العميد : بعد مائة وإحدى وثلاثين سنة لليونان ملك بطليموس بن الإسكندروس ويلقب غالب أثور ، وملك مصر والإسكندرية والبلاد الغربية إحدى وعشرين سنة وقيل ثمانيا وثلاثين سنة ويسمى أيضا فيلادلفوس أي محب أخيه ، وهو الذي استدعى أحبار اليهود وعلماءهم الإثني وسبعين يترجموا^(٢) له التوراة وكتب

(١) وفي الانجيل : سمعان بن يونا .

(٢) الأصح ان يقول ليترجموا .

الأنبياء من العبرانية إلى اليونانية وقابلوها بنسخهم فصحت ، وكان من هؤلاء الأحبار سمعان المذكور أولاً وعاش الى أن حمل على ذراعيه في الهيكل ومات ابن ثلثائة وخمسين ، وكان منهم العازر الذي قتله أنطيوخس على امتناعه عن السجود لصنمه وقتله ابن سبعين سنة . ويظهر من هذا أن بطليموس هو تلميذ وإنه من ملوك مقدونية وملك مصر لأن ابن كريون قال : وفي ذلك الزمان كان تلميذ من أهل مقدونية ملك مصر وكان يحب العلوم ، فاستدعى من اليهود سبعين من أحبارهم وترجموا له التوراة وكتب الأنبياء ، وكان في عصره صادوق الكوهن انتهى . وملك خمسا وأربعين سنة .

وملك بعده بطليموس الأرنبا وقيل اسمه رغادي وقيل راكب الأثير ملك أربعاً وعشرين ، وقيل سبعا وعشرين ، وهو الذي بنى ملعب الخيل بإسكندرية الذي أحرق في عصر زينون قيصر . وملك بعده بطليموس محب أخيه ويقال : أوغسطس ويقال فيلادلفس ملك ست عشرة ، وكان في عصره أخميم الكوهن . وملك بعده بطليموس الصانع ، ويقال : أخيه^(١) ملك خمس سنين وقيل خمسا وعشرين ، وعلى عهده كان اليهود الكوهن وكان ضالاً غشوماً وقتله بعض خدمه خنقا . وملك بعده بطليموس محب أبيه ، وقيل اسمه كلافاطر^(٢) ملك سبع عشرة سنة وأخذ الجزية من اليهود . وملك بعده بطليموس المظفر وقيل الغالب وقيل محب أمه ملك عشرين وقيل أربعاً وعشرين ، وفي التاسعة عشرة من ملكه خرج متيتيا بن يوحنا بن شمعون الكوهن الأعظم ويعرف بحشمناي من بني يوناداب من نسل هارون ، بعث أنطيوخس ملك انطاكية ابنه الأغايش بالعساكر إلى القدس فاعمل الحيلة في ملكها وقتل العازر والكوهن وحمل بني اسرائيل على السجود لآلهته ، فهرب متيتيا في جماعة من اليهود الى الجبال ، حتى إذا خرجت عساكر يونان رجع إلى القدس ومرّ بالمذبح فوجد يهودياً يذبح ختيراً عليه ، وثار باليونانيين فقتل قائدهم وأخرجهم واستبد بملك القدس كما ذكرناه في أخباره .

ثم ملك بطليموس كلاباطر أي محب أبيه خمسا وعشرين سنة وقيل عشرين ، وكان في أيامه بالقدس يهود ابن متيتيا وبعده أخوه يوناداب وبعده أخوه شمعون وبعده

(١) الاصح ان يقول اخوه .

(٢) وفي نسخة اخرى : فيلوياطر .

أخوه هرقانوس وإسمه يوحنا وهو أول من تسمى بالملك من بن حشمناي ، وبعث ابنه يوحنا بالعساكر لقتال قيّدونوس قائد أنطيوخوس فغلبه ، وارتفع عن اليهود الخراج الذي كانوا يعطونه للملوك سورية من أيام فيلفوس^(١) ملك المشرق . وملك بعده بطليموس أرغادي أي الفاضل وقيل بطليموس الصايغ وقيل سانيطر ملك عشرين وقيل ثلاثا وعشرين وقيل ثلاثة عشر ، ولعهده جدّد أنطيوخوس بناء أنطاكية وسمّاها باسمه ، ولعهده كان مُلكُ هرقانوس على القدس وبنه الثلاثة وخرّب مدينة السامرة سبسطية ، ولعهده أيضا زحف أنطيوخوس^(٢) إلى القدس وحاصرها ، فصانعه هرقانوس بثلاثمائة كره من الذهب استخرجها من قبر داود عليه السلام .

ثم ملك على مصر والاسكندرية بطليموس المخلص وقيل مَقْرُوطون وقيل شَعْرِي ملك ثماني عشرة وقيل عشرين وقيل سبعا وعشرين ، ولعهده كان الاسكندروس تِلْمَاي بن هرقانوس سابع بني حشمناي بالقدس ، وكانت فرقة اليهود عندهم ثلاثة : الرّبانيون ثم القَرّاون وهم في الانجيل زنادقة^(٣) وهم في الانجيل الكتبة . ثم^(٤) على مصر بطليموس محب أمّه وقيل الاسكندروس وقيل قَيْقُتُس وقيل الاسكندر وقيل ابن المخلص ملك عشر سنين لا غير ، ولعهده كانت الإسكندرية ملكة على بيت المقدس ، ولعهده بطلت مملكة سورية لمايتين وسبع عشرة سنة من ملك يونان ، وقتل بطليموس هذا قتله أهل إهراقية وأحرقوه . ثم ملك على مصر بطليموس فيناس وقيل إيزيس وقيل المنفي ، لأنّ كلابطرة الملكة نفته عن المُلك وملك ثمان سنين وقيل ثلاثا وعشرين يوما وقيل ثمانية عشر يوما ، وبعضهم أسقطه من البطالسة ولم يذكره . ثم ملك على مصر بطليموس يونايشيش إحدى وعشرين سنة وقيل إحدى وثلاثين وقيل ثلاثين ، ولعهده كان أرسنبولس وأخوه هرقانوس على القدس .

ثم ملك على مصر كلابطره بنت ديونايشيش ومعنى هذا الاسم الساكنة على الصخرة ملكت ثلاثين وقيل إثنين وعشرين وكانت حاذقة ، وفي الثالثة من ملكها حفرت خليج الإسكندرية وجرى فيه الماء وبنت باسكندرية هيكلا زُحَل والعاروص وبنت

(١) وفي نسخة أخرى : فيلبوس .

(٢) وفي نسخة أخرى : أنطيوخوس .

(٣) بياض بالأصل ومكان البياض (ثم الحيسيد) كما في مكان آخر من الكتاب .

(٤) الواضح انه سقطت كلمة أثناء النسخ فتصبح الجملة . «ثم ملك على مصر» .

مقياسا بأحميم وآخر بمدينة أنصنآء ، وفي الرابعة من ملكها ملك برومة أغانيوس أول
القياصرة ملك أربعاً ثم يوليوس بعده ثلاثاً ، ثم أغسطس بن مونوجس فاستولى على
المالك والنواحي وبلغ خبره إليها فحصنت بلادها وبنت حائطاً من الفرما إلى النوبة
شرقي النيل وحائطاً آخر من إسكندرية إلى النوبة غربي النيل وهو حائط العجوز لهذا
العهد . وبعث أوغسطس العساكر إلى مصر مع قائده أنطريوس ومعه مترداب ^(١)
ملك الأرمن ، فخادعت كلابطره أنطريوس وأوعدته بتزويجها فقتل رفيقه مترداب
وتزوجها وعصى أوغسطس ، فسار أوغسطس إليها وملك مصر وقتل كلابطرة وولديها
وقائده بطريوس ^(٢) الذي تزوجها . يقال : إنها وضعت له سمّاً في مجلسها وأن
أوغسطس تناوله ومات ، والله أعلم . وانقرضت مملكة يونان من مصر والاسكندرية
والمغرب بملكها وصارت هذه الممالك للروم إلى حين الفتح الإسلامي ، انتهى كلام
ابن العميد .

والخلاف الذي ينقله عن جماعة مؤرخيهم يذكر منهم سعيد بن بطريق ويوحنا فم
الذهب والمنجبي وابن الراهب وابو فانيوس . والظاهر أنهم من مؤرخي النصارى
والبقاء لله الواحد القهار سبحانه لا إله غيره ولا معبود سواه .

(١) وفي نسخة أخرى : متردات

(٢) هذا الاسم ورد : أنطريوس وبطريوس في الصفحة ذاتها .

اسكندروس بن الاسكندر بن فيلش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن هطرون بن رومي — بن نونان
 ط ح ز و
 ب ج
 اسكندر بن فلش بن آمتة بن سرকাশ الاسكندر بن تراوش

د ج ب
 يلاق بن هرقل الجبار بن ملكان بن سلمقوس بن اغريقش —

هذا ترتيب البطالسة عند ابن العميد

ب يو يج ب ي في ط ح ز و ه ح ح ح
كلاطره بنت ديوناشيش فيناس لسكندروس مقريطون ارغاد بن كلاطر المظفر كلاطر الصائغ أوغشطش ارغادي الاسكندروس بن كرياص

ن
ض

ب في ح ز و كا د ب ا
كلاطرة بنت ديوناشيش بن شروضان — بن ارباطش بن قلوباطر بن أبي قانش بن قلوباطر — بن فلذايقش بن لوغش

الاسكندر —

ابطريطش

أول الملوك بمصر والاسكندرية بعد الاسكندر وكل واحد منهم يسمى بطليموس

الخبر عن اللطينيين وهم الكيتم المعروفون بالروم من أمم يونان
وأشباعهم وشعوبهم وما كان لهم من الملك والغلب وذكر الدولة
التي فيهم للقياصرة وأولية ذلك ومصايره

هذه الأمة من أشهر أمم العالم وهي ثانية الغريقيين عند هروشيوش ويحتمعان في نسب
يونان ، وثالثتهم عند البيهقي ويحتمعون في نسب يونان بن علجان بن يافث ، واسم
اليوم يشملهم ثلاثهم لما كان الروم أهل المملكة العظمى منهم ، ومواطن هؤلاء
اللطينيين بالناحية الغربية من خليج القسطنطينية إلى بلاد الافرنجة فيما بين البحر المحيط
والبحر الرومي من شماليه . ومُلْك هذه الأمة قديما ^(١) كانت لهم مدينة اسمها طروبة ،
وذكر هروشيوش أن أول من ملك من اللطينيين الفُنس بن شطرنش بن أيوب وذلك
لعهد دائرة بني اسرائيل وقد مر ذكرها في آخر الألف الرابع من مبدأ الخليفة . وملك
من بعده ابنه بريامش واتصل المُلْك في عقب الفُنس هذا وإخوته وكان منهم
كرمُش بن مرسية بن شيبين بن مزكة الذي ألف حروف اللسان اللطيني وأثبتها ولم تكن
قبله ، وذلك على عهد يُوَائير بن كلعاد من حكام بني اسرائيل بعد أربعة آلاف
 وخمسين من مبدأ الخليفة .

وكان بين هؤلاء اللطينيين وبين الغريقيين إخوانهم فتن طويلة ، وعلى يدهم خربت
طروبة مدينة اللطينيين لعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين من مبدأ الخليفة أيام عبدون
ملك بني اسرائيل وقد مر ذكره ، وكان ملكهم يومئذ أناش من عقب بريامش بن
الفُنس بن شطرنش ، وولي بعده ابنه أشكانيش بن أناش وهو الذي بنى مدينة ألبا .
ثم اتصل الملك فيهم إلى أن افترق أمرهم ، ثم كان من أعقابهم برقاش أيام انقراض
ملك الكلدانيين ، وصار للمازيين والقضاعيين على عهد عُزَيَّاه بن أمصيا من ملوك بني
اسرائيل ولعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين سنة من مبدأ الخليفة ، فصار الأمر في
اللطينيين لبرقاش هذا بتولية ملك المازيين ما كان لهم وللسريائيين قبلهم من الصيت
في العالم والتفوق على الملوك بنسبهم وعصبيتهم . ثم اتصل الملك لابنه ولخافديه
روملُوس وأماش ^(٢) وهما اللذان اختطا مدينة رومة وذلك لعهد أربعة آلاف وخمسمائة

(١) الاصح ان يقول قديم

(٢) وفي نسخة اخرى : داموس .

سنة من مبدأ الخليفة وعلى عهد خزقيّا بن آحاز ملك بني اسرائيل ، ولأربعمئة ونيف من خراب مدينة طُروبة . وكان طول مدينة رومة من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلا في عرض إثني عشر ميلا ، وارتفاع سورها ثمانية وأربعون ذراعا في عرض عشرة أذرع ، وكانت من أحفل مدن العالم ، ولم تزل دار مملكة اللطينيين والقياصرة منهم حتى أصبحهم الإسلام وهي في ملكهم .

وكان اللطينيون بعد رومُلُس وأماش وانقراض عقيم قد سثموا ولاية الملوك عليهم فعزلوهم وصار أمرهم شورى بين الوزراء وكانوا يسمونهم القَنَشَلَش ومعناه الوزراء بلغتهم ، وكان عددهم سبعين على ما ذكر هروشيوش . ولم يزل أمرهم على ذلك مدة سبعمئة سنة إلى أن استبدَّ عليهم قيصر يولش^(١) بن غايش أول ملوك القياصرة كما نذكر بعد .

وكانت لهم حروب مع الأمم المجاورة لهم من كل جهة فحاربوا اليونانيّين ثم حاربوا الفرس من بعدهم ، واستولوا على الشام ومصر ثم ملكوا جزيرة الاندلس ثم جزيرة صقلية ثم أجازوا إلى أفريقية فملكوها وخرّبوا قرطاجنة ، وأجاز أهل أفريقية إليهم وحاصروا رومة واتصلت الفتن بينهم عشرين سنة أو نحوها على ما نذكر .

وذهب جماعة من الإخباريين إلى أن الروم من ولد عيصوبن إسحق عليه السلام ، قال ابن كريّون : كان لليفاز بن عيصو ولد اسمه صفّو ولما خرج يوسف من مصر ليدفن أباه يعقوب في مدينة الخليل عليه السلام اعترضه بنو عيصو وقتلوه ، فهزمهم وأسر منهم صفّو بن أليفاز وبعثه إلى أفريقية ، فصار عند ملكها ، واشتهر بالشجاعة .

وحدثت الفتنة بين أغنياس وبين الكيتم وراء البحر فأجاز إليهم أغنياس في أهل أفريقية وأنّحن فيهم ، وظهرت شجاعة صفّو بن أليفاز ، ثم هرب صفّو إلى الكيتم وعظم بينهم وحسن أثره في أهل أفريقية وفي الأمم المجاورة لكيتم من أموال وغيرها فزوّجوه وملكوه عليهم ، قال : وهو أول من ملك في بلاد أسبانيا ، وأقام ملكا خمسا وخمسين سنة . ثم عدّ ابن كريّون بعد ستة عشر ملكا من أعقابهم آخرهم رومُلُس باني رومة ، وكان لعهد داود عليه السلام ، وخاف منه فوضع مدينة رومة وبني على جميعها هياكله ونسبت المدينة إليه وسمّيت باسمه وسمّى أهلها الروم نسبة إليها .

(١) وفي نسخة ثانية : قيصر يوليوس .

ثم عدّ بعد روملُس خمسة من الملوك اغتصب خامسهم رجلا في زوجه فقتلت نفسها ، وقتله زوجها في الهيكل . وأجمع أهل رومة أن لا يولّوا عليهم ملكا وقدموا شيوخا ثلثائة وعشرين يدبّرون مُلكَهُمْ ، فاستقام أمرهم كما يجب ، إلى أن تغلب قيصر وسمّى نفسه ملكا ، فصاروا من بعده يسمّون ملوكا انتهى كلام ابن كريون . وهو مناقض لما قاله هروشيوش ، فإنه زعم أن بناء رومة كان لعهد داود عليه السلام ، وهروشيوش قال : إنه كان لعهد حزقيّا رابع عشر ملوك بني يهوذا من لدن داود عليه السلام ، وبين المديّتين تفاوت ، وخبر هروشيوش مقدّم لأن واضعيه مسلمان كانا يترجمان لخلفاء الإسلام بقُرْطُبة وهما معروفان ووضعوا الكتاب . فالله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك .

الخبر عن فتنة الكيّم مع أهل أفريقية وتخريب قرطاجنة ثم بناؤها على الكيّم وهم اللطينيون

كان بناء قرطاجنة هذه قبل بناء رومة بإثنتين وسبعين سنة ، قال هروشيوش : على يدي ديدن بن أليثا من نسل عيصوبن إسحق . وكان بها أمير يسمّى ملكون وهو الذي بعث إلى الإسكندر بطاعته عند استيلائه على طرسوس ، ثم صار ملك أفريقية إلى أمّلقا من ملوكهم فافتتح صقلية وهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين وأهل الاسكندرية بسبب أهل سرّدانية^(١) وذلك لخمسين سنة من بناء رومة ، ثم وقعت السلم بينهم وهي السلم التي وفد فيها عتّون من ملوك أفريقية على أنطريطش ملك مقدونية وإسكندرية وهو ملك الروم الأعظم . ثم ولى بقرطاجنة أمّلقا ابنه أنبيل فأجاز إلى بلاد الإفرنج وغلّهم على بلادهم ، وزحف إليه قواد رومة فوالى عليهم الهزائم وبعث أخاه أشدربال^(٢) إلى الأندلس فللكها ، وخالفه قواد الرومانيين إلى أفريقية بعد أن ملكوا من حصون صقلية أربعين أو نحوها ، ثم أجازوا إلى أفريقية فللكوها وقتلوا غشول خليفة أنبيل فيها وافتتحوا مدينة جردّا . وخرج آخرون من قواد رومة إلى الأندلس فهزموا أشدربال وأتبعوه إلى أن قتلوه . وفرّ أخوه أنبيل عن بلادهم بعد ثلاث عشرة

(١) وهي جزيرة سردينية .

(٢) وفي نسخة أخرى : أشدربال .

سنة من إجازته إليهم ، وبعد أن حاصر رومة وأنخن في نواحيها فلحق بأفريقية ولقيه
قوّاد أهل رومة الذين أجازوا إلى أفريقية فهزموه وحاصروه بقرطاجنة ، حتى سأل
الصلح على أن يغرم لهم ثلاثة آلاف قنطار من الفضة فأجابوه إليه .
وسكنت الحرب بينهم ثم ظاهر بعد ذلك أنبيل صاحب أفريقية ملوك السُريانيين على
حرب أهل رومة فهلك في حربهم مسموما . وبعد أن تخلص أهل رومة من تلك
الحروب رجعوا إلى الأندلس فلكوها ، ثم أجازوا البحر إلى قرطاجنة ففتحوها وقتلوا
ملكها يومئذ أنبيل وخربوها لتسمائة سنة من بنائها وسبعائة لبناء رومة .
ثم دارت الحرب بين أهل رومة وملك النوبة ، واستظهر ملكُ النوبة بالبربر بعد أن
هزمه أهل رومة واتبعوه إلى قفصة فلكوها واستولوا على ذخيرتها ، وهي من بناء
أركلش الجبار ملك الروم ، وهزمهم أهل رومة فخافهم ملك البربر من ملوك النوبة إلى
أن هلك في أسرهم . وكانت هذه الحروب لعهد بطليموس الإسكندر ، بعد أن
كان قوّاد رومة اجتمعوا على بناء قرطاجنة وتجديدها لإثنتين وعشرين سنة من خرابها
فعمرت واتصل بها لأهل رومة ملك على ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى .

الخبر عن ملوك القياصرة من الكيتم وهم اللطينيون ومبدأ أمورهم ومصاير أحوالهم

لم يزل أمر هؤلاء الكيتم وهم اللطينيون راجعاً إلى الوزراء منذ سبعائة سنة ، كما قلناه
من عهد بناء رومة أو قبلها بقليل كما قال هروشيوش ، تقترع الوزراء في كل سنة
فيخرج قائدٌ منهم إلى كل ناحية كما توجه القرعة فيحاربون أمم الطوائف ويفتحون
الممالك . وكانوا أولاً يعطون إخوانهم من الروم اليونانيين طاعة معروفة بعد الفتن
والجحاربة ، حتى إذا هلك الاسكندر وافترق أمر اليونانيين والروم وفشلت ریحهم وقعت
فتنة هؤلاء اللطينيين وهم الكيتم مع أهل أفريقية ، واستولوا عليها مرارا وخربوا
قرطاجنة ثم بنوها كما ذكرناه . وملكوا الأندلس وملكوا الشام وأرض الحجاز وقهروا
العرب بالحجاز وافتتحوا بيت المقدس وأسروا ملكها يومئذ من اليهود وهو أرسطيلوس
ابن الإسكندر ثامن ملوك بني حشمناي وغربوه إلى رومة وولّوا قائدهم على الشام ، ثم

حاربوا الغساس فكانت حربهم سجالا ، إلى أن خرج بولس ^(١) بن غايش ومعه ابن عمه لوجيار بن مدكة إلى جهة الأندلس ، وحارب من كان بها من الإفرنج والجلالقة إلى أن ملك برطانية ^(٢) واشبونة ^(٣) ورجع إلى رومة ، واستخلف على الأندلس أكتيان ابن أخيه يونان . فلما وصل إلى رومة وشعر الوزراء أنه يروم الاستبداد عليهم فقتلوه .

فرحف اكتيان ابن أخيه من الأندلس فأخذ بثأره وملك رومة واستولى على أرض قسطنطينية وفارس وأفريقية والأندلس ، وعمه يولس ^(٤) هو الذي تسمى قيصر فصار سمة للملوكة من بعده . وأصل هذا الاسم جاشر فعربته العرب إلى قيصر ، ولفظ جاشر مشترك عندهم فيقال جاشر للشعر وزعموا أن يولس ولد شعره نام يبلغ عينيه ، ويقال أيضا للمشقوق جاشر ، وزعموا أن قيصر ماتت أمه وهي مُقرب ^(٥) فبُقر بطنها واستخرج يولس ، والأول أصح وأقرب إلى الصواب .

وكانت مدة يولس قيصر خمس سنين ، ولما ولي قيصر أكتيان ^(٦) ابن أخته انفرد بملك الناحية الشمالية من الأرض ، ووفد عليه رسل الملوك بالشرق يرغبون في ولايته ويضرعون إليه في السلم فاسعفهم ، ودانت له أقطار الأرض ، وضرب الأتاوة على أهل الآفاق من الصغر . وكان العامل على اليهود بالشام من قبله هيردوس بن أنظفتر ، وعلى مصر ابنه غايش . وولد المسيح لإثنتين وأربعين سنة خلت من ملكه . وهلك قيصر أكتيان لست وخمسين من ملكه بعد سبعمائة وخمسين سنة لبناء رومة وخمسة آلاف ومائتين لمبدأ الخليقة انتهى كلام هروشيوش .

وأما ابن العميد مؤرخ النصارى فذكر عن مبدأ هؤلاء القياصرة أن أمر رومة كان راجعا إلى الشيوخ الذين يُدبرون أمرهم ، وكانوا ثلثمائة وعشرين رجلا لأنهم كانوا حلفوا أن لا يُولّوا عليهم ملكا ، فكان تدبيرهم يرجع إلى هؤلاء وكانوا يقدمون واحدا منهم ويسمونه الشيخ ، وانتهى تدبيرهم في ذلك الزمان إلى أغانيوس فدبرهم أربع

(١) وفي نسخة أخرى : يوليوس بن غايش .

(٢) هي بريتانيا مقاطعة فرنسية تقع في الشمال الغربي .

(٣) وهي لشبونة في الأندلس .

(٤) وهو يوليوس قيصر .

(٥) الحامل التي قرب ولادها (قامبوس) .

(٦) هو أوكتاف .

سنين ، وهو الذي سُمي قيصر لأن أمه ماتت وهو جنين في بطنها فبقروا بطنها وأخرجوه ، ولما كبر انتهت إليه رياسة هؤلاء الشيوخ برومة أربع سنين ، ثم ولي من بعده يوليوس قيصر ثلاث سنين ، ثم ولي من بعده أوغسطس قيصر بن مرنوخس ، قال : ويقال إن أوغسطس قيصر كان أحد قواد الشيخ مدبر رومة ، وتوجه بالعساكر لفتح المغرب والأندلس ففتحها وعاد إلى رومة فملك عليهم ، وطرد الشيخ من رياسته بها وتديبره ووافقته الناس على ذلك . وكان للشيخ نائب بناحية المشرق يقال له فقيوس ، فلما بلغه ذلك زحف بعساكره إلى رومة فخرج إليه أوغسطس فهزمه وقتله واستولى على ناحية المشرق . وسير عساكره إلى فتح مصر مع قائدين من قواده هما أنطونيوس ومترداب ملك الأرمن بدمشق ، فتوجها إلى مصر وبها يومئذ كلابطره الملكة من بقية البطالسة ملوك يونان بالاسكندرية ومصر ، فحصنت بلادها وبنّت بحدوتي النيل حائطين مبدؤهما من النوبة إلى الإسكندرية غربا وإلى الفرما شرقا وهو حائط العجوز لهذا العهد . ثم دخلت القائد أنطونيوس وخادعته بالترويج فتزوجها وقتل رفيقه مترداب وعصى على أوغسطس ، فزحف إليه وقتله وملك مصر وقتل كلابطره وولديها وكانا يسميان الشمس والقمر ، وملك مصر والإسكندرية وذلك لإثنتي عشرة سنة من ملكه .

قال ولإثنتين وأربعين سنة من ملك أوغسطس ولد المسيح بعد مولد يحيى بثلاثة أشهر . وذلك لتام خمسة آلاف وخمسمائة سنة من سني العالم ولإثنتين وثلاثين من ملك هيردوس بالقدس ، وقيل لخمس وثلاثين من مملكته ، والكل متفقون على أنها لإثنتين وأربعين من ملك أوغسطس . قال : وسياقة التاريخ تقتضي أنها خمسة آلاف وخمسمائة شمسية من مبدأ العالم لأن من آدم إلى نوح ألفا وستائة ، ومن نوح إلى الطوفان ستائة ، ومن الطوفان إلى إبراهيم ألفا وإثنتين وسبعين سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى أربعائة وخمسا وعشرين ، ومن موسى إلى داود عليهما السلام سبعائة وستين ، ومن داود إلى الاسكندر سبعائة وستين سنة ، ومن الاسكندر إلى مولد المسيح ثلثائة وتسع عشرة سنة . هكذا ذكر ابن العميد وأنها تواريخ النصراني وفيها نظر ، ويظهر من كلامه أن قيصر الذي سماه أوغسطس ، وذكر أن المسيح ولد لإثنتين وأربعين من ملكه هو الذي سماه هيردوس قيصر أكتيان وجعل مهلكه لخمس ألف ومائتين من مبدأ الخليفة . وعند ابن العميد أن ملكه لخمس ألف وخمسمائة وخمس عشرة

والله أعلم بالحق من ذلك .

ثم وَلِيَّ من بعد طباريش^(١) قيصر وكان وادعا واستولى على النواحي ، وعلى عهده كان شأن المسيح وبغى اليهود عليه ورفع الله من الأرض ، وأقام الحواريون من بعده واليهود يضطهدونهم ومحبسونهم على إظهار أمرهم ، وكان بلاطس التبطي الذي كان قائدا على اليهود يسعى إلى طباريش بأخبار المسيح وبغى اليهود عليه وعلى يوحنا المعمدان ، وتبعته الحواريون من بعده بالأذية ، وأراه^(٢) أنهم على حق فأمر بتخلية سبيلهم ، وهم بالأخذ بدينهم فنعه من ذلك قومه . ثم قبض على هيردوس وأحضره إلى رومة ثم نفاه إلى الأندلس فمات بها ، ثم وَلِيَّ مكانه أغرباس ابن أخيه ، وافترق الحواريون في الآفاق لإقامة الدين وحمل الأثم على عبادة الله . ثم قتل طباريش قيصر أغرباس ملك اليهود إلى أشتر من حالهم وقتلوا أتباع الحواريين من الروم .

ومات طباريش لثلاث وعشرين من ملكه بعد أن جدّد مدينة طبرية ، فيما قال ابن العميد ، واشتق اسمها من اسمه وملك من بعده غاينس قيصر . وقال هيروشيوش : هو أخو طباريش وسمّاه غاينس فليقة من أكتيان ، وقال : هو رابع القياصرة وأشدهم وأراد اليهود على نصب وثنه بيت المقدس فنعه . وقال ابن العميد : ووقعت في أيامه شدة على النصارى وقتل يعقوب أخاه يوحنا من الحواريين وحبس بطرس رئيسهم ثم هرب إلى أنطاكية فأقام بها ، وقدم هرادايوس بطركا عليها وهو أول البطارقة فيها . ثم توجه إلى رومة لستين من ملك غاينس فدبرها خمسا وعشرين سنة ونصب فيها الأساقفة ، وتنصّرت امرأة من بيت الملك فعصدت النصارى ، ولقي النصارى الذين بالقدس شداثد من اليهود وكان الأسقف عليهم يومئذ يعقوب بن يوسف الخطيب . وقال ابن العميد عن المسيحي : إن فيلقس^(٣) ملك مصر غزا اليهود لأوّل سنة من ملك غاينس واستعبدهم سبع سنين ، قال وفي الرابعة من ملكه أمر عامله على اليهود بسورية وهي أورشليم . وهي بيت المقدس — أن ينصب الأصنام في محاريب اليهود ، ووُثب عليه بعض قوّاده فقتله .

وملك من بعده قلوديش قيصر ، قال هروشيوش : هو ابن طباريش وعلى عهده

(١) هو طباريوس .

(٢) الضمير يعود إلى الله .

(٣) وفي نسخة ثانية : فيليس .

كتب متى الحواري إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ، قال ابن العميد : ونقله يوحنا ابن زبدي إلى الرومية ، قال : وفي أيامه كتب بطرس رأس الحواريين إنجيله بالرومية ونسبه إلى مرقس تلميذه ، وكتب لوقا من الحواريين إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض الأكابر من الروم وكان لوقا طبيباً . ثم عظم الفساد بين اليهود ولحق ملكهم أغرباش برومة فبعث معه أقلوديش عساكر الروم فقتلوا من اليهود خلقاً ، وحملوا إلى أنطاكية ورومة منهم سيئاً عظيماً وخربت القدس وانجلى أهلها فلم يؤلّ عليهم القياصرة أحداً لخرابها ، وافترقت اليهود على فرق كثيرة أعظمها سبعة . قال ولسبع من ملك أقلوديش دخلت بطريقة من الروم في دين النصارى على يد شمعون الصفا ، وسمعت منه بالصليب ، فجاءت إلى القدس لإظهاره ، ورجعت إلى رومة .

وهلك أقلوديش قيصر لأربع عشرة سنة من ملكه وملك من بعده إبنه نيرون . قال هروشيوش : هو سادس القياصرة ، وكان غشوما فاسقا ، وبلغه أن كثيراً من أهل رومة أخذوا بدين المسيح فنكر ذلك وقتلهم حيث وجدوا ، وقتل بطرس رأس الحواريين ، وأقام أريوس بطركا برومة مكان بطرس من بعد خمس وعشرين سنة مضت لبطرس في كرسيها وهو رأس الحواريين ورسول المسيح إلى رومة ، وقتل مرقس الإنجيلي بالإسكندرية لإثني عشرة من ملكه وكان هنالك منذ سبع سنين بها مساعداً إلى النصرانية بالإسكندرية ومصر وبرقة والمغرب ، وولي مكانه حنانياً^(١) ويسمى بالقبطية جنبار وهو أول البطارقة بها واتخذ معه الأقسمة الإثني عشر .

قال ابن العميد عن المسيحي : وفي الثانية من ملك نيرون عزل بلخس القاضي ، كان على اليهود من جهة الروم ، وولي مكانه قسطنس القاضي ، وقتل بوثرار رئيس الكهنوتية بالمقدس ، ومات القاضي قسطنس فثار اليهود على من كان بالمقدس من النصارى وقتلوا أسقفهم هنالك وهو يعقوب بن يوسف النجّار ، وهدموا البيعة وأخذوا الصليب والخشبتيين ودفنوها إلى أن استخرجتها هالانة أم قسطنطين كما تذكر بعد . وولي مكان يعقوب النجّار ابن عمه شمعون بن كنانا ، ثم ثار بهم اليهود وأخرجوهم من المقدس لعشر من ملك نيرون فأجازوا الأردن وأقاموا هنالك . وبعث نيرون قائده أسباشيانس ، وأمر بقتل اليهود وخراب القدس وتحصن اليهود منه وبنوا عليهم ثلاثة حصون ، وحاصروهم أسباشيانس وخرّب جميع حصونهم وأحرقها وأقام عليهم سنة

(١) وفي الإنجيل : حنانيا .

كاملة . وقال هروشيوش : إنَّ نيرون قيصر انتقض عليه أهل مملكته فخرج عن طاعته أهل بَرطَانِيَّة من أرض الجوف ، ورجع أهل أرمينية والشام الى طاعة الفرس . فبعث صهره على أخته وهو يشبشيان بن لوجيه فسار إليهم في العساكر وغلبهم على أمرهم . ثم زحف الى اليهود بالشام وكانوا قد انتقضوا فحاصروهم بالقدس ، وبينما هو في حصاره إذ بلغه موت نيرون لأربع عشرة سنة من ملكه ، ثار به جماعة من قَواده فقتلوه ، وكان قد بعث قائدا الى جهة الجوف والأندلس ، فافتتح بَرطَانِيَّة ورجع إلى رومة بعد مهلك نيرون قيصر فلعله الروم عليهم ، وأنه قتل أخاه يشبشيان فأشار عليه أصحابه بالانصراف إلى رومة . وبشّره رئيس اليهود وكان أسيراً عنده بالملك ، ويظهر أنه يوسف بن كِرْيُون الذي مرّ ذكره ، فانطلق إلى رومة وخلف ابنه طيطش على حصار القدس فافتتحها وخرّب مسجدها وعمراها كما مرّ ذكره . قال : وقتل منهم نحو من ستائة ألف ألف^(١) مرتين وهلك في حصارها جوعاً نحو هذا العدد ، وبيع من سراريهم في الآفاق نحو من تسعين ألفاً ، وحمل منهم إلى رومة نحو من مائة ألف استبقاهم لفتيان الروم يتعلمون المقاتلة فيهم ضرباً بالسيوف وطعناً بالرمح . وهي الجَلَوَةُ الكُبْرَى كانت لليهود بعد ألف ومائة وستين سنة من بناء بيت المقدس ولخمسـة آلاف ومائتين وثلاثين من مبدأ الخليقة ولثمانمائة وعشرين من بناء رومة . فكان معه إلى أن افتتحها وكان المستبد بها بعد مهلك نيرون قيصر ، وانقطع ملك آل يُولس قيصر لمائة وست عشرة سنة من مبدأ دولتهم ، واستقام ملك يشبشيان في جميع ممالك الروم وتسمّى قيصر كما كان من قبل اهـ . كلام هروشيوش .

وقال ابن العميد : إن أسباشيانس لما بلغه وهو محاصرٌ للقدس أن نيرون هلك ، ذهب بالعساكر الذين معه ، وبشّره يوسف بن كِرْيُون كهنون طبرية من اليهود بأنّ مصير ملك القياصرة إليه ، ثم بلغه أن الروم بعد مهلك نيرون ملّكوا غليان بن قيصر فأقام عليهم تسعة أشهر ، وكان رديء السيرة ، وقتله بعض خدمه غيلة ، وقدّموا عوضه أنون ثلاثة أشهر ثم خلعه ، وملّكوا أبطالس ثمانية أشهر ، فبعث أسباشيانس وهو

(١) انتقد ابن خلدون في مقدمته لهذا التاريخ اخبار المؤرخين الواهية البعيدة عن المعقول ، وهذا العدد الذي ذكره ابن خلدون بعيد جداً عن المعقول ، لأن الستائة ألف ألف مكررة يعني انها تساوي ١٢٠٠ مليون وهذا رقم خيالي وربما تكون كلمة الألف الثانية مكررة من الناسخ فيكون العدد ستائة ألف مكررة اي حوالي مليون ومائتي ألف . وهو رقم معقول .

الذي سمّاه هروشيوش يشبشيان قائدین إلى رومة فحاربوا أبطانئش وقتلوه . وسار أسباشيانئس إلى رومة وبعث إليه طیطئش المحاصر للقدس بالأموال والغنائم والسبي ، قال وكانت عدّة القتلى ألف ألف والسبي تسعمائة ألف ، واحتمل الخوارج الذين كانوا في نواحي القدس مع الأسرى ، وكان یلّقي منهم كل يوم للسباع فرائس إلى أن فنوا . قال : ولما ملك طیطئش بیت المقدس رجع النصاری الذين كانوا عبروا إلى الأردن فبنوا كنيسة بالمقدس وسكنوا ، وكان الأسقف فيهم سمعان بن كلوبا ابن عم يوسف النجار وهو الثاني من أساقفة المقدس .

ثم هلك أسباشيانئس وهويششيان لتسع سنين من ملكه وملك بعده ابنه طیطئش قيصر ستين وقيل ثلاثا . قال ابن العميد : لأربعمئة من ملك الاسكندر . وقال هروشيوش : كان متفنا في العلوم ملتزما للخير عارفا باللسان الغربي واللطيني ، وولي بعده أخوه دومريان خمس عشرة سنة ، قال هروشيوش : وهو ابن أخت نيرون قيصر ، قال : وكان غشوما كافرا وأمر بقتل النصاری ففعل خاله نيرون ، وحبس يوحنا الحواري ، وأمر بقتل اليهود من نسل داود حذرا أن يملكوا ، وهلك في حروب الإفرنج وسمّاه ابن العميد دانسطيانوس ، وقال : ملك ست عشرة سنة وقيل تسعا ، وكان شديدا على اليهود وقتل أبناء ملوكهم ، وقيل له إن النصاری يزعمون أن المسيح يأتي وملك فأمر بقتلهم ، وبعث^(١) عن أولاد يهوذا بن يوسف من الحواريين وحملهم إلى رومة مقيدين ، وسأهم عن شأن المسيح ، فقالوا إنّا يأتي عند انقضاء العالم فخلّى سبيلهم . وفي الثالثة من دولته طرد بطرك إسكندرية لسبع وثمانين سنة للمسيح ، وقدم مكانه ملكموا فأقام ثلاث عشرة سنة ومات فولى مكانه كرمأهو .

قال ابن العميد عن المسيحي : ولعهده كان أمر ليونيوس صاحب الطلّسات برومة ، فنفى ذوسطيالوس جميع الفلاسفة والمنجمين من رومة وأمر أن لا يُغرس بها كرم ، ثم هلك ذوسطيالوس ، وهو الذي سمّاه هروشيوش ذومزيان ، وقال : هلك في حروب الإفرنج ، وملك بعده برما ابن أخيه طیطئش نحو من ستين وسمّاه ابن العميد تاوداس ، وقال : إن المسيحي سمّاه قارون ، قال : ويسمّى أيضا برسطوس ، وقال ملك على الروم سنة أوسنة ونصفا وأحسن السيرة وأمر بردّ من كان منفيا من النصاری وخلاهم ودينهم ورجع يوحنا الإنجيلي إلى أفسس بعد ست سنين . وقال هروشيوش :

(١) مقتضى السياق : وبحث .

أطلقه من السجن . قال : ولم يكن له وَلَدٌ فعهد بالملْك إلى طِرْيَانُس من عظماء قَوَّاده وكان من أهل مالقة فولي بعده وتسمّى قيصر . قال ابن العميد : وإسمه أنديانوس ، وسمّاه المسيحي طرينوس وملك على الروم باتفاق المؤرخين سبع عشرة سنة ، وقتل سمرعان بن كلاوياً أسقف بيت المقدس وأغناطيوس بطرك أنطاكية . ولقي النصراني في أيامه شدةً وتبع أمتهم بالقتل واستعبد عامتهم ، وهو ثالث القياصرة بعد نيرون في هذه الدولة . ولعهده كتب يوحنا إنجيله برومة في بعض الجزائر السادسة من ملكه وكان قد رجع اليهود إلى بيت المقدس فكثروا بها وعزموا على الانتقاض ، فبعث عساكره وقتل منهم خلقاً كثيراً . وقال هروشيوش : إنّ الحرب طالت بينه وبين اليهود ، فحربوا كثيراً من المدن إلى عسقلان ثم إلى مصر والإسكندرية فانهزموا هنالك وقتلوا وزحفوا بعدها إلى الكوفة ، فأثنى فيهم بالقتل وخضد من شوكتهم .

قال ابن العميد : وفي تاسعة من ملكه مات كوثيانو بطرك الإسكندرية لإحدى عشرة سنة من ولايته ، ووليّ مكانه أمرغو إتنى عشرة سنة أخرى ^(١) . وقال بطليموس صاحب كتاب الجسطي : إنّ شيلوش الحكيم رصد برومة في السنة الأولى من ملك طرينوس وهو أندريانوس ^(٢) لأربعائة وإحدى وعشرين للإسكندر ولثمانمائة وخمس وأربعين لبختنصر . وقال ابن العميد : خرج عليه خارجيّ يبابل فهلك في حروبه تسع عشرة سنة من ولايته كما قلناه ، فولي من بعد أندريانوس إحدى وعشرين سنة ، وقال ابن العميد عن ابن بطريق عشرين سنة . وقال هروشيوش : إنّهُ أثنى في اليهود ، ثم بنى مدينة المقدس وسمّاها إيلياء . وقال ابن العميد : كان شديداً على النصراني وقتل منهم خلقاً ، وأخذ الناس بعبادة الأوثان ، وفي ثامنة ملكه حرب بيت المقدس وقتل عامّة أهلها وبنى على باب المدينة عموداً وعليه لوح نقش فيه مدينة إيلياء . ثم زحف إلى الخارجيّ الذي خرج على طرينوس قبله فهزمه إلى مصر وألزم أهل مصر حفر خليج من مجرى النيل إلى مجرى القلزم وأجرى فيه الحلو ^(٣) ، ثم أرتد بعد ذلك ، وجاء الفتح والدولة الإسلامية فالزهم عمرو بن العاص حفره حتى جرى فيه الماء ثم انسد لهذا العهد .

(١) وفي نسخة أخرى : عشر سنوات أخرى .

(٢) هو أندريانوس .

(٣) ربما يكون قد سقط من النسخ كلمة الماء فتصبح الجملة : «وأجرى فيه الماء الحلو» .

وكان أندريانوس هذا قد بنى مدينة القدس ورجع إليها اليهود وبلغه أنهم يرومون الالتقاظ ، وأنهم ملكوا عليهم زكريّا من أبناء الملوك ، فبعث إليهم العساكر وتبعهم بالقتل وخرب المدينة حتى عادت صحراء ، وأمر أن لا يسكنها يهودي ، وأسكن اليونان بيت المقدس ، وكان هذا الخراب لثلاث وخمسين سنة من خراب طيطش الذي هو الحلوة الكبرى . وامتلاً القدس من اليونان وكانت النصرى يترددون إلى موضع القبر والصليب يصلّون فيه ، وكانت اليهود يرمون عليه الزبل والكناسات ، فمنعهم اليونان من الصلاة فيه وبنوا هنالك هيكلًا على اسم الزهرة .

وقال ابن العميد عن المسيحي : وفي الرابعة من ملك أندريانوس بطل الملك من الرها وتداولتها القضاة من قبل الروم ، وبنى أندريانوس بمدينة أثينوس^(١) بيتا ورتب فيه جماعة من الحكماء لمدرسة العلوم ، قال : وفي خامسة ملكه قدم نسطس بطركا على إسكندرية وكان حكيماً فاضلاً فلبث إحدى عشرة سنة ثم مات ، وقدم مكانه أمانيق في سادسة عشر من ملك أندريانوس فلبث إحدى عشرة سنة وهو سابع البطارقة . ثم مات أندريانوس لإحدى وعشرين من ملكه كما مرّ ، وولي ابنه أنطونيش . قال هروشيوش : ويسمى قبصر الرحيم . وقال ابن العميد : ملك اثنتين وعشرين . وقال الصعيدون إحدى وعشرين . قال : وفي خامسة ملكه قدم مريتانو بطركاً بإسكندرية وهو الثامن منهم ، فلبث تسع سنين ومات ، وكان فاضل السيرة . وقدم بعده كلوتيانو فلبث أربع عشرة سنة ، ومات في سابعة ملكه أوراليانوس بعده وكان محبوباً . وقال بطليموس صاحب المجسطي : إنه رصد الاعتدال الخريفي في ثلاثة ملك أنطونيوس ، فكان لأربعائة وثلاث وستين بعد الإسكندر .

ثم هلك أنطونيوس لإثنتين وعشرين كما مرّ ، فملك من بعده أوراليانس . قال هروشيوش : وهو أخو أنطونيوس وسمّاه أورالش وأنطونيوس الأصغر ، وقال : كانت له حروب مع أهل فارس وبعد أن غلبوا على أرمينية وسورية من ممالكه فدفعهم عنها وغلبهم في حروب طويلة ، وأصاب الأرض على عهده وباء عظيم ، وقحط الناس سنتين ، واستسقى لهم النصرى فأمطروا وارتفع الوباء والقحط بعد أن كان اشتد على النصرى وقتل منهم خلقاً ، وهي الشدة الرابعة من بعد نيرون :

قال ابن العميد : وفي السابعة من ملكه قدم على الإسكندرية البطرك أغريبوس ،

(١) هي مدينة أثينا .

فلبث إثني عشر سنة ومات في تاسعة عشر من ملك أنطونيوس الأصغر ، قال وفي أيامه ظهرت مبتدعة من النصارى واختلفت أقوالهم وكان منهم ابن ديصان وغيره ، فجاهدهم أهل الحق من الأساقفة وأبطلوا بدعتهم .

وهلك أنطونيوس هذا لتسع عشرة من ملكه . وفي عشرة ملكه ظهر أردشير بن بابك أول ملوك الساسانية واستولى على مُلْكِ الفُرس ، وكان صاحب الحضرة متملكاً على السواد فغلبه وملك السواد وقتله وقصته معروفة . وكان لعهد جالينوس المشهور بالطب وكان ربي معه ، فلما بلغه أنه ملك على الروم قدم عليه من بلاد اليونان وأقام عنده ، وكان لعهد أيضاً ديمقراطس الحكيم ، ولأول سنة من ملكه قدم بليانس بطركاً على إسكندرية وهو الحادي عشر من بطاركتها فلبث فيهم عشر سنين ومات . وولي مكانه ديمتريوس فلبث فيهم ثلاثاً وثلاثين سنة ومات كمودة قيصر لثلاثة عشر كما قلناه . فولي من بعده وزميليوس ثلاثة أشهر . قال ابن العميد : وسماه ابن بطريق قرطونش . وقال : وملك ثلاثة أشهر وسماه غيره قرطيخوس . وسماه الصعيديون برطانوس ومدة ملكه باتفاقهم شهران . وقال هروشيوش : اسمه إليس بن طيجليس وهو عم كمودة قيصر ، قال وولي سنة واحدة وقتله بعض قواده وأقام في الملك ستة أشهر وقتل .

قال ابن العميد : وملك بعده يوليانس قيصر شهرين ومات ، ثم ولي سوريانوس قيصر وسماه بعضهم سورس^(١) وسماه هروشيوش طباريش بن أرنت بن أنطونيش ، واختلفوا في مدته ، فقال ابن العميد عن ابن بطريق : سبع عشرة سنة ، وقال المسيحي : ثمان عشرة ، وعن أبي فانيوس ستة عشرة ، وعن ابن الراهب ثلاث عشرة ، وعن الصعيديين ستين . قال وملك في رابعة من ملك أردشير واشتد على النصارى وقتل فيهم وسار إلى مصر والإسكندرية فقتلهم وهدم كنائسهم وشردهم كل مشرد ، وبنى بالإسكندرية هيكلًا سماه هيكل الآله . قال هروشيوش : وهي الشدة الخامسة من بعد شدة نيرون . قال : ثم انتقض عليه اللطينيون ولم يزل محصوراً إلى أن هلك . وملك من بعده أقطونيش . قال ابن العميد عن ابن بطريق : ست سنين ، وعن المسيحي : سبع سنين . وسماه أنطونيش قسطنس . قال : وكان ابتداء ملكه عندهم لخمس وعشرين وخمسمائة من ملك

(١) وفي نسخة أخرى : سويرس .

الإسكندر ، ولعهده سار أردشير ملك الفرس إلى نصيبين فحاصرها وبني عليها حصنا ، ثم بلغه أن خارجا خرج عليه بخراسان ، فاجفل عنهم بعد المصالحة على أن لا يتعرضوا لحصنه ، فلما رحل بنوا من وراء الحصن وادخلوه في مدينتهم ، ورجع أردشير فنازلهم وامتنعوا عليه ، فأشار بعض الحكماء بأن يجمع أهل العلم فيدعون الله دعوة رجل واحد ، ففعلوا فملك الحصن لوقته . وقال هروشيوش : لَمَّا وَلِيَ أَنْطُونِيشُ ضعف عن مقاومة الفرس فغلبوا على أكثر مدن الشام ونواحي أرمينية وهلك في حروبهم وولي بعده مَفْرِيقُ بن مَرْكَة وقتله قواد رومة لسنة من ملكه وكذا قال ابن العميد ، وسمّاه ابن بطريق بِقَرُونُشُوشَ ، والمسيحي هَرَقْلْيَانُوسَ . قالوا جميعاً : وملك من بعده أنطونيش . قال ابن العميد عن ابن بطريق وابن الراهب : ثلاث سنين ، وعن المسيحي والصعيديين : أربع سنين ، قال : وفي أول سنة من ملكه بنيت مدينة عمّان بأرض فلسطين ، وملك سابور بن أردشير مدنا كثيرة من الشام . ومات أنطونيش فملك من بعده إسكندروس ثلاث وعشرين من ملك سابور بن أردشير فملك على الروم ثلاث عشرة سنة وكانت أمّه محبة في النصراري . وقال هروشيوش : ملك عشرين سنة وكانت أمّه نصرانية وكانت النصراري معه في سيرة من أمرهم . قال ابن العميد : وفي سابعة ملكه قَدِيمٌ ^(١) تَأَوَّكِلًا بطركا بالإسكندرية وهو الثالث عشر من البطارقة فلبث فيهم ست عشر سنة ومات . قال هروشيوش : ولعشر من ملكه غزا فارس فقتل سابور بن أردشير وانصرف ظافراً فثار عليه أهل رومة وقتلوه .

وملك من بعده مَخْشَمِيَان بن لوجية ثلاث سنين ، ولم يكن من بيت الملك وإنا ولوه لأجل حرب الإفرنج واشتدّ على النصراري الشدّة السادسة من بعد نيرون . وأمّا ابن العميد فسمّاه فَقِيمُوسَ ووافق على الثلاث سنين في مدّته وعلى ما لقي النصراري منه ، وآنه قتل منه سَرَحْبُوسُ في سَلَمِيّة وواجوس في بَالِسَ على الفرات ، وقتل بطرك انطاكية فسمع أسقف بيت المقدس بقتله فهرب وترك الكرسي . قال : وفي ثالثة ملكه ملك سابور بن أردشير خلاف ما زعم هروشيوش من أنه قتله .

ثم هلك فقيموس أرمشميان وولي من بعده يونيوس ثلاثة أشهر وقتل فيسا قال ابن العميد ، وقال : سمّاه أبو فانيوس لوكس قيصر وابن بطريق بلينايوس ولم يذكره

(١) بمعنى مضى على وجوده زمن طويل .

هروشيوش . ثم ملكَ عَرْدِيَانُوس قيصر ، قال ابن العميد عن ابن بطريق وابن الراهب : أربع سنين ، وعن المسيحي والصعيديين : ست سنين ، وسماه أبوفانيوس فودينوس والصعيديون قِرْطَانُوس . قال : وكان ملكه لإحدى وخمسين وخمسمائة من ملك الإسكندر . وقال هروشيوش : عَرْدِيَار بن بليسان . قال : وملك سبع سنين وطالت خروبه مع الفرس وكان ظافرا عليهم وقتله أصحابه على نهر الفرات ، قال وولي بعده فلقيش^(١) بن أولياق بن أنطونيش سبع سنين وهو ابن عم الإسكندر الملك قبله وأول من تنصّر من ملوك الروم . وقال ابن العميد عن الصعيديين : ملك ست سنين وقيل تسع سنين ، وكان ملكه لخمس وخمسين وخمسمائة من ملك الإسكندر وآمن بالمسيح . وفي أول سنة من ملكه قدم دنوشيوش بطركا بالإسكندرية وهو رابع عشر البطارقة بها فلبث تسع عشرة سنة ، ولعهد فيلقش هذا قدم غرديانوس أسقفا على بيت المقدس بعد هروب مركيوس ثم عاد من هروبه فأقام شريكا معه سنة واحدة ، ومات غرديانوس فانفرد مركيوس أسقفا ببيت المقدس عشر سنين ، قال : وقتل فيلقش قيصر قائداً من قواده يقال له دافيس وملك مكانه خمس سنين . وقال عن المسيحي وابن الراهب سنة ، وعن ابن بطريق سنتين . قال : وكان يعبد الأصنام ولقي النصارى منه شدة ، وكان من أولاد الملوك ، وقتل بطرك رومة وأجاز من مدينة قرطاجنة إلى مدينة أفسس وبني بها هيكلاً وحمل النصارى على السجود له ، قال : وفي أيامه كانت قصة فتية أهل الكهف وظهروا بعده في أيام تاودوسيوس . وأما هروشيوش فسماه داجية بن مخشيمان ، وقال : ملك سنة واحدة ، وكانت على النصارى في أيامه الشدة السابعة ، وقتل بطرك رومة منهم .

وولي من بعده غالش قيصر سنتين واستباح في قتل النصارى وباء عظيم أقفلت له المدن . وقال هروشيوش : هو غالش بن يولياش ، وقال ابن بطريق : إن يولياش كان شريكا له في ملكه ومات قبله . قال ابن العميد : إحدى عشرة سنة لسبعين وخمسمائة من ملك الإسكندر . وقال هروشيوش وابن بطريق : ملك خمس عشرة سنة وإسمه غاليوش ، وقال المسيحي : خمس عشرة سنة ، وسماه داقبوس وغاليوش ابنه . وقال آخرون : اسمه أورليوش وملك خمس سنين . وقال أبوفانيوس : اسمه غليوس وملك أربع عشرة سنة . وقال الصعيديون ملك كذلك وإسمه أوراليونوس .

(١) وفي نسخة أخرى : فيلبس .

قال ابن العميد : وكان يعبد الأصنام ولقي النصارى منه شدة في أول سنة من ملكه قدم مكتمبوش^(٢) بطركا بالإسكندرية وهو الخامس عشر من بطاركتها فلبث إثنتي عشرة سنة ومات ، وفي خامسة ملكه قدم إسكندروس أسقفا ببيت المقدس ثم قتله بعد سبع سنين وبعث ابنه في عساكر الروم لغزو الفرس ، فانهزم وحمل أسيراً إلى كِسرى بهرام فقتله . وقال هروشيوش : ولي غلينوس خمسة عشر سنة فاشتد على النصارى الأمر وقتلهم وقتل معهم بطرك بيت المقدس ، وكانت له حروب مع الفرس أسره في بعضها ملكهم سابور ثم منّ عليه وأطلقه ، ووقع في أيامه برومة وباء عظيم فرفع طلبه عن النصارى بسببه ، وفي أيامه خرج القوط من بلادهم وتغلبوا على بلاد الغريقيين ومقدونية وبلاد النبط ، وكان هؤلاء القوط يعرفون بالسُنْسِين وكانت مواطنهم في ناحية بلاد السريانيين ، فخرجوا لعهد غلنوش هذا وغلبوا كما قلناه على بلاد الغريقيين ومقدونية وعلى مِرية .

وهلك غلينوش قتيلاً على يد قواد رومة ، ثم ملك أقاويدوش قيصر سنة واحدة ، وقال ابن العميد عن المسيحيّ سنة وتسعة أشهر لثمانين وخمسمائة للإسكندر . وفي أول سنة من ملكه قدم يونس السميصانيّ بطركاً بأنطاكية فلبث ثمان سنين وكان يقول بالوحدانيّة ويحجّد الكلمة بالروح ، ولما مات اجتمع الأساقفة بأنطاكية وردوا مقاتله . وقال هروشيوش : ولي بعد غلينوش فلوديش بن يلازيان بن موكله فنسبه هكذا ، وقال فيه من عطاء القواد . ولم يكن من بيت الملك ودفع القوط المتغلّبين عن مقدونية من منذ خمس عشرة سنة عليها ، ومات لستين من ملكه وهذا كما قال المسيحي .

وقال هروشيوش : ولي بعده أخوه نطيل سبع عشرة يوماً وقتله بعض القواد ، ولم يذكر ذلك ابن العميد . ثم ملك بعده أوريليأنس ست سنين وسمّاه ابن بطريق أوراليوس والمسيحيّ أرينوس وأبوقانيوس أوليوس وهروشيوش أوليان بن بلنسيان . وقال : ملك خمس سنين ، قال ابن العميد : وفي الرابعة من ملكه قدم تاوناً بطركاً بالإسكندرية سادس عشر البطاركة فلبث عشر سنين . وكان النصارى يقيمون الدين خفية ، فلما صار بطركاً قابل الروم ولاطفهم بالهدايا فأذنوا له في بناء كنيسة مريم وأعلنوا فيها بالصلاة ، قال : وفي سادسة ملكه ولد قسطنطين . وقال هروشيوش : إن

(٢) وفي نسخة اخرى : مكسيموس .

أورليان بن بلنسيان هذا حارب القوط فظفر بهم وجدّد بناء رومة واشتدّ على النصارى
تاسعة بعد نيرون ثم قتل . فولي بعده طائيش بن إلياس وملك قريبا من السنة . وقال
ابن العميد : اسمه طافسوس وملك ستة أشهر . وقال ابن بطريق : اسمه طافساس
وملك تسعة أشهر .

ثم ملك فروفش قيصر خمس سنين ، وقال أبو فانيوس : اسمه فروش ، وقال ابن
بطريق وابن الراهب والصعيدون ست سنين ، وقال المسيحي سبع سنين وسمّاه
الأكيوس وأزفيون ، وسمّاه ابن بطريق بروش ، وسمّاه هروشيوش فاروش بن
أنطويش . قال : وتغلب على كثير من بلاد الفرس ، وقال ابن العميد : كان ملكه
لسابعة من ملك سابور ذي الأكتاف ولخمسائة وإثنتين وتسعين من ملك
الاسكندر ، وكان شديداً على النصارى وقتل منهم خلقاً كثيراً وهلك هو وأبناؤه في
الحرب .

وقال هروشيوش : ولما هلك فاروش ولي من بعده ابنه متاربان وقُتل لحينه ، ولم
يذكره ابن العميد . ثم ملك بقلاديانوش إحدى وعشرين سنة ، وقال المسيحي :
عشرين سنة ، وقال غيره : ثمانى عشرة سنة ، وملك لخمسائة وخميس وتسعين
للاِسكندر ، وقال غيرهم : كان اسمه عربيطاً وارتقى في أطوار الخدمة عند القياصرة
إلى أن استخلصه فاريوخ وجعله على خيله وكان حسن المزمار . ويقال أن الخيل
كانت ترقص طرباً لمزاميره ، وعشيقته بنت فاريوخ الملك ، ولما مات أبوها وإخوتها
ملكها الروم عليهم فتزوجته وسلمت له في الملك ، فاستولى على جميع ممالك الروم وما
والاها ، وقسطنطش^(١) ابن عمه على بلاد أسيّا وبيزنطية ، وأقام هو بأنطاكية وله الشام
ومصر الى أقصى المغرب . وفي تاسعة عشر من ملكه انتقض أهل مصر والاسكندرية
فقتل منهم خلقاً ورجع إلى عبادة الأصنام وأمر بغلق الكنائس ، ولقي النصارى منه
شدةً وقتل القسيس مارجرس^(٢) وكان من أكابر أبناء البطارقة ، وقتل ملقوس منهم
أيضاً . وفي عاشر ملكه قدم ماربطرس بطركا بالاسكندرية فلبث عشر سنين وقتله ،
وجعل مكانه تلميذه إسكندروس ، وكان كبير تلامذته أريوش كثيراً لمخالفة^(٣) له
فسخطه وطرده ، ولما مات ماربطرس رجع أريوش عن المخالفة فأدخله إسكندروس
إلى الكنيسة وصيّره قساً .

(١) هو القديس مارجرس . (٢) ومقتضى السياق «كان كبير تلامذته أريوش يوشي به كثيراً لمخالفته له» .

قال ابن العميد : وفي أيام دِقْلَادِيَانُوسُ خرج قُسْطَنْطِيشُ ابن عمّه ونائبه على بيزنطيا وأشيّاً ورأى هلاّنة ، وكانت تنصّرت على يد أسقف الرّها ، فأعجبته وتزوّجها وولدت له قُسْطَنْطِينَ ، وحضر المنجسون لولادته فأخبروا بملكه ، فأجمع ديقلاديانوس على قتله فهرب إلى الرّها . ثم جاء بعد موت ديقلاديانوس فوجد أباه قُسْطَنْطِيشُ قد ملك على الروم فتسلّم الملك من يده على ما نذكر ، وهلك ديقلاديانوس لعشرين سنة من ملكه ولستمائة وستة عشرة سنة من ملك الإسكندر وملك من بعده ابنه مقسيانوس^(١) قال ابن بطريق : سبع سنين ، وقال المسيحي وابن الراهب : سنة واحدة . قالوا وكان شريكه في الملك مَقْطُوسُ ، وكان أشدّ كفراً من ديقلاديانوس ، ولقي النصاري منها شدةً وقتلا منهم خلقاً كثيراً ، وفي أول سنة من ملكه قَدِمُ الإسكندروس تلميذ مار بطرس الشهير بطركا بالإسكندرية ، فلبث فيهم ثلاثاً وعشرين سنة .

وعلى عهد مقسيانوس تذكر تلك الخرافة بين المؤرخين من أن سابور ملك الفرس دخل أرض الروم متنكراً ، وحضر مكان مقسيانوس وسجنه في جلد بقرة وسار إلى مملكة فارس وسابور في ذلك الجلد وهرب منه ، ولحق بفارس وهزم الروم ، في حكاية مستحيلة وكلها أحاديث خرافة . والصحيح منه أن سابور سار إلى مملكة الروم فخرج إليه مقسيانوس واستولى على ملكه كما نذكر بعد . وأمّا هروشيوش فلما ذكر منَارَبَانَ قيصر بن قاريوس وآنه ملك بعد أبيه وقتل لحينه ، ثم قال وقام بملكهم ديوقاريان وثأر من قاتله ، خرج عليه أَقْرِيرُ بن قاريوس فقتله ديوقاريان بعد حروب طويلة ، ثم انتقض عليه أهل ممالكه وثأر الثوار ببلاد الإفرنجية والأندلس وأفريقية ومصر ، وسار إليه سابور ذو الأكتاف فدفع ديوقاريان إلى هذه الحروب كلها مخشيمان هركوريش وصيّره قيصر ، فبدأ أولاً ببلاد الإفرنجية فغلب الثوار بها وأصلحها وكان الثائر الذي بالأندلس قد ملك برطانية سبع سنين فقتله بعض أصحابه ورجعت برطانية إلى ملك ديوقاريان ، ثم استعمل مخشيمان خليفة ديوقاريان صهره قسطنطش وأخاه مَخْشَمِيسَ ابني وليتنوس ، فضى مخشمس إلى أفريقية وقهر الثوار بها وردّها إلى طاعة الرومانيين ، وزحف ديوقاريان قيصر الأعظم إلى مصر والإسكندرية فحصر الثائر بها إلى أن ظفر به وقتله ، ومضى قسطنطش إلى اللّمانيين في ناحية بلاد الإفرنج فظفر بهم بعد حروب طويلة . وزحف مخشيمان خليفة ديوقاريان إلى سابور ملك الفرس

(١) هو مكسيانوس .

فكانت حروبه معه سجالاً حتى غلبه وأصاب منه ، واستأصل مدينة غَوْرَةَ والكوفة من بلاده سبيّاً وقتلاً ورجع إلى رومة . ثم سرّحه ديوقاريان قيصر إلى حروب أهل غالِش من الإفرنجية ، فأئخن فيهم قتلاً وسبيّاً ، ثم اشتدّ ديوقاريان على النصارى الشدة العاشرة بعد نيرون وأئخن فيهم بالقتل ودام ذلك عليهم عشر سنين .

ثم اعتزل ديوقاريان وخليفته مخشميان المُلْك ورفضاه ودفعاه إلى قسطنطش بن وليتنوش وأخيه مخشمس ويسمى غلاريس ، فاقتهما ملك الرومانيين ، فكان لمخشمس غلاريس ناحية الشرق وكان لقسطنطش ناحية المغرب وكانت أفريقية وبلاد الأندلس وبلاد الإفرنج في ملكه ^(١) . وهلك ديوقاريان ومخشميان معتزلين عن الملك بناحية الشام وأقام قسطنطش في الملك ، ثم هلك ببرطانية وأقام بملك اللطينيين من بعده ابنه قسطنطين . انتهى كلام هروشيوش .

ويظهر أنّ هذا الملك الذي سمّاه ابن العميد ديقلاديانوس هو الذي سمّاه هروشيوش ديوقاريان ، والخبر من بعد ذلك متشابه والأسماء مختلفة ولا يخفى عليك وضع كل إسم في مكانه من الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم .

الخبر عن القياصرة المنتصرة من اللطينيين وهم الكيتم واستفعال ملكهم بقسطنطينية ثم بالشام بعدها إلى حين الفتح الإسلامي ثم بعد إلى إنقراض أمرهم

هؤلاء الملوك القياصرة المنتصرة من أعظم ملوك العالم وأشهرهم وكان لهم الاستيلاء على جانب البحر الرومي من الأندلس إلى رومة إلى القسطنطينية إلى الشام إلى مصر والإسكندرية إلى أفريقية والمغرب ، وحاربوا التُّرك والفُرس بالشرق والسودان بالمغرب من النوبة فمن وراءهم . وكانوا أولاً على دين الجوسية ، ثم بعد ظهور الحواريين ونشر دين النصرانية بأرضهم وتسلطهم عليهم بأرضهم مرة بعد أخرى أخذوا بدينهم . وكان أول من أخذه به قسطنطين بن قسطنطش بن وليتنوس ^(٢) وأمه هلانه بنت مخشميان قيصر خليفة ديوقاريان قيصر الثالث والثلاثون من القياصرة ، وقد

(١) الأصح ان يقول ملكه .

(٢) هو وليتنوس .

مَرَّ ذَكَرَهُ آتِفاً . وَأَتَمَّ سعى هذا الدين دين النَّصْرَانِيَّةِ نَسَبَةً إِلَى ناصِرَةِ القَرِيَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا مَسْكَنُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا رَجَعَ مِنْ مِصْرَ مَعَ أُمِّهِ . وَأَمَّا نَسَبُهُ إِلَى نَصْرَانَ فَهُوَ مِنْ أُنْبِيَةِ المَبَالِغَةِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا الدِّينَ فِي غَيْرِ أَهْلِ عَصَابَةِ فَهُوَ دِينٌ مِنْ بَنَصْرِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ .

ويعرف هؤلاء القياصرة ببني الأصفر وبعض الناس ينسبهم إلى عيصُوبن إسحق وقد أنكر ذلك المحققون وأبوه . وقال أبو محمد بن حَزْمٍ عند ذكر إسرائيل عليه السلام كان لإسحق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب واسمه عيصَاب ، وكان بنوه يسكنون جبال السَّرَاةِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الحِجَازِ ، وَقَدْ بَادَوْا جَمَلَةً إِلَّا أَنَّ قَوْمًا يَذْكُرُونَ أَنَّ الرُّومَ مِنْ وَلَدِهِ وَهُوَ خَطَأٌ وَإِنَّمَا وَقَعَ لَهُمْ هَذَا الْغَلْطُ لِأَنَّ مَوْضِعَهُمْ كَانَ يُقَالُ لَهُ أَرُومُ فَظَنُّوا أَنَّ الرُّومَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ الرُّومَ إِنَّمَا نُسِبُوا إِلَى رُومَلُسَ بَاني رُومَةٍ وَرَبَّمَا يَحْتَجُّونَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ لِلْحَرِثِ بْنِ قَيْسٍ : هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ ؟ وَلَا حِجَّةَ فِيهِ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَرِيدَ بَنِي عَيْصَابَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ قَصْدَهُ كَانَ إِلَى نَاحِيَةِ السَّرَاةِ وَهُوَ مَسْكَنُ بَنِي عَيْصُوبَ (قُلْتُ) : مَسْكَنُ عَيْصُوبَ هَؤُلَاءِ كَانَ يُقَالُ لَهُ أَيْذُومٌ ، بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ إِلَى الظَّاءِ أَقْرَبُ فَعَرَّبَتْهَا الْعَرَبُ رَاءَ ، وَمِنْ هُنَا جَاءَ الْغَلْطُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُقَالُ لَهُ يَسْعُونُ أَيْضاً وَالْإِسْمَانُ فِي التَّوْرَةِ .

قال ابن العميد : خَرَجَ قُسْطَنْطِينُ الْمُؤْمِنُ عَلَى مَقْسِيَانُوسَ فَهَزَمَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى رُومَةٍ وَازْدَحَمَ الْعَسْكَرَ عَلَى الْجِسْرِ فَوَقَعَ بِهِمْ فِي الْبَحْرِ وَغَرِقَ مَقْسِيَانُوسُ مَعَ مَنْ غَرِقَ ، وَدَخَلَ قُسْطَنْطِينُ رُومَةً وَمُلْكُهَا بَعْدَ أَنْ أَقَامَ مَلِكاً عَلَى بِيْزَنْطِيَّةٍ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ سِتَا وَعَشْرِينَ سَنَةً ، فَبَسَطَ الْعَدْلَ وَرَفَعَ الْجُورَ . وَخَرَجَ قَائِدُهُ يَسْكُنُ نَاحِيَةَ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ ، وَوَلَّاهُ عَلَى رُومَةٍ وَأَعْمَالِهَا وَأَلْزَمَهُ بِإِكْرَامِ النَّصَارَى ، ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَيْهِ وَقَتْلُ النَّصَارَى وَعَبَدُ الْأَصْنَامِ ، وَكَانَ فِيمَنْ قَتَلَ مَارْيَادِسَ بَطْرِكَ بَطَارِقَةَ ، فَبَعَثَ قُسْطَنْطِينُ الْعَسَاكِرَ إِلَى رُومَةٍ لِحَرْبِهِ فَسَاقُوهُ أَسِيراً وَقَتْلَهُ .

ثم تَنَصَّرَ قُسْطَنْطِينُ فِي مَدِينَةِ نِيْقِيَا لِإِثْنَتَيْ عَشَرَ مِنْ مَلِكِهِ وَهَدَمَ بِيُوتَ الْأَصْنَامِ وَبَنَى الْكَنَائِسَ ، وَلِتَاسَعَ عَشْرَةَ مِنْ مَلِكِهِ كَانَ جَمْعُ الْأَسَاقِفَةِ بِمَدِينَةِ نِيْقِيَةِ وَنَفَى أَرِيُوسَ ، كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ قَبْلِ وَأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْجَمْعِ كَانَ إِسْكَندَرُوسُ بَطْرِكَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَفِي الْخَامِسَةِ عَشَرَ مِنْ رِيَاسَتِهِ تَوَفَّى بَعْدَ الْجَمْعِ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ . وَقَالَ ابْنُ بَطْرِيْقٍ كَانَتْ وَلايَةُ إِسْكَندَرُوسَ فِي الْخَامِسَةِ مِنْ مَلِكِ قُسْطَنْطِينِ وَبَقِيَ سِتَ عَشْرَةَ

سنة وقتل في السادسة والعشرين من ملك ديقلديانوس وأنه كان على عهد أوسانيوس أسقف قيساريّة . قال المسيحيّ : مكث بطركا ثلاثا وعشرين وكسر صنم النحاس الذي هو هيكّل زحل بإسكندرية ، وجعل مكانه كنيسة فهدمها العبيدّيون عند ملكهم إسكندريّة . وقال ابن الراهب : إنّ إسكندروس البطرك وليّ أول سنة من ملك قسطنطين فكث اثنتين وعشرين سنة وعلى عهده جاءت هلاكة أم قسطنطين لزيارة بيت المقدس وبنت الكنائس وسألت عن موضع الصليب فأخبرها مقاريوس الأسقف : إنّ اليهود أهالوا عليه التراب والزبل فأحضرت الكهنوتية وسألته عن موضع الصليب وسألته رفع ما هنالك من الزبل ثم استخرجت ثلاثة من الخشب وسألت أيتها خشبة المسيح ، فقال لها الأسقف : علامتها أنّ الميت يحيا بمسيحها ، فصدقت ذلك بتجربتها ، واتخذوا ذلك اليوم عيدا لوجود الصليب ، وبنت على الموضع كنيسة القيامة^(١) ، وأمرت مقاريوس الأسقف ببناء الكنائس وكان ذلك لثلاثمائة وثمان وعشرين من مولد المسيح عليه السلام .

وفي حادية وعشرين من ملك قسطنطين كان مهلك اسكندروس البطرك ، ووليّ مكانه تلميذه أثناسيوس كانت أمّه تنصّرت على يده فربى ابنها عنده وعلمه ووليّ بطركا مكانه وسعى به أصحاب أريوش إلى الملك بعده مرتين بقي فيها على كرسيه ثم رجع . وحمل قسطنطين اليهود بالقدس على النصرانية فأظهروها وافتتحوا في الامتناع من أكل الخنزير ، فقتل منهم خلقا وتنصّر بعضهم ، فرغموا أنّ أخبار اليهود نقصوا من سني مواليد الآباء نحو من ألف وخمسمائة سنة ليبتلوا بحجى المسيح في السوابيع التي ذكر دانيال أنّ المسيح يظهر عندها ، وأنها لم يحن وقتها وأنّ التوراة الصحيحة هي التي فسّرها السبعون من أخبار اليهود^(٢) .

ملك مصر . وزعم ابن العميد أن قسطنطين أحضرها واطلع منها على النقص الذي قاله ، قال : وهي التوراة التي بيد النصارى الآن .

قال ثم أمر قسطنطين بتجديد مدينة بيزنطية وسماها قسطنطينية باسمه وقسم ممالكه بين أولاده ، فجعل لقسطنطين قسطنطينية وما والاها ، لقسطنطين الآخر بلاد الشام إلى أقصى المشرق ، ولقسطنطوس الثالث رومة وما والاها . قال وملك خمسين سنة منها

(١) هي كنيسة القيامة .

(٢) بياض بالاصل ومقتضى السياق : فسرها السبعون من أخبار اليهود وأرسلوها إلى ملك مصر .

ست وعشرون بيزنطية قبل غلبة مقسميانوس ومنها أربع وعشرون بعد استيلائه على الروم ، وتنصّر في إثنتي عشرة من آخر ملكه ، وهلك لستمائة وخمسين للإسكندر . قال هروشيوش : كان قسطنطين بن قسطنطس على دين المجوسية ، وكان شديداً على النصارى ، ونفى بطرك رومة فدعا عليه وابتلى بالجدام ، ووصف له في مداواته أن ينغمس في دماء الأطفال ، فجمع منهم لذلك عدداً ثم أدركته الرقة عليهم فأطلقهم ، فرأى في منامه من يحضه على الاقتداء بالبطرك فردّه إلى رومة وبرىء من الجدام . وجنح من حينئذ إلى دين النصرانية ، ثم خشي خلاف قومه في ذلك ، فارتحل إلى القسطنطينية ونزها وشيّد بناءها وأظهر ديانة المسيح ، وخالف أهل رومة فرجع إليهم وغلبهم على أمرهم وأظهر دين النصرانية ، ثم جاهد الفُرس حتى غلبهم على كثير من ممالكهم . ولعشرين سنة من ملكه خرجت طائفة من القوط إلى بلاده فأغاروا وسبوا فرحف إليهم وأخرجهم من بلاده . ثم رأى في منامه عرباً وينوداً على تمثال الصليبان وقائلاً يقول هذه علامة الظفر لك ، فخرجت أمه هالكة إلى بيت المقدس لطلب آثار المسيح وبنت الكنائس في البلدان ورجعت ثم هلك قسطنطين لإحدى وثلاثين سنة من ملكه اهـ . كلام هروشيوش .

ثم ولي قسطنطين الصغير بن قسطنطين وسمّاه هروشيوش قسطنطس . قال ابن العميد : ملك أربعاً وعشرين سنة وكان أخوه قسطنطوس برومية بولاية أبيها في خامسة من ملك قسطنطين بعث العساكر فقتل مقنيطوس وأتباعه وولّى على رومة من جهته فكانت له صاغية إلى أريوش فأخذ بمذهبه ، وغلبت تلك المقالة على أهل قسطنطينية وأنطاكية ومصر والإسكندرية ، وغلب أتباع أريوش على الكنائس ووثبوا على بطرك اسكندرية ليقتلوه فهرب كما مرّ ، ثم هلك لأربع وعشرين سنة من ملكه . وولي ابن عمه يولياش . وقال هروشيوش بن منخشمطش قال : وملك سنة واحدة . وقال ابن العميد : ملك ستين باتفاق لثلاثة من ملك سابور وكان كافراً وقتل النصارى وعزّهم عن الكنائس وأطرحهم من الديوان وسار لقتال الفرس فات من سهم أصابه . وقال هروشيوش : تورط في طريقه في مفازة ضلّ فيها عن سبيله فتقبض عليه أعداؤه وقتلوه .

قال هروشيوش : وولي بعده بليان بن قسطنطي سنة أخرى ، وزحف إلى الفرس ومكّهم يومئذ سابور ، فحجم عن لقائهم ، فصالحهم ورجع وهلك في طريقه . ولم

يذكر ابن العميد بليان هذا وإنّا قال : ملك من بعد يوليانوس الملك يوشانوس واحدة باتفاق في سادسة عشر من ملك سابور ، وكان مقدّم عساكر يوليانوس ، فلما قتل اجتمعوا إليه وبايعوه واشترط عليهم الدخول في النصرانية فغلبوه ، وأشار سابور بتوليته ونصب له صليبا في العسكر ، ولما ولي نزل على نصيبين للفرس ونقل الروم الذي بها إلى آمد ورجع إلى كرسي مملكتهم ، فردّ الأساقفة إلى الكنائس ، ورجع فيمن رجع أناشيوش بطرك اسكندرية ، وطلب منه أن يكتب له أمانة أهل مجمع نيقية ، فجمع الاساقفة وكتبوها وأشار عليه بلزومها . ولم يذكر هروشيوش يوشانوس هذا وذكر مكانه آخر قال : وسماه بلنسيان بن قسطنطس . قال : وقاتل أمّا من القوط والافرنجة وغيرهم ، قال : وافترق القوط في أيامه فرقتين على مذهبي أريوش وأمانة نيقية ، قال : وفي أيامه ولي داماش بطركا برومة ثم هلك بالفالج ، وملك بعده أخوه وليس أربع سنين وعمل على مذهب أريوش واشتدّ على أهل الأمانة وقتلهم . وثار عليه بأهل أفرقية بعض النصاري مع البربر فأجاز إليهم البحر وحاربهم فظفر بالثائر وقتله بقرطاجنة ، ورجع إلى قسطنطينية فخارب القوط والأئم من ورائهم وهلك في حروبهم .

وقال ابن العميد في قيصر الذي قتل وليس وسماه واليطنوس : إنه ملك اثنتي عشرة سنة فيما حكاه ابن بطريق وابن الراهب ، وحكى عن المسيحي خمسة عشر سنة ، وأن أخاه والياش كان شريكه في الملك وأنه كان مباينا وأنه ملك لستمائة وست وسبعين للاسكندر وسبع عشرة لسابور كسرى . قال : وفي أيامه وثب أهل اسكندرية على أناشيوش البطرك ليقتلوه فهرب وقدموا مكانه لوقيوس وكان على رأي أريوش ، ثم اجتمع أهل الأمانة بعد خمسة أشهر ورجعوه إلى كرسيه وطرّدوا لوقيوس ، وأقام أناشيوش بطركاً إلى أن مات ، فولوا بعده تلميذه بطرس ستين ، ووثب به أصحاب لوقيوس فهرب ورجع لوقيوس إلى الكرسي فأقام ثلاث سنين . ثم وثب به أهل الأمانة ورجعوا بطرس وما لسنة من رجعته ولقي من داريانوس قيصر ومن أصحاب أريوش شدائد ومحنًا . وقال المسيحي : كان واليطينوس يدين بالأمانة ، وأخوه واليش يدين بمذهب أريوش أخذه عن ثاودكيس أسقف القسطنطينية ، وعاهده على إظهاره ، فلما ملك نفى جميع أساقفة الأمانة وسار أريوس أسقف أنطاكية بإذنه إلى الاسكندرية ، فحبس بطرس البطرك وأقام مكانه أريوش من أهل سميساط ،

وهرب بطرس من السجن وأقام برومة .

وكانت بين واليطينوس قيصر وبين سابور كسرى فتنة وحروب وهلك في بعض حروبه معهم ، وولي بعده أخوه واليش . قال ابن العميد عن ابن الراهب : ستين ، وعن أبي فانيوس ثلاث سنين وسمّاه والاس . وقال : هو أبو الملكين اللذين تركا الملك وترهبّا وسمّى مكسينموس ودوقاديوس ، قال : وفي الثانية من ملكه بعث طيمانوس أخا بطرس بطركا على إسكندرية فلبث فيهم سبع سنين ومات ، وفي سادسة ملكه كان المجمع الثاني بقسطنطينية وقد مرّ ذكره . وفي أيام واليش قيصر هذا مات بطرك قسطنطينية فبعث أغوريوس أسقف يزناروا وولّاه مكانه فوليه أربع سنين ومات . ثم خرج على واليش خارجٌ من العرب فخرج إليه فقتل في حروبه .

ثم ولي أغراديانوس قيصر ، قال ابن العميد : وهو أخو واليش وكان والنطوس . بن واليش شريكا له في الملك وملك سنة واحدة ، وقال عن أبي فانيوس ستين ، وعن ابن بطريق ثلاث سنين ، وذكر عن ابن المسيحيّ وابن الراهب : أن تاوداسيوس الكبير كان شريكا لها وأنّ ابتداء ملكهم لستمائة وتسعين من ملك الاسكندر ، وأنه ردّ جميع ما نفاه واليش قبله من الأساقفة إلى كرسیه وخلّى كل واحد مكانه .

ومات أغراديانوس وابن أخيه في سنة واحدة ، قال ابن العميد . وملك بعدهما تاوداسيوس سبع عشرة سنة باتفاق لستمائة وتسعين من ملك الاسكندر ولاحدى وثلاثين من ملك سابور كسرى ، وفي سادسة ملكه مات أنثاشيوس ، بطرك اسكندرية فولّى مكانه كاتبه تاوفيلّا ، وكان بطرك القسطنطينية يوحنا فم الذهب ، وأسقف قبرص أبوفانيوس كان يهوديا وتنصّر . قال : وكان لتاوداسيوس ولدان أرقاديوس وبرباريوس ، قال : وفي خامسة عشر من ملكه ظهر الفتية السبعة أهل الكهف الذين قاموا أيام دقيانوس ولبثوا في نومهم ثلثمائة سنة وتسع سنين كما قصّه القرآن ، ووجد معهم صندوق النحاس والصحيفة التي أودع البطريق فيها خبرهم ، وبلغ الأمر إلى قيصر تاوداسيوس فبعث في طلبهم فوجدهم قد ماتوا ، فأمر أن يبنى عليهم كنيسة ويتخذ يوم ظهورهم عيداً . قال المسيحيّ : وكان أصحاب أريوس قد استولوا على الكنائس منذ أربعين سنة فأزالهم عنها ونفاهم وأسقط من عساكره كل من يدين بتلك المقالة ، وعقد المجمع الثاني بقسطنطينية لماثتين وخمسين سنة من مجمع نيقية ، وقرّر فيه الأمانة الأولى بنيقية وعهدوا أن لا يزداد فيها ولا ينقص . وفي خامسة

عشر من ملكه مات سابور بن سابور وملك بعده بهرام . ثم هلك تاوداسيوس سبع عشرة سنة من ملكه .

وأما هروشيوش فقال بعد ذكر واليش : وملك بعده وليطانش ابن أخيه فلنسيان ست سنين وهو الموفى أربعين عدداً من ملوك القياصرة ، قال واستعمل طودوشيش بن أنطونش بن لوحيان على ناحية المشرق فملك الكثير منها ، ثم هم أهل رومة على قائدهم فقتلوه وخلعوا وليطانش الملك ، فلحق بطودوشيش بالمشرق فسلم إليه في الملك ، فأقبل طودوشيش إلى رومة وقتل الناصر بها واستقل بملك القياصرة ، وهلك لأربع عشرة سنة من ولايته ، فولي ابنه أركاديش . ويظهر من كلام هروشيوش أن طودوشيش هو تاوداسيوس الذي ذكره ابن العميد ، لأنها متفقان في أن ابنه أركاديش ومتقاربان في المدة ، فلعل وليطانش الذي ذكره هروشيوش هو أغراديانوس الذي ذكره ابن العميد اهـ .

قال ابن العميد : وملك أركاديش ولد تاوداسيوس الأكبر ثلاث عشرة سنة باتفاق في الثالثة ملك بهرام بن سابور وكان مقبياً بالقسطنطينية ، وولي أخاه أنوريش على رومة ، قال : وولد لأركاديش ابن سماء طودوشيش باسم أبيه ، ولما كبر طلب معلمه أريانوس ليعلم ولده ، فهرب إلى مصر وترهب ، ورغبه بالمال فأبى وأقام في مغارة بالجليل المقطم على قرية طراً ثلاث سنين ، ومات فبنى الملك على قبره كنيسة وديراً يسمى دير القصير ، ويقال : دير البغل . وفي أيامه غرق أبوفانيوس بمرجهه إلى قبرص ، ومات يوحنا فم الذهب بطرك القسطنطينية وكان نفاه أركاديش بموافقة أبي فانيوس ، ودعا كل منها على صاحبه فهلكا . وفي التاسعة من ملك أركاديش مات بهرام بن سابور وملك ابنه يزدجرد .

ثم هلك أركاديش وملك من بعده طودوشيش الأصغر ابن أركاديش ثلاث عشرة سنة ، وولي أخاه أنوريش على رومة ، فاقسما ملك اللطينيين ، وانتقض لعهديهما قومس أفريقية وخالفه إلى طاعة القياصرة فحدثت بأفريقية فتنة لذلك . ثم غلب القومس أخاه فلحق بقبرص وترهب بها ، ثم زحف القوط إلى رومة وقرعها أنوريش فحاربوها ودخلوها عنوة واستباحوها ثلاثاً وتحافوا عن أموال الكنائس . قال : ولما هلك أركاديش قيصر استبد أخوه أنوريش بالملك خمس عشرة سنة وأحسن في دفاع القوط عن رومة وهلك ، فولي من بعده طودوشيش ابن أخيه أركاديش ولم يذكر ابن

العميد أنوديش وإثنا ذكر بعد أركاديش ابنه طودوشيش وسمّاه الأصغر ، قال :
 وملك إثنين وأربعين سنة باتفاق في خامسة ملك يزدجرد ، وكانت بينه وبين الفرس
 حروب كثيرة . قال : وفي أول سنة من ملكه مات تاوفيل بطرك إسكندرية فولي
 مكانه كيرلوس ابن أخته ، في سابعة عشر من ملكه قدم نسطوريش بطركاً
 بالقسطنطينية فأقام أربع سنين وظهرت عنه العقيدة التي دان بها وقد تقدّمت ،
 وبلغت مقالته إلى كيرلس بطرك الإسكندرية ، فخاطب في ذلك بطرك رومة
 وأنطاكية وبيت المقدس ، ثم اجتمعوا بمدينة أفسيس في مائتي أسقف وأجمعوا على
 كفر نسطوريش ونفوه ، فترل أخيم من صعيد مصر وأقام بها سبع سنين ، وأخذ
 بمقالته نصارى الجزيرة والموصل إلى الفرات ثم العراق وفارس إلى المشرق ، وولي
 طودوشيش بالقسطنطينية مقسيموس عوضاً عن نسطورس فأقام بها ثلاث سنين . وفي
 ثامنة وثلاثين من ملك طودوشيش الأصغر مات كيرلس بطرك الإسكندرية وولي
 مكانه ديسفرس ، ولقي شدائد من مرقيان الملك بعده . وفي سادسة عشرة من ملك
 طودوشيش الأصغر مات يزدجرد كسرى وولي ابنه بهرام جور ، وكانت بينه وبين
 خاقان ملك الترك وقائع ثم عدل عن حروبهم ودخل إلى أرض الروم فهزمه طودوشيش
 وملك ابنه يزدجرد . قال هروشيوش : وفي أيام طودوشيش الأصغر تغلب القوط على
 رومة وملكوها وهلك ملكهم أبطريك كما نذكر في أخبارهم ، ثم صالحوا الروم على أن
 يكون لهم الأندلس فانتقلوا إليها وتركوا رومة انتهى .

قال ابن العميد : ثم ملك مرقيان بعده ست سنين باتفاق وتزوج أخت طودوشيش ،
 وسمّاه هروشيوش مرقيان بن مليكة . قالوا : وكان في أيامه الجمع الرابع بمقدونية ،
 وقد تقدّم ذكره ، وإنه كان بسبب ديقوس بطرك إسكندرية وما أحدث من البدعة
 في الأمانة ، فأجمعوا على نفيه وجعلوا مكانه برطارس ، وافترقت النصارى إلى ملكية
 وهم أهل الأمانة فنسبوا إلى مرقيان قيصر الملك الذي جمعهم وعهد بأن لا يقبل ما
 اتفق عليه أهل الجمع الخلقدوني ، وإلى يعقوبية وهم أهل مذهب ديسقوس وتقدّم
 الكلام في تسميتهم يعقوبية ، وإلى نسطورية وهم نصارى المشرق . وفي أيام مرقيان
 سكن شمعون الحبّيس الصومعة بأنطاكية وترهب وهو أول من فعل ذلك من
 النصارى ، وعلى عهده مات يزدجرد كسرى .

ومات مرقيان قيصر لست سنين من ملكه وملك بعده لأون الكبير . قال ابن العميد :

لسبعمائة وسبعين من ملك الاسكندر ولثانية من ملك نيرون ، ملك ست عشرة سنة . ووافق هروشيوش على مدته ، وقال فيه ليون بن شمشليّة . قال ابن العميد : وكان على مذهب الملكيّة ولما سمع أهل اسكندرية بموت مركيان وثبوا على برطارس البطرك فقتلوه بعد ست سنين من ولايته وأقاموا مكانه طيمانوس ، وكان يعقوبياً فجاء قائد من قسطنطينية بعد ثلاث سنين من ولايته فنفاه ، وأبدل عنه سورس من الملكيّة وأقام تسع سنين . ثم عاد طيمانوس بالأمر لاون قيصر^(١) ، ويقال : إنه بقي بطركاً اثنتين وعشرين سنة . ولثانية عشر من ملك لاون زحف الفرس إلى مدينة أمد وحاصروها وامتنعت عليهم ، وفي أيامه مات شمعون الحبيس صاحب العمود .

ثم هلك لاون قيصر لست عشرة سنة من ملكه . قال ابن العميد : ووليّ من بعده لاون الصغير وهو أبو زينون الملك بعده . وقال ابن بطريق : هو ابن سينون وكان يعقوبياً وملك سنة واحدة . ولم يذكره هروشيوش وإنّا ذكر زينون الملك بعده ، وسماه سينون بالسّين المهملة . وقال ملك سبع عشرة سنة . وقال ابن العميد مثله ولثمانية عشر من ملك نيرون ولسبعمائة وسبع وثمانين للإسكندر ، قال : وكان يعقوبياً وخرج عليه ولده ورجل من قرابته وحاربها عشرين شهراً ثم قتلها واتباعها ودخل قسطنطينية ووجد بطركها وكان رديء العقيدة قد غير كتب الكنيسة وزاد ونقص ، فكتب زينون قيصر إلى بطرك رومة وجمع الأساقفة فناظروه ونفوه . وفي سابعة ملك زينون مات طيمانوس بطرك اسكندرية فولي مكانه بطرس وهلك بعد ثمان سنين ، فولي مكانه أثناسيوس وهلك لسبع سنين وكان قيماً ببعض البيع في بطركيته . قال المسيحيّ : وفي أيام زينون احترق ملعب الخيل الذي بناه بطليموس الأرنباء بالإسكندرية . وقال ابن بطريق : وفي أيام زينون هاجت الحرب بين نيرون والهياطلة وهزموه في بعض حروبهم ، ورد الكرة عليه بعض قواده كما في أخبارهم ، ومات نيرون وتنازع الملك إبنه قياد ويلاش . وفي عشرة من ملك زينون غلب يلاش أخاه واستقلّ بالملك ولحق أخوه قياد بخاقان ملك الترك ، ثم هلك يلاش لأربع سنين ورجع قياد واستولى على مملكة فارس وذلك في أربعة عشر من ملك زينون فأقام ثلاثاً وأربعين سنة .

وهلك زينون لسبع عشرة من ولايته ، فملك بعده نسطاس سبعة وعشرين سنة في

(١) مقتضى السياق : بالأمر لاون قيصر .

أربعة من ملك قيادة وثمانمائة وثلاث للإسكندر ، وكان يعقوبياً وسكن حماة ولذلك أمر أن تُشَيَّدَ وتُحَصَّنَ فبنيت في سنتين . وعهد لأول ملكه أن يقتل كل امرأة كاتبة ، وفي ثالثة ملكه أمر ببناء مدينة في المكان الذي قتل فيه دارا فوق نصيبين . ثم وقعت الحرب بينه وبين الأكاسرة وخرب قياد مدينة آمد ونازلت عساكر الفرس إسكندرية وأحرقوا ما حولها من البساتين والحصون ، وقتل بين الأمتين خلق كثير . وفي سادسة ملكه مات أثاناسيوس بطرك الاسكندرية فصير مكانه يوحنا وكان يعقوبياً ومات لتسع سنين ، فصير بعده يوحنا الحسن ومات بعد إحدى عشرة . وفي أيام نسطاس قدم ساريوس بطركاً بأنطاكية وكان كلاهما على أمة ديسقوس . وفي سابعة وعشرين من ملك نسطاس قدم ساريوس بطركاً بأنطاكية . ومات يوحنا بطرك اسكندرية فولّى مكانه ديسقوس الحديد ومات لستين ونصف .

وقال سعيد بن بطريق : إن إيليا بطرك المقدس كتب إلى نسطاس قيصر يسأله الرجوع إلى الملكيّة ويوضح له الحق في مذهبهم ، وصبا إليه في ذلك جماعة من الرهبان ، فأحضرهم وسمع كلامهم وبعث إليهم بالأموال للصدقات وعمارة الكنائس . وكان بقسطنطينية رجل على رأي ديسقوس فضى إلى نشطانش قيصر ومضى وأشار عليه باتباع مذهب ديسقوس وأن يرفض المجمع الخلقدوني . فقبل ذلك منه وبعث إلى جميع أهل مملكته ، وبلغ ذلك بطرك أنطاكية فكتب إلى نشطانش قيصر بالملامة على ذلك فغضب ونفاه ، وجعل مكانه بأنطاكية سويوس وبلغ ذلك إلى إيليا بطرك القدس ، فجمع الرهبان ورؤساء الديور في نحو عشرة آلاف ولعنوا سويوس وأجرموه والملك نشطانش معه . فنفاه نشطانش إلى إيليا وذلك في ثالثة وعشرين من ملكه ، فاجتمع جميع البطارقة والأساقفة من الملكيّة وأجرموا نشطانش الملك وسويوس وديسقوس إمام اليعقوبية ونسطورس . قال ابن بطريق : وكان لسويوس تلميذ اسمه يعقوب البرادعي يطوف البلاد داعياً إلى مقالة سويوس وديسقوس فنسب اليعاقبة إليه . وقال ابن العميد : وليس كذلك لأنّ اليعاقبة سُموا بذلك من عهد ديسقوس كما مرّ .

ثم هلك نشطانش لسبع وعشرين من ملكه ، وملك بعده يشطيانش قيصر ثمانية وثلاثين من ملك قياد بن نيرون وثمانية وثلاثين للإسكندر ، وملك تسع سنين باتفاق . وقال هروشيوش سبعا . وقال المسيحي : كان معه شريك في ملكه اسمه

يشطيان . وفي ثالثة ملكه غزت الفرس بلاد الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة ، وزحف كسرى في آخرها لثمانية من ملك يشطيانش ومعه المنذر ملك العرب ، فبلغ الزها وغلب الروم وغرق من الفريقين في الفرات خلق كثير وحمل الفرس أسارى الروم وسباياهم ، ثم وقع الصلح بينهما بعد موت قيصر . وفي تاسعة ملكه أجاز البربر من المغرب إلى رومة وغلبوا عليها . قال ابن بطريق : وكان يشطيانش على دين الملكة فرد كل من نفاه نشطاناش قبله منهم ، وصير طيمانوس بطركاً بالإسكندرية وكان يعقوبياً فلبث فيهم ثلاث سنين ، وقيل سبع عشرة سنة . وقال ابن الراهب : كان يشطيانش خلقدونيّاً ونفى طيمانوس البطرك عن إسكندرية وجعل مكانه أيوليناريوس وكان ملكياً ، وعقد مجمعا بالقسطنطينية يريد جمع الناس على رأي الخلقدونية مذهبه ، وأحضر شاوويرش بطرك أنطاكية وأساقفة المشرق فلم يوافقوه ، فاعتقل بطرك أنطاكية سنين ثم أطلقه فسار إلى مصر وبقى مختفياً في الديور . ثم وصل أيوليناريوس بطرك إسكندرية ومعه كتاب الأمانة الخلقدونية ، فقبل الناس منه وتبعوا مذهبه فيها وصاروا إليه .

وهلك يشطيانش لتسع سنين من ملكه ثم ملك يشطيانش قيصر لإحدى وأربعين من ملك قياد ولثمانئة وأربعين للإسكندر وكان ملكياً وهو ابن عم يشطيانش الملك قبله . وقال المسيحي : بل كان شريكه كما مرّ وملك أربعين سنة بإتفاق . وقال أبو فانيوس : ثلاثاً وثلاثين . وفي سابعة ملكه غزا كسرى بلاد الروم وأحرق إيلياً وأخذ الصليب الذي كان فيها ، وفي حادية عشر من ملكه عصت السامرية عليه فغزاهم وخرّب بلادهم ، وفي سادسة عشر من ملكه غزا الحارث بن جبلة أمير غسان والعرب بيرة الشام وغزا الأكاسرة وهزم عساكرهم وخرّب بلادهم ولقيه بعض مرازمة كسرى فهزمهم وردّ السبي منهم ، ثم وقع الصلح بين فارس والروم وتوادعوا . وفي خمس وثلاثين من ملك يشطيانش عهد بأن يتخذ عيد الميلاد في رابع وعشرين من كانون ، وعيد الغطاس^(١) في ست منه ، وكانا من قبل ذلك جميعاً في سادس كانون . وقال المسيحي : أراد يشطيانش حمل الناس على رأي الملكة ، فأحضر طيمانوس بطرك اسكندرية وكان يعقوبياً ، وأراده على ذلك فامتنع فهم بقتله ، ثم أطلقه فرجع إلى مصر مختفياً ثم نفاه بعد ذلك وجعل مكانه بولس ، وكان ملكياً فلم

(١) عيد الظهور الالهي عند المسيحيين .

يقبله اليَعاقِبَة وأقام على ذلك سنين .

قال سعيد بن بطريق : ثم بعث قيصر قائداً من قواده اسمه يوليئاريوس وجعله بطرك إسكندرية فدخل الكنيسة بزيّ الجند ثم لبس زيّ البطارقة وقُدّس . فهموا به فصار إلى سياستهم فاقصروا ثم حملهم على رأي اليعقوبيّة وقتل من امتنع وكانوا مائتين . وفي أيام يشطينانش هذا ثار السامرة بأرض فلسطين وقتلوا النصارى وهدموا كنائسهم فبعث العساكر وأتخنوا فيهم وأمر ببناء الكنائس كما كانت ، وكانت كنيسة بيت لحم صغيرة فأمر بأن يوسع فيها فبنيت كما هي لهذا العهد . وفي عهده كان الجمع الخامس بقسطنطينية بعد مائة وثلاث وستين من الجمع الخلقدوني ولتاسعة وعشرين من ملك يشطينانش وقد مر ذكر ذلك . وفي عهد قيصر هذا مات أيوليئاريوس القائد الذي جعل بطركاً بإسكندرية لسبع عشرة سنة من ولايته ، وهو كان رئيس هذا الجمع ، وجعل مكانه يوحنا وكان أمانيّاً وهلك لثلاث سنين ، وانفرد اليعاقبة بالإسكندرية وكان أكثرهم القبط وقدموا عليهم طودوشيشو بطركاً لبث فيهم اثنتين وثلاثين سنة ، وجعل الملكيّة بطركهم داقيانوس وطردهوا طودوشيشو من كرسيه ستة أشهر ، ثم أمر يشطينانش قيصر بأن يعاد فأعيد وطلب منه المغاسمة أن يقدم دقيانوش بطرك الملكيّة على الشمامسة فأجابهم . ثم كتب يشطينانش إلى طودوشيشو البطرك باجتماع الجمع الخلقدوني أو يترك البطركيّة ، فتركها ونفاه وجعل مكانه بولس التنسي فلم يقبله أهل إسكندرية ولا ما جاء به . ثم مات وغلقت كنائس القبط اليعقوبيّة ولقوا شدائد من الملكيّة ومات طودوشيشو البطرك في سابعة وثلاثين من ملكة يشطينانش وجعل مكانه باسكندرية بطرس ومات بعد ستين .

قال ابن العميد : وسار كسرى أنوشروان في مملكة يشطينانش قيصر إلى بلاد الروم وحاصر أنطاكية وفتحها وبنى قبالتها مدينة سماها رومة ونقل إليها أهل أنطاكية . ثم هلك يشطينانش وملك بعده يوشطونش قيصر لست وثلاثين من ملك أنوشروان ولثمانمائة وثمانين للإسكندر فلك ثلاثة عشر سنة . وقال هرودشيشو إحدى عشرة سنة . ولثانية من ملكه مات بطرس ملك إسكندرية فجعل مكانه داميانوفكت ستاً وثلاثين سنة وخربت الديور على عهده ، وفي الثانية عشر من ملكه مات كسرى أنوشروان بعد أن كان بعث العساكر من الديلم مع سيف بن ذي يزن من التبابعة ففتحوا اليمن وصارت للأكاسرة . ثم هلك يوشطونش قيصر لإحدى عشرة أو ثلاث

عشرة من ملكه . وملك بعده طباريش قيصر لثالثة من ملك هُرْمُز ابن أنوشروان
ولثمانائة وإثنتين وتسعين للإسكندر ، فملك ثلاث سنين عند ابن بطريق وابن
الراهب ، وأربعا عند المسيحي . ولعهده انتقض الصلح بين الروم وفارس واتصلت
الحرب ، وانتهت عساكر الفرس إلى رأس عين الخابور ، فثار إليهم موريق من
بطارقة الروم فهزمهم ، ثم جاء طباريش قيصر على أثره فعظمت الهزيمة واستحضر^(١)
القتل في الفرس وأسر الروم منهم نحواً من أربعة آلاف غربهم إلى جزيرة قبرص ، ثم
انتقض بهرام مرزبان هُرْمُز كسرى وطرده عن الملك بمنجع من تخوم بلاد الروم وبعث
بالصريخ إلى طباريش قيصر ، فبعث إليه المدد من الفرس والأموال . يقال كان
عسكر المدد أربعين ألفاً فسار هُرْمُز ولقيه بهرام بين المدائن وواسط فانهزم واستبيح ،
وعاد هُرْمُز إلى ملكه وبعث إلى طباريش بالأموال والهدايا أضعاف ما أعطاه ، ورد
إليه ما كانت الفرس أخذته من بلادهم وسألمهم^(٢) وغيرها ، ونقل من كان
فيها من الفرس إلى بلاده . وسأله طباريش بأن يبني هيكلين للنصارى بالمدائن
وواسط فأجابته إلى ذلك .

ثم هلك طباريش قيصر وملك من بعده موريكش قيصر في السادسة لهرمز ولثمانائة
 وخمس وتسعين للإسكندر وملك عشرين سنة بإتفاق المؤرخين فأحسن السيرة . وفي
حادية عشر من ملكه بلغه عن بعض اليهود بأنطاكية أنه بال^(٣) على صورة المسيح ،
فأمر بقتلهم ونفيهم . ولعهده انتقض على هرمز كسرى قريبه بهرام وخلعه واستولى على
ملكه وقتله ، وسار ابنه أبرويز إلى موريكش قيصر صريخاً فبعث معه العساكر ورد
أبرويز إلى ملكه ، وقتل بهرام الخارج عليه وبعث إليه بالهدايا والتحف كما فعل أبوه
من قبله مع القياصرة ، وخطب أبرويز من موريكش قيصر ابنته مريم فزوجها إياها .

(١) وفي نسخة أخرى : واستمر .

(٢) كذا بياض بالأصل واتفق كل من الطبري وابن الأثير على القول : « وخاف بهرام سطوة هرمز وخاف مثل
ذلك من كان معه من الجنود فخلعوا هرمز وأقبلوا نحو المدائن ، فأظهروا الامتناع مما كان من هرمز ،
وان ابنه أبرويز أصلح للملك منه ، وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز ، فهرب أبرويز
بهذا السبب إلى أذربيجان خوفاً من هرمز ، فاجتمع إليه هناك عدة من المرازبة والاصبيذين فأعطوه
بيعتهم ، ووثب العطاء والأشراف بالمدائن وفيهم بندي وبسطام خالا أبرويز فخلعوا هرمز واستولوا على
الملك ، ثم جرت بينه وبين بهرام حروب اضطرت أبرويز إلى الهرب إلى الروم مستغيثاً بملكها فأخبره
واستتب له الملك . (الطبري ج ٢ ص ١٨) .

(٣) وفي نسخة أخرى : انهم بالوا .

وبعث معها من الجهاز والأمتعة والأفشة ما يضيّق عنه الحصر .
ثم وثب على موريكش بعض مماليكه بمداخلة قريبه البطريق قوقاص فدسه عليه فقتله
وملك على الروم وتسمّى قيصر وذلك لتسمائه وأربع عشرة للإسكندر وخمس عشرة
لأبرويز ، فملك ثماني سنين وقتل أولاد موريكش وافتت صغير منهم فلحق بطورسينا
وترهب ومات هنالك . وبلغ ابرويز كسرى ما جرى على موريكش وأولاده فجمع
عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثأر صهره ^(١) ، وبعث عساكره مع مرزبان
خزرويه إلى القدس وعهد إليه بقتل اليهود وخراب البلد . وبعث مرزبان آخر إلى
مصر والإسكندرية ، وجاء بنفسه في عساكر الفرس إلى القسطنطينية وحاصرها
وضيّق عليها ، وأمّا خزرويه المرزبان فسار إلى الشام وخرّب البلاد . واجتمع يهود
طبرية والخليل وناصرة وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس ،
فنهبوا الأموال وأخذوا قطعة من الصليب ، وعادوا إلى كسرى بالسبي وفيهم ذخريّا
بطرك القدس ، فاستوهبته مريم بنت موريكش من زوجها ابرويز فوهبه إياها مع
قطعة الصليب . ولما حلت الشام من الروم واجتمع الفرس على القسطنطينية ، تراسل
اليهود من القدس والخليل وطبرية ودمشق وقبرص ، واجتمعوا في عشرين ألفاً وجاءوا
إلى صور ليملكوها ، وكان فيها من اليهود نحو من أربعة آلاف فتقبض بطركها عليهم
وقيدهم ، وحاصروهم عساكر اليهود وهدموا الكنائس خارج صور والبطرك يقتل
المقيدين ويرمي برؤوسهم إلى أن فتوا ، وارتحل كسرى عن القسطنطينية جاثياً فأجفل
اليهود عن صور وانهمزوا .

وقال ابن العميد : وفي رابعة من قوقاص قيصر قدّم يوحنا الرحوم بطركاً على الملكية
باسكندرية ومصر ، وإنا سميّ الرحوم لكثرة رحمته وصدقته ، وهو الذي عمل
البيمارستان للمرضى بإسكندرية . ولما سمع بمسير الفرس هرب مع البطريق الوالي
باسكندرية إلى قبرص فمات بها لعشر سنين من ولايته ، وخلا كرسي الملكية
باسكندرية سبع سنين . وكان اليعاقبة باسكندرية قدّموا عليهم في أيام قوقاص قيصر
بطركاً اسمه أنسطانيوش مكث فيهم إثنتي عشرة سنة ، واستردّ ما كانت الملكية
استولت عليه من الكنائس اليعقوبية ، وجاء أناسيوس بطرك أنطاكية بالهدايا سروراً
بولايته ، فتلقاه هو بالأساقفة والرهبان ، واتخذت الكنيسة بمصر والشام وأقام عنده

(١) موريكش هو حميّ ابرويز أي والد زوجته . ومقتضى السياق ليأخذ بثأر حميه .

أربعين يوماً ورجع إلى مكانه . ومات أنسطانيوس بعد إثنتي عشرة من ولايته لثلاثمائة وثلاثين من ملك ديقلاديانوس .

ولمّا انتهى أبرويز في حصار القسطنطينية نهايته وضيق عليها وعدموا الأقوات ، واجتمع البطارقة بعلوقيا وبعثوا السفن مشحونة بالأقوات مع هرقل أحد بطارقة الروم ، ففرحوا به ، ومالوا إليه وداخلهم في الملك ، وأن قواقص سبب هذه الفتنة ، فثاروا عليه وقتلوه وملكوا هرقل ، وذلك لتسعة وإثنتين وعشرين للإسكندر ، فارتحل أبرويز عن القسطنطينية راجعاً إلى بلاده ، وملك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة ونصف عند المسيحي وابن الراهب ، وإثنتين وثلاثين عند ابن بطريق . وكانت ملكته أول سنة من الهجرة . وقال هروشيوش : لتسع وسماء هرقل بن هرقل بن أنطونيوس .

ولما تملك هرقل بعث أبرويز بالصلح بوسيلة قتلهم موريكش فأجابهم على تقرير الضريبة عليهم فامتنعوا فحاصروهم ست سنين أخرى إلى الثمان التي تقدّمت ، وجهدهم الجوع فخادعهم هرقل بتقرير الضريبة على أن يفرج عنهم حتى يجمعوا له الأموال . وضربوا الموعد معه ستة أشهر ، ونقض هرقل فخالف كسرى إلى بلاده ، واستخلف أخاه قسطنطين على قسطنطينية ، وسار في خمسة آلاف من عساكر الروم إلى بلاد فارس فخرّب وقتل وسبى وأخذ ابن أبرويز كسرى من مريم بنت موريكش وهما قباد وشيرويه . ومرّ بخلوان^(١) وشهرزود إلى المدائن ودجلة ورجع إلى أرمينية ، ولما قرب من القسطنطينية ، وارتحل أبرويز كسرى إلى بلاده فوجدها خراباً وكان ذلك مما أضعف من مملكة الفرس وأوهنها .

وخرج هرقل لتاسعة من ملكه لجمع الأموال ، وطلب عامل دمشق منصور بن سرحون فاعتذر بأنه كان يحمل الأموال إلى كسرى ، فعاقبه واستخلص منه مائة ألف دينار وأبقاه على عمله . ثم سار إلى بيت المقدس وأهدى إليه اليهود فأمّنهم أولاً ثم عرفه الأساقفة والرهبان بما فعلوه في الكنائس ، ورآها خراباً وأخبروه بمن قتلوه من النصارى ، فأمر هرقل بقتلهم فلم ينج منهم إلا من اختفى أو أبعد المقر إلى الجبال والبراري ، وأمر بالكنائس فبنيت .

وفي العاشرة من ملكه قدم أنديراسكون بطركاً لليعاقة يأسكندرية فأقام ست سنين

(١) مدينة قديمة في العراق العجمي .

خَرَبَتْ فِيهَا الدِّيُور ، ثُمَّ مَاتَ فَجَعَلَ مَكَانَهُ بَنِيَامِينَ فَكَثَّ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَمَاتَ ،
وَالْفَرَسَ يَوْمَئِذٍ قَدْ مَلَكَوا مِصْرَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةَ . وَأَمَّا هِرَقْلُ فَسَارَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى
مِصْرَ وَمَلَكَهَا وَقَتَلَ الْفَرَسَ ، وَوَلَّى عَلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فَوْسَ وَكَانَ أَمَانِيًّا وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ
الْبَطْرِكَةِ وَالْوَلَايَةِ . وَرَأَى بَنِيَامِينَ الْبَطْرِكَ فِي نَوْمِهِ شَخْصًا يَقُولُ قُمْ فَاخْتَفِ إِلَى أَنْ يَحْزُزَ
غَضَبُ الرَّبِّ فَاخْتَفَى ، وَتَقَبَّضَ هِرَقْلُ عَلَى أَخِيهِ مِينَا وَأَرَادَهُ عَلَى الْإِخْذِ بِالْأَمَانَةِ
الْخَلْقُدُونِيَّةِ فَامْتَنَعَ فَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ وَرَمَى بِجَسَدِهِ فِي الْبَحْرِ . ثُمَّ عَادَ هِرَقْلُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةِ
بَعْدَ أَنْ جَمَعَ الْأَمْوَالَ مِنْ دِمَشْقَ وَحَمَصَ وَحِمَاةَ وَحَلَبَ وَعَمَرَ الْبِلَادَ ، إِلَى أَنْ مَلَكَ
مِصْرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَفَتَحَهَا لِثَلَاثِ مِائَةٍ وَسَبْعٍ وَخَمْسِينَ لَدِيْقْلَادِيَانُوسَ ، وَكَتَبَ لِبَنِيَامِينَ
الْبَطْرِكَ بِالْأَمَانِ فَجَرَعَ إِلَى إِسْكَانْدَرِيَّةَ بَعْدَ أَنْ غَابَ عَنْ كُرْسِيِّهِ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ .
قَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ : وَانْتَقَلَ التَّارِيخُ إِلَى الْهَجْرَةِ لِإِحْدَى عَشْرَةِ مَلِكٍ هِرَقْلٍ وَذَلِكَ
لِسَعْمَانَةَ وَثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ لِلْإِسْكَانْدَرِ وَسَعْمَانَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ لِلْمَسِيحِ . قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :
وَقِيلَ إِنَّ مَوْلَدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لِعَهْدِ نِيشْطِيَانِشِ الثَّانِي الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ نَوْسَطِيُونُسُ
الَّذِي بَنَى كَنِيسَةَ الرَّهَّا وَأَنَّ مَلَكَهَ كَانَ عَشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ مَلَكَ هِرَقْلُ بَنَ نَوْسَطِيُونُسَ
خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ السِّكَّةَ الْهَرَقْلِيَّةَ ، وَبَعْدَهُ مَوْرِقُ بْنُ هِرَقْلَ ، قَالَ :
وَالْمَشْهُورُ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الْهَجْرَةَ وَأَيَّامَ الشَّيْخِينَ كَانَ مَلِكُ الرُّومِ لِهَرَقْلَ . قَالَ : وَفِي كِتَابِ
السِّيَرِ أَنَّ الْهَجْرَةَ كَانَتْ عَلَى عَهْدِ قَيْصَرَ بْنِ مَوْرِقَ ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ إِبْنُهُ قَيْصَرُ بْنُ قَيْصَرَ
أَيَّامَ أَبِي بَكْرَ ، ثُمَّ هِرَقْلُ بْنُ قَيْصَرَ أَيَّامَ عَمْرُو عَلَيْهِ كَانَ الْفَتْحَ وَهُوَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّامِ ،
قَالَ وَمُدَّةُ مَلَكَهُمْ إِلَى الْهَجْرَةِ مِائَةٌ وَخَمْسَ وَسَبْعُونَ سَنَةً .
قَالَ الطَّبْرِيُّ : مُدَّةُ مَا بَيْنَ عِمَارَةِ الْمَقْدَسِ بَعْدَ تَخْرِيْبِهِ بِخَتْنَصَّرَ إِلَى الْهَجْرَةِ عَلَى قَوْلِ
النَّصَارَى أَلْفَ سَنَةٍ وَتَزِيدَ ، وَمِنْ مَلَكَ الْإِسْكَانْدَرَ إِلَيْهَا تِسْعِمِائَةَ وَنِيفَ وَعَشْرِينَ سَنَةً ،
وَمِنْهُ إِلَى مَوْلِدِ عَيْسَى ثَلَاثِ مِائَةٍ وَثَلَاثَ سِنِينَ ، وَعَمْرُهُ إِلَى رَفْعِهِ إِثْنَانِ وَثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَمِنْ
رَفْعِهِ إِلَى الْهَجْرَةِ خَمْسِمِائَةَ وَخَمْسَ وَثَمَانُونَ سَنَةً . وَقَالَ هِرُوشِيُوشُ إِنَّ مَلِكَ هِرَقْلَ
كَانَتْ الْهَجْرَةُ فِي تَاسِعَتِهِ وَسَمَاءُ هِرَقْلُ بْنُ هِرَقْلَ بْنُ أَنْطُونِيُوسَ لِسَعْمَانَةَ وَإِحْدَى عَشْرَةَ
مِنْ تَارِيخِ الْمَسِيحِ ، وَلَأَلْفَ وَمِائَةَ مِنْ بِنَاءِ رُومَةَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

الخبر عن ملوك القياصرة من لدن هرقل والدولة الإسلامية الى حين انقراض أمرهم وتلاشي أحوالهم

قال ابن العميد وفي الثانية من الهجرة بعث أبرويز عساكره إلى الشام والجزيرة فلكها ، وأثنى في بلاد الروم ، وهدم كنائس النصارى واحتمل ما فيها من الذهب والفضة والآنية ، حتى نقل الرخام الذي كان بالمباني ، وحمل أهل الرها على رأي اليعقوبية باغراء طبيب منهم كان عنده فرجعوا إليه وكانوا ملكية . وفي سابعة الهجرة بعث عساكر الفرس ومقدمهم مَرْزَبَانَه شَهْرِيَارَ فدوَّخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينية ، ثم تغير له فكتب إلى المرازبة معه بالقبض عليه ، واتفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث به إلى شهر يار فانتقض ومن معه ، وطلبوا هرقل في المدد فخرج معهم بنفسه في ثلثمائة ألف من الروم وأربعين ألفاً من الخزر الذين هم التُّرْكَان ، وسار إلى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدائنهم التي كان ملكها كسرى من قبل وفيما افتتح أرمينية ، ثم سار إلى الموصل فلقية جموع الفرس وقائدهم المَرْزَبَان فانهزموا وقتل . وأجفل أبرويز عن المدائن واستولى هرقل على ذخائر ملكهم ، وكان شيويه بن كسرى محبوساً فأخرجه شهر يار وأصحابه وملكوه وعقدوا مع هرقل الصلح ، ورجع هرقل إلى آمد بعد أن ولَّى أخاه تَدَاوُسَ على الجزيرة والشام ، ثم سار إلى الرها ورد النصارى اليعاقبة إلى مذهبهم الذي أكرهوا على تركه وأقام بها سنة كاملة .

وعن غير ابن العميد : وفي آخر سنة ست ^(١) من الهجرة كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كتابه من المدينة مع دحية الكلبي يدعوهُ إلى الإسلام ، ونصّه على ما وقع في صحيح البخاري «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أَسْلِمَ تَسْلَمَ يَوْتَكَ الله أجرك مرتين فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ .» ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا إِشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .

فلما بلغه الكتاب جمع من كان بأرضه من قريش وسألمهم عن أقربهم نسباً منه فأشاروا

(١) قوله ست أي وكان وصوله إلى هرقل سنة سبع كما صوّبه ابن حجر (قاله نصر) .

إلى أبي سفيان بن حرب ، فقال لهم : إني سائله عن شأن هذا الرجل فاستمعوا ما يقوله . ثم سأل أبا سفيان عن أحوال نجب أن تكون للنبي صلى الله عليه وسلم أويتره عنها ، وكان هرقل عارفاً بذلك ، فأجابه أبو سفيان عن جميع ما سألته من ذلك . فرأى هرقل أنه نبي لا محالة مع أنه كان حراً ينظر في علم النجوم ، وكان عنده علم من القرآن الكائن قبل الملة بظهور الملة والعرب ، فاستيقن بنبوته وصحة ما يدعو إليه حسبما ذكره البخاري في صحيحه .

وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحرث بن أبي شمر الغساني ملك غسان بالبلقاء من أرض الشام وعامل قيصر على العرب مع شجاع بن وهب الأسدي يدعوهم إلى الإسلام ، قال شجاع : فأتيته وهو بغوطة دمشق يهبط التل لقيصر حين جاء من حمص إلى إيلياء ، فشغل عني إلى أن دعاني ذات يوم وقرأ كتابي وقال : من ينتزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن . ثم أمر بالخيول تتعل ، وكتب بالخبر إلى قيصر ، فنهاه عن المسير ثم أمرني بالانصراف وزودني بمائة دينار .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثامنة من الهجرة جيشه إلى الشام وهي غزوة مؤتة كان المسلمون فيها ثلاثة آلاف وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب فجعفر فعبده الله بن رواحة . فأنهوا إلى معان من أرض الشام ، ونزل هرقل صاب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم . وانضمت إليه جموع جذام والغيد وههram وبلى ، وعلى بلى مالك بن زافلة ، ثم زحف المسلمون إلى البلقاء ولقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب على مؤتة فكان التحريض والشهادة ، واستشهد زيد ثم جعفر ثم عبدالله ، وانصرف خالد بن الوليد بالناس فقدموا المدينة . ووجد النبي صلى الله عليه وسلم على من قتل من المسلمين ولا كوجده على جعفر بن أبي طالب لأنه كان تلامذه .

ثم أمر بالناس في السنة التاسعة بعد الفتح وحنين والطائف أن يتهيؤوا لغزو الروم فكانت غزوة تبوك ، فبلغ تبوك وأتاه صاحب أيلة وجرباء وأذرح وأعطوا الجزية وصاحب أيلة يومئذ يوحنا بن روبة بن نقاة أحد بطون جذام وأهدى له بغلة بيضاء ، وبعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندل وكان بها أكيدر بن عبد الملك فأصابوه بضواحيها في ليلة مقيمة فأسروه وقتلوا أخاه وجاؤا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحقن دمه وصالحه على الجزية وردّه إلى قريته . وأقام بتبوك بعض عشرة ليلة وقفل إلى المدينة وبلغ خبر يوحنا إلى هرقل فأمر بقتله وصلبه عند قريته اهـ من غير ابن العميد .

ورجعنا إلى كلامه قال : وفي الثالثة عشرة من الهجرة جهّز أبو بكر العساكر من المسلمين العرب لفتح الشام : عمرو بن العاص لفلسطين ، ويزيد بن أبي سفيان لحمص ، وشرحبيل بن حسنة للبلقاء ، وقائدهم أبو عبيدة بن الجراح . وبعث خالد بن سعيد بن العاص إلى سَمَاوَة فلقية ماهاب البطريق في جموع الروم ، فهزمهم خالد إلى دمشق ونزل مرجع^(١) الصفراء ، ثم أخذوا عليه الطريق ونازلوه ثانية فتجهّز إلى جهة المسلمين وقتل ابنه . وبعث أبو بكر خالد بن الوليد بالعراق يسير إلى الشام أميراً على المسلمين فسار ونزل معهم دمشق وفتحوها كما نذكر في الفتوحات . وزحف عمرو بن العاص إلى غيره ولقيته الروم هنالك فهزمهم وتحصّنوا ببيت المقدس وقيساريّة .

ثم زحف عساكر الروم من كل جانب في مائتين وأربعين ألفاً والمسلمون في بضعة وثلاثين ألفاً ، والتقوا باليرموك فانهزم الروم وقتل منهم من لا يحصى وذلك في خامسة عشر من الهجرة . ثم تتابعت عليهم الهزائم ونازل أبو عبيدة وخالد بن الوليد حمص فصالحوهم على الجزية . ثم سار خالد إلى قنسرين فلقية مَنِيَّاسُ البطريق في جموع الروم فهزمهم ، وقتل منهم خلق كثير وفتح قنسرين ودوّخ البلاد ، ثم سار عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة فحاصروا مدينة الرّملة وجاء عمر بن الخطاب إلى الشام فعقد لأهل الرّملة الصلح على الجزية ، وبعث عمرأ وشرحبيل لحصار بيت المقدس فحاصروها ، ولما أجهدهم البلاء طلبوا الصلح على أن يكون أمانهم من عمر نفسه ، فحضر عندهم وكتب أمانهم ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب لأهل إيلياء إنهم آمنون على دمائهم وأولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم لا تسكن ولا تهدم » اهـ .

ودخل عمر بن الخطاب بيت المقدس وجاء كنيسة القيامة^(٢) فجلس في صحنها ، وحان وقت الصلاة فقال للبتّرك أريد الصلاة ، فقال له : صلّ موضعك ، فامتنع وصلّى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً ، فلما قضى صلاته قال للبتّرك لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي وقالوا هنا صلى عمر ، وكتب لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها . ثم قال للبتّرك أرني موضعاً أبني فيه

(١) وفي نسخة ثانية : موضع الصفراء .

(٢) هي كنيسة القيامة .

مسجداً فقال : على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب ، ووجد عليها دماً كثيراً فشرع في إزالته وتناوله بيده يرفعه في ثوبه ، واقتدى به المسلمون كافة فزال الحينه ، وأمر ببناء المسجد . ثم بعث عمرو بن العاص إلى مصر فحاصرها وأمدّه بالزبير بن العوام في أربعة آلاف من المسلمين فصالحهم المقوقس^(١) على الجزية ، ثم سار إلى الاسكندرية فحاصرها وافتتحها .

وفي السابعة عشر من الهجرة جاء ملك الروم إلى حمص في جموع النصرانية وبها أبو عبيدة فهزمهم واستلحمهم ، ورجع هرقل إلى أنطاكية ، وقد استكمل المسلمون فتح فلسطين وطبرية والساحل كله . واستنفر العرب المنتصرة من غسان ولخم وجذام وقدم عليهم ماهاب البطريق وبعثه للقاء العرب ، وكتب إلى عامله على دمشق منصور بن سرحون أن يمدّه بالأموال ، وكان يحقد عليه نكبته من قبل ، واستصفى ماله حين أفرج الفرج عن حصاره بالقسطنطينية لأول ولايته ، فاعتذر العامل للبطريق عن المال وهون عليه أمر العرب . فسار من دمشق للقائهم ونازلهم بجابية الخولان ، ثم اتبعه العامل ببعض ماله جهزه للعساكر ، وجاء العسكر ليلاً وأوقد المشاعل وضرب الطبول ونفخ البوقان ، فظنهم الروم عسكر العرب جاؤا من خلفهم وأنهم أحيط بهم ، فأجفلوا وتساقطوا في الوادي وذهبوا طوائف إلى دمشق وغيرها من ممالك الروم ، ولحق ماهاب بطور سيناء وترهب إلى أن هلك . واتبع المسلمون الفل مع منصور إلى دمشق وحاصروها ستة أشهر فرقوا على أبوابها . ثم طلب منصور العامل الأمان للروم من خالد فأمنه ، ودخل المدينة من الباب الشرقي ، وتسامع الروم الذين بسائر الأبواب فهربوا وتركوها ، ودخل منها الامراء الآخرون عنوة ومنصور ينادي بأمان خالد ، فاختلف المسلمون قليلاً ثم اتفقوا على أمان الروم الذين كانوا بالإسكندرية بعد ان افتتحها عمرو بن العاص ركبوا إليه البحر ووافوه بها .

ثم هلك هرقل لإحدى وعشرين من الهجرة ولاحدى وثلاثين من ملكه ، فلك على الروم بقسطنطينية قسطنطين وقتله بعض نساء أبيه لسته أشهر من ملكه ، وملك أخوه هرقل بن هرقل ، ثم تشاءم به الروم فخلعوه وقتلوه وملكوا عليهم قسطنطينوس بن قسطنطين ، فلك ست عشرة سنة ومات لسابعة وثلاثين من الهجرة . وفي أيامه غزا

(١) وهو قيس وزير هرقل وبطريق الاسكندرية ومتولي شؤون مصر لما فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٣٩ م .

معاوية بلاد الروم سنة أربع وعشرين وهو يومئذ أمير على الشام في خلافة عمر بن الخطاب ، فدوّخ البلاد وفتح منها مدناً كثيرة وقفل ، ثم أغزى عساكر المسلمين إلى قبرص في البحر ففتح منها حصونا وضرب الجزية على أهلها سنة سبع وعشرين . وكان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية كتب لبنيامين بطرك اليعاقبة بالأمان ، فرجع بعد ثلاث عشرة من مغيبه ، وكان ولّاه هرقل في أوّل الهجرة كما قدمنا . وملك الفرس مصر والاسكندرية عشر سنين عند حصار قسطنطينية أيام هرقل ، ثم غاب عن الكرسي عندما ملك الفرس وقدموا الملكية ، وبقي غائباً ثلاث عشرة سنة أيام الفرس عشرة وثلاث من ملكة المسلمين ، ثم أمّنه عمرو بن العاص فعاد ثم مات في تاسعة وثلاثين من الهجرة ، وخلفه في مكانه أغانثوا فملك سبع عشرة سنة .

ولما هلك قسطنطينوس بن قسطنطين في سابعة وثلاثين من الهجرة كما قلناه ملك على الروم في القسطنطينية ابنه يوطيانوس فكث اثني عشرة سنة وتوفي سنة خمسين ، فملك بعده طياريوس ومكث سبع سنين ، وفي أيامه غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في عساكر المسلمين وحاصرها مدة ثم أفرج عنها ، واستشهد أبو أيوب الأنصاري في حصارها ودفن في ساحتها^(١) ، ولما قفل عنها توعدهم بتعطيل كنائسهم بالشام إن تعرّضوا لقبره .

ثم قتل طياريوس قيصر سنة ثمان وخمسين وملك أوغسطس قيصر ، وفي أيام ولايته مات أغانثوا بطرك اليعاقبة القبط باسكندرية وقدم مكانه يوحنا . ثم قتل أوغسطس قيصر ذبحه بعض عبيده سنة^(٢) ، وملك ابنه أصطفانيوس وكان لعهد عبد الملك بن مروان . وفي سنة خمس وستين من الهجرة زاد عبد الملك في المسجد الأقصى وأدخل الصخرة في الحرم . ثم خلع أصطفانيوس ثم ملك بعده لاون ومات

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ٤٥٩ : «توفي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها ، فأهلها يستسقون به ..» .

(٢) لم يحدد ابن الأثير السنة التي ملك فيها أوغسطس ولا السنة التي توفي فيها وهناك تباين في الأسماء يقول : «ثم ملك قسطنطين بن قسط ثلاث عشرة سنة بعض أيام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرنا من أيام عبد الملك . ثم ملك اسطيناس المعروف بالأخرم تسع سنين أيام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا أنفه ، ثم ملك بعده لونطيش ثلاث سنين أيام عبد الملك ...» . أما ابن أبي أصيبعة فيقول في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء عن اوسابيوس القيسراني الذي كان اسقف قيسارية : «وملك بعد يوليوس قيصر أوغسطس قيصر وكانت مدته ستا وخمسين سنة وستة أشهر وفي سنة ثلاث وأربعين من ملكه ولد المسيح عليه السلام» .

سنة ثمان وسبعين ، وملك طياريوس سبع سنين ومات سنة ست وثمانين ، فملك سِطْيَانُوس وذلك في أيام الوليد بن عبد الملك ، وهو الذي بنى مسجد بني أمية بدمشق ، يقال إنه أنفق فيه أربعائة صندوق في كل صندوق أربعائة عشر ألف دينار ، وكان فيه من جملة الفعلة اثنا عشر ألف مَرْحَم ، ويقال كانت فيه ستمائة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل فكانت تغشى عيون الناظرين وتفتن المسلمين فأزالها عمر بن عبد العزيز وردّها إلى بيت المال . وكان الوليد لما اعتزم على الزيادة في المسجد أمر بهدم كنيسة النصارى وكانت ملاصقة للمسجد فأدخلها فيه ، وهي معروفة عندهم بكنيسة ماريوحنا ، ويقال إنّ عبد الملك طلبهم في ذلك فامتنعوا ، وإن الوليد بذل لهم فيها أربعين ألف دينار فلم يقبلوا ، فهدمها ولم يعطهم شيئاً ، وشكوا أمرها إلى عمر بن عبد العزيز وجاؤه بكتاب خالد بن الوليد وعهده أن لا تحرّب كنائسهم ولا تسكن ، فراودهم على أخذ الأربعين ألفاً التي بذل لهم الوليد فأبوا ، فأمر أن تردّ عليهم فعظم ذلك على الناس ، وكان قاضيه أبو داريس^(١) الخولاني فقال لهم : تتركون هذه الكنيسة في الكنائس التي في^(٢) العنوة في

المدينة والا هدمناها ، فأذعنوا وكتب لهم عمر الأمان على ما بقي من كنائسهم . وفي سنة ست وسبعين بعث كاتب الخراج إلى سليمان بن عبد الملك بأنّ مقياس حلوان بطل فأمر ببناء مقياس في الجزيرة بين القسطنطين والجزيرة فهو لهذا العهد .

وفي سنة إحدى ومائة من الهجرة ملك تِداؤُس على الروم سنة ونصف ، ثم ملك بعده لاون أربعاً وعشرين سنة ، وبعده ابنه قسطنطين . وفي سنة ثلاث عشرة ومائة غزا هشام بن عبد الملك الصائفة اليسرى ، وأخوه سلمان الصائفة اليمنى ، ولقيهم قسطنطين في جموع الروم فانهزموا وأخذ أسيراً ثم أطلقوه بعد . وفي أيام مروان بن محمد وولاية موسى بن نصير لقي النصارى بالإسكندرية ومصر شدّة وأخذوا بغرامة المال واعتقل بطرك الإسكندرية ابي ميخايل ، وطلب بجملة من المال فبدلوا موجودهم وانطلقوا يستسعون ما يحصل لهم من الصدقة ، وبلغ ملك النوبة ما حل بهم فزحف في مائة ألف من العساكر إلى مصر ، فخرج إليه عامل مصر ، فرجع من غير قتال . وفي أيام

(١) وفي نسخة أخرى : ابو داريس الخولاني .

(٢) كذا بياض بالأصل ولم يذكر ابن الأثير ولا الطبري ومقتضى سياق الجملة : « في الكنائس التي تركت لكم وكانت من الاماكن التي اخذت عنوة في المدينة » .

هشام ردّت كنائس الملكيّة من أبدي اليعاقبة ، وولي عليهم بطرك قريبا من مائة سنة ، كانت رياسة البطرك فيها لليعاقبة وكانوا يبعثون الأساقفة للنواحي ، ثم صارت النوبة من ورائهم للحبشة يعاقبة .

ثم ملك بالقسطنطينية رجل من غير بيت الملك اسمه جرجس ، فبقي أيام السّفاح والمنصور وأمره مضطرب ، ثم مات وملك بعده قسطنطين بن لاون وبنى المدن وأسكنها أهل أرمينية وغيرها . ثم مات قسطنطين بن لاون وملك ابنه لاون ، ثم هلك لاون وملك بعده نقفور .

وفي سنة سبع وثمانين ومائة غزا الرشيد هرّقلة ودوّخ جهاتها ، وصالحه نقفور ملك الروم على الجزية فرجع إلى الرقة وأقام شاتياً وقد كلب البرد ، وأمن نقفور من رجوعهم فانتقض ، فعاد إليه الرشيد وأناخ عليه حتى قرّر الموائد الجزية عليه ورجع . ودخلت عساكر الصائفة بعدها من درب الصفصاق فدوّخوا أرض الروم ، وجمع نقفور ولقيهم فكانت عليه هزيمة شنعاء قتل فيها أربعون ألفاً ونجا نقفور جريحاً . وفي سنة تسعين ومائة دخل الرشيد بالصائفة إلى بلاد الروم في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً سوى المطوعة ، وبث السرايا في الجهات ، وأناخ على هرّقلة ففتحها ، وبلغ سببها ستة عشر ألفاً . وبعث نقفور بالجزية فقبل وشرط عليهم أن لا يعمر هرّقلة .

وهلك نقفور في خلافة الأمين وولي ابنه أَسْتَبْران قيصر ، وغزا المأمون سنة خمس عشرة ومائتين إلى بلاد الروم ففتح حصونا عدّة ورجع إلى دمشق . ثم بلغه أن ملك الروم غزا طرسوس والمصيصة وقتل منها نحواً من ألف وسثمائة رجل ، فرجع وأناخ على أنطاوغا حتى فتحها صلحاً ، وبعث المعتصم ففتح ثلاثين من حصون الروم ، وبعث يحيى بن أكرم بالعساكر فدوّخ أرضهم ، ورجع المأمون إلى دمشق . ثم دخل بلاد الروم وأناخ على مدينة لؤلؤة مائة يوم وجّهز إليها العساكر مع عجيف مولاه ، ورجع ملك الروم فتنازل عجيفا ، فأمدّه المأمون بالعسكر فرحل عنه ملك الروم وافتتح لؤلؤة صلحاً . ثم سار المأمون إلى بلاد الروم ففتح سَلْعُوسَ والبَرَوَّةَ وبعث ابنه العباس بالعساكر فدوّخ أرضهم وبنى مدينة الطولبة ميلاً في ميل وجعل لها أربعة أبواب . ثم دخل غازياً بلاد الروم ومات في غزاته سنة ثمان عشرة ومائتين . وفي أيامه غلب قسطنطين على مملكة الروم وطرّد ابن نقفور عنها ، وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتح المعتصم عمورية وقصبتها معروفة في أخباره . اهـ كلام ابن العميد . وأغفلنا من

كلامه أخبار البطارقة من لدن فتح الاسكندرية لأننا رأينا مستغنى عنه وقد صارت بطركيتهم الكبرى التي كانت بالإسكندرية بمدينة رومة ، وهي هنالك للملكية ويسمونه البابا ومعناه أبوا الآباء ، وبقي ببلاد مصر بطرك اليعاقبة على المعاهدين من النصرارى بتلك الجهات وعلى ملوك النوبة والحبشة .

وأما المسعودي فذكر ترتيب هؤلاء القياصرة من بعد الهجرة والفتح كما ذكره ابن العميد ، قال : والمشهور بين الناس أن الهجرة وأيام الشيخين كان ملك الروم فيها هرقل ، قال : وفي كتب أهل السير أن الهجرة كانت على عهد قيصر بن مورك ، ثم كان بعده ابنه قيصر بن قيصر أيام أبي بكر ، ثم هرقل بن قيصر أيام عمر ، وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشام أيام أبي عبيدة وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان فاستقر بالقسطنطينية . وبعده مورك بن هرقل أيام عثمان ، وبعده مورك بن مورك أيام علي ومعاوية ، وبعده قلفط بن مورك آخر أيام معاوية وأيام يزيد مروان بن الحكم وكان معاوية يرأسه ويرأس أباه مورك ، وكانت تختلف إليه علامة نياق وبشره مورك بالملك وأخبره أن عثمان يقتل وأن الأمر يرجع إلى معاوية ، وهادى ابنه قلفط حين سار إلى حرب علي رضي الله عنه ، ثم نزلت جيوش معاوية مع ابنه الزيد قسطنطينية وهلك عليها في حصاره أبو أيوب الأنصاري . ثم ملك من بعد قلفط بن مورك لاؤن بن قلفط أيام عبد الملك بن مروان ، وبعده جيرون بن لاؤن أيام الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز . ثم غشيم المسلمون في ديارهم وغزوهم في البر والبحر ، ونازل مسلمة القسطنطينية ، واضطرب ملك الروم وملك عليهم جرجيس بن مرعش وملك تسع عشرة سنة ولم يكن من بيت الملك . ولم يزل أمرهم مضطرباً إلى أن ملك عليهم قسطنطين بن ألبون وكانت أمه مستبدة عليه لمكان صغره ، ومن بعده نففور بن استيراق أيام الرشيد وكانت له معه حروب وغزاه الرشيد فأعطاه الانقياد ودفع إليه الجزية ، ثم نقض العهد فتجهز الرشيد إلى غزوه ونزل هرقله وافتتحها سنة تسعين ومائة وكانت من أعظم مدائن الروم ، وانقاد نففور بعد ذلك وحمل الشروط . وملك بعده استيراق بن نففور أيام الأمين ، وغلب عليه قسطنطين ابن قلفط وملك أيام المأمون ، وبعده نوفيل أيام المعتصم واسترد زبطه ونازل عمورية وافتتحها وقتل من كان بها من أمم النصرانية . ثم ملك ميخايل بن نوفيل أيام الواثق والمتوكل والمتنصر والمستعين ، ثم تنازع الروم وملكوا عليهم نوفيل بن ميخايل ،

ثم غلب على الملك بَسِيلُ الصِقْلَبِيِّ ولم يكن من بيت الملك وكان ملكه أيام الْمُعْتَزِ والمهتدي وبعضاً من أيام المعتد ، ومن بعده إليون بن بسيل بقية أيام المعتد وصدرًا من أيام المعتضد . ومن بعده الاسكندروس ونقموا سيرته فخلعوه وملكوا أخاه لاوي بن إليون بقية أيام الْمُعْتَضِدِ والمُكْتَفِي وصدرًا من أيام المقتدر ، ثم هلك وملك ابنه قسطنطين صغيرًا وقام بأمره أَرْمَنُوسُ بطريق البحر وزوجه ابنته ويسمى الدُمُسْتَقُ وهو الذي كان يحارب سيف الدولة ملك الشام من بني حمدان ، واتصل ذلك أيام المقتدر والظاهر والراضي والمُتَّقِي . وافترق أمر الروم وأقام بعض بطارقتهم ويعرف أَسْتَفَانُسُ في بعض النواحي وخطب بالملك أَرْمَنُوسُ بطركاً بكرسي القسطنطينية . إلى هنا انتهى كلام المسعودي . وقال عقبه : فجميع سني الروم المنتصرة من أيام قسطنطين بن هلانة إلى عصرنا وهو حدود الثلاثمائة والثلاثين للهجرة خمسمائة سنة وسبع سنين ، وعدد ملوكهم أحد وأربعون ملكاً ، قال : فيكون ملكهم إلى الهجرة مائة وخمسة وسبعين سنة . اهـ كلام المسعودي .

وفي تاريخ ابن الأثير : إن أَرْمَانُوسَ لما مات ترك ولدين صغيرين ، وكان الدُمُسْتَقُ على عهده قوقاش وملك مَلَطِيَّةَ من يد المسلمين بالأمان سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكان أمر الثغور لسيف الدولة بن حمدان ، وملك قوقاش مرعش وعرزورية وحصونها وأوقع بجاية طرسوس مراراً ، وسار سيف الدولة في بلادهم فبلغ خرشة وصارخة ودُوخَ البلاد وفتح حصونها عدة ثم رجع . ثم وَلَّى أَرْمَانُوسَ نَقْفُورَ دُمُسْتَقَا ، وإسم الدُمُسْتَقُ عندهم على من يلي شرقي الخليج حيث ملك ابن عثمان لهذا العهد ، فأقام نَقْفُورَ دُمُسْتَقَا ، وهلك أَرْمَانُوسَ وترك ولدين صغيرين ، وكان نَقْفُورَ غائباً في بلاد المسلمين فلما رجع اجتمع إليه زعماء الروم وقدموه لتدبير أمر الولدين وألبسوه التاج ، وسار إلى بلاد المسلمين سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة إلى حلب فهزم سيف الدولة وملك البلد وحاصر القلعة فامتنعت عليه ، وقتل ابن أخت الملك في حصارها فقتل جميع الأسرى الذين عنده .

ثم بنى سنة ست وخمسين مدينة بقيسارية ليحلب منها على بلاد الإسلام ، فخافه أهل طرسوس واستأمنوا إليه فسار إليهم وملكها بالأمان وملك المُصِصَّةَ عنوةً . ثم بعث أخاه في العساكر سنة تسع وخمسين إلى حلب فملكها ، وهرب أبو المعالي بن سيف الدولة إلى البرية ، وصالحه مَرْعَوِيَّةُ بعد أن امتنع بالقلعة ورجع . ثم أن أمَّ

الملكين إبني أرمانيوس اللذين كانا مكفولين له ، استوحشت منه وداخلت في قتله ابن الشمشيق فقتله سنة ستين . وقام ابن أرمانيوس الأكبر وهو بسيل بتدبير ملكه ، وجعل ابن الشمشيق دُستقاً وقام على الأورق أخيه نقفور ، وعلى ابنه وزديس بن لأون واعتقلها . وسار إلى الرها وميافارقين ، وعاث في نواحيها ، وصانعه أبو تغلب بن حمدان صاحب الموصل بالمال فرجع . ثم خرج سنة إثنين وستين ، فبعث أبو تغلب ابن عمه أبا عبدالله بن حمدان فهزمه وأسره وأطلقه . وكان لأم بسيل أخ قام بوزارتها فتحيّل في قتل ابن الشمشيق بالسّم .

ثم ولي بسيل بن أرمانيوس سيقلاروس دُستقاً ، فعصى عليه سنة خمس وستين وطلب الملك لنفسه ، وغلبه بسيل . ثم خرج على بسيل ورد بن منير من عطاء البطارقة ، واستجاش بأبي تغلب بن حمدان وملكوا الأطراف ، وهزم عساكر بسيل مرة بعد مرة ، فأطلق ورديس لاون وهو ابن أخيه نقفور من معقله وبعثه في العساكر لقتاله فهزمه ورديس ، ولحق ورد بن منير بميافارقين صريحاً بعصد الدولة ، وراسله بسيل في شأنه فجنح عضد الدولة إلى بسيل وقبض على ورديس واعتقله ببغداد ، ثم أطلقه ابنه صمصام الدولة لخمسة سنين من اعتقاله ، وشرط عليه إطلاق أسرى المسلمين ، والتزول عن حصون عدّة من معاقل الروم ، وأن لا يغير على بلاد الإسلام . وسار فاستولى على مَطَية ومضى إلى القسطنطينية فحاصرها وقتل ورديس بن لاون ، واستنجد بسيل بملك الروم وزوجه أخته ثم صالح ورداً على ما بيده . ثم هلك ورد بعد ذلك بقليل واستولى بسيل على أمره وسار إلى قتال البلغار فهزموهم وملك بلادهم وعاث فيها أربعين سنة . واستمدّه صاحب حلب أبو الفضائل بن سيف الدولة ، فلما زحف إليه منجوتكين صاحب دمشق من قبل الخليفة بمصر سنة إحدى وثمانين ، فجاء بسيل لمده وهزمه منجوتكين ورجع مهزوماً ورجع منجوتكين إلى دمشق ، ثم عاود الحصار فجاء بسيل صريحاً لأبي الفضائل فأجفل منجوتكين من مكانه على حلب ، وسار إلى حمص وشيّر فملكها وحاصر طرابلس ، وصالحه ابن مروان على ديار بكر . ثم بعث الدوقس الدُستق إلى أمامه فبعث إليه صاحب مصر أبا عبدالله بن ناصر الدولة بن حمدان في العساكر فهزمه وقتله .

ثم هلك بسيل سنة عشر وأربعائة لثيف وسبعين من ملكه وملك بعده أخوه قسطنطين وأقام تسعاً ثم هلك عن ثلاث بنات ، فللك الروم عليهم الكبرى منهن وأقام بأمرها

ابن خالها أَرْمَانُوس وتزوَّجت به فاستولى على مملكة الروم . وكان خاله ميخايل مُتَحَكِّمًا في دولته ومُدَاخِلًا لأهله فالت إليه الملكة وحملته على قتل أَرْمَانُوس ، فقتله واستولى على الأمر . ثم أصابه الصرع واذاه فعمد لابن أخته واسمه ميخايل أيضاً وكان أَرْمَانُوس قد خرج سنة إحدى وعشرين إلى حلب في ثلاثة آلاف مقاتل ، ثم خار عن اللقاء فاضطرب ورجع واتبعه العرب فنهبوا عساكره ، وكان معه ابن الدُّوقس من عطاء البطارقة فارتاب وقبض عليه . وخرج سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة في جموع الروم فلما رآها وسرَّوج وهزم عساكر ابن مَرَّوان .

ولما ملك ميخايل سار إلى بلاد الإسلام فلقبه الدَّرْبَرِيَّ صاحب الشام من قبل العَلَوِيَّة فهزمه واقتصر الروم بعدها عن الخروج إلى بلاد الإسلام . وملك ميخايل ابن أخته كما قلناه وقبض على أخواله وقرباتهم وأحسن السيرة في المملكة ، ثم طلب زوجته في الخلع فأبت ، ففأها إلى بعض الجزائر واستولى على المملكة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . ونكر عليه البترك ما وقع فيه فهم بقتله ودخل بعض حاشيته في ذلك ، ونمى الخبر إلى البترك فنأدى في النصرانية بخلع وحاصره في قصره واستدعى الملكة التي خلعها ميخايل من مكانها وأعادوها إلى الملك فنفت ميخايل كما نفأها أولاً . ثم اتفق البترك والروم على خلع الملكة بنت قسطنطين وملكوا اختها الأخرى تودورة وسلموا ميخايل لها ، ثم وقعت الفتنة بين شيعة تودورة وشيعة ميخايل واتصلت ، وطلب الروم أن يملكوا عليهم من يمحو هذه الفتنة وأقرعوا على المرشحين فخرجت القرعة على قسطنطين منهم فلكوه أمرهم ، وتزوَّج بالملكة الصغيرة تودورة وجعلت أختها الكبرى على ما بذلته لها وذلك سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .

ثم توفي قسطنطين سنة ست وأربعين ، وملك على الروم أَرْمَانُوس وقَارَنَ ذلك بظهور الدولة السُلْجُوقِيَّة واستيلاء طُغْرُلبَك على بغداد ، فردَّد الغزو إليهم من ناحية أذربيجان ، ثم سار ابنه الملك ألب أرسلان وملك مدناً من بلاد الكرخ ^(١) منها مدينة آي وأثنى في بلادهم . ثم سار ملك الروم إلى مَنبِج وهزم ابن مِرْدَاس وابن حَسَّان وجموع العرب ، فسار ألب أرسلان إليه سنة ثلاث وستين وخرج أَرْمَانُوس في مائتي ألف من الروم والعرب والدُّوس والكُرخ ونزل على نواحي أرمينية ، فرحف إليه ألب أرسلان من أذربيجان فهزمه وحصل في أسره ثم فاداه على مال يعطيه وأجرَّوه عليه وعقد معه

(١) وفي نسخة أخرى : بلاد الكرخ .

صلحاً . وكان أرمانيوس لما انهزم وثب ميخائيل بعده على مملكة الروم ، فلما انطلق من الأسر ورجع دفعه ميخائيل عن الملك والتزم أحكام الصلح الذي عقده مع البارسلان وترهب أرمانيوس إلى هنا انتهى كلام ابن الأثير .

ثم استفحل ملك الافرنج بعد ذلك واستبدوا بملك رومة وما وراءها ، وكان الروم لما أخذوا بدين النصرانية حملوا عليه الأمم المجاورين لهم طوعاً وكُرهاً ، فدخل فيه طوائف من الأمم منهم الأرمن وقد تقدّم نسبهم إلى ناحور أخى ابراهيم عليه السلام وبلدهم أرمينية وقاعدتها خلّاط ، ومنهم الكرج وهم من شعوب الروم وبلادهم الخزر ما بين أرمينية والقسطنطينية شمالاً في جبال ممتنعة ، ومنه الجركس في جبال بالعدوة الشرقية من بحر نيطنش وهم من شعوب الترك ، ومنهم الروس في جزائر ببحر نيطنش وفي عدوته الشمالية ومنه البلغار نسبة إلى مدينة لهم في العدوة الشمالية أيضاً من بحر نيطنش ، ومنهم البرجان أمة كبيرة متوغلون في الشمال لا تعرف أخبارهم لبعدها ، وهؤلاء كلهم من شعوب الترك .

وأعظم من أخذ به من الأمم الافرنج وقاعدة بلادهم فرنجة ، ويقولون فرنسة بالسین وملكهم الفرنسيس ، وهم في بسائط على عدوة البحر الرومي من شماليه وجزيرة الأندلس من ورائهم في المغرب تفصل بينهم وبينها جبال متوعدة ذات مسالك ضيقة يسمونها البون وساكنها الجلائقة من شعوب الافرنج ، وهؤلاء فرنسة أعظم ملوك الافرنجة بالعدوة الشمالية من هذا البحر ، واستولوا من الجزيرة البحرية منه على صقلية وقبرص وأقريطش وجنوة ، واستولوا أيضاً على قطعة من بلاد الأندلس إلى برشلونه ، واستفحل ملكهم بعد القياصرة الأول .

ومن أمم الافرنجة البنادقة وبلادهم حفا في خليج يخرج من بحر الروم متضيقاً إلى ناحية الشمال ومغرباً بعض الشيء على سبعمائة ميل من البحر وهذا الخليج مقابل لخليج القسطنطينية ، وفي القرب منه وعلى ثمان مراحل من بلاد جنوة ، ومن ورائها مدينة رومة حاضرة الافرنجة ومدينة ملكهم وبها كرسي البطرك الأكبر الذي يسمونه البابا . ومن أمم الافرنجة الجلائقة وبلادهم الأندلس وهؤلاء كلهم دخلوا في دين النصرانية تبعاً للروم إلى من دخل فيه منهم من أمم السودان والحبشة والنوبة ، ومن كان على ملكة الروم من برابرة العدوة بالمغرب مثل نغراوة وهوارة بأفريقية والمصامدة بالمغرب الأقصى ، واستفحل ملك الروم ودين النصرانية .

ولما جاء الله بالإسلام وغلب دينه على الأديان وكانت مملكة الروم قد انتشرت في حفاقي البحر الرومي من عُدُوَّتَيْهِ ، فانترعوا منهم لأوّل أمرهم عُدُوَّتَهُ الجنوبية كلّها من الشام ومصر وأفريقية والمغرب وأجازوا من خليج طنجة فلكوا الأندلس كلّها من يد القوط والحلالقة وضعف أمر الروم وملكهم بعد الانتهاء إلى غايته شأن كل أمة . ثم شغل الافرنجة بما دهمهم من العرب في الأندلس والجزائر بما كانوا يتخيمونهم ويردّدون الصوائف إلى بسائطهم أيام عبد الرحمن الداخل وبنيه الأندلس ، وعبدالله الشيعي وبنيه بأفريقية . وملكوا عليهم جزائر البحر الرومي التي كانت لهم مثل صِقْلِيَّة وميُورقة ودانيّة وأخواتها ، إلى أن فشل ربح الدولتين وضعف مُلْكُ العرب ، فاستفحل الافرنجة ورجعت لهم واسترجعوا ما ملكه المسلمون إلّا قليلاً بسيف البحر الرومي مضائق العرض في طول أربع عشرة مرحلة واستولوا على جزائر البحر كلّها ، ثم سموا إلى الشام وبيت المقدس مسجد أنبيائهم ومطلع دينهم فسربوا إليه آخر المائة الخامسة ، وتواثبوا على الأمصار والحصون وسواحله . ويقال : إنّ المُسْتَنْصِر العُبيديّ هو الذي دعاهم لذلك وحرّضهم عليه لما رجي فيه من اشتغال ملوك السلجوقيّة بأمرهم ، وإقامتهم سداً بينه وبينهم عندما سموا إلى ملك الشام ومصر . وكان ملكُ الافرنجة يومئذ اسمه بَرْدَوِيل^(١) وصهره زجار^(٢) ملك صقليّة من أهل طاعته ، فتظاهروا على ذلك وساروا إلى القسطنطينية سنة إحدى وتسعين ليجعلوها طريقاً إلى الشام ، فنعمهم ملك الروم يومئذ ثم أجازهم على أن يعطوه مَلَطِيَّة إذا ملكوها فقبلوا شرطه . ثم ساروا إلى بلاد ابن قَلَطِمِش ، وقد استولى يومئذ على مِرْيَة وأعمالها وأرزن الروم وأقصر وسيواس ، وافتتح تلك الأعمال كلّها عند هبوب ريح قومه على السُلجوقيّة ، ثم حدثت الفتنة بينهم وبين الروم بالقسطنطينية ، واستنجد كل منهم بملوك المسلمين في تغور الشام والجزيرة ، وعظمت الفتن في تلك الآفاق وذامت الحال على ذلك نحو من مائة سنة ومُلْكُ الروم بالقسطنطينية في تناقص واضمحلال . وكان زجار صاحب صِقْلِيَّة يغزو القسطنطينية من البحر ويأخذ ما يجد في مرساها من سفن التجار وشواني^(٣) المدينة ، ولقد دخل جرجي بن ميخائيل صاحب أسطوله الى

(١) وهو بودوان .

(٢) وفي نسخة اخرى : روجيه .

(٣) الشونة : المركب المعد للجهاد .

مينا القسطنطينية سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى قصر الملك بالسهم ، فكانت تلك أنكى على الروم من كل ناحية .

ثم كان استيلاء الإفرنج على القسطنطينية آخر المائة السادسة وكان من خبرها أن ملك الروم بالقسطنطينية أصهر إلى الفرنسييس عظيم ملوك الإفرنج في أخته فزوجها له الفرنسييس وكان له منها ابن ذكر ، ثم وثب بملك الروم أخوه فسمّله وملك القسطنطينية مكانه . ولحق الإبن بخاله الفرنسييس صريخاً^(١) به على عمه فوجده قد جهز الأساطيل لارتجاع بيت المقدس ، واجتمع فيها ثلاثة من ملوك الإفرنجة بعساكرهم دُوقس البنادقة صاحب المراكب البحرية وفي مراكبه كان ركوبهم ، وكان شيخاً أعمى نقاداً ذا ركب والمركس^(٢) مقدّم الفرنسييس وكيدٌ قليدٌ وهو أكبرهم ، فأمر الفرنسييس بالجواز على القسطنطينية ليصلحوا بين ابن اخته وبين عمه ملك الروم ، فلما وصلوا إلى مرسى القسطنطينية ، خرج عمه وحاربهم فهزموه ودخلوا البلد وهرب إلى أطراف البلد وقتل حاضروه وأضرمو النار في البلد ، فاشتغل الناس بها وأدخل الصبي بشيعته ، فدخل الإفرنج معه وملكوا البلد وأجلسوا الصبي في ملكه وساء أثرهم في البلد ، وصادروا أهل النعم وأخذوا أموال الكنائس ، وثقلت وطأتهم على الروم ففعلوا الصبي وأخرجوهم واستدعوا ملكهم عم الصبي من مكان مقره وملكوه عليهم .

وحاصروهم الإفرنج فاستنجد بسليمان بن قليج أرسلان صاحب قونية وبلاد الروم شرقي الخليج ، وكان في البلد خلق من الإفرنج ، فقبل أن يصل سليمان ثاروا فيها وأضرمو النيران حتى شغل بها الناس ، وفتحوا الأبواب فدخل الإفرنج واستباحوها ثمانية أيام حتى أقفرت ، واعتصم الروم بالكنيسة العظمى منها وهي مموقيا^(٣) . ثم خرجت جماعة القسيسين والأساقفة والرهبان ، وفي أيديهم الإنجيل والصلبان فقتلوهم أجمعين ، ولم يرأعوا لهم ذمّة ولا عهداً ، ثم خلعوا الصبي واقترعوا ثلاثهم على الملك فخرجت القرعة على كيد قليد كبيرهم فلكوه على القسطنطينية وما يحاورها ، وجعلوا لدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل أقریطش ورودس وغيرهما ، وللمركيس مقدم

(١) أي مستغيثاً .

(٢) الدوقس وهو الدوق والمركس هو المركيز .

(٣) هي كنيسة آيا صوفيا اهـ .

الفرنسيس البلاد التي في شرقي الخليج . ثم تغلب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمه لشكري ودفع عنها الإفرنج وبقيت بيده واستولى بعدها على القسطنطينية ، وكان اسمه ميخائيل ، وفي كتاب المؤيد صاحب حمة أنه أقام ببعض الحصون . ثم بنيت القسطنطينية وملكها وفر الإفرنج في مراكبهم وملك الروم وقتل الذي كان ملكاً قبله ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستائة وعقد معه الصلح المنصور قلاوون صاحب مصر والشام لذلك العهد .

قال : وملك بعده ابنه مَاندُ ويلقب الدوقس وشهرتهم جميعاً للشكري^(١) ثم انقرضت دولة بني قليج أرسلان ، وملك أعمالهم التتر كما نذكر في أخبارهم ، وبني لشكري ملوكاً على القسطنطينية إلى هذا العهد ، وملك شرقي الخليج بعد انقضاء دولة التتر من بلاد الروم ابن عثمان جق أمير التركان ، وهو الآن مُتَحَكِّم على صاحب القسطنطينية ومتغلب على نواحيه من سائر جهاته . هذا ما بلغنا من أخبار الروم من أول دولتهم منذ يونان والقياصرة لهذا العهد . والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

الخبر عن القوط وما كان لهم من الملك بالأندلس الى حين الفتح الإسلامي وأولية ذلك ومصايره

هذه الأمة من أمم أهل الدولة العظيمة المعاصرة لدول الطبقة الثانية من العرب وقد ذكرناهم عقب اللطينيين لأن الملك صار إليهم من بينهم كما ذكرناه ، وسياقة الخبر عنهم أنهم كانوا يعرفون في الزمن القديم بالسييسيين^(٢) نسبة إلى الأرض التي كانوا يعمرونها بالشرق فيما بين الفرس واليونان ، وهم في نسبهم إخوة الصين من ولد ماغوغ بن يافث ، وكانت لهم مع الملوك السريانيين حروب موصوفة زحف إليهم فيها مؤمن مالي ملك سريان فدافعوه لعهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم كانت لهم حروب مع الفرس عند تخريب بيت المقدس وبناء رومة ، ثم غلبهم الاسكندر وصاروا في ملكته واندرجوا في قبائل الروم ويونان . ثم لما ضعف أمر الروم بعد الاسكندر وتغلبوا على بلاد الغريقيين ومقدونية ونبطية أيام غلبنوش بن بارايان من ملوك القياصرة وكانت

(١) وفي نسخة ثانية : السكري .

(٢) وهم السكيثيون .

بينه^(١) وبينه حروب سجال ، ثم غلبهم القياصرة من بعده وظفروا بهم ، حتى اذا انتقل القياصرة إلى القسطنطينية وفشل أمرهم برومة زحف إليها هؤلاء القوط واقتحموها عنوة فاستباحوها . ثم خرجوا عنها أيام طودوشيش بن أركادش^(٢) بعد حروب كثيرة ، وكان أميرهم لذلك العهد أنطرك كما ذكرناه ، ومات لعهد طودوشيش وأراد أن يجعل اسمه سمة الملوك برومة منهم مكان سمة قيصر ، فاختلف عليه أصحابه في ذلك فرجع عنه ، ثم صالح الرومانيين على أن يكون له ما يفتح من بلاد الأندلس لما كان أمر الرومانيين قد ضعف عن الأندلس ولحق بها ثلاث طوائف من الغريقيين فاقسموا ملكها وهم الأييون والشوانيون والقندلش وباسم قندلش سميت الأندلس .

وكان بالأندلس من قبلهم الأرباريون من ولد طوال بن يافث وهم إخوة الأنطاليس ، سكنوها من بعد الطوفان وصاروا إلى طاعة أهل رومة ، حتى دخل إليهم هؤلاء الطوالع من الغريقيين عندما اقتحم القوط مدينة رومة وغلبوا الأمم الذين كانوا بها من ولد طوال . وقد يقال : إن هؤلاء الطوالع كلهم من ولد طوال بن يافث وليسوا من الغريقيين ، واقتسم هؤلاء الطوالع ملكها وكانت جليقية لقندلش ولشبونة وماردة وطليطلة ومرسية لشوانش وكانوا أشرافهم . وكانت أشبيلية وقرطبة وجيان وطالعة للآيتي وأميرهم عند ريقش أخولشيقش أربعين سنة حين زحف إليهم القوط من رومة ، وكان قد ولي عليهم بعد أطفانش ملك آخر منهم اسمه طشريك وقتله الرومانيون ، وولي مكانه منهم ماسنة ثلاث سنين وزوج أخته من طودوشيش ملك الرومانيين وصالحه على أن يكون له ما يفتح من الأندلس . ثم مات وولي مكانه لزريق ثلاث عشرة سنة وهو الذي زحف إلى الأندلس وقتل ملوكها وطرده الطوائف الذين كانوا بها فأجازوا إلى طنجة وتغلبوا على بلاد البربر وصرفوا البربر الذين كانوا بالعدوة عن طاعة القسطنطين إلى طاعتهم ، فلم يزالوا على ذلك إلى دولة يشتيانش^(٣) نحواً من ثمانين سنة ، ثم هلك طورديق^(٤) ملك القوط بالأندلس وولي مكانه^(٥)

(١) مقتضى السياق : كانت بينهم وبينه .

(٢) وفي نسخة أخرى : طودوسيوس بن أركاديوس .

(٣) وهو يوستينانوس .

(٤) وفي نسخة أخرى : طوريق .

(٥) بياض بالأصل وهو أدولف .

سبع عشرة سنة ، وانتقض عليه البسكتس^١ إحدى طوائف القوط فزحف إليهم وردّهم إلى طاعته ثم هلك .

وولي بعده الديك ثلاثاً وعشرين سنة ، وكانت الافرنج لعده قد طمعوا في ملك الأندلس وأن يغلبوا عليها القوط ، فجمعوا لهم وملكوا على أنفسهم منهم ، فزحف إليهم الديك في أم القوط إلى أن توغل في بلاد الافرنج فغلبوه وقتلوه وعامة أصحابه . وكانت القوط قبل دخولهم إلى الأندلس فرقتين كما ذكرنا في دولة بَلَنْسِيَان بن قسطنطين من القيصرية المنتصرة ، وكانت إحدى الفرقين قد أقامت بمكانها من نواحي رومة فلما بلغهم خبر الديك صاحب الأندلس منهم امتعضوا لذلك ، وكان أميرهم طورديك منهم ، فزحف إلى الافرنج وغلبهم على ما كانوا يملكونه من الأندلس ، ودخل القوط الذين كانوا بالأندلس في طاعته فولّى عليهم ابنه أشتريك ورجع إلى مكانه من نواحي رومة ، فزحف الافرنج إلى محاربة أشتريك حتى غلبوه على طُلُوسَة من ناحيتهم .

وهلك أشتريك بعد خمس سنين من ملكه وولي عليهم بعده بَشْلِيَقش أربع سنين ، ثم بعده طودريق إحدى وستين سنة وقتله بعض أصحابه بأشبيلية ، وولي بعده أبرليق خمس سنين ، وبعده طُودس ثلاث عشرة سنة ، وبعده طُودشكُل ستين ، وبعده أَيْلَة خمس سنين وانتقض عليه أهل قُرْطُبَة فحاربهم وتغلب عليهم . وبعده طَنْجَاد خمس عشرة سنة ، وبعده كَيْوَلَة سنة واحدة ، وبعده كُوَيْلِدة ثماني عشرة سنة وانتقضت عليه الأطراف فحاربهم وسكنهم ونكر عليه النصارى تثلث أريش وراودوه على الأخذ بتوحيدهم الذين^(١) يزعمونه فأبى وحاربهم فقتل . وولي ابنه زَدْرِيق ست عشرة سنة ورجع إلى توحيد النصارى بزعمهم وهو الذي بنى البلاد المنسوبة إليه بِقُرْطُبَة . ولما هلك ولي بعده على القوط لِيُوبَة ستين ، وبعده تَبْدِيقا عِنْدَمَار ستين ، وبعده شيشوط ثماني سنين وعلى عهده كان هِرْقُل ملك قسطنطينية والشام ، ولعهده كانت الهجرة .

وهلك شيشوط ملك القوط وولي بعده زَدْرِيق آخر منهم ثلاثة أشهر ، وبعده شَتْلَة ثلاث سنين ، وبعده سنشادش خمس سنين ، وبعده خنشوند سبع سنين ، وبعده وجنشوند ثلاثاً وعشرين سنة ، وهذه العصور ابتدأ ضعف الاحكام للقوط . وبعده

(١) مقتضى السياق : الذي .

مانيه ثمان سنين ، وبعده لوري ثمان سنين ، وبعده ايقه ست عشرة سنة ، وبعده غطسة أربع عشرة سنة وهو الذي وقع من قصته مع ابنه يليان عامل طنجة ما وقع . ثم بعده زذريق سنتين وهو الذي دخل عليه المسلمون وغلبوه على ملك القوط وملكوا الأندلس ، ولذلك العهد كان الوليد بن عبد الملك حسباً نذكره عند فتح الأندلس إن شاء الله تعالى .

هذه سياقة الخبر عن هؤلاء القوط نقلته من كلام هروشيوش وهو أصح ما رأيناه في ذلك والله سبحانه وتعالى الموفق المعين بفضلته وكرمه لا ربّ غيره ولا مأمول إلاّ خيره .

الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب وذكر افاريقهم وأنسابهم وممالكهم وما كان لهم من الدول على اختلافها والبادية والرحالة منهم وملكها

هذه الأمة من العرب البادية أهل الخيام الذين لا اغلاق لهم لم يزالوا من أعظم أمم العالم وأكثر أجيال الخليقة ، يكثرون الأمم تارة وينتهي إليهم العز والغلبة بالكثرة فيظفرون بالملك ويغلبون على الأقاليم والمدن والأمصار ، ثم يهلكهم الترف والتنعم ويغلبون عليهم ويقتلون ويرجعون إلى باديتهم ، وقد هلك المتصدرون منهم للرياسة بما باشروه من الترف ونضارة العيش وتصيير الأمر لغيرهم من أولئك المبعدين عنهم بعد عصور أخرى . هكذا سُنَّ الله في خلقه وللبادية منهم مع من يجاورهم من الأمم حروب ووقائع في كل عصر وجيل بما تركوا من طلب المعاش ، وجعلوا طلب المعاش رزقهم في معاشهم بترصد السبيل وانتهاب متاع الناس .

ولما استفحل الملك للعرب في الطبقة الأولى للعالمقة ، وفي الثانية للتبابعة ، وكان ذلك عن كثرتهم فكانوا منتشرين لذلك العهد باليمن والحجاز ثم بالعراق والشام ، فلما تقلص ملكهم وكانوا^(١) بالعراق منهم بقية أقاموا ضاحين^(٢) من ظل الملك . يقال في مبدأ كونهم هنالك أن بختنصر لما سلطه الله على العرب وعلى بني اسرائيل بما كانوا من بغيتهم وقتلهم الأنبياء ، قتل أهل الوير بناحية عدن اليمن نبيهم شعيب بن ذي

(١) الأصح ان يقول : وكان بالعراق منهم بقية .

(٢) بمعنى بعيدين .

مَهْدَمَ عَلَى مَا وَقَعَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ » .
 فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِرْمِيَاءَ بْنِ حَزَقِيَّاهُ وَبَرَحِيَّاهُ أَنْ يُسَيِّرَا بِخَتْنَصَرٍ إِلَى الْعَرَبِ الَّذِينَ لَا أَغْلَاقَ
 لِبُيُوتِهِمْ أَنْ يَقْتُلَ وَلَا يَسْتَحْيِيَ وَيَسْتَلْحِمَهُمْ أَجْمَعِينَ وَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَثَرٌ ، وَقَالَ
 بِخَتْنَصَرٍ : وَأَنَا رَأَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَسَارَ إِلَى الْعَرَبِ ، وَقَدْ نَظَّمَ مَا بَيْنَ أَيْلَةٍ وَالْأَبْلَةِ خَيْلًا
 وَرِجَالًا ، وَتَسَامَعَ الْعَرَبُ بِأَقْطَارِ جَزِيرَتِهِمْ وَاجْتَمَعُوا لِلْقَائِهِ ، فَهَزَمَ عِدْنَانِ أَوَّلًا ثُمَّ
 اسْتَلْحَمَ الْبَاقِينَ وَرَجَعَ إِلَى بَابِلَ ، وَجَمَعَ السَّبَايَا فَأَتَزَلَّهُمُ بِالْأَنْبَارِ ثُمَّ خَالَطَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
 النَّبْطَةُ .

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : إِنَّ بِخَتْنَصَرٍ لَمَّا نَادَى بِغَزْوِ الْعَرَبِ افْتَتَحَ أَمْرَهُ بِالْقَبْضِ عَلَى مَنْ كَانَ
 فِي بِلَادِهِ مِنْ تِجَارِهِمُ لِلْمِيرَةِ وَأَتَزَلَّهُمُ الْحِيرَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي الْعَسَاكِرِ فَرَجَعَتْ
 قِبَائِلُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ آثَرُوا الْأَذْعَانَ وَالْمَسَالَةَ ، وَأَتَزَلَّهُمُ بِالسَّوَادِ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ ، وَابْتَنَوْا
 مَوْضِعَ عَسْكَرِهِمْ وَسَمَوْهُ الْأَنْبَارَ ، ثُمَّ أَتَزَلَّهُمُ الْحِيرَةَ فَسَكَنُوهَا سَائِرَ أَيَّامِهِ وَرَجَعُوا إِلَى
 الْأَنْبَارِ بَعْدَ مَهْلِكِهِ .

قَالَ الطَّبْرِيُّ : إِنَّ تُبْعَا أَبَا كَرَبَ لَمَّا غَزَا الْعِرَاقَ أَيَّامَ أَرْدَشِيرَ بَهْمَنْ كَانَتْ طَرِيقُهُ عَلَى
 جَبَلِ طِيٍّ وَمِنْهُ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَانْتَهَى إِلَى مَوْضِعِ الْحِيرَةِ لَيْلًا ، فَتَحِيرَ وَأَقَامَ فَسَمِيَ
 الْمَكَانَ الْحِيرَةَ . ثُمَّ سَارَ لَوَجْهِهِ وَخَلَّفَ هُنَاكَ قَوْمًا مِنَ الْأَزْدِ وَلِخَمٍ وَجُدَّامٍ وَعَامِلَةٍ
 وَقُضَاعَةٍ ، وَطَنُوا وَبَنُوا وَلَحِقَ بِهِمْ نَاسٌ مِنْ طِيٍّ وَكَلْبٍ وَالسَّكُونِ وَإِيَادٍ وَالْحَرِثِ بْنِ
 كَعْبٍ فَكَانُوا مَعَهُمْ .

وَقِيلَ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ : خَرَجَ تُبْعٌ فِي الْعَرَبِ حَتَّى تَحِيرُوا بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ فَتَزَلَّ بِهَا
 ضَعْفَاءُ النَّاسِ فَسَمِيَتْ الْحِيرَةُ ، وَلَمَّا رَجَعَ وَوَجَدَهُمْ قَدْ اسْتَوَطَنُوا ، تَرَكَهُمْ هُنَاكَ
 وَفِيهِمْ مِنْ كُلِّ قِبَائِلِ الْعَرَبِ مِنْ هَذِيلٍ وَلِخَمٍ وَجُعْفَى وَطِيٍّ وَكَلْبٍ وَبَنِي لَحْيَانَ مِنْ
 جُرْهُمٍ .

قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ : لَمَّا مَاتَ بِخَتْنَصَرٍ انْتَقَلَ الَّذِينَ أَسْكَنَهُمْ بِالْحِيرَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ وَمَعَهُمْ
 مِنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي مَعَدٍّ وَانْقَطَعَتْ طَوَالِ الْعَرَبِ مِنَ الْيَمَنِ عَنْهُمْ ، ثُمَّ
 كَثُرَ أَوْلَادُ مَعَدٍّ وَفَرَّقَتْهُمْ الْعَرَبُ ، وَخَرَجُوا يَطْلُبُونَ الْمَنْسَعَ وَالرَّيْفَ فِيمَا يَلِيهِمْ مِنْ بِلَادِ
 الْيَمَنِ وَمِشَارِفِ الشَّامِ ، وَنَزَلَتْ قِبَائِلُ مِنْهُمْ الْبَحْرَيْنِ وَبِهَا يَوْمُئِذٍ قَوْمٌ مِنَ الْأَزْدِ نَزَلُوهَا
 أَيَّامَ خُرُوجِ مَزْيَقِيَاءَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَكَانَ الَّذِينَ أَقْبَلُوا مِنْ تِهَامَةٍ مِنَ الْعَرَبِ مَالِكٌ وَعَمْرُو
 ابْنَا فَهْمٍ بَنِي تَيْمٍ بَنِي أَسَدٍ بَنِي وَبَرَةَ بَنِي قُضَاعَةَ وَابْنُ أَخِيهِمَا مَالِكُ بْنُ زَهِيرٍ وَابْنُ عَمْرُو

بن فهم في جماعة من قومهم والخنفار بن الحيق بن عمرو بن معد بن عدنان في قفص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن لطان بن عبد مناف بن بعدم بن دعى بن أباد بن أرقص بن صبيح بن الحارث بن أفصى بن دعى وزهير بن الحرث بن أليل بن زهير بن أباد ، واجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على المقام والتناصر وأنهم يد واحدة ، وكان هذا الاجتماع والحلف أزمان الطوائف ، وكان ملكهم قليلا ومفترقا وكان كل واحد منهم يغير على صاحبه ويرجع على أكثر من ذلك . فتطلعت نفوس العرب بالبحرين إلى ريف العراق ، وطمعوا في غلب الأعاجم عليه أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا الخلاف الذي كان بين الطوائف وأجمع رؤسائهم المسير إلى العراق . فسار منهم الأول الخنفار بن الحيق في أشلاء قفص بن معد ومن معهم من أخلاط الناس ، فوجدوا بأرض بابل إلى الموصل بني إرم بن سام الذين كانوا ملوكاً بدمشق ، وقيل لها من أجلهم دِمَشْقُ إرم وهم من بقايا العرب الأولى ، فوجدوهم يقاتلون ملوك الطوائف ، فدفعوهم عن سواد العراق ، فارتفعوا عنه إلى أشلاء قفص ، هؤلاء ينسبون إلى عمرو بن عدي بن ربيعة جد بني المنذر عند نسابة مضر ، وفي قول حماد الراوية كما يأتي ذكره . ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم وابن مالك بن زهير من قضاة وغطفان بن عمرو وصبيح بن صبيح وزهير بن الحرث من أباد فيمن معهم من غسان وحلفائهم بالأنبار ، وكلهم تنوخ كما قدمنا ، فغلبوا بني إرم ودفعوهم عن جهات السواد . وجاء على أثرهم نمار بن قيس ونمار بن لخم نجدة من قبائل كندة ، فنزلوا الحيرة وأوطنوها ، وأقامت طالعة الأنبار وطالعة الحيرة لا يدينون للأعاجم ولا تدين لهم حتى مر بهم تبع وترك فيهم ضعة عساكره كما تقدم ، وأوطنوا فيهم من كل القبائل كما ذكرنا جعفر وطيم وتيمم وبني لحيان من جرهم . ونزل كثير من تنوخ ما بين الحيرة والأنبار بادين في الخيام لا يأوون إلى المدن ولا يخالطون أهلها ، وكانوا يُسمّون عرب الضاحية ، وأول من ملك منهم أزمان الطوائف مالك بن فهم ، وبعده أخوه عمرو ، وبعده ابن أخيه جذيمة الأبرش كما يأتي ذكر ذلك كله .

وكان أيضا ولد عمرو مزيقياء بعد خروجه من اليمن بالأزد قومه عند خروجه أنذرهم بسيل العرم في القصة المشهورة ، وقد انتشروا بالشام والعراق وتحلف من تحلف منهم بالحجاز وهم خزاعة ، فترلوا مر الظهران وقاتلوا جرهما بمكة فغلبوهم عليها ، ونزل نصر بن الأزد عَمَان ، ونزلت غسان جبال الشراة ، وكانت لهم حروب مع بني معد

إلى أن استقروا هنالك في التخوم بين الحجاز والشام ، هذا شأن من أوطن العراق والشام من قبائل سبا ، تشاءم منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم مذجح وكندة والأشعريون وحمير وأنمار وهو أبو خثعم وبجيلة ، فكان الملك لهؤلاء باليمن في حمير ثم التبابعة منهم ، ويظهر من هذا أن خروج مزيقياء والأزد كان لأول ملك التبابعة أو قبله بيسير .

وأما بنو معدّ بن عدنان فكان إرميا وبرخيا لما أوحى إليهما بغزو بختنصر العرب ، وأمرهما الله أن يستخرجا معدّ بن عدنان لأن من ولده محمداً صلى الله عليه وسلم ، أخرجه آخر الزمان أختم به النبيين وأرفع به من الضعة ، فأخرجاه على البراق وهو ابن إثنتي عشرة سنة ، وذهبا به إلى حرّان فربى عندهما . وغزا بختنصر العرب واستلحمهم وهلك عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً ، ثم هلك بختنصر فخرج معدّ بن عدنان مع أنبياء بني اسرائيل ، فحجّوا جميعاً وطفق يسأل عمن بقي من ولد الحارث بن مضاظ الجرهمي . وكانت قبائل دوس^(١) أكثر جرهم على يده ف قيل له بقي جرهم بن جلهمة^(٢) ، فتزوَّج ابنته معانة وولدت له نزار بن معدّ .

قال السهيلي : وكان رجوع معدّ إلى الحجاز بعدما رفع الله بأسه عن العرب ، ورجعت بقاياهم التي كانت بالشواحق إلى محالاتهم بعد أن دَوَّخ بختنصر بلادهم وخرّب معمرهم واستأصل خضورا وأهل الرسّ التي كانت سطوة الله بالعرب من أجلهم . اهـ . كلام السهيلي .

ثم كثر نسل معدّ في ربيعة ومضر وأباد ، وتدافعوا إلى العراق والشام ، وتقدّم منهم أشلاء قفص — كما ذكرنا — وجاؤا على أثرهم ، فقتلوا مع أحياء اليمانية الذين ذكرناهم قبل ، وكانت لهم مع تُبّع حروب وهو الذي يقول :

لستُ بالتُّبّع اليماني إن لم تَرَكُضِ الخيلُ في سوادِ العراق
أو تؤدّي ربيعةَ الخرج قسراً لم تعقها موانعُ العَوَاقِ
ثم كان بالعراق والشام والحجاز أيام الطوائف ومن بعدهم في أعقاب ملك التبابعة اليمانية والعدنانية مُلْكٌ ودُولٌ بعد أن درست الأجيال قبلهم وتبدّلت الأحوال السابقة

(١) كذا بياض بالأصل : وفي تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩١ : وسأل عمن بقي من ولد الحارث بن مضاظ الجرهمي وهو الذي قاتل دوس العتق فافنى أكثر جرهم على يديه فقيل له : بقي جرهم بن جلهمة .

(٢) وفي الكامل اسمه : جوشم بن جلهمة .

فلنأت الآن بذكر قبائل هذه الطبقة من قحطان وعدنان وقضاعة ، وما كان لكل واحدة منها من الملك قبل الإسلام وبعده : ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني في أخبار خزيمة بن نهد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة قال : كان بدء تفرق بني إسماعيل من تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق وخروج من خرج منهم عن نسبه ، أن قضاعة كانوا مجاورين لتزار وكان خزيمة بن نهد فاسقاً متعرضاً للنساء ، فشيب بفاطمة بنت يذكر وهو عامر بن عترة ، وذكرها في شعره حيث يقول :

فأه كان عند رضاب العصور
ففيها يُعلّ به الزنجيلُ
فقتل أباهما على حبهما
فتبخل إن بخلت أو تقيلُ

فلما سمعت نزار شعر خزيمه بن نهد وقتله يذكر بن عترة ، ثاروا مع قضاة وتساندوا مع أحياء العرب الذين كانوا معهم ، وكانت هذه مع نزار ونسبها يومئذ كندة بن جنادة بن معد ، وجيرانهم يومئذ أجا بن عمرو بن أد بن أد بن أخي عدنان بن أد . وكانت قضاة تنتسب إلى معد ومعد إلى عدنان ، والأشعريون إلى الأشعر بن أد أخي عدنان ، وكانوا يظعنون من تهامة إلى الشام ومنازلهم بالصفاء . وكانت عسقلان من ولد ربيعة ، وكانت قضاة ما بين مكة والطائف ، وكندة من العمد إلى ذات عرق ، ومنازل أجا والأشعر ومعد ما بين جدّة والبحر . فلما اقتتلوا هزمت نزار قضاة وقتل خزيمه وخرجوا مفترقين ، فسارت تيم اللات من قضاة وبعض بني ربيعة منهم وفرقة من الأشعريين نحو البحرين ، ونزلوا هجر وأجلوا من كان بها من النبط وملكوها . وكانت الزرقاء بنت زهير كاهنة منهم فتكهنتم لهم بتزل ذلك المكان والخروج عن تهامة وقالت في شعرها :

ودّع تهامة لا وداع مخالف بدمامه لكن قلبي وملام
لا تنكري هجراً مقام غريبة لن تعدمي من ظاعنين تهام
ثم تكهنتم لهم في سجع بأنهم يقيمون بهجر حتى ينق غراب أبقع عليه خلخال ذهباً ويقع على نخلة وصفتها فيسيرون إلى الحيرة ، وكان في سجعها مقام وتنوخ فسميت تلك القبائل تنوخ من أجل هذه اللفظة . ولحق بهم قوم من الأزد فدخلوا في تنوخ وأصاب بقية قضاة الموتان ، وسارت فرقة من بني حلوان فزلوا عبقرة من أرض الجزيرة ونسج نساؤهم البرود العبقرية من الصوف والبرود التريدية إليهم لأنهم بنو تريد ، وأغارت عليهم الترك فأصابوا منهم ، وأقبل الحرث بن قراد البهراني ليستجيش بني حلوان فعرض له أبان بن سليح صاحب العين فقتله الحرث ولحقت بهرا بالترك ، فاستنقذوا ما أخذوه من بني تريد وهزموهم وقال الحرث :

كان الدهر جمّع في ليالي ثلاث بينهم بشهر زور
صففنا للأعاجم من معدٍ صفوفا بالجزيرة كالسعر
وسارت سليح بن عمرو^(١) بن الحاف وعليهم الهدرجان بن مسلمة ، حتى نزلوا فلسطين على بني أدينة بن السميدع بن عاملة ، وسارت أسلم بن الحاف وهي عذرة ونهد وحويكة وجُهينة حتى نزلوا بين الحجر ووادي القرى ، وأقامت تنوخ بالبحرين

^(١) قوله سليح بن عمرو يأتي في مكان آخر سليح بن عمران قاله نصر .

سنين . ثم أقبل الغُراب بحلقتي الذهب ووقع على النخلة ونعق كما قالت الزرقاء فذكروا قولها وارتحلوا إلى الحيرة فتركوها وهم أول من اختطها ، وكان رئيسهم مالك بن زهير واجتمع إليه ناس كثيرة من بسائط القرى ، وبنوا بها المنازل وأقاموا زماناً ثم أغار عليهم سابور الأكبر وقتلوه ، وكان شعارهم يا لعباد الله فسموا العباد . وهزمهم سابور فافترقوا ، وسار أهل المهبط منهم مع الضيزن بن معاوية التنوخي فترك بالحضر الذي بناه الساطرون الجرهماني ، فأقاموا عليه . وأغار حنير على قضاة فأجلوهم وهم كلبٌ . وخرج بنو زبَّان بن تغلب بن حلوان فلقحوا بالشام ، ثم أغارت عليهم كنانة بعد ذلك بحين واستباحوهم فلقحوا بالسماء وهي إلى اليوم منازلهم . اهـ كلام صاحب الأغاني (قلت) : وأحياء جدّهم لهذا العهد ما بين عترة وقلته وفلسطين إلى معان من أرض الحجاز .

الخبر عن أنساب العرب من هذه الطبقة الثالثة واحدة واحدة وذكر مواطنهم ومن كان له الملك منهم

إعلم أن جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة أنساب وهي عدنان وقحطان وقضاة : فأما عدنان : فهو من وُلد إسماعيل بالاتفاق ، إلا ذكر الآباء الذين بينه وبين إسماعيل فليس فيه شيء يرجع إلى يقينه ، وغير عدنان من وُلد إسماعيل قد انقرضوا فليس على وجه الأرض منهم أحد .

وأما قحطان : فقبل من وُلد إسماعيل وهو ظاهر كلام البخاري في قوله ، باب نسبة اليمن إلى إسماعيل ، وساق في الباب قوله صلى الله عليه وسلم لقوم من أسلم يناضلون : «ارموا يا بني إسماعيل فإنّ أباكم كان رامياً» . ثم قال : وأسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعني وخزاعة من سبأ والأوس والخزرج منهم ، وأصحاب هذا المذهب على أن قحطان ابن الهُميسع بن أبين بن قيذار بن نبت بن إسماعيل . والجمهور على أن قحطان هو يقطن^(١) المذكور في التوراة في ولد عابر وأن حضرموت من شعوب قحطان .

(١) ورد في التوراة : «وولد لعابر ابنان اسم أحدهما فالج لانه في ايامه انقسمت الارض واسم اخيه يقطان» الفصل العاشر من سفر التكوين .

وأما قُضاعة : فقليل إنَّها حِمير قاله ابن اسحق والكلبي وطائفة . وقد يحتاج لذلك بما رواه ابن لُهيعة عن عُقبة بن عامر الجهني قال : يا رسول الله ممن نحن ؟ قال : أنتم من قُضاعة بن مالك . وقال عمرو بن مَرَّة وهو من الصحابة :

نحن بنو الشيخ العِجَّاز الأزهري * قُضاعة بن مالك بن حِمير النسبُ المعروف غير المنكر * وقال زهير : قُضاعية وأختها مُضريَّة ، فجعلها أخوين . وقال : إنهما من حِمير بن معد بن عدنان . وقال ابن عبد البر : وعليه الأكثرون ، ويروي عن ابن عباس وابن عمرو وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكَار وابن مُصعب الزُبيري وابن هشام . قال السُّهيلي : والصحيح أنَّ أم قُضاعة وهي عبكرة مات عنها مالك بن حِمير وهي حامل بقُضاعة فترَوَّجها معدٌ وولدت قُضاعة فتكنى به ونسب إليه وهو قول الزبير . اهـ كلام السُّهيلي . وفي كتب الحكماء الأقدمين من يونان مثل بطليموس وهروشيوش ذكر القُضاعيِّين والخبر عن حروبهم ، فلا يعلم أهمُّ أوائل قُضاعة هؤلاء وأسلافهم أو غيرهم ، وربَّما يشهد للقول بأنهم من عدنان وأن بلادهم لا تتصل ببلاد اليمن وإنما هي ببلاد الشام وبلاد بني عدنان . والنسب البعيد يحيل الظنون ولا يرجع فيه إلى يقين .

ولنبداً بقحطان وبطونها : لما أنَّ الملك الأقدم للعرب كان في نسب سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ومنه تشعب بطون حِمير بن سبأ وكهلان بن سبأ وينفرد بنو حِمير بالملك وكان منهم التبابعة أهل الدولة المشهورة وغيرهم كما نذكر . فلنبداً بذكر حِمير أولاً من القحطانية ، ونذكر بعدهم قُضاعة لانتسابهم في المشهور إلى حِمير ، ثم نتبعهم بذكر كهلان إخوان حِمير من القُضاعيَّة ، ثم نرجع إلى ذكر عدنان .

الخبر عن حِمير من القحطانية وبطونها وتفرع شعوبها

قد تقدّم لنا ذكر الشعوب من حِمير الذين كان لهم الملك قبل التبابعة فلا حاجة لنا إلى إعادة ذكرهم . وتقدّم لنا أنَّ حِمير بن سبأ كان له من الولد تسعة وهم : الهُمَيْسَع ومالك وزيد وعريبٌ ووائلٌ ومشروحٌ ومعدٌ يكرب وأوسٌ ومَرَّة ، فبنو مَرَّة دخلوا إلى حضرموت ، وكان من حِمير أَيْينُ بن زهير بن الغوث بن أَيْين بن الهُمَيْسَع ابن حِمير وإليهم تنسب عدن أَيْين ، ومنهم بنو الأملوك وبنو عبد شمس وهما إبننا وائل ابن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير ، وعريب وأَيْين إخوان . ومن بني عبد

شمس بنو شرعَب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ، وقد تقدّم قول من ذهب إلى أنّ جشم وعبد شمس أخوان وهما إبنّا وائل ، والصحيح ما ذكرناه هنا فلنرجع وبنو خيران وشعبان وهما إبنّا عمرو أخي شرعَب بن قيس وزيد الجمهور بن سهل أخي خيران وشعبان ، ورابعهم حسان القيل بن عمرو وقد مرّ ذكره ، ومن زيد الجمهور ذو رعين وإسمه يريم بن زيد بن سهل وإليه ينسب عبد كلال الذي تقدّم ذكره في ملوك التباة . والحارث وعريب إبنّا عبد كلال بن عريب بن يشرح بن مُدان بن ذي رعين وهما اللذان كتب لهما النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم كعب بن زيد الجمهور ويلقب كعبُ الظلم وأبناء سبأ الأصغر بن كعب وإليه ينتهي نسب ملوك التباة . ومن زيد الجمهور بنو حضور بن عدي بن مالك بن زيد وقد مرّ ذكرهم . وتقول اليمن إن منهم كان شعيب بن ذي مهديم النبي الذي قتله قومه ، فغزاهم بختنصر فقتلهم . وقيل بل هو من حضور بن قحطان الذي إسمه في التوراة يقطن . ومنهم أيضا بنو ميثم وبنو حالة إبنّي سعد بن عوف بن عدي بن مالك أخي ذي رعين ، وعوف هذا أخو حضور وأخوه أحاطة وميثم بنو حراز بن سعد ، فن ميثم كعب الأخبار وقد مرّ ذكره ، وهو كعب بن ماتع بن هلسوع لكن ذي هجري بن ميثم . ومن أحاطة رهط ذي الكلاع وهو السميّقع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن يزيد وهو ذو الكلاع الأكبر بن النعمان بن أحاطة ، ومن عمرو بن سعد الخبائر والسحول بنو سودة بن عمرو بن الغوث بن سعد يحصب ، وذو أصبح أبرهة بن الصباح ، وكان من ملوك اليمن لعهد الإسلام وقد مرّ ذكره ونسبه ، ومنهم مالك بن أنس إمام دار الهجرة وكبير فقهاء السلف وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر وهو نافع بن عمرو بن الحرث بن عثمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح وإبناه يحيى ومحمد وأعمامه أويس ، وأبو سهل والربيع ، وكانوا حلفاء لبني تيم من قريش . ومن زيد الجمهور مرثد بن علس بن ذي جدن بن الحرث ابن زيد وهو الذي استجاشه امرؤ القيس على بني أسد قاتلي أبيه .

ومن بني سبأ الأصغر الأوزاع وهم مرثد بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الأصغر ، ومن إخوان هؤلاء الأوزاع بنو يعفر الذين استبدوا بملك اليمن كما يأتي عند ذكر ملوك اليمن في الدولة العباسية ، وهو يعفر بن عبد الرحمن بن كريب بن عثمان بن الوضاح بن إبراهيم بن مانع بن عون بن تدرص بن عامر بن ذي مغار البطين بن

ذي مرايش بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن شدد بن زرعة . وكان آخر ملوك بني يعفر هؤلاء باليمن أبو حسّان أسعد بن أبي يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر ملك أبو ابراهيم صنعاء وبني قلعة كحلان باليمن ، وورث ملكه بنوه من بعده إلى أن غلب عليهم الصليحيون من همدان بعدوة العبيديّين من الشيعة كما نذكر في أخبارهم . ومن زيد الجمهور ملوك التابعة وملوك حمير من وُلد صيفي بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد .

قال ابن حزم : فمن وُلد صيفي هذا تبع وهو تَبَّانٌ وهو أيضا أسعد أبو كرب بن كليكرب وهو تبع بن زيد وهو تبع بن عمرو وهو تبع ذو الأذعار بن أبرهة وهو تبع ذو المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي ، قال : فولد تبع أسعد أبو كرب حسّان ذو معاهر وتبع زرعة وهو ذو نواس الذي تهوّد وهوّد أهل اليمن ، ويسمى يوسف ، وقتل أهل نجران من النصاري . وعمرو بن سعد وهو موثبان ، قال : ومن هؤلاء التابعة شمر يرعش بن ياسر بن عمرو ذي الأذعار ، وأفريقش بن قيس بن صيفي ، وبلقيس بنت إيلي أشرح بن ذي جدن بن إيلي أشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي . قال : وفي أنساب التابعة تخطيط واختلاف ولا يصحّ منها ومن أخبارهم إلا القليل . اهـ . ومن زيد الجمهور ذويزن بن عامر بن أسلم بن زيد . وقال ابن حزم : إنّ عامر هو ذو يزن ، قال ومن وُلده : سيف بن النعمان بن عفير بن زرعة بن عفير بن الحرث بن النعمان بن قيس بن عبّيد بن سيف بن ذي يزن ، الذي استجاش كسرى على الحبشة وأدخل الفرس إلى اليمن . هذه بطون حمير وأنسابها وديارهم باليمن من صنعاء إلى ظفار إلى عدن ، وأخبار دولهم قد تقدّمت والله واثق الأرض ومن عليها وهو غير الوارثين .

ونلحق بالكلام في أنساب حمير بن سبأ أنساب حضرموت وجُرهم وما ذكره النسّابون من شعوبها : فإنهم يذكرونها مع حمير لأن حضرموت وجُرهم إخوة سبأ كما وقع في التوراة وقد ذكرناه ولم يبق من وُلد قحطان بعد سبأ معروف العقّب غير هذين . فأما حضرموت فقد تقدّم ذكرهم في العرب البائدة ومن كان منهم من الملوك يومئذ ، وتبعتها هنالك أنّ منهم بقية في الأجيال المتأخرة اندرجوا في غيرهم فلذلك ذكرناهم في هذه الطبقة الثالثة . قال ابن حزم : ويقال إن حضرموت هو ابن يقطن أخي قحطان والله أعلم . وكان فيهم رياسة إلى الإسلام ، منهم وائل بن حُجر له

صُحْبَةٌ وهو وائل بن حُجْر بن سعيد بن مسروق بن وائل بن النُّعْمَان بن ربيعة بن الحارث بن عوف بن سعد بن عوف بن عدي بن شرحبيل بن الحرث بن مالك بن مرة بن حَمِير بن زيد بن لابي بن مالك بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لابي بن قحطان ، وابنه علقمة بن وائل . وسقط عنده بين حُجْر أبي وائل وسعيد ابن مسروق أب اسمه سعد وهو ابن سعيد . ثم قال ابن حزم : ويذكر بنو خلدون الأَشِيلِيُّونَ فيقال إنَّهم من وُلْدِ الجَبَّار بن علقمة بن وائل ومنهم علي المنذر بن محمد وابنه بقرمونة وأشيلية ، اللذين قتلها إبراهيم بن حجاج اللخمي غيلة ، وهما ابنا عثمان أبي بكر بن خالد بن عثمان أبي بكر بن مخلوف المعروف بخلدون الداخل المشرق . وقال غيره في خلدون الأول : إنه ابن عمرو بن خلدون . وقال ابن حزم في خلدون : إنه ابن عثمان بن هانيء بن الخطاب بن كريب بن معديكرب بن الحرث بن وائل بن حُجْر . وقال غيره : خلدون بن مُسلم بن عمر بن الخطاب بن هانيء بن كريب بن معديكرب بن الحرث بن وائل . قال ابن حزم : والصدفُ من بني حضرموت وهو الصدف^(١) بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر ، قال : ومن حضرموت العلاء بن الحضرمي الذي ولَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين وأبو بكر وعمر من بعده إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين ، وهو العلاء بن عبد الله بن عبدة بن حماد بن مالك حليف بني أمية بن عبد شمس وأخوه ميمون بن الحضرمي ابن الصدف . فيقال عبد الله بن حماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عريب بن مالك بن الخزرج بن الصدف ، قال وأخت العلاء الصعبة بنت الحضرمي أم طلحة بن عبد الله اهـ .

وأما جُرَّهْمُ فقال ابن سعيد : إنهم أُمَّتان أمة على عهد عاد وأمة من ولد جُرَّهْمُ بن قحطان ، ولما ملك يَعْرُبُ بن قحطان اليمن ملك أخوه جُرَّهْمُ الحجاز ، ثم ملك من بعده ابنه عبد ياليل بن جرهم ، ثم ابنه جرشم بن عبد ياليل ، ثم ملك من بعده ابنه عبد المدان بن جرشم ، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان ، ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة ، ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ، ثم ابنه عمرو بن الحرث ، ثم أخوه بشر بن الحرث ، ثم مضاض بن عمرو بن مضاض . قال وهذه الأمة الثانية هم الذين بعث إليهم إسماعيل وتزوج فيهم اهـ .

(١) وولد الصدف حربما بالضم ويدعى بالاحروم وجذاما ويدعى بالاجزوم كما في القاموس (قاله نصر) .

أبني بن المسيح بن حمير بن سبأ بن قوطان

الغوث

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

بن زهير بن زهير بن

الخبر عن قضاة وبطونها والامام ببعض الملك الذي كان فيها

قد تقدّم آنفاً ذكر الخلاف الذي في قضاة هل هم لحمير أو لعدنان ونقلنا الحجاج لِكَيْلَا المذهبين وأتينا بذكر أنسابهم تالية حمير ترجيحاً للقول بأنهم منهم ، وعلى هذا فقليل هو قضاة بن مالك بن حمير . وقال ابن الكلبي : قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير . وكان قضاة فيما قال ابن سعيد ملكاً على بلاد الشحر ، وصارت بعده لابنه الحاف ثم لابنه مالك . ولم يذكر ابن حزم في ولد الحاف مالكا . قال ابن سعيد وكانت بين قضاة وبين وائل بن حمير حروب ، ثم استقل ببلاد الشحر مَهْرَةُ بن حيدان بن الحاف بن قضاة وعُرِفَتْ به ، قال وملك بنو قضاة أيضا نَجْرَان ثم غلبهم عليها بنو الحرث بن كعب بن الأزد وساروا إلى الحجاز فدخلوا في قبائل معد ، ومن هنا غلط من نسبهم إلى معد اهـ .

ولنذكر الآن تشعب البطون من قضاة : اتفق النسّابون على أن قضاة لم يكن له من الولد إلا الحافي ومنه سائر بطونهم ، وللحافي ثلاثة من الولد : عمرو وعمران وأسلم بضم اللام قاله ابن حزم .

فمن عمرو بن الحافي حيدان وبلي وبهرا ، فمن حيدان مَهْرَةُ ، ومن بلي جماعة من مشاهير الصحابة : منهم كَعْبُ بن عُجْرَةَ وخديج بن سلامة وسهل بن رافع وأبو بردة ابن نيار ، ومن بهرا جماعة من الصحابة أيضا منهم : المقداد بن عمرو وينسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب خال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي أمه وتبناه فنسب إليه . ويقال إن خالد بن برمك مولى بني بهرا .

ومن أسلم سعد هذيم وجهينة ونهد بنو زيد بن ليث بن سؤد بن أسلم ، فجبهة ما بين اليمن ويثرب إلى الآن في متسع من برية الحجاز وفي شاليهم الى عقبة ايلة مواطن بلي وكلاهما على العدو الشرقية من بحر القلزم وأجاز منهم أُمّ إلى العدو الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هنالك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وقرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهمقوهم إلى هذا العهد . ومن سعد هذيم بنو عُذرة المشهورون بين العرب في المحبة ، كان منهم جميل بن عبد الله بن

معمر وصاحبه بُيُنة بنت حبابا . قال ابن حزم : كان لأبيها صحبة ومنهم عروة بن حزام وصاحبه عفرا . ومن بني عذرة كان رزاح بن ربيعة أخو قصي بن كلاب لأمه وهو الذي استظهر قصي به ويقومه على بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم فغلبهم على الاجازة بالناس من عرفة ، وكانت مفتاح رياسته في قريش .

ومن عمران بن الحافي بنو سُلَيْح وهو عمرو بن حُلوان بن عمران ، ومن بني سُلَيْح الضجاعم بنو ضَجْم بن سعد بن سُلَيْح كانوا ملوكاً بالشام للروم قبل غسان . ومن بني عمران بن الحافي بنو جرم بن زبّان بن حُلوان بن عمران بطن كبير وفيهم كثير من الصحابة ومواطنهم ما بين غزة وجبال الشراة من الشام ، وجبال الشراة من جبال الكرك . ومن تغلب بن حُلوان بنو أسد وبنو النمر وبنو كلب قبائل ضخمة كلهم بنو وبرة بن تغلب ، فن النمر بنو خُشَيْن بن النمر ومن بني أسد بن وبرة تنوخ وهم فهم بن تيمم اللات بن أسد منهم مالك بن زهير بن عمرو بن عمرو بن فهم وعليه تنخت تنوخ ، وعلى عهد أبيه مالك بن فهم كما مرّ وكانوا حلفاء لبني حزم . فتنوخ على ثلاثة أبطن : بطن اسمه فهم وهم هؤلاء ، وبطن اسمه نزار وهم ليس نزار لهم بوالد لكنهم من بطون قُضاعة كلها ومن بني تيمم اللات ومن غيرهم بطون ثلاث يقال لهم الأحلاف من جميع قبائل العرب من كندة ولخم وجذام وعبد القيس اهـ كلام ابن حزم . ومن بني أسد بن وبرة بنو القَيْن واسمه النُعمان بن جسر بن شيع اللات بن أسد ومن بني كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بنو كِنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، قبيلة ضخمة فيها ثلاثة بطون بنو عليّ وبنو زهير وبنو عليم ، وبنو جناب بن هبل ابن عبد الله بن كنانة بطون ضخمة ومنهم عبيدة بن هُبَيْل شاعر قديم ويقول فيه بعض الناس ابن حرام ، وهو الذي عنى امرؤ القيس بقوله * نبكي الديار كما بكى ابن حرام * وقد قيل إنه من بكر بن وائل ، وقال هشام بن السائب الكلبي : إذا سئلوا بم بكى ابن حرام الديار أنشدوا خمسة أبيات من كلمات امرئ القيس المشهورة * قَفَا نَبَكٍ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَتَرْلٍ *

ويقولون إن بقيتها لامرئ القيس بن حجر ، وهذا امرؤ القيس بن حرام شاعر قديم دثر شعره لأنه لم يكن للعرب كتاب لبدايتها ، وإنما بقي من أشعارهم ما ذكره رواة الإسلام وقيدوه من رواية الكتاب من محفوظ الرجال .

ومن بني عدي بنو حُصَيْن بن ضمضم بن عدي ، كانت منهم نائلة بنت الفرافصة بن

الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حُصْن امرأة عثمان بن عفَّان ، ومنهم أبو الخطَّار الحُسام بن ضِرار بن سلامان بن جشم بن ربيعة بن حُصْن أمير الأندلس ، ومنسبة بن شُحيم بن منجاش بن مزغور بن منجاش بن هزيم بن عديّ بن زهير ، وابن ابنه حسان بن مالك بن بحدل الذي قام بمروان يوم مَرَجَ راهط وكانت رئاسة الإسلام في كلب لبني بحدل هؤلاء ومن عقبهم بنو مُنقذٍ ملوك شيزر .

ومن بني زهير بن جناب حنظلة بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن هرير بن أبي جابر بن زهير ولي أفريقية لهشام . ومن عليم بن جناب بنو معقل وربما يقال إنّ عرب المعقل الذين بالمغرب الأقصى لهذا العهد وفي زمانه يتسبون فيهم .

ومن بطون كَلْب بن عوف بن بكر بن عوف بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف دَحِيَّة بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امريء القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أتاه جبريل عليه السلام في صورته . ومنصور بن جهور بن حفر بن عمرو بن خالد بن حارثة بن العبيد بن عامر بن عوف القائم مع يزيد بن الوليد وولاه الكوفة ، وحِب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف سُبَيّ أبوه زيد في الجاهلية وصار إلى خديجة فوهبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءه أبوه وخيَّره النبي صلى الله عليه وسلم فاختره على أبيه وأهله وأقام في كفالة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه ، وربى ابنه أسامة في بيته ومع مواليه وأخباره مشهورة .

ومن بني كلب ثم من بني كنانة بن بكر بن عوف النسابة ابن الكلبي وهو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحرث بن عبد العزى بن امريء القيس . قال ابن حزم : هكذا ذكره ابن الكلبي في نسبه وأرى أمراً القيس هذا هو عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عُذرة وقد مرَّ ببقية نسبه ، وكان لقضاة هؤلاء ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق في أيلة وجبال الكرك إلى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية العرب هنالك ، وكان أول الملك فيهم في تنوخ وتتابعت فيهم فيما ذكر المسعودي ثلاثة ملوك : النعمان بن عمر ، وثم ابنه عمرو بن النعمان ، ثم ابنه الحواري بن عمرو ، ثم غلبهم على أمرهم سُليح من بطون قضاة

وكانت رياستهم في ضَجَعَم بن مَعَدَّ منهم . وقارن ذلك استيلاء طَيْطِشَ من القياصرة على الشام فولاهم مملوكاً على العرب من قبله يجبون له من ساحتهم إلى أن وليَ منهم زيادة بن هُبُولَةَ بن عمرو بن عوف بن ضجعم . وخرجت غسان من اليمن فغلبوهم على أمرهم وصار ملك العرب بالشام لبني جفنة وانقرض ملك الضجاعم حسبما نذكر .

وقال ابن سعيد : سار زيادة بن هُبُولَةَ بمن أبقى السيف منهم بعد غسان إلى الحجاز فقتله حَجْرُ آكل العِرار الكِنْدِيُّ ، كان على الحجاز من قبل التبابعة ، وأفنى بقيتهم فلم ينج منهم إلا القليل ، قال : ومن الناس من يطلق تنوخ على الضجاعمة ودَّوَس الذين تنخوا بالبحرين أي أقاموا ، قال وكان لبني العبيد بن الأبرص بن عمر بن أشجع بن سليح مُلْكٌ يتوارثونه بالحَضَر آثاره باقية في بركة سنجار وكان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العُبَيْد المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابور ذي الجنود من الأكاسرة معروفة ، قال وكان لقُضاعة ملك آخر في كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كِنْدَةَ ، فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانية وجاء الإسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون ، ويقال إنه كِنْدِيُّ من ذرية الملوك الذين ولّاهم التبابعة على كلب ، فأُسره خالد بن الوليد وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فصالح على دُومَة ، وكان في أوّل من ملكها دَجَانَةُ بن قَنَافَةَ بن عديّ بن زهير بن جناب ، قال : وبقيت بنو كلب الآن في خلق عظيم على خليج القسطنطينية منهم مسلمون ومنهم متنصرون . اهـ الكلام في أنساب قُضاعة .

قال ابن حزم : وجميع قبائل العرب فهي راجعة إلى أب واحد حاش ثلاث قبائل : وهي تنوخ والعتي وغسان ، فأما تنوخ فقد ذكرناهم ، وأما العتي فهم من حَجْر حَمِير ومن حجر من ذي رعين ومن سعد العشيرة ومن كِنانة بن خزيمة ومنهم زيد بن الحرث العتي من حجر حمير وهو مولى عبد الرحمن بن القاسم وخالد بن جنادة المصري صاحب مالِك بن أنس ، وهو مولى زُبَيْد المذكور من أسفل ، وأما غسان فإنهم من بني أب لا يدخل بعضهم في هذا النسب ويدخل فيهم من غيرهم . وسما العُتقا لأنهم اجتمعوا ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر بهم فأعتقهم ، وكانوا جماعة من بطون شَتَّى . وسما تنوخ لأنّ التُّنُوحَ الإقامة فتحالفوا على الإقامة بموضعهم

بالشام وهم من بطون شتى . وأما غسان فإنهم أيضاً طوائف نزلوا بماء يقال له غسان
فنسبوا إليه اسمهم كلام ابن حزم .

الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم واتصال بعضها مع بعض وانقضائها

هؤلاء بنو كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان اخوة بني حمير بن سبا ،
وتداولوا معهم الملك أول أمرهم ، ثم انفرد بنو حمير به وبقيت بطون بني كهلان تحت
ملكيتهم باليمن . ثم لما تقلص ملك حمير بقيت الرياسة على العرب البادية لبني كهلان
لما كانوا بادين لم يأخذ ترف الحضارة منهم ولا أدركهم الهرم الذي أودى بحمير ، إنما
كانوا أحياء ناجعة في البادية والرؤساء والأمراء في العرب إنما كانوا منهم . وكان لكندة
من بطونهم ملك باليمن والحجاز ، ثم خرجت الأزدي من شعوبهم أيضاً من اليمن مع
مزيقيا وافترقوا بالشام ، وكان لهم ملك بالشام في بني جفنة ، وملك ييثرب في الأوس
والخزرج ، وملك بالعراق في بني فهم . ثم خرجت لخم وطيء من شعوبهم أيضاً
من اليمن ، وكان لهم ملك بالحيرة في آل المنذر حسباً نذكر ذلك كله .

وأما شعوبهم فهي كلها تسعة من زيد بن كهلان في مالك بن زيد وعريب بن زيد ،
فبن مالك بطون همدان وديارهم لم تزل باليمن في شرقيه ، وهم بنو أوسلة ، وهو
همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الجبار بن مالك بن زيد بن نوف بن
همدان . ومن شعوب حاشد بنويام بن أصغى بن مانع بن مالك بن جشم بن حاشد
ومنهم طلحة بن مصرف . ولما جاء الله بالإسلام افترق كثير من همدان في ممالكه ،
وبقي منهم من بقي باليمن ، وكانوا شيعة لعلي كرم الله وجهه ورضي عنه عندما شجر
بين الصحابة وهو المنشد فيهم متمثلاً :

فلو كنت بواباً على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ولم يزل التشيع دينهم أيام الإسلام كلها ، ومنهم كان علي بن محمد الصليحي من بني
يام القائم بدعوة العبيديين باليمن في حصن حرار من بني يام وهو من بطونهم وهو من
بني يام من بطون حاشد ، فاستولى عليه وورث ملكه لبيته حسباً نذكره في أخبارهم .
وكانت بعد ذلك وقبله دولة بني الرسي أيام الزيدية بصعدة فكانت على يدهم

وَبِمُظَاهَرَتِهِمْ ، وَلَمْ يَزَلِ التَّشْيَعُ دِينَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ .

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَتَفَرَّقُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ تَبْقَ لَهُمْ قَبِيلَةٌ وَبَرِيَّةٌ إِلَّا بِالْيَمَنِ وَهُمْ أَكْثَرُ قَبَائِلِهِ وَهُمْ عَصَبَةُ الْمَعْطِيِّ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ الْقَائِمِينَ بِدَعْوَتِهِ بِالْيَمَنِ ، وَمَلَكَوا جَمَلَةً مِنْ حَصُونِ الْيَمَنِ بِالْيَمَنِ ، وَلَهُمْ بِهَا إِقْلِيمٌ بِكَيْلٍ وَإِقْلِيمٌ حَاشِدٌ مِنْ بَطُونِهِمْ .

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَمِنْ هَمْدَانَ بَنُو الزَّرِيعِ وَهُمْ أَصْحَابُ الدَّعْوَةِ وَالْمَلِكِ فِي عَدَنَ وَالْحِيرَةِ وَهُمْ زَيْدِيَّةٌ وَإِخْوَةُ هَمْدَانَ الْهَانِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَوْسَلَةَ وَمِنْ مَالِكِ بْنِ زَيْدٍ أَيْضاً الْأَزْدُ وَهُوَ أَزْدُ بْنُ الْغُوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكٍ وَخَثْعَمٌ وَبِحِيلَةٍ إِنَّا أَنْتَارِ بْنِ أَرَاشٍ أَخِي الْأَزْدِ بْنِ الْغُوْثِ . وَقَدْ يُقَالُ أَنْتَارُ هُوَ ابْنُ نَزَارِ بْنِ مَعَدٍّ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، فَأَمَّا الْأَزْدُ فَبَطْنٌ عَظِيمٌ مُتَّسِعٌ وَشُعُوبٌ كَثِيرَةٌ ، فَمِنْهُمْ بَنُو دَوْسَ مِنْ بَنِي نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ وَهُوَ دَوْسُ بْنُ عَدْنَانَ بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَهْرَانَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ بَطْنٌ كَبِيرٌ ، وَمِنْهُمْ كَانَ جُذَيْمَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ فَهْمِ بْنِ غَنَمِ بْنِ دَوْسَ وَدِيَارِهِمْ بَنُو حِي عَمَانَ ، وَكَانَ بَعْدَ دَوْسَ وَجُذَيْمَةُ مُلْكُ بَعْثَمَانَ فِي إِخْوَانِهِمْ بَنِي نَصْرِ بْنِ زَهْرَانَ بْنِ كَعْبِ ، كَانَ مِنْهُمْ قَبِيلُ الْإِسْلَامِ الْمُسْتَكْبِرِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ الْجَرَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغُولَةَ بْنِ شَمْسِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ غَنَمِ بْنِ غَالِبِ بْنِ عُمَانَ بْنِ نَصْرِ بْنِ زَهْرَانَ ، وَالَّذِي أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ مِنْهُمْ جَيْفَرُ بْنُ الْجَلَنْدِيِّ بْنِ كَرْكَرَ بْنِ الْمُسْتَكْبِرِ وَأَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ مَلِكُ عَمَانَ ، كَتَبَ إِلَيْهِمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى نَوَاحِيهِمَا عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ .

وَمِنْ الْأَزْدِ ثُمَّ مِنْ بَنِي مَازَنِ بْنِ الْأَزْدِ بَنُو عَمْرٍو مَزْيَقِيَا بْنُ عَامِرٍ وَيَلْقَبُ مَاءَ السَّمَاءِ ابْنُ حَارِثَةَ الْغَطْرِيفُ ابْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْبَهْلُولُ ابْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازَنِ بْنِ الْأَزْدِ ، وَعَمْرٍو هَذَا وَآبَاؤُهُ كَانُوا مَلُوكًا عَلَى بَادِيَةِ كَهْلَانَ بِالْيَمَنِ مَعَ حِمْيَرَ وَاسْتَفْحَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ مِنْ بَعْدِهِمْ . وَكَانَتْ أَرْضُ سَبَأَ بِالْيَمَنِ لَذَلِكَ الْعَهْدِ مِنْ أَرْفَةِ الْبِلَادِ وَأَخْصَبِهَا وَكَانَتْ مَدَافِعَ لِلسِّيُولِ الْمُنْحَدِرَةِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ هُنَاكَ فَضْرَبَ بَيْنَهُمَا سَدًّا بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ يَحْبَسُ سِيُولَ الْعَيُونِ وَالْأَمْطَارِ حَتَّى يَصْرِفُوهُ مِنْ خُرُوقِ فِي ذَلِكَ السَّدِّ عَلَى مَقْدَارِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ ، وَمَكَثَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَيَّامَ حَمِيرَ ، فَلَمَّا تَقَلَّصَ مَلِكُهُمْ وَانْحَلَّ نِظَامُ دَوْلَتِهِمْ وَتَغَلَّبَ بَادِيَةُ كَهْلَانَ عَلَى أَرْضِ سَبَأَ وَانْطَلَقَتْ عَلَيْهَا الْأَيْدِي بِالْعَبْثِ وَالْفُسَادِ وَذَهَبَ الْحَفَظَةُ الْقَائِمُونَ بِأَمْرِ السَّدِّ نَذَرُوا بِخَرَابِهِ ، وَكَانَ الَّذِي نَذَرَهُ عَمْرٍو مَزْيَقِيَا مَلِكُهُمْ لَمَّا رَأَى مِنْ اخْتِلَالِ أَحْوَالِهِ . وَيُقَالُ : إِنَّ أَخَاهُ عَمْرَانَ الْكَاهِنَ أَخْبَرَهُ ، وَيُقَالُ طَرِيفَةٌ

الكاهنة . وقال السهيلي : طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامروهي طريفة بنت الخير الحميرية لعهدده .

وقال ابن هشام : عن أبي زيد الأنصاري أنه رأى جرذاً تحفر السدّ فعلم أنه لا بقاء للسدّ مع ذلك فأجمع النقلة من اليمن وكاد قومه بأن أمر أصغر بنيه أن يلطمه إذا أغلظ له ففعل فقال لا أقيم في بلد يلطمني فيها أصغر ولدي وعرض أمواله فقال الأزدي أشرف اليمن اغتناموا غنصبة عمرو فاشتروا أمواله وانتقل في ولده وولد ولده فقال الأزدي لا تتخلف عن عمرو فتجشموا للرحلة وباعوا أموالهم وخرجوا معه وكان رؤساءهم في رحلتهم بنو عمرو مزيقيا ومن إليهم من بني مازن ففصل الأزدي من بلادهم باليمن إلى الحجاز .

قال السهيلي : كان فصولهم على عهد حسان بن تيمان أسعد من ملوك التبابعة ولعهدده كان خراب السدّ . ولما فصل الأزدي من اليمن كان أول نزولهم ببلاد عكّ ما بين زيد وزمعة ، وقتلوا ملك عكّ من الأزدي ثم افترقوا إلى البلاد ، ونزل بنو نصر بن الأزدي بالشراة وعُمان ، ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب ، وأقام بنو حارثة بن عمرو بمر الظهران بمكة وهم فيما يقال خزاعة ، ومروا على ماء يقال له غسان بين زيد وزمعة فكل من شبه منه من بني مزيقيا سُمّي به ، والذين شربوا منه بنو مالك وبنو الحرث وبنو جفنة وبنو كعب فكلهم يسمون غسان ، وبنو ثعلبة العتقاء لم يشربوا منه فلم يسموا به ، فمن ولد جفنة ملوك الشام الذين يأتي ذكرهم ودولتهم بالشام . ومن ولد ثعلبة العتقاء الأوس والخزرج ملوك يثرب في الجاهلية وسند كرههم ، ومن بطن عمرو مزيقيا بنو أفصى بن حارثة بن عمرو ويقال إنه أفصى بن عامر بن قمعة بلا شك ابن إلياس بن مضر . قال ابن حزم : فإن كان أسلم بن أفصى منهم فمن بني أسلم بلا شك وبنو أبان وهو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو ، وبنو العتيك من الأزدي عُمران بن عمرو .

وأما بُجيلة فبلادهم في سُرّوات البحرين والحجاز إلى تَبَاَلَة وقد افترقوا على الآفاق أيام الفتح فلم يبق منهم بمواطنهم إلا القليل ، ويقدم الحاج منهم على مكة في كل عام عليهم أثر الشُظف ويعرفون من أهل الموسم بالسُرّو^(١) ، وأما حاهم لأول الفتح الإسلامي فمعروف ورجالهم مذكورة ، فمن بطون بجيلة قَسْر وهو مالك بن عبقر بن

(١) السرو من : سرا بسرو وسرواً ، كان سرياً أي صاحب مروءة وسخاء (القاموس) .

أَنَارَ وَبَنُو أَحْمَسُ بْنُ الْغُوثِ بْنِ أَمَارٍ .

وَأَمَّا بَنُو عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كِهْلَانَ فَهُمْ طِيٌّ وَالْأَشْعَرِيُّونَ وَمَذْحَجٌ وَبَنُو مَرَّةَ وَأَرِيعَتُهُمْ
بَنُو أَدَدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ يَشْجَبِ بْنِ عَرِيبٍ ، فَأَمَّا الْأَشْعَرِيُّونَ فَهُمْ بَنُو أَشْعَرَ وَهُوَ نَبَتْ بِنْتُ
أَدَدَ وَبِلَادُهُمْ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ مِنْ زَيْدٍ وَكَانَ لَهُمْ ظُهُورٌ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ افْتَرَقُوا فِي
الْفَتْوحَاتِ وَكَانَ لِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ حُرُوبٌ مَعَ ابْنِ زَيْدٍ لِأَوَّلِ إِمَارَتِهِ عَلَيْهَا أَيَّامَ الْمَأْمُونِ
ثُمَّ ضَعُفُوا عَنْ ذَلِكَ وَصَارُوا فِي عَدَدِ الرِّعَايَا .

وَأَمَّا بَنُو طِيٍّ بِنِ أَدَدَ فَكَانُوا بِالْيَمَنِ وَخَرَجُوا مِنْهُ عَلَى أَثَرِ الْأَزْدِ إِلَى الْحِجَازِ وَنَزَلُوا سُمَيْرًا
وَفَيْدَ فِي جَوَارِ بَنِي أَسَدَ ، ثُمَّ غَلَبَهُمْ عَلَى أَجَا وَسَلَّمَى ^(١) وَهُمَا جَبَلَانِ مِنْ بِلَادِهِمْ
فَاسْتَقَرَّوْا بَيْنَهُمَا وَافْتَرَقُوا لِأَوَّلِ الْإِسْلَامِ فِي الْفَتْوحَاتِ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَمِنْهُمْ فِي
بِلَادِهِمْ الْآنَ أُمٌّ كَثِيرَةٌ مَلَأُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ حِجَازًا وَشَامًا وَعِرَاقًا يَعْنِي قِبَالَ طِيٍّ
هَؤُلَاءِ وَهُمْ أَصْحَابُ الدَّوْلَةِ فِي الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ مِنْهُمْ
سَنْبَسُ وَالثَّعَالِبُ بِطَنَانُ مَشْهُورَانِ ، فَسَنْبَسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ شَيْلٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْغُوثِ
بِنِ طِيٍّ وَمَعَهُمْ بَحْثَرُ بْنُ ثَعْلٍ ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَمِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ مَعْنٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ
عَسٍّ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ ثَعْلٍ وَهُمْ فِي بَرِّيَّةِ سَنْجَارَ ، وَالثَّعَالِبُ بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ رُومَانَ بْنِ
جُنْدُبَ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قِطْرَةَ بْنِ طِيٍّ ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ جَدْعَا بْنِ ذَهْلَ بْنِ
رُومَانَ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَمِنْهُمْ بَنُو لَامَ بْنِ ثَعْلَبَةَ مَنَازِلُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْجَبَلَيْنِ
وَيَنْتَزِلُونَ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِمْ مَدِينَةَ يَثْرِبَ ، وَالثَّعَالِبُ الَّذِينَ بِصَعِيدِ مِصْرَ مِنْ ثَعْلَبِ بْنِ
عَمْرِو بْنِ الْغُوثِ بْنِ طِيٍّ . قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : لَأُمُّ بْنُ طَرِيفَ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثُمَامَةَ بْنِ
مَالِكِ بْنِ جَدْعَا وَمِنْ الثَّعَالِبِ بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ ذَهْلَ بْنِ رُومَانَ ، وَبِحِجَّةِ بَنِيَامِينَ وَالشَّامِ بَنُو
صَخْرَ وَمِنْ بَطْنِهِمْ غَزِيَّةُ الْمَرْهُوبِ صَوْلَتُهُمْ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ . وَهُمْ بَنُو غَزِيَّةَ بْنِ أَفْلَتَ
بِنِ مَعْبَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَسٍّ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ ثَعْلٍ وَبَنُو غَزِيَّةَ كَثِيرُونَ وَهُمْ فِي طَرِيقِ
الْحَاجِّ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْدَ ، وَكَانَتْ الرِّيَاسَةُ عَلَى طِيٍّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِبَنِي هَنْيَ بْنِ عَمْرِو بْنِ
الْغُوثِ بْنِ طِيٍّ وَهُمْ رَمْلِيُّونَ وَإِخْوَتُهُمْ جَبَلِيُّونَ ، وَمِنْ وَلَدِهِ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الَّذِي
أَدَالَ بِهِ كِسْرَى أَبُو رِيزِ النُّعْمَانِ الْمُتَذَكِّرُ حِينَ قَتَلَهُ وَأَنْزَلَ طِيًّا بِالْحَيْرَةِ مَكَانَ لَحْمِ قَوْمِ
النُّعْمَانِ وَوَلَّى عَلَى الْعَرَبِ مِنْ إِيَّاسًا هَذَا ، وَهُوَ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ بْنِ أَبِي يَعْفَرَ بْنِ النُّعْمَانِ
بِنِ خَبِيبِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ الْحَوَيْرِثِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَنْيَ ، فَكَانَتْ

(١) (فِي فَجْرِ الْإِسْلَامِ ص ٨) أَجَا وَسَلَّمَى وَهُمَا الْمَعْرُوفَانِ الْآنَ بِجَبَلِ شَمْرِ ، وَقَدْ سَكَنَتْهَا طِيٌّ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

لهم الرياسة إلى حين انقراض ملك الفرس . ومن عقب إياس هذا بنوربيعة بن علي بن مُفرح بن بَدْر بن سالم بن قِصَّة بن بدر بن سميع ، ومن ربيعة شعب آل مُراد وشعب آل فضل ، وآل فضل شُعبان آل علي وآل مُهنا فعلي ومُهنّا ابنا فضل ، وفضل ومراد ابنا ربيعة وسميع الذين ينسبون إليه من عَقْب قبيصة بن أبي يعفر ، ويزعم كثير من جهلة البادية إنه الذي جاءت به العباسة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى زعماء كاذباً لا أصل له . وكانت الرياسة على طيء أيام العبيديين لبني المُفَرَّح ، ثم صارت لبني مراد بن ربيعة وكلهم ورثوا أرض غسان بالشام وملكهم على العرب ، ثم صارت الرياسة لبني علي وبني مهنا ابني فضل بن ربيعة اقتسموها مدة ، ثم انفرد بها لهذا العهد بنو مهنا الملوك على العرب إلى هذا العهد بمشارف الشام والعراق وبرية نجد ، وكان ظهورهم لأمر الدولة الأيوبية ومن بعدهم من ملوك الترك بمصر والشام ويأتي ذكرهم ، والله وارث الأرض ومن عليها .

وأما مذحج وإسمه مالك بن زيد بن أدَد بن زيد بن كهلان ، ومنهم مُراد وإسمه يَخْأَبِر بن مذحج ، ومنهم سعد العشيرة بن مذحج بطن عظيم لهم شعوب كثيرة ، منهم جعفر بن سعد العشيرة وزُيَيْد بن صعب بن سعد العشيرة . ومن بطون مذحج النَخْعُ ورّها ومسيلة وبنو الحرث بن كعب ، فأما النخع فهو جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ومسيلة ابن عامر بن عمرو بن علة ، وأما رّها فهو ابن مَنبّه بن حرب بن علة . وبني من مذحج وبرية ينجعون مع أحياء طيء في جملة أيام بني مهنا مع العرب بالشام زمن أحلافهم وأكثرهم من زبيد . وأما بنو الحرث فالحرث أبوهم ابن كعب بن علة وديارهم بنواحي نَجْران يحاورون بها بني ذُهَل بن مزيقيا من الأزد وبني حارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد وكان نَجْران قبلهم لجُرْهُم ، ومنهم كان ملكها الأفعى الكاهن الذي حكم بين ولد نزار بن معد لما تنافروا إليه بعد موت نزار وإسمه الغلَسُ بن غمر ماء بن هَمْدان بن مالك بن مُستاب بن زيد بن وائل بن حمير وكان داعيةً لسليمان عليه السلام بعد أن كان والياً لبليقيس على نَجْران ، وبعثته إلى سليمان فصدّق وآمن وأقام على دينه بعد موته . ثم نزل نَجْران بنو الحرث بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج فغلبوا عليها بني الأفعى . ثم خرجت الأزد من اليمن ففروا بهم وكانت بينهم حروب ، وأقام من أقام في جوارهم من بني نصر بن الأزد وبني ذهل بن مزيقيا واقتسموا الرياسة فنجران معهم . وكان من بني الحرث

كعب هؤلاء المذحجين بنو الزيات وإسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحرث وهم بيت مذحج وملوك نجران وكانت رياستهم في عبد المدان بن الدبان ، وانتهت قبيل البعثة إلى يزيد بن عبد المدان ، ووفد أخوه عبد الحجر بن عبد المدان على النبي صلى الله عليه وسلم على يد خالد بن الوليد وكان ابن أخيه زياد بن عبد الله بن عبد المدان خال السفاح ، وولاه نجران واليمامة .

وقال ابن سعيد : ولم يزل الملك بنجران في بني عبد المدان ، ثم في بني أبي الجواد منهم ، وكان منهم في المائة السادسة عبد القيس بن أبي الجواد ، ثم صار الأمر إذا العهد إلى الأعاجم شأن النواحي كلها بالمشرق ، ثم من بطون الحرث بن كعب بنو معقل وهو ربيعة بن الحرث بن كعب ، وقد يقال إن المعقل الذين هم بالمغرب الأقصى لهذا العهد إنما هم من هذا البطن وليسوا من معقل بن كعب القضاعيين ويؤيد هذا أن هؤلاء المعقل جميعاً يتنسبون إلى ربيعة ، وربيعه إسم معقل هذا كما رأيت والله تعالى أعلم .

وأما بنو مرة بن أدد إخوة طيء ومذحج والأشعريين فهم أبطن كثيرة وتنتهي كلها إلى الحرث بن مرة ، مثل خولان ومعاقر ولخم وجذام وعاملة وكندة . فأما معاقر فهم بنو يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة وافترقوا في الفتوحات وكان منهم المنصور بن أبي عامر صاحب هشام بالأندلس . وأما خولان وإسمه أفكل بن عمرو بن مالك وعمرو أخو يعفر وبلادهم في جبال اليمن من شرقه ، وافترقوا في الفتوحات وليس منهم اليوم وبرية إلا باليمن وهم لهذا العهد ، وهمدان أعظم قبائل العرب باليمن ولهم الغلب على أهلهم والكثير من حصونه . وأما لخم وإسمه مالك بن عدي بن الحرث بن مرة فبطن كبير متسع ذو شعوب وقبائل منهم الدار بن هانيء بن حبيب بن نمارة بن لخم ، ومن أكبرهم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عُم بن أنمارة بن لخم ، ويقال نمارة وهم رهط آل المنذر وحافده عمرو بن عدي بن نصر هو ابن أخت جذيمة الوضاح الذي أخذ بثأره من الزبا قاتلته . وولي الملك على العرب للأكاسرة بعد خاله جذيمة وأنزلوه بالحيرة حسباً يأتي الخبر عن ملكه ومملك بنيه ومن شعوب بني لخم هؤلاء كان بنو عبادة ملوك أشبيلية ويأتي ذكرهم . وأما جذام وإسمه عمرو بن عدي أخو لخم بن عدي فبطن متسع له شعوب كثيرة مثل غطفان وأمصى وبنو حرام بن جذام وبنو ضبيب وبنو مخزومة وبنو بعجة وبنو نفاعة وديارهم حوالي أيلة

من أول أعمال الحجاز إلى اليُسُج بن أطراف يثرب ، وكانت لهم رياسة في معان وما حولها من أرض الشام لبني النافرة من نفائة ثم لِقُروة بن عمرو بن النافرة منهم ، وكان عاملاً للروم على قومه وعلى من كان حوالي معان من العرب ، وهو الذي بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء . وسمع بذلك قيصر فأغرى به الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان فأخذه وصلبه بفلسطين ، وبقيتهم اليوم في مواطنهم الأولى في شعبين من شعوبهم يعرف أحدهما بنو عائذ وهم ما بين بَلَيْس من أعمال مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك من ناحية فلسطين ، وتعرف الثانية بنو عَقْبَة وهم من الكرك إلى الأزلَم من بركة الحجاز . وضمان السابلة ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غَزَة من الشام عليهم ، وغَزَة من مواطن جُزَم إحدى بطون قُضاعة كما مر ، وبأفريقية لهذا العهد منهم وَبَرِيَة كبيرة يتتبعون مع ذياب بن سليم بنواحي طرابلس .

وأما عاملة وإسمه الحرث بن عدي وهم إخوة لَحْم وجُدَام وإِنَّا سَمِي الحرث عاملة بأمة القُضاعية وهم بطن مُتَسَع ومواطنهم بيرة الشام . وأما كِنْدَة وإسمه ثور بن عَفِير بن عدي وعَفِير أخو لَحْم وجُدَام ، وتعرف كندة الملوك لأنَّ الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان كما نذكر ، وبلادهم بيجال اليمن مما يلي حضرموت ومنها دَمُون التي ذكرها امرؤ القيس في شعره ، وبطونهم العظيمة ثلاثة : معاوية بن كندة ومنه الملوك بنو الحرث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مَرْتَع بن معاوية والسكون وسَكْسَك وإبنيها أَشْرَشُ بن كِنْدَة ، ومن السكون بطن تَجِيب وهم بنو عدي وبنو سعد بن أَشْرَش بن شبيب بن السكون وتَجِيب إسم أمها . وكان للسكون ملك بِدَوْمَة الجَنْدَل وكان عليها عبد المغيث بن أَكْيَدِر بن عبد الملك بن عبد الحق بن أَعْمَى بن معاوية ابن حلاوة بن أَمَامَة بن شِكَاَمَة بن شبيب بن السكون بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك خالد بن الوليد فجاء به أسيراً ، وحقق صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وردّه إلى موضعه . ومن معاوية بن كندة بنو حَجَر ابن الحرث الأصغر ابن معاوية بن كِنْدَة منهم حَجَرٌ أَكَلُ المِرَار ابن عمرو بن معاوية وهو حَجَر أبو الملوك ابن كِنْدَة الذين يأتي ذكرهم ، والحرث الولادة أخو حَجَر وكان من عقبه الخارجين باليمن المسلمين طالب الحق وكان أباضياً وسيّاقى ذكره ، ومنهم الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية وجبلة بن عَدِي بن ربيعة بن معاوية

بن الحرث الأكبر جاهليّ إسلامي ، وابنه محمد بن الأشعث وابنه عبد الرحمن بن الأشعث القائم على عبد الملك والحجاج وهو مشهور ، وابن عمهم أيضاً ابن عديّ وهو الأذمر بن عديّ بن جبلة له صحبة فيما يقال ، وهو الذي قتله معاوية على الثورة بأخيه زياد وخبره معروف .

هذه قبائل اليمن من قحطان استوفينا ذكر بطونهم وأنسابهم ونرجع الآن إلى ذكر من كان الملك منهم بالشام والحجاز والعراق حسماً نقصه ، والله تعالى المعين بكرمه ومنه لا ربّ غيره ولا خير إلّا خيره .

الخبر عن ملوك الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة وكيف
انساق الملك اليهم ممن قبلهم وكيف صار إلى طيء من
بعدهم

أمّا أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول وهم العرب العاربة فلم يصل إلينا تفاصيلها وشرح حالها ، إلا أنّ قوم عاد والعماليق ملكو العراق ، والمسد في بعض الأقوال أنّ الضحّاك بن سنان منهم كما مرّ . وأمّا في الجيل الثاني وهم العرب المستعربة فلم يكن لهم به مستبدّ وإنما كان ملكهم به بدوياً ورياستهم في أهل الطواغيت . وكان ملك العرب كما مرّ في التبابعة من أهل اليمن ، وكانت بينهم وبين فارس حروب وريّاً غلبوهم على العراق وملكوه أو بعضه كما مرّ ، لكن اليمن لم يغلبوا ثانياً على ما ملكو منه ، وقد مرّ إيقاع بختنصر وإثخنانه فيهم ما تقدّم . وكان في سواد العراق وأطراف الشام والجزيرة الأرمنيون من بني إرم بن سام ، ومن كان من بقية عساكر ابن تبع من جعفر طيء وكلب وتميم وغيرهم من جرهم ، ومن نزل معهم بعد ذلك من تنوخ ونمارة بن لخم وقص بن معد ومن إليهم كما قدّمنا ذكر ذلك . وكان ما بين الحيرة والفرات إلى ناحية الأنبار موطن لهم وكانوا يسمّون عرب الضاحية ، وكان أول من ملك منهم في زمن الطوائف مالك بن فهم بن تميم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن قضاعة ، وكان منزله مما يلي الأنبار . وملك من بعده أخوه عمرو بن فهم . ثم ملك من بعدهما جذيمة الأبرش اثنتي عشرة سنة ، وقد تقدّم أنه صهرها وأنّ مالك بن زهير بن عمرو بن فهم زوجه أخته وصاروا حلفاء مع الأزديّ من قوم جذيمة

ونسب جذيمة في الأزد إلى بني زهران ، ثم إلى دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران ، وهو جذيمة بن ملك بن فهم بن غنم بن دوس هكذا قال ابن الكلبي . ويقال : إنه من وبار بن أميم بن لاوذ بن سام ، وكان بنو زهران من الأزد خرجوا قبل خروج مزيقيا من اليمن ونزلوا بالعراق وقيل ساروا من اليمن مع أولاد جفنة بن مزيقيا ، فلما تفرق الأزد على المواطن نزل بنو زهران هؤلاء بالشراة وعُمان وصار لهم مع الطوائف ملك ، وكان مالك بن فهم هذا من ملوكهم . وكان بشاطيء الفرات من الجانب الشرقي عمرو بن الظرب بن حسان بن أدينة من ولد السُميدع بن هوثر من بقايا العمالقة ، فكان عمرو بن الظرب على مشارف الشام والجزيرة ، وكان منزله بالمضيق بين الخابور وقرقيسا فكانت بينه وبين مالك بن فهم حروب هلك عمرو في بعضها ، وقامت بملكه من بعده إبنته الزباء بنت عمرو وإسمها نائلة عند الطبري وميسون عند ابن دريد .

قال السهيلي : ويقال إنا الزباء الملكة كانت من ذرية السُميدع بن هوثر من بني قطورا أهل مكة ، وهو السُميدع بن مُرثد بالثاء المثلثة ابن لاي بن قطور بن كركي بن عملاق ، وهي بنت عمرو بن أدينة بن الظرب بن حسان . وبين حسان هذا والسُميدع آباء كثيرة ليست بصحيحة لبعد زمن الزباء من زمن السُميدع انتهى كلام السهيلي .

ولم تزل الحرب بين مالك بن فهم وبين الزباء بنت عمرو إلى أن ألجأها إلى أطراف مملكها ، وكان يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم . قال أبو عبيدة : وهو أول ملك كان بالعراق من العرب وأول من نصب الجانيق وأوقد الشموع وملك ستين سنة . ولما هلك قام بأمره من بعده جذيمة الوضاح ويقال له الأبرش ، وكان يكنى بأبي مالك وهو منادم الفرقدنين . قال أبو عبيدة : كان جذيمة بعد عيسى بثلاثين سنة فملك أزمان الطوائف خمسا وسبعين سنة وأيام أردشير كلها خمسة عشر سنة وثمانين سنة من أيام سابور ، وكان بينه وبين الزباء سلم وحرب ، ولم تزل تحاول الثأر منه بأبيها حتى تحيلت عليه وأطمعته في نفسها فخطبها وأجابته ، وأجمع المسير إليها وأبى عليه وزيره قصير بن سعد ، فعصاه ودخل إليها ولقيته بالجنود وأحس بالشر ، فنجا قصير ودخل جذيمة إلى قصرها فقطعت رواهش^(١) وأجرت دمه إلى أن

(١) الرواهش : العروق الكبيرة في باطن الذراعين .

هلك في حكاية منقولة في كتب الأخباريين .

قال الطبري : وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدّهم حزمًا وأوّل من استجمع له الملك بأرض العراق وسرى بالحيوش ، وكان به برص فكنوا عنه بالوضّاح إجلالا له ، وكانت منازل بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحيها وعين التمر^(١) وأطراف البر إلى العمق والقطقطانية وجفنة ، وكانت تجبى إليه الأموال وتقد إليه الوفود ، وغزا في بعض الأيام طسما وجديساً في منازلهم باليمامة ، ووجد حسان بن تبع قد أغار عليهم فانفكاً هو راجعاً بمن معه ، وأتت خيول حسان على سرايا فأجاحوها . وكان أكثر غزو جذيمة للعرب العاربة ، وكان قد تكهن وادعى النبوة ، وكانت منازل إياد بعين أباغ سميت باسم رجل من العماقة نزل بها وكان جذيمة كثيراً ما يغزوهم حتى طلبوا مسالته ، وكان بينهم غلام من لحم من بني أختهم وكانوا أخوالاً له وهو عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عمرو بن ثمارة بن لحم ، وكان له جمال وضرب وطلبه منهم جذيمة فامتنعوا من تسليمه إليه ، فألح عليهم بالغزو وبعثت إياد من سرق لهم صنمين كانا عند جذيمة يدعوبها ويستسقى بهما وعرفوه أن الصنمين عندهم وأنهم يردّونها بشرطة رفع الغزو عنهم ، فأجابه إلى ذلك بشرطة أن يبعثوا مع الصنمين عدي بن نصر فكان ذلك . ولما جاءه عدي بن نصر استخلصه لنفسه وولاه شرا به ، وهويته رقاش أخته فراسلته فدافعها بالخشية من جذيمة ، فقالت له اخطبني منه إذا أخذت الخمر منه وأشهد عليه القوم ففعل ، وأعرس بها من ليلته ، وأصبح مضرجاً بالخلوق . وراب جذيمة شأنه ثم أعلم بما كان منه فعرض على يديه أسفاً ، وهرب عدي فلم يظهر له أثر ، ثم سألها في أبيات شعر معروفة فأخبرته بما كان منه فعرف عذرها وكفت ، وأقام عدي في أخواله إياد إلى أن هلك ، وولدت رقاش منه غلاماً وسمته عمراً وربى عند خاله جذيمة وكان يستظرفه ثم استهوته الجن فغاب وضرب له جذيمة في الآفاق إلى أن رده عليه وإفدّان من العتقا ، ثم من قضاة وهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك بن العنّس أهديا له طرّفاً ومتاعاً ، ولقيا عمرا بطريقها وقد ساءت حاله وسألاه فأخبرهما باسمه ونسبه فأصلحا من شأنه وجاء به إلى جذيمة بالحيرة فسّر به وسرت أمه . وحكم الرجلين فطلبوا منادته فأسعفها وكانا ينادمانه حتى ضرب المثل بهما وقيل ندماني

(١) تقع في الجنوب الغربي من كربلاء .

جذيمة ، والقصة مبسطة في كتب الاخباريين بأكثر من هذا .

قال الطبري : وكان ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشام عمرو بن ظرب بن حسان بن أدبنة بن السُميدع بن هوثر العِملاقي ، فكانت بينه وبين جذيمة حرب قتل فيها عمرو بن الظرب وفضت جموعه . وملكته بعده ابنته الزباء واسمها نائلة وجنودها بقايا العالقة من عاد الأولى ومن نَهْد وسُلَيْح إبني حُلوان ومن كان معهم من قبائل قُضاعة ، وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت هنالك قصراً وتُرْبِعُ عند بطن الجحاز وتُصَيِّفُ بتدمر . ولما استحکم لها الملك أجمعت أخذ الثأر من جذيمة بأبيها فبعثت إليه توهمه الخطبة وأنها امرأة لا يليق بها الملك فيجمع ملكها إلى ملكه ، فطمع في ذلك ووافقه قومه ، وأبى عليه منهم قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن أربى بن نمارة بن لخم وكان حازماً ناصحاً ، وحذره عاقبة ذلك ، فعصاه واستشار ابن اخته عمرو بن عدي فوافقه فاستخلفه على قومه ، وجعل على خيوله عمرو بن عبد الجن ، وسار هو على غربي الفرات إلى أن نزل رجة مالك بن طوق وأتته الرسل منها بالألطف والهدايا ، ثم استقبلته الخيول فقال له قصير : إن أحاطت بك الخيول فهو الغدر فاركب فرسك العصا وكانت لا تجارى . فأحاطت به الخيول ودخل جذيمة على الزباء فقطعت رواهش فسال دمه حتى نرف ومات ، وقدم قصير على عمرو بن عدي وقد اختلف عليه قومه ومال جماعة منهم إلى عمرو بن عبد الجن فأصلح أمرهم حتى انقادوا جميعاً لعمرو بن عدي ، وأشار عليه بطلب الثأر من الزباء بخاله جذيمة . وكانت الكاهنة قد عرفت ما بملكها وأعطاها علامات عمرو فحذرت وبعثت رجلاً مصوراً يصور لها عمراً في جميع حالاته ، فسار إليه متنكراً واختلط بحشمه وجاء إليها بصورته فاستتبته وتيقنت أن مهلكها منه ، واتخذت نفقاً في الأرض من مجلسها إلى حصن داخل مدينتها . وعمد عمرو إلى قصير فجذع أنفه بمواطاة منه على ذلك فلحق بالزباء يشكو ما أصابه من عمرو وأنه اتهمه بمداخلة الزباء في أمر خاله جذيمة ، وما رأيت بعد ما فعل بي أنكى له من أن أكون معك . فأكرمه وقربته حتى إذا رضي منها من الوثوق به أشار عليها بالتجارة في طرف العراق وأمنعته فأعطته مالاً وعيراً ، وذهب إلى العراق ولقي عمرو بن عدي بالحيرة فجهزه بالطرف والأمتعة كما يرضيها ، وأتاها بذلك فازدادت به وثوقاً وجهزته بأكثر من الأولى ، ثم عاد الثالثة وحمل بُغاة الجند من أصحاب عمرو في الغرائر على الجمال

وعمرو فيهم ، وتقدّم فبشرها بلاليعر وبكثرة ما حمل إليها من الطرف ، فخرجت تنظر فأنكرت ما رآته في الجمال من التكاثر^(١) ، ثم دخلت العير المدينة فلما توسطت أنيخت وخرج الرجال ، وبادر عمرو إلى النفق فوقف عنده ، ووضع الرجال سيوفهم في أهل البلد . وبادرت الزبّاء إلى النفق فوجدت عمراً قائماً عنده فلاحمها بالسيف وماتت ، وأصاب ما أصاب من المدينة وانكفأ راجعاً .

قال الطبري : وعمرو بن عديّ أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول من تجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، وإليه ينسبون وهم ملوك آل نصر . ولم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة مستبدّاً منفرداً يغزوهم ويغنم ، وتفد عليه الوفود ولا يدين للملوك الطوائف ولا يدينون له حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس .

قال الطبري : وإنما ذكرنا في هذا الموضع أمر جذيمة وابن أخته عمرو بن عدي لما قدّمناه عند ذكر ملوك اليمن ، وأنهم لم يكن لهم ملك مستفحل وإنما كانوا طوائف على المخاليف يغير كل واحد على صاحبه إذا استغفله ، ويرجع خوف الطلب حتى كان عمرو بن عديّ فاتصل له ولعقبه الملك على من كان بنواحي العراق وبادية الحجاز بالعرب ، فاستعبله ملوك فارس على ذلك إلى آخر أمرهم . وكان أمر آل نصر هؤلاء ومن كان من ولاية الفرس وعماهم على العرب معروفاً مثبتاً عندهم في كنائسهم وأشعارهم .

وقال هشام بن الكلبي : كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة . وأما ابن اسحق فذكر في آل نصر ومصيرهم إلى العراق أنّ ذلك كان بسبب الرؤيا التي رآها ربيعة بن نصر وعبرها الكاهنان شيق وسطيح ، وفيها أن الحبشة يغلبون على ملكهم باليمن ، قال : فجهّز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة ، ومن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر . وقد يقال إنّ المنذر من أعقاب ساطرون ملك الحضرمين تنوخ قضاعة ، رواه ابن اسحق من علماء الكوفة ورواه عن جبير بن مطعم قال : لما أتى عمر رضي الله عنه بسيف النعمان دعا بجبير بن مطعم ،

(١) الطرد والمدافعة (قاموس) .

وكان أنسب قريش لقريش والعرب ، تعلمه من أبي بكر رضي الله عنه فسلمه إياه ، ثم قال : ممن كان النعمان يا جبير ؟ قال : كان من أسلاف قنص بن معد . قال السهيلي : كان ولد قنص بن معد انتشروا بالحجاز فوَقعت بينهم وبين بني أبيهم حرب وتضايق بالبلاد وأجدبت الأرض ، فساروا نحو سواد العراق وذلك في أيام ملوك الطوائف قاتلهم الأردوانيون وبعض ملوك الطوائف وأجلوهم عن السواد وقتلوهم ، إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب ودخلوا فيهم فانتسبوا إليهم . قال الطبري : حين سأله عمر عن النعمان قال : كانت العرب تقول من أشلاء قنص بن معد وهم من ولد عَجَم بن قَنَص إلا أن الناس صحفوا عجم وجعلوا مكانه لحم . قال ابن اسحق : وأما سائر العرب فيقولون النعمان بن المنذر رجل من لحم ربي بين ولد ربيعة بن نصر أهـ .

ولما هلك عمرو بن عديّ وليّ بعده على العرب وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، ويقال له البدء ، وهو أول من تنصر من ملوك آل نصر وعمّال الفرس ، وعاش فيما ذكر هشام بن الكلبي مائة وأربعة عشر سنة ، منها أيام سابور ثلاثاً وعشرين سنة ، وأيام هُرْمَز بن سابور سنة واحدة ، وأيام بهرام بن هرمز ثلاث سنين ، وأيام بهرام بن بهرام ثمانى عشرة سنة ، ومن أيام سابور سبعون سنة . وهلك لعهد فوليّ مكانه ابنه عمرو بن امرئ القيس البدء ، فأقام في ملكه ثلاثين سنة بقية أيام سابور بن سابور ، ثم ولي مكانه أوس بن قلام العمليقي فيما قال هشام بن محمد ، وهو من بني عمرو بن عملاق ، فأقام في ولايته خمس سنين ثم سار به جحجبا بن عتيك بن لحم فقتله ووليّ مكانه . ثم هلك في عهد بهرام بن سابور ، وولى من بعده امرؤ القيس بن عمرو خمساً وعشرين سنة وهلك أيام يزدجرد الأثيم ، فوليّ مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس وأمه شقيقة بنت ربيعة بن ذهب بن شيبان وهو صاحب الخورنق ، ويقال إن سبب بنائه إياه أن يزدجرد الأثيم دفع إليه ابنه بهرام جور ليربيه وأمره ببناء هذا الخورنق مسكناً له وأُسكنه إياه ، ويقال : إن الصانع الذي بناه كان اسمه سِنَمَار وإنه لما فرغ من بنائه ألقاه من أعلاه فمات من أجل محاورة وقعت اختلف الناس في نقلها والله أعلم بصحتها ، وذهب ذلك مثلاً بين العرب في قبح الجزاء ووقع في أشعارهم منه كثير . وكان النعمان هذا من أفحل ملوك آل نصر وكانت له سنانان إحداها للعرب والأخرى للفرس ، وكان يغزو ما

العرب بالشام ويدّوَحها ، وأقام في ملكه ثلاثين سنة ثم زهد وترك الملك ولبس المسوح وذهب فلم يوجد له أثر .

قال الطبري : وأمّا العلماء بأخبار الفرس فيقولون إنّ الذي تولى تربية بهرام هو المنذر بن النُّعْمان بن امرئ القيس ، دفعه إليه يزدرج الأثيم لإشارة كانت عنده فيه من المنجمين ، فأحسن تربيته وتأديبه وجاءه بمن يلقنه الخلال من العلوم والآداب والفروسية والنقابة^(١) حتى اشتمل على ذلك كله بما رضىه ، ثم ردّه إلى أبيه فأقام عنده قليلاً ولم يرض بحاله ، ووفد على أبيه وافد قيصر وهو أخوه قياودس ، فقصد بهرام أن يسأل له من أبيه الرجوع إلى بلاد العرب فرجع ، ونزل على المنذر . ثم هلك يزدرج فاجتمع أهل فارس وولوا عليهم شخصاً من ولد أردشير وعدلوا عن بهرام لمرباه بين العرب وخلّوه عن آداب العجم ، وجهّز المنذر العساكر لبهرام لطلب ملكه ، وقدّم ابنه النُّعْمان فحاصر مدينة الملك ثم جاء على أثره بعساكر العرب وبهرام معه فأذعن له فارس وأطاعوه ، واستوهب المنذر ذنوبهم من بهرام فعفا عنهم واجتمع أمره . ورجع المنذر إلى بلاده وشغل باللهو وطمع فيه الملوك حوله ، وغزاه خاقان ملك الترك في خمسين ألفاً من العساكر ، وسار إليه بهرام فأنتهى إلى أذربيجان ثم إلى أرمينية . ثم ذهب يتصيد وخلف أخوه نرسي على العساكر فرماه أهل فارس بالجن وأنّه خار عن لقاء الترك ، فراسلوا خاقان في الصلح على ما يرضاه فرجع عنهم . وانتهى الخبر بذلك إلى بهرام فسار في اتباعه ونيته فانفض بعسكره وقتله بيده ، واستولى بهرام على ما في العساكر من الأثقال والذراير وظفر بتاج خاقان واكليه وسيفه بما كان فيه من الجواهر واليواقيت ، وأسر زوجته ، وغلب على ناحية من بلاده فولّى عليها بعض مرازبته وأذن له في الجلوس على سرير الفضة وأغزى ما وراء النهر فدانوا بالجزية ، وانصرف إلى أذربيجان فجعل سيف خاقان واكليه معلقاً ببيت النار وأخدمه خاتون امرأة خاقان ، ورفع الخراج عن الناس ثلاث سنين شكراً لله تعالى على النصر ، وتصدّق بعشرين ألف ألف درهم مكرّرة مرّتين ، وكتب بالخبر إلى النواحي وولّى أخاه نرسي على خراسان واستوزر له بهر نرسي بن بدارة بن قرخزاد ، ووصل الطبري نسبه من هنا بعد أربعة فكان رابعهم أشك بن دارا وأغزى بهرام أرض الروم في أربعين ألفاً فأنتهى إلى القسطنطينية ورجع .

(١) سلوك طرق الجبال (قاموس) .

قال هشام بن الكلبي : ثم جاء الحرث بن عمرو بن حِجْر الكِنْدِي في جيش إلى بلاد معدّ والحيرة وقد تُبِعَ بن حَسَّان بن تبع ، فسار إليه النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة وقتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وأنهزم أصحابه ، وأُفْلِت المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء امرأة من اليمن ، وتشتت ملك آل النعمان ، وملك الحرث بن عمرو ما كانوا يملكونه . وقال غير هشام بن الكلبي : إنّ النعمان الذي قتله الحرث هو ابن المنذر بن النعمان وأمه هند بنت زيد مناة بن زيد الله بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو الذي أسرته فارس ، ملك عشرين سنة منها في أيام فيروز بن يزدجرد عشرين سنين وأيام يلاوش بن يزدجرد أربع سنين وفي أيام قباد بن فيروز ست سنين .

قال هشام بن محمد الكلبي : ولما ملك الحرث بن عمرو ملك آل النعمان بعث إليه قباد يطلب لقاءه وكان مضجعاً فجاءه الحرث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات ، ثم استضعفه فأطلق العرب للغارة في نواحي السواد وراء الفرات فسأله اللقاء بابه ، واعتذر إليه أشطاظ العرب وأنه لا يضبطهم إلاّ المال فأقطع جانباً من السواد ، فبعث الحرث إلى ملك اليمن تُبِع يستنهضه بغزو فارس في بلادهم ويخبره بضعف ملكهم ، فجمع وسار حتى نزل الحيرة وبعث ابن أخيه شمرا ذا الجناح إلى قباد فقاتله واتبع إلى الري فقتله ، ثم سار شمرا إلى خراسان وبعث تبع ابنه حَسَّان إلى الصغد وأمرهما معا أن يدوخوا أرض الصين ، وبعث ابن أخيه يعفر إلى الروم فحاصر القسطنطينية حتى اعطوا الطاعة والأتاوة ، وتقدّم إلى رومة فحاصرها . ثم أصابهم الطاعون ووهنوا له فوثب عليهم فقتلهم جميعاً . وتقدّم شمرا إلى سمرقند فحاصرها واستعمل الحيلة فيها فلكنها ، ثم سار إلى الصين وهزم الترك ووجد أخاه حَسَّان قد سبقه إلى الصين منذ ثلاث سنين فأقاما هنالك إحدى وعشرين سنة إلى أن هلك ، قال : والصحيح المتفق عليه أنها رجعا إلى بلادهما بما غنّاه من الأموال والذخائر وصنوف الجواهر والطيوب . وسار تبع حتى قدم مكة ونزل شعب حجاز وكانت وفاته باليمن بعد أن ملك مائة وعشرين سنة ، ولم يخرج أحد بعده من ملوك اليمن غازياً . ويقال : إنه دخل في دين اليهود للأخبار الذين خرجوا معه من يثرب . وأمّا ابن اسحق فعنده أنّ الذي سار إلى المشرق من التبابعة تُبِع الأخير وهو تَبَّان أسعد أبو كرب .

قال هشام بن محمد : وولّى أنوشروان بعد الحرث بن عمرو المنذر بن النعمان الذي أفلت يوم قتل أبوه ونزل الحيرة وأبوه النعمان الأكبر ، فلما قوي سلطان أنوشروان واشتد أمره بعث إلى المنذر فملكه الحيرة وما كان يليه الحرث بن عمرو آكل المزار فلم يزل كذلك حتى هلك . قال : وملك العرب من قبل الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر وأمه ماوية بنت النعمان سبع سنين ، ثم ملك بعده النعمان بن الأسود ابن المنذر وأمه أم الملك أخت الحرث بن عمرو أربع سنين ، ثم استخلف أبو يعقوب بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميلة بن ثور بن أسد بن أرمي بن نمارة بن لحم ثلاث سنين ، ثم ملك المنذر بن امرئ القيس وهو ذو القرنين لصفييرتين كانتا له من شعره وأمه ماء السماء بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مائة بن عامر بن الضبيب بن سعد بن الخزرج بن تميم الله بن النمر بن قاسط فملك تسعاً وأربعين سنة ، ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر وأمه هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر آكل المزار ست عشرة سنة وثمان سنين من ملكه كان عام الفيل الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ولي عمرو بن هند شقيقه قابوس أربع سنين : سنة منها أيام أنوشروان وثلاثة أيام ابنه هرمز^(١) .

ثم ولي بعده أخوهما المنذر أربع سنين ، ثم ولي بعده النعمان بن المنذر وهو أبو قابوس إثنين وعشرين سنة منها ثمان سنين أيام هرمز وأربع عشرة أيام^(٢) أبرويز ، وفي أيام النعمان هذا اضحم ملك آل نصر بالجزيرة وعليه انقضى ، وهو الذي قتله كسرى أبرويز وأبدل منه في الولاية على الحيرة والعرب باياس بن قبيصة الطائي ، ثم رد رياسة الحيرة لمرازية فارس إلى أن جاء الإسلام وذهب ملك فارس . وكان الذي دعا أبرويز إلى قتله سعاية زيد بن عدي العبادي فيه عند أبرويز بسبب أن النعمان قتل أباه عدي بن زيد ، وسياسة الخبر عن ذلك أن عدي بن زيد كان من تراجمة أبرويز وكان سبب قتل النعمان أن أباه وهوزيد بن حماد بن أيوب بن محروب بن عامر بن

(١) هنا عبارة ساقطة من النسخ . أما الطبري فيقول :

«ولي قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك في زمن أنوشروان ثمانية أشهر وفي زمن هرمز بن أنوشروان ثلاث سنين وأربعة أشهر» ج ٢ ص ١٥٦ .

(٢) هنا أيضاً سقطت عبارة من النسخ وعند الطبري «ثم ولي بعد النعمان بن المنذر أبو قابوس إثنين وعشرين سنة من ذلك في زمن هرمز بن أنوشروان سبع سنين وثمانية أشهر وفي زمن كسرى أبرويز بن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر» ج ٢ ص ١٥٦ .

قبيصة بن امرئ القيس بن زيد مناة والد عديّ هذا كان جميلاً شاعراً خطيباً وقارئاً
 كتاب العرب والفرس ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة ويقطعونهم القطائع
 على أن يترجموا عندهم عن العرب ، وكان المنذر بن المنذر لماً ملك جعل ابنه النعمان
 في حجر عديّ فأرضعه أهل بيته ورباه قوم من أشرف الحيرة ينسبون إلى لخم ويقال
 لهم بنو مُرسي ، وكان للمنذر بن المنذر عشرة سوى النعمان يقال لهم الأشاهب
 لجملهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً أمه سلمى بنت وائل بن عطية من
 أهل فدك كانت أمة للحرث بن حصن بن ضَمْصَم بن عديّ بن جناب بن كلب ،
 وكان قابوس بن المنذر الأكبر عمّ النعمان بعث إلى أنوشروان بعديّ بن زيد وإخوته
 فكانوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات المنذر أوصى على ولده إياس بن قبيصة الطائي
 وجعل أمره كله بيده فأقام على ذلك شهراً ، ونظر أنوشروان فيمن يملكه على العرب
 وشاور عديّ بن زيد واستنصحه في بني المنذر فقال بقيتهم في بني المنذر بن المنذر ،
 فاستقدمهم كسرى وأنزلهم على عديّ ، وكان هواه مع النعمان ، فجعل يرعى إخوته
 تفضيلهم عليه ، ويقول لهم : إن أشار عليكم كسرى بالملك ومن يكفوه أمر العرب
 تكفلوا بشأن ابن أخيكم النعمان ، ويسر للنعمان أن سأل كسرى عن شأن إخوته أن
 يتكفله ويقول : إن عجزت عنهم فأنا عن سواهم أعجز . وكان مع أخيه الأسود بن
 المنذر رجل من بني مُرسي الذين ربوهم اسمه عديّ بن أوس بن مُرسي فنصحه في
 عديّ وأعلمه أنه يغشه فلم يقبل . ووقف كسرى على مقالاتهم ، فقال إلى النعمان
 وملكه وتوجه بقيمة ستين ألف دينار ورجع إلى الحيرة ملكاً على العرب ، وعديّ بن
 أوس في خدمته ، وقد أضمر السعاية بعديّ بن زيد فكان يظهر الثناء عليه ويتواصى
 به مع أصحابه وأن يقولوا مثل قوله ، إلا أنه يستصغر النعمان ويزعم أنه ملكه وأنه
 عامله حتى آسفوه بذلك ، وبعث إليه في الزيارة فأثاه وحبسه ثم ندم وخشي عاقبة
 إطلاقه فجعل يمينه . ثم خرج النعمان إلى البحرين وخالفه جَفَنَةُ ملك غَسَّان إلى
 الحيرة وغار عليها ونال منها ، وكان عديّ بن زيد كتب إلى أخيه عند كسرى يشعره
 بطلب الشفاعة من كسرى إلى النعمان ، فجاء الشفيح إلى الحيرة وبها خليفة النعمان ،
 وجاء إلى عديّ فقال له : أعطني الكتاب أبعثه أنا ولازمي أنت هنا لئلا أقتل .
 وبعث أعداؤه من بني بقبيلة إلى النعمان بأن رسول كسرى دخل عنده فبعث من قتله .
 فلما وفد وافد كسرى في الشفاعة أظهر له الإجابة وأحسن له بأربعة آلاف دينار

وجارية وأذن له أن يخرج من محبسه فوجده قد مات منذ ليل ، فجاء إلى النعمان
مثرناً^(١) فقال : والله لقد تركته حياً . فقال : وكيف تدخل إليه وأنت رسول إليّ ؟
فطرده فرجع إلى كسرى وأخبره بموته وطوى عنه ما كان من دخوله إليه .

ثم ندم النعمان على قتله ، ولقي يوماً وهو يتصيد ابنه زيداً فاعتذر إليه من أمر أبيه ، وجهّزه
إلى كسرى ليكون خليفة أبيه على ترجمة العرب . فأعجب به كسرى وقربه وكان أثيراً
عنده ، ثم إن كسرى أراد خطبة بنات العرب فأشار عليه عديّ بالخطبة في بني منذر
فقال له كسرى : إذهب إليهم في ذلك ، فقال : إنهم لا ينكحون العجم ويستربون
في ذلك فابعث معي من يفقه العربية فلعلي آتيك بغرضك . فلما جاء إلى النعمان قال
لزيد : أما في غير السواد وفارس ما يغنيكم عن بناتنا ؟ وسأل الرسول عن العير فقال
له زيد : هي البقر . ثم رجعا إلى كسرى بالخبية ، وأغراه زيد فغضب كسرى وحقد
على النعمان . ثم استقدمه بعد حين لبعض حاجاته وقال له : لا بدّ من المشافهة لأنّ
الكتاب لا يسعها . ففطن فذهب إلى طيء وغيرهم من قبائل العرب ليمنعوه ، فأبوا
وفرقوا من معاداة كسرى ، إلّا بني رّواحة بن سعد من بني عبس ، فإنهم أجابوه لو
كانوا يغنون عنه فعذرهم ، وانصرف عنهم إلى بني شيبان بذي قار والرياسة فيهم
لهانيء بن مسعود بن عامر بن الخطيب بن عمرو المزدكّ ابن أبي ربيعة بن ذهل
بن شيبان ، ولقيس بن خالد بن ذي الخديّين . وعلم أن هانئاً يمنعه وكان كسرى قد
أقطعه ، فرجّع إليه النعمان ماله ونعمته وحلقته وهي سلاح ألف فارس شاكّة ،
وسار إلى كسرى ، فلقيه زيد بن حدي بساباط وتبين الغدر ، فلمّا بلغ إلى كسرى
قيده وأودعه السجن إلى أن هلك فيه بالطاعون ودعا ذلك إلى واقعة ذي قار بين
العرب وفارس .

وذلك أن كسرى لما قتل النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة مكان
النعمان ليده التي أسلفها طيء عند كسرى يوم واقعة بهرام على أبرويز ، وطلب من
النعمان فرسه ينجو عليها فأبى واعترضه حسن بن حنظلة بن جنة الطائي وهو ابن عم
إياس بن قبيصة فأركبه فرسه ونجا عليه ، ومّر في طريقه بإياس فأهدى له فرساً
وجزوراً ، فرعى له أبرويز هذه الوسائل وقدم إياساً مكان النعمان . وهو إياس بن
قبيصة بن أبي عفر بن النعمان بن جنة . فلمّا هلك النعمان بعث إياس إلى هانيء بن

(١) ثربه ثرباً : لأمه ، قبح عليه فعله (قاموس) .

مسعود في حلقة النعمان ، ويقال كانت أربعائة درع وقيل ثمانمائة ، فمنعها هانيء وغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل ، وأشار عليه النعمان بن زرعة من بني تغلب أن يمهّل إلى فصل القيظ عند ورودهم مياه ذي قار . فلما قاطوا ونزلوا تلك المياه جاءهم النعمان بن زرعة يخيّرهم في الحرب واعطاء اليد فاخترأوا الحرب ، اختاره حنظلة بن سنان العجليّ وكانوا قد ولّوه أمرهم وقال لهم إنما هو الموت قتلاً إن أعطيت باليد أو عطشاً إن هربتم وربما لقيكم بنو تميم فقتلوكم . ثم بعث كسرى إلى إيّاس بن قبيصة أن يسير إلى حربهم ويأخذه معه مسالح فارس وهم الجند الذين كانوا معه بالقطقطانية وبارق وتغلب ، وبعث إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الخدين وكان على طف شقران أن يوافي إيّاساً ، فجاءت الفرس معها الجنود والأفيال عليها الأساورة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة فقال : اليوم انتصف العرب من العجم ونصروا ، وحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الواقعة .

ولما تواقف الفريقان جاء قيس بن مسعود إلى هانيء وأشار عليه أن يفرّق سلاح النعمان على أصحابه ففعل ، واختلف هانيء بن مسعود وحنظلة بن ثعلبة بن سنان ، فأشار هانيء بركوب الفلاة وقطع حنظلة حزم الرجال وضرب على نفسه وآلى أن لا يفرّ . ثم استقوا الماء لنصف شهر ، واقتتلوا وهرب العجم من العطش واتبعهم بكر وعجل ، فاصطف العجم وقتلوا وصبروا وراسلت إياد بكر بن وائل إنّنا نفرّ عند اللقاء فصحبوهم ، واشتدّ القتال وقطعوا الآمال حتى سقطت الرجال إلى الأرض ثم حملوا عليهم ، واعترضهم يزيد بن حمّاد السكوني في قومه كان كميناً أمامهم فشدّوا على إيّاس بن قبيصة ومن معه من العرب فولّت إياد منهزمة ، وانهمزت الفرس وجاوزوا الماء في حرّ الظهيرة في يوم قانظ فهلكوا أجمعين قتلاً وعطشاً . وأقام إيّاس في ولاية الحيرة مكان النعمان ومعه الهَمْرَجَان من مرازية فارس تسع سنين ، وفي الثامنة منها كانت البعثة وولي بعده على الحيرة آخر من المرازية اسمه زاذويه بن ماهان الهمداني سبع عشرة سنة إلى أيام بوران بنت كسرى . ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر وتسميه العرب الغرور الذي قتل بالبحرين يوم أجداث .

ولما زحف المسلمون إلى العراق ونزل خالد بن الوليد الحيرة حاصرهم بقصورها فلما أشرفوا على الهلكة خرج إليهم إيّاس بن قبيصة في أشراف أهل الحيرة وأتقى من خالد والمسلمين بالجزية ، فقبلوا منه وصالحهم على مائة وستين ألف درهم ، وكتب لهم

خالد بالعهد والأمان وكانت أول جزية بالعراق . وكان فيهم هانيء بن قبيصة أخو
إياس بن قبيصة بالقصر الأبيض ، وعدي بن عديّ العبادي ابن عبد القيس ، وزيد
بن عديّ بقصر العدسيين ، وأهل نصر بن عدس من قصور الحيرة وهو بنو عوان بن
عبد المسيح بن كلب بن وبرة وأهل قصر بني بقليلة لأنه خرج على قومه في بُردين
أخضرين فقالوا : يا حارث ما أنت إلا بقليلة خضراء وعبد المسيح هذا هو المعمر وهو
الذي بعثه كسرى أبرويز إلى سطيح في شأن رؤيا المرزبان .

ولما صالح إياس بن قبيصة المسلمين وعقد لهم الجزية سخطت عليه الأكاسرة
وعزلوه ، فكان ملكه تسع سنين ولسته منها وثمانية أشهر كانت البعوث ، وولي حينئذ
الخليفة عمر بن الخطاب وعقد لسعد بن أبي وقاص على حرب فارس ، فكان من
أول عمل يزيد جرد أن أمر مرزبان الحيرة أن يبعث قابوس بن قابوس بن المنذر وأغراه
بالعرب ووعدته بملك آبائه ، وقال له : ادع العرب وأنت على من أجابك منهم كما
كان آباؤك ، فنهض قابوس إلى القادسية ونزلها وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان
للنعمان فكاتبهم مقاربة ووعداً ، وانتهى الخبر إلى المثنى بن حارثة الشيباني عقب
مهلك أخيه المثنى وقبل وصول سعد ، فأسرى من ذي قار وبيت قابوس بالقادسية
ففض جمعه وقتله ، وكان آخر من بقي من ملوك آل نصر بن ربيعة وانقرض أمرهم
مع زوال ملك فارس . أه كلام الطبري وما نقله عن هشام بن الكلبي .

وقد كان المغيرة بن شعبه تزوج هنداً بنت النعمان ، وسعد بن أبي وقاص تزوج صدقة
بنت النعمان ، وخبرهما معروف ذكره المسعودي وغيره . وعدة ملوك آل نصر عند
هشام بن الكلبي عشرون ملكاً ومدتهم خمسمائة وعشرون سنة ، وعند المسعودي
ثلاث وعشرون ملكاً ومدتهم ستمائة وعشرون سنة . قال : وقد قيل إن مدة عمران
الحيرة إلى أن خربت عند بناء الكوفة خمسمائة سنة ، قال : ولم يزل عمرانها يتناقص
إلى أيام المعتضد ثم أقفرت . وفيما نقله بعض الإخباريين أن خالد بن الوليد قال لعبد
المسيح : أخبرني بما رأيت من الأيام ؟ قال : نعم . قال : رأيت المرأة من الحيرة
تضع مكتلها على رأسها ثم تخرج حتى تأتي الشام في قرى متصلة وبساتين ملتفة وقد
أصبحت اليوم خراباً والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

هذا ترتيب الملوك من ولد نصر بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن عديّ الأول منهم وهو
الترتيب الذي ذكره الطبري عن ابن الكلبي وغيره ، وبين الناس فيه خلاف في

ترتيب ملوكهم ، بعد اتفاقهم على أن الذي ملك بعد عمرو بن عديّ ابنه امرؤ القيس ثم ابنه عمرو بن امرئ القيس وهو الثالث منهم . قال علي بن عبد العزيز الجرجاني في أنسابه بعد ذكر عمرو هذا : ثم ثار أوس بن قلام العِمَلَقِيّ وملك فثار به جحجب بن عتيك اللّخميّ فقتله وملك ، ثم ملك من بعده امرؤ القيس البدء بن عمرو الثالث ، ثم ملك من بعده ابنه النعمان الأكبر ابن امرئ القيس بن الشقيقة وهو الذي ترك الملك وساح ، ثم ملك من بعده ابنه المنذر ، ثم ابنه الأسود بن المنذر ، ثم أخوه المنذر بن المنذر ، ثم النعمان بن الأسود بن المنذر ، ثم أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عديّ بن الذميل بن ثور بن أسنش بن زبي بن نمارة بن لحم ، ثم ملك من بعده امرؤ القيس بن النعمان الأكبر ، ثم ابنه امرؤ القيس ، ثم كان أمر الحرث بن عديّ الكندي حتى تصالحها وتزوج المنذريته هنداً فولدت له عمراً ، ثم ملك بعد المنذر عمرو بن هند ، ثم قابوس بن المنذر أخوه ، ثم المنذر بن المنذر أخوه الآخر ، ثم ابنه النعمان بن المنذر . هكذا نسبه الجرجاني وهو موافق لترتيب الطبري إلا في الحرث بن عمرو الكندي فإن الطبري جعله بعد النعمان الأكبر بن امرئ القيس وابنه المنذر ، والجرجاني جعله بعد المنذر بن امرئ القيس بن النعمان وبين هذا المنذر والمنذر بن النعمان الأكبر خمسة من ملوكهم فيهم أبو يعفر بن الذميل ، فإله أعلم بالصحيح من ذلك .

وأما المسعودي فخالف ترتيبهم فقال : بعد النعمان الأكبر ابن امرئ القيس وسمّاه قائد الفرس ملك خمسا وستين سنة ، ثم ملك ابنه المنذر خمسا وعشرين سنة وهذا مثل ترتيب الطبري والجرجاني . ثم خالفها وقال : وملك النعمان بن المنذر الحيرة وهو الذي بنى الخوزنق خمسا وثلاثين سنة ، وملك الأسود بن النعمان عشرين سنة ، وملك ابنه المنذر أربعين سنة وأمه ماء السماء من النمر بن قاسط من ربيعة وبها عرف ، وملك ابنه عمرو بن المنذر أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعده أخوه النعمان وأمه مامة وقتله كسرى وهو آخرهم . هكذا ساق المسعودي نسق ملوكهم ونسبهم وهو مخالف لما ذكره الطبري والجرجاني .

وقال السهيلي : كان للمنذر بن ماء السماء من الولد المملكين عمرو والنعمان وكان عمرو وهند بنت الحرث آكل العرار قال : وكان عمرو ههنا من أعاظم ملوك الحيرة ويعرف بمُحَرَّق لأنه حرق مدينة المُلهم عند اليمامة ، وكان يملك من قبل كِسرى

أنوشروان ، ومن بعده ملك أخوه النعمان بن المنذر وأمه مامة وقتله كسرى ابرويز بن هرمز بن أنوشروان لموجدة وجدها بسعاية زيد بن عديّ بن زيد العبادي ، وساق قصة مقتله وولاية إياس بن قبيصة الطائي من بعده وما وقع بعد ذلك من حرب ذي قار وغلب العرب فيها على العجم إلى آخرها . قاله أعلم بالصحيح في ترتيب ملوكهم .

وقال ابن سعيد : أول حديثهم في الملك أنّ بني نمارة كانوا جنداً للعالمقة بأطراف الشام والحزيرة وكانوا مع الزّباء ، ولما قتلت جذيمة قام عمرو بن عديّ منهم بثأره ، وكان ابن أخته حتى أدركه وقتلها وبني الحيرة على فرع من الفرات في أرض العراق .

وقال صاحب تواريخ الأمم : ملك مائة وثمانية وعشرين سنة أيام ملوك الطوائف ، وبعده امرؤ القيس بن عمرو ، ولما مات ولّى أردشير بن سابور على الحيرة أوس بن قلام من العالمقة ، ثم كان ملك الحيرة فولها امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس المعروف بمُحَرِّق قال وهو المذكور في قصيدة الأسود بن يعفر التي على رَويّ الدال .

وبعده ابنه النعمان بن شقيقة وهي من بني شيبان وجعل معه كسرى والياً للفرس وهو باني الخورنق والسريز على مياه الفرات ، وملك إلى أن ساح وترهّد ثلاثين سنة ، وذكره عديّ بن زيد في شعره . وملك بعده ابنه المنذر وهو الذي سعى لهبرام جور في الملك حتى ثم له وملك أربعاً وأربعين سنة ، وملك بعده ابنه الأسود ، ثم أخوه المنذر بن المنذر ثم النعمان بن الأسود وغضب عليه كسرى وولّى مكانه الذميل بن لحخم من غير بيت الملك ، ثم عاد الملك إليهم فولّى امرؤ القيس بن النعمان الأكبر وهو ابن الشقيقة وهو الذي غزا بكر بن وائل ، وملك بعده ابنه المنذر بن ماء السماء وهي أمّه أخت كليب سيد وائل وطالبه قباد باتباع مَزْدَك على الزندقة فأبى ، وولّى مكانه الحرث بن عمرو ابن حجر الكندي ، ثم رده أنوشروان إلى ملك الحيرة وقتله الحرث الأعرج الغساني يوم حليلة كما يأتي . وملك بعده ابنه عمرو بن هند وهي ^(١) مامة عمة امرئ القيس بن حجر المعروف بمُضْطَرَط الحجارة لشدة بأسه ، وهو مُحَرِّق الثاني حرق بني دَارِم من تميم لأنهم قتلوا أخاه وحلف لِيَحْرِقَنَّ منهم مائة فحرقهم وملك ستة عشرة سنة أيام أنوشروان ، فلك به في رواق بين الحيرة والفرات عمرو بن كلثوم سيد تغلب ونهبوا حياه ^(٢) . وملك بعده أخوه قابوس بن هند وكان أعرج وقتله بعض بني يشكر فولّى

(١) يعني أن أمه مامة وقد مر ذكره من قبل .

(٢) بمعنى النبات .

أنوشروان على الحيرة بعض مرازية الفرس فلم تستقم له طاعة العرب ، فولّى عليهم المنذر بن المنذر بن ماء السماء فخرج إلى جهة الشام طالباً ثأر أبيه من الحرث الأعرج الغساني فقتله الحرث أيضاً يوم أباغ . وملك بعده ابنه النعمان بن المنذر وكان ذميماً أشقر أبرش ، وهو أشهر ملوك الحيرة وعليه كثرت وفود العرب وطلبه بثأر أبيه ، وحرّد من بني جفنة حتى أسر خلقاً كثيراً من أشرافهم ، وحمله عدي بن زيد على أن تنصّر وترك دين آبائه ، وحبس عدياً فشفع كسرى فيه بسعاية أخ له كان عنده فقتله النعمان في محبسه ، ثم نشأ ابنه زيد بن عدي وصار ترجائاً لكسرى ، فأغراه بالنعمان وحضر مع كسرى أبرويز في وقعة بين الفرس والروم وانهزمت الفرس ونجا النعمان على فرسه التحوم بعد أن طلبه منه كسرى ينجو عليه فأعرض عنه ، ونزل له إياس بن قبيصة الطائي عن فرسه فنجا عليه ، ووفد عليه النعمان بعد ذلك فقتله وولّى على الحيرة إياس بن قبيصة ، فلم تستقم له طاعة العرب وغضبوا لقتل النعمان ، وكان لهم على الفرس يوم ذي قار سنة ثلاث من البعثة ، ومات إياس وصارت الفرس يولّون على الحيرة منهم إلى أن ملكها المسلمون .

وذكر البيهقي : أن دين بني نصر كان عبادة الأوثان ، وأول من تنصّر منهم النعمان بن الشقيقة وقيل بل النعمان الأخير . وملك العرب بتلك الجهات ابنه المنذر فقتله جيش أبي بكر رضي الله عنه . وفي تواريخ الأمم أن جميع ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم خمسة وعشرون ملكاً في نحو ستمائة سنة والله أعلم ، وهذا الترتيب مساوٍ لترتيب الطبري والجرجاني والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

المندبر بن النعمان بن المندبر

النعمان الاسود

بن المنذر بن امرئ القيس

المُنْذِرُ بْنُ الْمُنْذِرِ - ١

بن النعمان بن امرئ القيس بن

أوس بن قلام العمليقي
ججحب بن عتيك اللخمي

ابن نصر بن ربيعة

— قیام ۱۱ مستقیم بنام ۱۱
قیام ۱۱ مستقیم بنام ۱۱

— التمسوا عيادة بنو كعب بن لؤي

(هذه الشجرة على ما عند الطبري والجرجاني وابن سعيد)

ملوك كندة

الخبر عن ملوك كندة من هذه الطبقة ومبدأ أمرهم
وتصاريف أحوالهم

قال الطبري عن هشام بن محمد الكلبي : كان يخدم ملوك حِمير أبناء الأشراف من حِمير وغيرهم وكان ممن يخدم حسان بن تَبَع عمرو بن حجر سيد كندة لوقته وأبوه حجر هو الذي تسميه العرب آكل المرار وهو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الأصغر ابن معاوية بن الحرث الأكبر ابن معاوية بن كندة ، وكان أخا حسان بن تَبَع لأمه ، فلما دَوَّخ حسان بلاد العرب وسار في الحجاز وهمّ بالإنصراف ولَّى على مَعَدَّ بن عدنان كلَّها أخا حجر بن عمرو هذا وهو آكل المرار ، فدانوا له وسار فيهم أحسن سيرة ، ثم هلك وملك من بعده ابنه عمرو المقصور .

قال الطبري عن هشام : ولما سار حسان إلى جَدِيسَ خلفه على بعض أمور ملكه في حِمير ، فلما قتل حسان وولِّي بعده أخوه عمرو بن تَبَع وكان ذا رأيٍ ونبلٍ ، فأراد أن يكرم عمرو بن حجر بما نقصه من ابن أخيه حسان ، فزوَّجه بنت أخيه حسان بن تبع ، وتكلمت حِمير في ذلك وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها أن يتزوَّج في ذلك البيت أحد من العرب سواهم ، فولدت بنت حسان لعمرو بن حجر الحرث بن عمرو . وملك بعد عمرو بن تَبَع عبد كلال بن مَتُون أصغر أولاد حسان ، واستهوت الجن منهم تَبَع بن حسان فولوا عبد كلال مخافة أن يطمع في ملكهم أحد من بيت الملك ، فولِّي عبد كلال لِسُرُورَ حمة ، وكان على دين النصرانية الأولى وكان ذلك يسوء قومه ، ودعا إليه رجل من غسان قدم عليه من الشام ، ووئب حمير بالغساني فقتلوه . ثم رجع تَبَع بن حسان من استهواء الجن وهو أعلم الناس بنجم وأعقل من يعلم في زمانه وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون ، فملك على حِمير وهابته حِمير والعرب ، وبعث بابن أخته الحرث بن عمرو بن حجر الكِندي في جيش عظيم إلى بلاد مَعَدَّ والحيرة وما والاها ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة فقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وهزم أصحابه ، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمّه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط وذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو وما

وفي كتاب الأغاني قال : لما ملك قباذ ، وكان ضعيف الملك ، توثبت العرب على المنذر الأكبر ابن ماء السماء وهو ذو القرنين ابن النعمان بن الشقيقة فأخرجوه ، وإنّا سمّي ذا القرنين لذؤابتين كانتا له ، فخرج هاربا منهم حتى مات في إياد ، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم وكان أنكى ولده ، وجاؤا بالحرث بن عمرو بن حجر آكل العرار فلّكوه على بكر وحشدوا له وقتلوا معه ، وظهر على من قاتله من العرب . وأبى قباذ أن يمدّ المنذر بجيش فلما رأى ذلك كتب إلى الحرث بن عمرو : إني في غير قومي وأنت أحق من ضمني وأنا متحوّل إليك فحوّله وزوّجه بنته هنداً .

وقال غير هشام بن محمد : ان الحرث بن عمرو لما وليّ على العرب بعد أبيه اشتدّت وطأته وعظم بأسه ونازع ملوك الحيرة وعليهم يومئذ المنذر بن امرئ القيس وبين لهم إذ وليّ كسرى قباذ بعد أبيه فيروز بن يزدجرد وكان زنديقاً على رأي ماني ، فدعا المنذر إلى رأيه فأبى عليه وأجابه الحرث بن عمرو فلّكه على العرب وأنزله بالحيرة ، ثم هلك قباذ ووليّ ابنه أنوشروان فردّ ملّك الحيرة إلى المنذر ، وصالحه الحرث على أن له ما وراء نهر السواد فاقسما ملّك العرب . وفرّق الحرث ولده في معدّ فلّك حجراً على بني أسد ، وشرحيل على بني سعد والرباب ، وسلمة على بكر وتغلب ، ومعديكرب على قيس وكنانة . ويقال : بل كان سلّمة على حنظلة وتغلب ، وشرحيل على سعد والرباب وبكر ، وكان قيس بن الحرث سيارة أي قوم نزل بهم فهو ملكهم . وفي كتاب الأغاني إنه ملّك ابنه شرحيل على بكر بن وائل ، وحنظلة على بني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب وغلفا وهو معديكرب على قيس ، وسلمة بن الحرث على بني تغلب والنمر بن قاسط والنمر بن زيد مناة . أهد كلام الأغاني .

فأمّا شرحيل : فإنه فسد ما بينه وبين أخيه سلمة واقتتلوا بالكلاب ما بين البصرة والكوفة ، على سبع من اليمامة وعلى تغلب السقّاح وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وسبق إلى الكلاب سفيان بن مجاشع بن دارم من أصحاب سلمة في تغلب مع إخوته لأمه . ثم ورد سلمة وأصحابه فاقتتلوا عامة يومهم ، وخذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وأتباعها عن تغلب ، وصبر بنو بكر وتغلب ليس معهم غيرهم إلى الليل ، ونادى منادي سلمة في ذلك اليوم من يقتل شرحيل ولقاتله مائة من الإبل ،

فقتل شرحبيل في ذلك اليوم قتله عصيم بن النعمان بن مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن بكر بن حبيب التغلبي . وبلغ الخبر إلى أخيه معديكرب فاشتدّ جزعه وحزنه على أخيه وزاد ذلك حتى اعتراه منه وسواس هلك به ، وكان معتزلاً عن الحرث ومنع بنو سعد بن زيد مناة عيال شرحبيل وبعثوا بهم إلى قومهم ، فعل ذلك عوف بن شحنة بن الحرث بن عطارد بن عوف بن معد بن كعب . وأما سلمة ، فإنه فلج فمات .

وأما حجر بن الحرث : فلم يزل أميراً على بني أسد إلى أن بعث رسله في بعض الأيام لطلب الأتاوة من بني أسد فمنعوها وضربوا الرسل ، وكان حجر بهامة فبلغه الخبر ، فسار إليهم في ربيعة وقيس وكنانة فاستباحهم وقتل أشرافهم وسرواتهم وحبس عبيد ابن الأبرص في جمع منهم فاستعطفه بشعر بعث به إليه فسرحه وأصحابه وأوفدهم ، فلما بلغوا إليه هجموا عليه ببيته فقتلوه وتولّى قتله علباء بن الحرث الكاهلي كان حَجَرَ قتل أباه ، وبلغ الخبر امرئ القيس فحلف أن لا يقرب لذة حتى يدرك بثأره من بني أسد ، وسار صريخاً إلى بني بكر وتغلب فنصروه وأقبل بهم فأجفل بنو أسد ، وسار إلى المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة وأوقع امرؤ القيس في كنانة فأئخّن فيهم ، ثم سار في اتباع بني أسد إلى أن أعيا ولم يظفر منهم بشيء ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار إلى مؤثر الخير بن ذي جدن من ملوك حِمير صريخاً بنصره بخمسمائة رجل من حَمير ويجمع من العرب سواهم ، وجمع المنذر لامرئ القيس ومن معه ، وأمدّه كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة والتقوا فانهزم امرؤ القيس ، وقرّت حِمير ومن كان معه ونجا بدمه وما زال يتنقل في القبائل والمنذر في طلبه وسار إلى قيصر صريخاً فأمدّه ، ثم سعى به الطمّاح عند قيصر أنه يشبب ببيته ، فبعث إليه بِخُلّة مسمومة كان فيها هلاكه ودفن بأنقرة .

قال الجرجاني ولا يعلم لِكِنْدَةَ بعد هؤلاء ملوك اجتمع لهم أمرها وأطيع فيها سوى أنهم قد كان لهم رياسة ونباهة وفيهم سؤدد حتى كانت العرب تسميهم كِنْدَةَ الملوك ، وكانت الرياسة يوم جَبَلَة على العساكر لهم ، فكان حسان بن عمرو بن الجور على تميم ومعاوية بن شرحبيل بن حصن على بني عامر والجور هو معاوية بن حجر آكل المرار أخو الملك المقصور عمرو بن حجر . والله وارث الارض ومن عليها .

وفي كتاب الأغاني : أن امرئ القيس لما سار إلى الشام نزل على السموأل بن عاديا

بالأبلى بعد إيقاعه بيني كنانة على أنهم بنو أسد وتفرّق عنه أصحابه كراهيةً لفعله ، واحتاج إلى الهرب فطلبه المنذر بن ماء السماء وبعث في طلبه جموعاً من إياد وبهرا وتنوخ وجيوشاً من الأساورة أمده بهم أنوشروان ، وخذلته حمير وتفرّقوا عنه فالتجأ إلى السموأل ومعه أدرع خمسة مسنّاة كانت لبني آكل المرار يتوارثونها ، ومعه بنته هند وابن عمه يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث ومال وسلاح كان بقي معه والربيع بن ضُبُع بن نِزارة ، وأشار عليه الربيع بمدح السموأل فمدحه ونزل به ، فضرب لابنته قبة وأنزل القوم في مجلس له براح ، فكثوا ما شاء الله . وسأله امرؤ القيس أن يكتب له إن الحرث بن أبي شمر يوصله إلى قيصر ففعل واستصحب رجلاً يدلّه على الطريق وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ، وخلف ابن عمه يزيد بن الحرث مع ابنته هند ونزل الحرث بن ظالم غازياً على الأبلى ، ويقال الحرث بن أبي شمر ويقال ابن المنذر ، وبعث الحرث بن ظالم ابنه يتصيد ويهدده بقتله فأبى من اخفاره ذمته وقتل ابنه فضرب به المثل في الوفاء بذلك ^(١) .

وأما نسب السموأل فقال ابن خليفة عن محمد بن سالم البَيْكَنْدِيِّ عن الطوسي عن ابن حبيب : إنه السموأل بن عريض بن عادي بن حيا ، ويقال إن الناس يدرجون عريضاً في النسب ونسبه عمرو بن شبة ولم يذكر عريضا ، وقال عبدالله بن سعد عن دارم بن عِقَال : من ولد السموأل بن عادي بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو ابن عامر مزيقيا وهذا عندي بحال لأن الأعشى أدرك سريج بن السموأل وأدرك الإسلام ، وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة ، وقد قيل إن أمه من غسان وكلهم قالوا هو صاحب الحصن المعروف بالأبلى بتيما المشهور بالزباء ، وقيل من ولد الكوهن بن هارون ، وكان هذا الحصن لجده

(١) الواقع ان ابن السموأل هو الذي كان في رحلة صيد ، وعند عودته الى الحصن وجده محاصراً ، فالتقى قائد الحملة القبض عليه ونادى والده السموأل ليرى ابنه ، واطل السموأل فرأى ابنه اسيراً والسيف فوق عنقه ، فهدد القائد السموأل بقتل ابنه اذا لم يسلم الأمانة ولكن السموأل ابى تسليم الأمانة وبذلك يقول الأعشى :

كن كالسموأل اذا طاف الهام به	في جحفل كهزيع الليل جرار
اذ سامه خطي خسف فقال له :	قل ما تشاء فإني سامع حار
فقال : غدر وتكسل انت بينهما	فاختر ومما فيها حظ المختار
فشك غير طويل ثم قال له :	اقتل أسيرك اني مانع جاري

عاديا ، واحتفر فيه أروية عذبة وتترل به العرب فتصيبها وتمتار من حصنه وتقيم هنالك سوقاً أه كلام الأغاني .

وقال ابن سعيد : كِنْدَةُ لَقَبٌ لثور بن عفير بن الحرث بن مرة بن أدد بن يشجب بن عبيد الله بن زيد بن كهلان ، وبلادهم في شرقي اليمن ، ومدينة ملكهم دَمُون ، وتوالى الملك منهم في بني معاوية بن عترة ، وكان التبابعة يصاهرونهم ويولونهم على بني معد ابن عدنان بالحجاز ، فأول من وليَ منهم حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية الأكبر وولاهُ تَبَع بن كِرب الذي كسا الكعبة ، ووليَ بعده ابنه عمرو بن حجر ، ثم ابنه الحرث المقصور وهو الذي أبى أن يترنذق مع قَبَاذ ملك الفرس فقتل في بني كلب ونهب ماله ، وكان قد ولّى أولاده على بني معد فقتل أكثرهم ، وكان على بني أسد منهم حجر بن الحرث فجار عليهم فقتلوه ، وتجرّد للطلب بئاره ابنه امرؤ القيس ، وسار إلى قيصر فأغراه به الطامح الأسدي . وقال : إنه يتغزل بينات الملوك فألبسه حُلَّة مسمومة تقطع بها . وقال صاحب التواريخ ، إن الملك انتقل بعدهم إلى بني جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين ، واشتهر منهم قيس بن معديكرب بن جبلة ومنه الأعشى وابنته العمرّدة من مرّة الإنس ولها في قتال المسلمين أخبار في الردة ، وأسلم أخوها الأشعث ثم ارتد بعد الوفاة واعتصم بالحبر ، ففتحته جيش أبي بكر رضي الله عنه وجيء به إليه أسيراً فنّ عليه وزوجه أخته وخرج من نسله بنو الأشعث المذكورون في الدولة الأموية .

ومن بطون كِنْدَةَ السكون والسكاسك ، وللسكاسك بمحالات شرقي اليمن متميزة وهم معروفون بالسحر والكهانة ، ومنهم تَجِيبُ بطن كبير كان منهم بالأندلس بنو صُمَادِح وبنو ذي النون وبنو الأفضس من ملوك الطوائف . والله تعالى وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا ربّ غيره .

امرؤ القيس بن حجر — بن الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث الاصغر ابن معاوية بن الحارث الاكبر ابن معاوية بن كندة
 معد يكرب — شرحبيل —

الخبر عن أبناء جفنة ملوك غسان بالشام من هذه الطبقة وأوليتهم ودولهم وكيف انساق الملك اليهم ممن قبلهم

أول مُلْك كان للعرب بالشام فيما علمناه للعاقلة ، ثم لبني إرم بن سام ويعرفون بالأرمانيين . وقد ذكرنا خلاف الناس في العاقلة الذين كانوا بالشام هل هم من ولد عَمَلِيق بن لاوْذ بن سام أو من ولد عماليق بن أليفاز بن عيصو ، وأنَّ المشهور والمتعارف أنهم من عمليق بن لاوْذ . كان بنو إرم يومئذ باديةً في نواحي الشام والعراق ، وقد ذكروا في التوراة ، وكان لهم مع ملوك الطوائف حروب كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك كله من قبل ، وكان آخر هؤلاء العاقلة ملك السُمَيْدَع بن هوثر وهو الذي قتله يوشع بن نون حين تغلب بنو إسرائيل على الشام ، وبقي في عقبه ملك في بني الظرب بن حَسَّان من بني عاملة العاليق ، وكان آخرهم ملكا الزبّا بنت عمرو بن السُمَيْدَع . وكانت قُضاعة مجاورين لهم في ديارهم بالجزيرة وغلبوا العاقلة لما فشل ربحهم . فلما هلكت الزبّا وانقرض أمر بني الظرب بن حَسَّان ، مَلَكَ أمر العرب تنوخ من بطون قُضاعة ، وهم تنوخ بن مالك بن قَهْم بن تَيْم الله بن الأسود بن وَبَرَة بن تَغْلِب بن حُلوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة ، وقد تقدّم ذكر نزولهم بالحيرة والأنبار ومحاورتهم للأرمانيين . فملك من تنوخ ثلاثة ملوك فيما ذكر المسعودي : النعمان بن عمرو ، ثم ابنه عمرو بن النعمان ، ثم أخوه الحوار بن عمرو ، وكانوا مملكين من قبل الروم . ثم تلاشى أمر تنوخ واضمحَلَّ وغلبت عليهم سُلَيْح من بطون قُضاعة ، ثم الضجاعم منهم من ولد ضَجْعَم بن سعد بن سليح واسمه عمرو بن حُلوان بن عِمْران بن الحاف فتَنَصَّروا وملَكْتهم الروم على العرب وأقاموا على ذلك مدّة ، وكان نزولهم ببلاد مؤاب من أرض البلقاء . ويقال : إنَّ الذي وَلَّى سليح على نواحي الشام هو قيصر طيطش بن قيصر ماهان .

قال ابن سعيد : كان لبني سليح دولتان في بني ضجعم وبني العبيد ، فأما بنو ضجعم فملكوا إلى أن جاءهم غَسَّان فسلبوهم ملكهم ، وكان آخرهم زياد بن الهُبولة سار بمن أبقى السيف منهم إلى الحجاز فقتله والي الحجاز للتبابعة حجر آكل المرار . قال : ومن النسّابين من يطلق تنوخ على بني ضجعم ودوس الذين تنخوا بالبحرين أي أقاموا ، ثم

سار الضجاعم إلى برية الشام ودوس إلى برية العراق . قال : وأما بنو العبيد بن الأبرص بن عمرو بن أشجع بن سليح فتوارثوا الملك بالحضر الذي آثاره باقية في برية سنجار ، والمشهور منهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابور معروفة اهـ كلام ابن سعيد . ثم استحالت صبغة الرياسة عن العرب لحميم وصارت إلى كهلآن إلى بلاد الحجاز ، ولما فصلت الأزد من اليمن كان نزولهم ببلاد عك ما بين زيد وزمّع فحاربوهم وقتلوا ملك عك قتله ثعلبة بن عمرو مزيقيا . قال بعض أهل اليمن ، عك بن عدنان بن عبدالله بن أدد . قال الدارقطني : عك بن عبدالله بن عدنان بالثاء المثناة وضم العين ولا خلاف أنه بنونين كما لم يختلف في دوس بن عدنان قبيلة من الأزد أنه بالثاء المثناة . ثم نزلوا بالظهران وقتلوا جرهم بمكة ، ثم افترقوا في البلاد فترل بنو نصر بن الأزد الشراة وعُمان ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب وأقام بنو حارثة بن عمرو وبمر الظهران بمكة وهم يقال لهم خزاعة .

وقال المسعودي : سار عمرو مزيقيا حتى اذا كان الشراة بمكة أقام هنالك بنو نصر بن الأزد وعمران الكاهن ، وعدي بن حارثة بن عمرو بالأزد حتى نزلوا بين بلاد الأشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لها زبيد وزمّع فشربوا من ذلك الماء فسموا غسان ، وكانت بينهم وبين معد حروب إلى أن ظفرت بهم معد فأخرجوهم إلى الشراة وهو جبل الأزد الذين هم به وهم على تخوم الشام ما بينه وبين الجبال مما يلي أعمال دمشق والأردن .

قال ابن الكلبي : ولد عمرو بن عامر مزيقيا جفنة ومنه الملوك والحرث وهو مُحَرَّق أول من عاقب بالنار ، وثعلبة وهو العنقا ، وحارثة وأبا حارثة ومالك وكعباً ووداعة وهو في همدان وعوفا ودهل وائل ودفع ذهل إلى نجران ومنه أسقف عبيدة وذهلأ وقيسا درج هؤلاء الثلاثة وعمران بن عمرو فلم يشرب ابو حارثة ولا عمران ولا وائل ماء غسان فليس يقال لهم غسان . وبقي من أولاد مزيقيا ستة شربوا منه فهم غسان وهم : جفنة وحارثة وثعلبة ومالك وكعب وعوف ، ويقال إن ثعلبة وعوفا لم يشربا منه ، ولما نزلت غسان الشام جاوروا الضجاعم وقومهم من سليح ورئيس غسان يومئذ ثعلبة بن عمرو بن المحالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد ، ورئيس الضجاعم يومئذ داود اللثقي بن هبولة بن عمرو بن عوف بن

ضجعم . وكانت الضجاعم هؤلاء ملوكاً على العرب عمالاً للروم كما قلناه ، يجمعون من نزل بساحتهم لقيصر ، فغلبتهم غسان على ما بأيديهم من رياسة العرب لما كانت صِبْغَةَ رياستهم الحميرية قد استحالت وعادت إلى كهلان وبطونها وعرفت الرياسة منها باليمن قبل فصولهم ، وربما كانوا أولى عِدَّة وقوَّة ، وإنَّا العزة للكاثر *
وكانت غسان لأوّل نزولها بالشام طالبا ملوك الضجاعم بالأتاوة فانعتهم غسان فاقتتلوا فكانت الدائرة على غسان ، وأقرّت بالصغار وأدت الأتاوة حتى نشأ جذع بن عمرو^(١) بن المحالد بن الحرث بن عمرو بن المحالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد ، ورجال سليح من ولد رئيسهم داود اللثقي وهو سبطه بن المنذر بن داود ويقال بل قتلة . فالتقوا فغلبتهم غسان وأقادتهم وتفرّدوا بملك الشام وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس ، فخاف ملك الروم أن يعينوا عليه فارساً ، فكتب إليهم واستدناهم ورئيسهم يومئذ ثعلبة بن عمرو أخو جذع بن عمرو ، وكتبوا بينهم الكتاب على أنه إن دهمهم أمر من العرب أمدهم بأربعين ألفاً من الروم وإن دهمه أمر أمده غسان بعشرين ألفاً ، وثبت ملكهم على ذلك وتوارثوه . أوّل من ملك منهم ثعلبة بن عمرو فلم يزل ملكها إلى أن هلك وولي مكانه منهم ثعلبة بن عمرو مزريقاً .

قال الجرجاني : وبعد ثعلبة بن عمرو ابنه الحرث بن ثعلبة يقال إنّه ابن مارية ، ثم بعده ابنه المنذر بن الحرث ، ثم ابنه النعمان بن المنذر بن الحرث ، ثم أبو بشر بن الحرث بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، هكذا نسب بعض النسّاب ، والصحيح أنه ابن عوف بن الحرث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن ، ثم الحرث الأعرج ابن أبي شمر ، ثم عمرو بن الحرث الأعرج ، ثم المنذر بن الحرث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحرث بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبلة .

وقال المسعودي : أوّل من ملك منهم الحرث بن عمرو مزريقاً ، ثم بعده الحرث بن ثعلبة بن جفنة وهو ابن مارية ذات القرطين ، وبعده النعمان بن الحرث بن جفنة بن الحرث ، ثم أبو شمر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن الحارث ، ثم ملك بعده أخوه المنذر بن الحارث ، ثم أخوه جبلة بن الحارث ، ثم بعده عوف بن أبي شمر ، ثم

(١) انظر بمجم الامثال في قوله خذ من جذع ما أعطاك اهـ .

بعده الحارث بن أبي شمر وعلى عهده كانت البعثة وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم فيمن كتب إليه من ملوك تهامة والحجاز واليمن وبعث إليه شجاع بن وهب الأسدي يدعوهُ إلى الإسلام ويرغبه في الدين كذا عند ابن اسحق . وكان النعمان بن المنذر على عهد الحارث بن أبي شمر هذا وكانا يتنازعا في الرياسة ومذاهب المدح ، وكانت شعراء العرب تفد عليهما مثل الأعشى وحسان بن ثابت وغيرهما .
(ومن شعر حسان) رضي الله تعالى عنه في مدح أبناء جفنة :

لله دُرٌّ عِصَابَةٌ نَبَا دَمْتُهُمْ يوماً بِجَلَقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةِ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يَغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
ثم ملك بعد الحارث بن أبي شمر ابنه النعمان ، ثم ملك بعده جبلة بن الأيهم بن جبلة ، وجبلة جدّه هو الذي ملك بعد أخويه شمر والمنذر .

وقال ابن سعيد : أول من ملك من غسان بالشام وأذهب ملك الضجاعم جفنة بن مزريقا . ونقل عن صاحب تواريخ الأمم : لما ملك جفنة بنى جلق وهي دمشق وملك خمسا وأربعين سنة ، واتصل الملك في بنيه إلى أن كان منهم الحارث الأعرج ابن أبي شمر وأمه مارية ذات القرطين من بني جفنة بنت الهانيء المذكورة في شعر حسان بأرض البلقاء ومعان . قال ابن قتيبة : وهو الذي سار إليه المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة في مائة ألف ، فبعث إليه الحارث مائة من قبائل العرب فيهم ليبد الشاعر وهو غلام ، فأظهروا أنهم رسل في الصلح حتى إذا أحاطوا برواق المنذر فتكوا به وقتلوا جميع من كان معه في الرواق وركبوا خيولهم ، ففهم من نجا ومنهم من قتل . وحملت غسان على عسكر المنذر وقد اختلطوا فهزموهم ، وكانت حليلة بنت الحارث تحرض الناس وهم منهزمون على القتال فسمي يوم حليلة ^(١) ، ويقال إن النجوم ظهرت فيه بالنهار من كثرة العجاج . ثم توالى الملك في ولد الحارث الأعرج إلى أن ملك منهم جفنة بن المنذر بن الحارث الأعرج وهو مُحَرِّقٌ لأنه حرق الحيرة دار ملك آل النعمان ، وكان جوالاً في الآفاق وملك ثلاثين سنة . ثم كان ثالثه في الملك النعمان

(١) جاء في «أيام العرب» أن غسان أوشكت على الهزيمة فخرجت حليلة بالعطير على الجنود واخذت ترشهم به وتحرضهم على قتل المنذر ، وتعد القاتل بأنها ستزوجها فبعث ذلك الحماسة في القلوب ، واندفعت غسان في القتال حتى تغلبت على المناذرة .

بن عمرو بن المنذر الذي بنى قصر السويداء وقصر حارث عند صيدا وهو مذكور في شعر النابغة^(١) ولم يكن أبوه ملكا وإنما كان يغزو بالجيوش^(٢)، ثم ملك جبلة بن النعمان وكان منزله بصفين وهو صاحب عين أباغ يوم كانت له الهزيمة فيه على المنذر بن المنذر ابن ماء السماء وقتل المنذر في ذلك اليوم ، ثم اتصل الملك في تسعة منهم بعده وكان العاشر أبو كرب النعمان بن الحارث الذي رثاه النابغة وكان منزله بالجولان من جهة دمشق ، ثم ملك الأيهم بن جبلة بن الحارث وكان له رأي في الإفساد بين القبائل حتى أفنى بعضهم بعضا فعل ذلك بيني جسر وعاملة وغيرهم وكان منزله بتدمر وملك بعده منهم خمسة ، فكان السادس منهم إبنه جبلة بن الأيهم وهو آخر ملوكهم أه . كلام ابن سعيد .

واستفحل ملك جبلة هذا وجاء الله بالإسلام وهو على ملكه ، ولما افتتح المسلمون الشام أسلم جبلة وهاجر إلى المدينة ، واستشرف أهل المدينة لمقدمه حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيته لكرم وفادته ، وأحسن عمر رضي الله عنه نزله وأكرم وفادته وأجله بأرفع رتب المهاجرين ، ثم غلب عليه الشقاء ولطم رجلاً من المسلمين من فزارة وطبيء فضل إزاره وهو يسحبه في الأرض ، وناذره إلى عمر رضي الله عنه في القصاص فأخذته العزة بالإثم ، فقال له عمر رضي الله عنه : لا بد أن أقيده منك ، فقال له : اذن أرجع عن دينكم هذا الذي يقاد فيه للسوقة من الملوك ، فقال له عمر رضي الله عنه : اذن أضرب عنقك ، فقال أمهلني الليلة حتى أرى رأيي ، واحتمل رواحله وأسرى فتجاوز الدروب إلى قيصر ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة . وفيما تذكره الثقات أنه ندم ولم يزل باكيا على فعلته تلك وكان فيما يقال يبعث بالجوائز إلى حسان بن ثابت لما كان منه في مدح قومه ومدحه في الجاهلية . وعند ابن هشام أن شجاع بن وهب إنما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة .

قال المسعودي : جميع ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً وقال : إن النعمان والمنذر إخوة جبلة وأبي شمر وكلهم بنو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة ملكوا كلهم .

(١) وفي أبيات النابغة وردت حارب لا حارث حيث يقول :
لئن كـ____ان للقصرين : قصر يخلق وقصر بصيداء الذي عند حارب
(٢) وفي نسخة ثانية : الجيش .

قال : وقد ملك الروم على الشام من غير آل جفنة مثل : الحارث الأعرج وهو أبو
شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف وعوف هذا جد ثعلبة بن عامر قاتل داود اللثقي ،
وملكوا عليهم أيضا أبا جبيلة بن عبدالله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب
بن جشم بن الخزرج بن ثعلبة بن مزريقيا وهو أبو جبيلة الذي استصرخه مالك بن
العجلان على يهود يثرب حسبا نذكر بعد .

وقال ابن سعيد عن صاحب تواريخ الأمم : إن جميع ملوك بني جفنة إثنان وثلاثون
ومدتهم ستمائة سنة ، ولم يبق لغسان بالشام قائمة ، وورث أرضهم بها قبيلة طيء .
قال ابن سعيد : وأمرؤهم بنو مبرا وأما الآن فأمرؤهم بنو مهنا وهما معا لربيعة بن عليّ
ابن مفرج بن بدر بن سالم بن عليّ بن سالم بن قصة بن بدر بن سميع . وقامت غسان
بعد منصرفها من الشام بأرض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة ، فتجهزوا
إلى جبل شركس ، وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذي يمدّه خليج
القسطنطينية ، وفي هذا الجبل باب الأبواب وفيه من شعوب الترك المنتصرة الشركس
وأركس واللاص وكسا ومعهم أخلاط من الفرس ويونان ، والشركس غالبون على
جميعهم ، فانحازت قبائل غسان إلى هذا الجبل عند انقراض القياصرة والروم وتحالفوا
معهم واختلطوا بهم ودخلت أنساب بعضهم في بعض ، حتى ليزعم كثير من
الشركس أنهم من نسب غسان . والله حكمة بالغة في خلقه والله وارث الأرض ومن
عليها وهو خير الوارثين لا انقضاء للملكه ولا ربّ غيره .

النعمان

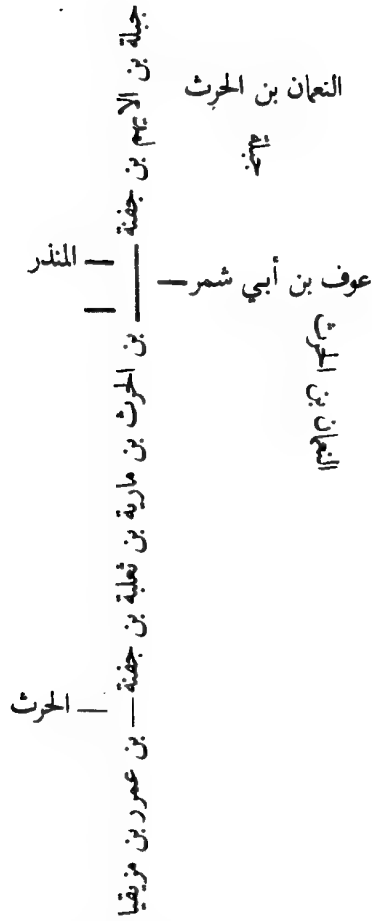
جبله بن الایم بن جبله — بن الحرث بن جبله — بن ماریه — بن الحرث بن ثعلبه — بن عمرو بن جفنه بن عمرو بن مزینقا

المنذر بن الحرث بن أبي شمر

بن ماریه

أول من ولي منهم ثعلبه بن عمرو بن جفنه وهو أخو جذع بن عمرو
ثعلبه بن عمرو بن الجالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن
بن الأزد

(هكذا ترتيب أنسابهم وترتيب ملوكهم عند الجرجاني)



هكذا أنسابهم وترتيبهم عند المسعودي رحمه الله

هكذا انسابهم وترتيبهم عند ابن سعد رحمه الله

جيلة

بن

الايهم

سادس بعد الايهم

بن

جيلة

أبو كرب النعمان —

بن

الحارث

— قتل المنذر بن المنذر

بن

النعمان

جيلة —

جفة —

جفة الثالث —

بن

عمرو

بن

المنذر

بن

الحارث

الاعرج أمه مارية ذات القرطين منهم وسار اليه المنذر بن ماء السماء ولم يكن ملكا وانما كان قائدا فقتل يوم حليمة

بن

أبي

شمر

بن

جيلة

بن

الحارث

بن

ثعلبة

بن

عمرو

بن

جيفة

بن

مزريقا

الخبر عن الاوس والخزرج أبناء قيلة من هذه الطبقة ملوك
يثر ب دار الهجرة وذكر أوليتهم والالمام بشأن نصرتهم وكيف
انقراض أمرهم

قد ذكرنا فيما تقدم شأن يَثْرِبَ وأنها من بناء يثر ب بن فانية بن مهلهل بن إرم بن عَيْل
ابن عوص وعييل أخو عاد . وفيما ذكر السهيلي : أن يثر ب بن قائد بن عييل بن
مَهْلِيل بن عوص بن عمليق بن لاوذ بن إرم ، وهذا أصح وأوجه . وقد ذكرنا
كيف صار أمر هؤلاء لآخوانهم جاسم من الأُمم العالقة وأن ملكهم كان يسمّى الأَرْقَم
وكيف تغلب بنو إسرائيل عليه وقتلوه وملكوا الحجاز دونه كله من أيدي العالقة ،
ويظهر من ذلك أن الحجاز لعهدهم كان أهلاً بالعمران وجميع مياهه ، يشهد
بذلك أن داود عليه السلام لما خلع بنو إسرائيل طاعته وخرجوا عليه بابنه أَشْبُوشَ
فر مع سَيْطَ يهوذا إلى خَيْبَر وملك ابنه الشام وأقام هو وسبط يهوذا بخير سبع سنين
في ملكه ، حتى قتل ابنه وعاد إلى الشام . فيظهر من هذا أن عمران كان متصلاً
بيثر ب ويجاوزها إلى خيبر . وقد ذكرنا هنالك كيف أقام من بني إسرائيل من أقام
بالحجاز وكيف تبعهم يهود خيبر وبنو قُرَيْظَةَ .

قال المسعودي : وكانت الحجاز إذ ذاك أَشْجَر بلاد الله وأكثرها ماءً فترلوا بلاد يثر ب
واتخذوا بها الأموال وبنوا الآطام^(١) والمنازل في كل موطن ، وملكوا أمر أنفسهم ،
وانضاف إليهم قبائل من العرب نزلوا معهم واتخذوا الأُطَمَ والبيوت وأمرهم راجع إلى
ملوك المقدس من عَقَب سليمان عليه السلام . قال شاعر بني نعيم :

ولو نطقت يوماً قِباءٌ لخبرتُ بأننا نزلنا قبل عادٍ وتُبَعِ
وآطامُنَا عاديةٌ مشمخةٌ تلوحُ فتنعى من يُعادي وِمنعِ
فلما خرج مزيقيا من اليمن وملك غسان بالشام ثم هلك ، وملك ابنه ثعلبة العنقاء ثم
هلك ثعلبة العنقاء ، وولي أمرهم بعد ثعلبة عمرو ابن أخيه جفنة سخط مكانه ابنه
حارثة فأجمع الرحلة إلى يثر ب ، وأقام بنو جفنة بن عمرو ومن انضاف إليهم بالشام ،
ونزل حارثة يثر ب على يهود خيبر وسألهم الحلف والجوار على الأمان والمنعة فأعطوه من

(١) الآطام : ج أطم وهي القلعة .

ذلك ما سأل . قال ابن سعيد : وملك اليمن يومئذ شَرِيبُ بن كعب فكانوا باديةً لهم إلى أن انعكس الأمر بالكثرة والغلبة .

ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني قال : بنو قريظة وبنو النضير الكاهنان من وُلِدِ الكوهن بن هرون عليه السلام ، كانوا بنواحي يثرب بعد موسى عليه السلام وقبل تفرق الأزد من اليمن بسيل العرم ونزول الأوس والخزرج يثرب وذلك بعد الفجار . ونقل ذلك عن علي بن سليمان الأخفش بسنده إلى العماري قال : ساكنوا المدينة العاليق وكانوا أهل عدوان وبغي ، وتفرقوا في البلاد ، وكان بالمدينة منهم بنو نعيم وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو نظرون ، وملك الحجاز منهم الأرقم ما بين تيماء إلى فدك وكانوا ملوك المدينة ولهم بها نخل وزرع ، وكان موسى عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابة يغزوهم ، وبعث إلى العالقة جيشاً من بني إسرائيل وأمرهم أن لا يستبقوا أحداً فأبقوا ابناً للأرقم ضنوا به على القتل ، فلما رجعوا بعد وفاة موسى عليه السلام وأخبروا بني إسرائيل بشأنه فقالوا هذه معصية لا تدخلوا علينا الشام ، فرجعوا إلى بلاد العالقة ونزلوا المدينة وكان هذا أولية سكنى اليهود يثرب . وانتشروا في نواحيها واتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع ولبثوا زماناً ، وظهر الروم على بني إسرائيل بالشام وقتلوهم وسبوا ، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو يهدل هاربين إلى الحجاز وتبعهم الروم فهلكوا عطشاً في المفازة بين الشام والحجاز . وسُمِّيَ الموضع ثمر الروم . ولما قدم هؤلاء الثلاثة المدينة نزلوا العالية فوجدوها واية^(١) وارتادوا . ونزل بنو النضير مما يلي البهجان ، وبنو قريظة وبنو يهدل على نهروز . وكان ممن سكن المدينة من اليهود حين نزلها الأوس والخزرج بنو الشقمة . وبنو ثعلبة وبنو زرة وبنو قينقاع وبنو يزيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو يهدل وبنو عوف وبنو عصص ، وكان بنو يزيد من بلي وبنو نعيم من بلي وبنو الشقمة من غسان . وكان يقال لبني قريظة وبني النضير الكاهنان كما مر . فلما كان سيل العرم وخرجت الأزد نزلت أزدشنوة الشام بالسراة وخزاعة بطوي ، ونزلت غسان بصرى^(٢) وأرض الشام ، ونزلت أزد عمان الطائف ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب نزلوا في ضرار بعضهم بالضاحية وبعضهم بالقرى مع أهلها ، ولم يكونوا أهل نعمٍ وشاءٍ لأن المدينة كانت ليست بلاد مرعى ، ولا نخل

(١) اي وجدوها موبوءة ، نزل بها الوباء .

(٢) وتعرف ببصرى الشام .

لهم ولا زرع إلا الأعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من الموات والأموال لليهود فلبثوا
 حيناً . ثم وفد مالك بن عجلان إلى أبي جُبَيْلَةَ الغَسَّانِي وهو يومئذ ملك غَسَّان فسأله
 فأخبره عن ضيق معاشهم ، فقال : ما بالكم لم تغلبوهم حين غلبنا أهل بلدنا ؟
 ووعدته أنه يسير إليهم فينصرهم ، فرجع مالك وأخبرهم أن الملك آبا جُبَيْلَةَ يزورهم
 فأعدوا له نُزْلاً فأقبل ونزل بذِي حَرَضٍ ، وبعث إلى الأوس والخزرج بقدميه ،
 وخشي أن يَتَحَصَّنَ منه اليهود في الآطام فاتخذ حائراً وبعث إليهم فجاءوه في خواصهم
 وحشمهم ، وأذن لهم في دخول الحائر وأمر جنوده فقتلهم رجلاً رجلاً إلى أن أتوا
 عليهم ، وقال للأوس والخزرج : إن لم تغلبوا على البلاد بعد قتل هؤلاء فلأحرقنكم
 ورجع إلى الشام فأقاموا في عداوة مع اليهود . ثم أجمع مالك بن العجلان وصنع لهم
 طعاماً ودعاهم فامتنعوا لغدرة أبي جُبَيْلَةَ ، فاعتذر لهم مالك عنها وأنه لا يقصد نحو
 ذلك فأجابوه وجاءوا إليه فغدرهم وقتل منهم سبعة وثمانين من رؤسائهم ، وفطن
 الباقيون فرجعوا وصوّرت اليهود بالحجاز مالك بن العجلان في كنائسهم وبيعهم وكانوا
 يلعنونه كلما دخلوا . ولما قتلهم مالك ذلّوا وخافوا وتركوا مشي بعضهم إلى بعض في
 الفتنة كما كانوا يفعلون من قبل ، وكان كل قوم من اليهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس
 والخزرج يستنصرون بهم ويكونون لهم أحلفاء اهـ كلام الأغاني .
 وكان لحارثة بن ثعلبة ولدان أحدهما أوس والآخر خزرج ، وأمها قيلة بنت الأرقم بن
 عمرو بن جفنة وقيل بنت كاهن بن عذرة من قُضَاعَةَ ، فأقاموا كذلك زماناً حتى
 أثروا وامتنعوا في جانبهم وكثر نسلهم وشعوبهم ، فكان بنو الأوس كلهم لمالك بن
 الأوس منهم خطمة بن جشم بن مالك وثلعة ولوذان وعوف كلهم بنو عمرو بن عوف
 بن مالك ، ومن بني عوف بن عمرو حنش ومالك وكلفة كلهم بنو عوف ، ومن
 مالك بن عوف معاوية وزيد . فن زيد عُيَيْدٌ وَضُبَيْعَةُ وَأُمَيَّةٌ ومن كلفة بن عوف
 جحججاً بن كلفة ومن مالك بن الأوس أيضاً الحارث وكعب ابنا الخزرج بن عمرو
 ابن مالك ، فن كعب بنو ظفر ومن الحارث بن الخزرج حارثة وجشم ، ومن جشم
 بنو عبد الأشهل ، ومن مالك بن الأوس أيضاً بنو سعد وبنو عامر ابنا مرة بن مالك
 فبنوا سعد الجعادرة ، ومن بني عامر عطية وأمّية ووائل كلهم بنو زيد بن قيس بن
 عامر ، ومن مالك بن الأوس أيضاً أسلم وواقف بنو امرئ القيس بن مالك فهذه
 بطون الأوس .

وأما الخزرج فخمسة بطون من كعب وعمرو وعوف وجشم والحارث ، فن كعب بن الخزرج بنو ساعدة بن كعب ، ومن عمرو بن الخزرج بنو النجّار وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو وهم شعوب كثيرة : بنو مالك وبنو عديّ وبنو مازن وبنو دينار كلهم بنو النجّار ، ومن مالك بن النجّار مبدؤل واسمه عامر وغانم وعمرو ، ومن عمرو عديّ ماوية ، ومن عوف بن الخزرج بنو سالم والقواقل وهما عوف بن عمرو بن عوف . والقواقل ثعلبة ومريضخة بنو قوقل بن عوف ، ومن سالم بن عوف بنو العجلان بن زيد بن عصم بن سالم وبنو سالم بن عوف ، ومن جشم بن الخزرج بنو غضب بن جشم وتريد بن جشم ، فن غضب بن جشم بنو بياضة وبنو زريق إينا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ، ومن ترديد بن جشم بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن ترديد ، ومن الحارث بن الخزرج بنو خدرة وبنو حرام إينا عوف بن الحارث بن الخزرج . فهذه بطون الخزرج .

فلما انتشر يثرب هذان الحَيّان من الأوس والخزرج وكثروا يهود ، خافوهم على أنفسهم ، فنقضوا الحلف الذي عقده لهم وكان العزة يومئذ يثرب لليهود ، قال قيس بن الخطيم :

كُنّا إذا ربنا قومٌ بمظلمةٍ شدّت لنا الكاهنان الخيل واعتزموا
بنو الرهون وواسونا بأنفسهم بنو الصريخ فقد عفّوا وقد كرموا
ثم نتج فيهم بعد حين مالك بن العجلان وقد ذكر نسب العجلان ، فعظم شأن مالك وسوّده الحَيّان ، فلما نقض يهود الحلف واقعهم وأصاب منهم ولحق بأبي جُبيلة ملك غَسّان بالشام وقيل بعث إليه الرنق بن زيد بن امرئ القيس فقدم عليه فأنشده :

أقسمتُ أُطعمُ من رزقي قطرةً حتى تكثّر للنجاة رحيلُ
حتى ألاقي معشراً أتى لهم خيلٌ ومالهم لنا مبدؤلُ
أرضُ لنا تدعى قبائل سالمٍ ويحبُّ فيها مالكٌ وسلولُ
قومٌ أولو عزٍّ وعزّةٍ غيرهم إن الغريبَ ولو يعزّ ذليلُ
فأعجبه وخرج في نصرتهم . وأبو جُبيلة هو ابن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، كان حبيب بن عبد حارثة وأخوه غانم إينا بلحشي ساروا مع غَسّان إلى الشام وفارقوا الخزرج . ولما خرج أبو جُبيلة إلى يثرب

لنصرة الأوس والخزرج لقيه أبناء قيلة وأخبروه أن يهود علموا بقصده فتحصّنوا في أطامهم فوري^(١) عن قصده باليمن ، وخرجوا إليه فدعاهم إلى صنع أعده لرؤسائهم ثم استلحمهم ، فغزت الأوس والخزرج من يومئذ وتفرّقوا في عالية يثرب وسافلتها يتبوّءون منها حيث شاؤا ، وملكّت أمرها على يهود ، فذلت اليهود وقلّ عددهم وعلت قدم أبناء قيلة عليهم ، فلم يكن لهم امتناع إلّا بمحصونهم وتفرّقهم أحزاباً على الحيين إذا اشتجرا .

وفي كتاب ابن اسحق : إنّ تبعاً أبا كَرَب غزا المشرق فمرّ بالمدينة وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة ، فلما رجع أجمع على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له هذا الحلي من الأنصار ورئيسهم عمرو بن ظُلة ، وظلة أمّه وأبوه معاوية بن عمرو . قال ابن اسحق : وقد كان رجل من بني عديّ بن النجّار ويقال له أحمر نزل بهم تُبَع ، وقال : إنّما التمر لن أبره . فزاد ذلك تُبَعاً حنفاً عليهم فاقتتلوا . وقال ابن قتيبة في هذه الحكاية إنّ الذي عدا على التُّبَعي هو مالك بن العجلان ، وأنكره السهيلي ، وفرّق بين القستين بأنّ عمرو بن ظلة كان لعهد تُبَع ومالك بن العجلان لعهد أبي جُبيلة واستبعد ما بين الزمانين . ولم يزل هذان الحيان قد غلبوا اليهود على يثرب . وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك ، ويدخل في حلفهم من جاورهم من قبائل مُضَر وكانت قد تكون بينهم في الحيين فِتْنٌ وحروبٌ ويستصرخ كل بمن دخل في حلفه من العرب ويهود .

قال ابن سعيد : ورحل عمرو بن الإطنابة من الخزرج إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة فملكه على الحيرة ، واتصلت الرياسة في الخزرج والحرب بينهم وبين الأوس ، ومن أشهر الوقائع التي كانت بينهم يوم بُعث قبل المبعث ، كان على الخزرج فيه عمرو بن النعمان بن صلاة بن عمرو بن أمية بن عامر بن يياضة ، وكان على الأوس يومئذ حضيرُ الكتائب ابن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل . وكان حلفاء الخزرج يومئذ أشجّ من غطفان وجهينة من قضاة ، وحلفاء الأوس مزينة من أحياء طلحة بن إلياس وقريظة والنضير من يهود ، وكان الغلب صدر النهار للخزرج ثم نزل حضيرٌ وحلف لا أركب أو أقتل ، فتراجعت الأوس وحلفاؤها وانهمز الخزرج ، وقتل عمرو بن النعمان رئيسهم . وكان آخر الأيام بينهم ،

(١) أي أخفى قصده .

وصبحهم الإسلام وقد سثموا الحرب وكرهوا الفتنة ، فأجمعوا على أن يتوجوا عبد الله ابن أبي بن سلول . ثم اجتمع أهل العقبة منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعاهم إلى نصرته الإسلام ، فجاءوا إلى قومهم بالخبر كما نذكر وأجابوا واجتمعوا على نصرته ، ورئيس الخزرج سعد بن عبادة والأوس سعد بن معاذ . قالت عائشة : كان يوم بُعث يوماً قدّمه الله لرسوله ، ولما بلغهم خبر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وما جاء به من الدين وكيف أعرض قومه عنه وكذبوه وآذوه وكان بينهم وبين قریش إخوان قديم وصهر ، فبعث أبو قيس بن الأسلت من بني مرة بن مالك بن الأوس ثم من بني وائل منهم وإسمه صيفي بن عامر بن شحم بن وائل وكان يحبهم لمكان صهره فيهم ، فكتب إليهم قصيدة يعظم لهم فيها الحرمه ويذكر فضلهم وحلمهم وينهاهم عن الحرب ، ويأمرهم بالكفّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بما رفع الله عنهم من أمر الفيل وأولها :

أيا راكباً إمّا عرضت فبلغن مقالة أوسيّ لؤيّ بن غالب
تناهز خمساً وثلاثين بيتاً ذكرها ابن اسحق في كتاب السير ، فكان ذلك أول ما ألقيح بينهم من الخير والإيمان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ينس من إسلام قومه يعرض نفسه على وفود العرب وحجاجهم أيام الموسم أن يقوموا بدين الإسلام وينصره حتى يبلغ ما جاء به من عند الله وقریش يصدّونهم عنه ويرمونهم بالجنون والشعر والسحر كما نطق به القرآن ، وبينما هو في بعض المواسم عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج ست نفر إثنان من بني غانم بن مالك وهما : أسعد بن زرارّة بن عديّ بن عبيد الله بن ثعلبة بن غانم ابن عوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غانم وهو ابن عفراء ، ومن بني زريق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، ومن بني غانم بن كعب بن سلمة بن سعد بن عبد الله بن عمرو بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث ابن حرام بن كعب بن غانم كعب بن رثاب بن غانم وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غانم بن سواد بن غانم وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب ابن غانم . فلما لقيهم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ! قال : أمين موالى يهود ؟ قالوا : نعم ! فقال : ألا تجلسون أكلمكم ؟ فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله إنه

النبي الذي تعدكم يهوديه فلا يَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ وَصَدَّقُوهُ وَأَمَنُوا بِهِ وَأَرْجَأُوا الْأَمْرَ فِي نَصْرَتِهِ إِلَى لِقَاءِ قَوْمِهِمْ ، وَقَدَمُوا الْمَدِينَةَ فَذَكَرُوا لِقَوْمِهِمْ شَأْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَفَشَا فِيهِمْ فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ وَافَى الْمَوْسِمَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ اثْنَا عَشَرَ مِنْهُمْ فَوَافُوهُ بِالْعَقْبَةِ وَهِيَ الْعَقْبَةُ الْأُولَى ، وَهُمْ : أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَعُوفُ بْنُ الْحَرْثِ وَأَخُوهُ مُعَاذُ ابْنِ عَفْرَاءَ ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ ، ابْنُ الْعَجْلَانِ ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مِنَ السَّيِّدَةِ الْأُولَى ، وَسِتَّةٌ آخَرُونَ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي غَانِمٍ بَنِ عَوْفٍ مِنَ الْقَوَاقِلِ : مِنْهُمْ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بَنِ قَيْسٍ بَنِ أَصْرَمَ بَنِ فِهْرٍ بَنِ ثَعْلَبَةَ بَنِ غَانِمٍ ، وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ ذَكَوَانُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ بَنِ خُلْدَةَ بَنِ مُخَلَّدٍ بَنِ عَامِرٍ بَنِ زُرَيْقٍ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عِبَادَةَ بَنِ نَضْلَةَ بَنِ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ ، هَؤُلَاءِ التَّسْعَةُ مِنَ الْخَزْرَجِ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَنِ زَيْدٍ بَنِ ثَعْلَبَةَ بَنِ خَزِيمَةَ بَنِ أَصْرَمَ بَنِ عَمْرِو بْنِ عِمَارَةَ مِنْ بَنِي عَصِيَّةَ مِنْ بَلِيٍّ إِحْدَى بَطُونِ قُضَاعَةَ حَلِيفٍ لَهُمْ ، وَمِنْ الْأَوْسِ رَجُلَانِ الْهَيْثَمُ بْنُ التَّيْهَانِ وَإِسْمُهُ مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ بَنِ مَالِكِ بْنِ عَتِيكَ بَنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بَنِ زَيْدٍ بَنِ عَبْدِ الْأَشْهَرِ وَعُورِيمُ بْنُ سَاعِدَةَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ . فَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ بِيَعَةِ النِّسَاءِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِضَ الْحَرْبَ ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ حِينَئِذٍ لَمْ يَأْمُرْ بِالْجِهَادِ وَكَانَتِ الْبَيْعَةُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَطْ ، كَمَا وَقَعَ فِي بَيْعَةِ النِّسَاءِ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ الْآيَةَ ، وَقَالَ لَهُمْ : فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَخَذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كُفَّارَةٌ لَهُ ، وَإِنْ سَتَرْتُمْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ . وَبَعَثَ مَعَهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ بَنِ هَاشِمٍ بَنِ عَبْدِ مَنَافٍ بَنِ عَبْدِ الدَّارِ بَنِ قُصَيٍّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْلَمُهُمُ الْإِسْلَامَ وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ ، فَكَانَ يَصَلِّيَ بِهِمْ ، وَكَانَ مَنَزَلُهُ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ .

وَغَلِبَ الْإِسْلَامُ فِي الْخَزْرَجِ وَفَشَا فِيهِمْ وَبَلَغَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَجَمَعُوا ، ثُمَّ أَسْلَمَ مِنَ الْأَوْسِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بَنِ النَّعْمَانِ بَنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بَنِ زَيْدٍ بَنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَابْنُ عَمِّهِ أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ الْكَتَّابُ وَهُمَا سَيِّدَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، وَأَوْعَبُ الْإِسْلَامِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ مِنَ الْأَوْسِ مَا عَدَا بَنِي أُمَيَّةَ بَنِ زَيْدٍ وَخَطْمَةَ وَوَائِلَ وَوَأَقْفَ وَهِيَ أَوْسُ أُمِّهِ مِنَ الْأَوْسِ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ ، وَوَقَفَ بِهِمْ عَنْ الْإِسْلَامِ أَبُو قَيْسٍ بَنِ الْأَسْلَتِ يَرَى رَأْيَهُ حَتَّى مَضَى صَدْرُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ

دور أبناء قيلة إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

ثم رجع مصعب إلى مكة ، وقدم المسلمون من أهل المدينة معه فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق فبايعوه ، وكانوا ثلثمائة وسبعين رجلا وامرأتين ، بايعوه على الإسلام وأن يمنعوه ممن أرادوه بسوء ولو كان دون ذلك القتل ، وأخذ عليهم النقباء اثني عشر تسعة من الخزرج وثلثائة من الأوس . وأسلم ليلتذ عبد الله بن عمرو بن حرام وأبو جابر بن عبد الله ، وكان أول من بايع البراء بن معرور من بني تريد بن جشم من الخزرج . وصرخ الشيطان بمكانهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنطست ^(١) قريش الخبر فوجدوه قد كان فخرجوا في طلب القوم ، وأدركوا سعد بن عبادة وأخذوه وربطوه حتى أطلقه جُبَيْر بن مُطْعَم بن عديّ ابن نوفل والحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس لجوار كان له عليهما بيلده . فلما قدم المسلمون المدينة أظهروا الإسلام ثم كانت بيعة الحرب حتى أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال ، فبايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرت عليهم ، وأن لا ينازعوا الأمر أهله وأن يقوموا بالحق أينما كانوا ولا يخافوا في الله لومة لائم . ولما تمت بيعة العقبة وأذن الله لنبيه في الحرب أمر المهاجرين الذين كانوا يُؤذَنُ بمكة أن يلحقوا بإخوانهم من الأنصار بالمدينة ، فخرجوا أرسالاً وأقام هو بمكة ينتظر الإذن في الهجرة فهاجر من المسلمين كثيرٌ سمّاهم ابن اسحق وغيره .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيمن هاجر هو وأخوه زيد وطلحة بن عبيد الله وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأنيسة وأبو كبشة موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان بن عفان رضي الله عنهم . ثم أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فهاجر وصحبه أبو بكر رضي الله عنه ، فقدم المدينة ونزل في الأوس على كلثوم بن مُطْعَم بن امرئ القيس بن الحرث بن زيد بن عبيد بن مالك بن عوف . وسيد الخزرج يومئذ عبد الله بن أبي ابن سلول وأبيّ هو ابن مالك بن الحرث بن عبيد وإسم أم عبيد سلول وعبيد هو ابن مالك بن سالم بن غانم بن عوف بن غانم بن مالك بن النجار ، وقد نظموا له الخرز ليملكوه على الحيين ، فغلب على أمره واجتمعت أبناء قيلة كلهم على الإسلام ، فضغن لذلك لكنه أظهر أن يكون له إسم منه ، فأعطى الصفقة وطوى على النفاق

(١) تنطست : أي تجسست عن الاخبار وبحث عنها . (قاموس) .

كما يذكر بعد . وسيد الأوس يومئذ أبو عامر بن عبد عمرو بن صيفي بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد ، فخرج إلى مكة هارباً من الإسلام حين رأى اجتماع قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغضاً في الدين ، ولما فتحت مكة قرأ إلى الطائف ، ولما فتح الطائف قرأ إلى الشام فمات هنالك .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب الأنصاري حتى ابنتى مساكنه ومسجده ثم انتقل إلى بيته . وتلاحق به المهاجرون واستوعب الإسلام سائر الأوس والخزرج وسموا الأنصار يومئذ بما نصرُوا من دينه ، وخطبهم النبي صلى الله عليه وسلم وذكّرهم وكتب بين المهاجرين والأنصار كتاباً وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم شرط لهم كما يفيد كتاب ابن اسحق فليُنظر هنالك .

ثم كانت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قومه فغزاهم وغزوه وكانت حروبهم سجلاً ، ثم كان الظهور والظفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم آخرًا كما نذكر في سيرته صلى الله عليه وسلم ، وصبر الأنصار في المواطن كلها واستشهد من أشرافهم ورجالاتهم كثير هلكوا في سبيل الله وجهاد عدوّه . ونقض أثناء ذلك اليهود الذين يثرب على المهاجرين والأنصار ما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرًا عليه ، فأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيهم وحاصرهم طائفة بعد أخرى ، وأمّا بنو قينقاع فإنهم ثاوروا مع المسلمين بسيفهم وقتلوا مسلماً ، وأمّا بنو النضير وقريظة فمنهم من قتله الله وأجلّاه ، وأمّا بنو النضير فكان من شأنهم بعد أخذو بعد بئر معونة جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية العائرين اللذين قتلها عمرو بن أمية من القرى ، ولم يكن علم بعقدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسباً نذكره ، فهَمّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءهم لذلك خديعة منهم ومكرًا ، فحاصرهم حتى نزلوا على الجلاء وأن يحملوا ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(١) وافترقوا في خير وبني قريظة .

وأمّا بنو قريظة فظاهروا قريشاً في غزوة الخندق فلما فرج الله كما نذكره حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه وكلمته وشفع الأوس فيهم ، وقالوا تهيم لنا كما وهبت بني قينقاع للخزرج ، فردّ حكمهم إلى سعد بن معاذ وكان جريحاً في المسجد أثبت في غزوة الخندق ، فجاء

(١) الدرّع .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِمَ تَحْكُمُ فِي هَؤُلَاءِ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْلَفَ الْأَوْسَ أَنَّهُمْ رَاضُونَ بِحُكْمِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَضْرِبُ الْأَعْنَاقَ وَتَسْبِي الْأَمْوَالَ وَالذَّرِيَّةَ ، فَقَالَ حَكَمْتُ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ . فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَهُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالتَّسْمَاءِ .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ بَعْدَ الْحُدُيَّةِ سَنَةَ سِتٍّ فَحَاصَرَهُمْ وَافْتَتَحَهَا عَنُودَ وَضَرَبَ رِقَابَ الْيَهُودِ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ صَفِيَّةُ بِنْتُ حِطِّي بْنِ أَخْطَبَ ، وَكَانَ أَبُوهَا قَتَلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَكَانَتْ تَحْتَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ وَقَتْلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ غَزَاهُ مِنَ الْمَدِينَةِ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ فَبَيْتَهُ . فَلَمَّا افْتَتَحَتْ خَيْبَرَ اصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ وَقَسَمَ الْغَنَائِمَ فِي النَّاسِ مِنَ الْقَمْحِ وَالْتَمَرِ ، وَكَانَ عَدَدُ السَّهَامِ الَّتِي قُسِّمَتْ عَلَيْهَا أَمْوَالُ خَيْبَرَ أَلْفَ سَهْمٍ وَثَمَانِمِائَةَ سَهْمٍ بِرِجَالِهِمْ وَخَيْلِهِمُ الرِّجَالُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَالْخَيْلُ مِائَتَانِ . وَكَانَتْ أَرْضُهُمُ الشَّقِّ وَنَطَاطُ الْكُتَيْبَةِ ، فَحَصَلَتْ الْكُتَيْبَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخَمْسُ فَفَرَّقَهَا عَلَى قَرَابَتِهِ وَنِسَائِهِ وَمَنْ وَصَلَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْمَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ عَلَى الْمَسَافَاةِ وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَجْلَاهُمْ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلَمَّا كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانَ وَغَزْوَةُ حُنَيْنٍ عَلَى أَثَرِهَا وَقَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَنَائِمَ فِيمَنْ كَانَ يَسْتَأْذِنُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ قُرَيْشٍ وَسَوَاهِمَ ، وَجَدَ الْأَنْصَارُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا : سَيُوفِنَا تَقَطُّرُ مِنْ دِمَائِهِمْ وَغَنَائِمُنَا تَقَسِّمُ فِيهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَتَحَ بِلَادَهُ وَجَمَعَ عَلَى الدِّينِ قَوْمَهُ إِنَّهُ سَيَقِيمُ بِأَرْضِهِ وَلَهُ غَنِيَّةٌ عَنْهُمْ . وَسَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ . وَبَلَغَ ذَلِكَ كُلَّهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَهُمْ وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا الَّذِي بَلَغَكُمْ عَنِّي ؟ فَصَدَّقُوهُ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : أَلَمْ تَكُونُوا ضَلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ بِي ، وَعَالَةٌ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَمَتَّفِقِينَ فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ ؟ فَقَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ آمَنَ . فَقَالَ : «لَوْ شِئْتُ لَقَلَّمْتُ جَسْتَنَا طَرِيدًا فَأَوْيَانَا وَمَكْذِبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ إِنِّي لِأَعْطِيَ رِجَالًا اسْتَأْذَنَهُمْ عَلَى الدِّينِ وَغَيْرِهِمْ أَحَبَّ إِلَيَّ ، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَنْقَلِبَ النَّاسُ بِالْإِشَاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَنْقَلِبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا آمِنًا الْأَنْصَارُ ، النَّاسُ دِثَارٌ وَأَنْتُمْ شُعَارُ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شُعْبًا وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ شُعْبًا لَسَلَكَتِ شُعْبُ الْأَنْصَارِ» . فَفَرَحُوا بِذَلِكَ وَرَجَعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَثْرِبَ فَلَمْ يَزَلْ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ

إلى أن قبضه الله إليه .

ولما كان يوم وفاته صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بن كعب ودعت الخزرج إلى بيعة سعد بن عباد ، وقالوا لقريش : منا أمير ومنكم أمير ضناً بالأمر أو بعضه فيهم لما كان من قيامهم بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامتنع المهاجرون ، واحتجوا عليهم بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالأنصار في الخطبة ولم يخطب بعدها . قال : أوصيكم بالأنصار إنهم كرش^(١) وعيتي^(٢) وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فأوصيكم بأن تحسنوا إلى محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم فلو كانت الأمانة لكم لكانت ولم تكن الوصية بكم فحجّوهم . فقام بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاص بن زيد بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج فبايع لابي بكر واتبعه الناس ، فقال حباب بن المنذر بن الجموح بن حرام بن كعب بن غانم بن سلمة بن سعد يا بشير أنفست بها ابن عمك يعني الأمانة ، قال لا والله ولكني كرهت أن أنازع الحق قوماً جعله الله لهم . فلما رأى الأوس ما صنع بشير بن سعد وكانوا لا يريدون الأمر للخزرج قاموا فبايعوا أبا بكر ، ووجد سعد فتخلف عن البيعة ولحق بالشام إلى أن هلك وقتله الجنّ فيما يزعمون وينشدون من شعر الجنّ .

نحنُ قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عباد ضريناه بسهم فلم تُخطِ قواده وكان لابنه قيس من بعده غنّاء في الأيام * وأثراً في فتوحات الإسلام * وكان له إنخياش إلى عليّ في حروبه مع معاوية ، وهو القائل لمعاوية بعد مهلك عليّ رضي الله عنه وقد عرض به معاوية في تشيعه فقال : والآن ماذا يا معاوية ؟ والله إن القلوب التي أبغضناك بها لني صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لعلی عواتقنا . وكان أجود العرب وأعظمهم جثماً ، يقال : إنه كان إذا ركب تخط رجلاه الأرض .

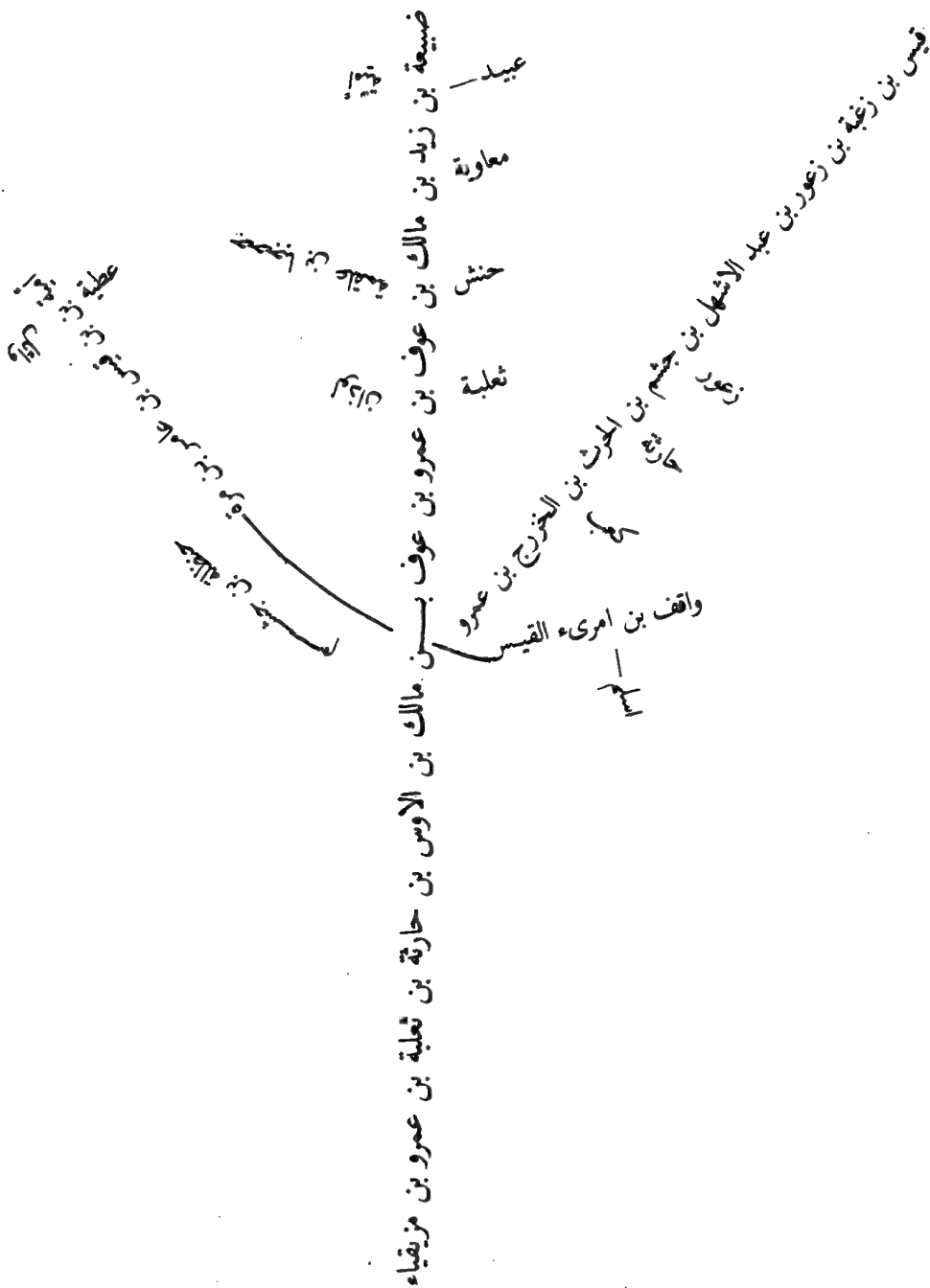
ولما ولي يزيد بن معاوية وظهر من عسفه وجوره وإدالته الباطل من الحق ما هو معروف ، امتعضوا للدين وبايعوا لعبد الله بن الزبير حين خرجوا بمكة ، واجتمعوا على حنظلة بن عبد الله الغسيل ابن أبي عامر بن عبد عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك

(١) كرش الرجل : صار له جيش بعد انفراده .

(٢) العية من الرجل موضع سره .

ابن صيفي بن أمية بن ضبيعة بن زيد ، وعقد ابن الزبير لعبدالله بن مطيع بن إياس على المهاجرين معهم ، وسرح يزيد إليهم مسلم بن عقبة المُرِّي ، وهو عقبة بن رباح ابن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مرة بن عوف ابن سعد بن دينار بن بغيض بن ريث ابن غطفان ، فيمن فرض عليه من بعوث الشام والمهاجرين . فالتقوا بالحرّة ، حرّة بني زهرة ، وكانت الدبرة على الأنصار واستلحمهم جنود يزيد ، ويقال إنه قتل في ذلك اليوم من المهاجرين والأنصار سبعون بدريةً وهلك عبدالله بن حنظلة يومئذ فيمن هلك ، وكانت إحدى الكبر التي أتاها يزيد .

واستفحل ملك الإسلام من بعد ذلك واتسعت دولة العرب ، وافترت قبائل المهاجرين والأنصار في قاصية الثغور بالعراق والشام والأندلس وأفريقية والمغرب حامية ومرابطين ، فافترق الحيّ أجمع من أبناء قيلة وافترت وأقفرت منهم يثرب ، ودرسوا فيمن درس من الأمم . وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . لا خالق سواه ولا معبود إلا إياه ولا خير إلا خيره ولا ربّ غيره ، وهو نعم المولى ونعم النصير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .



الخبر عن بني عدنان وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول والملك في الاسلام وأولية ذلك ومصابره

قد تقدّم لنا أن نسب عدنان إلى إسماعيل عليه السلام باتفاق من النسابين ، وأن الآباء بينه وبين إسماعيل غير معروفة ، وتنقلب في غالب الأمر مخلطة مختلفة بالقلّة والكثرة في العدد حسبما ذكرناه ، فأما نسبه إليه فصحيحة في الغالب ونسب النبي صلى الله عليه وسلم منها إلى عدنان صحيح باتفاق من النسابين . وأما بين عدنان وإسماعيل فبين الناس فيه إختلاف كثير ، فقليل من وُلد نابت بن إسماعيل وهو عدنان بن أدد المقدّم ابن ناحور بن تنوخ بن يعرب بن يشجب بن نابت قاله البيهقي ، وقيل من ولد قيذار ابن إسماعيل وهو عدنان بن أدد بن اليسع بن الهُميسع بن سلامان بن نبت بن حمل ابن قيذار قاله الجرجاني علي بن عبد العزيز النسابة ، وقيل عدنان بن أدد بن يشجب ابن أيوب بن قيذار ، ويقال إن قصي بن كلاب كان يومي شعره بالانتساب إلى قيذار .

ونقل القرطبي عن هشام بن محمد فيما بين عدنان وقيذار نحواً من أربعين أباً ، وقال سمعت رجلاً من أهل تدمر من مسلمة يهود ومن قرأ كتبهم يذكر نسب معدّ بن عدنان إلى إسماعيل من كتاب إرمياء النبي عليه السلام وهو يقرب من هذا النسب في العدد والأسماء إلا قليلاً ، ولعل الخلاف إنما جاء من قبل اللغة لأنّ الأسماء ترجمت من العبرانية . ونقل القرطبي عن الزبير بن بكار بسنده إلى ابن شهاب فيما بين عدنان وقيذار قريباً من ذلك العدد ، ونقل عن بعض النسابين أنه حفظ لمعدّ بن عدنان أربعين أباً إلى إسماعيل ، وأنه قابل ذلك بما عند أهل الكتاب في نفسه فوجده موافقاً وإنما خالف في بعض الأسماء ، قال : واستمليته فأملاه عليّ ونقله الطبري إلى آخره . ومن النسابين من يعدّ بين عدنان وإسماعيل عشرين أو خمسة عشر ونحو ذلك . وفي الصحيح عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : معدّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن برّا بن أعراق الثراء . قالت أم سلمة : وزيد هو الهُميسع وبرّا هو نبت أو نابت وأعراق الثرى هو إسماعيل ، وقد تقدّم هذا أول الكتاب ، وأن السهيلي ردّ تفسير أم سلمة وقال : ليس المراد بالحديث عدّ الآباء بين معدّ وإسماعيل وإنما معناه معنى

قوله في الحديث الآخر : أنتم بنو آدم وآدم من التراب ، وعضد ذلك باتفاق السَّابِين على بعد المدة بين عدنان وإسماعيل بحيث يستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو خمسة أو عشرة إذ المدة أطول من هذا كله بكثير . وكان لعدنان من الولد على ما قال الطبري ستة : الربُّ وهو عكَّ وعرق وبه سميت عرق اليمن وأدو أبيّ والضحَّاك وعبق وأمهم مَهْدَد ، قال هشام بن محمد هي من جدِّيس وقيل من طَسَم وقيل من الطواسيم من نسل لَفْشَان بن إبراهيم .

قال الطبري : ولما قتل أهل حَضُورَا شعيب بن مَهْدَم نبيهم أوحى الله إلى إرميا وأبرخيا من أنبياء بني إسرائيل بأن يأمر بختنصر يغزو العرب ويعلماه أن الله سلَّطه عليهم ، وأن يحتملا معدَّ بن عدنان إلى أرضهم ويستنقذاه من الهلكة لِمَا أَرَادَهُ من شأن النبوة المحمدية في عقبه ، كما مرَّ ذلك من قبل ، فحملاه على البَراق ابن إثنين عشرة سنة وخلصا به إلى حَرَّان فأقام عندهما وعلماه علم كتابهما ، وسار بختنصر إلى العرب فلقبه عدنان فيمن اجتمع إليه من حَضُورَا وغيرهم بذات عرق فهزموهم بختنصر وقتلهم أجمعين ، ورجع إلى بابل بالغنائم والسبي وألقاها بالأنبار . ومات عدنان عقب ذلك وبقيت بلاد العرب خرابا حَقْبًا من الدهر حتى إذا هلك بختنصر خرج معدَّ في أنبياء بني إسرائيل إلى مكَّة ، فحجوا وحج معهم ووجد أخويه وعمومته من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن وتزوجوا فيهم ، وتعطف عليهم أهل اليمن بولادة جُرْهُم فَرَجَعَهُمْ إلى بلادهم ، وسأل عمن بقي من أولاد الحرث بن مضاض الجرهمي فقبل له بقي جُرْهُم بن جلهم فترَّجَّع إِبْنَتُهُ معانة وولدت له نزار بن معدَّ .

وأما مواطن بني عدنان هؤلاء فهي مختصة بنجد ، وكلها بادية رحالة إلا قريشا بمكَّة ، ونجد هو المرتفع من جانبي الحجاز وطوله مسيرة شهر من أول السَّروَات التي تلي اليمن إلى آخرها المطلة على أرض الشام مع طول تهامة ، وأوله في أرض الحجاز من جهة العراق العُذَيْب مما يلي الكوفة وهو ماء لبني تميم ، وإذا دخلت في أرض الحجاز فقد آنَجَدَتْ ، وأوله من جهة تهامة الحجاز حضن ولذلك يقال آنَجَدَ من رأى حضناً . قال السُّهَيْلي : وهو جبل متصل بجبل الطائف الذي هو أعلى نجد تبيض فيه الشَّوَر ، قال : وسكانه بنو جشم بن بكر وهو أول حدود نجد ، وأرض تهامة من الحجاز في قرب نجد مما يلي بحر القلزم في سَمْتِ مكَّة والمدينة وتيمناً وأَيْلَةً وفي شرقها بينها وبين جبل نجد غير بعيد ، منها العوالي وهي ما ارتفع عن هذه الأرض ، ثم تعلق

عن السروات ثم ترتفع إلى نجد وهي أعلاها . والعوالي والسروات بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن إلى شام كسروات الخيل تخرج من نجد منفصلة من تهامة داخلية في بلاد أهل الوُزْرِ . وفي شرقي هذا الجبل بَرِيَّةٌ نجد ما بينه وبين العراق متصلة باليمامة وعُمان والبحرين إلى البصرة ، وفي هذه البرية مشاتي للعرب تشوبها منهم خلق أحياء لا يحصيهم إلا خالقهم .

قال السهيلي : واختص بنجد من العرب بنو عدنان لم تراحهم فيه قحطان إلا طيء من كهلان فيما بين الجبلين سلمى وأجأ ، وافترق أيضاً من عدنان في تهامة والحجاز ، ثم في العراق والجزيرة ، ثم افترقوا بعد الإسلام على الأوطان . وأما شعوبهم فمن عدنان عكّ ومعدّ فواطن عكّ في نواحي زبيد ، ويقال عكّ بن الديث بالدال غير منقوطة والثاء مثلثة ابن عدنان ، ويقال أن عكّا هذا هو ابن عدنان بالثاء المثلثة ابن عبدالله من بطون الأزد ومن عكّ بن عدنان بنو عايق بن الشاهد بن علقمة بن عكّ بطن متسع كان منهم في الإسلام رؤساء وأمراء .

وأما معدّ فهو البطن العظيم ومنه تناسل عقب عدنان كلهم ، وهو الذي تقدّم الخبر عنه بأن إرمياء النبي من بني إسرائيل أوحى الله إليه أن يأمر بختنصر بالانتقام من العرب وأن يحمل معدّا على البراق أن تصيبه النقمة لأنه مستخرج من صلبه نبياً كريماً خاتماً للرسل فكان كذلك ، ومن ولده إياد ونزار ويقال وقنص وأنمار ، فأما قنص فكانت له الأمانة بعد أبيه على العرب وأراد إخراج أخيه نزار من الحرم ، فأخرجوه^(١) أهل مكة وقدموا عليه نزاراً . ولما احتضر قسّم ماله بين ولديه فجعل لربيعة الفرس ، ولمضر القبة الحمراء ، ولأنمار الحمار ، ولإياد عند من جعله من ولده الحلمة والعصا . ثم تحاكموا في هذا الميراث إلى أفعى نجران في قصة معروفة ليست من غرض الكتاب .

وأما إياد فتشعبوا بطوناً كثيرة وتكاثر بنو إسماعيل وانفرد بنو مضر بن نزار برياسة الحرم وخرج بنو إياد إلى العراق ، ومضى أنمار إلى السروات بعد بنييه في اليمانية وهم : خثعم وبجيلة ، ونزلوا بأريافه وكان لهم في بلاد الأكاسرة آثار مشهورة إلى أن تابع لهم الأكاسرة الغزو وأبادوهم ، وأعظم ما باد^(٢) منهم سابور ذو الأكتاف هو الذي

(١) الصحيح ان يقول : أخرجه .

(٢) الصحيح اعظم ما أباد منهم حسب مقتضى السياق .

استلحمهم وأفناهم .

وأما نزار فنه البطنان : العظيان ربيعة ومُضر ، ويقال : إنَّ إِياداً يرجعون إلى نِزار وكذلك أنمار ، فأما ربيعة فديارهم ما بين الجزيرة والعراق وهم ضبيعة وأسد ابنا ربيعة ، ومن أسد عترة وجديلة ابنا أسد فعترة بلادهم في عين التمر في برية العراق على ثلاثة مراحل من الأنبار ثم انتقلوا عنها إلى جهات خيبر فهم هنالك ، وورثت بلادهم غزيرة من طيء الذين لهم الكثرة والأماراة بالعراق لهذا العهد ، ومن عترة هؤلاء بأفريقية حي قليل مع رياح من بني هلال بن عامر ، ومنهم أحياء مع طيء ينتجعون ويشتون في برية نجد .

وأما جديلة فمنهم عبد القيس وهَنْبُ ابنا أفصى بن دَعْمِي بن جديلة ، فأما عبد القيس وكانت مواطنهم بتهامة ثم خرجوا إلى البحرين وهي بلاد واسعة على بحر فارس من غريبه ، وتتصل باليمامة من شرقها ، وبالبحيرة من شمالها ، وبعمّان من جنوبها ، وتعرف ببلاد هجر ومنها القطيف وهجر والعسير وجزيرة أوال والأحسا ، وهجر هي باب اليمن من العراق وكانت أيام الأكاسرة من أعمال الفرس وممالكهم وكان بها بشر كثير من بكر بن وائل وتميم في باديتها ، فلما نزل معهم بنو عبد القيس زاحموهم في ديارهم تلك وقاسموهم في الوطن ووفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأسلموا ، ووفد منهم المنذر بن عائد بن المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن نصر ابن عمرو بن عوف بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وداعة بن بكر ، وذكروا أنه سيدهم وقائدهم إلى الإسلام فكانت له صحبة ومكانة من النبي صلى الله عليه وسلم . ووفد أيضاً الجارود بن عمرو بن حنش بن المعلّى بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة ، وثعلبة أخو عوف بن جذيمة وفد في عبد القيس سنة تسع مع المنذر بن ساوي من بني تميم وسيأتي ذكره ، وكان نصرانياً فأسلم وكانت له أيضاً صحبة ومكانة . وكان عبد القيس هؤلاء من أهل الردّة بعد الوفاة ، وأمّروا عليهم المنذر بن النعمان الذي قتل كسرى أباه ، فبعث إليهم أبو بكر بن العلا بن الحضرمي في فتح البحرين وقتل المنذر . ولم تزل رياسة عبد القيس في بني الجارود أولاً ثم في ابنه المنذر وولاه عمر على البحرين ثم ولّاه على إصطخر ، ثم عبد الله بن زياد ولّاه على الهند ثم ابنه حكيم بن المنذر وتردد على ولاية البحرين قبل ولاية العراق .

وَأَمَّا هَنْبُ بْنُ أَفْصَى فَنَهْمُ النِّمْرِ وَوَائِلُ ابْنِ قَاسِطٍ بْنُ هَنْبٍ . فَأَمَّا بَنُو النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ فَبِلَادِهِمْ رَأْسُ الْعَيْنِ ، وَمِنْهُ صُهَيْبُ بْنُ سَنَانِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ عَقِيلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جَنْدَلَةَ بْنِ جُذَيْمَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَسْلَمِ بْنِ أَوْسِ مَنَاةَ بْنِ النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشْهُورِ ، وَيَنْسَبُ إِلَى الرُّومِ ، وَكَانَ سَنَانُ أَبُوهُ اسْتَعْمَلَهُ كَسْرَى عَلَى الْأَبْلَةِ ، وَكَانَ لِبَنِي النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ شَأْنٌ فِي الرَّدَّةِ مَذْكُورٌ ، وَمِنْهُمْ ابْنُ الْقَرْيَةِ الْمَشْهُورِ بِالصَّاحَةِ أَيَّامَ الْحِجَّاجِ ، وَمَنْصُورُ بْنُ النَّمْرِ الشَّاعِرُ مَادِحُ الرِّشِيدِ . وَأَمَّا بَنُو وَائِلٍ فَبَطْنٌ عَظِيمٌ مَتَسِعَ أَشْهُرُهُمْ بَنُو تَغْلِبَ وَبَنُو بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَهُمَا اللَّذَانِ كَانَتْ بَيْنَهُمَا الْحُرُوبُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي طَالَتْ فِيمَا يُقَالُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَلِبَنِي تَغْلِبَ شُهْرَةٌ وَكَثْرَةٌ وَكَانَتْ بِلَادُهُمْ بِالْحَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَّةِ يَجْهَاتُ سِنْجَارٌ وَنَضِيبِينَ وَتَعْرِفُ بِدِيَارِ رِبِيعَةٍ ، وَكَانَتْ النُّصْرَانِيَّةُ غَالِبَةً عَلَيْهِمْ لِمُجَاوَرَةِ الرُّومِ . وَمِنْ بَنِي تَغْلِبَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عِتَابِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَهْرٍ بْنِ جِشْمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَانِمِ بْنِ تَغْلِبَ وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ مَهْلَهْلٍ ، وَمِنْ وَلَدِهِ مَالِكُ بْنُ طُوقِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عِتَابِ بْنِ زَافَرِ بْنِ شَرِيحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَلْثُومٍ وَإِلَيْهِ تَنْسَبُ رَحْبَةُ مَالِكِ بْنِ طُوقِ عَلَى الْفَرَاتِ ، وَعَاصِمُ بْنُ النُّعْمَانِ عَمُّ عَمْرِو بْنِ كَلْثُومٍ هُوَ الَّذِي قَتَلَ شَرْحِبِيلَ بْنَ الْحَرِثِ الْمَلِكَ أَكَلَ الْمِرَارَ يَوْمَ الْكَلَابِ . وَمِنْ بَنِي تَغْلِبَ كَلِيبُ وَمُهْلَهْلُ ابْنَا رِبِيعَةٍ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ زَهْرٍ بْنِ جِشْمِ ، وَكَانَ كَلِيبُ سَيِّدَ بَنِي تَغْلِبَ وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ جَسَّاسُ بْنُ مَرَّةَ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ وَكَانَ مَتْرُوجًا بِأَخْتِهِ فَرَعَتْ نَاقَةَ الْبَسُوسِ فِي حِمَى كَلِيبَ فَرَمَاهَا بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهَا ، وَقَتَلَهُ جَسَّاسُ لِأَنَّ الْبَسُوسَ كَانَتْ جَارَتَهُ ، فَقَامَ أَخُو كَلِيبَ وَهُوَ مُهْلَهْلُ بْنُ الْحَرِثِ كَمَنْ بِرِيَاسَةِ تَغْلِبَ وَطَلَبَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ بِثَأْرِ كَلِيبَ فَاتَّصَلَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَأَخْبَارُهَا مَعْرُوفَةٌ ، وَطَالَ عَمْرُ مُهْلَهْلٍ وَتَغَرَّبَ إِلَى الْيَمَنِ فَقَتَلَهُ عَبْدَانُ لَهُ فِي طَرِيقِهِ ، وَبَنُو شُعْبَةَ الَّذِينَ بِالطَّائِفِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ وَلَدِ شُعْبَةَ بْنِ مُهْلَهْلٍ . وَمِنْ تَغْلِبَ الْوَلِيدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ عَامِرِ الْخَارِجِيِّ وَهُوَ مِنْ بَنِي صَيْفِي بْنِ حَيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبٍ وَهُوَ الَّذِي رَثَتْهُ أُخْتُهُ لَمْلَى بِقَوْلِهَا :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقاً
فَتَنِي لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التَّقَى
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِلَى الْوَعْيِ
فَلَوْ كَانَ هَذَا الْمَوْتُ يَقْبَلُ فِدْيَةً
كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
وَلَا الْمَالِ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسَيُوفٍ
وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوُفِ

ومنهم بنو حمدان ملوك الموصل والجزيرة أيام المُنْتَقِي ، ومن بعده من خلفاء العباسيين وسيأتي ذكرهم في أخبار بني العباس وهم بنو حمدان من بني عدي بن أسامة بن غانم بن تغلب ، كان منهم سيف الدولة الملك المشهور .

وأما بكر بن وائل ففيهم الشهرة والعدد فمنهم يشكر بن بكر بن وائل وبنو عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومنهم بنو حنيفة وبنو عجل إبنِي لُجَيْم بن صعب .
ففي بني حنيفة بطون متعددة أكثرهم بنو الدَّوْل بن حنيفة ، فهم البيت والعدد ومواطنهم باليمامة وهي من أوطان الحِجَاز كما هي نَجْرَان من اليمن ، والشرقي منها يوالي البحرين وبني تميم والغرب يوالي أطراف اليمن والحجاز ، والجنوب نجران والشمالي أرض نجد وطول الإمامة عشرون مرحلة ، وهي على أربعة أيام من مكة بلاد نخل وزلع وقاعدتها حِجْر بالفتح ، وبها بلد اسمه الإمامة ، ويسمى أيضاً جَوْ باسم الزرقا ، وكانت مقراً للملوك قبل بني حنيفة ، واتخذ بنو حنيفة بعدها بلد حِجْر وبقي كذلك في الإسلام . وكانت مواطن الإمامة لبني همدان بن يَعْقُر بن السُّكْسُك بن وائل بن حَمِير غلبوا على من كان بها من طَسَم وجديس كان آخر ملوكهم بها فيما ذكره الطبري قِرْطُ ابن يَعْقُر ، ثم هلك فغلب عليها بعده طسم وجديس وكانت منهم الزرقا أخت رياح بن مرة ابن طسم كما تقدّم في أخبارهم . ثم استولى على الإمامة آخراً بنو حنيفة وغلبوا عليها طسماً وجديساً وكان ملكها منهم هودة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزّي بن شحيم بن مرة بن الدَّوْل بن حنيفة ، وتوجّه كسرى وابن عمه عمرو بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزّي ، قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ . وكان منهم ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدَّوْل بن حنيفة ملك الإمامة عند المبعث وثبت عند الردّة . ومنهم الخارجي نافع بن الأزرق بن قيس بن صبرة بن ذُهَل بن الدَّوْل بن حنيفة وإليه تُنسَبُ الأزارقة ، ومنهم حلم بن سُبَيْع بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدَّوْل بن حنيفة صاحب مُسَيْلَمَة الكذاب ، وهو من بني عدي بن حنيفة ، وهو مسيلمة بن ثمامة بن كُثَيْر بن حبيب بن الحرث بن عبد الحرث بن عدي ، وأخبار مسيلمة في الردّة معروفة وسيأتي الخبر عنها .

وأما بنو عجل بن لُجَيْم بن صعب وهم الذين هزموا الفرس بموتة يوم ذي قار كما مرّ ، ففنازلهم من الإمامة إلى البصرة وقد دثروا ، وخلفهم في اليوم في تلك البلاد بنو عامر المُتَنَفِّق بن عقيل بن عامر ، وكان منهم بنو أبي دُلْف العجلي ، كانت لهم دولة

بِعِرَاقِ الْعَجْمِ يَأْتِي ذِكْرُهَا .

وَأَمَّا عُكَّابَةُ بْنُ صَعْبِ بْنِ عَلِي بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَفَنَّهُ تَيْمُ اللَّهِ وَقَيْسُ ابْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ وَشِيَّانَ بْنِ ذُهْلَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، بَطُونُ ثَلَاثَةِ عَظِيمَةٍ ، وَأَوْسَعُهَا وَأَكْثَرُهَا شُعُوباً بَنُو شِيَّانَ ، وَكَانَتْ لَهُمْ كَثْرَةٌ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ شَرْقِي دَجْلَةَ فِي جِهَاتِ الْمَوْصِلِ ، وَأَكْثَرُ أُمَّةِ الْخَوَارِجِ فِي رِبْعَةٍ مِنْهُمْ ، وَسَيِّدُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُرَّةُ بْنُ ذُهْلَ بْنِ شِيَّانَ كَانَ لَهُ أَوْلَادُ عَشْرَةِ عَشْرَةٍ قَبَائِلَ أَشْهَرُهُمْ : هَمَّامٌ وَجَسَّاسٌ ، وَسَادَهُمَا بَعْدَ أَبِيهِ . وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ : تَفَرَّعَ مِنْ هَمَّامٍ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ بَطْناً . وَأَمَّا جَسَّاسٌ فَقَتَلَ كُلِّيَا زَوْجَ أُخْتِهِ وَهُوَ سَيِّدُ تَغْلِبَ حِينَ قَتَلَ نَاقَةَ الْبَسُوسِ جَارَتَهُ ، وَأَقَامَ ابْنُ كَلِيبَ عِنْدَ بَنِي شِيَّانَ إِلَى أَنْ كَبُرَ وَعَقَلَ أَنْ جَسَّاساً خَالَهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ فَقَتَلَهُ وَرَجَعَ إِلَى تَغْلِبَ ، فَنَ وَلَدَ جَسَّاسٌ بَنُو الشَّيْخِ كَانَتْ لَهُمْ رِيَاسَةٌ بِأَمْدٍ وَانْقَطَعَتْ عَلَى يَدِ الْمُعْتَصِدِ . وَمِنْ بَنِي شِيَّانَ هَانِيٌّ بِنُ مَسْعُودِ الَّذِي مَنَعَ حَلْقَةَ النُّعْمَانِ مِنْ أُبْرُوزٍ لَمَّا كَانَتْ وَدِيعَةً عِنْدَهُ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ يَوْمَ ذِي قَارٍ وَهُوَ هَانِيٌّ بِنُ مَسْعُودِ بِنِ عَامِرِ بْنِ أَبِي رِبْعَةَ بْنِ ذُهْلَ بْنِ شِيَّانَ ، وَمِنْهُمْ الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ الْخَارِجِيِّ الَّذِي بَوَّعَ أَيَّامَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَى مَذْهَبِ الصُّفَرِيَّةِ وَمَلَكَ الْكُوفَةَ وَغَيْرَهَا ، وَبَايَعَهُ بِالْخِلَافَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ مِنْهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ بِنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَقَتْلَهُ آخِراً مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ . وَهُوَ الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْحَصِينِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ بْنِ رِبْعَةَ بْنِ مَحْلَمِ بْنِ ذُهْلَ بْنِ شِيَّانَ ، وَسَيَّاتِي الْإِلْمَامِ بِخَبْرِهِ . وَمِنْهُمْ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ الَّذِي فَتَحَ سَوَادَ الْعِرَاقِ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو وَأَخُوهُ الْمُعَنَّى بْنُ حَارِثَةَ . وَمِنْهُمْ عُمَرَانُ بْنُ حَطَّانٍ مِنْ أَعْلَامِ الْخَوَارِجِ . وَهَذَا انْقِضَاءُ الْكَلَامِ فِي رِبْعَةِ بْنِ نَزَارٍ وَاللَّهُ الْمَعِينُ .

* وأما مُضَر بن نِزار * وكانوا أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان وكانت لهم رئاسة بمكة فيجمعهم فخذان عظيمان وهما خندف وقيس ، لأنه كان له من الولد إثنان : إلياس وقيس عيلان عبد حضنه قيس فنسب إليه ، وقيل هو قيس ، وقد قيل إن عيلان هو ابن مُضَر واسمه إلياس وإن له إبنين قيس ودهم ، وليس ذلك بصحيح ، وكان لإلياس ثلاثة من الولد مدركة وطابخة وقعة لامرأة من قضاة تُسمى خندف فانتسب بنو إلياس كلهم إليها ، وانقسمت مُضَر إلى خندف وقيس عيلان . فأما قيس فتشعبت إلى ثلاث بطون من كعب وعمرو وسعد بنيه الثلاثة ، فن عمرو بنو فهم وبنو عدوان ابني عمرو بن قيس ، وعدوان بطن متسع وكانت منازلهم الطائف من أرض نجد نزحها بعد إباد العبالقة ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ، وكان منهم عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان حكم العرب في الجاهلية ، وكان منهم أيضاً أبو سيارة الذي يدفع بالناس في الموسم ، وعميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحرث بن ريش بن زيد بن عدوان ، وبأفريقية لهذا العهد منهم أحياء بادية بالقفر يظعنون مع بني سليم تارة ومع رياح بن هلال بن عامر أخرى .

ومن بني فهم بن عمرو فيما ذكر البيهقي بنو طرود بن فهم بطن متسع كانوا بأرض نجد ، وكان منهم الأعشى ، وليس منهم الآن بها أحد ، وبأفريقية لهذا العهد حي يظعنون مع سليم ورياح ، وانقضى الكلام في بني عمرو بن قيس .
وأما سعد بن قيس فمنهم غني وباهلة وغطفان ومرة ، فأما غني فهم بنو عمرو بن أعصر بن سعد ، وأما باهلة فمنهم بنو مالك بن أعصر بن سعد صاحب خراسان المشهور ، ومنهم أيضاً الأصمعي راوية العرب المشهور وهو عبد الملك بن علي بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مطر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيان بن سعد بن عبد غانم بن قتيبة بن معن بن مالك .

وأما بنو غطفان بن سعد : فبطن عظيم متسع كثير الشعوب والبطون ومنازلهم بنجد ما يلي وادي القرى وجبلي طيء ، ثم افترقوا في الفتوحات الإسلامية واستولت عليها قبائل طيء وليس منهم اليوم عمودة رجالة في قطر من الأقطار إلا ما كان لفزارة ورواحة في جوار هيب ببلاد برقة . وبنو غطفان بطون ثلاثة : منهم أشجع بن ريث ابن غطفان ، وعبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وذبيان . فأما أشجع فكانوا

عرب المدينة يثرب وكان سيدهم معقل بن سنان من الصحابة ، وكان منهم نعيم بن مسعود بن أنيف بن ثعلبة بن قنديل بن خلاوة بن سبيع بن أشجع الذي شئت جموع الأحزاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى آخرين المذكورين منهم ، وليس لهذا العهد منهم بنجد أحد إلا بقايا حوالي المدينة النبوية ، وبالمغرب الأقصى منهم حي عظيم الآن يظنون مع عرب المعقل بجهات سجلماسة ووادي ملوية ولهم عدد وذكر . وأما بنو عبس فبيتهم في بني عدّة بن قطيعة كان منهم الربيع بن زياد وزير النعمان ، ثم إخوتهم بنو الحرث بن قطيعة كان منهم زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن آزر بن الحرث سيدهم ، وكانت له السيادة على غطفان أجمع ، وله بنون أربعة منهم : قيس ساد بعده على عبس ، وابنه زهير هو صاحب حرب داحس والغبراء فرسين كانت إحداهما وهي داحس لقيس والأخرى وهي الغبرا لحذيفة بن بدر سيد فزارة فأجرياها وتشامًا في الحكم بالسبق فتشاجرا وتحاربا وقتل قيس حذيفة ودامت الحرب بين عبس وفزارة وأخوة قيس بن زهير الحرث وشاس ومالك وقتل مالك في تلك الحرب ، وكان منهم الصحابي المشهور حذيفة بن اليمان بن حسل بن جابر بن ربيعة بن جروة بن الحرث بن قطيعة ومن عبس بن جابر بنو غالب بن قطيعة ، ثم عنزة بن معاوية بن شداد بن مراد بن مخزوم بن مالك بن غالب الفارس المشهور وأحد الشعراء الستة في الجاهلية ، وكان بعده من أهل نسبه وقرابته الخطيئة الشاعر المشهور وإسمه جرّول بن أوس بن جؤبة بن مخزوم ، وليس بنجد لهذا العهد أحد من بني عبس ، وفي أحياء زغبة من بني هلال لهذا العهد أحياء ينتسبون إلى عبس ، فما أدري من عبس هؤلاء أم هو عبس آخر من زغبة نسيوا إليه .

وأما ذبيان بن بغيص : فلهم بطون ثلاثة : مرة وثعلبة وفزارة ، فأما فزارة فهم خمسة شعوب : عديّ وسعد وشمخ ومازن وظالم . وفي بدر بن عديّ كانت رياستهم في الجاهلية ، وكانوا يرأسون جميع غطفان ، ومن قيس وإخوتهم بنو ثعلبة بن عديّ كان منهم حذيفة بن بدر بن جؤبة بن لوزان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة الذي راهن قيس بن زهير العبسي على جري داحس والغبرا وكانت بسبب ذلك الحرب المعروفة ، ومن ولده عيينة بن حصن بن حذيفة الذي قاد الأحزاب إلى المدينة وأغار على المدينة لأول بيعه أبي بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الأحمق المطاع ، ومنهم أيضا الصحابي المشهور سُمرة بن جندب بن هلال بن خديج بن

مرة بن خرق بن عمرو بن جابر بن خُشين ذي الرأسين بن لاي بن عصيم بن شمش بن فزارة ، ومن بني سعد بن فزارة يزيد بن عمرو بن هُبيرة بن معية بن سُكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عديّ بن فزارة وليّ العراقيين هو وأبوه أيام يزيد بن عبد الملك ومروان بن محمد ، وهو الذي قتله المنصور بعد أن عاهده ، ومن بني مازن بن فزارة هرم بن قطبة أدرك الإسلام وأسلم ، إلى آخرين يطول ذكرهم ولم يبق بنجد منهم أحد . وقال ابن سعيد : إن أبرق الحنّان وأبانا من وادي القرى من معالم بلادهم ، وإنّ جيرانهم من طيء مولدها لهذا العهد ، وإنّ بأرض بركة منهم إلى طرابلس قبائل رواحة وهيب وفزان . قلت : وبأفريقية والمغرب لهذا العهد أحياء كثيرة اختلطوا مع أهله ، فمنهم مع المعقل بالمغرب الأقصى أحياء كثيرة لهم عدد وذكر بالمعقل إلى الاستظهار بهم حاجة ، ومنهم مع بني سليم بن منصور بأفريقية طائفة أخرى أحلاف لأولاد أبي الليل من شعوب بني سليم يستظهرون بهم في مواقف حروبهم ويؤلّونهم على ما يتولونه للسلطان من أمور باديتهم نيابة عنهم شأن الوزراء في الدول ، وكان من أشهرهم معن بن معاطن وزير حمزة بن عمر بن أبي الليل أمير الكعوب بعده حسبما نذكره في أخبارهم ، وربما يزعم بنو مُرّين أمراء الزاب لهذا العهد أنّهم منهم ، ويتنسبون إلى مازن بن فزارة ، وليس ذلك بصحيح ، وهو نسب مصون يتقرّب به إليهم بعض البدو من فزارة هؤلاء طمعاً فيما بأيديهم لمكانهم من ولاية الزاب والانفراد بجبايته ومصانعة الناس بوفرها ، فيلهجونهم بذلك ترفعاً على أهل نسبهم بالحقيقة من الأثابج ، كما يذكر لكونه تحت أيديهم ومن رعاياهم .

وأما بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان فمنهم هرم بن سنان بن غيظ بن مرة وهو سيدهم في الجاهلية الذي مدحه زهير بن أبي سلمى ، ومنهم أيضاً الفاتك وهو الحرث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ فتك بخالد بن جعفر بن كلاب وشرحيل بن الأسود بن المنذر ، وحصل ابن الحرث في يد النعمان بن المنذر فقتله ، وشاعره في الجاهلية النابغة زياد بن عمرو الذبياني أحد الشعراء الستة . ومنهم أيضاً مُسلم بن عقبة بن رياح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع قائد يزيد بن معاوية صاحب الحرة على أهل المدينة إلى آخرين يطول ذكرهم . وهذا آخر الكلام في بني غطفان وبلادهم بنجد مما يلي وادي القرى ، وبها من المعالم أبني والحاجر والهباء وأبرق الحنّان ، وتفرّقوا على بلاد الإسلام في الفتوحات ولم يبق لهم

في تلك البلاد ذكر ، ونزلت بها قبائل طيء وبانقضاء ذكرهم انقضى بنو سعد بن قيس .
وأما خصفة بن قيس : ففترع منهم بطنان عظيمان وهما بنو سليم بن منصور وهوازن بن منصور ، وهوازن بطون كثيرة يأتي ذكرها ، ويلحق بهذين البطنين بنو مازن بن منصور وعددهم قليل ، وكان منهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نشيب بن وهب بن زيد بن مالك بن عبد عوف بن الحرث بن مازن الصحابي المشهور الذي بنى البصرة لعمر بن الخطاب ، وإليه ينسب العُتَيُّون الذين سادوا بخراسان ، ويلحق أيضا بنو محارب بن خصفة . فأما بنو سليم فشعوبهم كثيرة منهم بنو ذكوان بن رفاعه بن الحرث بن رجا بن الحارث بن بهثة بن سليم ، وإخوتهم بنو عبس بن رفاعه الذين منهم عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد عبس الصحابي المشهور الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين في المؤلفة قلوبهم ، ثم زاده حين غضب استقلالاً لعطائه وأنشد الأبيات المعروفة في السير ، وكان أبوه مرداس تزوج الخنساء وولدت منه .

ومن بني سليم أيضا بنو ثعلبة بن بهثة بن سليم ، كان منهم عبید بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور والي أفريقية ، وجده أبو الأعور من قواد معاوية وإسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة ، والرود بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة وكان على بني سليم يوم الفتح ، وعمرو بن عتبة بن منقذ بن عامر بن خالد كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وأسلم ثلاث أبو بكر وبلال فكان يقول كنت يومئذ ربيع الإسلام^(١) . ومن بني سليم أيضاً بنو علي بن مالك بن امرئ القيس بن بهثة وبنو عَصِيَّة بن خفاف بن امرئ القيس ، وهما اللذان لعنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) أهل بئر معونة وقتلهم إياهم . ومن

(١) اما الطبري فيقول في ج ٢ ص ٢١٤ : « قال حدثني عمرو بن عبسة ، قال : أتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو نازل بعكاظ ، قلت : يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر ؟ قال : اتبعني عليه رجلان حر وعبد ، أبو بكر وبلال ، قال فاسلمت عند ذلك قال فلقد رأيتني اذ ذاك ربيع الإسلام . وكذلك أورد ابن الاثير القصة عن عمرو بن عبسة . إلى أن قال : فلقد رأيتني ربيع الإسلام ، وهكذا يستدل لنا أن اسم هذا الرجل هو عمرو بن عبسة وليس عمرو بن عتبة .

(٢) المعنى غير منسجم وربما تكون سقطت بعض الكلمات اثناء النسخ وهذه القصة مذكورة عند الطبري في ج ٣ ص ٣٣ وفي غيره من كتب التاريخ والسير ومقتضى السياق : « لعنهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم وافاه الخبر عن أهل بئر معونة وقتلهم إياهم .

شعوب عَصِيَّة الشريد واسمه عمرو بن يقظة بن عَصِيَّة . وقال ابن سعيد : الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عَصِيَّة الذين كانت منهم الخنساء وأخواها صخر ومعاوية ابنا عمرو بن الحرث بن الشريد والشريد بيت سُلَيْم في الجاهلية ، قال ابن سعيد كان عمرو بن الشريد يمسك بيده إبنيه صخرًا ومعاوية في الموسم فيقول : أنا أبو خيرِي مُضَر ومن أنكر فليعتبر فلا ينكر أحد وابنته الخنساء الشاعرة وقد تقدّم ذكرها ، وحضرت بأولادها حروب القادسيّة . وبنو الشريد لهذا العصر في جملة بني سُلَيْم في أفريقية وهم شوكة وصولة ، ومنهم إخوة عَصِيَّة بن خَفَّاف الذين كان منهم الخفاف كبير أهل الرّدّة الذي أحرقه أبو بكر بالنار واسمه إياس بن عبدالله بن أيل بن سلمة بن عميرة .

ومن بني سليم أيضاً بنو بهز بن امرئ القيس بن بهثة كان منهم الحجاج بن علاط بن خالد بن نديرة^(١) بن حنتر بن هلال بن عبد ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز الصحابي المشهور ، وابنه نصر بن حجاج الذي نفاه عمر عن المدينة ، إلى آخرين من سليم يطول ذكرهم . قال ابن سعيد : ومن بني سليم بنوزغبة بن مالك بن بهثة كانوا بين الحرمين ثم انتقلوا الى المغرب فسكنوا بأفريقية في جوار إخوتهم بني ذياب بن مالك ثم صاروا في جوار بني كعب . ومن بني سليم بنو ذياب بن مالك ومنازلهم ما بين قابس وبرقة ، يجاورون مواطن يعهّب ، ويجهة المدينة خلق منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق . وبنو سليمان بن ذياب في جهة قرّان وودّان ورؤساء ذياب لهذا العهد الجوّاري ما بين طرابلس وقابس ، وبيتهم بنو صابر والمحامد بنواحي فاس وبيتهم في بني رصاب بن محمود وسياقي ذكرهم .

ومن بني سليم بنو عوف بن بهثة : ما بين قابس وبلد العنّاب من أفريقية وجرما ، هم مرداس وعلاق فأما مِرْدَاس فرياستهم في بني جامع لهذا العهد ، وأما علاق فكان رئيسهم الأوّل في دخولهم أفريقية رافع بن حمّاد ، ومن أعقابه بنو كعب رؤساء سليم لهذا العهد بأفريقية ، ومن بني سليم بنو يعهّب بن بهثة إخوة بني عوف بن بهثة وهم ما بين السدرة من برقة إلى العدوّة الكبيرة ثم الصغيرة من حدود الإسكندرية ، فأول ما يلي الغرب منهم بنو أحمد لهم أجدابية وجهاتها وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون إلى شماخ ، وقبائل شماخ لها عدد واسماء متميزة ولها العز في بيت لكونها جازت المَحْصَب من بلاد برقة مثل المُرْج وطمليثا ودرنا ، وفي المشرق عن بني أحمد إلى

(١) وهو الحجاج بن علاط بن خالد بن نويرة .

العقبة الكبيرة ، وأما الصغيرة فسال ومُحَارِب والرياسة في هذين القبيلتين لبني عِزَّاز وهُيب بخلاف سائر سليم لأنها استولت على إقليم طويل خربت مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلا لأشياخها وتحت أيديهم خلق من البرابرة واليهود زراعاً وتجاراً .

وأما رواحة وفزارة اللذين في بلاد هُيب فهم من غطفان وهذا آخر الكلام في بني سليم بن منصور وكانت بلادهم في عالية نجد بالغرب وخيبر ومنها حرّة بني سليم ، وحرّة النار بين وادي القرى وتيمّا ، وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم ، وبأفريقية منهم خلق عظيم كما يأتي ذكره في أخبارهم عند ذكر الطبقة الرابعة من العرب .

وأما هوازن بن منصور ففيهم بطون كثيرة يجمعهم ثلاثة أجرام كلهم لبكر بن هوازن وهم بنو سعد بن بكر وبنو معاوية بن بكر وبنو مُنَبِّه بن بكر :

فأما بنو سعد بن بكر ، وهم إيطار النبي صلى الله عليه وسلم أرضعته منهم حليلة بنت أبي ذؤيب بن عبدالله بن سحنة بن ناصرة بن عُصَيَّة بن نصر بن أسعد ، وبنوها عبدالله وأنيسة والشيا بنو الحرث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملاذ بن ناصرة ، وحصلت الشيا في سبي هوازن فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّها إلى قومها وكان فيها أثر غضة عضها إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تحمله .

فأما بنو مُنَبِّه بن بكر ففهم ثقيف ، وهم بنو قسي بن مُنَبِّه بطن عظيم متسع ، منهم بنو جهم بن ثقيف كان منهم عثمان بن عبدالله بن ربيعة بن حبيب بن الحرث بن مالك بن حطييط صاحب لوائهم يوم حنين وقتل يومئذ كافرا وكان من ولده أمير الأندلس لسلیمان بن عبد الملك وهو الحر بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان ، ومنهم بنو عوف بن ثقيف ويعرفون بالأحلاف ، ففهم بنو سعد بن عوف كان منهم عتيان بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف الذي وضعته ثقيف رهينة عند أبي مكسورة وأخوه معتب ، كان من بنيه عروة بن مسعود بن معتب الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه داعياً إلى الإسلام فقتلوه ، وهو أحد عظيمي القريتين ، ومن بنيه أيضاً الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب صاحب العراقين لعبد الملك وابنه الوليد ، ومنهم يوسف بن عمر بن محمد بن عبد الحكم والي العراقين لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وكثير من قومه كانوا ولادة بالعراق والشام واليمن ومكة . ومن بني معتب أيضاً غيلان بن مسلمة بن معتب

كانت له وفادة على كسرى ، ومنهم بنو غبرة بن عوف الذين منهم الأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العري بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، والحرث بن كلدة بن عمرو بن علاج طيب العرب ، وأبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عُمير بن عوف بن غيرة الصحابي المقتول يوم الجسر من أيام القادسية ، وبانه المختار بن أبي عبيد الذي ادعى النبوة بالكوفة وكان عاملاً عليها لعبدالله بن الزبير فانتقض عليه ودعا لمحمد بن الحنفية ثم ادعى النبوة ، ومنهم أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عُمير في آخرين يطول ذكرهم . ومواطن ثقيف كانت بالطائف وهي مدينة من أرض نجد قريباً من مكة ثم جلس في شرقها وشمالها وهي على قبة الجبل كانت تسمى واج وبوج ، وكانت في الجاهلية للعالمقة ثم نزلتها ثمود قبل وادي القرى ، ومن ثم يقال : إن ثقيفاً كانت من بقايا ثمود ، يقال : إن الذي سكنها بعد العالمقة عدوان وغلبهم عليها ثقيف وهي الآن دارهم كذا ذكره السهيلي . ويقال : إنهم موال لهوازن ويقال إنهم من إياد . ومن أعمال الطائف سوق عكاظ والعرج ، وعكاظ حجر بين اليمن والحجاز ، وكانت سوقها في الجاهلية يوماً في السنة يقصدها العرب من الأقطار فكانت لهم موسماً^(١) .

وأما بنو معاوية بن بكر بن هوازن ففهم بطون كثيرة منهم بنو نصر بن معاوية الذين منهم مالك بن سعد بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر قائد المشركين يوم حنين وأسلم وحسن إسلامه . ومنهم بنو جشم بن معاوية ، ومن جشم غزيرة رهط دريد بن الصمة^(٢) ومواطنهم بالسروات وهي بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن إلى الشام كسروات الجبل وسروات جشم متصلة بسروات هذيل ، وانتقل معظمهم إلى الغرب وهم الآن به كما يأتي ذكره في الطبقة الرابعة من العرب ، ولم يبق بالسروات منهم إلا من ليس له صولة ، ومنهم بنو سلول ومنهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية وإنما عرفوا بأهمهم سلول ، وكانوا في الغرب كثيراً وفي

(١) سوق للعرب بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة ، وتستمر عشرين يوماً أو شهراً ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتنشدون ويتفاخرون . يؤنث ، يذكر فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم . قد تابع المؤلف لغة الحجاز .

(٢) وفي نسخة ثانية : غزيرة رهط بن دريد الصمة . وهو القائل : غويت وان ترشد غزيرة أرشد وهمل أنا لا من غزيرة ان غوت

الغرب منهم كثير لهذا العهد . ومنهم فيما يزعم العرب بنو يزيد أهل وطن حمزة غربي بجاية وبعض أحياء بُجِيل عياض . كما نذكر منهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية جرم كبير من أجرام العرب لهم بطون أربعة . نمير وربيعة وهلال وسؤاة ، فأما نمير بن عامر فهم إحدى جمرات العرب وكانت لهم كثرة وعزة في الجاهلية والإسلام ودخلوا إلى الجزيرة الفراتية وملكوا حرَّار وغيرها ، واستلحمهم بنو العباس أيام المعتز فهلكوا ودرثوا . وأما سؤاة بن عامر فشعوبهم في رباب من سمرّة بن سؤاة ، فمنهم جابر بن سمرّة بن جنادة بن جندب بن رباب الصحابي المشهور ، ومن بطن رباب هؤلاء حيٌّ بأفريقية ينجعون مع رياح بن هلال ويعرفون بهذا النسب كما يأتي في أخبار هلال من الطبقة الرابعة . وأما هلال بن عامر فبطون كثيرة كانوا في الجاهلية بنجد ثم ساروا إلى الديار المصرية في حروب القرامطة ، ثم ساروا إلى أفريقية أجازهم الوزير البارزي في خلافة المستنصر العبيدي لحرب المُعزّ بن باديس ، فللك عليه ضواحي أفريقية ، ثم زاحمهم بنو سليم فساروا إلى الغرب ما بين بونة وقسنطينة ، إلى البحر المحيط ، وكان لَهلال خمسة من الولد : شُعبة وناشرة ونهيك وعبد مُناف وعبدالله ، وبطونهم كلها ترجع إلى هؤلاء الخمسة ، فكان من بني عبد مناف زينب أمّ المؤمنين بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبدالله بن عبد مناف ، وكان من بني عبدالله ميمونة أمّ المؤمنين بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هَرم بن ربيعة بن عبدالله . قال ابن حزم : ومن بطون بني هلال بنو قُرة وبنو نعجة الذين بين مصر وأفريقية ، وبنو حَرْب الذين بالحجاز ، وبنو رياح الذين أفسدوا أفريقية .

وقال ابن سعيد : وجيل بني هلال مشهور بالشام وقد صار عربيه حرائر وفيه قلعة صرخد مشهورة * قال : وقبائلهم في العرب ترجع لهذا العهد إلى أثيج ورياح وزغبة وقارع . فأما الأثيج فمنهم سراح بجهة بَرّقة ، وعياض بجبل القلعة المسمّى لهم ولغيرهم . وأما رياح فبلادهم بنواحي قُسنطينة والسلم والزاب ، ومنهم عُتبة بنواحي بجاية ، ومنهم بالمغرب الأقصى خلق كثير كما يأتي في أخبارهم . وأما زغبة فإنهم في بلاد زناتة خلق كثير . وأما قارع فإنهم في المغرب الأقصى مع المعقل وقرة وجشم . وبنو قُرة كانت منازلهم ببرقة وكانت رياستهم أيام الحاكم العبيدي لما مضى ابن مقرب ، ولما بايعوا لأبي ركوّة من بني أُمّية بالأندلس وقتله الحاكم سلّط عليهم العرب والجيوش فأفنوهم ، وانتقل جُلّهم إلى المغرب الأقصى ، فهم مع جَشم

هنالك كما يأتي ذكره ويأتي الكلام في نسب هلال وشعوبهم ومواطنهم بالمغرب الأوسط وأفريقية عند الكلام عليهم في الطبقة الرابعة .

وأما بنو ربيعة بن عامر فبطون كثيرة وعامتهم ترجع إلى ثلاثة من بنيه وهم عامر وكراب وكعب ، وبلادهم بأرض نجد الموالية لتهامة بالمدينة وأرض الشام ، ثم دخلوا إلى الشام واقترب منهم على ممالك الإسلام فلم يبق منهم بنجد أحد . فمن عامر بن ربيعة بنو التكماء وهو ربيعة بن عامر بن ربيعة الذي اشترك إبنه حندج مع خالد بن جعفر بن كلاب في قتل زهير بن جذيمة العبسي ، وبنو ذي السهمين معاوية بن عامر بن ربيعة وهو ذو الحجر عوف بن عامر بن ربيعة ، وبنو فارس الضحيا عمرو بن عامر بن ربيعة منهم خدّاش بن زهيرة بن عمرو من فرسان الجاهلية وشعرائها .

وأما بنو كلاب بن ربيعة فمنهم بنو الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب وبنو ربيعة الجحون ابن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب وبنو عمرو بن كلاب . قال ابن خزم : يقال : إن منهم بني صالح بن مردّاس أمراء حلب ، ومن بني كلاب بنو رواس واسمه الحرب بن كلاب ، وبنو الضباب واسمه معاوية بن كلاب الذين منهم شهر بن ذي الجوش^(١) بن الأعور بن معاوية قاتل الحسين بن عليّ ، ومن عقبه كان الصّهيل ابن حاتم بن شمر وزير عبد الرحمن بن يوسف الفهري بالأندلس ، وبنو جعفر بن كلاب الذين منهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وعمّه أبو عامر بن مالك ملاعب الأسنة وربيعة بن مالك وتبع المعترين وأبوه لبيد بن ربيعة شاعر معروف مشهور . وكانت بلاد بني كلاب حمى ضرية والرّبذة في جهات المدينة وفدك والعوالي ، وحمى ضرية هي حمى كليب وائل نباته النضر تسمن عليه الخيل والإبل ، وحمى الرّبذة هو الذي أخرج عليه عثمان أبا ذر رضي الله عنهما . ثم انتقل بنو كلاب إلى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيت وملك وملكوا حلب وكثيرا من مدن الشام ، تولى ذلك منهم بنو صالح بن مردّاس ، ثم ضعفوا فهم الآن تحت خفارة العرب المشهورين بالشام وهنالك بالأماة من طيء . قال ابن سعيد وكان لهم في الإسلام دولة باليمامة .

ومن بني كعب بن ربيعة بطون كثيرة منهم : الحرّيش بن كعب بطن كان منهم مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن وقدان بن الحريش الصحابي المشهور ،

(١) وهو : شمر بن ذي الجوشن .

ويقال : إنَّ منهم ليلي التي شَبَّ بها قيس بن عبدالله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة الشاعر ، مَدَحَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وعبدالله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة الذي غلب على ناب فارس أيام الزبير وعم أمه زياد بن الأشهب الذي وفد على عليٍّ ليصلح بينه وبين معاوية ، ومالك بن عبدالله بن جعدة الذي أجاز قيس بن زهير العبسي . وبنو قُشَيْر بن كعب منهم مُرَّة بن هُبيرة بن عامر بن مسلمة الخير بن قشير وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فولَّاه صدقات قومه ، وكلثوم بن عياض بن رُصُوح بن الأَعور بن قُشَيْر الذي ولي أفريقيا ، وابن أخيه بلخ بن بشر . ومن بني قشير بخراسان أعيان منهم أبو القاسم القشيريَّ صاحب الرسالة ، ومنهم عريسة الأندلس بنو رشيق ملكها منهم عبد الرحمن بن رشيق وأخرج منها ابن عمارة ، ومنهم الصِّمَّة بن عبدالله من شعراء الحماسة . وبنو العجلان بن عبدالله بن كعب وشاعرهم تميم بن مُقبل . وبنو عقيل بن كعب وهم بطون كثيرة منهم : بنو المُتَنَفِّق بن عامر بن عقيل . ومن أعقاب بني المتنفق هؤلاء العرب المعروفون في المغرب بالخلط . قال عليُّ بن عبد العزيز الجرجاني : الخلط بنو عوف وبنو معاوية ابنا المتنفق بن عامر بن عقيل انتهى .

قال ابن سعيد : ومنازل المتنفق ^(١) الآجام التي بين البصرة والكوفة والأمانة منهم في بني معروف . قلت والخلط لهذا العهد في أعداد جشم بالمغرب ، ومن بني عقيل بن كعب بنو عبادة بن عقيل ، منهم الأخيل وإسمه كعب بن الرِّحَال بن معاوية بن عبادة ، ومن عقبه ليل الأخيلىة ^(٢) بنت حذيفة بن سداد بن الأخيل .

وذكر ابن قتيبة : أن قيس بن المُلُوح المجنون منهم . وبنو عبادة هؤلاء لهذا العهد فيما قال ابن سعيد بالجزيرة الفراتية فيما يلي العراق ، ولهم عدد وذكر ، وغلب منهم على الموصل وحلب في أواسط الخامسة قریش بن بدران بن مُقلد فلُكها هو وابنه مُسَلِّم بن قریش من بعده ، ويسمى شرف الدولة ، وتوالى الملك في عقب مسلم بن قریش منهم إلى أن انقرضوا . قال ابن سعيد : ومنهم لهذا العهد بقية بين الحازر والزاب يقال لهم عرب شرف الدولة ، ولهم إحسان من صاحب الموصل وهم في تجمل وعز إلا أن عددهم قليل نحو مائة فارس . ومن بني عقيل بن كعب خفاجة بن عمرو بن عقيل

(١) تسمى الآن في العراق (المتنفك) ويطلقونها خاصة على لواء الناصرية .

(٢) وفي نسخة ثانية : ليلي الأخيلىة .

وانتقلوا في قرب من هذه العصور إلى العراق والجزيرة ولهم ببادية العراق دولة ، ومن بني عامر بن عقيل بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف ، وهم إخوة بني المُتفق وهم ساكنون بجهات البصرة وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسن ملكوها من تغلب . قال ابن سعيد : وملكوا أرض اليمامة من بني كلاب ، وكان ملكهم لعهد الخمسين من المائة السابعة عصفور وبنوه وقد انقضى الكلام في بطون قيس عيلان . والله المعين لا ربَّ غيره ولا خيرٌ إلَّا خيره وهو نِعَمُ المولى ، ونِعَمُ النصير ، وهو حسبي ونِعَمُ الوكيل . وأسأله الستر الجميل آمين .

[illegible]

مجلس

بدر بن علي بن قزاق
شعخ مازن
عبس
الشعخ
مؤلف باهله
موسى بن عبد الله بن علقمان
بنو كنانة

وَأَمَّا بَطُون خَنْدَفِ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ وَلَدِ الْيَاسِ مُدْرَكَةَ وَطَابِخَةَ وَقَعَةَ وَأُمَّهُمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُضَاعَةَ اسْمُهَا خَنْدَفُ فَانْتَسَبَ وَلَدُ الْيَاسِ كُلُّهُمْ إِلَيْهَا ، فَمِنْ بَطُونِ قُضَاعَةَ أَسْلَمَ وَخَزَاعَةَ ، فَأَسْلَمَ بَنُو أَفْصَى بْنِ عَامِرٍ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَخَزَاعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ بْنِ لَحِيٍّ وَهُوَ رِبِيعَةُ ابْنِ عَامِرٍ بْنِ قَعَةَ وَاسْمُهُ حَارِثَةُ . وَعَمْرُو بْنُ لَحِيٍّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ وَعَبَدَ الْأَوْثَانَ وَأَمَرَ الْعَرَبَ بِعِبَادَتِهَا ، وَفِيهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «رَأَيْتَ عَمْرُو بْنَ لَحِيٍّ يَحْرُقُ قَصْبَهُ فِي النَّارِ» يَعْنِي أَحْشَاءَهُ . وَمَوَاطِنُهُمْ بِأَنْحَاءِ مَكَّةَ فِي مَرِّ الظَّهْرَانِ وَمَا يَلِيهِ وَكَانُوا حُلَفَاءَ لِقُرَيْشٍ . وَدَخَلُوا عَامَ الْحَدِيثِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا مِمَّا ^(١) صَالِحٌ قُرَيْشًا عَلَيْهِ ثُمَّ نَقَضُوا عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، فَغَزَا قُرَيْشًا وَغَلِبَهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ وَافْتَتَحَ مَكَّةَ وَكَانَ عَامَ الْفَتْحِ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ خَزَاعَةَ هَؤُلَاءِ مِنْ غَسَّانٍ وَأَنَّهُمْ بَنُو حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو مَزْيَقِيَا ، وَأَنَّهُمْ أَقَامُوا بِمَرِّ الظَّهْرَانِ حِينَ سَارَتْ غَسَّانُ إِلَى الشَّامِ وَتَخَزَعُوا عَنْهُمْ فَسَمَوْا خَزَاعَةَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ كَمَا ذَكَرَ . وَكَانَ لَخَزَاعَةَ وَلَايَةُ الْبَيْتِ قَبْلَ قُرَيْشٍ فِي بَنِي كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ لَحِيٍّ ، وَانْتَهَتْ إِلَى حَلِيلِ بْنِ حَبِشَةَ بْنِ سُلُولٍ وَهُوَ الَّذِي أَوْصَى بِهَا لِقَصِيٍّ بْنِ كَلَابٍ حِينَ زَوَّجَهُ ابْنَتَهُ حَبِشَةَ بِنْتَ حَلِيلٍ . وَيُقَالُ : إِنَّ أَبَا غَبْشَانَ بْنِ حَلِيلٍ وَاسْمُهُ الْمُخْتَرِشُ بَاعَ الْكَعْبَةَ مِنْ قُصَيٍّ بَزَقَ وَخَمَرُ فِيهِ جَرَى الْمَثَلُ الْمَعْرُوفُ . يُقَالُ : أَخْصَرَ صَفْقَةً مِنْ أَبِي غَبْشَانَ . وَمَنْ وَلَدَ حَلِيلُ بْنُ حَبِشَةَ كَانَ كَرَزُ بْنُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَلَالِ بْنِ حُرَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ فَهْمٍ بْنِ حَلِيلٍ ، الَّذِي قَفَا أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْغَارِ ، وَرَأَى عَلَيْهِ نَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ وَعَشَّ الْيَمَامَةُ بَيِّضُهَا فَرَخُوا عَنْهُ .

وَلِخَزَاعَةَ هَؤُلَاءِ بَطُونٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ بَنُو الْمُصْطَلِقِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ لَحِيٍّ ، وَبَنُو كَعْبِ بْنِ عَمْرِو . وَمِنْهُمْ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ صَحَابِيٌّ ، وَسَلِيمَانُ بْنُ صُرْدٍ أَمِيرُ التَّوَابِينِ الْقَائِمِينَ بِثَارِ الْحُسَيْنِ ، وَمَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ مِنْ نَقَبَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَبَنُو عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو ، وَمِنْهُمْ جَوَازِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَنُو مَلِيحِ بْنِ عَمْرِو ، وَمِنْهُمْ طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ ، وَكَثِيرُ الشَّاعِرِ صَاحِبِ عَزَّةَ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَوِيْمِ بْنِ مَخْلَدِ بْنِ سَبِيْعِ بْنِ خَثْعَمَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَلِيحٍ . وَبَنُو عَوْفِ بْنِ عَمْرِو وَمِنْهُمْ الْعَبَادُ أَهْلُ الْحَيْرَةِ وَهُمْ بَنُو جُهَيْنَةَ بْنِ عَوْفٍ . وَمِنْ إِخْوَةِ خَزَاعَةَ بَنُو أَسْلَمَ بْنِ أَفْصَى بْنِ عَامِرِ بْنِ قُضَاعَةَ وَبَنُو مَالِكِ بْنِ أَفْصَى ، وَمَاثَانُ بْنُ أَفْصَى . فَمِنْ أَسْلَمَ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَاعِ

(١) الْأَصَحُّ أَنْ يَقُولَ : مِنْ .

الصحابي وذُحَيْل وبنو الشيص الشاعران ومحمد بن الأشعث قائد بني العباس ، ومن ذلك مالك بن سليمان بن كُثَيْب من دعاة بني العباس قتله أبو مسلم .
وأما طابخة فلهم بطون كثيرة أشهرها ضَبَّة والرَّبَابُ ومُزَيْنَةُ وتَمِيم ، ويطون صغار إخوة تَمِيم ، منهم صوفة ومحارب .

فأما بنو تَمِيم بن مَرْفَعهم : بنو تَمِيم بن مَرْبْن أَدَّ بن طابخة ، وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة وانتشرت إلى العُدَيْب من أرض الكوفة ، وقد تفرقوا لهذا العهد في الحواضر ولم تبق منهم باقية ، وورث منازلهم الحَيَّان العَظِيَّان بالمشرق لهذا العهد غَزِيَّة من طيء وخفاجة من بني عَقِيل بن كعب . ولتَمِيم بطون كثيرة منهم الحارث بن تَمِيم وفيهم ينسب المُسَيَّبُ بن شريك الفقيه وهم قليل ، وبنو العنبر الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات ، وزُفَرُ الفقيه ابن ذُهَيْل ابن قيس بن مسلم بن قيس بن مُكَمَّل بن ذَهَل بن ذُوَيْب بن جُدَيْمَة بن عمرو بن جيجور بن جُنْدَب بن العنبر صاحب أبي حنيفة ، والناسك الفاضل عامر بن عبد قيس بن ثابت بن بشامة بن حُذَيْفَة بن معاوية بن الجون بن كعب بن جندب وربيعة ابن ربيع بن سلمة بن محلم بن صلاة بن عبدة بن عدي بن جندب ، وبنو الهجيج بن عمرو بن تَمِيم وبنو أسيد بن عمير . وكان منهم أبو هالة هند بن زُرارة بن النَّبَّاس بن عدي بن نَمِير بن أسيد الصحابي المشهور ، وحنظلة بن الربيع بن صيفي بن رياح ابن الحرث بن محاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحليم^(١) المشهور أكَثَم بن صيفي بن رياح ، ويحيى بن أكَثَم قاضي المأمون من وُلد صيفي بن رياح . وبنو مالك بن عمرو بن تَمِيم منهم النضر بن شَمِيل ابن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير بن عروة بن جميل بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك النحوي المحدث ، وسلم بن أخوز بن أربد بن محزر بن لاي بن مهل بن ضباب بن حجة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك صاحب الشرطة لنصر بن سيار وقاتل يَحْيَى بن زيد بن زين العابدين ، وأخوه هلال بن أخوز قاتل آل المهلب ، وقطري بن الفُجاءة ، واسم الفُجاءة جعونة بن يزيد بن زياد بن جتر بن كابية بن حرقوص الخارجي الأزرقِي سلم عليه بالخلافة عشرين سنة ، ومالك بن الرب بن جوط بن قرط بن حُسَيْل بن ربيعة بن كنانة بن حرقوص

(١) الصحيح : الحكيم لا الحليم حسب شهرة أكَثَم بن صيفي .

صاحب القصيدة المشهورة نعى بها نفسه وبعث بها إلى قومه وهو في خراسان في بعث
عثمان بن عفان وأولها :

دعاني الهوى من أهل ودِّي ورفقتي بذى الشيطان^(١) فالتفتُ ورائيا
يقولون لا تبع^(٢) وهم يدفنوني وأين مكانُ البعد إلا مكانيا
وبنو عمرو بن العلاء بن عمار بن عدنان بن عبيد الله بن الحصي بن الحرث بن جلهم
ابن خزاعي بن مازن بن مالك ، وبنو الحرث بن عمرو بن تميم وهم الحبطات منهم
عباد بن الحُصين بن يزيد بن أوس بن سيف بن عدم بن جبلة بن قيار بن سعد بن
الحرث وهو الملقب بالحبط لعظم بطنه ، وبنو امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم
وكان منهم زيد بن عدي بن زيد بن أيوب بن مُخَوِّف بن عامر بن عطية بن امرئ
القيس صاحب النعمان بن المنذر بالحيرة الذي سعى به إلى كسرى حتى قتله ومُقاتل بن
حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مخوف صاحب قصر بني مقاتل بن
منصور بالحيرة ولاهز بن قُريظ بن سري بن الكاهن بن زيد بن عُصَيَّة من دعاة بني
العباس الذي قتله أبو مسلم لندارته لنصر بن سيار . وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم
منهم الأبناء كان منهم رُؤبة بن العجاج بن رُوبة بن لييد بن صخر بن كنيف بن عُمر
ابن حي بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد ، وعبد بن الطيب الشاعر . وبنو منقر
ابن عبيد بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، كان منهم قيس بن
عاصم بن سنان بن خالد بن منقر ولأه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات
قومه ، وكان من ولده مئة صاحبة ذي الرمة بنت مقاتل بن طلحة بن قيس بن
عاصم . ومن بني منقر عمرو بن الأهم صحابي وبنو مرة بن عبيد بن مقاعس ،
منهم الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن التَّزَال بن مرة
وأبو بكر الأبهري المالكي ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح بن عمرو بن
حفص بن عمرو بن مُصعب بن الزبير بن سعد بن كعب بن عبادة بن التَّزَال . وبنو
صُريم بن مقاعس ، منهم عبد الله بن أباض رئيس الأباضية من الخوارج ،
وعبد الله بن صفار رئيس الصفرية ، والبرك بن عبد الله الذي اشترط بقتل معاوية
وضربه فجرحه . وبنو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة منهم ، ثم من بني بهدلة

(١) الشيطان : مثنى شَيْطٍ بتشديد الياء اهـ .

(٢) تبع : من بعد بمعنى هلك ومات .

ابن عوف الزبرقان واسمه الحُصَيْن بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة وأويس ابن اخيه حنظلة الذي أسر هوزة بن علي الحنفي . ومن بني عطارد بن عوف كرب بن صفوان بن شخمة بن عطارد الذي كان يحيز بأهل الموسم في الجاهلية . ومن بني قُرَيْع بن عوف بن كعب جعفر الملقب أنف الناقة وكان ولده يغضبون منها إلى أن مدحهم الحُطَيْثَةُ بقوله :

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بَأَنْفِ النَّاقَةِ الدُّنْيَا (١)
وبنو الحرث الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، كان منهم زهرة بن جَوْثَةَ بن عبدالله بن قتادة بن مُرثد بن معاوية بن قطن بن مالك بن أَرْتَم بن جشم بن الحرث الذي أبلى في القادسية وقتل الجالينوس أمير الفرس ، وقتله هو بعد ذلك أصحاب شبيب الخارجي مع عتاب بن ورقا وبنو مالك بن سعد بن زيد مناة ، كان منهم الأغلب بن سالم بن عقال بن خفافة بن عَبَّاد بن عبدالله بن مُحَرث بن سعد بن حرام بن سعد بن مالك أبو الولاة بأفريقية لبني العباس ، وبنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة كان منهم عروة بن جرير بن عامر بن عبد بن كعب بن ربيعة أول خارجي قال : لا حكم إلا لله يوم صفين . ويعرف بأن أباه نسبه إلى أمه . ومن بني حنظلة بن مالك البراجم وهم بنو عمرو . والظلم وغالب وكلبة وقيس كلهم بنو حنظلة كان منهم ضابيء بن الحرث بن أرطاة بن شهاب بن عُبَيْد بن جنادل (٢) بن قيس وابن عُمير بن ضابيء الذي قتله الحجاج . وبنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة كان منهم بمراثيه المشهورة ، وبنو الحرث بن يربوع منهم الزبير بن الماحور أمير الخوارج وأخوه عثمان وعلي وهم بنو بشير بن يزيد الملقب بالماهور بن الحارث بن ساحق بن الحرث بن سليط بن يربوع وكلهم أمراء الأزارقة ، وبنو كليب بن يربوع كان منهم جرير الشاعر ابن عطية بن الخطفي وهو حذيفة بن بدر بن سلم بن عوف بن كليب . وبنو العنبر بن يربوع منهم كانت سجاح المنتبئة بنت أويس بن جوين بن سامة بن عنبر . وبنو رياح كان منهم شُبْتُ بن ربيعي بن حصين بن عُميم بن ربيعة بن زيد بن رياح كان منهم رياح أسلم ثم سار مع الخوارج ثم رجع عنهم تائباً ، ومعقل بن قيس أوفده عمار بن ياسر على عمر بتفتح تستر ، وعتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح

(١) فأصبحوا بعد مدحه يفتخرون به .

(٢) وفي نسخة أخرى : جندال .

أمير أصبهان وقتله شبيب الخارجي . وبنو طهية بن مالك وهم بنو أبي سود وعوف ابني مالك . وبنو دارم بن مالك بن حنظلة كان منهم ثم من بني نهشل بن دارم بن حازم بن خزيمة بن عبدالله بن حنظلة فضلة بن حدثان بن مطلق بن أصحرب بن نهشل صاحب الشرطة لبني العباس . ومن بني مجاشع بن دارم الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، والفرزدق بن يغالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال والحتات بن يزيد بن علقمة الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان . ومن بني عبدالله بن دارم المنذر بن ساوى بن عبدالله بن زيد بن عبد مناة بن دارم صاحب هجر ومن بني غرس بن زيد بن عبدالله بن دارم حاجب بن زرارة بن غرس وابنه عطارد وبنوهم ، كان فيهم رؤساء وأمراء وانقضى الكلام في تميم .

وأما بنو مزينة : وهم بنو مز بن أد بن طابخة بن إلياس واسم ولده عثمان وأوس وأمهما مزينة فسُمي جمع ولديهما بها ، فكان منهم زهير بن أبي سلمى وهوريعة بن أبي رباح بن قرة بن الحرث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاظم بن عثمان أحد الشعراء الستة ، وابناه بجير وكعب الذي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنعمان بن مقرن بن عامر بن صبح بن هجيم بن نصر بن حبشية بن كعب بن عفرأ بن ثور بن هرمة ، وأخوه سويد الذي قتل يوم نهاوند ، ومعقل بن يسار بن عبدالله بن معير بن حراق بن لابي بن كعب بن عيد ثور الصحابي المشهور . وأما الرباب : وهم بنو عبد مناة بن أد بن طابخة فمن بنيهم تميم وعدي وعوف وثور ، وسُموا الرباب لأنهم غمسا في الرب أيديهم في حلف على بني ضبة ، وبلادهم جوار بني تميم بالدهنا ، وفي أشعارهم ذكر حزوى وعالج من معالمها . وتفرقوا لهذا العهد ولم يبق منهم أحد هنالك . وكان من بني تميم بن عبد مناة المستورد بن علقمة بن الفريس بن صباري بن نشبة بن ربيع بن عمرو بن عبدالله بن لوي بن عمرو بن الحرث بن تميم الخارجي قتله معقل بن قيس الرياحي في إمارة المغيرة بن شعبة ، وابن باخمة ورد بن مجالد بن علقمة حضر مع عبد الرحمن بن ملجم في قتل علي وقتل ، وقطام بنت بجنة بن عدي بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن تميم التي تزوجها عبد الرحمن بن ملجم ومهرها قتل علي فيما قيل حيث يقول :

ثلاثة آلاف وعبدٌ وقينةٌ وضربُ عليٍّ بالحسام المُصمِّم^(١) وكانت خارجية وقتل أبوها شحمة وعمها الأخضر يوم النهروان . ومن بني عدي بن عبد مناة ذي الرمة الشاعر ، وهو غيلان بن عقبة بن بهس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدي . ومن بني ثور بن عبد مناة ويسمى أطلمل سُفيان الثوري ، وهو سُفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن منقر بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور وأخواه عمرو والمبارك والربيع بن خثيم الفقيه . وأما ضُبَّة : فهم بنو ضُبَّة بن أدّ وكانت ديارهم جوار بني تميم إخوانهم بالناحية الشمالية التهامية من نجد ، ثم انتقلوا في الإسلام إلى العراق بجهة النعمانية وبها قتلوا المثنى الشاعر . ففهم ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن أسعد بن ضُبَّة سيد بني ضُبَّة في الجاهلية ، وبقيت سيادتهم في بنيهِ ، وكان له ثمانية عشر ولداً ذكراً شهدوا معه يوم القريتين ، وابنه حصين كان مع عائشة يوم الحمل ، ومن ولده القاضي أبو شبرمة عبدالله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان بن المنذر بن ضرار بن عنبة بن اسحق بن شمر بن عيس بن عنبة بن شعبة ابن المختبر بن عامر بن العباب بن حسل بن بجالة المذكور في قواد بني العباس ولي مصر أيام المتوكل . ويقال : إنّ الديلم من بني باسل بن ضُبَّة بن أدّ والله أعلم . وأما صوفة : فهم بنو الغوث بن مرّ بن أدّ كانوا يجيزون بالحاج في الموسم لا يجوز أحد حتى يجوزوا ثم انقضوا عن آخرهم في الجاهلية ، وورث ذلك آل صفوان بن شحمة من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقد مرّ ذكر ذلك وانقضى بنو طابخة بن إلياس .

وأما مدركة بن إلياس فهم بطون كثيرة أعظمها هذيل والقارة وأسد وكنانة وقريش . فأما هذيل : فهم بنو هذيل بن مدركة ، وديارهم بالسروات ، وسراهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف ، ولهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة وبين

(١) وفي كتاب : The Religion of the Shiah لمؤلفه دوايت . م دونالدسن

ثلاثة آلاف وعبد وقينه وضرب علي بالحسام المسمم
فلا مهر أعلى من علي وإن علا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
وربما تكون هذه الرواية أصح لان الحسام الذي قتل به الامام كان مسموماً .

مكة والمدينة ، ومنها الرجيعُ وبئر معونة . وهم بطنان سعد بن هذيل ولحيان بن هذيل : فمن بني سعد بن هذيل أبو بكر الشاعر ، والحطيئة فيما يقال ، وعبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد الصحابي المشهور . وأخواه عتبة وعميس ، وبنيه عبد الرحمن وعتبة ، والمسعودي المؤرخ ابن عتبة وهو عليّ بن الحسين بن عليّ بن عبدالله بن زيد بن عتبة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، ومن عتبة أخيه عتبة بن عبيدالله بن زيد بن عتبة فقيه المدينة . وقد افترقوا في الإسلام على الممالك ولم يبق لهم حي يطرف . وبأفريقية منهم قبيلة بنواحي باجة يعسكرون مع جند السلطان ويؤدّون المغرم .

وأما بنو أسد : فبنو أسد بن خزيمة بن مُدركة ، بطن كبير متسع ذو بطون ، وبلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طيء ، ويقال : إن بلاد طيء كانت لبني أسد ، فلما خرجوا من اليمن غلبهم على أجا وسلمى وجاؤا واصطلحوا وتجاوروا لبني أسد والتغلبة وواقصة وغازية . ولهم من المنازل المسماة في الأشعار غاضرة والنعف ، وقد تفرّقوا من بلاد الحجاز على الأقطار ولم يبق لهم حيّ وبلادهم الآن فيما ذكر ابن سعيد لطيء وبني عقيل الأمراء ، كانوا بأرض العراق والجزيرة وكانوا في الدولة السلجوقية قد عظم أمرهم وملكوا الحلة وجهاتها ، وكان بها منهم الملوك بنو مرين الذين ألف الهباري أرجوزته المعروفة به في السياسة . ثم اضمحلّ ملكهم بعد ذلك وورث بلادهم بالعراق خفاجة . وكانت بنو أسد بطوناً كثيرة ، كان منها بنو كاهل قاتل حجر بن عمر والملك والد امرئ القيس ، وبنو غنم بن دودان بن أسد منهم : عبيدالله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم الذي أسلم ثم تنصّر ومات نصرانياً ، وأخته زينب أم المؤمنين رضي الله عنها ، وعكاشة بن محصن بن حذاثان بن قيس بن مرة بن كثير الصحابي المشهور . وبنو ثعلبة بن دودان بن أسد منهم : الكُميت الشاعر ابن زيد بن الأخنس بن ربيعة بن امرئ القيس بن الحرث بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة ، وضار بن الأزور وهو مالك بن أويس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة الصحابي ، قاتل مالك بن نويرة ، والحضرمي بن عامر بن مجمع بن موالدة بن همام بن صحب بن القيس بن مالك وافدهم على النبي صلى الله عليه وسلم . وبنو عمرو بن قعيد بن

الحارث بن ثعلبة بن دودان منهم : الطَّمَّاح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعيد الذي سعى عند قيصر في هلاك امرئ القيس ، وطليحة بن خويلد بن نوفل بن فضلة بن الأشتر بن حجوان بن فقعس بن طريف بن عمر والذي كان كاهناً وادعى النبوة ثم أسلم .

وفي بني أسد بطون يطول ذكرها .

وأما القارة وعكل : فهم بنو الهون بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس إخوة بني أسد وكانوا حلفاء لبني زهرة بن قريش .

وأما كنانة فهم كنانة بن خزيمة بن مُدركة إخوة بني أسد ، وديارهم بجهات مكة ، وفيهم بطون كثيرة وأشرفها قريش ، وهم بنو النضر بن كنانة وسيأتي ذكرهم . ثم بنو عبد مناة بن كنانة وبنو مالك بن كنانة . فمن بني عبد مناة : بنو بكر وبنو مرة وبنو الحرث وبنو عامر ، فمن بني بكر بنو كَيْث بن بكر منهم بنو المُلُوح بن يعمر وهو الشدَّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث . ومنهم الصعب بن جُثامة بن قيس بن الشدَّاخ الصحابي المشهور ، والشاعر عُرْوَةُ بن أُدينة بن يحيى بن مالك بن الحرث بن عبد الله ابن الشدَّاخ ، ومنهم بنو شجع بن عامر بن ليث بن بكر ومنهم أبو واقد الليثي الصحابي وهو الحرث بن عوف بن أسيد بن جابر بن عديدة بن عبد مناة بن شجع ، وبنو سعد بن ليث بن بكر منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر بن خميس بن عدي بن سعد آخر من بقي ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم مات سنة سبع ومائة وواثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن عبدة بن سعد الصحابي المشهور ، وبنو جذع بن بكر بن ليث بن بكر : منهم أمير خراسان نصر بن سيار بن رافع بن عدي بن ربيعة بن عامر بن عوف بن جُندع ورافع بن الليث بن نصر القائم بسمرقند أيام الرشيد بدعوة بني أمية ثم استأمن إلى المأمون . ومن بني عبد مناف بنو عريج بن بكر بن عبد مناف وبنو الدَّيْل بن بكر : منهم الأسود بن رزق بن يعمر بن نافثة بن عدي بن الدَّيْل الذي كان بسببه فتح مكة . وسارية بن زئيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن محبة بن عبد بن عدي بن الدَّيْل الذي ناداه عُمَرُ فَمَا اشْتَهَر من المدينة وهو بالعراق يقاتل وأبو الأسود واضع النحو وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندب بن يعمر بن حليس بن نافثة بن عدي . وبنو ضمرة بن بكر : منهم عامرة بن مخشى بن خُوَيْلِد عبد بن نَهْم بن يعمر

بن عوف بن جري بن ضمرة الذي وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه
وعمر بن أمية بن خويلد بن عبدالله بن إياس بن عبید بن ناشرة بن كعب بن جري
الصحابي ، والبراض بن قيس بن رافع بن قيس بن جري الفاتك قاتل عروة
الرحال ابن عتبة بن جعفر بن كلاب وكان بسببها حرب الفجار . ومن ضمرة غفار
بن مليل بن ضمرة بطن كان منهم أبو ذر الغفاري الصحابي وهو جندب بن جنادة
بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وصاحبه كثير الشاعر الذي تشبب بعزة بنت
جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى بن حاجب غافر بن غفار ومنهم كلثوم بن
الحصين بن خالد بن معيسير بن بدر بن خميس بن غفار واستخلفه النبي صلى الله
عليه وسلم على المدينة في غزوة الفتح . وبنو مدلج بن مرة بن عبد مناة : منهم سراقبة بن
مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تيم بن مدلج الذي اتبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بجعالة قريش ليرده فظهرت فيه الآية وصرفه الله تعالى عنه
ومُجَزَّزُ المِدْلَجِي الذي سرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقيافته في أسامة وزيد وهو
مُجَزَّزُ بن الأعور بن جعد بن مُعَاذُ بن عتارة بن عمرو بن مدلج . وبنو عامر بن عبد
مناة منهم بنو مُسَاحِقُ بن الأفرم بن جُدَيْمَةُ بن عامر الذين قتلهم خالد بن الوليد
بالغُمَيْصَا ووداهم النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر فعل خالد . وبنو الحارث بن عبد
مناة منهم الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن عامر بن جُدَيْمَةُ بن عوف بن
الحارث الذي عقد حلف الأحابيش مع قُريش وأخوه تيم الذي عقد حلف القارة
معهم . وبنو فراس بن مالك بن كنانة : منهم فارس العرب ربيعة بن المكدم بن
عامر بن خويلد بن جُدَيْمَةُ بن علقمة بن جذل الطعان بن فارس . وبنو عامر بن ثعلبة
بن الحارث بن مالك بن كنانة : منهم نَسَاءُ الشهور في الجاهلية قام الإسلام فيهم على
جنادة بن أمية بن عوف بن قلع بن جُدَيْمَةُ بن فُقيم بن علي بن عامر وكل من صارت
إليه هذه المرتبة كان يسمى القَلْمُسُ وأول من نسا الشهور : سمير بن ثعلبة بن الحارث
وكان منهم الرماحس بن عبد العزيز بن الرماحس بن الرسارس بن واقد بن وهب بن
هاجر بن عَزَّ بن وائلة بن الفاكه بن عمرو بن الحرث ولآه عبد الرحمن الداخل حين
جاء إلى الأندلس على الجزيرة وشذونة وامتنع بها ثم زحف إليه ففر إلى العدو وبها
مات . وكان له بالأندلس عَقَبٌ ولهم في الدولة الأموية ذكر وولايات كان منها على
الأساطيل فكان لهم فيها غَنَاءٌ وكانوا يغزون سواحل العبيديين بأفريقية فتعظم نكايتهم

ففيها . وهو وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا ربّ غيره ولا خير إلّا خيره ،
ولا يرجى إلّا آياه ولا معبود سواه ، وهو نعم المولى ، ونعم النصير ، وأسأله الستر
الجميل ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين ، حمداً دائماً
كثيراً ، والله وليّ التوفيق .

وأما قريش وهم وُلد النضر بن كنانة بن فَهْر بن مالك بن النضر ، والنضر هو الذي يسمّى قريشاً ، قيل للتقرش وهو التجارة ، وقيل تصغير قرش وهو الحوت الكبير المفترس دواب البحر . وإنما انتسبوا إلى فهر لأنّ عقب النضر منحصر فيه لم يعقب من بني النضر غيره ، فهذا وجه القول بأنّ قريشاً من بني فَهْر بن مالك أعني انحصار نسبهم فيه ، وأما الذي إسمه قريش فهو النضر . فولد فَهْر غالب والحارث ومحارب فبنو محارب بن فَهْر من قريش الظواهر منهم الضحّاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيّان بن مُحارب صاحب مرج راهط ، قاتل فيه مروان بن الحكم حين بويع له بالخلافة وقتل . وضَرَار بن الخطّاب بن مُردّاس بن كُثَيّر بن عمرو آكل السُّقْف^(١) ابن حبيب بن عمرو بن شيّان الفارس المشهور في الصحابة ، وأبوه الخطّاب بن مُردّاس سيد الظواهر في الجاهلية ، وكان يأخذ المرباع منهم وحضر حروب الفجّار ، وابنه من فرسان الإسلام وشعرائه . وعبد الملك بن قطي بن هَشل بن عمرو بن عبد الله بن وهب بن سعد بن عمرو آكل السُّقْف شهد يوم الحرة وعاش حتى ولي الأندلس وصلبه أصحاب بلخ بن بشر القُشيري ، وكرز بن جابر بن حُسل ابن لاجب بن حبيب بن عمرو بن شيّان قتل يوم الفتح وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسار بنو الحرث بن فهر من الظواهر ، منهم أبو عُبَيْدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهب بن ضَبّة بن الحرث من العشيرة وأمير المسلمين بالشام عند الفتح ، وعُقبه بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أُميّة بن ضرب بن الحرث فاتح أفريقية ومؤسس القيروان بها ، ومن عقبه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عُقبه والي أفريقية أبوه حبيب بن عُقبه هو قاتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ويوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة صاحب الأندلس وعليه دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك فقتله وولياها هو وبنوه من بعده .

وأما غالب بن فَهْر وهو في عمود النسب الكريم فولد تَيْم الأدرم وولدين فبنو تيم الأدرم من الظواهر وهم بادية ، كان منهم ابن خَطْل الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح فقتل وهو متعلّق بأستار الكعبة ، وهو هلال بن عبد الله بن عبد مناة بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم الأدرم .
وأما لُؤي بن غالب في عمود النسب الكريم فولد كعباً وعامراً وبطوناً أخرى يختلف

(١) ج سقيفة : بمعنى البعير .

في نسبها إلى لؤي خزيمة وسامة وسعد وجشم ، وهو الحارث وعوف وهم من قريش الظواهر على أقل ، فمنهم خزيمة بن لؤي وبنو سامة بن لؤي ، ويقال ليس بنو سامة من قريش وهم بعمان . ويقال : إن منهم بني سامان ملوك ما وراء النهر . فأما بنو عامر بن لؤي فهم شقير حسل بن عامر ومعيص بن عامر فن بني معيص بشر بن أوطاة وهو عويمر عمران بن الحليس بن يسار بن نزار بن معيص بن عامر وهو أحد قواد معاوية ، ومكرز بن حفص بن الأحنف بن علقمة بن عبد الحارث بن مُنْقذ بن عمرو بن معيص من سادات قريش الذي أجار أبا جندل بن سهيل فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب الأصم ابن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص ، وهو ابن خال خديجة وأمه أم كلثوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم .

ومن بني حسل عامر بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن جبيل بن خزيمة بن مالك بن حسل بن عامر أمير المسلمين في فتح أفريقية أيام عثمان وولي مصر وكان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى مكة ثم جاء اثناً وحسنت حاله وقصته معروفة ، وحويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل له صُحْبَةٌ ، وعبد عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك صاحب الحُدَيْيَّة وأخوه السكران ، وابنه أبو جندل سهيل واسمه العاصي وهو الذي جاء في قيوده يوم صلح الحُدَيْيَّة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فردّه وقصته معروفة . وزُمعة بن قيس بن عبد شمس ، وابنه عبد بن زُمعة ، وبنته سودة بنت زُمعة أم المؤمنين وكانت زوجة السكران ابن عمها ، ثم تزوجها بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما كعب بن لؤي وهو في عمود النسب الكريم فولده مَرَّةٌ وهُصَيْص وعديّ وهم قريش البطاح أي بطائح مكة ، فن ابن كعب هُصَيْص بن كعب بن لؤي بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب منهم العاصي بن وائل بن هشام بن سعيد بن سَهْم ، وابناه عمرو وهشام ابنا العاصي ، وعبد الرحمن بن معيص بن أبي وداعة وهو الحارث بن سعيد بن سعد بن سهم قارىء أهل مكة ، وإسماعيل بن جامع بن عبد المطلب بن أبي وداعة مفتي مكة وبنوه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سَهْم قتل يوم بدر كافرين وألقيا في القليب ، وقتل يومئذ العاصي بن مُنْبِه ، وكان له ذو

الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعبد الله بن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم كان يؤذي بشعره ثم أسلم وحسن إسلامه ، وحذافة بن قيس أبو الأخنس وخنيس ، وكان خنيس على حفصة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله بن حذافة من مهاجرة الحبشة وهو الذي مضى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى . وبنو جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب ، كان منهم أمية بن خلف بن وهب بن حذافة قتل يوم بدر وأخوه أبي قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بيده وابنه صفوان بن أمية أسلم يوم الفتح وابنه عبد الله بن صفوان قتل مع الزبير وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة وإخوته قدامة والسائب وعبد الله مهاجرون بدريون وإخوتهم زينب بنت مظعون أم حفصة .

وبنو عدي بن كعب : منهم زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي^(١) . رفض الأوثان في الجاهلية والتزم الحنيفية ملّة إبراهيم إلى أن قتل بقرية من قرى البلقاء قتله لخم أو جذام ، وابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة . وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وابنه عبد الله وعاصم وعبيد الله وغيرهم ، وخارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبيد الله بن عويج بن عدي بن كعب الذي قتله الحروري بمصر يظنه عمرو بن العاص^(٢) وقال : أردت عمراً وأراد الله خارجة فصارت مثلاً . وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم صاحب النفل يوم حنين ومطيع بن الأسود بن حارثة بن فضلة بن عوف بن عبيد بن عويج صحابي ، وابنه عبد الله بن مطيع كان على المهاجرين يوم الحرة قتل مع ابن الزبير بمكة .

وأما مرة بن كعب وهو من عمود النسب الكريم فكان له من الولد كلاب وتيم ويقظة .

فأما تيم بن مرة فمنهم : عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم سيد قريش في الجاهلية وتنسب إليه الدار المشهورة يومئذ بمكة . ومنهم أبو بكر الصديق واسمه عبد الله بن أبي قحافة وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب وابناه عبد

(١) وفي نسخة أخرى : رزاح بن عدي .

(٢) وبهذه المناسبة قال الشاعر :

وليها اذ فدت عمر الخارجة فدت عليا بمن شئت من البشر

الرحمن ومحمد * وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب قتل يوم الجمل
وابنه محمد السجّاد وأعقابهم كثيرة .

وبنو يقظة بن مرة منهم : بنو مخزوم بن يقظة بن مرة فمنهم صيفي بن أبي رُقاعة وهو
أمية بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، قتل هو أخوه بيدركافراً ، والأرقم بن
أبي الأرقم وإسمه عبد مناف بن أبي جُنْدُب ، وإسمه أسد بن عبد الله بن عمرو بن
مخزوم صاحبني بدريّ كان يجتمع بداره النبيّ صلى الله عليه وسلم والمسلمون سرّاً قبل
أن يفشوا الإسلام ، وأبوسلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو
بن مخزوم من قدماء المهاجرين كان زوج أمّ سلمة قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم ،
والفاكية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وإسمه أبو قيس قتل يوم بدر كافراً ،
وأبو جهل بن هشام بن المغيرة وإسمه عمر وقتل يومئذ كافراً وابنه عكرمة صحابي ،
والحارث بن هشام بن المغيرة أسلم وحسن إسلامه وله عقب كثير مشهورون ، وأبو أمية
بن أبي حذيفة بن المغيرة قتل يوم بدر كافراً وبنته أمّ سلمة أمّ المؤمنين وهشام بن أبي
حذيفة من مهاجرة الحبشة ، وعبد الله بن أبي ربيعة وهو عمرو بن المغيرة من
الصحابة من ولده الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقبّاع ، والوليد بن
المغيرة مات بمكة كافراً وابنه خالد بن الوليد سيف الله صاحب الفتوحات
الإسلامية ، وسعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران
بن مخزوم تابعي ، وأبوه المسيّب من أهل بيعة الرضوان .

وأما كلاب بن مرة من عمود النسب الكريم فولد له قُصَيّ وزهرة فبنو زهرة بن
كلاب منهم أمّنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم النبيّ صلى الله عليه وسلم وابن
أخيهما عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب ، وسعد بن أبي وقاص وإسمه مالك
بن وهب بن عبد مناف أمير المسلمين في فتح العراق ، وهاشم ابن أخيه عُتْبَة من
الأمراء يومئذ ، وابنه عمرو بن سعيد الذي بعثه عبد الله بن زياد لقتال الحسين وقتله
المختار بن أبي عُبَيْد ، وأخوه محمد بن سعد قتله الحجاج بن أبي الأشعث ، والمسور
ابن مخزومة بن نوفل بن وهب صحابي وأبوه من المؤلّفة قلوبهم ، وعبد الله بن عوف بن
عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة وابنه سلمة وله عقب كثير .

وأما قُصَيّ بن كلاب من عمود النسب الكريم ، وهو الذي جمع أمر قريش وأثل
مجدهم ، فولد له عبد مناف وعبد الدار وعبد العزّي .

فبنو عبد الدار كان منهم النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، أسير يوم بدر مع المشركين ، ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومراً بالصفراء أمر به فضرب عنقه هناك . ومُصعب بن عمرو بن هاشم بن عبد مناف صحابي بدري استشهد يوم أحد وكان صاحب اللواء ، ومن عقبه كان عامر بن وهب القائم بسرقسطة من الأندلس بدعوة أبي جعفر المنصور ، وقتله يوسف بن عبد الرحمن الفهري أمير الأندلس قبل عبد الرحمن الداخل . ومنهم أبو السنابل بن بعكك بن السباق بن عبد الدار صحابي مشهور ، ومنهم عثمان بن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الذي دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مفتاح الكعبة ، وقيل إننا دفعه إلى أخيه شيبة وصارت حجابة البيت إلى بني شيبة بن طلحة من يومئذ .

وبنو عبد العزى بن قصي منهم أبو البخترى العاصي بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، أراد التملك على قريش من قبل قيصر فنعوه فرجع عنهم إلى الشام ، وسجن من وجد بها من قريش ، وكان في جملتهم أبو أحيحة سعيد بن العاص فدمت قريش إلى عمرو بن جفنة الغساني ، فسم عثمان بن الحويرث ومات بالشام . وهبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، كان من عقبه عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبار صاحب السند وليها في ابتداء الفتنة إثر قتل المتوكل ، وتداول أولاده ملكها إلى أن انقطع أمرهم على يد محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وما دون النهر من خراسان ، وكانت قاعدتهم المنصورة ، وكان جدّه المنذر بن الربيع قد قام بقرقيسيا أيام السفاح فأسير وصُلب . وإسماعيل بن هبار قتله مُصعب بن عبد الرحمن غيلة ، وهبار كان يهجو النبي صلى الله عليه عليه وسلم ، ثم ابنه عوف أسلم فدحه وحسن إسلامه . وعبد الله بن زُمعة بن الأسود له صحبة وتزوج زينب بنت أبي سلمة من أم سلمة أم المؤمنين . وخديجة أم المؤمنين بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، والزبير بن العوام بن خويلد أحد العشرة ، وابناه عبد الله ومُصعب . وحكيم بن حزام بن خويلد عاش ستين سنة في الإسلام وباع داره والندوة من معاوية بمائة ألف ، وابنه هشام بن حكيم .

وأما عبد مناف وهو صاحب الشوكة في قريش وسنام الشرف وهو في عمود النسب الكريم ، فولد له عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل . وكان بنو هاشم وبنو عبد

شمس متقاسمين رياسة بني عبد مُناف والبقية أحلاف لهم فبنو المطلب أحلاف لبني هاشم وبنو نوفل أحلاف لبني عبد شمس .

فأما بنو عبد شمس فمنهم العبلات وهم بنو أمية الأصغر وبنو الثريا صاحبة عمرو بن أبي ربيعة وهي سيدة القريض المغني وبنو ربيعة بن عبد شمس : منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ومن عتبة ابنه الوليد وقتل يوم بدر كافراً ، وأبو حذيفة صحابي وهو مولى سالم قتل يوم اليمامة ، وهند بنت عتبة أم معاوية رضي الله عنها . وبنو عبد العزى بن عبد شمس : منهم أبو العاصي بن الربيع بن عبد العزى صهر النبي وكانت له منها أمانة تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنهما . وبنو أمية الأكبر بن عبد شمس منهم سعيد بن أبي أحيحة العاصي بن أمية مات كافراً ، وابنه خالد بن سعيد قتل يوم اليرموك ، وسعيد بن العاص بن سعيد قديم الإسلام ولي صنعاء واستشهد في فتح الشام ، وابنه سعيد قتل يوم اليرموك ، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ولي الكوفة لعثمان ، وابنه عمر والأشدق القائم على عبد الملك وقتله ، وأمير المؤمنين عثمان بن عفان بن العاص بن أمية ، ومروان بن الحكم بن أبي العاص ، وأعقابهم الخلفاء الأولون في الإسلام والملوك بالأندلس معروفون يأتي ذكرهم عند أخبار دولهم . وأبو سفيان بن حرب بن أمية وأبناؤه معاوية أمير المؤمنين ويزيد وحظلة وعتبة وأم حبيبة أم المؤمنين ، وعقب معاوية بين الخلفاء والإسلام بين معروف يذكرون عند ذكرهم . وعتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ولأه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة إذ فتحها فلم يزل عليها إلى أن مات يوم ورود الخبر بموت أبي بكر الصديق . ومنهم بنو أبي الشوارب القضاة ببغداد من عهد المتوكل إلى المقتدر ، وهم بنو أبي عثمان بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص وعقبه بن أبي معيط واسمه أبان بن عمرو بن أمية قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر صبراً ، وابنه الوليد صحابي ولي الكوفة وهو الذي حدّ على الخمر بين يدي عثمان ، وابنه أبو قطيفة الشاعر ، ومن عقبه بن أبي معيط المعطي الذي بويج بدانية من شرق الأندلس بايع له ما ملكها مجاهد زمان الفتنة بعد المائة الرابعة في آخر الدولة الأموية ، وهو عبد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عثمان بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عقبه بن أبي معيط .

وبنو نوفل بن عبد مناف : منهم جُبَيْر بن مُطْعَم بن عديّ بن نوفل الصحابي المشهور ، وأبوه مطعم هو الذي نُوّه به النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم الطائف ومات قبل بَدْر ، وطُعَيْمة بن عديّ قتل يوم بدر كافرًا ، ومولاه وحشي هو الذي قتل يوم أُحُد حمزة بن عبد المطلب .

وبنو المطلب بن عبد مناف منهم قيس بن مخزّمة بن المطلب صحابي ، وابنه عبد الله بن قيس مولى يسار جد محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي ، ومسطح وهو عوف بن أثانة بن عبّاد بن المطلب أحد من تكلم بالآفك وهو ابن خالة أبي بكر الصديق ، وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب كان من أشدّ الرجال ، وصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصّره وكانت آية من آياته . والسائب بن عبد يزيد وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر يوم بدر ومن عقبه الشافعيّ محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب .

وأما بنو هاشم بن عبد مناف فسيدهم عبد المطلب بن هاشم ، ولم يذكر من عقبه إلّا عقب عبد المطلب هذا ، وكان بنوه عشرة عبد الله أبو النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو أصغرهم ، وحمزة ، والعبّاس وأبو طالب ، والزبير ، والمقوم ويقال اسمه الغيداق ، وضرار وحجل ، وأبو لهب ، وقثم والزبير لا عقب لهما . وعقب حمزة انقرض فيما قال ابن حجر . ومن عقب أبي لهب ابنه عتبة صحابي . وأما عقب العبّاس وأبي طالب فأكثر من أن يحصر ، والبيت والشرف من بني العبّاس في عبد الله بن العبّاس ، ومن بني أبي طالب في علي أمير المؤمنين وبعده أخوه جعفر رضي الله عنهم أجمعين ، وسنذكر من مشاهيرهم عند ذكر أخبارهم ودولهم ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى .

هذا آخر الكلام وفي أنساب قريش وانقضى بتمامها الكلام في أنساب مضر وعدنان فلنرجع الآن إلى أخبار قريش وسائر مضر وما كان لهم من الدول الإسلامية . والله المستعان لا ربّ غيره ، ولا خير إلّا خيره ، ولا معبود سواه ولا يرجى إلّا إياه ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وأسأله الستر الجميل .

عبد المطلب بن هاشم	المطلب	ربيعه
بن عبد مناف	نوفل	ربيعه
بن قصي	عبد الدار	ربيعه
بن كلاب	مخزوم بن يقظة	ربيعه
بن مرة	مسهم بن عمرو بن هصيص	ربيعه
بن كعب	عامر	ربيعه
بن لؤي	سامة	ربيعه
بن غالب	نعم الادرم	ربيعه
بن فهر	محارب	ربيعه
بن مالك	الحارث	ربيعه
بن النضر		ربيعه
بن كنانة		ربيعه
آخر قریش		ربيعه

الخبر عن قريش من هذه الطبقة وملكهم بمكة وأولية
أمرهم وكيف صار الملك اليهم فيها ممن قبلهم من
الأمم السابقة

قد ذكروا عند الطبقة الأولى أن الحجاز وأكناف العرب كانت ديار العالقة من ولد
عمليق بن لاوذ وأنهم كان لهم ملك هنالك ، وكانت جرهم أيضاً من تلك الطبقة
من ولد يقطين بن شالغ بن أرفخشذ ، وكانت ديارهم اليمن مع إخوانهم
حَضْرَمُوت . وأصاب اليمن يومئذ قحط ففروا نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى وعثروا في
طريقهم بإسماعيل مع أمه هاجر عند زمزم ، وكان من شأنه وشأنهم معه ما ذكرناه
عند ذكر إبراهيم عليه السلام . ونزلوا على قَطُورًا من بقية العالقة ، وعليهم يومئذ
السُمَيْدِع بن هُوَثِر بناء مثله ابن لاوي بن قَطُورًا بن ذُكْر بن عِمْلَاق أو عمليق .
واتصل خبر جرهم من ورائهم من قومهم باليمن وما أصابوا من النجعة بالحجاز فلحقوا
بهم ، وعليهم مضاض بن عمرو بن سعيد بن الرقيب بن هَنْء بن نَبْت بن جرهم ،
فترلوا على مكة ببعيقعان وكانت قَطُورًا أسفل مكة . وكان مضاض يُعَشِّر من دخل
مكة من أعلاها والسُمَيْدِع من أسفلها ، هكذا عند ابن اسحق والمسعودي أن قَطُورًا
من العالقة ، وعند غيرهما أن قَطُورًا من بطون جرهم وليسوا من العالقة . ثم افترق أمر
قَطُورًا وجرهم وتنافسوا الملك واقتتلوا وعليهم المضاض وقتل السُمَيْدِع وانقضت
العرب العاربة قال الشاعر :

مضى آل عِمْلَاقٍ فلم يبقَ مِنْهُمْو حَقِيرٌ ولا ذٌ وعِزَّةٌ مُتَشَاوِسٌ
عَتَوْا فَادَّالَ الدَّهْرُ مِنْهُمْ وَحُكْمُهُ عَلَى النَّاسِ هَذَا وَاعْذُ وَبُيَاسٌ
ونشأ إسماعيل صلوات الله عليه بين جرهم وتكلم بلغتهم وتزوج منهم حرا بنت سعد بن
عوف بن هَنْء بن نَبْت بن جرهم ، وهي المرأة التي أمره أبوه بتطليقها لما زاره ووجده
غائبا فقال لها : قولي لزوجك فليغير عتبتة ، فطلقها وتزوج بنت أخيها مامة بنت
مُهْلَهْل بن سعد بن عوف ، ذكر هاتين المرأتين الواقدي في كتاب انتقال النور ،
وتزوج بعدها السيدة بنت الحرث بن مضاض بن عمرو بن جرهم . ولثلاثين سنة من
عمر إسماعيل قدم أبوه الحجاز فأمر ببناء الكعبة البيت الحرام ، وكان الحجر زرباً لغنم

إسماعيل فرغ قواعدها مع ابنه إسماعيل وصبرها خلوة لعبادته ، وجعلها حجاباً للناس كما أمره الله ، وانصرف إلى الشام فقبض هنالك كما مر . وبعث الله إسماعيل إلى العالقة وجرحهم وأهل اليمن قامن بعض وكفر بعض إلى أن قبضه الله ودفن بالحجر مع أمه هاجر ويقال آجر ، وكان عمره فيما يقال مائة وثلاثين سنة وعهد بأمره لابنه قيذار : ومعنى قيذار صاحب الإبل وذلك لأنه كان صاحب إبل أبيه إسماعيل كذا قال السهيلي ، قال غيره معناه الملك . ويقال : إنما عهد لابنه نابت فقام ابنه بأمر البيت وولياها ، وكان ولده فيما ينقل أهل التوراة كما نقل إثني عشر : قيذار يئابوت ادبييل^(١) مبسام مشمع دوما مساً حدد^(٢) ديماطور ياقيس قدما^(٣) أمهم السيدة بنت مضاض قاله السهيلي . وهكذا وقعت أسماؤهم في الإسرائيليات ، والحروف مخالفة للحروف العربية بعض الشيء باختلاف المخارج ، فلهذا يقع الخلاف بين العلماء في ضبط هذه الألفاظ ، وقد ضبط ابن اسحق تبا منهم بالطاء والياء وضبطه الدارقطني بالضاد المعجمة والميم قبل الياء كأنها تأنيث أضم وذكر ابن اسحق ديماء . وقال البكري به سميت دومة الجندل لأنه كان نزلها وذكر أن الطور يبطون ابن إسماعيل .

ثم هلك نابت بن إسماعيل ، وولى أمر البيت جدّه الحرث بن مضاض ، وقيل وليها مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هناء ابن نبت بن جرهم ، ثم ابنه الحرث بن عمرو . ثم قسمت الولاية بين ولد إسماعيل بمكة وأخوالهم من جرهم ولادة البيت لا ينزعهم وولد إسماعيل إعظاماً للحرم أن يكون به بغي أو قتال . ثم بغت جرهم في البيت ، ووافق بغيهم تفرق سباً ونزول بني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة ، فأرادوا المقام مع جرهم فنعوهم واقتلوا فغلبهم بنو حارثة ، وهم فيما قيل خزاعة ، وملكوا البيت عليهم ، ورئيسهم يومئذ عمرو بن لحي وشرد بقية جرهم . ولحي هذا هوربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ، وقيل : إنما ثعلبة بن حارثة بن عامر . وفي الحديث «رأيت عمرو بن لحي يجرّ قصبه في النار»

(١) وفي نسخة ثانية : قيايوت أدبيل .

(٢) وفي نسخة ثانية : حدار .

(٣) وهذه هي أسماء بني إسماعيل عن التوراة : يئابوت ، قيذار ، أدبيل ، مبسام ، مشمع ، دومة ، مساً ، حدار ، تبا ، يطور ، ناغيش ، قدمه . هؤلاء بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بحسب أحريتهم وحظائهم اثنا عشر زعيماً لقبائلهم . سفر التكوين : الفصل الخامس والعشرون .

يعني أحشائه ، لأنه الذي بحر البحيرة وسبب السائبة وحمى الحامي وغير دين إسماعيل ودعا الى عبادة الأوثان . وفي طريق آخر رأيت عمرو بن عامر . قال عياض المعروف في نسب أبي خزاعة ، هذا هو عمرو بن لحي بن قَمْعَة بن إلياس وإنا عامر إسم أبيه أخو قَمْعَة ، وهو مُدْرَكَة بن إلياس ، وقال السُّهيلي : كان حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر خلف على أم لحي بعد أبيه قَمْعَة ولحي تصغير وإسمه ربيعة تبناه حارثة وانتسب إليه فالنسب صحيح بالوجهين ، وأسلم بن أفضى بن حارثة أخو خزاعة .

وعن ابن اسحق أن الذي أخرج جرهم من البيت ليست خزاعة وحدها ، وإنا تصدّى للنكير عليهم خزاعة وكِنانة . وتولى كِبْرَة بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وبنو غبشان بن عبد عمرو بن بوى بن ملكان بن أفضى بن حارثة فاجتمعوا لحرهم واقتتلوا ، وغلبهم بنو بكر وبنو غبشان بن كنانة وخزاعة على البيت ونفوههم من مكة . فخرج عمرو ، وقيل عامر بن الحرث بن مضاض الأصغر ، بمن معه من جرهم إلى اليمن بعد أن دفن حجر الركن وجميع أموال الكعبة بزَمَزَم . ثم أسفوا على ما فارقوا من أمر مكة وحزنوا حزناً شديداً . وقال عمرو بن الحرث وقيل عامر :

أنيسٌ ولم يسمر بمكّة سامرٌ
صروفُ الليالي والحدودُ العواثرُ
نطوفُ فما تحظى لدينا المكائرُ
فليس لحيّ عندنا ثم فاخر
فأبناؤنا مِنّا ونحن الأصاهرُ
فإنّ لها حالاً وفيها التّشاجرُ
كذلك يا للنّاس تجري المقادرُ
أذا العرش لا يبعدُ سهيلٌ وعامرُ
قبائلُ منها حميمٌ وبحائرُ
بذلك عضّتنا السّنون الغوايرُ
بها حرمٌ أمّنُ وفيها المشاعرُ
يظل بها أمناً وفيها العصافرُ
إذا خرجتُ منه فليست تغادرُ

كان لم يكن بين الجحون إلى الصفا
بلى نحنُ كنّا أهلها فأزالنا
وكنّا ولاة البيت من بعد نابت
ملكنا فعزّزنا فأعظمُ ملكنا
ألم تنكحوا من خيرِ شخصٍ علمته
فإن تشي الدنيا علينا بحالها
فأخرجنا منها المليكُ بقدره
أقول إذا نـام الخليلُ ولم أنم
وبدلت منها أوجهاً لا أحبها
وصرنا أحاديثاً وكنّا بغطية
فساحت دموعُ العين تبكي لبلدة
ونبكي لبيتٍ ليس يؤذي حاميه
وفيه وحوشٌ لا ترامُ أنيسة

ثم غلبت بنو حَبَشِيَّة على أمر البيت بقومهم من خزاعة ، واستقلوا بولايتهما دون بني بكر

عبد مناة ، وكان الذي يليها لآخر عهدهم عمرو بن الحرث وهو غبشان .
 وذكر الزبير : أنَّ الذين أخرجوا جرهم من البيت من ولد إسماعيل هم إياد بن نزار .
 ومن بعد ذلك وقعت الحرب بين مُضَر وإياد فأخرجتهم مُضَر ، ولما خرجت إياد قلعوا
 الحجر الأسود ودفنوه في بعض المواضع ، ورأت ذلك امرأة من خزاعة فأخبرت
 قومها فاشتروا على مُضَر إن دلوهم عليه أنَّ لهم ولاية البيت دونهم ، فوفوا لهم
 بذلك . وصارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن باعها أبو غبشان لقُصَي . ويذكر أن
 من وليها منهم عمرو بن لحي ونصب الأصنام وخاطبه رجل من جرهم :

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلدٌ حرامٌ
 سائلٌ بعاذِ أين هم - وكذاك تحترمُ الأنامُ
 وهي العالِقُ الذين لهم بها كان السوامُ

وكانت ولاية البيت لخزاعة وكان لمُضَر ثلاث خِصال : الإجازة بالناس يوم عرفة
 لبني الغوث بن مرة إخوتهم وهو صوفة ، والإفاضة بالناس غداة النحر من جمع إلى
 منى لبني زيد بن عدِي وانتهى ذلك منهم إلى أبي سيارة عُميرة بن الأعزل بن خالد
 بن سعد بن الحرث بن كانس بن زيد فدفع من مزدلفة أربعين سنة على حمار ،
 ونسء الشهور الحرم ، كان لبني مالك بن كنانة وانتهى إلى القُلُمس كما مر . وكان إذا
 أراد الناس الصدور من مكة قال : اللهم إني أحلت أحد الصغرين ونسأت الآخر
 للعام المقبل قال عمرو بن قيس من بني فراس :

ونحنُ الناسُ على معادٍ شهورُ الحِلِّ نجعلُها حراماً
 قال ابن اسحق : فأقام بنو خزاعة وبنو كنانة على ذلك مدة الولاية لخزاعة دونهم كما
 قلناه . وفي أثناء ذلك تشعبت بطون كنانة ومن مُضَر كلها وصاروا جرماً وبيوتات
 متفرقين في بطن قومهم من بني كنانة ، وكلهم إذ ذاك أحياء حلول بظواهرها .
 وصارت قريش على فرقتين : قريش البطاح وقريش الظواهر . فقريش البطاح ولد
 قُصَي بن كلاب وسائر بني كعب بن لُؤي ، وقريش الظواهر من
 سواهم وكانت خزاعة بادية لكنانة ، ثم صار بنو كنانة لقريش ،
 ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح ، وقريش الظواهر من
 كان على أقل من مرحلة ، ومن الضواحي ما كان على أكثر من

ذلك . وصار من سوى قريش وكنانة من قبائل مُضَر في الضواحي أحياء بادية ، وظعوناً ناجعة من بطون قَيْس ، وخندف من أشجع وعبس وفرارة ومرة وسُلَيم وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة وثقيف . ومن تميم والرباب وضبيعي بني أسد وهذيل والقارة وغير هؤلاء من البطون الصغار ، وكان التقدّم في مُضَر كلها لكنانة ثم لقريش ، والتقدّم في قريش لبني لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وكان سيدهم قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي كان له فيهم شرف وقراة وثروة وولد . وكان له في قُضاعة ثم في بني عروة بن سعد بن زيد من بطونهم نسب ظئر ورجم كلاله كانوا من أجلها فيه شيعة ، وذلك بما كان ربيعة بن حرام بن عُذرة قدم مكّة قبل مهلك كلاب بن مُرّة . وكان كلاب خلف قُصَيّا في حجر أمّه فاطمة بنت سعد بن باسل بن خثعمة الأسدي من اليمن فتزوّجها ربيعة وقُصَيّ يومئذ فطيم فاحتملته إلى بلاد بني عُذرة وتركت إبنها زهرة بن كلاب لأنه كان رجلاً بالغاً ، وولدت لربيعة بن حزام رزّاح بن ربيعة . ولما شبّ قُصَيّ وعرف نسبه رجع إلى قومه ، وكان الذي يلي أمر البيت لعهد من خزاعة حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ، فأصهر إلى قُصَيّ في ابنته حُبَيّ فأنكحه إياها فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قُصَيّ . ولما انتشر ولد قُصَيّ وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قُصَيّ أنه أحق بالكعبة وبأمر مكّة وخزاعة وبني بكر لشرفه في قريش . ولما كثرت قريش سائر الناس واعتزّت عليهم وقيل أوصى له بذلك حليل ، ولما بدا له ذلك مشى في رجالات قريش ودعاهم الى ذلك فأجابوه ، وكتب إلى أخيه رزّاح في قومه عُذرة مستجيشاً بهم فقدم مكّة في إخوته من ولد ربيعة ومن تبعهم من قُضاعة في جملة الحاج بمجما نصر قُصَيّ .

قال السهيلي : وذكر غير ابن اسحق أن حليلاً كان يعطي مفاتيح البيت بنته حُبَيّ حين كبر وضعف فكانت ييدها ، وكان قُصَيّ ربما أخذها يفتح البيت للناس ويغلقه . فلما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قُصَيّ وأبت خزاعة أن يمضي ذلك لقُصَيّ ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة وأرسل إلى رزّاح أخيه يستنجد به عليهم .

وقال الطبري : لما أعطى حليل مفاتيح الكعبة لابنته حُبَيّ لما كبر وثقل قالت : اجعل ذلك لرجل يقوم لك به . فجعله إلى أبي غبشان سليمان بن عمرو بن لؤي بن ملكان

بن قُصَيٍّ ، وكانت له ولاية الكعبة . ويقال : إنَّ أبا غبشان هو ابن حليل باعه من قُصَيٍّ بزقٍ خمر ، قيل فيه : «أخسر من صفقة أبي غبشان» . فكان من أوَّل ما بدؤا به نقض ما كان لصوفة من إجازة الحاج ، وذلك أنَّ بني سعد بن زيد مناة بن تميم كانوا يلون الإجازة للناس بالحج من عرفة ينفر الحاج لنفرهم ويرمون الجمار لرميهم ، ورثوا ذلك من بني الغوث بن مَرَّة ، كانت أمُّه من جرَّهم وكانت لا تلد ، فنذرت إنَّ ولدت أن تتصدق به على الكعبة عبداً يخدمها ، فولدت الغوث وخلي أخواله من جرَّهم بينه وبين من نafسه بذلك ، فكان له ولولده وكان يقال لهم صَوْفَة .

وقال السهيلي : عن بعض الإخباريين : إنَّ ولاية الغوث بن مَرَّة كانت من قبل ملوك كِنْدَة ، ولما انقرضوا ورث بالتعدد بنو سعد بن زيد مناة ، ولما جاء الإسلام كانت تلك الإجازة منهم لكُرب بن صفوان بن حنات بن سجنة وقد مرَّ ذكره في بطون تميم . فلما كان العام الذي أجمع فيه قُصَيٌّ الإنفراد بولاية البيت وحضر إخوته من عُدْرة ، تعرَّض لبني سعد أصحاب صوفة في قومهم من قريش وكنانة وقُضاعة عند الكعبة ، فلما وقفوا للإجازة قال : لا نحن أولى بهذا منكم فتناجزا وغلِبهم قُصَيٌّ على ما كان بأيديهم ، وعرفت خُزاعة وبنو بكر عند ذلك أنَّه سيمنعهم من ولاية البيت كما منع الآخرين ، فأنحازوا عنه وأجمعوا لحربه وتناجزوا وكثُر القتل ، ثم صالحوه على أن يحكموا من أشراف العرب ، وتنافروا إلى يعمُر بن عوف بن كعب بن عمرو بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ففُضِيَ لقُصَيٍّ عليهم ، فولى قُصَيٌّ البيت وقرَّب بمكة وجمع قريشاً من منازلهم بين كنانة إليها وقطعها أرباعاً بينهم ، فأُنزل كل بطن منهم بمترله الذي صبحهم^(١) به الإسلام وسمي بذلك مجمعا قال الشاعر :

قُصَيٌّ لعمري كان يُدعى مُجمِعاً به جمع الله القبائل من فِهر
فكان أوَّل من أصاب من بني لؤي بن غالب ملكاً أطاع له به قومه ، فصار له لواء الحرب وحجابه البيت ، وتيمنت قريش برأيه فصرفوا مشورتهم إليه في قليل أمورهم وكثيرها ، فاتخذوا دار الندوة إزاء الكعبة في مشاوراتهم وجعل بابها إلى المسجد فكانت مجتمع الملاء من قريش في مشاوراتهم ومعاقدتهم . ثم تصدَّى لإطعام الحاج وسقايتهم لما رأى أنهم ضيف الله وزوار بيته ، وفرض على قريش خراجاً يؤدونه إليه .

(١) صَبَحَ : اتاهم صباحاً . وصَبَحَ : كان وضياً . وصَبَحَ : كان مشرقاً وجميلاً .

زيادة على ذلك كانوا يردفونه به فحاز شرفهم كله ، وكانت الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء له . ولما أَسَنَ قُصَيٌّ وكان بكره عبدُ الدار وكان ضعيفاً ، وكان أخوه عبد مناف شرف عليه في حياة أبيه ، فأوصى قُصَيٌّ لعبد الدار بما كان له من الحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية يجبر له بذلك ما نقصه من شرف عبد مناف ، وكان أمره في قومه كالدين المتبع لا يعدل عنه . ثم هلك وقام بأمره في قومه بنوه من بعده . وأقاموا على ذلك مدة وسلطان مكة لهم وأمر قريش جميعاً ، ثم نفس بنو عبد مناف على بني عبد الدار ما بأيديهم ونازعوهم ، فافترق أمر قريش وصاروا في مظاهرة بني قُصَيٍّ بعضهم على بعض فرقتين . وكان بطون قريش قد اجتمعت لعهداها ذلك إثني عشر بطناً : بنو الحرث بن فهر ، وبنو مُحارب بن فهر ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو عدي بن كعب ، وبنو سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، وبنو جُمح بن عمرو بن هُصَيص ، وبنو تيم بن مِرة ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مِرة ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ ، وبنو عبد الدار ، وبنو عبد مناف بن قُصَيٍّ .

فأجمع بنو عبد مناف انتزاع ما بأيدي بني عبد الدار مما جعل لهم قُصَيٌّ ، وقام بأمرهم عبد شمس أَسَنٌ ولده واجتمع له من قريش : بنو أسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ، وبنو الحرث . واعتزل بنو عامر ، وبنو المحارب الفريقين . وصار الباقي من بطون قريش مع بني عبد الدار وهم : بنو سهم ، وبنو جُمح ، وبنو عدي ، وبنو مخزوم . ثم عقد كل من الفريقين على أحلافه عقداً مؤكداً ، وأحضر بنو عبد مناف وحلف قومهم عند الكعبة جفنة مملوءة طيباً غمسوا فيها أيديهم تأكيداً للحلف ، فسمي «حلف المُطِيبين» . وأجمعوا للحرب وسووا بين القبائل وأن بعضها إلى بعض ، فعبت بنو عبد الدار لبني أسد ، وبنو جُمح لبني زهرة ، وبنو مخزوم لبني تيم ، وبنو عدي لبني الحرث . ثم تداعوا للصالح على أن يسلموا لبني عبد مناف السقاية والرفادة ، ويختص بنو عبد الدار بالحجابة واللواء فرضي الفريقان وتحاجز الناس .

وقال الطبري قيل ورثها من أبيه . ثم قام بأمر بني عبد مناف هاشم ليساره وقراره بمكة ، وتقلب أخيه عبد شمس في التجارة إلى الشام ، فأحسن هاشم ما شاء في إطعام الحاج وإكرام وفدهم . ويقال : إنه أول من أطعم الثريد الذي كان يطعم فهو

ثريد قريش الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . والثريد لهذا العهد ثريد الخبز بعد أن يطبخ في المقلاة والتنور وليس من طعام العرب ، إلا أن عندهم طعاماً يسمونه البازين يتناوله الثريد لغة ، وهو ثريد الخبز بعد أن يطبخ في الماء عجينا رطباً إلى أن يتم نضجه ، ثم يدلكونه بالمغرفة حتى تتلاحم أجزاؤه وتتلازج . وما أدري هل كان ذلك الطعام كذلك أولاً إلا أن لفظ الثريد يتناوله لغة .

ويقال : إن هاشم بن عبد المطلب أول من سنّ الرحلتين في الشتاء والصيف للعرب ذكره ابن اسحق ، وهو غير صحيح ، لأن الرحلتين من عوائد العرب في كل جبل لمراعي إبلهم ومصالحها لأن معاشهم فيها ، وهذا معنى العرب وحقيقتهم أنه الجبل الذي معاشهم في كسب الإبل والقيام عليها في ارتياد المرعى ونتاج المياه والنتاج والتوليد وغير ذلك من مصالحها ، والفرار بها من أذى البرد عند التوليد إلى القفار ودفتها ، وطلب التلول في الصيف للحبوب وبرد الهواء ، وتكونت على ذلك طبائعهم فلا بد لهم منها ظعنوا أو أقاموا وهو معنى العروية ، وشعارها أن هاشماً لما هلك وكان مهلكه بغزة من أرض الشام ، تخلف عبد المطلب صغيراً يثرب فأقام بأمره من بعده ابنه المطلب ، وكان ذا شرف وفضل ، وكانت قریش تسميه الفضل لسماحته ، وكان هاشم قدم يثرب فتزوج في بني عدي وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحرث بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك سيد الأوس لعهد ، فولدت عمرو بن أحيحة ، وكانت لشرفها تشترط أمرها بيدها في عقد النكاح ، فولدت عبد المطلب فسمته شيبة ، وتركه هاشم عندها حتى كان غلاماً . وهلك هاشم فخرج إليه أخوه المطلب فأسلمته إليه بعد تعسف واعتباط به ، فاحتمله ودخل مكة فرفده على بعيه فقالت قریش : هذا عبد ابتاعه المطلب ، فسمي شيبة عبد المطلب من يومئذ .

ثم أن المطلب هلك بردمان من اليمن ، فقام بأمر بني هاشم بعده عبد المطلب بن هاشم ، وأقام الرفادة والسقاية للحاج على أحسن ما كان قومه يقيمونه بملكته من قبله ، وكانت له وفادة على ملوك اليمن من حمير والحبيشة ، وقد قدمنا خبره مع ابن ذي يزن ومع أبرهة . ولما أراد حفر زمزم للرؤيا التي رآها ، اعترضته قریش دون ذلك ، ثم حالوا بينه وبين ما أراد منها ، فنذر لئن ولد له عشرة من الولد ثم يبلغوا معه

حتى يمنعه كَيْسَحَرْنَ أحدهم قرباناً لله عند الكعبة ، فلما كملوا عشرة ضرب عليهم القداح عند هُبَلِ الصنم العظيم الذي كان في جوف الكعبة على البئر التي كانوا ينحرون فيها هدايا الكعبة ، فخرجت القداح على إبنه عبدالله والد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتخيّر في شأنه ، ومنعه قومه من ذلك ، وأشار بعضهم وهو المُغيرة بن عبدالله بن مخزوم بسؤال العرّافة التي كانت لهم بالمدينة على ذلك ، فألفوها بخير وسألوها . فقالت : قُربوه وعشراً من الإبل وأجبلوا القداح فإن خرجت على الإبل فذلك وإلاّ فزيدوا في الإبل حتى تخرج عليها القداح وانحروها حيثئذ فهي الفدية عنه وقد رضي إلهكم .. ففعلوا وبلغت الإبل مائة فنحروها عبد المطلب ، وكانت من كرامات الله به . وعليه قوله صلى الله عليه وسلم «أنا ابن الذبيحين» يعني عبدالله أباه وإسماعيل بن إبراهيم جدّه اللذين قُربا للذبح ، ثم فديا بذبح الأنعام .

ثم إن عبد المطلب زوّج ابنه عبدالله بآمنة بنت وهب بن عبد مُناف بن زهرة فدخل بها وحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه عبد المطلب يمتار لهم تمرّاً فأتى هنالك ، فلما أبطأ عليهم خبره بعث في أثره . وقال الطبري : عن الواقدي : الصحيح أنه أقبل من الشام في حي لقريش ، فترّل بالمدينة ومرض بها ومات . ثم أقام عبد المطلب في رياسة قريش بمكة والكون يصغي للملك العرب والعالم يتمخّض بفصال النبوة ، إلى أن وضع نور الله من أفقهم ، وسرى خبر السماء إلى بيوتهم ، واختلفت الملائكة إلى أحيائهم ، وخرجت الخلافة في أنصباهم ، وصارت العزة لمُضَرّ ولسائر العرب بهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وهو الذي احتقر زمزم .

قال السُّهيلي : ولما حفر عبد المطلب زمزم استخرج منه تمثالي غزالين من ذهب وأسيافاً كذلك ، كان ساسان ملك الفرس أهداها إلى الكعبة ، وقيل سابور . ودفنها الحرث بن مضاض في زمزم لما خرج بجُرْهُم من مكة ، فاستخرجها عبد المطلب ، وضرب الغزالين حلية للكعبة فهو أول من ذهب حلية الكعبة بها ، وضرب من تلك الأسياف باب حديد وجعله للكعبة . ويقال : إن أول من كسى الكعبة واتخذ لها غَلَقاً تَبِعُ إلى أن جعل لها عبد المطلب هذا الباب . ثم اتخذ عبد المطلب حوضاً لزمزم يستقي منه ، وحسده قومه على ذلك وكانوا يخربونه بالليل ، فلما غمّه ذلك رأى في النوم قائلاً يقول : «قل لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حلّ وبلّ فاذا قلتها فقد كفيتم» .

فكان بعد إذا أرادها أحد بمكروه رمى بداء في جسده ، ولما علموا بذلك تناهوا عنه . وقال السهيلي : أول من كسا البيت المسوح والخصف والأنطاع تبع الحميري . ويرى أنه لما كساها انتقض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف فلما كساه الملاء والوصائل قبله وسكن . ومن ذكر هذا الخبر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل . وقال ابن اسحق : أول من كسا البيت الديباج الحجاج . وقال الزبير بن بكار بل عبد الله بن الزبير أول من كساها ذلك . وذكر جماعة منهم الدارقطني : أن ثيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت أضلت العباس صغيراً فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة ، وكانت من بيت مملكة ، فوفت بنذرهما .

هذه أخبار قريش وملئهم بمكة ، وكانت ثقيف جيرانهم بالطائف يساجلونهم في مذاهب العروية وينازعونهم في الشرف ، وكانوا من أوفر قبائل هوازن ، لأن ثقيفا هو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، وكانت الطائف قبلهم لعدوان الذين كان فيهم حكيم العرب عامر بن الظرب بن عمرو بن عبادة بن يشكر بن بكر بن عدوان وكثر عددهم حتى قاربوا سبعين ألفاً ، ثم بغى بعضهم على بعض فهلكوا وقل عددهم ، وكان قسي بن منبه صهراً لعامر بن الظرب ، وكان بنوه بينهم فلما قل عدد عدوان غلب عليهم ثقيف وأخرجوهم من الطائف وملكوه إلى أن أصبحهم الإسلام به . على ما ذكره والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أمر النبوة والهجرة في هذه الطبقة الثالثة وما كان من اجتماع العرب على الاسلام بعد الاباية والحرب

لما استقر أمر قريش بمكة على ما استقر ، واقتربت قبائل مضر في أدنى مدن الشام والعراق ومادونها من الحجاز فكانوا ظعوناً واحياء ، وكان جميعهم بمسغبة وفي جهد من العيش بحرب بلادهم وحرب فارس والروم على تلؤل العراق والشام ، وأربابها ينزلون حاميتهم بشغورها ، ويجهزون كتائبهم بتخومها ، ويؤتون على العرب من رجالاتهم وبيوت العصائب منهم من يسومهم القهر ، ويحملهم على الإنقياد حتى يؤتوا جباية السلطان الأعظم وإتاوة ملك العرب ، ويؤدوا ما عليهم من الدماء

والطوائل من يسترهن^(١) أبناءهم على السلم وكف العادية ، ومن انتجاع الأرباب وميرة الأقوات ، والعساكر من وراء ذلك توقع بمن مَنَعَ الخراج وتستأصل من يروم الفساد . وكان أمر مُضَرَّ راجعا في ذلك إلى ملوك^(٢) كِنْدَةَ بني حِجْرٍ آكل المزار منذ ولّاه عليهم تُبَّع حَسَّان كما ذكرناه ، ولم يكن في العرب مُلْكٌ إلّا في آل المنذر بالحيرة للفرس وفي آل جُهَيْنَةَ بالشام للروم وفي بني حِجْرٍ هؤلاء على مُضَرٍّ والحجاز . وكانت قبائل مضرمع ذلك بل وسائر العرب أهل بغي وإلحاد ، وقطع للأرحام ، وتنافس في الردى ، وإعراض عن ذكر الله ، فكانت عبادتهم الأوثان والحجارة ، وأكلهم العقارب والخنافس والحيات والجعلان ، وأشرف طعامهم أوبار الإبل إذا أمروها في الحرارة في الدم ، وأعظم عزّهم وفادة على آل المنذر وآل جُهَيْنَةَ وبني جعفر^(٣) ونجعة من ملوكهم ، وإنما كان تنافسهم المؤودة والسائبة والوصيلة والحامي .

فلما تأذن الله بظهورهم واشترأت إلى الشرف هوادي أيامهم وتم أمر الله في إعلاء امرهم^(٤) وهبت ريح دولتهم وملة الله فيهم ، تبدّت تبشير الصباح من أمرهم وأونس الخير والرشد في خلاهم وأبدل الله بالطيب الخبيث من أحوالهم وشرفهم ، واستبدلوا بالذلّ عزّا وبالمآثم متاباً وبالشرّ خيراً ، ثم بالضلالة هدىً وبالمسغبة شيناً ورئاً وإيالةً وملكا . وإذا أراد الله أمراً يسر أسبابه فكان لهم من العز والظهور قبل المبعث ما كان ، وأوقع بنو شيان وسائر بكر^(٥) بن وائل وعبس بن غطفان بطيء ، وهم يومئذ ولّاة العرب بالحيرة وأميرها منهم قبيصة بن إياس ومعه الباهوت^(٦) صاحب مسلحة كسرى ، فأوقعوا بهم الوقعة المشهورة بذي قار والتحمت عساكر الفرس ، وأخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالمدينة ليومها وقال : « اليوم انتصفت العرب من العجم وبني نصر » . ووفد حاجب بن زرارة من بني تميم على كسرى في طلب الانتجاع والمسيره بقومه في اباب^(٧) العراق ، فطلب الأساورة منه

(١) وفي نسخة ثانية : ويسترهنوا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : (أمراء كندة) .

(٣) وفي النسخة الباريسية : بني حجر .

(٤) وفي النسخة الباريسية : يدهم .

(٥) وفي النسخة الباريسية : مضرم .

(٦) وفي النسخة الباريسية : ابناهوت .

(٧) وفي النسخة الباريسية : أرياف .

الرهن على عاداتهم ، فاعطاهم قوسه واستكبر عن استرهان ولده ، توقعوا^(١) منه عجزا عما سواها وانتقلت خلال الخير من العجم ورجالات فارس فصارت أغلب في العرب حتى كان الواحد منهم همّة بخلافه^(٢) وشرفه الشر والسفسفة على أهل دول العجم . وانظر فيما كتب به عمر إلى أبي عبيدة بن المثنى حين وجهه الى حرب فارس : « انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والحيرة^(٣) تقدم على أقوام قد جرؤا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجعلوه فانظر كيف تكون » اهـ . وتنافست العرب في الخلال وتنازعوا في المجد والشرف حسبا هو مذكور في أيامهم وأخبارهم . وكان حظ قريش من ذلك أوفر على نسبة حظهم من مبعثه^(٤) وعلى ما كانوا ينتحلونه من هدى آبائهم ، وانظر ما وقع في خلف الفضول حيث اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تميم ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يحدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلمته ، وسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول . وفي الصحيح عن طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الاسلام لأجبت » . ثم ألقى الله في قلوبهم إلتباس الدين وإنكار ما عليه قومهم من عبادة الأوثان ، حتى لقد اجتمع منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ، وزيد بن عمرو بن نفيل من بني عدي بن كعب عمّ عمر بن الخطاب ، وعبيد الله بن جحش من بني أسد بن خزيمة ، وتلاوموا في عبادة الأحجار والأوثان وتواصوا بالنفر في البلدان بالتماس الحنيفيّة دين ابراهيم نبيهم . فأما ورقة فاستحكم في النصرانية وابتغى من أهلها الكتب حتى علم من أهل الكتاب ، وأمّا عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه حتى جاء الإسلام فأسلم وهاجر إلى الحبشة فتنصر وهلك نصرانياً وكان يمرّ بالمهاجرين بأرض الحبشة فيقول : فقحنا وصأصأتم أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر مثل ما يقال في الجر وإذا فتح عينيه فقح وإذا أراد ولم يقدر صأصأ ، وأمّا عثمان بن الحويرث فقدم على ملك الروم قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده ،

(١) وفي النسخة الباريية : فرجعوا منه عجزاً عن سواها .

(٢) وفي نسخة ثانية : بخلافه .

(٣) وفي النسخة الباريية : والخيانة الحميرية .

(٤) وفي النسخة الباريية : مبعثه .

وأما زيد بن عمرو فما هم أن يدخل^(١) في دين ولا اتبع كتاباً واعتزل الأوثان والذبايح والميتة والدم ونهى عن قتل المؤودة وقال : أعبد ربّ إبراهيم وصرّح بعيب آلهتهم وكان يقول : اللهم لو أني أعلم أيّ الوجوه أحب إليك لعبدتك^(٢) ولكن لا أعلم ثم يسجد على راحته . وقال ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب : يا رسول الله استغفر الله لزيد بن عمرو قال : نعم انه يبعث أمة واحدة .

ثم تحدّث الكهّان والحزاة قبل النبوة وأنها كائنة في العرب وأن ملكهم سيظهر ، وتحدّث أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما في التوراة والإنجيل من بعث محمد وامته ، وظهرت كرامة الله بقريش ومكة في أصحاب الفيل ارباصاً بين يدي مبعثه . ثم ذهب ملك الحبشة من اليمن على يد ابن ذي يزن من بقية التبابعة ، ووفد عليه عبد المطلب يهنيه عند استرجاعه ملك قومه من أيدي الحبشة ، فبشره ابن ذي يزن بظهور نبيّ من العرب وأنه من ولده في قصة معروفة . وتخيّن الأمر لنفسه كثير من رؤساء العرب يظنه فيه ، ونفروا إلى الرهبان والأخبار من أهل الكتاب يسألونهم ببلدتهم بعلم ذلك^(٣) ، مثل أمية بن أبي الصلت الشقيّ وما وقع له في سفره إلى الشام مع أبي سفيان بن حرب وسؤاله الرهبان ومفاوضته أبا سفيان فيما وقف عليه من ذلك ، يظن أن الأمر له أو لأشراف قريش من بني عبد مناف حتى تبين لها خلاف ذلك في قصة معروفة ، (ثم رجعت) الشياطين عن استماع خبر السماء في أمره واصغى الكون لاستماع أنبائه .

المولد الكريم وبدء الوحي

ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، لأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان وقيل ثمان وأربعين ، وثمانمائة واثنين وثمانين لذي القرنين . وكان عبد الله أبوه غائباً بالشام وانصرف فهلك بالمدينة ، وولد سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مهلكه بأشهر قلائل ، وقيل غير ذلك . وكفله جدّه عبد المطلب بن هاشم وكفالة الله من ورائه ، واتمس له الرضعاء واسترضع في بني سعد من بني هوازن ، ثم في بني نصر بن سعد أرضعته منهم حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحرث بن شحنة بن رزاح بن ناظرة بن خصفة بن

(١) وفي النسخة الباريسية : فلم يدخل دين .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدتك به .

(٣) وفي نسخة ثانية : من ذلك .

قيس^(١) ، وكان ظئره^(٢) منهم الحارث بن عبد العزى وقد مرّ ذكرهما في بني عامر بن صعصعة ، وكان أهله يتوسمون فيه علامات الخير والكرامات من الله ، ولما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الملكين بطنه واستخراج العلقة السوداء من قلبه وغسلهم حشاه وقلبه بالثلج ما كان ، وذلك لرابعة من مولده ، وهو خلف البيوت يرعى الغنم فرجع إلى البيت منتقع^(٣) اللون ، وظهرت حليلة على شأنه فخافت أن يكون أصابه شيء من اللمم^(٤) فرجعت إلى أمه . واسترابت آمنة برجعها إياه بعد حرصها على كفالاته فأخبرتها الخبر ، فقالت : كلاً والله لست أخشى عليه . وذكرت من دلائل كرامة الله له وبه كثيراً .

وأزارته أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أخوال جدّه عبد المطلب من بني عديّ بن النجار بالمدينة ، وكانوا أخوالاً لها أيضاً . وهلك عبد المطلب لثمان سنين من ولادته ، وعهد به إلى إبنه أبي طالب فأحسن ولايته وكفالاته ، وكان شأنه في رضاعه وشبابه ومرباه عجباً . وتولّى حفظه وكلائته من مفارقة أحوال الجاهلية ، وعصمته من التلبس بشيء منها حتى لقد ثبت أنه : مرّ بعرس مع شباب قريش ، فلما دخل على القوم أصابه غشي النوم ، فما أفاق حتى طلعت الشمس واغترقوا . ووقع له ذلك أكثر من مرة . وحمل الحجارة مع عمه العباس لبنيان الكعبة وهما صبيان ، فأشار عليه العباس بحملها في إزاره ، فوضعه على عاتقه وحمل الحجارة قيه وانكشف ، فلما حملها على عاتقه سقط مغشياً عليه ، ثم عاد فسقط فاشتمل إزاره وحمل الحجارة كما كان يحملها . وكانت بركاته تظهر بقومه وأهل بيته ورضعائه في شؤونهم كلها .

وحمله عمه أبو طالب إلى الشام وهو ابن ثلاث عشرة وقيل ابن سبع عشرة ، فرّوا ينجياً الراهب عند بصرى فعابن الغمامة تظله والشجر^(٥) تسجد له ، فدعا القوم وأخبرهم بنبوته وبكثير من شأنه في قصة مشهورة . ثم خرج ثانية إلى الشام تاجراً بمال خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى مع غلامها ميسرة ومروا بنسطور الراهب ، فرأى ملكين يظللانه من الشمس فأخبر ميسرة بشأنه ، فأخبر بذلك خديجة فعرضت

(١) وفي النسخة الباريسية : قصية بن نصر .

(٢) ظار المرأة على ولد غيرها : عطفها عليه — طارت المرأة : اتخذت ولداً ترضعه (قاموس) .

(٣) وفي نسخة ثانية : ممقع اللون .

(٤) اللمم : الجنون (قاموس) .

(٥) وفي النسخة الباريسية : والحجر .

نفسها عليه ، وجاء أبو طالب فخطبها الى أبيها فزوجه ، وخضر الملاء من قريش ، وقام أبو طالب خطيباً فقال : « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضي^(١) معدّ وعنصر مضر وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا امناً بينه وسواس حرمة وجعلنا الحكّام على الناس وأن ابن أخي محمد بن عبد الله من قد علمتم قرابته وهو لا يوزن بأحدٍ إلا رجح به فان كان في المال قلّ فإنّ المال ظلّ زائلٌ وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل » . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة .

وشهد بنيان الكعبة لخمس وثلاثين من مولده حين أجمع كل قريش على هدمها وبنائها ، ولما انتهوا إلى الحجر تنازعوا أيهم يضعه وتداعوا للقتال ، وتحالف بنو عبد الدار على الموت^(٢) ثم اجتمعوا وتشاوروا ، وقال أبو أمية حكماً أول داخل من باب المسجد فتراضوا على ذلك . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذا الأمين ، وبذلك كانوا يسمّونه ، فتراضوا به وحكموه . فبسط ثوباً ووضع فيه الحجر وأعطى قريشاً أطراف الثوب ، فرفعوه حتى أدنوه من مكانه ، ووضعوه عليه السلام بيده^(٣) . وكانوا أربعة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمر بن مخزوم ، وقيس بن عدي السهمي . ثم استمرّ على أكمل الزكاء والطهارة في أخلاقه ، وكان يعرف بالأمين ، وظهرت كرامة الله فيه وكان اذا أبعد في الجلاء لا يمرّ بحجر ولا شجر إلا ويسلم عليه .

بدء الوحي

ثم بدىء بالرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم تحدّث الناس بشأن ظهوره ونبوّته ، ثم حببت إليه العبادة والخلوة بها فكان يتزوّد للإنفراد حتى جاء الوحي بحراء لأربعين سنة من مولده وقيل لثلاث وأربعين . وهي حالة يغيب

(١) الاصل والعدن (قاموس) .

(٢) وفي النسخة البارسية : . وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدي على الموت .

(٣) وفي النسخة البارسية : واعطى اشراف قريش جنباته فرفعوه حتى أدنوه من مكانه وفي الكامل ج ٢ ص ٤٥ : فقال : هلموا إليّ ثوباً ، فأوتي به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال : لتأخذ كلّ قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا . فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بيّني عليه .

فيها عن جلسانه وهو كائن معهم ، فأحياناً يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه ويعي قوله ، وأحياناً يلقي عليه القول ، ويصبيه أحوال الغيبة عن الحاضرين من الغط والعرق وتصبيه كما ورد في الصحيح من أخباره ، قال : وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال . وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . فأصابته تلك الحالة بغار حراء وألقى عليه : «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم» . وأخبر بذلك كما وقع في الصحيح . وآمنت به خديجة وصدقته وحفظت عليه الشأن . ثم خطب بالصلاة وأراه جبريل طهرها ، ثم صلى به وأراه سائر أفعالها . ثم كان شأن الاسراء من مكة الى بيت المقدس من الأرض إلى السماء السابعة الى سدرة المنتهى وأوحى إليه ما أوحى ، ثم آمن به عليّ ابن عمه أبي طالب وكان في كفالته من أزمة أصابت قريشا وكفل العباس جعفرأ أخاه ، فجعفر أسن^(١) عيال أبي طالب . فأدركه الاسلام وهو في كفالته فأمن وكان يصلي معه ، في الشعاب مخفياً من أبيه حتى اذ ظهر عليهما أبو طالب دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا أستطيع فراق ديني ودين آبائي ، ولكن لا ينهض اليك شيء تكره ما بقيت ، وقال لعليّ : إلزمه فإنه لا يدعو إلا لخير .

فكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، ثم أبو بكر ، وعليّ بن أبي طالب ، كما ذكرنا ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلال بن حمزة مولى أبي بكر ، ثم عمر بن عتبة السلمي ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية . ثم أسلم بعد ذلك قوم من قريش اختارهم الله لصحابته من سائر قومهم وشهد لكثير منهم بالجنة . وكان أبو بكر محبباً سهلاً وكانت رجالات قريش تألفه فأسلم على يديه من بني أمية عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، ومن عشيرة بني عمرو بن كعب بن سعد بن تيم طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو ، ومن بني زهرة بن قصي سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهب بن مناف بن زهرة وعبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة ، ومن بني أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد وهو ابن صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم من بني الحرث بن فهر أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال

(١) وفي النسخة الباريسية : فجعفر من عيال أبي طالب .

بن أهيب بن ضبة بن الحرث ، ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب أبو سلمة عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وأخوه قدامة ، ومن بني عدي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد الله بن قرط بن رباح^(١) بن عدي وزوجته فاطمة أخت عمر بن الخطاب بن نفيل وأبوه زيد هو الذي رفض الأوثان في الجاهلية ودان بالتوحيد وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده . ثم أسلم عُثَيْرُ أخو سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ابن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة حليف بني زهرة ، كان يرعى غنم عقبة بن أبي معيط وكان سبب إسلامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حلب من غنمه شاة حائلاً فدرّت^(٢) . ثم أسلم جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب وامراته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن ملك بن قحافة الخثعمي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس واسمه مهشم ، وعامر بن فهيرة أزدي وفهيرة أمه مولاة أبي بكر . وأفد بن عبد الله بن عبد مناف تميمي من حلفاء بني عدي . وعمار بن ياسر عنسي بن مذحج مولى أبي مخزوم^(٣) وصهيب بن سنان من بني النمر بن قاسط حليف بني جدعان . ودخل الناس في الدين أرسالا وفشا الاسلام وهم يتحلون^(٤) به ويذهبون إلى الشعاب فيصلون .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بأمره ويدعوه إلى دينه بعد ثلاث سنين من مبدأ الوحي ، فصعد على الصفا ونادى يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش ، فقال : لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني ؟ قالوا : بلى . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . ثم نزل قوله وأنذر عشيرتک الأقربين . وتردّد إليه الوحي بالندارة^(٥) ، فجمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون على طعام

(١) وفي النسخة الباريسية : ابن رزاح .

(٢) وفي نسخة ثانية : فعذّت .

(٣) وفي نسخة ثانية : مولى لبني مخزوم .

(٤) وفي نسخة ثانية : يتججون به .

(٥) الأصح ان يقول الوحي التزير أي الوحي القليل .

صنعه لهم عليّ بن أبي طالب بأمره ، ودعاهم إلى الاسلام ورغبهم وحذرهم وسمعوا كلامه وافترقوا .

ثم إن قريشاً حين صدع وسبّ الآلهة وعابها نكروا ذلك منه وناذوه واجمعوا على عداوته ، فقام أبو طالب دونه محامياً ومانعاً ، ومشت إليه رجال قريش يدعونه إلى النصفة عتبة وشيبة إنا ربيعة بن عبد شمس ، وأبو البخترى (٣) بن هشام بن الحرث ابن أسد بن عبد العزى ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ابن أخي الوليد ، والعاصي بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم ، ونيبه ومنبه إنا الحجاج بن علي بن حذيفة بن سعد بن سهم ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة . فكلّموا أبا طالب وعادوه فردّهم ردّاً جميلاً ، ثم عادوا إليه فسألوه النصفة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته بمحضرهم وعرضوا عليه قوتهم فتلا عليهم القرآن وأياسهم من نفسه وقال لأبي طالب : يا عمّاه لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه . واستعبر وظنّ أنّ أبا طالب بداله في أمره ، فرقّ له أبو طالب وقال يا ابن أخي قل ما أحببت فوالله لا أسلمك أبداً .

هجرة الحبشة

ثم افترق أمر قريش وتعاهد بنو هاشم وبنو المطلب مع أبي طالب على القيام دون النبي صلى الله عليه وسلم ووئب كل قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم (٢) واشتدّ عليهم العذاب ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم ، وكان قريش يتعاهدونها بالتجارة فيحمدونها ، فخرج عثمان بن عفّان وامراته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وأبو حذيفة بن كتبة بن ربيعة مراًغماً لأبيه وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو بن عامر بن لؤي والزبير بن العوام ومصعب بن عمير بن عبد شمس وابو سبرة بن أبي رهم (٣) بن عبد العزى العامري من بني عامر بن لؤي وسهيل بن بيضاء من بني الحرث بن فهر وعبد الله بن مسعود وعامر بن

(١) هو نجاء معجمه بوزن جعفري كما في شرح القاموس — قاله نصر .

(٢) وفي النسخة الباريسية : ويعيبونهم .

(٣) وفي نسخة ثانية : ابن أبي هاشم .

ربيعة العتري حليف بنى عدني وهو من عتربن وائل ليس من عترة وامراته ليلي بنت أبي خيثمة . فهؤلاء الأحد عشر رجلاً كانوا أول من هاجر إلى أرض الحبشة ، وتتابع المسلمون من بعد ذلك ، ولحق بهم جعفر بن أبي طالب وغيره من المسلمين . وخرجت قريش في آثار الأولين إلى البحر فلم يدركوهم ، وقدموا إلى أرض الحبشة فكانوا بها ، وتتابع المسلمون في اللحاق بهم ، يقال إن المهاجرين إلى أرض الحبشة بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً . فلما رأت قريش النبي صلى الله عليه وسلم قد امتنع بعمه وعشيرته وأنهم لا يسلمونه طفقوا يرمونه عند الناس ممن يفد على مكة بالسكر والكهانة والجنون والشعر يرمون بذلك صدهم عن الدخول في دينه ، ثم انتدب جماعة منهم لمجاهرتة صلى الله عليه وسلم بالعداوة والاذاية^(١) ، منهم : عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب أحد المستهزئين ، وابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط أحد المستهزئين ، وأبو سفيان من المستهزئين ، والحكم بن أبي العاص بن أمية من المستهزئين أيضا ، والنضر بن الحرث من بني عبد الدار ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى من المستهزئين وابنه زمعة ، وأبو البختری العاص بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث ، وأبو جهل بن هشام وأخوه العاص وعمهما الوليد وابن عمهم قيس بن الفاكه بن المغيرة ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي وابنا عمه نبيه ومنبه ، وأمّية وأبي ابنا خلف بن جمح . وأقاموا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتعرضون له بالاستهزاء والاذاية حتى لقد كان بعضهم ينال منه بيده ، وبلغ عمه حمزة يوماً أن أبا جهل بن هشام تعرض له يوماً بمثل ذلك وكان قوي الشكيمة ، فلم يلبث أن جاء إلى المسجد وأبو جهل في نادي قريش ، حتى وقف على رأسه وضربه وشجّه ، وقال له : تشتم محمداً وأنا على دينه ؟ وثار رجال بني مخزوم إليه فصدّهم أبو جهل وقال دعوه فاني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً . ومضى حمزة على إسلامه ، وعملت قريش أن جانب المسلمين قد اعتر بحمزة فكفّوا بعض الشرّ بمكانه فيهم ، ثم اجتمعوا وبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي ليسلم إليهم من هاجر إلى أرضه من المسلمين فنكر النجاشي رسالتهم وردّهما مقبوحين .

ثم أسلم عمر بن الخطاب وكان سبب إسلامه أنه بلغه أن أخته فاطمة أسلمت مع

(١) وفي نسخة ثانية : الأذى وهي اصح ولا وجود لكلمة الاذاية فيما بين ايدينا من كتب اللغة .

زوجها سعيد ابن عمه زيد ، وأن خباب بن الأرت عندهما يعلمهما القرآن ، فجاء إليهما منكراً وضرب أخته فشجّها ، فلما رأت الدم قالت : قد أسلمنا وتابعتنا محمداً فافعل ما بدا لك ! ، وخرج إليه خباب من بعض زوايا البيت فذكره ووعظه ، وحضرته الانابة فقال له : اقرأ عليّ من هذا القرآن ، فقرأ من سورة طه وأدركته الخشية فقال له : كيف تصنعون اذا أردتم الإسلام ؟ فقالوا له وأروه الطهور . ثم سأل على مكان النبي صلى الله عليه وسلم فدل عليه ، فطرقهم في مكانهم ، وخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا ابن الخطاب ؟ فقال : يا رسول الله جئت مسلماً ، ثم تشهد شهادة الحق ودعاهم إلى الصلاة عند الكعبة فخرجوا وصلوا هنالك ، واعتز المسلمون باسلامه . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين بعينه أو أبا جهل .

ولما رأت قريش فشوا الاسلام وظهوره أهمهم ذلك ، فاجتمعوا وتعاهدوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحهم ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في الكعبة ، وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب كلهم بكافهم ومؤمنهم فصاروا في شعب أبي طالب محصورين متجنبين ، حاشا أبي لهب فإنه كان مع قريش على قومهم ، فبقوا كذلك ثلاث سنين لا يصل إليهم شيء ممن أراد صلتهم إلا سراً ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل على شأنه من الدعاء إلى الله والوحي عليه متتابع . إلى أن قام في نقض الصحيفة رجال من قريش كان أحسنهم في ذلك أثراً هشام بن عمرو بن الحرث من بني حسل بن عامر بن لؤي ، لقي زهير بن أبي أمية بن المغيرة وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فغيره باسلامه أخواله إلى ما هم فيه ، فأجاب إلى نقض الصحيفة . ثم مضى إلى مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وذكر رحم هاشم والمطلب ثم إلى أبي البخثري^(١) بن هشام وزمعة بن الأسود فأجابوا كلهم ، وقاموا في نقض الصحيفة ، وقد بلغهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصحيفة أكلت الأرضة كتابتها كلها حاشا أسماء الله ، فقاموا بأجمعهم فوجدوها كما قال ، فحزوا ونقض حكمها .

ثم أجمع أبو بكر الهجرة وخرج لذلك فلقية ابن الدغنة^(٢) فردّه ، ثم اتصل

(١) البخثري بوزن الجعفري ، والخاء معجمة على ما في شرح القاموس (قاله نصر) .

(٢) وفي نسخة أخرى : ابن الدغنة .

بالمهاجرين في أرض الحبشة خبر كاذب بأن قريشا قد أسلموا ، فرجع إلى مكة قوم منهم عثمان بن عفان وزوجته وأبو حذيفة وامراته وعبدالله بن عتبة بن غزوان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير وأخوه والمقداد بن عمرو وعبدالله بن مسعود وأبوسلمة بن عبد الأسد وامراته أم المؤمنين وسلمة بن هشام بن المغيرة وعمار بن ياسر وبنو مظعون عبدالله وقدامة وعثمان وابنه السائب وخنيس بن حذافة وهشام بن العاص وعامر بن ربيعة وامراته وعبدالله بن مخزومة من بني عامر بن لؤي وعبدالله بن سهل بن السكران بن عمرو وسعد بن خولة وأبو عبيدة بن الجراح وسهيل بن بيضاء وعمرو بن أبي سرح ، فوجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه مع قريش من الصبر على أذاهم ، ودخلوا الى مكة بعضهم محتفياً وبعضهم بالجوار ، فأقاموا إلى أن كانت الهجرة إلى المدينة بعد أن مات بعضهم بمكة .

ثم هلك أبو طالب وخديجة وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين فعظمت المصيبة ، وأقدم عليه سفهاء قريش بالاذاية والاستهزاء والقاء القاذورة^(١) في مصلاه . فخرج إلى الطائف يدعوهم إلى الاسلام والنصرة والمعونة وجلس إلى عبد ياليل بن عمر بن عمير وأخويه مسعود وحبيب وهم يومئذ سادات ثقيف وأشرافهم ، وكلمهم فأسأوا الرد ، ويشس منهم فأوصاهم بالكتمان فلم يقبلوا واغروا به سفاهم فاتبعوه حتى ألبأوه الى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة ، فأوى إلى ظله حتى اطمأن ثم رفع طرفه إلى السماء يدعو : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين أنت ربي إلى من تكلني إلى بغيض يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » . ولما انصرف من الطائف الى مكة بات بنخلة ، وقام يصلي من جوف الليل ، فمر به نفر من الجن وسمعوا القرآن . ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة في جوار المطعم بن عدي بعد أن عرض ذلك على غيره من رؤساء قريش فاعتذروا بما قبله منهم . ثم قدم عليه الطفيل بن عمر والدوسي فأسلم ودعا قومه فأسلم بعضهم ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله له علامة للهداية فجعل في وجهه نوراً ثم

(١) وفي نسخة أخرى : القاذورات .

دعا له فنقله إلى سوطه وكان يعرف بذئ النور .

وقال ابن حزم : ثم كان الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السموات ، ولقي من لقي من الأنبياء ، ورأى جنة المأوى وسدرة المنتهى في السماء السادسة ، وفرضت الصلاة في تلك الليلة . وعند الطبري الإسراء وفرض الصلاة كان أول الوحي .

ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على وفود العرب في الموسم يأتيهم في منازلهم ليعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إلى نصره ويتلو عليهم القرآن ، وقرش مع ذلك يتعرضونهم بالمقايح إن قبلوا منه وأكثرهم في ذلك أبو لهب . وكان من الذين عرض عليهم في الموسم بنو عامر بن صعصعة من مضر وبنو شيان وبنو حنيفة من ربيعة وكندة من قحطان وكتب من قضاة وغيرهم من قبائل العرب ، فكان منهم من يحسن الإستماع والعذر ، ومنهم من يعرض ويصرح بالأذية ، ومنهم من يشترط الملك الذي ليس هو من سبيله فیردّ صلى الله عليه وسلم الأمر إلى الله . ولم يكن فيهم أقبح ردّاً من بني حنيفة . وقد ذخر الله الخير في ذلك كله للأنصار ، فقدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بن الأوس ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فلم يبعد ولم يجب ، وانصرف إلى المدينة فقتل في بعض حروبهم وذلك قبل بعث . ثم قدم بمكة أبو الحيسر أنس بن رافع في فتية من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام ، فقال إياس بن معاذ منهم وكان شاباً حدثاً : هذا والله خير مما جئنا له ، فانتهره أبو الحيسر فسكت . ثم انصرفوا إلى بلادهم ولم يتم لهم الحلف ومات إياس فيقال : إنه مات مسلماً .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر من الخزرج وهم : أبو أمامة اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك^(١) ابن النجار ، وعوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمر وبن عامر بن زيد بن مالك بن غصبة بن جشم بن الخزرج ، وطبقة بن عامر بن حيدرة بن عمر وبن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد ابن مراد بن يزيد بن جشم ، وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة ، وجابر بن عبدالله بن رثاب بن

(١) وفي النسخة الباريسية : سلمة .

نعمان بن سلمة^(١) بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة . فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وكان من صنع الله لهم أن اليهود جيرانهم كانوا يقولون إن نبياً يبعث وقد أظل زمانه ، فقال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي تحدثكم به اليهود فلا يسبقونا إليه . فآمنوا وأسلموا وقالوا إنا قد قدمنا فيهم^(٢) حروباً فتتصرف وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك فلا يكون أحد أعز منك ، فانصرفوا إلى المدينة ودعوا إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم . حتى إذا كان العام القابل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً منهم خمسة من الستة الذي ذكرناهم ، ما عدا جابر بن عبد الله فإنه لم يحضرها ، وسبعة من غيرهم وهم : معاذ بن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور وقيل إنه ابن عفراء ، وذكوان بن عبد قيس بن خالدة ، وخالد بن مخلد بن عامر بن زريق ، وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهد بن ثعلبة بن صرمة بن أصرم بن عمرو بن عبادة بن عصيبة من بني حبيب ، والعباس ابن عبادة بن فضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف هؤلاء عشرة من الخزرج . ومن الأوس : أبو الهيثم مالك بن التيهان وهو من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمر ابن مالك بن أوس ، وعويم بن ساعدة من بني عمر وبن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة . فبايع هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب ، على الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يفتروا الكذب . فلما حان انصرافهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يدعوهم إلى الإسلام ويعلم من أسلم منهم القرآن والشرائع ، فتزل بالمدينة على أسعد بن زرارة ، وكان مصعب يؤمهم وأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار . وكان سعد بن معاذ وأسعد بن زرارة ابنا الخالة ، فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير^(٣) إلى أسعد بن زرارة وكان جاراً لبني عبد الأشهل ، فانكروا عليه فهدهما الله إلى الإسلام ، وأسلم

(١) وفي النسخة الباريسية : ابن سنان .

(٢) وفي نسخة ثانية : بينهم .

(٣) وفي نسخة ثانية : الحصين .

باسلامها جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد الرجال والنساء . ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها المسلمون رجال ونساء حاشا بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف ، بطون من الأوس وكانوا في عوالي المدينة ، فأسلم منهم قوم سيدهم أبو قيس صيني بن الأسلت الشاعر فوقف بهم عن الاسلام حتى كان الخندق فأسلموا كلهم .

العقبة الثانية

ثم رجع مصعب المذكور ابن عمير إلى مكة وخرج معه إلى الموسم جماعة ممن أسلم من الأنصار للقاء النبي صلى الله عليه وسلم في جملة قوم منهم لم يسلموا بعد ، فوافوا مكة وواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ، ووافوا ليلة ميعادهم إلى العقبة متسللين عن رحالهم سرّاً ممن حضر من كفار قومهم ، وحضر معهم عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر وأسلم تلك الليلة ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعه ما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزهرهم وأن يرحل إليهم هو وأصحابه . وحضر العباس بن عبد المطلب ، وكان على دين قومه بعد ، وإنما توثق للنبي صلى الله عليه وسلم وكان للبراء بن معرور في تلك الليلة المقام المحمود في الإخلاص والتوثق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول من بايع . وكانت عدة الذين بايعوا تلك الليلة ثلاثاً وسبعين رجلاً وامرأتين ، واختار منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، وقال لهم : أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي .

فمن الخزرج من أهل العقبة الأولى : أسعد بن زرارة ، ورافع بن مالك ، وعبادة ابن الصامت . ومن غيرهم سعد بن الربيع بن عمر بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ، ومالك بن مالك ، وثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وعبدالله بن رواحة بن امرئ القيس ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبدالله بن عمرو بن حرام^(١) أبو جابر ، وسعد بن عبادة بن دليم^(٢) بن حارثة بن لودان بن عبد ، ودّ بن يزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن

(١) وفي نسخة ثانية : حزام

(٢) وفي نسخة ثانية : ديلم .

ساعدة . وثلاثة من الأوس وهم : أسيد بن حضير بن سمالك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وسعد بن خيثمة بن الحارث ^(١) بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . وقد قدم أبو الهيثم بن التيهان مكان رفاعة هذا والله أعلم . ولما تمت هذه البيعة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى رحالهم فرجعوا ، ونمي الخبر إلى قريش فغدت الجلة ^(٢) منهم على الأنصار في رحالهم فعاتبهم ، فأنكروا ذلك وحلفوا لهم ، وقال لهم عبدالله بن أبي بن سلول ما كان قومي ليتفقوا على مثل هذا وأنا لا أعلمه ، فانصرفوا عنه وتفرق الناس من منى ، وعلمت قريش صحة الخبر فخرجوا في طلبهم ، فأدركوا سعد بن عبادة فجاءوا به إلى مكة يضربونه ويحرقونه بشعره حتى نادى بجبير بن مطعم والحارث بن أمية وكان يجيرهما ببلده فخلصاه مما كان فيه . وقد كانت قريش قبل ذلك سمعوا صائحاً يصبح ليلاً على جبل أبي قبيس :

فأن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف
فقال أبو سفيان السعدان سعد بكر وسعد هذيم فلما كان في الليلة القابلة سمعوه يقول :
أيا سعد : سعد الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرجين ^(٣) الغطارف
أجيباً إلى داعي الهدى وتمنياً على الله في الفردوس منية عارف
فإن ثواب الله للطالب الهدى جناناً من الفردوس ذات فارف

فقال هما والله سعد بن عبادة وسعد بن معاذ . ولما فشا الاسلام بالمدينة وطفق أهلها يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعاقدت على أن يفتنوا المسلمين عن دينهم فأصابهم من ذلك جهد شديد . ثم نزل قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . فلما تمت بيعة الأنصار على ما وصفناه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ممن هو بمكة بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا أرسالاً وأول من خرج أبو سلمة بن عبد الأسد ونزل في

(١) وفي النسخة الباريية : الحارث .

(٢) وفي نسخة ثانية : الخلّة .

(٣) وفي نسخة ثانية : الخزرجي .

قبا ، ثم هاجر عامر بن ربيعة حليف بني عدي^(١) بأمراته ليلي بنت أبي خيثمة بن غانم ، ثم هاجر جميع بني جحش من بني أسد بن خزيمة ونزلوا بقبا على عكاشة بن محصن وجماعة من بني أسد حلفاء بني أمية كانت فيهم زينب بنت جحش أم المؤمنين وأختها حمنة وأم حبيبة ، ثم هاجر عمر بن الخطاب وعياش^(٢) بن أبي ربيعة في عشرين راكباً فقتلوا في العوالي في بني أمية بن زيد وكان يصلي بهم سالم مولى أبي حذيفة . وجاء أبو جهل بن هشام فخادع عياش بن أبي ربيعة وردّه إلى مكة فحبسوه حتى تخلص بعد حين وزجع . وهاجر مع عمر أخوه وسعيد ابن عمه زيد وصهره علي بنته حفصة أم المؤمنين خنيس^(٣) بن حذافة السهمي وجماعة من حلفاء بني عدي ، نزلوا بقبا على رفاعه بن عبد المنذر من بني عوف بن عمرو .

ثم هاجر طلحة بن عبيد الله فقتل هو وصهيب بن سنان على حبيب بن أساف في بني الحرث بن الخزرج بالسلم ، وقيل بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة . ثم هاجر حمزة بن عبد المطلب ومعه زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليفه أبو مرثد كنان بن حصن الغنوي فقتلوا في بني عمر وبن عوف بقبا على كلثوم بن الهدم ، ونزل جماعة من بني المطلب بن عبد مناف فيهم مسطح بن اثانة ومعه خباب بن الارت مولى عتبة بن غزوان في بني المسجلان بقبا ، ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع في بني الحرث بن الخزرج ، ونزل الزبير بن العوام وأبوسبرة بن أبي رهم بن عبد العزى على المنذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة الجلاح في دار بني جحجبا ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ في بني عبد الأشهل ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة ومولاه سالم وعتبة ابن غزوان المازني على عباد بن بشر من بني عبد الأشهل ، ولم يكن سالم عتيق أبي حذيفة وإنما أعتقته امرأة من الأوس كانت زوجاً لأبي حذيفة إسمها بثينة بنت معاذ فتبناه ونسب إليه . ونزل عثمان بن عفان في بني النجار على أوس أخي حسان بن ثابت . ولم يبق أحد من المسلمين بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر وعلي بن أبي طالب فإنهما أقاما بأمره وكان صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له في الهجرة .

(١) وفي النسخة الباريسية : عامر بن ربيعة بن عدي .

(٢) وفي نسخة ثانية : عباس .

(٣) وفي نسخة ثانية : جحش .

الهجرة

ولما علمت قريش أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شيعة وأنصار من غيرهم وأنه مجمع على اللحاق بهم وأنّ أصحابه من المهاجرين سبقوه إليهم تشاوروا ما يصنعون في أمره ، واجتمعت لذلك مشيختهم في دار الندوة : عتبة وشيبة وأبوسفيان من بني أمية وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر من بني نوفل والنضر بن الحارث من بني عبد الدار وأبو جهل من بني مخزوم ونبية ومنبه ابنا الحجاج من بني سهم وأمّية بن خلف من بني جمح ، ومعهم من لا يعدّ من قريش . فتشاوروا في حبسه أو إخراجه عنهم ، ثم اتفقوا على أن يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى شاباً جلدأً فيقتلونه جميعاً فيتفرق دمه في القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميعهم . واستعدوا لذلك من ليلتهم وجاء الوحي بذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلمّا رأى أُرصدهم على باب منزله أمر علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه ويتوشح ببرده ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فطمس الله تعالى على أبصارهم ووضع على رؤسهم تراباً وأقاموا طول ليلهم ، فلما أصبحوا خرج إليهم عليّ فعلموا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد نجا ، وتواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق ، واستأجر عبدالله بن أريقط الدوي من بني بكر بن عبد مناف ليدلّ بهما إلى المدينة وينكب عن الطريق العظمى ، وكان كافراً وحليفاً للعاص بن وائل ، لكنها وثقا بامرهم^(١) وكان دليلاً بالطرق .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خوخة في ظهر دار أبي بكر ليلاً ، وأتيا الغار الذي في جبل ثور بأسفل مكّة فدخلوا فيه ، وكان عبدالله بن أبي بكر يأتيهما بالأخبار ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وراعي غنمه يريح غنمه عليهما ليلاً ليأخذ حاجتهما من لبنها ، وأسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام . وتفقّى^(٢) عامرا بالغنم أثر عبدالله^(٣) ، ولما فقدته قريش اتبعوه ومعهم القائف فقفاف الاثر حتى وقف عند الغار وقال هنا انقطع الأثر ! واذا بنسج العنكبوت على فم الغار فاطمأنوا إلى ذلك ورجعوا ، وجعلوا مائة ناقة لمن ردّهما عليهم .

(١) وفي نسخة ثانية : بأمانته .

(٢) وفي نسخة ثانية : نقض .

(٣) وفي النسخة الباريسية : اثر عبدالله والماء .

ثم أتاهما عبدالله بن أريقط بعد ثلاث بإحلتها^(١) فركبا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ، واتهما أسماء بسفرة لها وشقت نطاقها وربطت السفرة فسميت ذات النطاقين . وحمل أبو بكر جميع ماله نحو ستة آلاف درهم ، ومروا بسراقة بن مالك بن جعشم فاتبعهم ليردهم ، ولما رآوه دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه في الأرض ، فنادى بالأمان وأن يقفوا له . وطلب من النبي أن يكتب له كتاباً فكتبه أبو بكر بأمره ، وسلك الدليل من أسفل مكة على الساحل أسفل من عسفان^(٢) وأمج وأجاز قديداً إلى العرج ثم إلى قبا من عوالي المدينة . ووردوها قريباً من الزوال يوم الإثنين لإثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، وخرج الأنصار يتلقونه وقد كانوا ينتظرونه حتى إذا^(٣) قلصت الظلال رجعوا إلى بيوتهم . فتلقوه مع أبي بكر في ظل نخلة ، ونزل عليه السلام بقبا على سعد بن خيشمة ، وقيل على كلثوم بن الهدم^(٤) ، ونزل أبو بكر بالسبخ في بني الحرث بن خزرج على خبيب بن أسد ، وقيل على خارجة بن زيد . ولحق بهم علي رضي الله عنه من مكة بعد أن ردّ الودائع للناس التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فترل معه بقبا . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك أياماً ثم نهض لما أمر الله وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاًها في المسجد هنالك ورغب إليه رجال بني سالم أن يقيم عندهم ، وتبادروا إلى خطام ناقته اغتناماً لبركته . فقال عليه السلام : خلّوا سبيلها فإنها مأمورة ، ثم مشى والأنصار حواله إلى أن مرّ بدار بني بياضة ، فتبادر إليه رجالهم يتندرون خطام الناقة ، فقال : دعوها فإنها مأمورة . ثم مرّ بدار بني ساعدة فتلقاه رجال وفيهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمر وودعوه كذلك وقال لهم مثل ما قال للآخرين . ثم إلى دار بني حارثة^(٥) بن الخزرج . فتلقاه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة . ثم مرّ ببني عدي بن النجار أخوال عبد المطلب ففعلوا وقال لهم مثل ذلك ، إلى أن أتى دار بني مالك بن النجار فبركت ناقته على باب مسجده اليوم وهو يومئذ لغلامين منهم في حجر معاذ بن عفراء إسمها سهل وسهيل وفيه خرب ونخل وقبور للمشركين ومريد ، ثم

(١) وفي نسخة ثانية : بإحلتها .

(٢) وفي النسخة البارسية : من غسان .

(٣) وفي نسخة ثانية : إلى أن .

(٤) وفي النسخة البارسية : ابن المنذر .

(٥) وفي النسخة البارسية : بني الحرث .

بركت الناقة وبقي على ظهرها ولم يتزل فقامت ومشت غير بعيد ولم يشنها ، ثم التفت خلفها ورجعت إلى مكانها الأول فبركت واستقرت ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها . وحمل أبو أيوب رحله إلى داره فترل عليه وسأل عن المريد وأراد أن يتخذ مسجداً ، فاشتره من بني النجار بعد أن وهبوه إياه فأبى من قبوله ، ثم أمر بالقبور فنبشت وبالنخل فقطعت ، وبني المسجد باللبن وجعل عضادتيه الحجارة وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد ، وعمل فيه المسلمون حسبة^(١) لله عز وجل .

ثم وداع اليهود وكتب بينه وبينهم كتاب صلح وموادعة شرط فيه لهم وعليهم .
ثم مات اسعد بن زرارة وكان نقيباً لبني النجار فطلبوا إقامة نقيب مكانه ، فقال أنا نقيبيكم ، ولم يخص بها منهم آخر دون آخر فكانت من مناقبهم . ثم لما رجع عبد الله بن أريقط إلى مكة أخبر عبد الله بن أبي بكر بمكانه فخرج ومعه عائشة أخته وأمها أم رومان ومعهم طلحة بن عبيد الله^(٢) فقدموا المدينة وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر وبني بها في منزل أبي بكر بالسنع . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أبا رافع إلى بناته وزوجته سودة بنت زمعة فحملهن^(٣) إليه من مكة ، وبلغ الخبر بموت أبي أحيحة والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل من مشيخة قريش . ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، فأخى بين جعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة ومعاذ بن جبل ، وبين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد ، وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك من بني سالم^(٤) ، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش ، وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك ، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخي حسان ، وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب ، وبين أبي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر بن وقش من بني عبد الأشهل ، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان العنسي حليف بني عبد الأشهل وقيل بل ثابت بن قيس بن شماس ، وبين أبي ذر الغفاري

(١) وفي النسخة البارسية : حسنة .

(٢) وفي النسخة البارسية : عبد الله .

(٣) الأصح ان يقول حملهن .

(٤) وفي نسخة أخرى : بني سهم .

والمندبر بن عمرو من بني ساعدة ، وبين حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى ، وعويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف ، وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ، وعمر بن بلتعة من بني الحرث بن الخزرج (١) وبين بلال بن حمارة وأبي رويحة الخثعمي (٢) .

ثم فرضت الزكاة ويقال وزيد في صلاة الحاضر (٣) ركعتين فصارت أربعاً بعد أن كانت ركعتين سراً وحضراً . ثم أسلم عبدالله بن سلام وكفر جمهور اليهود ، وظهر قوم من الأوس والخزرج منافقون يظهرون الإسلام مراعاة لقومهم من الأنصار ويصرون الكفر ، وكان رؤسهم من الخزرج عبدالله بن أبي بن سلول والحد بن قيس ، ومن الأوس الحرث بن سهيل بن الصامت وعبد بن حنيف ومربع بن قبيط وأخوه أوس من أهل مسجد الضرار . وكان قوم من اليهود أيضاً تعوذوا بالإسلام وهم يبطنون الكفر منهم : سعد بن حنيس (٤) وزيد بن اللصيت (٥) ورافع بن خزيمة ورفاعة بن زيد ابن التايوت وكنانة بن خبورا (٦) .

الغزوات

(الابواء) : ولما كان شهر صفر بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة خرج في مائتين من أصحابه يريد قريشاً وبني ضمرة ، واستعمل على المدينة سعد بن عباد ، فبلغ ودان والأبواء ولم يلقهم . واعترضه مخشى بن عمر وسيد بني ضمرة بن عبد منات بن كنانة وسأله موادة قومه فعقد له ، ورجع إلى المدينة ولم يلق حرباً . وهي أول غزاة غزاها بنفسه ، ويسمى بالأبواء وبودان المكانان اللذان انتهى إليهما ، وهما متقاربان بنحو ستة أميال ، وكان صاحب اللواء فيها حمزة بن عبد المطلب .

(بواط) : ثم بلغه أن عير قريش نحو ألفين وخمسمائة فيها أمية بن خلف ، ومائة رجل من قريش ذاهبة إلى مكة ، فخرج في ربيع الآخر لاعتراضها واستعمل على المدينة

(١) في هامش الأصل سقط أبو عمرو اه قاله نصر .

(٢) وفي النسخة الباريسية : ازويغة الخثعمي .

(٣) وفي النسخة الباريسية : في صلاة الحضر .

(٤) وفي نسخة ثانية : خنيس .

(٥) وفي نسخة ثانية : زيد بن اللطيت .

(٦) وفي نسخة ثانية : كنانة بن خيورتا .

السائب بن عثمان بن مظعون . وقال الطبري : سعد بن معاذ فأنهى إلى بواط ولم يلقهم ورجع إلى المدينة .

غزوة العشيرة : ثم خرج في جمادى الأولى غازيا قريشا ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد فسلك عن جانب من الطريق إلى أن لقي الطريق بصخوريات اليمام إلى العشيرة من بطن ينبع ، فأقام هنالك بقية جمادى الأولى وليلة من جمادى الثانية ووادع بني مدلج ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حرباً .

بدر الأولى (١) وأقام بعد العشيرة نحو عشر ليال ثم أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة ، فخرج في طلبه حتى بلغ ناحية بدر ، وفاته كرز فرجع إلى المدينة .

(البعوث) : وفي هذه الغزوات كلها غزا بنفسه وبعث فيما بينها بعوثاً نذكرها (فنها) : بعث حمزة بعد الأبواء ، بعثه في ثلاثين راكباً من المهاجرين إلى سيف

البحر فلقى أبا جهل في ثلثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني (٢) ولم يكن قتال . ومنها بعث عبدة بن الحرث بن المطلب في ستين راكباً

وثمانين من المهاجرين فبلغ ثنية المزار (٣) ولقي بها جمعاً عظيماً من قريش كان عليهم عكرمة بن أبي جهل وقيل مكرز بن حفص بن الأحنف ولم يكن بينهم قتال . وكان

مع الكفار يومئذ من المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان ، خرجا مع الكفار ليجد السبيل إلى اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم فهربا إلى المسلمين وجاءا معهم .

وكان بعث حمزة وعبدة متقاربين ، واختلف أيهما كان قبل إلا أنها أول راية عقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الطبري إن بعث حمزة

كان قبل ودان في شوال لسبعة أشهر من الهجرة . ومنها بعث سعد (٤) بن أبي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين يطلب كرز بن جابر حين أغار على سرح المدينة فبلغ

المزار ورجع .

ومنها بعث عبد الله بن جحش إثر مرجعه من بدر الأولى في شهر رجب بعثه بثانية من المهاجرين وهم أبو حذيفة بن عتبة وعكاشة بن محصن بن أسد بن خزيمة وعتبة

(١) وفي النسخة الباريسية : العشيرة بدر الأولى .

(٢) وفي نسخة ثانية : عدي بن صجر الجهني .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ثنية المرة .

(٤) وفي النسخة الباريسية : سعيد

بن غزوان بن مازن بن منصور وسعد بن أبي وقاص وعامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي وواقد بن عبدالله بن زيد مناة بن تميم وخالد بن البكير بن سعد بن ليث وسهيل بن بيضا^(١) بن فهر بن مالك ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ولا يكره أحداً من أصحابه ، فلما قرأ الكتاب بعد يومين وجد فيه أن تمضي حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف وترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم ، فأخبر أصحابه وقال : حتى ننزل النخلة بين مكة والطائف ومن أحب الشهادة فليهنض ولا أستكره أحداً . ففضوا كلهم وضل لسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان في بعض الطريق بعير لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ونفر الباقيون إلى نخلة ، فمرت بهم عير لقريش تحمل تجارة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولاهم وذلك آخر يوم من رجب ، فتشاور المسلمون وتخرج بعضهم الشهر الحرام ثم اتفقوا واغتنموا الفرصة فيهم ، فرمى واقد بن عبدالله^(٢) عمرو بن الحضرمي فقتله وأسروا عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان وأفلت نوفل ، وقدموا بالعير والأسيرين وقد أخرجوا الخمس فعزلوه . فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم فعلهم ذلك في الشهر الحرام ، فسقط في أيديهم ثم أنزل الله تعالى « يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه » الآية إلى قوله « حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » . فسرى عنهم وقبض النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الخمس وقسم الغنيمة وقبل الفداء في الأسيرين ، وأسلم الحكم بن كيسان منها ، ورجع سعد وعتبة سالمين إلى المدينة . وهذه أول غنيمة غنمت في الإسلام وأول غنيمة ختمت في الإسلام وقتل عمرو بن الحضرمي هو الذي هيج^(٣) وقعة بدر الثانية .

صرف القبلة : ثم صرفت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة ، خطب بذلك على المنبر وسمعه بعض الأنصار فقام فصلّى ركعتين إلى الكعبة ، قاله ابن حزم . وقيل على رأس ثمانية عشر شهراً ، وقيل ستة عشر ، ولم يقل غير ذلك .

غزوة بدر الثانية : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلى رمضان من السنة

(١) وفي نسخة ثانية : بن مضاض

(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدالله بن واقد .

(٣) وفي نسخة ثانية : هاج .

الثانية ، ثم بلغه أن عبيراً لقريش فيها أموال عظيمة مقبلة من الشام إلى مكة معها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش عميدهم أبو سفيان ومعه عمرو بن العاصي ومخرمة بن نوفل ، فندب عليه السلام المسلمين إلى هذه العير وأمر من كان ظهره حاضراً بالخروج ، ولم يحتفل في الحشد لأنه لم يظن قتالاً ، واتصل خروجه بأبي سفيان ، فاستأجر ضَضَمَ بن عمرو الغفاري وبعثه إلى أهل مكة يستنفرهم لعيرهم فنفروا وأرعبوا إلا يسيراً منهم أبو لهب . وخرج صلى الله عليه وسلم لثمان خلون من رمضان واستخلف على الصلاة عمرو بن أم مكتوم وردّ أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، ودفع إلى عليّ راية ، وإلى رجل من الأنصار أخرى يقال كانتا سوداوين . وكان مع أصحابه صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعون عبيراً يعتقدونها فقط . وجعل على الساقة قيس بن أبي صَعَصَعَة من بني النجّار ، وراية الأنصار يومئذ مع سعد بن معاذ فسلكوا نقب المدينة إلى ذي الحليفة ثم انتهوا إلى صحيرات يمام ^(١) ثم إلى بئر الروحاء ، ثم رجعوا ذات اليمين عن الطريق إلى الصفراء .

وبعث عليه السلام قبلها بَسْبَسَ بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعديّ بن أبي الزغباء ^(٢) الجهني حليف بني النجّار إلى بدر يتجسّسون أخبار أبي سفيان وغيره . ثم تنكّب عن الصفراء يميناً وخرج على وادي دَقْران ، فبلغه خروج قريش ونفيرهم ، فاستشار أصحابه ، فتكلّم المهاجرون وأحسنوا ، وهو يريد ما يقوله الأنصار وفهموا ذلك . فتكلّم سعد بن معاذ وكان فيما قال : « لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك فسر بنا يا رسول الله على بركة الله » فسرّ بذلك ، وقال : « سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين » .

ثم ارتحلوا من دَقْران إلى قريب من بَدْر وبعث عليّاً والزُّبير وسعداً في نفر يلتمسون الخبر فأصابوا غلامين لقريش ، فأتوا بهما وهو عليه السلام قائم يصليّ ، وقالوا : نحن سقاة قريش فكذبوهما كراهية في الخبر ورجاء أن يكونا من العير للغنيمة وقلة المؤنة ، فجعلوا يضربونهما فيقولان نحن من العير . فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر عليهم ، وقال للغلامين : أخبراني أين قريش . فأخبراه أنّهم وراء الكتيب ^(٣)

(١) وفي نسخة أخرى : تمام .

(٢) وفي النسخة الباريسية : الدغاء .

(٣) الكتيب : التل من الرمل وفي النسخة الباريسية الكثيف وهو الصفيح من الحديد (قاموس) .

وأنهم ينحرون يوماً عشراً من الابل ويوماً تسعاً . فقال عليه السلام : القوم بين التسعمائة والألف . وقد كان بسبب وعدي الجهنيان مضياً يتجسسان ولا خبر حتى نزلا وأناخا قرب الماء واستقيا في شين لها ومجدي بن عمرو من جهينة بقرهما ، فسمع عدي جارية من جوارى الحي تقول لصاحبتها العير تأتي غداً أو بعد غد وأعمل لهم وأقضيك الذي لك وجاءت إلى مجدي بن عمرو فصدقها ، فرجع بسبب وعدي بالخبر . وجاء أبو سفيان بعدهما يتجسس الخبر فقال لمجدي هل أحسست أحداً فقال راكبين أناخا يميلان لهذا التل فاستقيا الماء ، ونهضا فأتى أبو سفيان مناخهما وفتت من أبعاد رواحلها ، فقال هذه والله علائف يثرب فرجع سريعاً وقد حذر وتنكب بالبعير إلى طريق الساحل فنجا وأوصى إلى قريش بأنا قد نجونا بالبعير فارجعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم به ثلاثاً وتهابنا العرب أبداً ، ورجع الأخنس بن شريق بجميع بني زهرة وكان حليفهم ومطاعاً فيهم ، وقال : إنما خرجتم تمنعون أموالكم وقد نجت فارجعوا . وكان بنو عدي لم ينفروا مع القوم ، فلم يشهد بدرًا من قريش عدوي ولا زهري .

وسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا إلى ماء بدر وثبطهم عنه مطر نزل وبله مما يليهم وأصاب مما يلي المسلمين دهس^(١) الوادي ، وأعانهم على السير ، فنزل عليه السلام على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة ، فقال له الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح : « الله أنزلك بهذا المنزل فلا تتحول عنه أم قصدت الحرب والمكيدة ؟ فقال عليه السلام : لا بل هو الرأي والحرب . فقال يا رسول الله ليس هذا بمنزل ، وإنما تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونبني عليه حوضاً فنملؤه ونغور القلب كلها فنكون قد منعناهم الماء . فاستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم بنوا له عريشاً يكون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتيه^(٢) من ربه النصر ، ومشى يريهم مصارع القوم واحداً واحداً ، ولما نزل قريش مما يليهم بعثوا عمير بن وهب الجمحي^(٣) يحذر له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم فارسان الزبير والمقداد ، فحزروهم وانصرف وخبرهم الخبر ، ورام حكيم بن حزام

(١) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب (قاموس) .

(٢) وفي النسخة الباريية : يكون فيه رسول الله (صلعم) واثقاً من ربه النصر .

(٣) وفي نسخة أخرى : يحذر .

وعتبة بن ربيعة أن يرجعا بقريش ولا يكون الحرب ، فأبى أبو جهل وساعده
المشركون ، وتواقفت الفئتان .

وعُدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف بيده ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر
وحده ، وطفق يدعو ويلح وأبو بكر يقاوله ويقول في دعائه اللهم أن تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الأرض اللهم أنجز لي ما وعدتني ، وسعد بن معاذ وقوم معه من
الأنصار على باب العريش يحمونه وأخفق^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انتبه
فقال أبشريا أبا بكر فقد أتى نصر الله . ثم خرج يحرض الناس ، ورمى في وجوه القوم
بحفنة من حصى وهو يقول : شأهت الوجوه . ثم تراحفوا فخرج عتبة وأخوه شيبه
وابنه الوليد يطلبون البراز فخرج إليهم عبيدة بن الحرث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن
أبي طالب فقتل حمزة وعلي شيبه والوليد وضرب عتبة عبيدة فقطع رجله فمات وجاء
حمزة وعلي إلى عتبة فقتلاه . وقد كان برز إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن
رواحه من الأنصار فأبوا إلا قومهم ، وجال القوم جولة فهزم المشركون وقتل منهم
يومئذ سبعون رجلا فن مشاهيرهم : عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وحنظلة بن
أبي سفيان بن حرب وابنا سعيد بن العاص عبيدة والعاص ، والحرث بن عامر بن
نوفل وابن عمه طعيمة بن عدي وزمعة بن الأسود وابنه الحرث وأخوه عقيل بن
الأسود وابن عمه أبو البختري بن هشام ونوفل بن خويلد بن أسد وأبو جهل بن
هشام ، اشترك فيه معاذ ومعوذ ابنا عفراء ووجدته عبد الله بن مسعود وبه رمق فحز
رأسه ، وأخوه العاص بن هشام وابن عمهما مسعود بن أمية وأبو قيس بن الوليد بن
المغيرة وابن عمه أبو قيس بن الفاكه ، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج ، والعاصي بن
منبه وأميه بن خلف وابنه علي وعمير بن عثمان عم طلحة .

وأسر العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب
والسائب بن عبد يزيد من بني المطلب وعمرو بن أبي سفيان بن حرب وأبو العاص
بن الربيع وخالد بن أسيد بن أبي العيص وعدي بن الخيار من بني نوفل وعثمان بن
عبد شمس ابن عم عتبة بن غزوان وأبو عزيز أخو مصعب بن عمير وخالد بن هشام
ابن المغيرة وابن عمه رفاعه^(٢) بن أبي رفاعه وأميه بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد

(١) وفي النسخة الباريسية : وطفق .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وابن عمه حمير .

بن الوليد أخو خالد وعبد الله وعمر بن أبي بن خلف وسهيل بن عمرو في آخرين مذكورين في كتب السير .

واستشهد من المسلمين ، من المهاجرين : عبيدة بن الحارث بن المطلب وعمير بن أبي وقاص وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي حليف بني زهرة وصفوان بن بيضاء من بني الحرث بن فهر ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصابه سهم فقتله ، وعافل بن البكير الليثي حليف بني عديّ من الأنصار . ثم من الأوس : سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر . ومن الخزرج : يزيد بن الحارث ^(١) بن الخزرج وعمير بن الحمام من بني سلمة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض على الجهاد ويرغب في الجنة وفي يده تمرات يأكلهن فقال : بخ بخ أما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم رمى بهنّ وقاتل حتى قتل ، ورافع بن المَعْلَى من بني حبيب بن عبد حارثة وحارثة بن سراقة من بني النجّار وعوف ومعوذ ابنا عفراء .

ثم انجلت الحرب وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلى المشركين فسحبوا إلى القليب وطم عليهم التراب ، وجعل على النفل ^(٢) عبدالله بن كعب بن عمرو بن مبدول بن عمر بن غنم بن مازن بن النجّار ، ثم انصرف إلى المدينة فلما نزل الصفراء قسم الغنائم كما أمر الله ، وضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة من بني عبد الدار ، ثم نزل عرق الظبية فضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وكان في الأسارى ومرّ إلى المدينة فدخلها ثمان بقين من رمضان .

غزوة الكدر : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه إلى المدينة اجتماع غطفان فخرج يريد بني سليم بعد سبع ليال من منصرفه ، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أمّ مكتوم ، فبلغ ماء يقال له الكدر وأقام عليه ثلاثة أيام ثم انصرف ولم يلتق حرباً ، وقيل إنه أصاب من نعمهم ورجع بالغنيمة ، وإنه بعث غالب بن عبد الله الليثي في سرية فنالوا منهم وانصرفوا بالغنيمة . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحجة ، وفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسارى بدر .

(١) وفي النسخة الباريية : يزيد من الحرث من بني الحرث بن الخزرج .

(٢) وفي النسخة الباريية : البقل .

غزوة السوق : ثم إنَّ أبا سفيان لما انصرف من بدر نذر أن يغزو المدينة فخرج في مائتي راكب حتى أتى بني النضير ليلاً ، فتوارى عنه جيُّ بن أخطب ولقيه سلام بن مشكم وقراه ^(١) وأعلمه بخبر الناس ، ثم رجع ومَرَّ بأطراف المدينة فحرق نخلاً وقتل رجلين في حرث لهما ، فففر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، واستعمل على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، وبلغ الكدر ^(٢) وفاته أبو سفيان والمشركون وقد طرخوا السوق من أزوادهم ليتخففوا ، فأخذها المسلمون فسميت لذلك غزوة السوق . وكانت في ذي الحجة بعد بدر بشهرين .

ذى أمر : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر المحرم غازياً غطفان واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فأقام بنجد صفر وانصرف ولم يلق حرباً .
نجران : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ربيع الأول يريد قريشاً واستخلف ابن أم مكتوم فبلغ نجران معدناً في الحجاز ولم يلق حرباً . وأقام هنالك إلى جمادى الثانية من السنة الثالثة وانصرف إلى المدينة .

قتل كعب بن الأشرف : وكان كعب بن الأشرف رجلاً من طيء وأمه من يهود بني النضير ، ولما أصيب أصحاب بدر ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة مبشرين إلى المدينة ، جعل يقول : ويلكم أحق هذا ؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، وإن كان محمد أصاب هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها . ثم قدم مكة ونزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية ، فجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب ، ثم رجع إلى المدينة فشبب بعاتكة ثم شبب بنساء المسلمين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يقتل كعب بن الأشرف ، فانتدب لذلك محمد بن مسلمة وملكبان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة من بني عبد الأشهل أخوكعب من الرضاعة وعبد بن بشر بن وقش والحرث بن بشر بن معاذ وأبو عيس بن جبر من بني حارثة ، وتقدّم إليه ملكبان بن سلامة وأظهر له انحرافاً عن النبي صلى الله عليه وسلم عن إذن منه ، وشكا إليه ضيق الحال ورام أن يبيعه وأصحابه طعماً ويرهنون سلاحهم . فأجاب إلى ذلك ورجع إلى أصحابه ،

(١) وفي النسخة الباريية : سلام بن مسلم ونها .

(٢) وفي نسخة ثانية : الكرز .

فخرجوا وشيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد^(١) في ليلة قراء ، وأتوا كعباً فخرج إليهم من حصنه ومشوا غير بعيد ثم وضعوا عليه سيوفهم ، ووضع محمد بن مسلمة معولاً كان معه في ثنته^(٢) فقتله . وصاح عدو الله صيحة شديدة اندعر لها أهل الحصون التي حواله ، وأوقدوا النيران ، ونجا القوم وقد جرح منهم الحرث بن أوس ببعض سيوفهم فترفه الدم وتأخر ، ثم وافاهم بجرة العريض آخر الليل ، وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، وأخبروه وتفل على جرح الحرث فبرأ . وأذن للمسلمين في قتل اليهود لما بلغه أنهم خافوا من هذه الفعلة ، وأسلم حينئذ حويصة بن مسعود ، وقد كان أسلم قبله أخوه محيصة بسبب قتل بعضهم .

غزوة بني قينقاع : وكان بنو قينقاع لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقف بسوق بني قينقاع في بعض الأيام فوعظهم وذكرهم ما يعرفون من أمره في كتابهم ، وحذّره ما أصاب قريشاً من البطشة ، فأساؤا الردّ وقالوا : لا يفرنك انك لقيت قوماً لا يعرفون الحرب فأصبت منهم والله لئن جرّبتنا لتعلمنّ أنا نحن الناس . فأنزل الله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء » . وقيل بل قتل مسلم يهودياً بسوقهم في حق ، فثاروا على المسلمين ونقضوا العهد ونزلت الآية . فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر ، وقيل أبا لبابة ، وكانوا في طرف المدينة في سبعمائة مقاتل منهم ثلثمائة دارع ، ولم يكن لهم زرع ولا نخل إنما كانوا تجاراً أو صاغة يعملون بأموالهم ، وهم قوم عبدالله بن سلام . فحصرهم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يكلم أحداً منهم حتى نزلوا على حكمه فكشفهم ليقتلوا ، فشفع فيهم عبدالله بن أبي بن سلول وألح في الرغبة^(٣) حتى حقن له رسول الله صلى الله عليه وسلم دماءهم ، ثم أمر بإجلائهم وأخذ ما كان لهم من سلاح وضياع^(٤) ، وأمر عبادة بن الصامت فمضى بهم إلى ظاهر ديارهم ولحقوا بخيبر ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس من الغنائم وهو أول خمس

(١) وفي نسخة أخرى : الغرقد وفي النسخة الباريسية : العرقد .

(٢) الثنة : شعرات مؤخر رجل الفرس (قاموس) والأصح ان يقول ثنيته : أي اسنان مقدّم الفم . وفي النسخة الباريسية : في قبته .

(٣) وفي نسخة أخرى : الرغبة : أي الطمع .

(٤) وفي النسخة الباريسية : صياغة .

أخذه ، ثم انصرف إلى المدينة وحضر الأضحى فصلى بالناس في الصحراء وذبح بيده شاتين ويقال أنها أول أضحيته صلى الله عليه وسلم .

سرية زيد بن حارثة إلى قردة : وكانت قريش من بعد بدر قد تحوّلوا من اعتراض المسلمين غيرهم في طريق الشام وصاروا يسلكون طريق العراق ، وخرج منهم تجّار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية واستجاروا بفرات بن حيان من بكر بن وائل فخرج بهم في الشتاء وسلك بهم على طريق العراق ، وانتهى خبر العير إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما فيها من المال وآنية الفضة ، فبعث زيد بن حارثة في سرية فاعترضهم وظفر بالعير وأتى بفرات بن حيان العجلي أسيراً فتعوز بالاسلام وأسلم . وكان خمس هذه الغنيمة عشرين ألفاً .

قتل ابن أبي الحقيق : كان سلام بن أبي الحقيق هذا من يهود خيبر وكنيته أبو رافع ، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويحزب عليهم الأحزاب ، مثلاً أو قريباً من كعب بن الأشرف ، وكان الأوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحلين في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذب عنه والنيل من أعدائه ، لا يفعل أحد القبيلتين شيئاً من ذلك إلا فعل الآخرون مثله . وكان الأوس قد قتلوا كعب بن الأشرف كما ذكرناه ، فاستأذن الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابن أبي الحقيق نظير ابن الأشرف في الكفر والعداوة ، فأذن لهم . فخرج إليهم من الخزرج ثم من بني سلمة^(١) ثمانية نفر منهم : عبد الله بن عقيل ومسعر بن سنان وأبو قتادة والحارث بن ربيعي الخزاعي من حلفائهم في آخرين ، وأمر عليهم عبد الله بن عقيل ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، وخرجوا في منتصف جمادى الآخرة من سنة ثلاث ، فقدموا خيبر ، وأتوا دار ابن أبي الحقيق في عليّة له بعد أن انصرف عنه سمره ونام ، وقد أغلقوا الأبواب من حيث أفضوا كلها عليهم ، ونادوه ليعرفوا مكانه بصوته ، ثم تعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه ، وخرجوا من القصر وأقاموا ظاهره حتى قام الناعي على سور القصر فاستيقنوا موته ، وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر . وكان أحدهم قد سقط من درج العلية فأصابه كسر في ساقه فسح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرا^(٢) .

(١) وفي النسخة الباريسية : من بني ساعدة سلمة .

(٢) وفي نسخة ثانية : فبرئت .

غزوة أحد

وكانت قريش بعد واقعة بدر قد تآمروا^(١) وطلبوا من أصحاب العير أن يعينوهم بالمال ليتجهزوا به لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعانوهم ، وخرجت قريش باحايشها وحلفائها وذلك في شوال من سنة ثلاث ، واحتملوا الظعن التماساً للحفيظة وأن لا يفروا ، وأقبلوا حتى نزلوا ذا الحليفة قرب أحد ببطن السبخة مقابل المدينة على سفير وإد هنالك ، وذلك في رابع شوال . وكانوا في ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة ذارع ومائتا فرس وقائدهم أبو سفيان ومعهم خمس عشرة امرأة بالدفوف ييكن قتل بدر . وأشار صلى الله عليه وسلم على أصحابه بأن يتحصنوا بالمدينة ولا يخرجوا وإن جاؤا فقاتلوهم على أفواه الأزقة ، وأقر^(٢) ذلك على رأي عبدالله بن أبي بن سلول ، وألح قوم من فضلاء المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة فلبس لامته وخرج ، وقدم أولئك الذين ألحوا عليه وقالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل . وخرج في ألف من أصحابه ، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة ببقية المسلمين بالمدينة . فلما سار بين المدينة وأحد انخزل عنه عبدالله بن أبي في ثلث الناس مغاضباً لمخالفة رأيه في المقام ، وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّة بني حارثة ومريين الحوائط وأبو خيثمة من بني حارثة يدل به حتى نزل الشعب من أحد مستنداً إلى الجبل ، وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين وتهايا للقتال في سبعمائة فيهم خمسون فارساً وخمسون رامياً ، وأمر على الرماة عبدالله بن جبير من بني عمرو بن عوف والأوس وأخو حوات ، ورتبهم خلف الجيش ينضحون بالنبل لثلاثا يأتوا المسلمين من خلفهم ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير من بني عبد الدار ، وأجاز يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج من بني حارثة في الرماة وسنهما خمسة عشر عاماً ، ورد أسامة بن زيد وعبدالله بن عمر بن الخطاب ومن بني مالك بن النجار زيد بن ثابت وعمرو بن حرام ومن بني حارثة البراء بن عازب وأسيد بن ظهير ، ورد عرابة بن أوس وزيد بن أرقم وأبا سعيد الخدري سن جميعهم يومئذ أربعة عشر عاماً . وجعلت قريش على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ،

(١) ربما قصد المؤرخ تآمروا .

(٢) وفي نسخة أخرى : وافقا .

وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل . وأعطى عليه السلام سيفه بحقه إلى أبي دجانة
سماك بن خرشة من بني ساعدة وكان شجاعاً بطلاً يخال عند الحرب . وكان مع
قريش ذلك اليوم والد حنظلة غسيل الملائكة أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك
ابن النعمان في طليعة^(١) وكان في الجاهلية قد ترهب وتنسك ، فلما جاء الإسلام غلب
عليه الشقاء وفرّ إلى مكة في رجال من الأوس وشهد أحد مع الكفار ، وكان يعد
قريش في إنحراف الأوس إليه لما أنه سيدهم ، فلم يصدق ظنه ، ولما ناداهم
وعرفوه ، قالوا : لا أنعم الله لك علينا يا فاسق . فقاتل المسلمين قتالاً شديداً .
وأبلى يومئذ حمزة وطلحة وشيبة وأبو دجانة والنضر بن أنس^(٢) بلاءً شديداً ،
وأصيب جماعة من الأنصار مقبلين غير مدبرين واشتد القتال وانهمز قريش أولاً ،
فخلت الرماة عن مراكزهم ، وكّر المشركون كرة وقد فقدوا متابعة الرماة فانكشف
المسلمون واستشهد منهم من أكرمه الله ، ووصل العدو إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وقاتل مصعب بن عمير صاحب اللواء دونه حتى قتل ، وجرح رسول الله
صلى الله عليه وسلم في وجهه وكسرت رباطيته اليمنى السفلى بحجر ، وهشمت البيضة
في رأسه ، يقال إن الذي تولى ذلك عتبة بن أبي وقاص وعمرو بن قيسه الليثي . وشدّ
حنظلة الغسيل على أبي سفيان ليقتله فاعترضه شداد بن الأسود الليثي من شعوب فقتله
وكان جنباً ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الملائكة غسلته .
وأكبت الحجارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط من بعض حفر
هناك ، فأخذ علي بيده واحتضنه طلحة حتى قام ، ومصّ الدم من جرحه مالك بن
سنان الخدري والد أبي سعيد ، ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه صلى الله
عليه وسلم فانترعهما أبو عبيدة بن الجراح فندرت ثنيته فصاراهتم^(٣) . ولحق المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكّر دونه نفر من المسلمين فقتلوا كلهم ، وكان آخرهم
عمار بن يزيد بن السكن . ثم قاتل طلحة حتى أجهض^(٤) المشركون وأبو دجانة يلى
النبي صلى الله عليه وسلم بظهره وتقع فيه النبل فلا يتحرك^(٥) ، وأصيبت عين قتادة

(١) وفي نسخة ثانية : من ضبيعة .

(٢) وفي النسخة البارسية : النضر بن شميل .

(٣) ويقال : ائرم بدل اهتم اهـ .

(٤) أجهض : بمعنى أبعد المشركين .

(٥) وفي نسخة ثانية : فلا يترك

ابن النعمان من بني ظفر فرجع وهي على وجنته ، فردها عليه السلام بيده فصحت وكانت أحسن عينيه .

وانتهى النصر بن أنس إلى جماعة من الصحابة وقد دهشوا وقالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما تصنعون في الحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل الناس وقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة . وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف عشرين جراحة بعضها في رجله فخرج منها . وقتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم قتله وحشي مولى جبير بن مطعم بن عدي ، وكان قد جاعله على ذلك بعثته فراه يبارز سباع بن عبد العزى فرماه بحربة من حيث لا يشعر فقتله . ونادى الشيطان ألا أن محمداً قد قتل ، لأن عمرو بن قيثبة كان قد قتل مصعب بن عمير يظن أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وضربته أم عمارة نسيبة بنت كعب بن أبي (١) مازن ضربات فتوفي (٢) منها بدرعيه وخشي المسلمون لما أصابه ووهنو لصريخ الشيطان . ثم إن كعب بن مالك الشاعر من بني سلمة عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى بأعلى صوته يبشر الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : أنصت ، فاجتمع عليه المسلمون ونهضوا معه نحو الشعب ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير والحارث بن الصمة (٣) الأنصاري وغيرهم ، وأدركه أبي بن خلف في الشعب ، فتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وطعنه بها في عنقه فكرر أبي منهزماً ، وقال له المشركون ما بك من بأس ، فقال : والله لو يصدق علي لقتلني وكان صلى الله عليه وسلم قد توعد بالقتل فمات عدو الله بسرف (٤) مرجعهم الى مكة . ثم جاء علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء فغسل وجهه ونهض فاستوى على صخرة من الجبل وحانت الصلاة فصلى بهم قعوداً . وغفر الله للمنهزمين من المسلمين ونزل : إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان (الآية) وكان منهم عثمان بن عفان وعثمان بن أبي عقبة الأنصاري .

(١) وفي نسخة ثانية : من بني مازن .

(٢) وفي نسخة ثانية : توفي .

(٣) وفي النسخة الثانية : الصامت .

(٤) سرف القوم جاوزههم (القاموس) وسرف مكان بين مكة والمدينة . والمرجح انه سقطت كلمة اثناء في الجملة .

واستشهد في ذلك اليوم حمزة كما ذكرناه وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير في خمسة وستين معظمهم من الأنصار ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفنوا بدمائهم وثيابهم في مضاجعهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم . وقتل من المشركين إثنان وعشرون منهم الوليد بن العاص بن هشام وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن جمح ، وكان أسريوم بدر فنّ عليه وأطلقه بلا فداء على أن لا يعين عليه فنقض العهد وأسريوم أحد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه صبراً ، وأبي بن خلف قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وصعد أبو سفيان الجبل حتى أطلّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونادى بأعلى صوته : الحرب : سجال يوم أحد ييوم بدر ، أعل هبل . وانصرف وهو يقول موعدكم العام القابل . فقال عليه السلام قولوا له هو بيننا وبينكم .

ثم سار المشركون إلى مكة ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة ، وكانت هند وصواحبها قد جدّ عنه وبقرن عن كبده فلا كتبها ولم تسفها ، ويقال إنه لما رأى ذلك في حمزة قال لئن أظفرتي الله بقريش لأمثلنّ بثلاثين منهم . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة . ويقال إنه قال لعليّ لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا .

غزوة حمراء الاسد : ولما كان يوم أحد سادس عشر شوال ، وهو صبيحة يوم أحد ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لطلب العدو وأن لا يخرج إلا من حضر معه بالأمس ، وفسح لجابر بن عبد الله ممن سواهم ، فخرج وخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح وصار عليه السلام متجلداً مرهباً للعدو ، وانتهى إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة وأقام بها ثلاثاً ، ومرّ به هناك معبد بن أبي معبد الخزاعي سائراً إلى مكة ، ولقي ^(١) أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم وكانوا يرومون الرجوع إلى المدينة ففت ذلك في أعضادهم وعادوا إلى مكة .

بعث الرجيع : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر متمّ الثلاثة من الهجرة نفر من عضل والقارة بني الهون من خزيمة إخوة بني أسد ، فذكروا أن فيهم

(١) وفي النسخة الباريسية : ولحق .

اسلاماً ورغبوا أن يبعث فيهم من يفقههم في الدين ، فبعث معهم ستة رجال من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي^(١) ، وخالد بن البكير الليثي ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح من بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي من بني جحجحا بن كلفة ، وزيد بن الدثنة بن بياضة بن عامر ، وعبدالله بن طارق حليف بني ظفر ، وأمر عليهم مرثداً منهم . ونهضوا مع القوم حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء هذيل قريباً من عسفان غدروا بهم ، واستصرخوا هذيلاً عليهم فغشوهم في رحالهم ففزعوا إلى القتال فأمّتهم وقالوا : إنا نريد نصيب بكم فداء من أهل مكة ، فامتنع مرثد وخالد وعاصم من أمّتهم وقتلوا حتى قتلوا ، ورموا رأس عاصم لبيعه من سلافة بنت سعد ابن شهيد وكانت نذرت أن تشرب فيه الخمر لما قتل ابنها من بني عبد الدار يوم أحد ، فأرسل الله الدبر^(٢) فحمت عاصماً منهم فتركوه إلى الليل فجاء السيل فاحتمله . وأما الآخرون فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ولما كانوا بمر الظهر ان انتزع ابن طارق يده من القران وأخذ سيفه فرموه بالحجارة فأت ، وجاؤا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوهما إلى قريش فقتلوهما صبراً .

غزوة بئر معونة : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر هذا ملاعب الأسيّة أبو براء عمر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فدعاه إلى الاسلام ، فلم يسلم ولم يبعد ، وقال يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال إني أخاف^(٣) عليهم . فقال أبو براء أنا لهم جار . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم : المنذر بن عمرو من بني ساعدة في أربعين من المسلمين ، وقيل في سبعين ، منهم الحرث بن الصمّة ، وحرام بن ملحان خال أنس ، وعامر^(٤) بن فهيرة ، ونافع بن بديل بن ورقاء . فقتلوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل فقتله ، ولم ينظر في كتابه ، واستعدى عليهم بني عامر فأبوا لجوار أبي براء إياهم ، فاستعدى بني سليم فهضت منهم عصية ورعل

(١) وفي نسخة ثانية : الغنمي .

(٢) الدبر يفتح الدال وسكون الموحدة : الزنا بغير اهـ .

(٣) وفي النسخة الباريّة : اخشى .

(٤) وفي النسخة الباريّة : عمرو .

وذكوان وقتلوهما عن آخرهم ، وكان سرحهم إلى جانب منهم ومعهم المنذر بن أحيحة^(١) من بني الجلاح وعمرو بن أمية الضمري فنظرا إلى الطير تحوم على العسكر ، فأسرعا إلى أصحابها فوجداهم في مضاجعهم ، فأما المنذر بن أحيحة فقاتل حتى قتل ، وأما عمرو بن أمية فجز عامر بن الطفيل ناصيته حين علم أنه من مضر لرقة كانت عن أمه ، وذلك لعشر بقين من صفر وكانت مع الرجيع في شهر واحد . ولما رجع عمرو بن أمية لقي في طريقه رجلين من بني كلاب أو بني سليم فترلا معه في ظل كان فيه معها عهد من النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فانتسبا له في بني عامر أو سليم فعدا عليهما لما ناما وقتلها ، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لأذنيهما .

غزوة بني النضير : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير مستعيناً بهم في دية هذين القتيلين فأجابوا ، وقعد عليه السلام مع أبي بكر وعمر وعليّ ونفر من أصحابه إلى جدار من جدرانهم ، وأراد بنو النضير رجلاً منهم على الصعود إلى ظهر البيت ليلقي على النبي صلى الله عليه وسلم صخرة ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب منهم . وأوحى الله بذلك إلى نبيه فقام ، ولم يشعر أحداً ممن معه واستبطأوه ، واتبعوه إلى المدينة . فأخبرهم عن وحي الله بما أراد به يهود وأمر من أصحابه بالتيؤ لحربهم . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، ونهض في شهر ربيع الأول أول السنة الرابعة من الهجرة ، فتحصنوا منه بالحصون فحاصروهم ست ليال وأمر بقطع النخل وإحراقها ، ودس إليهم عبدالله بن أبي المنافقون إنا معكم قتلتم أو أخرجتم ، ففروهم^(٢) بذلك ثم خذلوهم كرهاً وأسلموهم . وسأل عبدالله من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكف عن دمائهم ويحلبهم بما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ، واحتمل إلى خير من أكابرهم حيي بن أخطب وابن أبي الحقيق فدانت لهم خبير ، ومنهم من سار إلى الشام ، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم بين المهاجرين الأولين خاصة ، وأعطى منها أبا دجانة وسهل بن حنيف كانا فقيرين . وأسلم من بني النضير يامين بن عمير بن جحاش ، وسعيد بن وهب فأحرزا أموالهما بإسلامهما . وفي هذه الغزاة نزلت سورة الحشر .

(١) وفي النسخة البارسية : المنذر بن محمد بن الجلاح .

(٢) وفي نسخة ثانية : ففروهم .

غزوة ذات الرقاع : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بني النضير إلى جمادى من السنة الرابعة ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، وقيل عثمان بن عفان ، ونهض حتى نزل نجداً فلقى بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ، إلا أنهم خاف بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة الخوف ، وسميت ذات الرقاع لأن أقدامهم نقبت وكانوا يلقون عليها الخرق . وقال الواقدي : لأن الجبل الذي نزلوا به كان به سواد وبياض وحمرة رقاعاً فسميت بذلك وزعم أنها كانت في الحرم .

غزوة بدر الصغرى الموعد : كان أبو سفيان نادى يوم أحد كما قدمناه بموعد بدر من قابل وأجابه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان في شعبان من هذه السنة الرابعة خرج لميعاده واستعمل على المدينة عبدالله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، ونزل في بدر وأقام هناك ثمان ليال وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل الظهران أو عسفان ، ثم بدا له في الرجوع واعتذر بأن العام عام جدب .

غزوة دومة الجندل : خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول من السنة الخامسة وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري . وسببها أنه عليه السلام بلغه أن جمعاً تجمعوا بها فغزاهم ، ثم انصرفوا من طريقه قبل أن يبلغ دومة الجندل ولم يلق حرباً . وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة ^(١) بن حصن أن يرعى بأراضي المدينة لأن بلاده كانت أجديت ، وكانت هذه قد أخصبت بسحابة وقعت فأذن له في رعيها .

غزوة الخندق

كانت في شوال من السنة الخامسة ، والصحيح أنها في الرابعة ، ويقويه أن ابن عمر يقول ردّي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ثم أجازني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فليس بينها إلا سنة واحدة وهو الصحيح ، فهي قبل دومة الجندل بلا شك . وكان سببها أن نفرًا من اليهود منهم : سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وحبي بن أخطب من بني

(١) وفي النسخة الباريية : عتبة .

النضير وهود^(١) ابن قيس وأبو عمارة^(٢) من بني وائل ، لما انجلى بنو النضير إلى خيبر خرجوا إلى مكة يحزبون الأحزاب ويحرضون على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغبون من اشرب إلى ذلك بالمال . فأجابهم أهل مكة إلى ذلك ، ثم مضوا إلى غطفان وخرج بهم عيينة بن حصن على أشجع ، وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من كنانة وغيرهم . ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بحفر الخندق على المدينة وعمل فيه بيده والمسلمون معه ، ويقال إن سلمان أشار به . ثم أقبلت الأحزاب حتى نزلوا بظاهر المدينة بجانب أحد ، وخرج عليه السلام في ثلاثة آلاف من المسلمين ، وقيل في تسعمائة فقط وهو راجل بلا شك^(٣) . وخلف على المدينة ابن أم مكتوم فترل بسطح سلع والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذراري فجعلوا في الأطام ، وكان بنو قريظة مواد عين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم حيي وأغراهم فنقضوا العهد ومالوا مع الأحزاب ، وبلغ أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث سعد بن معاذ وسعد ابن عباد وخوات^(٤) بن جبير وعبد الله بن رواحة يستخبرون الأمر ، فوجدوهم مكاشفين بالغدر والنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشاتمهم سعد بن معاذ وكانوا أحلافه وانصرفوا . وكان صلى الله عليه وسلم قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقاً أن يخبروه تعريضاً لئلا يفتوا في أعضاء الناس ، فلما جاؤا إليه قالوا يا رسول الله عضل والقارة يريدون غدركم بأصحاب الرجيع ، فعظم الأمر وأحيط بالمسلمين من كل جهة ، وهم بالفشل بنو حارثة وبنو سلمة معتذرين بأن بيوتهم عورة خارج المدينة ثم ثبتهم الله .

ودام الحصار على المسلمين قريباً من شهر ولم تكن حرب . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن والحرث بن عوف أن يرجعا ولهما ثلثا ثمار^(٥) المدينة ، وشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عباد فأبيا ، وقالوا : يا رسول الله أشيء أمرك الله به فلا بد منه أم شيء تحبه فتصدقه فتصنعه لك أم شيء تصنعه لنا ؟ فقال : بل

(١) وفي نسخة ثانية : وهو ابن قيس .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عمار .

(٣) وفي النسخة الباريسية : وهو الأصح .

(٤) وفي نسخة ثانية : خوان .

(٥) وفي النسخة الباريسية : ثلث ثمر المدينة .

أصنعه لكم إني رأيت أن العرب رمتكم عن قوس واحدة ، فقال سعد بن معاذ : قد كنا معهم على الشرك والأوثان ولا يطمعون منا بشمرة إلا شراء^(١) وبيعاً فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا والله لا نعطيهم إلا السيف . فصلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتمادى الأمر ، وظهر فوارس من قريش إلى الخندق وفيهم : عكرمة بن أبي جهل ، وعمر بن عبدود من بني عامر بن لؤي ، وضرار بن الخطاب من بني محارب فلما رأوا الخندق قالوا هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها . ثم اقتحموا من مكان ضيق حتى جالت خيلهم بين الخندق وطلع ، ودعوا إلى البراز ، وقتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبدود ، ورجعوا إلى قومهم من حيث دخلوا .

ورمي في بعض تلك الأيام سعد بن معاذ بسهم فقطع عنه الأكل ، يقال رماه حبان بن قيس بن العرقة وقيل أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، ويروى أنه لما أصيب جعل يدعو : « اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقى لها فلا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولا تمنني حتى تقر عيني من بني قريظة » .

ثم اشتد الحال وأتى نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فقال : يا رسول الله اني أسلمت ولم يعلم قومي فرني بما تشاء ، فقال إنما أنت رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة . فخرج فأتى بني قريظة وكان صديقهم في الجاهلية ، فنقم لهم في قريش وغطفان وأنهم إن لم يكن الظفر لحقوا ببلادهم وتركوكم ، ولا تقدر على التحول عن بلدكم ولا طاقة لكم بمحمد وأصحابه ، فاستوثقوا منهم برهن أبناءهم حتى يصابروا معكم . ثم أتى أبا سفيان وقريشاً فقال لهم : إن اليهود قد ندموا وراسلوا محمداً في المواعدة على أن يسترهنوا أبناءكم ويدفعوهم إليه . ثم أتى غطفان وقال لهم مثل ما قال لقريش . فأرسل أبو سفيان وغطفان إلى بني قريظة في ليلة سبت إننا لسنا بدار مقام فأعدوا للقتال ، فاعتذر اليهود بالسبت ، وقالوا : مع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا أبناءكم . فصدق القوم خبر نعيم ، وردوا إليهم بالاباية من الرهن والحث على الخروج ، فصدق أيضاً بنو قريظة خبر نعيم وأبوا القتال . وأرسل الله على قريش وغطفان ريحاً عظيمة أكفأت قدورهم وآتيتهم وقلعت أبنيتهم وخيامهم ، وبعث عليه

(١) وفي النسخة البارسية : الاخرى وبيعاً .

السلام حذيفة بن اليمان عيناً فأتاه بخبر رحيلهم وأصبح وقد ذهب الأحزاب ورجع إلى المدينة .

(غزوة بني قريظة) ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه جبريل بالنهوض إلى بني قريظة وذلك بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم ، فأمر المسلمين أن لا يصلي أحد العصر إلا في بني قريظة ، وخرج وأعطى الراية عليّ بن أبي طالب ، واستخلف ابن أمّ مكتوم ، وحاصروهم صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة ، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد إحدى ثلاث إمّا : الإسلام ، وإمّا تبييت النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة السبت ليكون الناس آمنين منهم ، وإمّا قتل الذراري والنساء ثم الاستماتة . فأبوا كل ذلك وأرسلوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر بن عمرو بن عوف لأنهم كانوا حلفاء الأوس ، فأرسله واجتمع إليه الرجال والنساء والصبيان فقالوا : يا أبا لبابة ترى لنا أن ننزل على حكم محمد ، قال نعم ، وأشار بيده في حلقه أنه الذبح . ثم رجع فندم وعلم أنه أذنب فانطلق على وجهه ، ولم يرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وربط نفسه إلى عمود في المسجد يتنظر توبة الله عليه وعاهد الله أن لا يدخل أرض بني قريظة مكاناً خان فيه ربه ونبيّه ، وبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال لو أتاني لاستغفرت له فأما بعد ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه فتزلت توبته ، فتولّى عليه السلام إطلاقه بيده بعد أن أقام مرتبطاً بالجذع ست ليال لا يحل إلا للصلاة .

ثم نزل بنو قريظة على حكم النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلم بعضهم ليلة نزولهم وهم نفر أربعة من هذيل إخوة قريظة والنضير ، وقرّ عنهم عمرو بن سعد القرظي ولم يكن دخل معهم في نقض العهد فلم يعلم أين وقع . ولما نزل بنو قريظة على حكمه صلى الله عليه وسلم طلب الأوس أن يفعل فيهم ما فعل بالخزرج في بني النضير ، فقال لهم : ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ وكان جريحاً منذ يوم الخندق وقد أنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فأتى به على حمار فلما أقبل على المجلس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : قوموا إلى سيدكم . ثم قالوا : يا سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّاك حكم مواليك ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، قالوا : نعم . قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتسبي الذراري والنساء وتقسم

الأموال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . ثم أنه أمر فأخرجوا إلى سوق المدينة وخندق لهم بها خنادق وضربت أعناقهم فيها وهم بين الستائة والسبعائة رجل ، وقتلت فيهم امرأة واحدة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت طرحت على خلاد^(١) بن سويد بن الصامت رحي من فوق الحائط فقتلته . وأمر عليه السلام بقتل من أنبت^(٢) منهم . ووهب لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزبير بن ياطا فاستحيا منهم عبد الرحمن بن الزبير كانت له صحبة ، وبعد أن كان ثابت استوهب من النبي صلى الله عليه وسلم الزبير وأهله وماله فوهبه ذلك فر الزبير عليه يده وأبى إلا الشد مع قومه اغتباطاً بهم قبحه الله . ووهب عليه السلام لأُم المندربنت قيس من بني النجار رفاعة بن سَمَوَال القرظي فأسلم رفاعة وله صحبة .

وقسم صلى الله عليه وسلم أموال بني قريظة فأسهم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهماً ، وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارساً ، ووقع في سهم النبي صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة من بني عمرو بن قريظة فلم تزل في ملكه حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فتح بني قريظة آخر ذي القعدة من السنة الرابعة . ولما تم أمرهم أجيب دعوة سعد بن معاذ فأنفجر عرقه ومات فكان ممن استشهد يوم الخندق في سبعة آخرين من الأنصار ، وأصيب من المشركين يوم الخندق أربعة من قريش فيهم : عمرو بن عبدود وابنه حسل ونوفل بن عبد الله بن المغيرة^(٣) ، ولم تغز كفار قريش المسلمين مذ يوم الخندق . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى من السنة الخامسة لسته أشهر من فتح بني قريظة فقصده بني لحيان يطالب بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وأهل الرجيع ، وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل ، فسلك على طريق الشام أولاً ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات اليمام ، ثم رجع إلى طريق مكة وأجد السير حتى نزل منازل لبني بين أمج وعسفان فوجدهم قد حذروا وامتنعوا بالجبال ، وفاتهم الغيرة فيهم فخرج في مائتي راكب إلى المدينة .

(١) وفي نسخة ثانية : خلال .

(٢) وفي نسخة ثانية : اثبت .

(٣) وفي نسخة ثانية : المريرة .

غزوة الغابة وذي قرد وبعد قفوله والمسلمين إلى المدينة بليال أغار عيينة بن حصن الفزاري في بني عبد الله من غطفان فاستلحموا^(١) القاح النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وكان فيها رجل من بني غفار وامرأته فقتلوا الرجل وحملوا المرأة ، ونذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي وكان ناهضاً ، فعلاً ثنية الوداع وصاح بأعلى صوته نذيراً بهم ، ثم اتبعهم واستنقذ ما كان بأيديهم ، ولما وقعت الصيحة بالمدينة ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم ، ولحق به المقداد بن الأسود وعباد^(٢) بن بشر وسعد بن زيد من بني عبد الأشهل . وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة الأسديّ وأبو قتادة من بني سلمة في جماعة من المهاجرين والأنصار ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد وانطلقوا في اتباعهم حتى أدركوهم ، فكانت بينهم جولة قتل فيها محرز بن نضلة قتله عبد الرحمن بن عيينة وكان أول من لحق بهم . ثم ولّى المشركون منزمين وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء يقال له ذو قرد ، فأقام عليه ليلة ويومها^(٣) ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة ثم قفل إلى المدينة . غزاة بني المصطلق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شعبان من هذه السنة السادسة ، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أنهم مجتمعون له وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية^(٤) أم المؤمنين ، فخرج إليهم واستخلف أبا ذر الغفاريّ ، وقيل نائلة بن عبد الله الليثي ولقيهم بالمريسيع^(٥) من مياهم ما بين قديد والساحل فتراحفوا وهزمهم الله وقتل من قتل منهم وسبي النساء والذرية وكانت منهم جويرية بنت الحرث سيدهم ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها ، وأدّى عليه السلام عنها وأعتقها وترّوجها . وأصيب في هذه الغزاة هشام بن صبابه الليثي من بني ليث بن بكر قتله رجل من رهط عبادة بن الصامت غلطاً يظنه من العدو ، وفي مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الغزاة ، وفيها قال عبد الله بن أبي بن سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل لمشجرة وقعت بين جهجاه بن

(١) وفي النسخة الباريسية : فاستلحموا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عباس .

(٣) وفي نسخة ثانية : ويومين .

(٤) وفي النسخة الباريسية : جويرة .

(٥) وفي نسخة ثانية : بالمريسيع .

مسعود الغفاري أجير عمر بن الخطاب وبين سنان ابن واقد^(١) الجهني حليف بني عوف بن الخزرج ، فتأاوروا^(٢) وتباهاوا ، فقال ما قال ، وسمع زيد بن أرقم مقالته ، وبلغها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونزلت سورة المنافقين وتبرأ منه ابنه عبدالله ، وقال : يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل وإن شئت والله أخرجته . ثم اعترض أباه عند المدينة ، وقال : والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له ، وحينئذ دخل ، وقال يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي وإني أخشى أن تأمر غيري فلا تدعني نفسي أن أقاتله ، وإن قتله قتلت مؤمنا بكافر ، ولكن مرني بذلك فأنا والله أحمل إليك رأسه . فجزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا وأخبره أنه لا يصل إلى أبيه سوء .

وفيهما قال أهل الافك ما قالوا في شأن عائشة مما لا حاجة بنا إلى ذكره وهو معروف في كتب السير ، وقد أنزل الله القرآن الحكيم براءتها وتشريفها . وقد وقع في الصحيح أن مراجعته وقعت في ذلك بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهو وهم ينبغي التنبيه عليه ، لأن سعد بن معاذ مات بعد فتح بني قريظة بلا شك داخل السنة الرابعة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهرا من موت سعد ، والملاحاة بين الرجلين كانت بعد غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة . والذي ذكر ابن إسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله وغيره أن المقاتل لسعد بن عبادة إنما هو أسيد بن الحضير^(٣) والله أعلم .

ولما علم المسلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية ، أعتقوا كل ما كان في أيديهم من بني المصطلق أصهار^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأطلق بسببها مائة من أهل بيته ، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم بعامين الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقبض صدقاتهم ، فخرجوا يتلقونه ، فخافهم على نفسه ورجع ، وأخبر أنهم هموا بقتله . فتشاور المسلمون في غدرهم ثم جاء وفد منهم منكرين ما كان من رجوع الوليد قبل لقيهم ، وأنهم إنما خرجوا تلقية

(١) وفي النسخة الباريسية : بن وفد .

(٢) وفي النسخة الباريسية : فتشاوروا .

(٣) وفي نسخة ثانية : ابن الحضري .

(٤) وفي النسخة الباريسية : لصهر رسول الله (صلم) .

وكرامة وروده . فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ونزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن - اءكم فاسق الآية .

عمرة الحديبية

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السادسة وفي ذي القعدة منها معتمراً بعد بني المصطلق بشهرين ، واستنفر الأعراب حوالي المدينة فأبطاء أكثرهم فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ، واتبعه من العرب فيما بين الثلاثمائة بعد الألف إلى الخمسمائة ، وساق الهدني وأحرم من المدينة ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً . وبلغ ذلك قريشاً فأجمعوا على صدّه عن البيت وقتاله دونها ، وقدموا خالد بن الوليد في خيل إلى كراع الغميم ، وورد خبرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان ، فسلك على ثنية المزار حتى نزل الحديبية من أسفل مكة وجاء من ورائهم ، ففكر خالد في خيله إلى مكة . فلما جاء صلى الله عليه وسلم إلى مكة بركت ناقته ، فقال الناس خلأت ، فقال : ما خلأت وما ذاك لها بخلق^(١) ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم نزل واشتكى الناس فقد الماء فأعطاهم سهماً من كنانته غرزوه في بعض القلب^(٢) من الوادي ، فجاش الماء حتى كفى جميع الجيش ، يقال نزل به البراء بن عازب . ثم جرت السفراء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش ، وبعث عثمان بن عفان بينهما رسولاً ، وشاع الخبر أن المشركين قتلوه ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وجلس تحت شجرة فبايعوه على الموت وأن لا يفروا ، وهي بيعة الرضوان ، وضرب عليه السلام بيسراه على يمينه وقال هذه عن عثمان . ثم كان سهيل ابن عمرو آخر من جاء من قريش فقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ينصرف عامه ذلك ويأتي من قابل معتمراً ويدخل مكة وأصحابه بلا سلاح حاشا السيوف في القرب ، فيقيم بها ثلاثاً ولا يزيد ، وعلى أن يتصل الصلح عشرة أعوام يتداخل فيه الناس ويأمن بعضهم بعضاً ، وعلى أن من هاجر من الكفار إلى المسلمين من رجل أو امرأة أن يرد إلى قومه ومن ارتد من المسلمين إليهم لم يردوه .

(١) وفي نسخة ثانية : وما هو لها بخلق .

(٢) وفي نسخة ثانية : بعض القلوب .

فعظم ذلك على المسلمين حتى تكلم فيه بعضهم ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم أن هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الإسلام ، وأن الله يجعل فيه فرجاً للمسلمين وهو أعلم بما علمه ربه . وكتب الصحيفة عليّ ، وكتب في صدرها هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى سهيل عن ذلك وقال لو تعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً أن يحوها ، فأبى وتناول هو الصحيفة بيده ومحا ذلك وكتب محمد بن عبد الله . ولا يقع في ذهنك من أمر هذه الكتابة ريب فإنها قد ثبتت في الصحيح ، وما يعترض في الوهم من أن كتابته قاذحة في المعجزة فهو باطل ، لأن هذه الكتابة إذا وقعت من غير معرفة بأوضاع الحروف ولا قوانين الخطّ وأشكالها بقيت الأمية على ما كانت عليه ، وكانت هذه الكتابة الخاصة من إحدى المعجزات انتهى .

ثم أتى أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده وكان قد أسلم ، فقال سهيل : هذا أول ما نقاضي عليه . فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيه وعظم ذلك على المسلمين ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جندل أن الله سيجعل له فرجاً ، وبينما هم يكتبون الكتاب إذ جاءت سرية من جهة قريش قيل ما بين الثلاثين والأربعين يريدون الإيقاع بالمسلمين ، فأخذتهم خيول المسلمين وجاؤا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم فإليهم ينسب العتقيون^(١) .

ولما تم الصلح وكتابه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحروا ويحلّقوا فتوقفوا ، فغضب حتى شكى إلى زوجته أم سلمة فقالت : يا رسول الله أخرج وانحر واحلق فإنهم تابعوك^(٢) ؛ فخرج ونحر وحلق رأسه حينئذ خراش بن أمية الخزاعي ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وما فتح من قبله فتح كان أعظم من هذا الفتح . قال الزهري : لما كان القتال حيث لا يلتقي الناس^(٣) . فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضاً فالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام أحداً يفعل شيئاً إلّا دخل عليه^(٤) ، فلقد دخل في دينك الستين في الإسلام مثلاً قبل ذلك أو أكثر .

(١) وفي نسخة ثانية : العتقيون .

(٢) وفي نسخة ثانية : متابعوك .

(٣) وفي النسخة الباريسية : إنما كان القتال حيث يتغى الناس .

(٤) وفي نسخة ثانية : دخل فيه .

ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لحقه أبو بصير^(١) عتبة بن أسيد بن جارية^(٢) هارباً وكان قد أسلم وحبسه قومه بمكة وهو ثقي من حلفاء بني زهرة ، فبعث إليه الأزهر بن عبد عوف عمّ عبد الرحمن بن عوف والأخنس بن شريق سيد بني زهرة رجلاً من بني عامر بن لؤي مع مولى لهم ، فأسلمه النبي صلى الله عليه وسلم فاحتملاه . فلما نزلوا بذى الحليفة أخذ أبو بصير السيف من أحد الرجلين ، ثم ضرب به العامري فقتله وفرّ الآخر ، وأتى أبو بصير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد وفّت ذمتك وأطلقني الله فقال عليه السلام : ويلمه^(٣) مسعر حرب لو كان له رجال . ففطن أبو بصير من لحن هذا القول أنه سيرده ، وخرج إلى سيف البحر على طريق قريش إلى الشام ، وانضاف إليه جمهور من يفرّ عن قريش ممن أراد الإسلام فأذوا قريشاً وقطعوا على رفاقهم وسابلتهم ، فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يضمهم بالمدينة .

ثم هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وجاء فيها أخوها عمارة والوليد ، فنع الله من ردّ النساء وفسخ ذلك الشرط المكتتب ، ثم نسخت براءة ذلك كلّ وحرم الله حينئذ على المسلمين إمساك الكوافر في عصمتهم فانفسخ نكاحهن .

إرسال الرسل إلى الملوك

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين الحديبية ووفاته رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاء إلى الله عز وجل ، فبعث سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ أخا بني عامر بن لؤي إلى هودّة^(٤) بن عليّ صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوى أخي بني عبد القيس صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن جلندي^(٥) بن عامر بن جلندي صاحب عمان ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الاسكندرية فأدّى إليه كتاب رسول الله

(١) وفي النسخة الباريسية : أبونصر .

(٢) وفي نسخة ثانية : ابن حارثة .

(٣) اصله : ويل أمه اهـ .

(٤) وفي النسخة الباريسية : هدوة .

(٥) وفي النسخة الباريسية : إلى جبير بن خليلد .

صلى الله عليه وسلم وأهدى المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوارٍ منهم مارية أم إبراهيم ابنه .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم ، فوصل إلى بصرى وبعثه صاحب بصرى إلى هرقل ، وكان يرى في ملاحمهم أن ملك الختان قد ظهر ، فقرأ الكتاب وإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم^(١) الروم السلام على من اتبع الهدى . أما بعد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين . وفي رواية «إثم الأكارين عليك تعيا بحمله» . فطلب من في مملكته من قوم النبي صلى الله عليه وسلم فأحضروا له من غزاة ، وكان فيهم أبو سفيان فسأله كما وقع في الصحيح ، فأجابه وسلم^(٢) أحواله وتفرس صحة أمره ، وعرض على الروم أتباعه فأبوا ونفروا فلاطفهم بالقول وأقصر . ويروى عن ابن اسحق أنه عرض عليهم الجزية ، فأبوا فعرض عليهم أن يصلحوا بأرض سورية . قالوا وهي أرض فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب وما كان وراء الدرب فهو الشام فأبوا .

قال ابن اسحق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي أخا بني أسد بن خزيمه إلى الحرث بن شمر الغساني صاحب دمشق ، وكتب معه : «السلام على من اتبع الهدى وآمن به أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك» . فلما قرأ الكتاب قال : من يترع ملكي أنا سائر إليه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : باد ملكه .

قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتاباً : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة ، سلام عليك فاني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة البتول الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله وقد بعث إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفر

(١) وفي النسخة الباريسية : ملك الروم .

(٢) وفي نسخة أخرى : وعلم .

من المسلمين فإذا جاؤك قافروهم ودع التجري وإني أدعوك وجنودك إلى الله فلقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى». فكتب إليه النجاشي «إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم ابن الحر^(١) سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته أحمد الله الذي لا إله إلا هو الذي هدانا للإسلام أمّا بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من أمر عيسى فوبر السماء والأرض ما نزيد بالرأي على ما ذكرت أنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً فقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت إليك بابني أرخا^(٢) الأصحم فأني لا أملك إلا نفسي إن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ، فأني أشهد أن الذي تقول حق والسلام عليك يا رسول الله». فذكر أنه بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة ففرقت بهم . (وقد جاء) أنه أرسل إلى النجاشي^(٣) ليزوجه أم حبيبة ، وبعث إليها بالخطبة جاريته فأعطتها أوصاحاً وفتحاً ووكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها ، ودفع النجاشي إلى خالد بن سعيد أربعمئة دينار لصداقها ، وجاءت إليها بها الجارية فأعطتها منها خمسين مثقالاً ، فردت الجارية ذلك بأمر النجاشي . وكانت الجارية صاحبة دهنه وثيابه وبعث إليها نساء النجاشي بما عندهن من عود وعنبر وأركبها في سفينتين مع بقية المهاجرين ، فلقوا النبي صلى الله عليه وسلم بخير ، وبلغ أبا سفيان تزويج أم حبيبة منه فقال : ذلك الفحل الذي لا يقدر أنفه .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه السنة إلى كسرى ، وبعث بالكتاب عبد الله بن حذافة السهمي وفيه : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسله أمّا بعد فأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم الجحوس .» ففرق كسرى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرق الله ملكه . وفي رواية ابن اسحق بعد قوله «وآمن بالله ورسله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فأني أنا رسول الله إلى

(١) وفي النسخة الباريية : ابن الحر .

(٢) وفي النسخة الباريية : أرعا .

(٣) وفي النسخة الباريية : وعن الواقدي انه ارسل الى النجاشي .

الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فإن آيت فإثم الأريسيين عليك : « قال فلما قرأه مزقه ، وقال يكتب إليّ هذا وهو عبدي ! قال : ثم كتب كسرى إليّ باذان وهو عامله على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتياي ، به فبعث باذان قهرمانه بانويه وكان حاسباً كاتباً بكتاب فارس ومعه خرخسرة من الفرس ، وكتب إليه معها أن ينصرف إلى كسرى ، وقال لقهرمانه : اختر الرجل وعرفني بأمره . وأول ما قدما الطائف سألوا عنه فقيل هو بالمدينة . وفرح من سمع بذلك من قريش وكانوا بالطائف ، وقالوا قطب له كسرى وقد كفيتموه . وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فكلمه بانويه^(١) وقال : إن شاهنشاه قد كتب إلى الملك باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك وبعثني لتنتقل معي ويكتب معه فينفعك وإن آيت فهو من علمت ويهلك قومك ويخرب بلادك . وكانا قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فنهاما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالا : أمرنا به ربنا يعنون به كسرى . فقال لهما : لكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي لم أؤخرهما إلى غد . وجاءه الوحي بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله^(٢) ليلة كذا من شهر كذا لعشر ماضين من جمادى الأولى سنة سبع ، فدعاهما وأخبرهما فقالا : هل تدري ما تقول ؟ يحزنانه عاقبة هذا القول ، فقال إذهبا وأخبراه بذلك عني وقولا له إن ديني وسلطاني يبلغ ما بلغ ملك كسرى وإن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأنبياء ، وأعطى خرخسرة منطقة فيها ذهب وفضة كان بعض الملوك أهداها له . فقدما على باذان وأخبراه فقال ما هذا كلام ملك ما أرى الرجل إلا نبياً كما يقول ونحن نتظر مقالته . فلم ينشب^(٣) باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : « أما بعد فإني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشrafهم وتسخيرهم في ثغورهم فإذا جاءك كتابي هذا فخذلي الطاعة ممن قبلك وأنظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه » . فلما بلغ باذان الكتاب وأسلمت الأبناء معه من فارس ممن كان منهم باليمن ، وكانت حمير تسمى خرخسرة ذا المفخرة للمنطقة التي

(١) وفي النسخة الباريسية : أبو بويه .

(٢) وفي نسخة ثانية : يسلم على كسرى ابنه شيرويه فيقتله .

(٣) أي لم يلبث .

أعطاه إياها النبي صلى الله عليه وسلم والمنطقة بلسانهم المفخرة ، وقد كان بانويه قال لباذان ما كلمت رجلاً قط أهيب عندي منه ، فقال : هل معه شرط ؟ قال : لا (قال الواقدي) وكتب إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام فلم يسلم .

غزوة خيبر

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً إلى خيبر في بقية المحرم آخر السنة السادسة^(١) وهو في ألف وأربعمائة رجل ومائتي فارس ، واستخلف نائلة بن عبد الله الليثي ، وأعطى راية لعلي بن أبي طالب ، وسلك على الصهباء حتى نزل بواديها إلى الرجيع ، فحيل بينهم وبين غطفان وقد كانوا أرادوا إمداد يهود خيبر ، فلما خرجوا ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب لحس سمعوه من ورائهم فانصرفوا وأقاموا في أماكنهم . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح حصون خيبر حصناً حصناً فافتتح أولاً منها حصن ناعم ، وألقيت على محمود بن سلمة من أعلاه رchy فقتلته . ثم افتتح القموص حصن ابن أبي الحقيق ، وأصيبت منهم سبايا كانت منهن صفية بنت حيي ابن أخطب ، وكانت عروساً عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فوهبها عليه السلام لدحية ، ثم ابتاعها منه بسبعة أرؤس ووضعها عند أم سلمة حتى اعتدت وأسلمت ثم أعتقها وتزوجها . ثم فتح حصن الصعب بن معاذ ، ولم يكن بخير أكثر طعاماً وودكاً منه . وآخر ما افتتح من حصونهم الوطيح والسلام حصرهما بضعة عشرة ليلة . ودفع إلى علي الراية في حصار بعض حصونهم ففتحه ، وكان أرمد فتفل في عينه صلى الله عليه وسلم فبرأ .

وكان فتح بعض خيبر عنوة وبعضها وهو الأكثر صلحاً على الجلاء ، فقسّمها صلى الله عليه وسلم وأقر اليهود على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل ما تخرج من زرع أو تمر يقرهم على ذلك ما بداله ، فبقوا على ذلك إلى آخر خلافة عمر فبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه : « لا يبقى دينان بأرض العرب ، فأمر باجلائهم عن خيبر وغيرها من بلاد العرب » . وأخذ المسلمون ضياعهم من مغانم خيبر فتصرّفوا فيها ، وكان متولي قسمتها بين أصحابها جابر بن صخر من بني

(١) هذا منقول عن مالك بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع وعلى المشهور محرم هو أول سنة سبع كما في المواهب — قاله نصر .

سلمة ، وزيد بن ثابت^(١) من بني النجار ، واستشهد من المسلمين جماعة تنيف على العشرين من المهاجرين والأنصار منهم عامر بن الأكوع وغيره .

وفي هذه الغزاة حرّمت لحوم الحمر الأهلية فاكفت القدور وهي تفور بلحمها . وفيها أهدت اليهودية زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم^(٢) إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية ، وجعلت السم في الذراع منها وكان أحب اللحم إليه ، فتناوله ولاك منه مضغة ثم لفظها ، وقال : إنّ هذا العظم يخبرني أنه مسموم ، وأكل معه بشر بن البراء بن معرور وازدرد لقمته فمات منها . ثم دعا باليهودية فاعترفت ولم يقتلها لإسلامها حيثئذ على ما قيل ، ويقال إنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها .

قدوم مهاجرة الحبشة : وكان مهاجرة الحبشة قد جاء جماعة منهم^(٣) إلى مكة قبل الهجرة حين سمعوا بإسلام قريش ثم هاجروا إلى المدينة ، وجاء آخرون منهم قبل خير بستانين ، ثم جاء بقيتهم إثر فتح خير . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأنهم ليقدمهم عليه ، فقدم جعفر بن أبي طالب وأمراته أسماء بنت عميس وبنوها عبدالله ومحمد وعون ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية وأمراته أمينة بنت خلف وابناها سعيد ، وأم خالد وعمرو بن سعيد بن العاص ، ومعيف^(٤) بن أبي فاطمة حليف أبي سعيد بن العاص ولي بيت المال لعمر ، وأبو موسى الأشعري حليف آل عتبة بن ربيعة والأسود بن نوفل بن خويلد ابن أخي خديجة ، وجهم بن قيس بن شرحبيل بن عبد الدار وابناه عمر وخزيمة ، والحرث بن خالد بن صخر بن تميم ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان من بني جمح ، ومحنة بن حذاء^(٥) الزبيدي حليف بني سهم ولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم الأخماس ، ومعمر بن عبدالله بن نضلة من بني عدي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عامر بن لؤي ، وأبي عمرو مالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، فكان هؤلاء آخر من بقي بأرض الحبشة . ولما قدم جعفر على النبي صلى الله عليه وسلم

(١) وفي نسخة أخرى : زيد بن سلمة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : سلام بن مكثم .

(٣) وفي النسخة الباريسية : قد جاء من جاء منهم .

(٤) وفي نسخة أخرى : معيف .

(٥) وفي نسخة أخرى : جون .

يوم فتح خيبر قبل ما بين عينيه والتزمه ، وقال : ما أدري بأيها أنا أسر بفتح خيبر أم
بقدم جعفر؟!

فتح فذك ووادي القرى

ولما اتصل بأهل فذك شأن أهل خيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه
الأمان على أن يتركوا الأموال ، فأجابهم إلى ذلك فكانت خالصة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ، مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فلم يقسمها ووضعها حيث أمره
الله . ثم انصرف عن خيبر إلى وادي القرى فافتتحها عنوة وقسمها ، وقتل بها غلامه
مدغمًا ، قال فيه لما شهد له الناس بالجنة : كلا إن^(١) الشملة التي أخذها يوم خيبر
من المغانم قبل القسم لتشتعل عليه نارا ثم رحل إلى المدينة في شهر صفر .

عمرة القضاء

وأقام صلى الله عليه وسلم بعد خيبر إلى انقضاء شوال من السنة السابعة ثم خرج في
ذي القعدة لقضاء العمرة التي عاهده عليها قريش يوم الحديبية وعقد لها الصلح ،
وخرج ملأً من قريش عن مكة عداوة لله ولرسوله وكرها في لقائه ، ففضى عمرته
وترّج بعد أحلاله بميمونة بنت الحرث من بني هلال بن عامر^(٢) خالة ابن عباس
وخالد بن الوليد ، وأراد أن يبني بها ، وقد تمت الثلاث التي عاهده قريش على المقام
بها وأوصوا إليه بالخروج وأعجلوه عن ذلك ، فبنى بها بسرف .

غزوة جيش الامراء

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من عمرة القضاء إلى جمادى الأولى
من السنة الثامنة ثم بعث الأمراء إلى الشام ، وقد كان أسلم قبل ذلك عمرو بن
العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة وهم من كبار قريش . وقد
كان عمرو بن العاص مضى عن قريش إلى النجاشي يطلبه في المهاجرين الذين
عنده ، ولقي هنالك عمرو بن أمية الضمري وافد النبي صلى الله عليه وسلم ، فغضب

(١) وفي نسخة أخرى : كلاله

(٢) وفي نسخة أخرى : بن علي

النجاشي لما كلمه في ذلك ، فوفقه الله وريء^(١) الحق فأسلم وكنتم اسلامه ، ورجع إلى قريش ولقي خالد بن الوليد فأخبره فتفاوضا ، ثم هاجرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً مع بعث الشام وأمر على الجيش مولاه زيد بن حارثة وكانوا نحواً من ثلاثة آلاف ، وقال إن أصابه قدر فالأمير جعفر بن أبي طالب ، فإن أصابه قدر فالأمير عبدالله بن رواحة ، فإن أصيب فليترض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه أميراً عليهم . وشيعهم صلى الله عليه وسلم وودّعهم ، ونهضوا حتى انتهوا إلى معان من أرض الشام ، فأتاهم الخبر بأن هرقل ملك الروم قد نزل مؤاب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارى العرب البادين هنالك من لحم وجذام وقبائل قضاة من بهرا وبلي والقيس وعليهم مالك بن زاحلة من بني أراشة . فأقام المسلمون في معان ليلتين يتشاورون في الكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظار أمره ومدده ، ثم قال لهم عبدالله بن رواحة أنتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا إلى^(٢) جموع هرقل عند قرية مؤتة ورتبوا الميمنة والميسرة ، واقتتلوا فقتل زيد بن حارثة ملاقياً بصدرة الرماح والراية في يده ، فأخذها جعفر بن أبي طالب وعقر فرسه ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذها ببساره فقطعت فقتل كذلك وكان ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأخذها عبدالله بن رواحة وتردد عن النزول بعض الشيء ثم صمم إلى العدو فقاتل حتى قتل .

فأخذ الراية ثابت بن أفرم^(٣) من بني العجلان وناولها لخالد بن الوليد فأنحاز بالمسلمين ، وأنذر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل هؤلاء الأمراء قبل ورود الخبر وفي يوم قتلهم ، واستشهد مع الأمراء جماعة من المسلمين يزيدون على العشرة أكرمهم الله بالشهادة ، ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحزنه موت جعفر ولقيهم خارج المدينة وحمل عبدالله بن جعفر بين يديه على دابته وهو صبي وبكى عليه واستغفر له وقال : أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة ، فسمي ذا الجناحين .

(١) وفي نسخة أخرى : رأى

(٢) وفي إحدى النسخ : فانطلقوا فهي إحدى الحسينين إما ظهوره وإما شهادتنا موافقوه ونهضوا إلى تخوم البلقاء فلقوا جموع هرقل .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ثابت بن أرقم وفي نسخة أخرى : ثابت بن أقرن .

فتح مكة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عقد الصلح بينه وبين قريش في الحديبية أدخل خزاعة في عقده المؤمنين منهم والكافر ، وأدخلت قريش بني بكر بن عبد مناة ابن كنانة في عقدها وكانت بينهم تراث في الجاهلية وذحول كان فيها الأول للأسود بن رزن^(١) من بني الدئل بن بكر بن عبد مناة وثأرهم^(٢) عند خزاعة لما قتلت حليقتهم مالك بن عباد الحضرمي ، وكانوا قد عدوا^(٣) على رجل من خزاعة فقتلوه في مالك بن عباد حليقتهم ، وعدت خزاعة على سلمى وكلثوم وذؤيب بن الأسود بن رزن فقتلوه وهم أشراف بني كنانة ، وجاء الإسلام فاشتغل الناس به ونسوا أمر هذه الدماء ، فلما انعقد هذا الصلح من الحديبية وأمن الناس بعضهم بعضاً ، فاغتم بنو الدئل هذه الفرصة في إدراك الثأر من خزاعة بقتلهم بني الأسود بن رزن ، وخرج نوفل بن معاوية الدؤلي فيمن أطاعه من بني بكر بن عبد مناة وليس كلهم تابعه ، وخرج معه بعضهم وخرجوا منهم وانحجزوا في دور مكة ودخلوا دار بديل بن ورقاء الخزاعي ، ورجع بنو بكر وقد انتقض العهد فركب بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم في وفد من قومهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغيثين مما أصابهم به بنو الدئل بن عبد مناة وقريش ، فأجاب صلى الله عليه وسلم صريخهم وأخبرهم : بأن أبا سفيان يأتي يشد العقد وي زيد في المدة وأنه يرجع بغير حاجة .

وكان ذلك سبباً للفتح وندم قريش على ما فعلوا ، فخرج أبو سفيان إلى المدينة ليؤكد العقد وي زيد في المدة ، ولقي بديل بن ورقاء بعسفان فكتمه الخبر وورى له عن وجهه ، وأتى أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة فطوت دونه فراش النبي صلى الله عليه وسلم وقالت لا يجلس عليه مشرك ، فقال لها قد أصابك بعدي شرباً بنية . ثم أتى المسجد وكلم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجه ، فذهب إلى أبي بكر وكلمه أن يتكلم في ذلك فأبى ، فلقي عمر فقال : والله لو لم أجد إلا الذر لحاهدتكم به ، فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة وابنه الحسن صبيّاً

(١) وفي نسخة أخرى : بن رزق .

(٢) وفي النسخة الباريسية : دم عند خزاعة .

(٣) وفي نسخة أخرى : عقدوا .

فكلمه فيما أتى له فقال عليّ : ما نستطيع أن نكلمه في أمر عزم عليه ، فقال لفاطمة يا بنت محمد أما تأمري^(١) إنيك هذا ليحير بين الناس فقالت لا يحير أحد على رسول الله ، فقال له عليّ يا أبا سفيان أنت سيد بني كنانة فقم وأجر وارجع إلى أرضك ، فقال ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال : ما أظنه ولكن لا أجد لك سواه . فقام أبو سفيان في المسجد فنادى : ألا إني قد أجرت بين الناس ثم ذهب إلى مكة وأخبر قريشاً ، فقالوا ما جئت بشيء وما زاد ابن أبي طالب على أن لعب بك . ثم أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سائر إلى مكة ، وأمر الناس بأن يتجهزوا ، ودعا الله أن يطمس الأخبار عن قريش ، وكتب إليهم حاطب بن أبي بلتعة بالخبر مع ظعينة قاصدة إلى مكة ، فأوحى الله إليه بذلك فبعث عليّاً والزبير والمقداد إلى الظعينة فأدركوها بروضة خاخ وفتشوا رحلها فلم يجدوا شيئاً ، وقالوا : رسول الله أصدق ، فقال عليّ : لتخرجن الكتاب أو لتلقين الحوائج ، فأخرجته من بين قرون رأسها . فلما قرىء على النبي صلى الله عليه وسلم قال ما هذا يا حاطب ؟ فقال يا رسول الله والله ما شككت في الإسلام ولكني ملصق في قريش فأردت عندهم يدا يحفظوني^(٢) بها في مخلف أهلي وولدي ، فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فأني قد غفرت لكم .

وخرج صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة في عشرة آلاف فيهم : من سُلِّم ألف رجل وقيل سبعمائة ، ومن مزينة ألف ، ومن غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، وطوائف من قريش وأسد وتميم وغيرهم ، ومن سائر القبائل جموع وكتائب الله من المهاجرين والأنصار . واستخلف أبا رهم الغفاري على المدينة ، ولقيه العباس بذي الحليفة وقيل بالحجفة مهاجراً ، فبعث رحله إلى المدينة وانصرف معه غازياً ، ولقيه بنيق^(٣) العقاب أبو سفيان بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية مهاجرين واستأذنا فلم يؤذن لهما ، وكلمته أم سلمة فأذن لهما ، وأسلما فسار حتى نزل مر الظهران ، وقد طوى الله أخباره عن قريش إلا أنهم يتوجسون الخيفة .

(١) الأصح ان يقول : اما تأمرين .

(٢) الأصح ان يقول : يحفظوني .

(٣) وفي نسخة أخرى : بشق .

وخشى العباس تلافي قريش إن فاجأهم الجيش قبل أن يستأمنوا ، فركب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وذهب يتجسس ، وقد خرج أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم ابن حزام يتحسسون الخبر ، وبينما العباس قد أتى الأراك ليلقى من السابلة من ينذر أهل مكة إذ سمع صوت أبي سفيان وبديل وقد أبصرا نيران العساكر ، فيقول بديل : نيران بني خزاعة ، فيقول أبو سفيان : خزاعة أذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . فقال العباس : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس والله إن ظفر بك ليقطعك واصباح قريش فارتدفت خلتي . ونهض به إلى المعسكر ومر بعمر فخرج يشتد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، فسبقه العباس على البغلة ودخل على أثره فقال : يا رسول الله هذا عدو الله أبو سفيان أمكن الله منه بلا عهد فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس : قد أجرته فزاره عمر ، فقال العباس : لو كان من بني عدي ما قلت هذا ولكنه من عبد مناف ، فقال عمر : والله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطأب لأنني أعرف أنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يحمله إلى رحله ويأتيه به صباحاً ، فلما أتى به قال له صلى الله عليه وسلم : ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى عنا ، فقال : ويحك ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ، قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء^(١) . فقال له العباس : ويحك أسلم قبل أن يضرب عنقك فأسلم . فقال العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً . قال : نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

ثم أمر العباس أن يوقف أبا سفيان بخطم الوادي ليرى جنود الله ففعل ذلك ، ومرت به القبائل قبيلة قبيلة ، إلى أن جاء مركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، عليهم الدروع البيض ، فقال من هؤلاء ؟ فقال العباس : هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار . فقال : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً : فقال : يا أبا سفيان إنها النبوة ، فقال : هي إذاً ! فقال له العباس : النجاء إلى قومك . فأتى مكة

(١) وفي نسخة أخرى : في النفس منها حتى الآن شيئاً .

وأخبرهم بما أحاط بهم ويقول النبي صلى الله عليه وسلم من أتى المسجد أو دار أبي سفيان أو أغلق بابه .

ورتب الجيش وأعطى سعد بن عبادَةَ الراية فذهب يقول : اليوم يوم الملحمة * اليوم تستحل الحرمة * وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأمر علياً أن يأخذ الراية منه ، ويقال أمر الزبير . وكان على الميمنة خالد بن الوليد وفيها أسلم وغفار ومُزينة وجُهيته ، وعلى المسيرة الزبير ، وعلى المقدمة أبو عبيدة بن الجراح . وسرّب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش من ذي طوى ، وأمرهم بالدخول إلى مكة : الزبير من أعلاها ، وخالد من أسفلها ، وأن يقاتلوا من تعرض لهم . وكان عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو قد جمعوا للقتال ، فناوشهم أصحاب خالد القتال ، واستشهد من المسلمين كرز بن جابر من بني محارب ، وخنيس بن خالد من خزاعة ، وسلمة بن جهمية ، وانهزم المشركون وقتل منهم ثلاثة عشر وأمن النبي صلى الله عليه وسلم سائر الناس .

وكان الفتح لعشر بقين من رمضان ، وأهدر دم جماعة من المشركين سمّاهم يومئذ منهم : عبد العزى بن خطلي من بني ثميم ، والأدرم بن غالب كان قد أسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً ومعه رجل من المشركين فقتله وارتدّ ولحق بمكة وتعلق يوم الفتح بأستار الكعبة فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة الأسلمي . ومنهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدّ ولحق بمكة ونميت عنه أقوال ، فاختم يوم الفتح وأتى به عثمان بن عفان وهو أخوه من الرضاعة فاستأمن له فسكت عليه السلام ساعة ثم أمّنه ، فلما خرج قال لأصحابه هلاًّ ضربتم عنقه ، فقال له بعض الأنصار هلاًّ أو مات إليّ ، فقال : ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين . ولم يظهر بعد إسلامه إلا خيراً وصلاً واستعمله عمر وعثمان . ومنهم الحويرث بن نفيل^(١) من بني عبد قُصي كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقتله علي بن أبي طالب يوم الفتح . ومنهم مقيس بن صنبابة كان هاجر في غزوة الخندق ثم عدا على رجل من الأنصار كان قتل أخاه قبل ذلك غلطاً ووداه فقتله وفرّ إلى مكة مرتدّاً ، فقتله يوم الفتح نُمَيْلَة بن عبد الله الليثي وهو ابن عمه . ومنهم قينتا ابن خطلي كانتا تغنيان بهجو النبي صلى الله عليه وسلم فقتلت إحداهما

(١) قوله نفيل وفي المواهب نقيده .

واستؤمن للأخرى فأمّنها . ومنهم مولاة لبني عبد المطلب إسمها سارة واستؤمن لها فأمّنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستجار رجلان من بني مخزوم بأمّ هانئ بنت أبي طالب يقال إنّها الحرث بن هشام وزهير بن أبي أميّة اخوأم سلمة فأمّنتهما ، وأمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانها فأسلما .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالكعبة وأخذ المفتاح من عثمان بن طلحة بعد أن مانعت دونه أم عثمان ثم أسلمته ، فدخل الكعبة ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة وأبقى له حجابة البيت فهي في ولد شيبه إلى اليوم . وأمر بكسر الصور داخل الكعبة وخارجها ، وبكسر الأصنام حوالها ، ومرّ عليها وهي مشدودة بالرصاص يشير إليها بقضيب في يده وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا ، فما بقي منهم ^(١) صنم إلا خرّ على وجهه . وأمر بلالاً فأذن على ظهر الكعبة ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب الكعبة ثاني يوم الفتح وخطب خطبته المعروفة ، ووضع مآثر الجاهلية إلا سِدانة البيت وسقاية الحاج ، وأخبر أنّ مكة لم تحلّ لأحد قبله ولا بعده ، وإنما أحلّت له ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس ^(٢) ، ثم قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا إنّ كل مأثرة أو دم أو مال يدعى في الجاهلية فهو تحت قدميّ هاتين إلا سِدانة الكعبة وسقاية الحاج ، ألا وإن قتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا فيهما الدية مغلظة منها أربعون في بطونها أولادها ، يا معشر قريش إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب » . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » إلى آخر الآية . يا « معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون إني فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً أخ كريم ، ثم قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » . واعتقهم على الإسلام وجلس لهم فيما قيل على الصفا فبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، ولمّا فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، أمر عمر بن الخطاب أن يبايعهن واستغفر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان لا يمس امرأة حلالاً ولا حراماً .

(١) الأصح ان يقول منها

(٢) وفي النسخة الباريسية : ثم اعيدت لحرمتها بالامس .

وهرب صفوان بن أمية إلى اليمن واتبعه عمير بن وهب من قومه بأمان النبي صلى الله عليه وسلم له فراجع وأنظره أربعة أشهر ، وهرب ابن الزبير الشاعر إلى نجران ورجع فأسلم ، وهرب هبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانيء إلى اليمن فمات هنالك كافراً . ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا حول مكة ولم يأمرهم بقتال ، وفي جملتهم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فقتل منهم وأخذ ذلك عليه ، وبعث إليهم علياً بمال فودى لهم قتلاهم ورد عليهم ما أخذ لهم . ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً إلى العزرى بيت بنخلة كانت مضر من قريش تعظمه وكنانة وغيرهم ، وسدنته بنو شيبان من بني سُلَيْم حلفاء بني هاشم فهدمه . ثم ان الأنصار توفقوا إلى أن يقيم صلى الله عليه وسلم داره بعد أن فتحها فأغهم ذلك وخرجوا له ، فخطبهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أن الحيا محياهم والمات مماتهم فسكتوا لذلك واطمأنوا .

غزوة حنين

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة وهو يقصر الصلاة فبلغه أن هوازن وثقيف جمعوا له وهم عامدون إلى مكة وقد نزلوا حنيناً ، وكانوا حين سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يظنون أنه إنما يريدهم ، فاجتمعت هوازن إلى مالك بن عوف من بني النضير^(١) ، وقد أوعب معه بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وبني جشم بن معاوية ، وبني سعد بن بكر وناسا من بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية والأحلاف ، وبني مالك بن ثقيف بن بكر ، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب . وفي جشم دريد بن الصمة بن بكر بن علقمة ابن خزاعة بن أزية بن جشم رئيسهم وسيدهم شيخ كبير ليس فيه إلا ليؤم برأيه ومعرفته . وفي ثقيف سيدان ليس لهم في الأحلاف إلا قارب بن الأسود بن مسعود ابن معتب^(٢) ، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحرث بن مالك وأخوه أحمر . وجميع أمر الناس إلى مالك بن عوف .

فلما أتاهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة أقبلوا عامدين إليه ، وأَسَارَ

(١) وفي النسخة الباريية : من بني نصر .

(٢) وفي النسخة الباريية : بن مغيث .

مالك مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم يرى أنه أثبت لموقفهم ، فترلوا بأوطاس ، فقال دُرَيْد بن الصمة لمالك : مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير ، فقال : أموال الناس وأبنائهم سقنا معهم ليقاتلوا عنها ، فقال راعي ضأن : والله وهل يردّ المنهزم شيء ؟ إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسلاحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . ثم سأل عن كعب وكلاب وأسف لغياهم وأنكر على مالك رأيه ذلك ، وقال : لم تصنع بتقديم بيضة^(١) هوأزن إلى نخور الخيل شيئاً أرفعهم إلى ممتنع بلادهم ، ثم ألق الصبيان على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت لغيرك كنت قد أحرزت^(٢) أهلك ومالك . وأبى عليه مالك واتبعه هوأزن .

ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبي جدر^(٣) الأسلمي يستعلم خبر القوم فجاءه وأطلعه على جليّة الخبر وأنهم قاصدون إليه ، فاستعار رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفوان بن أمية مائة درع وقيل أربعائة وخرج في اثني عشر ألفاً من المسلمين عشرة آلاف الذين صحبوه من المدينة وألفان من مسلمة الفتح ، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ومضى لوجهه . وفي جملة من اتبعه عباس بن مرداس ، والضحاك بن سفيان الكلابي ، وجموع من عبس وذبيان ، ومزينة وبني أسد . ومرّ في طريقه بشجرة سدر خضراء ، وكان لهم في الجاهلية مثلها يطوف بها الأعراب ويعظمونها ويسمونها ذات أنواط ، فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال لهم : قلت كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة ، والذي نفسي بيده لتركن سنن من كان قبلكم واجرم من ذلك^(٤) .

ثم نهض حتى أتى وادي حنين من أودية تهامة أول يوم^(٥) من شوال من السنة الثامنة وهو وادي حزن^(٦) ، فتوسطوه في غبش الصبح وقد كمنت هوأزن في جانبيه فحملوا

(١) وفي نسخة أخرى : نقيضة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : اجرت .

(٣) وفي نسخة ثانية : ابي حدود .

(٤) وفي نسخة ثانية : وزجرهم عن ذلك .

(٥) قوله أول يوم ولعل الصواب كما في غير هذا الكتاب سادس يوم اهـ . وانتهى الى خيبر عاشره (قاله نصر) .

(٦) وفي النسخة الباريسية : وادي حروت .

على المسلمين حملة رجل واحد ، فولّى المسلمون لا يلوي أحد على أحد ، وناداهم صلى الله عليه وسلم فلم يرجعوا . وثبت معه أبو بكر وعمر وعلي والعبّاس وأبو سفيان بن الحرث وابنه جعفر والفضل وقثم ابنا العبّاس وجماعة سواهم ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء دلّدل والعبّاس آخذ بشكائهما وكان جهر الصوت . فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادي بالأنصار وأصحاب الشجرة قيل وبالمهاجرين ، فلمّا سمعوا الصوت وذهبوا ليرجعوا فصدهم إزدحام الناس^(١) عن أن يثنوا رواحلهم ، فاستقاموا وتناولوا سيوفهم وتراسهم واقتحموا عن الرواحل راجعين إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة فاستقبلوا هوازن والناس متلاحقون^(٢) ، واشتدّت الحرب وحمي الوطيس وقذف الله في قلوب هوازن الرعب حين وصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يملكوا أنفسهم ، فولّوا منهزمين ولحق آخر الناس وأسرى هوازن مغلولة بين يديه . وغنم المسلمون عيالهم وأموالهم واستحجّروا^(٣) القتل في بني مالك من ثقيف فقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً في جملتهم : ذو الخار وأخوه عثمان ابنا عبد الله بن ربيعة بن الحرث بن حبيب سيدهم ، وأمّا قارب بن الأسود سيد الأحلاف من ثقيف ففرّ بقومه منذ أوّل الأمر وترك رايته فلم يقتل منهم أحد ، ولحق بعضهم بنخلة . وهرب مالك بن عوف النصري مع جماعة من قومه فدخلوا الطائف مع ثقيف ، وانحازت طوائف هوازن إلى أوطاس^(٤) واتبعهم طائفة من خيل المسلمين الذين توجهوا من نخلة فأدركوا فيهم دريد بن الصمة فقتلوه ، يقال قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن يربوع بن سماك بن عوف بن أمريء القيس . وبعث صلى الله عليه وسلم إلى من اجتمع بأوطاس من هوازن أبا عامر الأشعري عم أبي موسى فقاتلهم ، وقتل بسهم رماه به سلمة بن دريد بن الصمة فأخذ أبو موسى الراية وشدّ على قاتل عمه فقتله . وانهمز المشركون واستحجّروا^(٥) القتل في بني رباب من بني نصر بن معاوية ، وانفضت جموع أهل هوازن كلها . واستشهد

(١) وفي نسخة ثانية : المنهزمين .

(٢) وفي النسخة الباريسية : لاحقون .

(٣) وفي النسخة الباريسية : واستمر .

(٤) وفي النسخة الباريسية : إلى واسط .

(٥) وفي النسخة الباريسية : وانهمز القوم واستمر القتل .

من المسلمين يوم الخميس أربعة منهم أيمن بن أم أيمن أخو أسامة لأمه^(١) ، ويزيد بن زمعة بن الأسود ، وسراقة بن الحرث من بني العجلان ، وأبو عامر الأشعري .

حصار الطائف وغزوة تبوك

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال فحبست بالجرعانة بنظر مسعود ابن عمرو الغفاري ، وسار من فوره إلى الطائف فحاصرها ثقيف خمس عشرة ليلة ، وقتلوا من وراء الحصون ، وأسلم من كان حولهم من الناس وجاءت وفودهم إليه . وقد كان مرّ في طريقه بحصن مالك بن عوف النصري^(٢) فأمر بهدمه ، ونزل على أطم لبعض ثقيف فتمنع فيه صاحبه فأمر بهدمه فأخرب وتحصنت ثقيف . وقد كان عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة من ساداتهم ذهبا إلى جرش يتعلمان صنعة الخنايق والدبابات للحصار لما أحسوا من قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم فلم يشهدا الحصار ولا حيننا قبله ، وحاصرهم المسلمون بضع عشرة أو بضعا وعشرين ليلة واستشهد بعضهم بالنبل ورماهم صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ، ودخل نفر من المسلمين تحت دبابه ودنوا إلى سور الطائف فصبوا عليهم سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا منهم قوماً ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم^(٣) ، ورغب إليه ابن الأسود بن مسعود في ماله وكان بعيداً من البطائف وكفّ عنه ، ثم دخل إلى الطائف وتركهم ونزل أبو بكره فأسلم .

واستشهد من المسلمين في حصاره : سعيد بن سعيد بن العاص ، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة أخو أم سلمة ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي في آخرين قريباً من اثني عشر فيهم أربعة من الأنصار .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرة وأتاه هناك وفد هوازن مسلمين راغبين ، فخيرهم بين العيال والأبناء والأموال فاخترأوا العيال والأبناء ، وكلموا المسلمين في ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وقال المهاجرون والأنصار ما كان لنا فهو لرسول الله

(١) وفي النسخة البارسية : أيمن بن عبيد أخو سلمة لأمه .

(٢) النصري بالصاد المهملة ، كذا في فضائل رمضان للأجهوري ، قال وأسلم بعد ذلك اهـ . (قاله نصر) .

(٣) وفي نسخة أخرى : اعتاقهم .

صلى الله عليه وسلم . وامتنع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن أن يردا عليهم ما وقع لهما من النية وساعدهم قومهم^(١) ، وامتنع العباس بن مرداس كذلك . وخالف بنو سليم وقالوا : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعوض رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تطب نفسه عن نصيبه . وردّ عليهم نساءهم وأبناءهم بأجمعهم .

وكان عدد سبي هوازن ستة آلاف بين ذكر واثني فيمن الشيا أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وهي بنت الحرث بن عبد العزى من بني سعد بن بكر من هوازن ، وأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن إليها وخيرها فاختارت قومها فردّها إليهم . وقسم الأموال بين المسلمين ، ثم أعطى من نصيبه من خمس الخمس قوماً يستألفهم على الإسلام من قريش وغيرهم ، فمنهم من أعطاه مائة مائة ، ومنهم خمسين خمسين ، ومنهم ما بين ذلك ، ويستون المؤلفه وهم مذكورون في كتب السير يقاربون الأربعين ، منهم أبو سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حزام وصفوان بن أمية ومالك بن عوف وغيرهم ، ومنهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والأقرع بن حابس وهما من أصحاب المائة ، وأعطى عباس بن مرداس دونها ، فأنشده أبياته المعروفة يتسخط فيها ، فقال إقطعوا عني لسانه فأتموا إليه المائة .

ولمّا أعطى المؤلفه قلوبهم وجد الأنصار في أنفسهم إذ لم يعطهم مثل ذلك وتكلّم شبانهم مع ما كانوا يظنون أنه إذا فتح الله عليه بلده يرجع إلى قومه ويتركهم ، فجمعهم ووعظهم وذكّرهم وقال : «إنما أعطي قوما حديثي عهد بالإسلام أتألفهم عليه ، أما ترضون أن ينصرف الناس بالشاء والبغير وتنصرفوا برسول الله إلى رحالكم ، لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار ، ولو سلك الأنصار شعبا وسلك الناس شعباً لسلك شعب الأنصار» فرضوا وافترقوا .

ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة إلى مكة ، ثم رجع إلى المدينة فدخلها لست بقين من ذي القعدة من السنة الثامنة لشهرين ونصف من خروجه ، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد شاباً ينيف عمره على عشرين ، وكان غلبه الورع والزهد فأقام الحج بالمسلمين في سنته وهو أول أمير أقام حج الإسلام المشركون على مشاعرهم . وخلف بمكة معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن ،

(١) وفي نسخة أخرى : وساعدهما قومها .

وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي^(١) من الأزدي بعمان مصداقاً فأطاعوا له بذلك . واستعمل صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف على من أسلم من قومه ومن سلم منهم وماله حوالي الطائف من ثقيف ، وأمره بمغادرة الطائف من التضييق عليهم ففعل حتى جاؤا مسلمين كما يذكر بعد . وحسن إسلام المؤلف قلوبهم ممن أسلم يوم الفتح أو بعده وإن كانوا متفاوتين في ذلك . ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير فأهدر دمه وضاعت به الأرض ، وجاء فأسلم وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة بمدحه التي أولها :

« بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبَوِّلُ الْخ . وَأَعْطَاهُ بَرْدَةً فِي ثَوَابٍ مَدَحَهُ فَاشْتَرَاهَا مَعَاوِيَةَ مِنْ وَرَثَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَصَارَ الْخُلَفَاءُ يَتَوَارَثُونَهَا شِعَاراً .

ووفد في سنة تسع على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بنو أسد فأسلموا وكان منهم ضرار بن الأزور ، وقالوا : قدمنا يا رسول الله قبل أن يرسل إلينا فترلت « يمينون عليك أن أسلموا » (الآية) . ووفد فيها وفدتين في شهر ربيع الأول ونزلوا على ربيعة بن ثابت البلوي . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من الطائف في ذي الحجة إلى شهر رجب من السنة التاسعة .

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم : « وكان في غزواته كثيراً ما يوري بغير الجهة التي يقصدها على طريقة الحرب إلا ما كان من هذه الغزاة لعسرها بشدة الحرب ، وبعد البلاد وفصل الفواكه وقلة الظلال وكثرة العدو الذين يصدون . وتجهز الناس على ما في أنفسهم من استئصال ذلك ، وطفق المنافقون يشبطونهم عن الغزو ، وكان نفر منهم يحتتمعون في بيت بعض اليهود ، فأمر طلحة بن عبيد الله أن يخرب عليهم البيت فخرّبها^(٢) . واستأذن ابن قيس من بني سلمة في القعود فأذن له وأعرض عنه ، وتدرّب كثير من المسلمين بالإتفاق والحملان وكان من أعظمهم في ذلك عثمان بن عفان يقال إنه أنفق فيها ألف دينار وحمل على تسعمائة بعير ومائة فرس وجهاز ركاباً . وجاء بعض المسلمين يستحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد ما يحملهم عليه فترلوا باكين لذلك ، وحمل بعضهم يامين بن عمير النضري وهما أبو ليلى بن كعب من بني مازن بن النجّار وعبد الله بن المغفل المزني . واعتذر المخلفون من الأعراب

(١) وفي نسخة أخرى : إلى أهل حنين وعمرو بن الجلندي .

(٢) وفي النسخة الباريسية : أن يحرق عليهم البيت فحرقها .

فَعَذَرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ نَهَضَ وَخَلَّفَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ وَقِيلَ بَلِ سَبَّاحُ بْنُ عَرْفُطَةَ وَقِيلَ بَلِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَخَرَجَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سَلُولٍ فِي عِدَدٍ وَعِدَّةٍ ، فَلَمَّا سَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخَلَّفَ هُوَ فِيمَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ . وَمَرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى دِيَارِ ثُمُودَ فَأَمَرَ أَنْ لَا يَسْتَعْمَلَ مَأْوَاهَا وَيَعْلَفَ مَا عَجَنَ مِنْهُ لِلْإِبِلِ ، وَأَذِنَ لَهُمْ فِي بَثْرِ النَّاقَةِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ بَيُوتَهُمْ إِلَّا بِأَكِينٍ ، وَنَهَى أَنْ يُخْرِجَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ وَجْهِهِ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَخَرَجَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ خَنْقَ ^(١) أَحَدُهُمَا فَسَحَّ عَلَيْهِ فَشَنِي ، وَالْآخَرُ رَمَتَهُ الرِّيحُ فِي جَبَلٍ طَيِّ فَرَدَّوهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَضَلَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَتَهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ أَحَدُ الْمُنَافِقِينَ مُحَمَّدٌ يَدَّعِي عِلْمَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَأَنَّ النَّاقَةَ بِمَوْضِعٍ كَذَا . وَكَانَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْهِ بِهَا فَوَجَدُوهَا ثُمَّ ، وَكَانَ قَائِلَ هَذَا الْقَوْلِ زَيْدُ بْنُ اللَّصِيصِ مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَقِيلَ إِنَّهُ تَابَ بَعْدَ ذَلِكَ . وَفَضَحَ الْوَحْيُ قَوْمًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَخْذُلُونَ النَّاسَ وَيَهْوِلُونَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ الرُّومِ ، فَتَابَ مِنْهُمْ مَخْشَى بْنُ جَهْمٍ ^(٢) وَدَعَا أَنْ يَكْفَرَ عَنْهُ بِشَهَادَةِ يَخْنِي مَكَانَهُ فَقَتَلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ .

وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ أَتَاهُ يُحْيَيْنَةُ بْنُ رُوَيْبَةَ صَاحِبُ أُيْلَةٍ وَأَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ فَصَالَحُوا عَلَى الْجِزْيَةِ وَكُتِبَ لِكُلِّ كِتَابًا . وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَكِيدَرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(٣) صَاحِبِ دُومَةِ الْجَنْدَلِ مِنْ كَنْدَةَ كَانَ مُلْكًا عَلَيْهَا وَكَانَ نَصْرَانِيًّا وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَحْدِثُ يَصِيدُ الْبَقَرَ ، وَاتَّفَقَ أَنْ يَقْرَ الْوَحْشَ بَاتَتْ تَهْدُ الْقَصْرَ يَقْرُونَهَا فَتَشْطُ أَكِيدَرُ لَصِيدِهَا وَخَرَجَ لَيْلًا ، فَوَافَقَ وَصُولَهُ خَالِدًا ، فَأَخَذَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَفَا عَنْهُ وَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ وَرَدَّهُ .

وَأَقَامَ بِتَبُوكَ عَشْرِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ مَاءٌ قَلِيلٌ نَهَى أَنْ يَسْبِقَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَسَبَقَ رَجُلَانِ وَاسْتَنْفَدَا مَا فِيهِ فَتَنَكَرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ وَشَلِهِ فَصَبَّ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَصَبَّ وَنَضَحَ بِهِ الْوَشْلَ ^(٤) وَدَعَا فَجَاشَ الْمَاءَ حَتَّى كَفَى الْعَسْكَرَ .

(١) وَفِي نَسْخَةِ أُخْرَى : جَنْ

(٢) وَفِي النُّسخَةِ الْبَارِسِيَّةِ : مَخْشَى بْنُ حَمِيرٍ .

(٣) وَفِي النُّسخَةِ الْبَارِسِيَّةِ : عَبْدُ اللَّهِ .

(٤) وَفِي نَسْخَةِ أُخْرَى : وَنَضَحَ بِالْوَشْلِ .

ولما قرب المدينة بساعة من نهار أنفذ مالك بن الدخشم من بني سالم ومعن بن عدي من بني العجلان إلى مسجد الضرار ، فأحرقاه وهدماه ، وقد كان جماعة من المنافقين بنوه وأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فسأله الصلاة فيه ، فقال : أنا على سفر ولو قدمنا أتيناكم فصلينا لكم فيه . فلما رجع أمر بهدمه .

وفي هذه الغزاة تخلف كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن الربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية بن واقف وكانوا صالحين ، فهى صلى الله عليه وسلم عن كلامهم خمسين يوماً ، ثم نزلت توبتهم ، وكان المتخلفون من غير عذر نيفاً وثلاثين رجلاً . وكان وصوله صلى الله عليه وسلم من تبوك في رمضان سنة تسع ، وفيه كانت وفادة ثقيف وإسلامهم ، ونزل الكثير من سورة براءة في شأن المنافقين وما قالوه في غزوة تبوك آخر غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم .

اسلام عروة بن مسعود ثم وفد ثقيف وهدم اللات

كان صلى الله عليه وسلم لما أفرج عن الطائف وارتحل المدينة اتبعه عروة بن مسعود سيدهم ، فأدركه في طريقه وأسلم ورجع يدعو قومه ، فرمى بسهم في سطح بيته وهو يؤذن للصلاة فأت ، ومنع قومه من الطلب بدمه وقال : هي شهادة ساقها الله إليّ وأوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين . ثم قدم ابنه أبو المليلح وقارب بن الأسود بن مسعود فأسلما ، وضيق مالك بن عوف على ثقيف واستباح سرحهم وقطع سابلتهم . وبلغهم رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك وعلموا أن لا طاقة لهم بحرب العرب المسلمين ، وفرعوا إلى عبد ياليل بن عمرو بن عُمَيْر ، فشرط عليهم أن يبعثوا معه رجالاً منهم ليحضروا مشهده خشية على نفسه مما نزل بعروة ، فبعثوا معه رجلين من أحلاف قومه وثلاثاً من بني مالك ، فخرج بهم عبد ياليل وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان من السنة التاسعة يريدون البيعة والإسلام فضرب لهم قبة في المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي في أمرهم وهو الذي كتب كتابهم بخطه ، وكانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم حتى يأكل منه خالد ، وسأله أن يدع لهم اللات ثلاث سنين رغباً لنسائهم وأبنائهم حتى يأنسوا فأبى ، وسأله أن يعفيهم من الصلاة فقال : لا خير في دين لا صلاة فيه ، فسأله أن لا يكسروا أوثانهم

بأيديهم فقال : أمّا هذه فسنكفيكم منها . فأسلموا وكتب لهم وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص أصغرهم سنّاً لأنه كان حريصاً على الفقه وتعلم القرآن . ثم رجعوا إلى بلادهم ، وخرج معه أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم اللات ، وتأخر أبو سفيان حتى دخل المغيرة فتناولها بيده ليهدمها ، وقام بنو معتب ^(١) دونه خشية عليه . ثم جاء أبو سفيان وجمع ما كان لها من الحُلِيِّ وقضى منه دين عُرّة والأسود إبني مسعود كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقسم الباقي .

الوفود

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك واسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل وجه حتى لقد سميت سنة الوفود . قال ابن إسحق : وإنما كانت العرب تتربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل وقادتهم لا ينكرون لهم ، وكانت قريش هي التي نصبت لحربه وخلافه . فلما استفتحت مكة ودانت قريش ودخلها الإسلام عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه وعداوته ، فدخلوا في دينه أفواجا يضربون إليه من كل وجه انتهى .

فأول من قدم إليه بعد تبوك وفد بني تميم وفيه من رؤوسهم : عطارد بن حاجب بن زُرارة بن عدس من بني دارم بن مالك ، والحتات بن زيد ^(٢) ، والأقرع بن حابس ، والزُّبْرَقَان بن بدر من بني سعد ، وقيس بن عاصم ، وعمر بن الأهم وهما من بني منقر ، ونعيم بن زيد ومعهم عيينة بن حصن الفزاري . وقد كان الأقرع وعيينة شهدا فتح مكة وخيبر وحصار الطائف ، ثم جاء مع وفد بني تميم ، فلما دخلوا المسجد نادوا من وراء الحجرات فترلت الآيات في إنكار ذلك عليهم . ولما خرج قالوا جئنا نفاخرك بخطينا وشاعرنا فأذن لهم ، فخطب عطارد وفاخر ويقال والأقرع بن حابس ، ثم أنشد الزُّبْرَقَان بن بدر شعراً بالمفاخرة ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن الشماس من بني الحارث بن الخزرج فخطب وحسان بن ثابت فأنشد مساجلين لهم ، فأذعنوا للخطبة والشعر والسؤدد والحلم ، وقالوا : هذا

(١) وفي النسخة الباريسية : بنو معتب .

(٢) وفي نسخة أخرى : الحباب بن يزيد .

الرجل هو مؤيد من الله خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا . ثم أسلموا وأحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوائزهم . وهذا كان شأنه مع الوفود يتزلمهم اذا قدموا ويجهّزهم اذا رحلوا .

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر رمضان مقدمه من تبوك كتاب ملوك حمير مع رسولهم ومع الحرث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعاقر . وبعث زرعة بن ذي يزن رسوله مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقة الشرك ، وأهله وكتب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم كتابه . وبعث إلى ذي يزن معاذ بن جبل مع رسولهم مالك بن مرة يجمع الصدقات ، وأوصاهم برسوله معاذ وأصحابه . ثم مات عبدالله بن أبي بن سلول في ذي القعدة ، ونعى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي وأنه مات في رجب قبل تبوك .

وقدم وفد بهرا في ثلاثة عشر رجلا ونزلوا على المقداد بن عمرو وجاءهم فأسلموا وأجازهم وأنصرفوا ، وقدم وفد بني البكاء ثلاثة نفر منهم . وقدم وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس فأسلموا .

ووفد عدي بن حاتم من طي فأسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث قبل تبوك إلى بلاد طي علي بن أبي طالب في سرية فأغار عليهم ، وأصيب حاتم وسببت إبنته وغنم سيفين في بيت أصنامهم كانتا من قربان الحرث بن أبي شمر ، وكان عدي قد هرب قبل ذلك ولحق ببلاد قضاة بالشام فرارا من جيوش المسلمين وجوارا لأهل دينه من النصاري وأقام بينهم ، ولما سيق ابنه حاتم جعلت في الحظيرة بباب المسجد التي كانت السبايا تحبس بها ، ومر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته أن يمن عليها ، فقال : قد فعلت ولا تعجلي حتى تجدي ذائقة من قومك يبلغك إلى بلادك ثم آذني ، قالت : فأقت حتى قدم ركب من بني قضاة وأنا أريد أن آتي أخي بالشام فعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساني وحلني وزورني وخرجت معهم فقدمت

الشام فلما لقيها عدي تلاوما ساعة ثم قال لها ماذا ترين في أمري مع هذا الرجل ؟ فأشارت عليه باللاحاق به فوفد ، وأكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخله إلى بيته وأجلسه على وسادته ، بعد أن استوقفته في طريقه امرأة فوقف لها ، فعلم عدي أنه ليس بملك وأنه نبي ، ثم أخبره عن أخذه المربع من قومه ولا يحلّ له فازداد

استبصاراً^(١) فيه ، ثم قال : لعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فيوشك ان يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، أو لعله يمنعك ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، أولئك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان غيرهم فيوشك أن تسمع بالقصور البيض من بابل قد فتحت . فأسلم عديّ وانصرف إلى قومه .

ثم أنزل الله على نبيّه الأربعين آية من أول براءة في نبذ هذا العهد الذي بينه وبين المشركين أن لا يصدوا عن البيت ، ونهوا أن يقرب المسجد الحرام مشرك بعد ذلك ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان^(٢) بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيتم له إلى مدته ، وأجلّهم أربعة أشهر من يوم النحر . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات أبا بكر وأمره على إقامة الحج بالموسم من هذه السنة ، فبلغ ذا الحليفة فاتبعه بعليّ فأخذها منه ، فرجع أبو بكر مشفقاً أن يكون نزل فيه قرآن ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : لم ينزل شيء ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني . فسار أبو بكر على الحج وعليّ على الاذان براءة ، فحج أبو بكر بالناس وهم على حجّ الجاهلية ، وقام عليّ عند العقبة يوم الأضحى فأذن بالآية التي جاء بها . قال الطبريّ وفي هذه السنة فرضت الصدقات لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيم بها الآية . وفيها قدم وفد ثعلبة بن سعد^(٣) ووفد سعد هذيم من قضاعة . قال الطبريّ : وفيها بعث بنو سعد بن بكر ضمام^(٤) بن ثعلبة وافداً فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جاء به من الاسلام ، وذكر التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج واحدة واحدة حتى إذا فرغ تشهد وأسلم ، وقال : لاؤديّ هذه الفرائض وأجتنب ما نهيت عنه ثم لا أزيد عليها ولا انقص ، فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم : إن صدق دخل الجنة ، ثم قدم على قومه فأسلموا كلهم يوم قدومه . والذي عليه الجمهور : أن قدوم ضمام وقصّته كانت سنة خمس .

(١) وفي نسخة ثانية : استبعاداً .

(٢) وفي نسخة ثانية : وإن كان .

(٣) وفي نسخة ثانية : ثعلبة بن منقذ .

(٤) وفي نسخة ثانية : ضمام بن ثعلبة .

ثم دخلت سنة عشر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربيع أو جمادى في سرية اربعمائة إلى نجران وما حولها يدعو بني الحرث بن كعب إلى الإسلام ويقاثلهم إن لم يفعلوا ، فأسلموا وأجابوا داعيته ، وبعث الرسل^(١) في كل وجه فأسلم الناس فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه بأن يقدم مع وفدهم ، فأقبل خالد ومعه وفد بني الحرث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذو القصة ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل^(٢) وعبدالله بن قراد^(٣) الزياتي وشداد بن عبدالله الضبابي وعمرو بن عبدالله الضبابي ، فأكرمهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم : بم كنتم تغلبون من يقاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نجتمع ولا نفرق ولا نبدأ^(٤) أحداً بظلم . قال : صدقتم ، فأسلموا وأمر عليهم قيس بن الحصين ، ورجعوا صدر ذي القعدة من سنة عشر ، ثم أتبعهم عمرو بن حزم^(٥) من بني النجّار ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ، وكتب إليه كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره بأمره ، وأقام عاملاً على نجران . وهذا الكتاب وقع في السير مروياً واعتمده الفقهاء في الاستدلالات وفيه مأخذ كثيرة للأحكام الفقهية ونصّه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب^(٦) من الله ورسوله : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهداً من محمد النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم^(٧) فيه ، وأن ينهي الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ويشدّ عليهم في الظلم فإن الله حرّم^(٨) الظلم ونهى عنه فقال : ألا لعنة الله على الظالمين ، وأن يبشّر الناس بالجنة

(١) وفي النسخة البارسية : الركيان .

(٢) وفي النسخة البارسية : يزيد بن المحجب .

(٣) وفي نسخة أخرى : عبدالله بن قريض .

(٤) وفي النسخة البارسية : ولا نيل .

(٥) وفي نسخة أخرى : عمرو بن حزام .

(٦) وفي النسخة البارسية : هذا بيان .

(٧) وفي نسخة أخرى : يفقههم فيه .

(٨) وفي النسخة البارسية : كره الظلم .

ويعملها وينذر الناس بالنار وعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحجّ وسنته وفرائضه وما أمر الله به والحجّ الأكبر والحجّ الأصغر وهو العمرة ، وينهي الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعاً يثنى طرفيه على عاتقيه ، وينهي أن يحتبّي أحد في ثوب واحد ويفضي بفرجه إلى السماء ، وينهي أن يقصّ أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه ، وينهي إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له فمن لم يدع إلى الله ودعا القبائل والعشائر فليعطفوه بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء في وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين وأن يمسحوا برؤوسهم كما أمرهم الله ، وأمره بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن يغسل بالصبح ويهجر بالهاجرة حتى تميل الشمس وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدوا نجوم السماء والعشاء أول الليل ، وأمره بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من الغنائم خمس الله ، وما كتب على المؤمنين^(١) في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين أو سقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل عشرين أربع شياة وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبع أو تبعية جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير له ، وانه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يردّ عنها وعليه الجزية ، على كل حالم^(٢) ذكراً وأنثى حر أو عبد دينار وافر أو عوضه ثياباً . فمن أدّى ذلك فإنّ له ذمة الله وذمة رسوله . ومن منع ذلك فإنه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمته وبركاته .

وقدم وفد غسان في رمضان من هذه السنة العاشرة في ثلاثة نفر فأسلموا وانصرفوا إلى قومهم فلم يحيبوا إلى الإسلام فكتبوا أمرهم وهلك إثنان منهم ولقي الثالث أبو عبيدة

(١) وفي النسخة البارسية : على المسلمين .

(٢) وفي نسخة ثانية : كل محتلم .

عامر باليرموك^(١) فأخبره بإسلامه . وقدم عليه وفد عامر عشرة نفر فأسلموا وتعلموا شرائع الإسلام وأقرأهم أبي^(٢) القرآن وانصرفوا . وقدم في شوال وفد سلامان سبعة نفر رئيسهم حبيب فأسلموا وتعلموا الفرائض^(٣) وانصرفوا .

وفيما قدم وفد أزد جرش وفد فيهم صرد بن عبد الله الأزدي في عشرة من قومه ، ونزلوا على فروة بن عمرو ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلموا صرداً على من أسلم منهم ، وأن يحاهد المشركين حوله . فحاصر جرش ومن بها من خثعم وقبائل اليمن ، وكانت مدينة حصينة اجتمع إليها أهل اليمن حين سمعوا بزحف المسلمين ، فحاصروهم شهراً ، ثم قفل عنهم فظنوا أنه انهزم فاتبعوه إلى جبل شكر ، فصصف وحمل عليهم ونال منهم ، وكانوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رائدين وأخبرهما ذلك اليوم بواقعة شكر وقال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن فرجعا إلى قومها وأخبراهم بذلك وأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم .

وفيما كان إسلام همدان ووفادتهم على يد علي رضي الله عنه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فكث ستة أشهر لا يجيبونه ، فبعث عليه السلام علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً ، فلما بلغ علي أوائل اليمن جمعوا له فلما لقوه صفقوا فقدم علي الإنذار وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم ، وكتب بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسجد لله شكراً ، ثم قال : السلام على همدان ثلاث مرات . ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام وقدمت وفودهم ، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي قال لقيس بن مكشوح^(٤) المرادي : اذهب بنا إلى هذا الرجل فلن يخفى علينا أمره فأبى قيس من ذلك ، فقدم عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وكان فروة بن مسيك المرادي على ربيد لأنه وفد قبل عمرو مفارقاً للملوك كندة فأسلم ونزل سعد بن عبادة وتعلم القرآن وفرائض الإسلام واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى كانت الوفاة .

(١) وفي نسخة ثانية : عام اليرموك .

(٢) وفي نسخة ثانية : النبي .

(٣) وفي نسخة ثانية : القرآن .

(٤) وفي نسخة ثانية : مكشوم .

وفي هذه السنة قدم وفد عبد القيس يقدمهم الجارود بن عمرو وكانوا على دين النصرانية ، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم . ولما كانت الوفاة وارتدَّ عبد القيس ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر الذي يسمَّى الغرور ثبت الجارود على الإسلام ، وكان له المقام المحمود وهلك قبل أن يراجعوا . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرميَّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن شاوي العبدي^(١) فأسلم وحسن إسلامه ، وهلك بعد الوفاة وقبل ردة أهل البحرين والعلاء أمير عنده لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين .

وفي هذه السنة قدم وفد بني حنيفة في سنة عشر فيهم : مسيلمة بن حبيب الكذاب ، ورجال بن عنفوة ، وطلق بن عليّ بن قيس ، وعليهم سلمان بن حنظلة ، فأسلموا وأقاموا أياماً يتعلمون القرآن من أبيّ بن كعب ، ورجال يتعلم ، وطلق يؤذن لهم ، ومسيلمة في الرجال ، وذكروا للنبيّ صلى الله عليه وسلم مكانه في رحالهم فأجازهم ، وقال : ليس بشركم مكاناً لحفظه رجالكم ، فقال مسيلمة عرف أن الأمر لي من بعده . ثم ادّعى مسيلمة بعد ذلك النبوة ، وشهد له طلق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه في الأمر فافتتن الناس به كما سند كره .

وفيها قدم وفد كندة يقدمهم الأشعث بن قيس في بضعة عشر وقيل في ستين وقيل في ثمانين ، وعليهم الديباج والحريز ، وأسلموا ونهاهم النبيّ صلى الله عليه وسلم عنه فتركوه . وقال له أشعث نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فضحك وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث وكانا تاجرين فإذا ساحا في أرض العرب قال نحن بنو آكل المرار فيعتز بذلك لأنّ لهم عليه ولادة من الأمهات ، ثم قال لهم لا نحن بنو النضر بن كنانة فانتفوا منا ولا نتقي من أينا^(٢) .

وقدم مع وفد كنانة^(٣) وفد حضرموت وهم بنو وليعة ، وملوكهم جمد ومخوس ومشرح وأبضعة^(٤) ، فأسلموا ودعا لمخوس بإزالة الرثة من لسانه . (وقدم وائل بن حجر) راغباً في الإسلام فدعا له ومسح رأسه ، ونودي الصلاة جامعة سروراً بقدومه ، وأمر

(١) وفي النسخة الباريسية : العمري .

(٢) وفي نسخة ثانية : ولا يتقي من أينا .

(٣) وفي نسخة ثانية : كندة .

(٤) وفي نسخة ثانية : ضمرة ومخوش ومشرح والضعمة .

معاوية أن يترله بالحرّة ، فمضى معه وكان راكباً فقال له معاوية أعطني نعلك أتوقى بها
الرمضاء ، فقال ما كنت لألبسها وقد لبستها . وفي رواية لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة
لبس نعل ملك فقال : أردفني قال لست من أرداف الملوك ، ثم قال : إنّ الرمضاء
قد أحرقت قدمي قال إمّش في ظل ناقتي كفاك به شرفاً . ويقال إنه وفد على معاوية
في خلافته فأكرمه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً « بسم الله الرحمن
الرحيم هذا كتاب محمد النبيّ لوائل بن حجر قيل حضرموت إنك إن أسلمت لك ما
في يدك من الأرض والحصون ويؤخذ منك من كل عشر واحدة ينظر في ذلك ذو
عدل وجعلت لك ألاّ تظلم فيها معلّم ^(١) الدين والنبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
أشهاد عليه ^(٢) » . قال عياض (وفيه) إلى الأقيال العباهلة والأوراع المشاييب ^(٣) .
(وفيه) في التبعة ^(٤) شاة لا مقورة لالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوب
الخمسة ومن زنى من بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً ، ومن زنى من ثيب
فضرجه بالاضاميم ^(٥) ، ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر
حرام ووائل بن حجر يترقل على الأقيال .

وفيه قدم وفد محارب في عشرة نفر فأسلموا . وفيها قدم وفد الرها من مذحج في
خمسة عشر نفراً وأهدوا فرساً ، فاسلموا وتعلموا القرآن وانصرفوا ، ثم قدم نفر منهم
وحجّوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي فأوصى لهم بمائة وسق من خير
جارية عليهم من الكتيبة وباعوها من معاوية .

وفيه قدم وفد نجران النصراني في سبعين ^(٦) راكباً يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح
من كندة ، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل ، والسيد الأيهم وجادلوا عن
دينهم ، فترل صدر سورة آل عمران وآية المباهلة فأبوا منها وفرقوا وسألوا الصلح ،
وكتب لهم به على ألف حلّة في صفر وألف في رجب وعلى دروع ورماح وخيل وحمل

(١) وفي النسخة البارسية : مقام الدين .

(٢) وفي نسخة ثانية : والمؤمنون عليه انصار .

(٣) وفي النسخة البارسية : والاوزاع السابقين .

(٤) وفي نسخة ثانية : وفيه في العيبة .

(٥) وفي نسخة أخرى : فضرجه بالاضاميم .

(٦) وفي النسخة البارسية : في ستين راكباً .

ثلاثين من كل صنف ، وطلبوا أن يبعث معهم واليا يحكم بينهم فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ، ثم جاء العاقب والسيد وأسلما .

وفيهما قدم وفد الصدف من حضرموت في بضعة عشر نفرا فأسلموا ، وعلمهم أوقات الصلاة وذلك في حجة الوداع . وفي هذه السنة قدم وفد عبس ، قال ابن الكلبي : وفد منهم رجل واحد فأسلم ورجع ومات في طريقه . وقال الطبري : وفيها وفد عدي ابن حاتم في شعبان انتهى .

وفيهما قدم وفد خولان عشرة نفر فأسلموا وهدموا صنمهم ، وكان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الضبيبي من جذام وأهدى غلاما فأسلم ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا ، ولم يلبث أن قفل دحية بن خليفة الكلبي منصرفاً من عند هرقل حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه تجارة ، فأغار عليه الهنيد بن عوض^(١) وقومه بنو الضليج من بطون جذام فأصابوا كل شيء معه ، وبلغ ذلك مسلمين من بني الضبيب فاستنقذوا ما أخذوه الهنيد وابنه وردّوه على دحية ، وقدم دحية على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش من المسلمين فأغار عليهم بالقضاقض من حرة الرمل^(٢) ، وقتلوا الهنيد وابنه في جماعة وكان معهم ناس من بني الضبيب فاستباحوهم معهم وقتلوهم ، فركب رفاعة بن زيد ومعه أبو زيد بن عمرو من قومه في جماعة منهم فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر ، فقال : كيف أصنع بالقتلى ؟ فقالوا : يا رسول الله أطلق لنا من كان حياً ، فبعث معهم علي بن أبي طالب وحمله على جمل وأعطاه سيفه فلحقه بفيء الفحلين وأمره برد أموالهم فردّها .

وفي هذه السنة قدم وفد عامر بن صعصعة فيهم : عامر بن الطفيل بن مالك ، وأريد ابن ربيعة بن مالك ، فقال له عامر : يا محمد اجعل لي الأمر بعدك ، قال : ليس ذلك لك ولا لقومك ، قال : اجعل لي الوبر ولك المدر ، قال : لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل فإنك امرؤ فارس ، فقال : لأملأها عليك خيلاً ورجلاً ثم ولوا . فقال : اللهم أكفنيهم اللهم أهد عامر أو أغن الإسلام عن عامر . وذكر ابن إسحق

(١) وفي نسخة أخرى : بن عوض .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بالقضاقض من حرة الرجل .

والطبري : أنها أرادوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقدرُوا عليه في قصة ذكرها أهل الصحيح ، ثم رجعوا إلى بلادهم فاخذهُ الطاعون في عنقه فمات في طريقه في أحياء بني سلول وأصابَتْ أخاه أربد صاعقة بعد ذلك . ثم قدم علقمة بن علاثة بن عوف وعوف^(١) بن خالد بن ربيعة وابنه فأسلموا .

وفيها قدم وفد طيء في خمسة عشر نفرًا يقدمهم سيدهم زيد الخيل وقبيصة بن الأسود من بني نهبان فأسلموا ، وسَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وأقطع له بئراً وأرضين معها وكتب له بذلك ومات في مرجعه .

وفي هذه السنة ادعى مسيلمة النبوة وأنه أشرك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر ، وكتب إليه : « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فإني قد أشركت في الأمر معك وأن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قریش قوم لا يعدلون ، وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . قال الطبري : وقد قيل إن ذلك كان بعد منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع كما نذكر .

حجة الوداع

ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حجة الوداع في خمس ليال بقين من ذي العقدة ومعه من أشرف الناس ومائة من الإبل عرباً^(٢) ، ودخل مكة يوم الأحد لأربع خلون من ذي الحجة ، ولقيه علي بن أبي طالب بصدقات نجران فحجَّ معه ، وعلم صلى الله عليه وسلم الناس بمناسكهم واسترحمهم وخطب الناس بعرفة خطبته التي بين فيها ما بين ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ! أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فن كان عنده أمانة فليؤدها إلى

(١) وفي النسخة الباريسية : وهودة .

(٢) وفي نسخة ثانية : هدايا .

من ائتمنه عليها وإن كان رباً فهو موضوع ولكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون
 قضى الله أنه لا ربا إن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم في
 الجاهلية موضوع كله وأن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان
 مسترضعاً في بني ليث ، فقتله بنو هذيل فهو أول ما أبدأ من دم الجاهلية . أيها الناس
 إن الشيطان قد يش من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى
 ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به
 الذين كفروا يخلونه عاماً ويحرمونه إلى فيحلوا ما حرم الله ألا وإن الزمان قد استدار
 كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في
 كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة
 والمحرم ورجب الفرد الذي بين جمادى وشعبان أما بعد أيها الناس فإن لكم على
 نساءكم حقاً ولهن عليكم حقاً لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهن
 أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع
 وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا
 بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان^(١) لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم إنما أخذتموهن
 بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي فإنني قد بلغت
 قولي وتركت فيكم ما إن استعصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه أيها الناس
 اسمعوا قولي واعلموا إن كل مسلم أخو المسلم وإن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من
 مال أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس فلا تظلموا أنفسكم أأهل بلغت^(٢) .
 فذكر أنهم قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .
 وكانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ وحجة الوداع لأنه لم يحج بعدها وكان قد حج
 قبل ذلك حجتين واعتمر مع حجة الوداع عمرة فتلک ثلاث ثم انصرف إلى المدينة في
 بقية ذي الحجة من العاشرة^(٣) .

(١) وفي نسخة أخرى : عوار .

(٢) وفي نسخة أخرى : اللهم .

(٣) لم يذكر هنا حديث الغدير وقد أجمع المؤرخون وأرباب التفسير أن رسول الله ﷺ لما رجع من حجة
 الوداع إلى المدينة نزل عليه الأمين جبرائيل بقوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن
 الآية الكريمة أمرت النبي ﷺ أن ينصب علياً أميراً وخليفة للمسلمين من بعده فأمر الرسول من كان
 معه من المسلمين أن يحيطوا برجلهم بغدير خم قرب الجحفة على طريق المدينة وإن يرد من تقدم منهم إلى =

العمال على النواحي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم باذان عامل كسرى على اليمن وأسلمت اليمن أمره على جميع مخاليفها ولم يشرك معه فيها أحداً حتى مات ، وبلغه موته وهو منصرف من حجة الوداع فقسم عمله على جماعة من أصحابه ، فولّى على صنعاء ابنه شهر^(١) بن باذان ، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري ، وعلى الجنديعلي بن أمية ، وعلى همدان عامر بن شهر الحمداني ، وعلى عك والأشعرين الطاهر بن أبي هالة^(٢) وعلى ما بين نجران وزمعة وزيد خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى نجران عمر بن حزم^(٣) ، وعلى بلاد حضرموت زياد بن ليلى^(٤) البياضي ، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور^(٥) بن أصفر الغوثي ، وعلى معاوية بن كندة عبدالله المهاجر

= المحل الذي نزل به الرسول وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة من الهجرة وكان ذلك اليوم شديد الحر فكان الرجل يضع بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الحر . وقد وقف النبي في هذا اليوم بعد صلاة الظهر خطيباً بالمسلمين فقال : الحمد لله ونستعين ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا الدينية لا هادي لمن ضل ولا مضل لمن هدى وأشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله . اما بعد ايها الناس قد نبأني اللطيف الخبير انه لم يعمر نبي الا مثل نصف عمر الذي قبله واني اوشك ان ادعى فأجيب واني مسؤول وانتم مسؤولون . فاذا اتم قائلون ؟ قالوا نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً قال الستم تشهدون ان لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله ؟ قالوا بلى تشهد بذلك . ثم قال ايها الناس الا تسمعون ؟ قالوا نعم . قال فاني فرط على الحوض وانتم واردون عليه فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنأدى مناد وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال الثقل الاكبر كتاب الله ، طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر الاصغر عترتي وان اللطيف الخبير نبأني انها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فسألت لما ذلك ربي فلا تتقدموها فتهلكوا ولا تقصروا عنها فتهلكوا ثم اخذ بيد علي فرفعها وعرفه القوم فقال : ايها الناس من اولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال ان الله مولاي وانا مولى المؤمنين وانا اولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وأدر الحق معه حيث دار الا قليلى شاهد الغائب .

انظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٠٨ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٩٣ والفرق الاسلامية ص ٤٢ وغيرها من كتب التاريخ .

- (١) وفي نسخة اخرى : شهر
- (٢) وفي النسخة الباريسية : الطاهر بن ابي منالة
- (٣) وفي نسخة اخرى : بن حزام
- (٤) وفي النسخة الباريسية : زياد بن يزيد
- (٥) وفي النسخة الباريسية : عكاشة بن بدر

بن ابي أمية واشتكى المهاجر فلم يذهب فكان زياد بن لييد يقوم على عمله ، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل اليمن وحضرموت ، وكان قبل ذلك قد بعث على الصدقات عدي بن حاتم على صدقة طيء وأسد ، ومالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة ، وقسم صدقة بني سعد بين رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويقدم عليه بها فوافاه من حجة الوداع كما مر .

خبر العنسي

كان الأسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب ولقبه ذو الخار ، وكان كاهناً مشعوذاً يفعل الأعاجيب ويخلب بجلالة منطقته ، وكانت داره كهف حنار^(١) بها ولد ، ونشأ وادّعى النبوة وكاتب مذحجاً عامّة فأجابوه ووعدوه^(٢) ، نجران فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم^(٣) وخالد بن سعيد بن العاص وأقاموه في عملها ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد فأجلوه ، وسار الأسود في سبعمائة فارس إلى شهر بن باذان بصنعاء فلقبه شهر بن باذان فهزمه الأسود فقتله ، وغلب على ما بين صنعاء وحضرموت إلى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدن ، وجعل يطير استطاره الحريق وعامله المسلمون بالثقة ، وارتد كثير من أهل اليمن . وكان عمرو بن معدي كرب مع خالد بن سعيد بن العاص ، فخالفه واستجاب للأسود ، فسار إليه خالد ولقيه فاختلفا ضربتين فقطع خالد سيفه الصمصامة وأخذها ، ونزل عمرو عن فرسه وفتك في الخيل ولحق عمرو بن الأسود فولاه على مذحج وكان أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث المرادي ، وأمر الأبناء إلى فيروز ودادويه وتزوج امرأة شهر بن باذان واستفحل أمره .

وخرج معاذ بن جبل هارباً ومراً بآبي موسى في مأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت ، ونزل معاذ في السكون وأبو موسى في السكاسك ، ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدينة . وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلاد عكّ حيال^(٤) صنعاء ، فلما ملك

(١) وفي نسخة أخرى : خيار وفي النسخة البارسية : جناز

(٢) وفي نسخة أخرى : وأعدوا

(٣) وفي نسخة أخرى : بن حزام .

(٤) وفي نسخة أخرى : جبال صنعاء .

الأسود أيمن واستفحل استخف بقيس بن عبد يغوث وبفيروز وذادويه ، وكانت ابنة عم فيروز هي زوجة شهر بن باذان التي تزوجها الأسود بعد مقتله واسمها آزاد . وبلغ الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكتب مع وبر بن يحنس^(١) إلى الأبناء وأبي موسى ومعاذ الطاهر يأمرهم فيه أن يعملوا في أمر الأسود بالغيلة أو المصادمة^(٢) . وبلغ منه من يروم عنده ديناً أو نجدة ، وأقام معاذ والأبناء في ذلك فدخلوا قيس بن عبد يغوث في أمره فأجاب ، ثم داخل فيروز بنت عمه زوجة الأسود فواعدته قتله ، وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن شهر الحمداني وبعث جرير بن عبد الله إلى ذي الكلاع وذي أمران وذي ظليم من أهل ناحيته وإلى أهل نجران من عربهم ونصاراهم واعترضوا الأسود ومشوا وتنحوا إلى مكان واحد .

وأخبر الأسود شيطانه بغدر قيس وفيروز وذادويه فعاتبهم وهمّ بهم ، ففروا إلى امرأته وواعدتهم أن يتقبوا البيت من ظهره ويدخلوا فيبيته ، ففعلوا ذلك ودخل فيروز ومعه قيس فقتل^(٣) عنقه ثم ذبحه ، فنادى بالأذان عند طلوع الفجر ونادى ذادويه بشعار الإسلام ، وأقام وبر بن يحنس^(٤) الصلاة واهتاج الناس مسلمهم وكافرهم وماج بعضهم في بعض واختطف الكثير من أصحابه صبياناً من أبناء المسلمين ، وبرزوا وتركوا كثيراً من أبنائهم ثم ترأسوا في ردّ كل ما بيده وأقاموا يترددون فيما بين صنعاء ونجران ، وخلصت صنعاء والجنود ، وتراجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم وتنافسوا الإمارة في صنعاء ، ثم اتفقوا على معاذ فصلى بهم وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ، وكان قد أتى خبر الواقعة من السماء فقال في غداها : قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك وهو فيروز . ثم قدمت الرسل ، وقد توفي^(٥) النبي صلى الله عليه وسلم .

بعث أسامة : ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع آخر ذي الحجة ضرب على الناس في شهر المحرم بعثاً إلى الشام وأمر عليهم مولاه أسامة بن زيد

(١) وفي نسخة أخرى : بن عيس .

(٢) وفي نسخة أخرى : المصادقة .

(٣) وفي النسخة الباريسية : فلك عنقه .

(٤) وفي نسخة ثانية : بن جنيس .

(٥) وفي نسخة أخرى : أسامة .

بن حارثة ، أمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم إلى الأردن من أرض فلسطين ومشارف الشام ، فتجهّز الناس وأوغب معه المهاجرون الأولون . فبينما الناس على ذلك ابتداء صلى الله عليه وسلم بشكواه التي قبضه الله فيها إلى كرامته ورحمته ، وتكلم المنافقون في شأن الكرامة ، وبلغ الخبر بارتداد الأسود ومسيلمة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه من الصداع وقال : « إني رأيت البارحة في نومي أن في عضدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفضتهما فطارا فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن وقد بلغني أن أقواماً تكلموا في إمارة أسامة إن يطعنوا في إمارته لقد طعنوا في إمارة أبيه من قبله وإن كان أبوه لحقيقاً بالأمانة وأنه لحقيق بها ^(١) انفروا » . فبعث أسامة ففُضرب أسامة بالجرف ^(٢) وتمهل ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفاه الله قبل توجه أسامة .

أخبار الأسود ومسيلمة وطليحة : كان النبي صلى الله عليه وسلم بعدما قضى حجة الوداع تحلل به السير فاشتكى وطارت الأخبار ، بذلك فوثب الأسود باليمن كما مرّ ، ووثب مسيلمة باليمامة ، ثم وثب طليحة بن خويلد في بني أسد ، يدعي كلهم النبوة . وحاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسل والكتب إلى عماله ومن ثبت على إسلامه من قومهم أن يحدّوا في جهادهم ، فأصيب الأسود قبل وفاته بيوم ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله والذبّ عن دينه ، فبعث إلى المسلمين من العرب في كل ناحية من نواحي هؤلاء الكذابين يأمرهم بجهادهم . وجاء كتاب مسيلمة إليه فأجابه كما مرّ وجاء ، ابن أخي طليحة يطلب المودة فدعا صلى الله عليه وسلم حتى كان من حكم الله فيهم بعده ما كان .

مرضه صلى الله عليه وسلم عليه : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك أن الله نعى إليه نفسه بقوله إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة ، ثم بدأه الوجع لليلتين بقيتا من صفر وتمادى به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استقر به في بيت ميمونة ، فاستأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له . وخرج على الناس فخطبهم وتحلل منهم وصلى على شهداء أحد واستغفر لهم ، ثم قال لهم : إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده . وفهما أبو بكر

(١) وفي النسخة الباريية : لخلق بها .

(٢) وفي نسخة ثانية : الحرق .

فبكى ، فقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فرحب بهم وعيناه تدمعان ودعا لهم كثيراً وقال : أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم وأودعكم إليه إني لكم نذير وبشير ألا تعلوا على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي ولكم : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين وقال أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ^(١) .

ثم سأله عن مغسله ، فقال : الأذنون من أهلي ، وسأله عن الكفن ، فقال : في ثيابي هذه ؟ أو ثياب مصر ^(٢) أو حلة يمانية . وسأله عن الصلاة عليه ، فقال : ضعوني على سريري في بيتي على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة حتى تصلي عليّ الملائكة ثم ادخلوا فوجاً بعد فوج فصلوا وليبدأ رجال أهلي ^(٣) ثم نسأوهم . وسأله عن يدخله القبر ، فقال : أهلي . ثم قال : اثنوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده فتنازعوا وقال بعضهم أهجر ؟ يستفهم . ثم ذهبوا يعيدون عليه ، ثم قال : دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه ، وأوصى بثلاث : أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأن يحجزوا الوفد كما كان يحجزهم ، وسكت عن الثالثة أو نسيها الراوي . وأوصى بالأنصار فقال إنهم كرشي وعيلتي التي أويت إليها ^(٤) فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم فقد أصبحتم يا معشر المهاجرين تريدون والأنصار لا يزيدون ، ثم قال : سدّوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر فاني لا أعلم أمر أفضل يداً عندي في الصحبة من أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صحبة إخوان وإيمان حتى يجمعنا الله عنده .

ثم ثقل به الوجد وأغمي عليه فاجتمع إليه نساؤه وبنوه وأهل بيته والعباس وعليّ ، ثم حضر وقت الصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل أسيف لا يستطيع أن يقوم مقامك ، فرعرع فامتنع عمر ، وصلى أبو بكر ، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة فخرج فلما أحس أبو بكر تأخر فجذبته رسول

(١) وفي النسخة البارسية : للكافرين .

(٢) وفي نسخة أخرى : بياض مصر .

(٣) وفي نسخة أخرى : رجال أهل بيتي .

(٤) وفي النسخة البارسية : هم كرسي وعيني اليمنى فأكرموا كريمهم .

الله صلى الله عليه وسلم وأقامه مكانه وقرأ من حيث انتهى أبو بكر ، ثم كان أبو بكر يصلي بصلاته والناس بصلاة أبي بكر ، قبل صلوا كذلك سبع عشرة صلاة . وكان يدخل يده في القدم وهو في في الترع فيمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعني على سكرات الموت ، فلما كان يوم الإثنين وهو يوم وفاته خرج إلى صلاة الصبح عاصباً رأسه وأبو بكر يصلي ، فنكص عن صلاته ^(١) ، وردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وصلى قاعداً عن يمينه ، ثم أقبل على الناس بعد الصلاة فوعظهم وذكرهم ، ولما فرغ من كلامه قال له أبو بكر : إني أرى أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب . وخرج إلى أهله في السنع ،

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته فاضطجع في حجرة ^(٢) عائشة ، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر عليه وفي يده سواك أخضر ، فنظر إليه وعرفت عائشة أنه يريد به قالت : فضغته حتى لان وأعطيته إياه فاستنّ به ثم وضعه . ثم ثقل في حجري فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول : « الرفيق الأعلى من الجنة » فعلمت أنه خير فاختار . وكانت تقول : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري . وذلك نصف نهار يوم الإثنين لليلتين من شهر ربيع الأول ودفن من الغد نصف النهار من يوم الثلاثاء . ونادى النعي في الناس بموته وأبو بكر غائب في أهله بالسنع ، وعمر حاضر فقام في الناس وقال : إن رجالاً من المنافقين زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأنه لم يمّت وإنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وليرجعن فيقطعن أيدي رجال وأرجلهم . وأقبل أبو بكر حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبلة وقال : بأبي أنت وأمي قد ذقت الموتة التي كتب الله عليك ولن يصيبك بعدها موته أبداً . وخرج إلى عمر وهو يتكلم ، فقال : أنصت . فأبى ، وأقبل على الناس يتكلم فجاءوا إليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : « أيها الناس من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت » ثم تلا : « وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل » الآية . فكان الناس لم يعلموا أنّ هذه الآية في المنزل قال عمر : فما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت إلى الأرض ما تحمّلني رجلاي وعرفت أنه قد مات وقيل

(١) وفي النسخة الباريسية : نهض عن مصلاه .

(٢) وفي النسخة الباريسية : في حجر عائشة .

تلا : معها : إنك ميت وإنهم ميتون الآية .

وبينما هم كذلك إذ جاء رجل يسعى بخبر الأنصار أنهم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يبايعون سعد بن عبادَة ويقولون منا أمير ومن قريش أمير ، فانطلق أبو بكر وعمر وجماعة المهاجرين إليهم ، وأقام عليّ والعبّاس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد يتولون تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسله عليّ مسنده إلى ظهره والعبّاس وابناه يقلبونه معه وأسامة وشقران يصبان الماء وعلي يدلك من وراء القميص^(١) لا يفضي إلى بشرته بعد أن كانوا اختلفوا في تجهيزه ثم أصابته سنة فحفظوا وسمعوا من وراء البيت أن اغسلوه وعليه ثيابه ففعلوا ، ثم كفنوه في ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيهن إدراجاً ، استدعوا حفارين أحدهما يلحد والآخر يشق ، ثم بعث إليهما العبّاس رجلين وقال اللهم خر^(٢) لرسولك فجاء الذي يلحد وهو أبو طلحة زيد بن سهل كان يحفر لأهل المدينة فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما فرغوا من جهازه يوم الثلاثاء وضع على سرير بيته واختلفوا أيدفن في مسجده أو بيته فقال أبو بكر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ما قبض نبي إلا يدفن حيث قبض ، فرفع فراشه الذي قبض عليه وحفر له تحته ، ودخل الناس يصلون عليه أفواجاً الرجال ثم ، النساء ثم الصبيان ثم العبيد لا يؤم أحدهم أحداً ، ثم دفن من وسط الليل ليلة الأربعاء وعن عائشة لإثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول فكلت سنو الهجرة عشرين كوامل ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وقبل خمس وستين سنة وقبل ستين .

خبر السقيفة

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتاع الحاضرون لفقده حتى ظن أنه لم يمّت ، واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يبايعون سعد بن عبادَة وهم يرون أن الأمر لهم بما آووا ونصروا ، وبلغ الخبر إلى أبي بكر وعمر فجاؤا إليهم ومعهم أبو عبيدة ولقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة فأرادوهم على الرجوع وخفضوا عليهم

(١) وفي النسخة الباريّة : يصبان الماء على يديه من وراء القميص .

(٢) وفي نسخة ثانية : اغفر .

الشان، فأبوا إلا أن يأتوهم فأتوهم في مكانهم ذلك فأعجلوهم عن شأنهم وغلبوهم عليه جماعاً وموعظة . وقال أبو بكر : نحن أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بأمره ولا ننازع في ذلك ، وأنتم لكم حق السابقة والنصرة ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء . وقال الحباب بن المنذر^(١) بن الجحوم : منا أمير ومنكم أمير وإن أبوا فأجلوهم يا معشر الأنصار عن البلاد فبأسيا فكم دان الناس لهذا الدين وإن شتم أعدناها جذعة^(٢) أنا جذيلها المحكك^(٣) وعذيقها المرجب^(٤) . وقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بكم كما تعلمون ولو كنتم الأمراء لأوصاكم بنا ، ثم وقعت ملاحة بين عمر وابن المنذر^(٥) ، وأبو عبيدة يحفضها ويقول : اتقوا الله يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وأزر فلا تكونوا أول من بدّل وغير .

فقام بشير بن سعد بن النعمان^(٦) بن كعب بن الخزرج فقال : ألا إن محمداً من قریش وقومه أحق وأولى ، ونحن وإن كنا أولى فضل في الجهاد وسابقة في الدين ، فما أردنا بذلك إلا رضى الله وطاعة نبيه فلا نبتغي به من الدنيا عوضاً ، ولا نستطيل به على الناس . فقال الحباب بن المنذر : نفست والله عن ابن عمك يا بشير . فقال : لا والله ولكن كرهت أن أنازع قوماً حقهم . فأشار أبو بكر إلى عمر وأبي عبيدة فامتنعا وبايعا أبا بكر وسبقها إليه بشير بن سعد ، ثم تناجى الأوس فيما بينهم وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النقباء وكرهوا إمارة الخزرج عليهم وذهبوا إلى بيعة أبي بكر فبايعوه ، وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطأون سعد بن عبادة ، فقال ناس من أصحابه إنقوا سعداً لا تقتلوه . فقال عمر : اقتلوه قتله الله . وتماسكا فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر الرفق هنا أبلغ . فأعرض عمر ثم طلب سعد في البيعة فأبى وأشار بشير بن سعد بتركه ، وقال : إنما هو رجل واحد ، فأقام سعد لا يجتمع معهم في الصلاة ولا يفيض معهم في الحديث^(٧) حتى هلك أبو بكر . ونقل الطبري

(١) وفي النسخة الباریة : فقال المنذر بن الحباب .

(٢) أي جديداً كما بدأ والأصح أن يقول جذعاً بدل جذعة .

(٣) الذي يستجار به ويستغنى برأيه .

(٤) أي الذكي اللبق والمرجب المهان (قاموس)

(٥) وفي نسخة أخرى : المنذر بن الحباب .

(٦) وفي النسخة الباریة : بشير بن سعد والد النعمان من بني كعب بن الخزرج .

(٧) وفي النسخة الباریة : في الحج .

أن سعداً بايع يومئذ ، وفي أخبارهم أنه لحق بالشام فلم يزل هنالك حتى مات وأن
الجن قتلته وينشدون البيتين الشهيرين وهما
نحن قتلنا سيد الخرج سعد بن عباده فرميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

الخلافة الإسلامية

* (الخبر عن الخلافة الإسلامية في هذه الطبقة وما كان فيها من الردّة والفتوحات
وما حدث بعد ذلك من الفتن والحروب في الاسلام ثم الاتفاق والجماعة) *
ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أمر السقيفة كما قدمناه ، أجمع
المهاجرون والأنصار على بيعة أبي بكر ولم يخالف إلا سعد إن صحّ خلافه فلم يلتفت
إليه لشذوذه . وكان من أول ما اعتمده إنفاذ بعث أسامة ، وقد ارتدت ^(١) العرب إمّا
القبيلة مستوعبة وإمّا بعض منها ، ونجم النفاق والمسلمون كالغنم في الليلة الممطرة
لقلّتهم وكثرة عدوّهم وإظلام الجوّ بفقد نبيّهم ، ووقف أسامة بالناس ورغب من عمر
التخلف عن هذا البعث والمقام مع أبي بكر شفقة من أن يدهمه أمر ، وقالت له
الأنصار فإن أبي إلا المضي فليول علينا أسنّ من أسامة . فأبلغ عمر ذلك كله أبا بكر
فقام وقعد وقال : لا أترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخرج وأنفذه . ثم
خرج حتى أتاهم فأشخصهم وشيّعهم وأذن لعمر في الشخصوس ، وقال : أوصيكم
بعشر فاحفظوها عليّ : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الطفل ولا
الشيخ ولا المرأة ولا تغرقوا نخلًا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة
ولا بغيراً إلّا للأكل ، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا
أنفسهم له ، وإذا لقيتم أقواماً فحسبوا أواسط رؤسهم وتركوا حولها فتل العصاب
فاضربوا بالسيف ما فحسبوا عنه ، فإذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه
وكلوا ترفعوا باسم الله يا أسامة إصنع ما أمرك به نبي الله ببلاد قضاة ثم أت آفل
ولا تقصر في شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ودّعه من الجرف
ورجع .

وقد كان بعث معه من القبائل من حول المدينة الذين لهم الهجرة في ديارهم وحبس
من بقي منهم فصار مسالحوهم قبائلهم ومضى أسامة مغداً وانتهى لما أمر النبي صلى

(١) وفي نسخة ثانية : ارادت .

الله عليه وسلم وبعث الجنود في بلاد قضاة وأغار على أبني^(١) فسبى وغنم ورجع لأربعين يوماً وقيل لسبعين ، ولم يحدث أبو بكر في مغيبه شيئاً ، وقد جاء الخبر بارتداد العرب عامة وخاصة إلا قريشاً وثقيفاً ، واستغلظ أمر مسيلمة واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد وارتدت غطفان وتوقفت هوازن فأمسكوا الصدقة ، وارتد خواص من بني سليم وكذا سائر الناس بكل مكان . وقدمت رسل النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن واليمامة وبني أسد ومن الأمراء من كل مكان بانتقاض العرب عامة أو خاصة ، وحاربهم بالكتب والرسل وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة ، فعاجلته عبس وذبيان ونزلوا في الإبرق ونزل آخرون بذى القصة ومعهم حبال^(٢) من بني أسد ومن انتسب إليهم من بني كنانة ، وبعثوا وفداً إلى أبي بكر نزلوا على وجوه من الناس يطلبون الاقتصاد على الصلاة دون الزكاة ، فأبى أبو بكر من ذلك ، وجعل على أنقاب المدينة علياً والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود ، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد . ورجع وفد المرتدين وأخبروا قومهم بقلّة أهل المدينة فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة ، فبعثوا إلى أبي بكر فخرج في أهل المسجد على النواضح ، فهربوا والمسلمون في أتباعهم إلى ذي خشب ، ثم نفروا إبل المسلمين بلعبات اتخذوها فنفرت ورجعت بهم وهم لا يملكونها إلى المدينة ولم يصبهم شيء ، وظن القوم بالمسلمين الوهن فبعثوا إلى أهل ذي القصة يستقدمونهم .

ثم خرج أبو بكر في التعبئة وعلى ميمته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن^(٣) ، وعلى الساقة سويد بن مقرن ، وطلع عليهم مع الفجر واقتتلوا فما ذرّ قرن الشمس إلا وقد هزموهم وغنموا ما معهم من الظهر وقتل حبال ، واتبعهم أبو بكر إلى ذي القصة فجهزها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة ، ووثب بنو ذبيان وعبس على من كان فيهم من المسلمين فقتلوهم وفعل ذلك غيرهم من المرتدين ، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين مثل من قتلوه من المسلمين وزيادة . واعتز المسلمون بوقعة أبي بكر وطرقت المدينة صدقات . وقدم أسامة فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وخرج في نفر إلى ذي خشب^(٤) وإلى ذي القصة ثم سار حتى نزل على أهل

(١) قوله أبني بضم الهمة : موضع بناحية البلقاء اهـ .

(٢) وفي نسخة ثانية حبال .

(٣) وفي النسخة الباريسية : معرور .

(٤) وفي النسخة الباريسية : ذي حسا .

الربذة بالأبرق وبها عبس وذبيان وبنو بكر من كنانة وثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة ، فاقتلوا وانهزم القوم ، وأقام أبو بكر على الأبرق ، وحرّم تلك البلاد على بني ذبيان ثم رجع إلى المدينة .

ردّة اليمن : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مكة وبني كنانة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص على المدر ، ومالك بن عوف على الوبر ، وعلى عجز هوازن عكرمة بن أبي جهل ، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم على الصلاة ، وأبو سفيان بن حرب على الصدقات ، وعلى ما بين زمع وزبيد إلى نجران خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمداني ، وعلى صنعاء فيروز الديلمي ومسانده دادويه وقيس بن مكشوح المرادي رجعوا إليها بعد قتل الأسود ، وعلى الجنديعلي بن أمية ، وعلى مأرب أبو موسى الأشعري ، وعلى الأشعريين وعكّ الطاهر بن أبي هالة ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضي وعكاشة بن ثور بن أصفر الغوثي ، وعلى كندة المهاجر بن أبي أمية ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب عليه في غزوة تبوك فاسترضته له أم سلمة وولاه على كندة ، ومرض فلم يصل إليها ، وأقام زياد بن لبيد ينوب عنه . وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن يتنقل على هؤلاء وعلى هؤلاء في أعمالهم .

وثار الأسود في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربه بالرسل وبالكب فقتله الله وعاد الإسلام في اليمن كما كان ، فلما بلغهم الموت انتقضت اليمن وارتد أهلها في جميع النواحي وكانت الفالة من جند العنسي بين نجران وصنعاء لا يأوون إلى أحد ، ورجع عمرو بن حزم إلى المدينة واتبعه خالد بن سعيد ، وكان عمرو بن معد يكرب بالجبال حيال فروة بن مسيك وابن مكشوح وتحيل في قتل الأبناء فيروز ودادويه وخشنش والاستبداد بصنعاء ، وبعث إلى الفالة من جيش الأسود يغريهم بالأبناء ويعدّهم المظاهرة عليهم فجاءوا إليه ، وخشي الأبناء غائلتهم وفرّعوا إليه فأظهر لهم المناصحة ، وهياً طعاماً فجمعهم له ليغدر بهم فظفر بدادويه وهرب فيروز وخشنش وخرج قيس في أثرهما ، فامتنعا بخولان أخوال فيروز وثار قيس بصنعاء وجبى ما حولها ، وجمع الفالة من جنود الأسود إليه . وكتب فيروز إلى أبي بكر بالخبر ، فكتب له بولاية صنعاء ، وكتب إلى الطاهر بن أبي هالة بإعانتته ، وإلى عكاشة بن ثور بأن يجمع أهل

تهامة ويقيم بمكانه ، وكتب إلى ذي الكلاع سميفع^(١) وذي ظليم حوشب وذي تبان شهر بإعانة الأبناء وطاعة فيروز وأن الجند يأتيهم . وأرسل إليهم قيس بن مكشوح يغيرهم بالأبناء ، فاعتزل الفريقان واتبعت عوامهم قيس بن مكشوح في شأنه ، وعمد قيس إلى عيلات الأبناء الذين مع فيروز فغربهم وأخرجهم من اليمن في البر والبحر وعرضهم للنهي ، فأرسل فيروز إلى بني عقيل بن ربيعة وإلى عك يستصرخهم ، فاعترضوا عيال فيروز والأبناء الذين معه فاستنقذوهم وقتلوا من كان معه ، وجاؤا إلى فيروز فقاتلوا معه قيس بن مكشوح دون صنعاء فهزموه ، ورجع إلى المكان الذي كان به مع قالة الأسود العنسي .

وانضاف قيس إلى عمرو بن معد يكرب وهو مرتد منذ تنبأ الأسود العنسي ، وقام حيال فروة بن مسيك ، وقد كان فروة وعمرو أسلماً وكذلك قيس ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيساً على صدقات مراد ، وكان عمرو قد فارق قومه سعد العشيرة مع بني زبيد وأحلافها وانحاز إليهم فأسلم معهم وكان فيهم فلما انتقض الأسود ، واتبعه عوام مذحج كان عمرو فيمن اتبعه ، وأقام فروة فيمن معه على الإسلام فولى الأسود عمراً وجعله بجياله .

وكانت كندة قد ارتدوا وتابعوا الأسود العنسي بسبب ما وقع بينهم وبين زياد الكندي في أمر فريضة من فرائض الصدقة أطلقها بعض بني عمرو بن معاوية بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة غلطاً ، فقاتلهم زياد وهزمهم ، فاتفق بنو معاوية على منع الصدقة والردة إلا شراحيل بن السمط وابنه ، وأشير على زياد بمعاجلتهم قبل أن ينضم إليهم بعض السكاسك وحضرموت وأبضعه وجمد ومشرح ومخوس وأختهم العمرة ، وهرب الباقر ورجع زياد بالسبي والغنائم ، ومرّ بالأشعث بن قيس وبني الحرث بن معاوية واستغاث نساء السبي فغار الأشعث وتنقذهم ، ثم جمع بني معاوية كلهم ومن أطاعه من السكاسك وحضرموت وأقام على ردة .

وكان أبو بكر قد حارب أهل الردة أولاً بالكتب والرسول ولم يرسل إلى من ارتد وابتدأ بالمهاجرين والأنصار ، ثم استنفر كلاً على من يليه حتى فرغ من آخر أمور الناس لا يستعين بمرتد ، وكتب إلى عتاب بن أسيد بمكة وعثمان بن أبي العاص بالطائف بركوب من ارتد بمن لم يرتد وثبت على الإسلام من أهل عملها . وقد كان اجتمع

(١) وفي نسخة ثانية : سميفح .

بتهمة أوشاب^(١) من مدلج وخزاعة ، فبعث عتاب إليهم ففرقهم وقتلهم . واجتمع بشنوء جمع من الأزد وخثعم وبجيلة فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص من فرقهم وقتلهم . واجتمع بطريق الساحل من تهامة جموع من عك والأشعرين فسار إليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق العكي فهزموهم وقتلوهم ، وأقام بالأجناد ينتظر أمر أبي بكر ومعه مسروق العكي . وبعث أهل نجران من بني الأفعى الذين كانوا بها قبل بني الحرث وهم في أربعين ألف مقاتل ، وجاء وفداهم يطلبون إمضاء العهد الذي بأيديهم من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمضاه أبو بكر إلا ما نسخه الوحي بأن لا يترك دينان بأرض العرب .

ورجعت رسل النبي صلى الله عليه وسلم الذين كان بعثهم عند انتفاض الأسود العنسي وهم : جرير بن عبدالله والأقرع ووبر بن مخنف^(٢) فرد أبو بكر جريراً ، ليستنفر من ثبت على الإسلام على من ارتدّ ويقاثل خثعم الذين غضبوا لهدم ذي الحليفة فيقتلهم ويقيم بنجران ، فنفذ ما أمره به ولم يمر به أحد إلا رجال قليل تتبعهم بالقتل ، وسار إلى نجران وكتب أبو بكر إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب البعوث على مخاليف أهل الطائف ، فضرب على كل مخالاف عشرين وأمر عليهم أخاه ، كتب إلى عتاب بن أسيد أن يضرب على مكة وعملها خمسمائة بعث وأمر عليهم أخاه خالداً وأقاموا ينتظرون ، ثم أمر المهاجر بن أبي أمية بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ثم ينفذ إلى عمله وأمره بقتال من بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك . ومّر بمكة والطائف فسار معهم خالد بن أسيد وعبد الرحمن بن أبي العاص بمن معها ، ومّر بجرير بن عبدالله وعكاشة بن ثور فضمهما إليه ، ثم مر بنجران وانضم إليه فروة بن مسيك ، وجاءه عمرو بن معديكرب وقيس بن مكشوح فأوثقهما وبعث بهما إلى أبي بكر ، وسار إلى لقائه فتبعهم بالقتل ولم يؤمنهم فقتلوا بكل سبيل . وحضر قيس عند أبي بكر فحظر قتل دادويه ولم يجد أمراً جلياً في أمره ، وتاب عمرو بن معد يكرب واستقال فاقالها وردّها .

وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه وقبل توبة من رجع إليه وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء ، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة

(١) وفي نسخة ثانية : وشباب .

(٢) وفي نسخة ثانية : بن مخنف .

مع عكرمة بن ابي جهل وقد جاءه من ناحية عان ومعه خلق كثير من مهرة والأزد وناجية وعبد القيس وقوم من مالك بن كنانة وبني العنبر ، وقدم أبين وأقام بها لاجتماع النخع وحمير ثم سار مع المهاجر إلى كندة ، وكتب زياد إلى المهاجر يستحثه فلقية الكتاب بالمفازة بين مأرب وحضرموت ، فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل إلى زياد ونهدها إلى كندة وعليهم الأشعث بن قيس فهزمهم وقتلوهم وقرؤا إلى النجير حصن لهم فتحصنوا فيه مع من استغفوه من السكاسك وشذاذ السكون^(١) وحضرموت وسدوا عليهم الطريق إلا واحدة جاء عكرمة بعدهم فسدها وقطعوا عنهم المدد ، وخرجوا مستميتين في بعض الأيام فغلبوهم وأخرجوهم . واستأمن الأشعث إلى عكرمة بما كانت أسماء بنت النعمان بن الجون تحته فخرج إليه ، وجاء به إلى المهاجر وأمنه في أهله وماله وتسعة من قومه على أن يفتح لهم الباب ، فاقتمحه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فكان في السبي ألف امرأة ، فلما فرغ من النجير دعا بكتاب الأمان من الأشعث وإذا هو قد كتب غرض نفسه في التسعة رجال من أصحابه ، فأوثقه كتافاً وبعث به إلى أبي بكر ينظر في أمره ، فقدم مع السبايا والأسرى ، فقال له أبو بكر : أقتلك . قال إني راودت القوم على عشرة وأتيناهاهم بالكتاب محتومة ، فقال أبو بكر : إنما الصلح على من كان في الضحيفة وأما غير ذلك فهو مردود^(٢) . فقال يا أبا بكر : احتسب فيّ وأقلمي واقبل إسلامي وردّ عليّ زوجتي ، وقد كان تزوج أم فروة أخت أبي بكر حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرها إلى أن يرجع ، فأطلقه أبو بكر وقبل إسلامه وردّ عليه زوجته وقال ليلغني عنك خير ، ثم خلى عن القوم فذهبوا وقسم الأنفال .

بعث الجيوش للمرتدين

لما قدم أسامة بيعث الشام على أبي بكر استخلفه على المدينة ومضى إلى الربرة فهزم بني عبس وذبيان وكنانة بالأبرق ورجع إلى المدينة كما قدّمناه ، حتى إذا استجم جند أسامة وتاب من حوالي المدينة خرج إلى ذي القصة على بريد من تلقاء نجد ، فعقد فيها أحد عشر لواءً على أحد عشر جنداً لقتال أهل الردّة ، وأمر كل واحد باستنفار

(١) وفي النسخة الباريسية : وشذاذ الكون .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وأما قبل ذلك فهو مرادة .

من يليه من المسلمين من كل قبيلة ، وترك بعضها لحماية البلاد . فعقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة وبعده لمالك بن نويرة بالبطاح ، ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة واليمامة ثم اردفه بشرحبيل بن حسنة وقال له : إذا فرغت من اليمامة فسر إلى قتال قضاة ثم تمضي إلى كندة بحضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص وقد كان قدم بعد الوفاة الى المدينة من اليمن وترك أعماله فبعثه إلى مشارف الشام ، ولعمرو بن العاص إلى قتال المرتدة من قضاة ، ولخديفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة فخديفة لأهل دبا وعرفجة لمهرة وكل واحد منهما أمير في عمله على صاحبه ، ولطريفة بن حاجز وبعثه إلى بني سليم ومن معهم من هوازن ، ولسويد بن مقرن وبعثه إلى تهامة اليمن ، وللعلاء بن الحضرمي وبعثه إلى البحرين .

وكتب إلى الأمراء عهدهم بنص واحد : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام وعهد اليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره بالجد في أمر الله ومحاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرؤا له ثم ينسبهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم . فن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف . وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسربه ، ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى إلا الإسلام فن أجابه وأقر قبل منه وأعانه ، ومن أبى قاتله فإن أظهره الله عليه عز وجل قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فانه يبلغناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لثلا يكونوا عيوناً ولثلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمترل ويتفقدهم ولا يعجل عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول » انتهى .

وكتب إلى كل من بعث إليه الجنود من المرتدة كتاباً واحداً في نسخ كثيرة على يد رسل تقدموا بين أيديهم نصه بعد البسملة : « هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى

الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة أقام على الإسلام أو رجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع إلى الضلالة والهلكة ، (١) فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأؤمن بما جاء به وأكفر من أبي وأجاهده أما بعد . ثم قرّر أمر النبوة ووفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطنب في الموعظة ثم قال : « وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه ، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يبق على أحد منهم قدر عليه فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية للأذان فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاسألوهم بما عليهم فإن أبو عاجلوهم وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم » انتهى . فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرجت الأمراء ومعهم العهود وكان أول ما بدأ به خالد طليحة وبني أسد .

خبر طليحة

كان طليحة قد ارتدّ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كاهناً فادّعى النبوة واتبعه أفاريق من بني إسرائيل (٢) ونزل سميراً ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور إلى قتاله مع جماعة ، فاجتمع عليهم المسلمون وهم ضرار بمنأزته ، فأتى الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم فاستطار أمر طليحة واجتمعت إليه غطفان وهوازن وطيء ، وفر ضرار ومن معه من العمال إلى المدينة وقدمت وفودهم على أبي بكر في المواعدة على ترك الزكاة فأبى من ذلك ، وخرج كما قدّمناه إلى غطفان وأوقع بهم بذي القصة فانضموا بعد الهزيمة إلى طليحة وبني أسد بيزاخة وكذلك فعلت طيء وأقامت بنو عامر وهوازن ينتظرون . وجمل (٣) خالد إلى طليحة ومعه عيينة بن حصن على بزاخه من مياه بني أسد وأظهر أنه

(١) وفي نسخة البارسية : والعمي .

(٢) وفي النسخة البارسية : بني أسد .

(٣) وفي نسخة ثانية : صمد .

يقصد خير ثم ينزل إلى سلمى وأجأ فيبدأ بطيء . وكان عدي بن حاتم قد خرج معه في الجيش فقال له : أنا أجمع لك قبائل طيء يصحبونك إلى عدوك . وسار إليهم فجاء بهم وبعث خالد عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم من الأنصار طليعة ولقيهما طليحة وأخوه فقتلها ومرو بهما المسلمون فعظم عليهم قتلها . ثم عبيّ خالد كتائبه وثابت بن قيس على الأنصار وعدي بن حاتم على طيء ولقي القوم فقاتلهم ، وعيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من غطفان ، واشتدّ الحال بينهم وطليحة في عباءة يتكذب لهم في انتظار الوحي ، فجاء عيينة بعدما ضجر من القتال ^(١) وقال : هل جاءك أحد بعد ؟ قال : لا ثم راجعه ثانية ثم ثالثة فقال : جاء . وقال إن لك رحي كرحاه ، وحديثاً لا تنساه . فقال عيينة : يا بني فزارة الرجل كذاب ، وانصرف فانهزموا وقتل من قتل وأسلم الناس طليحة فوثب على فرسه واحتقب امرأته فنجأ بها إلى الشام ، ونزل في كلب ^(٢) من قضاة على النقع حتى أسلمت أسد وغطفان ، فأسلم ثم خرج معتمراً أيام عمر ولقيه بالمدينة فبايعه وبعثه في عساكر الشام ، فأبلى في الفتح ، ولم يصب عيالات بني أسد في واقعة براحة شيء لأنهم كانوا أخرجوه في الحصون عند واسط وأسلموا خشية على ذرارهم .

خبر هوازن وسليم وبني عامر

كان بنو عامر ينتظرون أمر طليحة وما تصنع أسد وغطفان حتى أحيط بهم وكان قرة ابن هبيرة في كعب وعلقمة بن علاثة ^(٣) في كلاب وكان علقمة قد ارتد بعد فتح الطائف ، ولما قبض النبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى قومه ، وبلغ أبا بكر خبره فبعث إليه سرية مع القعقاع ابن عمرو ومن بني تميم فأغار عليهم ، فأفلت وجاء بأهله وولده وقومه فأسلموا . وكان قرة بن هبيرة قد لقي عمرو بن العاصي منصرفه من عمان بعد الوفاة وأضافه وقال له : اتركوا الزكاة فإن العرب لا تدين لكم بالأتاوة ، فغضب لها عمرو وأسمعه وأبلغها أبا بكر ، فلما أوقع خالد ببني أسد وغطفان وكانت هوازن وسليم وعامر ينتظرون أمرهم فجاءوا إلى خالد وأسلموا وقبل منهم الإسلام ، إلا من

(١) وفي النسخة الباريسية : عندما ظهر القتال .

(٢) أي نزل عند بني كلب .

(٣) وفي نسخة ثانية : بن علاثة .

عدا على أحد من المسلمين أيام الردة فانه تتبعهم فأحرق وقط^(١) ورضخ بالحجارة ورمى من رؤس الجبال ، ولما فرغ من أمر بني عامر أوثق عيينة بن حصن وقرّة بن هبيرة وبعث بهما إلى أبي بكر فتجاوز لهما وحقق دمائهما .

ثم اجتمعت قبائل غطفان إلى سلمى بنت مالك بن حذيفة من بدر بن ظفر في الحوآب فترلوا إليها وتذا مروا ، وكانت سلمى هذه قد سبيت قبل وأعتقها عائشة وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وقد دخل عليها وهي في نسوة بيت عائشة فقال : إنّ احداً كن تستنجح كلاب الحوآب ، وفعلت ذلك واجتمع إليها الفلال من غطفان وهوازن وسليم وطيء وأسد ، وبلغ ذلك خالداً وهو يتبع الثأر ويأخذ الصدقات ، فسار إليهم وقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقر وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل ، فانهزموا وبعث خالد بالفتح على أثره بعده بعشرين ليلة .

وأما بنو سليم فكان الفجاءة بن عبدالبيل قدم على أبي بكر يستعينه مدعيّاً إسلامه ويضمن له قتال أهل الردة فأعطاه وأمره ، وخرج إلى الجون وارتد وبعث نجبة بن أبي المثني من بني الشريد ، وأمره بشن الغارة على المسلمين في سليم وهوازن . فبعث أبو بكر إلى طريفة بن حاجر قائده على جرهم وأعانه بعبدالله بن قيس الحاسبي فنهضا إليه ولقياه ، فقتل نجبة وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسيره وجاء به إلى أبي بكر فأوقد له في مصلى المدينة خطباً ثم رمى به في النار مقموطاً ، وقاءت بنو سليم كلهم وفاء معهم أبو شجرة بن عبد العزى أبو الخنساء وكان فيمن ارتد .

خبر بني تميم وسجاح

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماله في بني تميم الزبرقان بن بدر على الرباب وعوف والأبناء وقيس بن عاصم على المقاعس والبطون وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو على بني عمرو ووكيع بن مالك على بني مالك ومالك بن نيرة على حنظلة^(٢) ، فجاء صفوان إلى أبي بكر حين بلغته الوفاة بصدقات بني عمرو ، وجاء الزبرقان بصدقات أصحابه ، وخالفه قيس بن عاصم في المقاعس والبطون لأنه كان ينتظره ، وبقي من أسلم منهم متشاعلاً بمن تربص أو ارتاب . وبينما هم على ذلك فجئتهم

(١) وفي نسخة ثانية : وقط .

(٢) وفي نسخة ثانية : على بني حنظلة .

سجاح^(١) بنت الحارث بن سويد من بني عققان أحد بطون تغلب وكانت تنبأت نبأ الوفاة ، واتبعها الهذيل بن عمران في بني تغلب وعقبة بن هلال في النمر والسلييل بن قيس في شيبان وزباد بن بلال وكان الهذيل نصرانياً فترك دينه إلى دينها ، وأقبلت من الجزيرة في هذه الجموع قاصدة المدينة لتغزو أبا بكر والمسلمين ، وانتهت إلى الحرف^(٢) فدهم بني تميم أمر عظيم لما كانوا عليه من اختلاف الكلمة ، فوادعها مالك بن نويرة وثناها عن الغزو وحرّضها^(٣) على بني تميم ففرّوا أمامها ، ورجع إليها وكيع بن مالك واجتمعت الرباب وضبة فهزموا أصحاب سجاح وأسروا منهم ، ثم اصطلحوا .

وسارت سجاح فيمن معها تريد المدينة فبلغت النباج فاعترضهم بنو الهجيم^(٤) فيمن تأشب^(٥) إليهم من بني عمرو وأغاروا عليهم فأسر الهذيل وعقبة ، ثم تحاجزوا على أن تطلق أسراهم ويرجعوا ولا يمتازوا عليهم ، ورجع عن سجاح مالك بن نويرة وكيع بن مالك إلى قومهم ويشت سجاح وأصحابها من الجواز عليهم ، ونهدت إلى بني حنيفة وسار معها من تميم الزبرقان بن بدر^(٦) وعطارد بن حاجب وعمرو بن الأهم وغيلان بن حريث^(٧) وشبث بن ربعي ونظراؤهم ، وصانعها مسيلمة بما كان فيه من مزاحمة ثمامة بن أثال له في الإمامة . وزحف شرحبيل بن حسنة والمسلمون إليه فاهدى لها واستأمنها وكانت نصرانية أخذت الدين من نصارى تغلب ، فقال لها مسيلمة : نصف الأرض لنا ونصف الأرض لقريش لكنهم لم يعدلوا فقد جعلت نصفهم لك . ويقال إنها جاءت إليه واستأمنته وخرج إليها من الحصن إلى قبة ضربت لها بعد أن جمرها^(٨) فدخل إليها وتحرك الحرس حوالي القبة فسجع لها وسجعت له من أسجاع القرية ، فشهدت له بالنبوة وخطبها لنفسه فتزوجته وأقامت عنده ثلاثاً ورجعت إلى

(١) وفي النسخة البارسية : سجاح .

(٢) وفي نسخة ثانية : الحرف .

(٣) وفي النسخة البارسية : فحملها على بني تميم .

(٤) وفي نسخة ثانية : النجم .

(٥) تأشب القوم : اختلطوا (قاموس) .

(٦) وفي النسخة البارسية : بن زيد .

(٧) وفي النسخة البارسية : بن حرسه .

(٨) أي نجّرها وطبّحها وفي النسخة البارسية خمرها .

قومها ، فعدلواها في الترويج على غير صداق فرجعت إليه فقال لها : ناد في أصحابك إني وضعت عنهم صلاة الفجر والعتمة مما فرض عليهم محمد ، وصالحته على أن يحمل لها النصف من غلات اليمامة فأخذته وسألت أن يسلفها النصف للعام القابل ، ودفعت الهذيل وعقبة لقضبه فهم على ذلك ، وإذا بخالد بن الوليد وعساكره قد أقبلوا فانقضت جموعهم وافترقوا ، ولحقت سجاح بالجزيرة فلم تزل في بني تغلب حتى نقل معاوية عام الجماعة بني عقفان عشيرتها إلى الكوفة ، وأسلمت حينئذ سجاح وحسن إسلامها . ولما افترق وفد الزبرقان والأقرع على أبي بكر وقالوا : إجعل لنا خراج البحرين ونحن نضمن لك أمرها ففعل وكتب لهم بذلك ، وكان طلحة بن عبيدالله يتردد بينهم في ذلك ، فجاء إلى عمر ليشهد في الكتاب فزقه ومجاه وغضب طلحة ، وقال لأبي بكر رضي الله عنه : أنت الأمير أم عمر رضي الله عنه ؟ فقال : عمر غير أن الطاعة لي . وشهد الأقرع والزبرقان مع خالد اليمامة والمشاهد كلها . ثم مضى الأقرع مع شرحبيل إلى دومة .

البطاح ومالك بن نورة

لما انضرفت سجاح إلى الجزيرة وراجع بنو تميم الإسلام أقام مالك بن نورة متحيراً في أمره واجتمع إليه من تميم بنو حنظلة واجتمعوا بالبطاح ، فسار إليهم خالد بعد أن تقاعد عنه الأنصار يسألونه انتظار أبي بكر ، فأبى إلا انتهاز الفرصة من هؤلاء ، فرجعوا إلى اتباعه ولحقوا به . وكان مالك بن نورة لما تردد في أمره فرق بني حنظلة في أموالهم ونهاهم عن القتال ورجع إلى منزله ، ولما قدم خالد بعث السرايا يدعون إلى الاسلام ويأتون بمن لم يجب أن يقتلوه ، فجاءوا بمالك بن نورة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع واختلفت السرية فيهم ، فشهد أبو قتادة أنهم أذنوا وصلوا فحبسهم عند ضرار بن الأزور وكانت ليلة ممطرة فنادى مناديه أن أدفنوا أسراكم وكانت في لغة كنانة كناية^(١) عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانياً . وسمع خالد الواقعة فخرج متأسفاً وقد فرغوا منهم ، وأنكر عليه أبو قتادة فزجره خالد ، فغضب ولحق بأبي بكر ويقال : إنهم لما جاءوا بهم إلى خالد خاطبه مالك بقوله : فعل صاحبكم شأن

(١) وفي نسخة أخرى : وكانت في لغته كناية .

صاحبكم فقال له خالد : أوليس لك بصاحب ؟ ثم قتله ^(١) وأصحابه كلهم ثم قدم خالد على أبي بكر وأشار عمر أن يقيد منه بمالك بن نويرة أو يعزله فأبى ، وقال : ما كنت أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين ، وودى مالكا وأصحابه وردّ خالداً إلى عمله .

خبر مسيلمة واليمامة

لما بعث أبو بكر عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة وأتبعه شرحبيل استعجل عكرمة فأنهزم وكتب إلى أبي بكر بالخبر ، فكتب إليه لا ترجع فتوهن الناس وامض إلى حذيفة وعرفجة فقاتلوا مهرة وأهل عمان فإذا فرغتم فامض أنت وجنودك واستنفروا من مررتهم عليه حتى تلقوا المهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت ، وكتب إلى شرحبيل يمضي إلى خالد فإذا فرغتم فامض أنت إلى قضاة فكن مع عمرو بن العاص على من ارتدّ منهم . ولما فرغ خالد من البطاح ورضي عنه أبو بكر بعثه نحو مسيلمة وأوعب معه الناس ، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن عازب ، وتعبّل خالد إلى البطاح وانتظر البعوث حتى قدمت عليه ، فنهض إلى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير يقال أربعون ألف مقاتل متفرقين في قراها وحجرها ، وتعبّل شرحبيل كما فعل عكرمة بقتال مسيلمة فنكب وجاء خالد فلامه على ذلك . ثم جاء خليط من عند أبي بكر مدداً لخالد ليكون رداً له من خلفه ففرت جموع كانت تجمعت هنالك من فلال سجاح ، وكان مسيلمة قد جعل لها جعلاً .

وكان الرجال ^(٢) بن عنفوة من أشراف بني حنيفة شهد لمسيلمة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه معه في الأمر لأن الرجال ، كان قد هاجر وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وتفقّه في الدين فلما ارتدّ مسيلمة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم معلماً لأهل اليمامة ومشغباً على مسيلمة فكان أعظم فتنة على بني حنيفة

(١) رثاه أخوه بقصيدة من أشجاء الشعر وأحزنه . منها :

لقد لآمني عند القبور على البكا
وقال أتبكي كل قبر رأيته
رفيقي لتندراف الدموع السواك
لقبر ثوى بين اللوى ، فالسدكادك ؟
فقلت له : إن الشجاء يبعث الشجاء
فدعني فهذا كله قبر مالك .

(٢) الرجال بوزن شداد بالجم ، قال في القاموس : ووهم من ضبطه بالحاء . واسمه على ما في البداية : نهار
أقاله نصر) وفي النسخة الباريسية الرجال

منه . واتبع مسيلمة على شأنه وشهد له وكان يؤذن لمسيلمة ويشهد له بالرسالة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فعظم شأنه فيهم وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره ، وكان مسيلمة يسجع لهم بأسجاع كثيرة يزعم أنها قرآن يأتيه ، ويأتي بمخارق يزعم أنها معجزات فيقع منها ضد المقصود .

ولما بلغ مسيلمة وبني حنيفة دنو خالد ، خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة ^(١) واستنفروا الناس فنفروا إليهم ، وأقبل خالد ولقيه شرحبيل بن حسنة فجعله على مقدمته ، حتى إذا كان على ليلة من القوم هجموا على مجاعة في سرية أربعين أوستين راجعين من بلاد بني عامر وبني تميم يثأرون فيهم فوجدوهم دون ثنية اليمامة فقتلوهم أجمعين ، وقيل له استبق مجاعة بن مرارة إن كنت تريد اليمامة فاستبق .

ثم سار خالد ونازل بني حنيفة ومسيلمة والرجال على مقدمة مسيلمة واشتدت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد ، ومجاعة بها أسير مع أم متمم ^(٢) زوجة خالد ، فدافعهم عنها مجاعة وقال : نعمت الحرة . ثم تراجع المسلمون وكروا على بني حنيفة فقال المحكم بن الطفيل : ادخلوا الحديقة يا بني حنيفة فاني أ منع أديباركم ، فقاتل ساعة ثم قتله عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تذامر المسلمون وقاتل ثابت بن قيس فقتل ثم زيد بن الخطاب ثم أبو حذيفة ثم سالم مولاه ثم البراء اخو أنس بن مالك وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ، ثم يثور كالأسد فقاتل وفعل الأفاعيل . ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون إلى الحديقة وفيها مسيلمة فقال البراء القوني عليهم من أعلى الجدار فاقنحهم ، وقاتلهم على باب الحديقة ودخل المسلمون عليهم ، فقتل مسيلمة وهو مزبد متساند لا يعقل من الغيظ ، وكان زيد بن الخطاب قتل الرجال بن عنفة . وكان خالد لما نازل بني حنيفة ومسيلمة ودارت الرحي عليه طلب البراز فقتل جماعة ، ثم دعا مسيلمة للبراز والكلام محادثة يحاول فيه غرة وشيطانه يوسوس إليه ، ثم ركب خالد فأرهبه وأدبروا وزالوا عن مراكزهم وركبهم المسلمون فانهزم ^(٣) . وتطايير الناس عن مسيلمة بعد أن

(١) وفي نسخة أخرى : ريف اليمن .

(٢) وفي رواية : غير أم تميم ، وفي النسخة الباريسية مع أم اميم .

(٣) اي فانهزم اصحاب مسيلمة .

قالوا له أين ما كنت تعدنا ؟ فقال : قاتلوا على أحسابكم . وأتاه وحشي فرماه بحرسته فقتل .

واقترح الناس عليه حديقة الموت من حيطانها وأبوابها فقتل فيها سبعة عشر ألف مقاتل من بني حنيفة ، وجاء خالد بمجاعة ووقفه على القتلى ليريه مسيلمة فرّ بمحكم فقال : هوذا ؟ فقال بمجاعة : هذا والله خير منه ، ثم أراه مسيلمة رويحل دميم أخينس ، فقال خالد : هذا الذي فعل فيكم ما فعل ، فقال بمجاعة : قد كان ذلك وإنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإنّ جماهيرهم في الحصون فهلم أصالحك على قومي . وقد كان خالد التقط من دون الحصون ما جاء من مال ونساء وصبيان ونادى بالتزول عليها فلما قال له بمجاعة ذلك قال له : أصالحك على ما دون النفوس . وانطلق يشاورهم فأفرغ السلاح على النساء ووقفن بالسور ثم رجع إليه وقال أبوا أن يحيزوا ذلك ، ونظر خالد إلى رؤس الحصون قد اسودّت والمسلمون قد نهكهم الحرب وقد قتل من الأنصار ما ينيف على الثلاثمائة وستين ، ومن المهاجرين مثلها ومن التابعين لهم مثلها أوزيدون ، وقد فشت الجراحات فيمن بقي ، فجنح إلى السلم فصالحه على الصفراء والبيضاء ، ونصف السبي والحلقة وحائط ومزرعة من كل قرية ، فأبوا فصالحهم على الربع فصالحوه . وفتحت الحصون فلم يجد فيها إلا النساء والصبيان فقال خالد : خدعتني يا مجاعة فقال : قومي ولم أستطع إلا ما صنعت فعقد له وخيرهم ثلاثاً فقال : له سلمة بن عمير لا نقبل صلحاً ونعتصم بالحصون ونبعث إلى أهل القرى فالطعام كثير والشتاء قد حضر ، فتشاءم بمجاعة برأيه وقال لهم لولا أنني خدعت القوم ما أجابوا إلى هذا ، فخرج معه سبعة من وجوه القوم وصالحوا خالداً وكتب لهم وخرجوا إلى خالد للبيعة والبراءة مما كانوا عليه . وقد أضمر سلمة بن عمير الفتك بخالد فطرده حين وقعت عينه عليه وأطلع أصحابه على غدره فأوثقوه وحبسوه ثم أفلت فاتبعوه وقتلوه . وكان أبو بكر بعث إلى خالد مع سلمة بن وقش إن أظفره الله أن يقتل من جرت عليه الموسى من بني حنيفة ، فوجده قد صالحهم فأتم عقده معهم ، ووفى لهم وبعث وفداً منهم إلى أبي بكر بإسلامهم فلقبهم وسألهم عن اسجاع مسيلمة فقصّوها عليه ، فقال سبحانه الله هذا الكلام ما خرج من إلا ولا يرّ فأين يذهب بكم عن أحلامكم وردّهم إلى قومهم .

ردّة الحطم وأهل البحرين

لما فرغ خالد من الإمامة ارتحل عنها إلى وادٍ من أوديتها وكانت عبد القيس وبكر بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قد ارتدوا بعد الوفاة وكذا المنذر بن ساوى من بعدها بقليل ، فأما عبد القيس فردّهم الجارود بن المعلى وكان قد وفد وأسلم ودعا قومه فأسلموا فلما بلغهم خبر الوفاة ارتدوا وقالوا لو كان نبياً ما مات فقال لهم الجارود تعلمون أن لله أنبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون أنهم ماتوا ومحمد صلى الله عليه وسلم قد مات ثم تشهد فتشهدوا معه وثبتوا على إسلامهم ، وخلوا بين سائر ربيعة وبين المنذر بن ساوى والمسلمين .

وقال ابن إسحق كان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه فلما كانت الوفاة وارتدت ربيعة ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمى المغرور ، فأقاموه ملكاً كما كان قومه بالحيرة ، وثبت الجارود وعبد القيس على الإسلام ، واستمر^(١) بكر بن وائل على الردّة ، وخرج الحطم بن ربيعة أخو بني قيس بن ثعلبة حتى نزل بين القطيف وهجر ، وبعث إلى دارين فأقاموا ليجعل عبد القيس بينه وبينهم ، وأرسل إلى المغرور بن سويد أخي النعمان بن المنذر وبعثه إلى جواثي^(٢) وقال اثبت فان ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة ، فحاصره المسلمون^(٣) بجواثي وجاء العلاء بن الحضرمي لقتال أهل الردّة بالبحرين ومر بالإمامة فاستنفر ثمانية بن أثال في مسلمة بني حنيفة وكان متردداً ، وألحق عكرمة بعمان ومهرة ، وأمر شرحبيل بالمقام حيث هو يغاور مع عمرو بن العاص أهل الردّة من قضاة ، عمرو يغاور سعداً وبلق وشرحبيل يغاور كلباً ولفها . ثم مرّ ببلاد بني تميم فاستقبله بنو الرباب وبنو عمرو^(٤) ومالك بن نويرة بالبطاح يقاتلهم ووكيع بن مالك يواقف عمرو بن العاص وقيس بن عاصم من المقاعس ، والبطون يواقف الزبرقان بن بدر والأبناء عوف وقد أطاعوه على الاسلام وحنظلة متوقفون . فلما رأى

(١) وفي النسخة الباريية : واستفحل أمر بكر .

(٢) وفي النسخة الباريية : إلى جوله .

(٣) وفي النسخة الباريية : فحاصر المسلمين .

(٤) وفي نسخة ثانية : بنو عمرو .

قيس بن عاصم تلقى الرباب وبني عمر^(١) وقدم وجاء بالصدقات إلى العلاء وخرج معه لقتال البحرين ، فسار مع العلاء من بني تميم مثل عسكره ونزل هجر وبعث إلى الجارود أن ينزل بعبد القيس الحطم وقومه مما يليه ، واجتمع المشركون إلى الحطم إلا أهل دارين ، والمسلمون إلى العلاء ، وخندقوا واقتتلوا وسمعوا في بعض الليالي ضوضاء شديدة أي جلبة وصياحاً وبعثوا من يأتيهم بخبرها فجاءهم بأن القوم سكارى ، فبیتوهم ووضعوا السيوف فيهم واقتحموا الخندق وفر القوم هرباً فتمرد وناج ومقتول ومأسور .

وقتل قيس بن عاصم الحطم بن ربيعة ، ولحق جابر بن بجير وضربه فقطع عصبه ومات ، وأسر عفيف بن المنذر والمغرور بن سويد وقال للعلاء : أجزني فقال له العلاء : أنت غررت بالناس ، فقال : لكني أنا مغرور ، ثم أرسل وأقام بهجر . ويقال إن المغرور اسمه وليس هو بلقب وقتل المغرور بن سويد بن المنذر وقسم الأنفال بين الناس ، وأعطى عفيف بن المنذر وقيس بن عاصم وثمame بن أثال من أسلاب القوم وثيابهم ، وقصد الفلال إلى دارين وركبوا السفين إليها ورجع الآخرون إلى قومهم .

وكتب العلاء إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل بالقعود لأهل الردة في السبل وإلى خصفة التميمي والمثنى بن حارثة بمثل ذلك ، فرجعوا إلى دارين وجمعهم الله بها . ثم لما جاءت كتب بكر بن وائل وعلم حسن إسلامهم أمر أن يؤتى من خلفه على أهل البحرين ثم لما ندب الناس إلى دارين وأن يستعرضوا البحر ، فارتحلوا واقتحموا البحر على الظهر ، وكلهم يدعو : يا أرحم الراحمين يا كريم يا حلیم يا أحد يا صمد يا حي يا محيي الموتى يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربنا . ثم أجازوا الخليج يمشون على مثل رمل مشياً فوقها ما يغمر أخفاف الإبل في مسيرة يوم وليلة ، فلقوا العدو واقتتلوا ، وما تركوا بدارين مخبراً وسبوا الذراري واستاقوا الأموال ، وبلغ نفل الفارس ستة آلاف والراجل ألفين .

ورجع العلاء إلى البحرين وضرب الإسلام بجرانه . ثم أرجف المرجفون بأن أبا شيبان وثعلبة والحرقد جمعهم مفروق الشيباني على الردة ، فوثق العلاء باللهازم وتقاربهم^(٢)

(١) وفي نسخة أخرى : يلقي الرباب وعمرو العلاء .

(٢) وفي نسخة أخرى : بأن اللهازم وتقاربهم .

وكانوا مجتمعين على نصره ، وأقبل العلاء بالناس فرجعوا إلى من أحب المقام ، وقتل ثمانية بن أثال فيهم . ومروا بقيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل فأروا خميصة الخطم عليه فقالوا هو قتله ! فقال : لم أقتله ولكن الأمير نفلنيها فلم يقبلوا وقتلوه . وكتب العلاء إلى أبي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الخطم قتله زيد وسميغ^(١) فكتب إليه أبو بكر إن بلغك عن بني ثعلبة ما خاض فيه المرجفون فابعث إليهم جنداً وأوصهم وشرّد بهم من خلفهم .

ردة أهل عمان ومهرة واليمن^(٢)

نبح بعمان بعد الوفاة رجل من الأزدي يقال له لقيط بن مالك الأزدي يسامى في الجاهلية الجئلندي فدفع عنها الملكين اللذين كانا بها ، وهما جيفر وعبد^(٣) ابنا الجئلندي ، فارتدّ وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين ، وبعث جيفر إلى أبي بكر بالخبر ، فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن من حمير وعرفجة البارقى ، حذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة ، وإن اجتمعا فالأمير صاحب العمل ، وأمرهما أن يكاتبا جيفر أو يأخذا برأيه . وقد كان بعث عكرمة إلى اليمامة ومسيلمة ووقعت عليه النكبة كما مرّ ، فأمره بالمسير إلى حذيفة وعرفجة ليقاتل معها عمان ومهرة ويتوجه إذا فرغ من ذلك إلى اليمن ، فمضى عكرمة فلحق بهما قبل أن يصلا إلى عمان ، وقد عهد إليهم أبو بكر أن ينتهوا إلى رأي عكرمة ، فراسلوا جيفراً وعبداً وبلغ لقيطاً مجيء الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعبد بصحار ، واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤساء الدين فقدموا بجيوشهم^(٤) ، ثم صمدوا إلى لقيط وأصحابه فقاتلوه ، وقد أقام لقيط عياله وراء صفوفه ، وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بني تاجية وعليهم الحريث^(٥) بن راشد ومن عبد القيس وعليهم سنجار بن صرصار^(٦) فانهمز العدو وظفر^(٧) المسلمون ، وقتلوا منهم نحواً من عشرة آلاف وسبوا الذراري والنساء

(١) وفي نسخة أخرى : سميغ .

(٢) وفي النسخة الباريسية : النمر . وفي الكامل ج ٢ ص ٣٧٤ ردة اليمن .

(٣) وفي نسخة ثانية : عبّاد .

(٤) وفي النسخة الباريسية : فارتضوا إليهم .

(٥) وفي نسخة ثانية : الحرّيت .

(٦) وفي نسخة ثانية : سيجار بن صوحان .

(٧) وفي النسخة الباريسية : وانحن .

وتمّ الفتح ، وقسموا الأنفال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفة وكان الخمس ثمانمائة رأس .

وأقام حذيفة بعان وسار عكرمة إلى مهرة وقد استنفر أهل عمان ومن حولها من ناحيته الأزدي وعبد القيس وبني سعيد من تميم ، فاقتحم مهرة بلادهم وهم على فرقتين يتنازعان الرياسة فأجابه أحد الفريقين ، وسار إلى الآخرين فهزمهم وقتل رئيسهم ، وأصابوا منهم ألفي نجبية . وأفاد المسلمون قوة بغنيمتهم وأجاب أهل تلك النواحي إلى الإسلام وهم أهل نجد والروضة والشاطئ والجزائر والمرو واللبان وأهل جيرة وظهور الشحر^(١) والفرات وذات الخيم ، فاجتمعوا كلهم على الإسلام ، وبعث إلى أبي بكر بذلك مع البشير وسارعوا إلى اليمن للقاء المهاجر بن أبي أمية كما عهد إليه أبو بكر .

بعوث العراق وصلاح الحيرة

ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث إليه أبو بكر في المحرم من سنة إثنتي عشرة فأمّره بالمسير إلى العراق ومرج الهند وهي الأبلّة منتهى بحر فارس في جهة الشمال قرب البصرة ، فيتألف أهل فارس ومن في مملكتهم من الأمم . فسار من اليمامة وقيل قدم على أبي بكر ثم سار من المدينة ، وانتهى إلى قرية بالسواد وهي بانقيا وبرسوما وصاحبها جابان ، فجاء صلوبا فصالحهم على عشرة آلاف دينار^(٢) فقبضها خالد ، ثم سار إلى الحيرة وخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائي الأمير عليها بعد النعمان بن المنذر ، فدعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو المناجزة ، فصالحوه على تسعين ألف درهم ، وقيل إنما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأبلّة ويدخل من أسفل العراق . وكتب إلى عياض بن غنم أن يبدأ بالمضيخ ويدخل من أعلى العراق ، وأمر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي وعياض بن عوف الحمي^(٣) ، وقد كان المثنى بن حارثة الشيباني استأذن أبا بكر في غزو العراق فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد ، فكتب أبو بكر إليه وإلى حرملة ومدعور وسلمان أن يلحقوا بخالد بالأبلّة وكانوا في ثمانية آلاف

(١) وفي نسخة ثانية : الشمر وفي الطبري ج ٣ ص ٢٦٤ : والصبرات .

(٢) وفي نسخة ثانية : باروسا والليس وكانت لابن صلوبا ، فصالحهم على عشرة آلاف دينار .

(٣) وفي نسخة ثانية : الحميري .

فارس ، ومع خالد عشرة آلاف ، فسار خالد في أول مقدمته المثني وبعده عدي بن حاتم وجاء هو بعدهما على مسيرة يوم بين كل عسكر ، وواعدهما الحفير ليجتمعوا به ويصادموا عدوهم وكان صاحب ذلك الفرج ^(١) من أساورة الفرس اسمه هرمز وكان يحارب العرب في البر والهند في البحر ، فكتب إلى أردشير كسرى بالخبر وتعجل هو إلى الكواظم في سرعان أصحابه حتى نزل الحفير ، وجعل على مجنبيه قباذ وأنو شجان يناسبانه في أردشير الأكبر واقتنوا بالسلاسل لثلاثا يفروا ، وأروا خالداً أنهم سبقوا إلى الحفير فمال إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها أيضاً . وكان للعرب على هرمز حنق لسوء مجاورته وقدم خالد فقتل قبالتهم على غير ماء وقال : جالدوهم على الماء فإن الله جاعله لأصبر الفريقين ، ثم أرسل الله سحابة فأغدرت من ورائهم .

ولما حطوا أثقالهم قدم خالد ودعا إلى التزال ^(٢) فبرز إليه هرمز وترجلا ثم اختلفا ضربتين فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز للغدر به فلم يشغله ذلك عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو فقتلهم وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون ، وسميت الواقعة ذات السلاسل . وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف ، وبعث بالفتح والأخماس إلى أبي بكر .

وسار فقتل بمكان البصرة وبعث المثني بن حارثة في آثار العدو فحاصر حصن المرأة فتحه وأسلمت فتزوجها ، وبعث معقل بن مقرن إلى الأبله ففتحها عتبة بن ^(٣) غزوان أيام عمر سنة أربع عشرة ، ولم يتعرض خالد وأصحابه إلى الفلاحين وتركهم وعامرة البلاد كما أمرهم أبو بكر ^(٤) . وكان كسرى أردشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد أمره بقارن بن فريانس فسار إلى المدار ^(٥) ولما انتهى إلى المدار ^(٦) لقيه المنهزمون من هرمز ومعهم قباذ وأنو شجان فتذا مروا ورجعوا ونزلوا النهر ، وسار إليهم خالد واقتلوا وبرزقان فقتله معقل بن الأعشى بن النباش وقتل عاصم أنوشجان وقتل عدي قباذ ، وانهزمت الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين ألفاً سوى من غرق ومنعت المياه

(١) وفي نسخة ثانية : المرج .

(٢) وفي النسخة الباريسية : إلى البراز .

(٣) وفي نسخة ثانية : عتبة .

(٤) وفي نسخة ثانية : كما أمر أبو بكر به .

(٥) وفي نسخة ثانية : فسار من المدائن .

(٦) وفي نسخة ثانية : الدار .

المسلمين من طلبهم . وكانت الغنيمة عظيمة وأخذ الجزية من الفلاحين وصاروا في ذمة ، ولم يقاتل المسلمين من الفرس بعد قارن أعظم منه ، وتسمى هذه الوقعة بالثني وهو النهر .

ولما جاء الخبر إلى أردشير بالهزيمة بعث الأندرزغر وكان فارساً من مولدي السواد فأرسل في اثره عسكرياً مع بهمن حاذويه ، وحشد الأندرزغر ما بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية والدهاقين وعسكروا بالولحة ، وسار إليهم خالد فقاتلهم وصبروا ، ثم جاءهم كمين من خلفهم فانهزموا ومات الأندرزغر عطشاً . وبذل خالد الأمان للفلاحين فصاروا ذمة ، وسبى ذراري المقاتلة ومن أعانهم وأصاب إثنين من نصارى بني وائل أحدهما جابر بن بجير والآخر ابن عبد الأسود من عجل فأسرهما ، وغضب بكر بن وائل لذلك فاجتمعوا على الليس ^(١) وعليهم عبد الأسود العجلي ، فكتب أردشير إلى بهمن حاذويه ، وقد أقام بعد الهزيمة كتاباً يأمره بالمسير إلى نصارى العرب بالليس فيكون معهم إلى أن يقدم عليهم جابان من المرازبة ، فقدم بهمن على أردشير ليشاوره وخالفه جابان إلى نصارى العرب من عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من الحيرة وهم مجتمعون على الليس . وسار إليهم خالد حين بلغه خبرهم ولا مشعر لهم بجابان ^(٢) ، فلما حط الأثقال سار إليهم وطلب المبارزة ، فبرز إليه مالك بن قيس فقتله خالد ، واشتد القتال بينهم وسائر المشركين ينتظرون قدوم بهمن ، ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمي نهر الدم ، ووقف على طعام الأعاجم وكانوا قعوداً للأكل فنقله المسلمين ، وجعل العرب يتساءلون عن الرقاق يحسبونه رقاعاً . وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً . ولما فرغ من الليس سار إلى أمعيشيا فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغنم جميع ما فيها وخرّبها .

(١) وفي نسخة أخرى : الليث .

(٢) وفي نسخة أخرى : ولا يشعر بجابان .

فتح الحيرة

ثم سافر خالد إلى الحيرة وحمل الرجال والأثقال في السفن ، وخرج ابن زيان من ^(١) الحيرة ومعه الأزادية فعسكر عند الغريين وأرسل ابنه ليقاطع الماء عن السفن ، فوقفت على الأرض . وسار إليه خالد فلقبه على فرات بأذقلا ^(٢) فقتله وجميع من معه ، وسار نحو أبيه على الحيرة فهرب بغير قتال لما كان بلغه من موت أردشير كسرى وقتل ابنه . ونزل خالد منزله بالغريين وحاصر قصور الحيرة وافتتح الديور وصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور فرجعوا على الاباية ، وخرج إياس بن قبيصة من القصر الأبيض ، وعمر بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن ببيعة ، وكان معمرأ وسأله خالد عن عجيبة قدرآها ، فقال : رأيت القرى ما بين دمشق والحيرة تسافر بينها المرأة فلا تتروذ إلا رغيفاً واحداً . ثم جاءه واستقرب منه ورأى مع خادمه كيساً فيه سم فأخذه خالد ونثره في يده ، وقال ما هذا ؟ قال خشيت أن تكونوا على غير ما وجدت فيكون الموت أحب إليّ من مكروه أدخله على قومي ، فقال له خالد : لن تموت حتى تأتي على أجلها . ثم قال : باسم الله الذي لا يضرك مع اسمه شيء وابتلع السم فزعك ساعة ثم قام كأنما نشط من عقال . فقال عبد المسيح : لتبلغن ما أردتم ما دام حد منكم هكذا . ثم صالحهم على مائة أو مائتين وتسعين ألفاً وعلى كرامة ^(٣) بنت عبد المسيح لشريك كان النبي صلى الله عليه وسلم عرّف بها إذا فتحت الحيرة فأخذها شريك ، واقتدت منه بألف درهم وكتب لهم بالصلح وذلك في أول سنة اثنتي عشرة .

فتح ما وراء الحيرة

كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع بأهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عمّا يلي الحيرة من الفلاليج وغيرها على ألف ألف وقيل على ألفي ألف سوى جباية كسرى ، وبعث خالد ضرار بن الأزور وضرار بن

(١) وفي نسخة أخرى : وخرج وزبان الحيرة .

(٢) وفي نسخة أخرى : بأذقلة .

(٣) رواية الدميري الشيا والصحابي هو أوس بن خزيمه ، انظر ترجمة البقلة (قاله نصر)

الخطاب والقعقاع بن عمرو والمثنى بن حارثة وعيينة بن الشماس فكانوا في الثغور وأمرهم بالغارة ، فمخروا السواد كله إلى شاطئ دجلة . وكتب إلى ملوك فارس : « أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ولو لم نفعل ذلك كان شراً لكم فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم إلا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » . وكتب إلى المرازبة : « أما بعد فالحمد لله الذي فض حذتكم وفرق كلمتكم وجفل حرمكم وكسر شركم فأسلموا تسلموا وإلا فاعتقدوا مني الذمة وأدوا الجزية وإلا فقد جتتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر » انتهى .

وكان العجم مختلفين بموت أردشير وقد أزالوا بهمن حاذويه فيمن سيره في العساكر ، فجبى خالد خراج السواد في خمسين ليلة ، وغلب العجم عليه ، وأقام بالحيرة سنة يصعد ويصوب ، والفرس حاثرون فيمن يملكونه ولم يجدوا من يجتمعون عليه لأن سيرين كان قتل جميع من تناسب إلى بهرام جور . فلما وصل كتاب خالد تكلم نساء آل كسرى وولوا الفخرزاد بن البندوان إلى أن يجدوا من يجتمعون عليه ، ووصل جرير ابن عبد الله البجلي إلى خالد بعد فتح الحيرة ، وكان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام ، ثم قدم على أبي بكر فكلمه أن يجمع له قومه كما وعده النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أوزاعاً^(١) متفرقين في العرب ، فسخط ذلك منه أبو بكر فقال : تكلمني^(٢) بما لا يعني وأنت ترى ما نحن فيه من فارس والروم . وأمره بالمسير إلى خالد فقدم عليه بعد فتح الحيرة .

فتح الأنبار وعين التمر وتسمى هذه الغزوة ذات العين

ثم سار خالد على تعيينه إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس ، وكان بالأنبار شيرزاد صاحب ساباط فحاصره ورشقوهم بالنبال حتى فقاؤا منهم ألف عين . ثم نحر ضعاف الإبل وألقاها في الخندق حتى ردمه بها وجاز هو وأصحابه فوقها ،

(١) الجماعات ولا واحد لها (قاموس) .

(٢) وفي النسخة الباريسية : تكلفني .

فاجتمع المسلمون والكفار في الخندق ، وصالح شيرزاد على أن يلحقوه بأمنه ويخلي لهم عن البلد وما فيها ، فلحق بيهم حاذويه . ثم استخلف خالد على الأنبار الزبرقان ابن بدر ، وسار إلى عين التمر وبها بهرام^(١) بن بهرام جويين في جمع عظيم من العجم ، وعقبة بن أبي عقبة في جمع عظيم من العرب ، وحولهم طوائف من النمر وتغلب وإياد وغيرهم من العرب . وقال عقبة لبهرام : دعنا وخالداً فالعرب أعرف بقتال العرب . فتركه لذلك واتقى به وسار عقبة إلى خالد وحمل خالد عليه وهو يقيم صفوفه ، فاحتضنه وأخذه أسيراً وانهزم العسكر عن غير قتال وأسر أكثرهم . وبلغ الخبر إلى بهرام^(٢) فهرب وترك الحصن وتحصن به المهزومون ، واستأمنوا لخالد فأبى ، فترلوا على حكمه فقتلهم أجمعين ، وعقبة معهم .

وغنم ما في الحصن وسبى عيالهم^(٣) وأولادهم وأخذ من البيعة وهي الكنيسة غلاماً كانوا يتعلمون الإنجيل ففرقهم في الناس منهم : سيرين أبو محمد ونصير أبو موسى وحرمان مولى عثمان ، وبعث إلى أبي بكر بالفتح والخمس . وقتل من المسلمين عمير ابن رباب السهمي من مهاجرة الحبشة وبشير بن سعد والد النعمان .

ولما فرغ خالد من عين التمر وافق وصول كتاب عياض بن غنم وهو على من بازائه من نصارى العرب بناحية دومة الجندل وهم بهرام^(٤) وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم ، وكانت رئاسة دومة لأكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة يقتسمانها ، وأشار أكيدر بصلح خالد فلم يقبلوا منه فخرج عنهم ، وبلغ خالد مسيره فأرسل من أعترضه فقتله وأخذ ما معه ، وسار خالد فترل دومة وعياض عليها من الجهة الأخرى ، وخرج الجودي لقتال خالد وأخرج طائفة أخرى لقتال عياض ، فانهزموا من الجهتين إلى الحصن فأغلق دونهم وقتل الجودي وافتتح الحصن عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية .

(١) وفي نسخة ثانية : مهران بن بهرام .

(٢) وفي نسخة ثانية : مهران .

(٣) وفي نسخة ثانية : إهليم .

(٤) وفي نسخة ثانية : بهرا .

الوقائع بالعراق

وأقام خالد بدومة الجندل فطمع الأعاجم في الحيرة وملأهم عرب الجزيرة غضباً لعقبة ، فخرج اسواران إلى الأنبار وانتهيا إلى الحصيد والخنافس ، فبعث القعقاع من الحيرة عسكريين حالاً بينهما وبين الريف ، ثم جاء خالد إلى الحيرة فعجل القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكى إلى لقائهما بالحصيد ، فقتل من العجم مقتلة عظيمة ، وقتل الأسواران ، وغنم المسلمون ما في الحصيد ، وانهمزت الأعاجم إلى الخنافس وبها اليهودان من الأساورة . وسار أبو ليلى في اتباعهم فهزم اليهودان إلى المضيق^(١) وكان بها الهذيل بن عمران وربيعة بن بجير من عرب الجزيرة غضباً لعقبة وجاء مدداً لأهل الحصيد ، فكتب خالد إلى القعقاع وأبي ليلى وواعدهما^(٢) المضيق ، وسار إليهم فتواقفا هنالك وأغاروا على الهذيل ومن معه من ثلاثة أوجه ، فأكثروا فيهم القتل ففر الهذيل في قليل ، وكان مع الهذيل عبد العزيز بن أبي رهم من أوس مناة وليد بن جرير وكان أسلماً وكتب لهما أبو بكر بإسلامها فقتلا في المعركة ، فوداهما أبو بكر وأوصى بأولادهما ، وكان عمر يعتمد بقتلها وقتل مالك بن نويرة على خالد .

ولما فرغ خالد من الهذيل بالمضيق واعد القعقاع وأبا ليلى إلى الثني شرقي الرصافة ليغير على ربيعة بن بجير التغلبي صاحب الهذيل الذي جاء معه لمدد الفرس ويبيتهم فلم يلق^(٣) منهم أحداً ، ثم اتبع الهذيل بعد مفروقه من المضيق إلى اليسير وقد لحق هنالك بعتاب بن أسيد فبيتهم خالد قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وسار إلى الرصافة وبها هلال بن عقبة فتفرق عنه أصحابه وهرب فلم يلق بها خالد أحداً . ثم سار خالد إلى الرضاب وإلى الفراض^(٤) وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة فحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح فارس ، واجتمعت معهم تغلب وإياد والنمر وساروا إلى خالد وطلبوا منه العبور ، فقال : اعبروا أسفل منا فعبروا وامتاز الروم من العرب ، فانهزمت الروم ذلك اليوم وقتل منهم نحو من مائة ألف . وأقام خالد على

(١) وفي نسخة ثانية : المضيق .

(٢) وفي نسخة ثانية : اودعها

(٣) وفي نسخة أخرى : وتبيتهم فلم يفلت منهم أحداً .

(٤) وفي نسخة أخرى : من الرضاب إلى الفراض .

الفراض إلى ذي القعدة ، ثم أذن للناس بالرجوع إلى الحيرة ، وجعل شجرة بن الأغر على الساقة . وخرج من الفراض حاجاً مكتماً بحجة وذهب يتعسف في البلاد حتى أتى مكة فحج ورجع فوافى الحيرة مع جنده ، وشجرة بن الأغر معهم ولم يعلم بحجه إلا من أعلمه به ، وعتب به أبو بكر في ذلك لما سمعه وكانت عقوبته إياه أن صرفه من غزو العراق إلى الشام . ثم شن خالد بن الوليد الغارات على نواحي السواد فأغار هو على سوق (١) بغداد ، وعلى قطربل ، وعقرقوما (٢) ، ومسكن ، وبادروبا . وحج أبو بكر في هذه السنة واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

بعوث الشام

وكان من أول عمل أبي بكر بعد عوده من الحج أن بعث خالد بن سعيد بن العاص في الجنود إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة ، وقيل إنما بعثه إلى الشام لما بعث خالد بن الوليد إلى العراق أول السنة التي قبلها ، ثم عزله قبل أن يسير لأنه كان لما قدم من اليمن عند الوفاة تخلف عن بيعة أبي بكر أياماً وغدا على عليّ وعثمان فغزها على الاستكانة لتيقن وهما رؤس بني عبد مناف فنهاء عليّ وبلغت الشيخين ، فلما ولاه أبو بكر عقد له عمر فعزله وأمره أن يقيم بتياء ويدعو من حوله من العرب إلى الجهاد حتى يأتيه أمره ، فاجتمعت إليه جموع كثيرة ، وبلغ الروم خبره فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهرا وسليح وكتب وغسان ولخم وجذام ، وسار إليهم خالد فغلبهم على منازلهم وافترقوا . وكتب له أبو بكر بالإقدام فسار متقدماً ولقيه البطريق ماهان من بطارقة الروم فهزمه خالد واستلحم الكثير من جنوده ، وكتب إلى أبي بكر يستمده ، ووافق كتابه المستنفرين وفيهم ذو الكلاع ومعه حمير وعكرمة بن أبي جهل ومن معه من تهامة والشحر (٣) وعمان والبحرين فبعثهم إليه . وحينئذ إهتم أبو بكر بالشام وكان عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً إلى عمان وعده أن يعيده إلى عمله عند فراغه من أمر عمان ، فلما جاء بعد الوفاة أعاده إليها أبو بكر إنجازاً لوعده صلى الله عليه وسلم تسليماً وهي صدقات سعد هذيم وبني عذرة ،

(١) وفي نسخة أخرى : شرق .

(٢) وفي نسخة أخرى : عقرقوف .

(٣) وفي نسخة أخرى : والسرّو .

فبعث إليه الآن يأمره باللاحاق بخالد بن سعيد لجهاد الروم وأن يقصد فلسطين ،
ويعث أيضا إلى الوليد بن عتبة وكان على صدقات قضاة وولاه الأردن ، وأمر يزيد
ابن أبي سفيان على جمهور من انتدب إليه فيهم سهيل بن عمرو وأشباهه ، وأمر أبا
عبدة بن الجراح على جميعهم وعين له حمص ، وأوصى كل واحد منهم .

ولما وصل المدد إلى خالد بن سعيد وبلغه توجه الامراء تعجل للقاء الروم قبلهم
فاستطرد له ماهان ودخل دمشق ، واقتحم خالد الشام ومعه ذو الكلاع وعكرمة
والوليد حتى نزل مرج الصفر^(١) عند دمشق فانطوت مسالح ماهان عليه وسدوا
الطريق دونه وزحف إليه ماهان ، ولقي ابنه سعيداً في طريقه فقتلوه وبلغ الخبر أباه
خالدا فهرب فيمن معه وانتهى إلى ذي المروة قرب المدينة . وأقام عكرمة رداءً من
خلفهم فردّ عنهم الروم فأقام قريباً من الشام .

وجاء شرحبيل بن حسنة إلى أبي بكر وافداً من العراق من عند خالد فندب معه
الناس وبعثه مكان الوليد إلى أردن ، ومّر بخالد ففصل ببعض أصحابه . ثم بعث أبو
بكر معاوية وأمره باللاحاق بأخيه يزيد ، وأذن لخالد بن سعيد بدخول المدينة .

وزحف الأمراء في العساكر نحو الشام ، فعبّى هرقل عساكر الروم ونزل حمص بعد
أن أشار على الروم بعدم قتال العرب ومصالحتهم على ما يريدون ، فأبوا ولجّوا ، ثم
فرّقهم على أمراء المسلمين ، - فبعث شقيقه تدارق^(٢) في تسعين ألفاً نحو عمرو بن
العاص بفلسطين ، وبعث جرجة بن توذر نحو يزيد بن أبي سفيان ، وبعث
الدراقص نحو شرحبيل بن حسنة بالأردن ، وبعث القيقلان^(٣) بن نستورس في
ستين ألفاً نحو أبي عبدة بالجالية . فهاجمهم المسلمون ثم رأوا أن الاجتماع أليق بهم ،
وبلغ كتاب أبي بكر بذلك فاجتمعوا باليرموك إحداً وعشرين ألفاً^(٤) . وأمر هرقل
أيضاً باجتماع جنوده ووعدهم بوصول ملحان إليهم رداءً^(٥) ، فاجتمعوا بجبال
المسلمين والوادي خندق بينهم ، فأقاموا بازائه ثلاثة أشهر ، واستمدوا أبا بكر فكتب

(١) بوزن سكر - مشدد .

(٢) هو فره دريك .

(٣) وفي نسخة أخرى : القيقار .

(٤) وفي نسخة أخرى : بضعة وعشرين ألفاً .

(٥) وفي النسخة الباريسية : مدداً .

إلى خالد بن الوليد أن يستخلف على العراق المثنى بن حارثة ويلحق بهم وأمره على جند الشام .

بعوث الشام

ولما استمد المسلمون أبا بكر بعث إليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثه في السير إليهم ، فنفذ خالد لذلك ووافى المسلمين مكانهم عندما وافى ماهان والروم أيضاً . وولى خالد قبالة وولى الأمراء قبل الآخرين أزاءهم فهزم ماهان ، وتتابع الروم على الهزيمة وكانوا مائتين وأربعين ألفاً وتقسموا بين القتل والغرق^(١) في الواقعة والهوي في الخندق ، وقتل صناديد الروم وفرسانهم ، وقتل تدارق أخو هرقل ، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون حمص فارتحل وأُخْلِدَ^(٢) إلى ما وراءها لتكون بينه وبين المسلمين وأصر^(٣) عليها وعلى دمشق . ويقال إن المسلمين كانوا يومئذ ستة وأربعين ألفاً : سبعة وعشرين منها مع الأمراء ، وثلاثة آلاف من إمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد ، وستة آلاف ثبتوا مع عكرمة رداء بعد خالد بن سعيد . وأن خالد بن سعيد ساهم^(٤) كراديس ستة وثلاثين كردوساً لما رأى الروم تعبوا كراديس ، وكان كل كردوس ألفاً وكان ذلك في شهر جمادى ، وأن أبا سفيان بن حرب أبلى يومئذ بلاءً حسناً بسعيه وتحريضه .

قالوا وبينما الناس في القتال قدم البريد من المدينة بموت أبي بكر وولاية عمر ، فأسرّه إلى خالد وكتبه عن الناس . ثم خرج جرحه من أمراء الروم فطلب خالداً وسأله عن أمره وأمر الإسلام ، فوعظه خالد فاستبصر وأسلم وكانت وهناً على الروم . ثم زحف خالد بجماعة من المسلمين فيهم جرحه فقتل من يومه ، واستشهد عكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو ، وأصيب عيين أبي سفيان ، واستشهد سلمة بن هشام وعمرو وأبان ابنا سعيد وهشام بن العاص وهبار^(٥) بن سفيان والطُفَيْل بن عمرو ، وأثبت

(١) وفي نسخة أخرى : الطرق .

(٢) وفي نسخة أخرى : وأجاز

(٣) وفي نسخة أخرى : وأمر

(٤) وفي نسخة أخرى : عباهم

(٥) وفي نسخة أخرى : سيار

خالد بن سعيد فلا يعلم أين مات بعد ويقال استشهد في مرج الصُفَر في الواقعة الأولى .

ويقال إنَّ خالداً لما جاء من العراق مدداً للمسلمين بالشام طلب من الأدلاء أن يغوروا به حتى يخرج من وراء الروم ، فسلك به رافع بن عمرو الطائي من فزارة في بلاد كلب حتى خرج إلى الشام ونحر فيها الإبل وأغار على مضيق^(١) فوجد به رفقة^(٢) فقتلهم وأسلمهم ، وكان الحرث بن الأيهم وغسان قد اجتمعوا بمرج راهط فسلك إليهم واستباحهم ، ثم نزل بصرى ففتحها ، ثم سار منها إلى المسلمين بالواقصة فشهد معهم اليرموك . ويقال : إنَّ خالداً لما جاء من العراق إلى الشام لقي أمراء المسلمين ببصرى فحاصروها جميعاً حتى فتحوها على الجزية ، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمر بن العاص ، وعمر وبالغور والروم يخلق مع تدارق أخي هرقل ، وكشفوا عن جلق إلى أجنادين وراء الرملة شرقاً ، ثم تراحف الناس فاقتتلوا ، وانهزم الروم وذلك في منتصف جمادى الأولى من السنة ، وقتل فيها تدارق ، ثم رجع هرقل ولقي المسلمين بالواقصة عند اليرموك ، فكانت واقعة اليرموك كما قدّمنا في رجب بعد أجنادين ، وبلغت المسلمين وفاة أبي بكر وأنها كانت لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة .

خلافة عمر رضي الله عنه

ولما احتضر أبو بكر عهد إلى عمر رضي الله عنها بالأمر من بعده بعد أن شاور عليه^(٣) طلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه ، فاثنوا على رأيه ، فأشرف على الناس وقال : إني قد استخلفت عمر ولم آل لكم نصحاً فاسمعوا له وأطيعوا . ودعا عثمان فأمره فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر ، إني استعملت عليكم عمر ابن الخطاب ولم آل لكم خيراً ، فإن صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه ، وإن

(١) وفي نسخة أخرى : مضيق .

(٢) وفي النسخة الباريسية . فصبح به رفعه

(٣) وفي نسخة أخرى : علياً وطلحه ...

جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» .

فكان أول ما أنفذه من الأمور عزل خالد عن إمارة الجيوش بالشام وتولية أبي عبيدة ، وجاء الخبر بذلك والمسلمون واقفون عدوهم في اليرموك فكتب أبو عبيدة الأمر كله ، فلما انقضى أمر اليرموك كما مرّ سار المسلمون إلى فحل من أرض الأردن وبها رافضة^(١) الروم وخالد على مقدمة الناس فقاتلوا الروم .

فتح دمشق

واقتحموها عنوة وذلك في ذي القعدة ولحقت رافضة الروم بدمشق وعليها ماهان من البطارقة فحاصروهم المسلمون حتى فتحوا دمشق ، وأظهر أبو عبيدة إمارته وعزل خالد . وقال سببه أن أبا بكر كان يسخط خالد بن سعيد والوليد بن عقبة من أجل فرارهما كما مرّ ، فلما ولي عمر رضي الله عنه أباح لهما دخول المدينة ثم بعثهما مع الناس إلى الشام ، ولما فرغ أمر اليرموك وساروا إلى فحل وبلغ عمر خبر اليرموك فكتب فعزل خالد بن الوليد وعمر بن العاص حتى يصير الحرب إلى فلسطين فيتولاها عمرو ، وأن خالداً قدم على عمر بعد العزل وذلك بعد فتح دمشق وأنهم ساروا إلى فحل فاقتحموها ، ثم ساروا إلى دمشق وعليها نسطاس بن نسطورس فحاصروها سبعين ليلة وقيل ستة أشهر من نواحيها الأربع ، خالد وأبو عبيدة ويزيد وعمرو كل واحد على ناحية . وقد جعلوا بينهم وبين هرقل مدينة حمص ومن دونها ذوالكلاع في جيش من المسلمين ، وبعث هرقل المدد إلى دمشق وكان فيهم ذوالكلاع فسقط في أيديهم وقدموا على دخول دمشق وطمع المسلمون فيهم ، واستغفلهم خالد في بعض الليالي فتسور سورهم من ناحيته وقتل الوليد وفتح الباب واقتحم البلد وكبروا وقتلوا جميع من لقوه . وفرغ أهل النواحي إلى الأمراء الذين يلونهم فتادوا لهم بالصلح والدخول ، فدخلوا من نواحيهم صلحاً فأجريت ناحية خالد على الصلح مثلهم .

قال سيف : وبعثوا إلى عمر بالفتح فوصل كتابه بأن يصرف جند العراق إلى العراق ، فخرجوا وعليهم هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع . وخرج الأمراء إلى فحل وأقام يزيد بن أبي سفيان بدمشق ، وكان الفتح في رجب سنة أربع عشرة . وبعث

(١) وفي نسخة ثانية : واقعة الروم

يزيد دحية الكلبي إلى تدمر ، وأبا الأزاهر القشيري إلى حوران والبشة^(١) ، فصالحوهما ووليا عليهما . ووصل الأمراء الى فحل فبيتهم الروم فظفر المسلمون بهم وهزموهم فقتل منهم ثمانون ألفاً وكان على الناس في وقعة فحل شرحبيل بن حسنة ، فسار بهم إلى بيسان وحاصرها فقتل مقاتلتها وصالحه الباقر فقبل منهم . وكان أبو الأعور السلمي على طبرية محاصراً لها ، فلما بلغهم شأن بيسان صالحوه فكمل فتح الأردن صلحاً ونزلت القواد في مدائنهم وقرأها وكتبوا إلى عمر بالفتح . وزعم الواقدي أن اليرموك كانت سنة خمس عشرة وأن هرقل انتقل فيها من أنطاكية إلى قسطنطينية وأن اليرموك كانت آخر الوقائع . والذي تقدم لنا من رواية سيف أن اليرموك كانت سنة ثلاث عشرة وأن البريد بوفاة أبي بكر قدم يوم هربت الروم فيه ، وأن الأمراء بعد اليرموك ساروا إلى دمشق ففتحوها ثم كانت بعدها وقعة فحل ، ثم وقائع أخرى قبل شخوص هرقل والله أعلم .

خبر المثنى بالعراق بعد مسير خالد الى الشام

لما وصل كتاب أبي بكر إلى خالد بعد رجوعه من حجه بأن ينصرف إلى الشام أميراً على المسلمين بها ويخرج في شطر الناس ويرجع بهم إذا فتح الله عليه إلى العراق ويترك الشطر الثاني بالعراق مع المثنى بن حارسة ، وفعل ذلك خالد ومضى لوجهه ، وأقام المثنى بالحيرة ورتب المصالح . واستقام أهل فارس بعد خروج خالد بقليل على شهر يار^(٢) بن شيرين بن شهر يار ممن يناسبه إلى كسرى أبي سابور وذلك سنة ثلاث عشرة ، فبعث إلى الحيرة هرْمُز فاقتلوا هنالك قتلاً شديداً بعدوة الضراء وغار الفيل بين الصفوف فقتله المثنى وناس معه ، وانهمز أهل فارس واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى انتهوا إلى المدينة ، ومات شهر يار إثر ذلك وبقي ما دون دجلة من السواد في أيدي المسلمين .

ثم اجتمع أهل فارس من بعد شهر يار على آرميدخت ولم ينفذ لها أمر فخلعت ، وملك سابور بن شهر يار وقام بأمره الفرخزاذ بن البندوان وزوجه آرميدخت ،

(١) وفي نسخة ثانية : والبشة .

(٢) وفي نسخة أخرى : شهر يار .

فغضب وبعث^(١) إلى سياوخش وكان من كبار الأساورة وشكت إليه ، فأشار عليها بالقبول . وجاءه ليلة العرس فقتل الفرخزاد ومن معه ، ونهض إلى سابور فحاصره ثم اقتحم عليه فقتله ، وملك آزر ميدخت وتشاغل بذلك آل ملكها^(٢) حتى انتهى شأن أبي بكر وصار السواد في سلطانه ، وتشاغل أهل فارس عن دفاع المسلمين عنه .

ولما أبطأ خبر أبي بكر على المشني استخلف المشني على الناس بشر بن الخصاصية وخرج نحو المدينة يستعلم ويستأذن ، فقدم وأبو بكر يجود بنفسه وقد عهد إلى عمر وأخبره الخبر ، فأحضر عمر وأوصاه أن يندب الناس مع المشني وأن يصرف أصحاب خالد من الشام إلى العراق ، فقال عمر : يرحم الله أبا بكر علم أنه تستر في إمارة خالد فأمرني بصرف أصحابه ولم يذكره .

ولاية أبي عبيد بن مسعود على العراق ومقتله

ولما ولي عمر ندب الناس مع المشني بن حارثة أياماً وكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ، وقال عمر للناس : إن الحجاز ليس لكم بدار إلا النجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك أين المهاجرون عن موعد الله ؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتب أن يورثكموها . فقال : ليظهره على الدين كله فالله مظهر دينه ومعز ناصره ومولي أهله مواريث الأمم . أين عباد الله الصالحون ؟ فانتدب أبو عبيد الثقفي ، ثم سعد بن عبيد الانصاري ، ثم سليط بن قيس ، فولّى أبا عبيد على البعث لسبقه ، وقال : إسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر ولا تجتهد مسرعاً بل اتئد فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف . ولم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلا لسرعته إلى الحرب ، وفي السرعة إلى الحرب إلا عن بيان ضياع والله لولا سرعته لأمرته . فكان بعث أبي عبيد هذا أول بعث بعثه عمر ، ثم بعث بعده يُغلي^(٣) بن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران

(١) وفي نسخة أخرى : زوجة آزر ميدخت ، فغضبت وبعثت .

(٢) وفي نسخة أخرى : وتشاغلوا بذلك عن ملكها .

(٣) وفي نسخة أخرى : بعلي .

لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في مرضه ، وقال أخبرهم أنا نجلهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك دينان بأرض العرب ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم وفاء بدمتهم كما أمر الله .

قالوا : فخرج أبو عبيد مع المثني بن حارثة وسعد وسليط إلى العراق ، وقد كانت بوران بنت كسرى كلما اختلفت الناس بالمداثن عدلت بينهم حتى يصطلحوا ، فلما قتل الفرخزاد بن البندوان وملكت آرميدخت اختلف أهل فارس واشتغلوا عن المسلمين غيبة المثني كلها ، فبعثت بوران إلى رستم تستحثه للقدوم وكان على فرج^(١) خراسان ، فأقبل في الناس إلى المداثن وعزل الفرخزاد وفقاً عين آرميدخت ونصب بوران ، فلما حضرته مرازية فارس فأسلموا له ورضوا به وتوجه . وسبق المثني إلى الحيرة ، ولحقه أبو عبيد ومن معه . وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ويبعث في كل رستاق رجلاً لذلك ، فكان في فرات بأذقلاجابان وفي كسكرنرسي ، وبعث جنداً لمصادمة المثني فساروا واجتمعوا أسفل الفرات . وخرج المثني من الحيرة خوفاً أن يوثق من خلفه ، فقدم عليه أبو عبيد ، ونزل جابان النمارق ومعه جمع عظيم ، فلقيه أبو عبيد هناك وهزم الله أهل فارس وأسر جابان ثم أطلق ، وساروا في المنهزمين حتى دخلوا كسكر وكان بها نرسي ابن خالة كسرى فجمع الفالة إلى عسكره ، وسار إليهم أبو عبيد من النمارق في تعييته ، وكان على مجنبي نرسي نفدويه وشيرويه^(٢) إينا بسطام خال كسرى .

واتصلت هزيمة جابان ببوران ورستم فبعثوا الجالانوس مدداً لنرسي وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر فاشتد القتال وانهزمت الفرس ، وهرب نرسي وغنم المسلمون ما في عسكره ، وبعث أبو عبيد المثني وعاصماً فهزموا من كان تجمع من أهل الرساتيق وخربوا وسبوا وأخذوا الجزية من أهل السواد وهم يترصدون قدوم الجالانوس . ولما سمع به أبو عبيد سار إليه على تعييته فانهمز الجالانوس وهرب ورجع أبو عبيد فترل الحيرة ، وقد كان عمر قال له : «إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والخزي تقدم على قوم تجرأوا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجعلوه فانظر كيف تكون

(١) الفرّج : الخلل بين الشيتين ، الثغر ، فرج الوادي : بطنه . فرج الطريق : مته .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بندويه وتبروية .

وأحرز لسانك ولا تفش سرّك فإنّ صاحب السرّ ما ضبط متحصن لا يؤتّى من وجه
بكرهه وإذا ضيّعه كان بمضيعة» .

ولما رجع الجالنتوس إلى رستم بعث بهمن حادويه ذا الحاجب إلى الحيرة فأقبل ومعه
درفش كايان راية كسرى عرض ثمانية أذرع في طول إثني عشر من جلود النمر فتزل في
الناطف على الفرات ، وأقبل أبو عبيد فتزل عدوته وقعد إلى أن نصبوا للفريقين جسراً
على الفرات ، وخيّرهم بهمن حادويه في عبوره أو عبورهم ، فاختر أبو عبيد العبور
وأجاز إليهم . وماجت الأرض بالمقاتلة ونفرت خيول المسلمين وكراديسهم من الفيلة ،
وأمر بالتخفيف عن الخيل فترجل أبو عبيد والناس وصافحوا العدو بالسيف ،
ودافعتم الفيلة فقطعوا وضنها^(١) فسقطت رحالها وقتل من كان عليها ، وقابل أبو
عبيد فيلاً منهم فوطئه بيده وقام عليه فأهلكه . وقتلهم الناس ثم انهزموا عن المثنى
وسبقه بعض المسلمين إلى الجسر^(٢) فقطعه ، وقال : موتوا أو تظفروا . وتوائب
بعضهم الفرات ففرقوا وأقام المثنى وناس معه مثل عروة بن زيد الخيل وأبي محجن
الثقي وأنظارهم ، وقاتل أبو زيد الطائي كان نصرانياً قدم الحيرة لبعض أمره فحضر
مع المثنى وقاتل حينئذ حميّة ، ونادى المثنى الذين عبروا من المسلمين فعقدوا الجسر
وأجاز بالناس ، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس فانفض أصحابه إلى
المدينة وبقي المثنى في فله جريحاً .

وبلغ الخبر إلى عمر فشق^(٣) عليه وعذر المنهزمين ، وهلك من المسلمين يومئذ أربعة
آلاف قتلى وغرقى وهرب ألفان وبقيت ثلاثة آلاف . وبينما بهمن حادويه يروم العبور
خلف المسلمين أتاه الخبر بأن الفرس ثاروا برستم مع الفيرزان فرجع إلى المدائن ،
وكانت الوقعة في مدائن سنة ثلاث عشرة . ولما رجع بهمن حادويه أتبعه جابان ومعه
مردار شاه^(٤) ، وخرج المثنى في أثرهما فلما أشرف عليهما أتياه يظنان أنه هارب
فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل الليس على أصحابهما فأتو بهم أسرى وعقدوا معه
مهادنة وقتل جميع الأسرى .

(١) ج وضين ، الوضين للهودج بمنزلة الخزام للسرّج (قاموس)

(٢) وفي النسخة الباريسية : إلى الحصن .

(٣) وفي النسخة الباريسية : اشتد عليه .

(٤) وفي نسخة أخرى : مردان شاه

ولمّا بلغ عمر رضي الله عنه وقعة أبي عبيد بالجسر ندب الناس إلى المثنى ، وكان فيمن ندب بجيلة وأمرهم إلى جرير بن عبدالله لأنه الذي جمعهم من القبائل بعد أن كانوا مفترقين ووعدّه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وشغل عن ذلك أبو بكر بأمر الردّة ووفّى له عمر به وسيّره مدداً للمثنى بالعراق ، وبعث عصمة بن عبدالله الضبيّ ، وكتب إلى أهل الردّة بأن يوافوا المثنى وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب ، فوافوه^(١) في جموع عظيمة حتى نصارى النمر جأؤه وعليهم أنس بن هلال ، وقالوا : نقاتل مع قومنا . وبلغ الخبر إلى رستم والفيروزان فبعثا مهران الهمداني إلى الحيرة والمثنى بين القادسية وخفان ، فلما بلغه الخبر استبقى فرات باذقلا وكتب بالخبر إلى جرير وعصمة ان يقصدا العُدَيْب مما يلي الكوفة ، فاجتمعوا هنالك ومهران قبالتهم عدوة الفرات وتركوا له العبور فأجاز إليهم . وسار إليه المثنى في التعبية وعلى مجنبيته مهران مرزبان الحيرة من الأزدية^(٢) ومردار شاه ، ووقف المثنى على الرايات يحرض الناس فأعجلتهم فارس وخالطوهم وركدت حربهم واشتدت ، ثم حمل المثنى على مهران فأزاله عن مركزه ، وأصيب مسعود أخو المثنى ، وخالط المثنى القلب ووثب المجنبات على المجنبات قبالتهم فانهزمت الفرس ، وسبقهم^(٣) المثنى إلى الجسر فهربوا مصعبين ومنحدرين ، واستلحمتهم خيول المسلمين وقتل فيها مائة ألف أو يزيدون ، وأحصى مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة . وتبعهم المسلمون إلى الليل ، وأرسل المثنى في آثار الفرس ، فبلغوا ساباط فغنموا وسبوا ساباط^(٤) واستباحوا القرى وسخّروا السواد بينهم وبين دجلة لا يلقون مانعاً . ورجع المنهزمون إلى رستم فاستهانوا ورضوا أن يتركوا ما وراء دجلة .

ثم خرج المثنى من الحيرة واستخلف بشير بن الخصاصية وسار نحو السواد ونزل الليس من قرى الأنبار فسميت الغزاة ، غزاة الأنبار الآخرة وغزاة الليس الآخرة ، وجاءت إلى المثنى عيون فدلته على سوق الخنافس وسوق بغداد ، وأن سوق الخنافس أقرب ويجتمع بها تجار المدائن والسواد وخفراؤهم ربيعة وقضاة ، فركب إليها وأغار عليها

(١) وفي النسخة الباريسية : فوافقه .

(٢) وفي نسخة أخرى : ابن الازادية .

(٣) وفي النسخة الباريسية : وساقهم .

(٤) وفي النسخة الباريسية : فبلغوا السيب فغنموا وسبوا وبلغوا ساباط .

يوم سوق ، فاشتف السوق وما فيها وسلب الخفراء ورجع إلى الأنبار فأتوه بالعلوفة والزاد وأخذ منهم أدلاء تظهر له المدائن وسار بهم إلى بغداد ليلاً ، وصبح السوق فوضع فيهم السيف وأخذ ما شاء من الذهب والفضة والجيد من كل شيء . ثم رجع إلى الأنبار وبعث المضارب العجلي إلى الركان^(١) وبه جماعة من تغلب فهربوا عنه ، ولحقهم المضارب فقتل في أخرياتهم وأكثر . ثم سرح فرات بن حيان التغلبي وعتيبة ابن النهاس للإغارة على أحياء من تغلب بصفين ، ثم اتبعها المشي بنفسه فوجدوا أحياء صفين قد هربوا عنها فعبر المشي إلى الجزيرة ، وفي زادهم وأكلوا وراحلهم وأدركوا عيراً من أهل خفان^(٢) ، فحضر نفر من تغلب فأخذوا العير ودلهم أحد الخفراء على حي من تغلب ساروا إليه يومهم ، وهجموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واستاقوا الأموال ، وكان هذا الحي بوادي الروحلة ، فاشتري أسراهم من كان هنالك من ربيعة بنصبيهم من النيء وأعتقوهم وكانت ربيعة لا تسبي في الجاهلية . ولما سمع المشي أن جميع من يملك البلاد قد انتجع شاطيء دجلة خرج في اتباعهم فأدركهم بتكريت ، فغنم ما شاء وعاد إلى الأنبار ، ومضى عتيبة وفرات حتى أغارا على النمر وتغلب بصفين ، وتمكن رعب المسلمين من قلوب أهل فارس وملكوا ما بين الفرات ودجلة .

أخبار القادسية

ولما دهم أهل فارس من المسلمين بالسواد ما دهمهم وهم مختلفون بين رستم والفيروزان واجتمع عظماءهم وقالوا لها إما أن تجتمعا وإلا فنحن لكما حرب فقد عرضتمونا للهلكة وما بعد بغداد وتكريت إلى المدار^(٣) فأطاعا لذلك ، وفزعوا إلى بوران يسألونها في ولد من آل كسرى يولونه عليهم ، فأحضرت لهم النساء والسراي وبسطوا عليهن العذاب فذكروا لهم غلاماً من ولد شهر يار بن كسرى اسمه يزدجرد أخذته أمه عندما قتل شيرويه أبناء أبيه ، فسألوا أمه عنه فدلتهم عليه عند أخواله كانت أودعته عندهم حينئذ فجاءوا به ابن إحدى وعشرين سنة فملكوه واجتمعوا عليه ، وتبارى

(١) وفي نسخة أخرى الكيات .

(٢) ويقال أهل دبا .

(٣) وفي نسخة أخرى : المدائن .

المزاربة في طاعته وعين المسالحو الجنود لكل ثغر ومنها الحيرة والأبلة والأنبار وخرجوا إليها من المدائن .

وكتب المثنى بذلك إلى عمر ، وبينما هو ينتظر الجواب انتفض أهل السواد وكفروا وخرج المثنى إلى ذي قار ، ونزل الناس في عسكر واحد . ولمّا وصل كتابه إلى عمر قال : « والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب » ، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي وشرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس ، وكتب إلى المثنى يأمره بخروج المسلمين من بين العجم والتفرّق في المياه بجياهم ، وأن يدعو الفرسان وأهل النجدات من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعاً وكرهاً ، فتزل المسلمون بالحلة ^(١) وسروا ^(٢) إلى عصبى وهو جبل البصرة متناظرين ، وكتب إلى عمّاله على العرب أن يبعثوا إليه من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي وخرج إلى الحج ، فحجّ سنة ثلاث عشرة ، ورجع فجاءته أفواجهم إلى المدينة ، ومن كان أقرب إلى العراق انضمّ إلى المثنى ، فلمّا اجتمعت عنده إمداد العرب خرج من المدينة واستخلف عليها عليّاً وعسكر على صرار من ضواحيها ، وبعث على المقدمة طلحة وجعل على المجنبتين عبد الرحمن والزبير وانهم أمره على الناس ، ولم يطق أحد سؤاله ، فسأله عثمان . فأحضر الناس واستشارهم في المسير إلى العراق فقال العامة : سر نحن معك فوافقهم ، ثم رجع إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحضر عليّاً وطلحة والزبير وعبد الرحمن واستشارهم فأشاروا بمقامه وأن يبعث رجلاً بعده آخر من الصحابة بالجنود حتى يفتح الله على المسلمين ويهلك عدوهم ، فقبل ذلك ورأى فيه الصواب . وعين لذلك سعد بن أبي وقاص وكان على صدقات هوزان فأحضره وولّاه حرب العراق وأوصاه وقال : « يا سعد بن أم سعد لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فإنّ الله لا يحو السيء بالسيء ولكنه يحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته فالتاس في دين الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر » .

ثم سرّحه في أربعة آلاف ممن اجتمع إليه فيهم : حميضة بن النعمان بن حميضة على

(١) وفي نسخة أخرى : بالجلّ .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وسراق .

بارق ، وعمرو بن معدي كرب وأبو سبرة بن أبي رهم على مذبح ، ويزيد بن الحرث الصدائي على عذرة ، وخبب ومسلية وبشر بن عبدالله الهلالي على قيس عيلان ، والحصين بن نمير ومعاوية بن حديج على السكون وكندة . ثم أمر بعد خروجه بالقي بماني وألني فخرى . وسار سعد وبلغه في طريقه يزروود^(١) أن المثنى مات من جراحة انتقضت ، وأنه استخلف على الناس بشير بن الخصاصية ، وكانت جموع المثنى ثلاثة آلاف ، وكذلك أربعة آلاف من تميم والرباب وأقاموا ، وعمر ضرب على بني أسد أن يتزلوا على حد أرضهم ، فترلوا في ثلاثة آلاف وأقاموا بين سعد والمثنى ، وسار سعد إلى سيراف فترها ، واجتمعت إليه العساكر ولحقه الأشعث بن قيس ومعه ثلاثون ألفاً ، ولم يكن أحد أجراً على الفرس من ربيعة ، ثم عبى سعد كتائب من سيراف وأمر الأمراء وعرف على كل عشرة عريفاً ، وجعل الرايات لأهل السابقة ورتب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع وكل ذلك بأمر عمر ورأيه ، وبعث في المقدمة زهرة بن عبدالله بن قتادة الحيوي من بني تميم فانهى إلى العذيب ، وعلى الإمامة عبدالله بن المعتمر ، وعلى المسيرة شرحبيل بن السمط وخليفة بن خالد بن عرفطة حليف بني عبد شمس وعاصم بن عمر التميمي ، وسواد بن مالك التميمي على الطلائع ، وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة . ثم سار على التعبية ولقيه المهني^(٢) بن حارثة الشيباني بسيراف ، وقد كان بعد موت أخيه المثنى سار بذي قار إلى قابوس واستلحمه ومن معه ورجع إلى ذي قار .

وجاء إلى سعد بالخبر ليعلمه بوصية المثنى إليه أن لا تدخلوا بلاد فارس وقتلواهم على حد أرضهم باديء حجر من أرض العرب ، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وإلا رجعت إلى فئة ثم تكونوا أعلم بسبيهم وأجراً على أرضهم إلى أن يرده الله الكرب . فترحم سعد ومن معه على المثنى وولى أخاه المهني على عمله وترّوج سلمى زوجته ، ووصله كتاب عمر بمثل رأي المثنى يسأله عن سيراف . ونزل العرب ثم أتى القادسية فترها بجيال القنطرة بين العتيق والخندق ، ووصله كتاب عمر يؤكد عليهم في الوفاء بالأنبار ولو كان إشارة أو ملاعبة ، وكان زهرة في المقدمة فبعث سرية للإغارة على الحيرة عليها بكر بن عبدالله الليثي ، وإذا أخت مرزبان الحيرة تزف إلى زوجها فحمل

(١) وفي نسخة ثانية : يزروود .

(٢) وفي نسخة ثانية : المعنى .

بكبر على ابن الأزدية فقتله وحملوا الأثقال والعروس في ثلاثين امرأة ومائة من التوابع ومعهم ما لا يعرف قيمته ، ورجع بالغنائم فصبح سعد بالعذيب فقسمه في المسلمين .

ولما رجع سعد إلى القادسية أقام بها شهراً يشن الغارات بين كسكر والأنبار ولم يأت خبر عن الفرس ، وقد بلغت أخبارهم إلى يزدرج وأن ما بين الحيرة والفرات قد نهب وخرّب ، فأحضر رستم ودفعه لهذا الوجه ، فتقاعد عنه وقال : ليس هذا من الرأي . وبعث الجيوش يعقب بعضها بعضاً أولى من مصادمة مرة ، فأبى يزدرج إلا مسيره لذلك . فعسكر رستم بساباط وكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إليه لا يكثر ثنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث رجالاً من أهل الراي والجلد يدعونه فإن الله جاعل ذلك وهناً لهم .

فأرسل سعد نفرأ منهم : النعمان بن مقرن ، وقيس بن زرارة^(١) ، والأشعث بن قيس ، وفرات بن حيّان وعاصم بن عمر ، وعمرو بن معدي كرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمهني بن حارثة . فقدّموا على يزدرج وتركوا رستم ، واجتمعوا واجتمع الناس ينظرون إليهم وإلى خيولهم ويردّوهم ، فأحضرهم يزدرج وقال لترجمانه : سلهم ما جاء بكم وما أولعكم بغزونا وبلادنا من أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فتكلّم النعمان بن مقرن بعد أن استأذن أصحابه ، وقال ما معناه : إن الله رحمننا وأرسل إلينا رسولا صفته كذا يدعونا إلى كذا ووعدنا بكذا فأجابه منّا قوم وتباعد قوم ثم أمر أن يجاهد من خالفه من العرب فدخلوا معه على وجهين مكره اغتبط وطائع ازداد حتى اجتمعنا عليه وعرفنا فضل ما جاء به ثم أمرنا بجهد من يلينا من الأمم ودعائهم إلى الإنصاف فإن أبيت فأمر أهون من ذلك وهو الجزية فإن أبيت فالمناجزة ، فقال يزدرج : لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم وقد كان أهل الضواحي يكفونا أمرهم ولا تطمعوا أن تقوموا للفرس فإن كان بكم جهد أعطيناكم قوتاً وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم . فقال قيس بن زرارة : هؤلاء أشراف العرب والأشراف يستحيون من الأشراف وأنا أكلمك وهم يشهدون ، فأما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد ثم ذكر

(١) وفي نسخة ثانية : النعمان بن مقرن وبشر بن أبي أدهم وجملة من حيوة وحظلة بن الربيع وعدي بن سهيل وعطار بن حاجب والحارث بن حسان والمغيرة بن زرارة .

من عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما قال النعمان الخ . ثم قال له : إخترياً الحزبة عن يد وأنت صاغر أو السيف وإلا فنج نفسك بالإسلام . فقال يزدجرد : لو قتل أحد الرسل قبلي لقتلتكم . ثم استدعى بوقر من تراب وحمل على أعظمهم ، وقال : إرجعوا إلى صاحبكم وأعلموه اني مرسل رستم حتى يدفنكم أجمعين في خندق القادسية ثم يدوِّخ بلادكم أعظم من تدويخ سابور . فقام عاصم بن عمر فحمل التراب على عنقه ، وقال : أنا أشرف هؤلاء . ولما رجع إلى سعد فقال : أبشر فقد أعطانا الله تراب أرضهم وعجب رستم من محاورتهم ، وأخبر يزدجرد بما قاله عاصم بن عمر ، فبعث في أثرهم إلى الحيرة فأعجزوهم .

ثم أغار سواد بن مالك التيمي بعد مسير الوفد إلى يزدجرد على الفراض فاستاق ثلثمائة دابة بين بغل وحمار وثور وآخرها سمكا وصبح بها العسكر ، فقسّمه سعد في الناس ، وواصلوا السرايا والبعوث لطلب اللحم ، وأمّا الطعام فكان عندهم كثيراً . وسار رستم إلى ساباط في ستين ألفاً وعلى مقدمته الجالندوس في أربعين ألفاً وساقته عشرون ألفاً وفي الميمنة الهرمزان وفي الميسرة مهران بن بهرام الرازي ، وحمل معه ثلاثة وثلاثين فيلاً ثمانية عشر في القلب وخمسة عشر في الجنبين . ثم سار حتى نزل كوئي ، فأتى برجل من العرب ، فقال له رستم : ما جاء بكم وما تطلبون ؟ فقال : نطلب وعد الله بأرضكم وأبنائكم إن لم تسلموا . قال رستم : فإن قتلتم دون ذلك ، قال من قتل دخل الجنة ومن بقي أنجزه الله وعده ، قال رستم : فنحن إذا وضعنا في أيديكم ، فقال : أعمالكم وضعتكم وأسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فلست تحاول الناس ^(١) إنما تحاول القضاء والقدر . فغضب وأمر به فضربت عنقه .

وسار فترل الفرس وفشا من عسكره المنكر وغضبوا الرعايا أموالهم وأبناءهم حتى نادى رستم منهم بالويل ، وقال : صدق والله العربي . وأتى ببعضهم فضرب عنقه . ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا أهلها فعزّزهم ^(٢) وهمّ بهم ، فقال له ابن ببيعة : لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا . وأرسل سعد السرايا إلى السواد وسمع بهم رستم فبعث لاعتراضهم الفرس ، وبلغ ذلك سعداً فأمدّهم بعاصم بن عمر فجاءهم وخيل فارس تحتوشهم ، فلما رأوا عاصم هربوا ، وجاء عاصم بالغنائم .

(١) وفي النسخة الباريسية : الأنس .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وهدهم .

ثم ارسل سعد عمرو بن معدي كرب وطليحة الأسديّ طليعة فلما ساروا فرسخا وبعضه ، لقوا المسالح فرجع عمرو ، ومضى طليحة حتى وصل عسكر رستم وبات فيه وهتك أطناب خيمة أوخيمتين واقتاد بعض الخيل وخرج يعدو به فرسه ، ونذر به الفرس فركبوا في طلبه إلى أن أصبح وهم في أثره فكّر على فارس فقتله ثم آخر وأسر الرابع ، وشارف عسكر المسلمين فرجعوا عنه ، ودخل طليحة على سعد بالفارسي ولم يخلف بعده فيهم مثله فأسلم ولزم طليحة .

ثم سار رستم فقتل القادسية بعد ستة أشهر من المدائن ، وكان يطاول خوفا وتقيّة ، والملك يستحثه وكان رأى في منامه كأن ملكاً نزل من السماء ومعه النبيّ صلى الله عليه وسلم ودفعه النبيّ إلى عمر فحزن لذلك أهل فارس في سيره . ولما وصل القادسية وقف على العتيق حيال عسكر المسلمين والناس يتلاحقون حتى أغتموا من كثرتهم ، وركب رستم غداة تلك الليلة وصعد مع النهر وصوّب^(١) حتى وقف على القنطرة ، وأرسل إلى زهرة فواقفه وعرض له بالصلح . وقال : كنتم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونحفظكم ويقرّر صنيعهم مع العرب ويقول زهرة : ليس أمرنا بذلك^(٢) وإنما طلبنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت إلى أن بعث الله فينا رسولا دعانا الى دين الحق فأجبناه . وقال : قد سلطتكم على من لم يدن به وأنا منتقم بكم منهم وأجعل لكم الغلبة . فقال رستم : وما هو دين الحق . فقال : الشهادتان وإخراج الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الله وأنتم إخوان في ذلك . فقال رستم : فإن أجبننا إلى هذا ترجعون ؟ فقال : إي والله فانصرف عنه رستم . ودعا رجال فارس وذكر ذلك لهم فأنقوا ، وأرسل الى سعد أن ابعث لنا رجلا نكلمه ويكلّمنا ، فبعث إليهم ربيعي بن عامر وحبسوه على القنطرة حتى أعلموا رستم ، فجلس على سرير من ذهب وبسط الفمارق وأنوسائد منسوجة بالذهب ، وأقبل ربيعي على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدودة بعصب ، وقدم حتى انتهى الى البساط ووطئه بفرسه ، ثم نزل وربطها بوسادتين شققها وجعل الحبل فيهما ، فلم يقبلوا ذلك وأظهروا التهاون . ثم أخذ عباءة بغيره فاشتملها ، وأشاروا إليه بوضع سلاحه فقال : لو أتيتكم فعلت كذا فأمركم وإنما دعوتوني . ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه حتى أفسد ما مرّ عليه من البسط ،

(١) وفي نسخة ثانية : وصوّت .

(٢) وفي نسخة ثانية : من أولئك .

ثم دنا من رستم وجلس على الأرض وركز رجمه على البساط وقال : إنا لا نقعد على زيتكم . فقال له الترجان : ما جاء بكم ، فقال : الله بعثنا لنخرج عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وأرسلنا بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه وتركناه وأرضه ومن أبى قاتلناه حتى نفى إلى الجنة أو الظفر . فقال رستم : هل لكم أن تؤخر هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ قال : نعم كم أحب إليك يوما أو يومين ، قال : لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : إن مما سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نمكّن الأعداء أكثر من ثلاث فانظر في أمرك وأمرهم واختر إما الإسلام وندعك وأرضك أو الجزية فنقبل ونكف عنك وإن احتجت إلينا نصرناك أو المنازدة في الرابع أن تنبذ^(١) وأنا كفيل بهذا عن أصحابي . قال أسيدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يحجز بعضهم عن بعض يحجز أذنهم على أعلاهم . فخلا رستم برؤساء قومه وقال : رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل ؟ فأروه الاستخفاف بشانه وثيابه . فقال : وبحكم إنما أنظر إلى الرأي والكلام والسيرة والعرب تستخف اللباس وتصون الأحساب .

ثم أرسل إلى سعد أن يبعث إلينا ذلك الرجل ، فبعث إليهم حذيفة بن محصن^(٢) ففعل كما فعل الأول ولم يتزل عن فرسه وتكلم وأجاب مثل الأول ، فقال له : ما قعد بالأول عنا ؟ فقال : أميرنا يعدل بيننا في الشدة والرخاء وهذه نوبتي . فقال رستم : والمواعدة إلى متى ؟ فقال : إلى ثلاث من أمس وانصرف . وحاص رستم بأصحابه يعجبهم من شأن القوم . وبعث في الغد عن آخر فجاءه المغيرة بن شعبة فلما وصل إليهم وهم على زيهم وبسطهم على غلوة من مجلس رستم فجاء المغيرة حتى جلس معه على سريريه فأترلوه ، فقال : لا أرى قوماً أسفه منا معشر العرب لا نستعبد بعضاً بعضاً فظننتكم كذلك وكان أحسن بكم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض مع أنني لم آتكم وإنما دعوتوني فقد علمت أنكم مغلوبون ولم يقم ملك على هذه السيرة . فقالت السفلة : صدق والله العربي ، وقالت الأساطين^(٣) : لقد رمانا بكلام لا تزال عبيدنا يترعون إليه قاتل الله من يصغر أمر هذه الأمة . ثم تكلم رستم فعظم من

(١) وفي نسخة ثانية : إلا أن تبدلوا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : ابن حصن .

(٣) وفي نسخة ثانية : الدهاقين .

أمر فارس بل من شأن فارس وسلطانهم وصغر أمر العرب وقال : كانت عيشتكم سيئة وكنتم تقصدونا في الجذب فنردكم بشيء من التمر والشعير ولم يحملكم على ما صنعتم إلا ما بكم من الجهد ونحن نعطي أميركم كسوة وبغلا وألف درهم وكل رجل منكم حمل تمر وتنصرفون فلست أشتهي قتلكم . فتكلم المغيرة وخطب فقال : أما الذي وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره والدنيا دُولٌ والشدة بعدها الرخاء ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم قليلاً عما أوتيتم وقد أسلمكم ضعف^(١) الشكر إلى تغير الحال وأن الله بعث فينا رسولاً ، ثم ذكر مثل ما تقدم إلى التخيير بين الإسلام أو الجزية أو القتال ، ثم قال : وإن عيالنا ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه . فقال رستم : إذا تموتون دونها ، فقال المغيرة : يدخل من قتل منا الجنة ويظفر من بقي منا بكم . فاستشاط غضباً وحلف أن لا يقع الصلح أبداً حتى أقتلكم أجمعين . وانصرف المغيرة وخلا رستم بأهل فارس وعرض عليهم مصالحة القوم ، وحذرهم عاقبة حربهم ، فلجؤا . وبعث إليه سعد يعرض عليه الإسلام ويرغب ، فأجابه بمثل ما كان يقول لأولئك من الإمتنان على العرب والتعريض بالمطامع ، فلم يتفق شيء من رأيهم . فقال رستم : تعبرون إلينا أم نعبّر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا وأرسل إليهم سعد بذلك وأرادوا القنطرة ، فقال سعد : لا ولا كرامة لا نردّ عليكم شيئاً غلبناكم عليه فأبى . فأتوا^(٢) يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبرادع حتى جعلوا جسراً .

ثم عبر رستم ونصب له سريره وجلس عليه وضرب طيارة وعبر عسكره ، وجعل الفيلة في القلب والمجنبتين عليها الصناديق والرجال والرايات أمثال الحصون ، وجعل الجالنوس بينه وبين الميمنة والفيروزان بينه وبين الميسرة ، ورتب يزدجرد الرجال بين المدائن والقادسية وما بينه وبين رستم رجلاً على كل دعوة تنتقل إليه ينبئهم أخبار رستم في أسرع وقت . ثم أخذ المسلمون مصافهم واختط سعد قصره ، وكان به عرق النساء وأصابته معه دماميل لا يستطيع معها الجلوس فصعد على سطح القصر راكباً على وسادة في صدره وأشرف على الناس ، وعاب ذلك عليه بعض الناس فترل واعتذر إليهم وأراهم القروح في جسده فعذروه ، واستخلف خالد بن عرفطة على الناس

(١) وفي نسخة ثانية : وقد أسلمكم الله بضعف الشكر .

(٢) وفي نسخة ثانية : فباتوا .

وحبس من شغب عليه في الفصر وقيدهم ، وكان فيهم أبو محجن الثقفي ، وقيل إنما حبسه بسبب الخمر . ثم خطب الناس وحثهم على الجهاد وذكرهم بوعده الله ، وذلك في المحرم سنة أربع عشرة ، وأخبرهم أنه استخلف خالد بن عرفطة . وأرسل جماعة من أهل الرأي لتحريض الناس على القتال مثل المغيرة وحذيفة وعاصم وطلحة وقيس وغالب وعمرو ، ومن الشعراء الشماخ والحطيئة والعبدى بل وعبد بن الطيب وغيرهم ففعلوا ، ثم أمر بقراءة الأنفال فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها ، فلما فرغت القراءة قال سعد : إلزموا مواقفكم فإذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا ، فإذا سمعتم الثانية فكبروا وأتموا عدتكم ، فإذا سمعتم الثالثة فكبروا ونشطوا الناس ، فإذا سمعتم الرابعة فازحفوا حتى تحالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله .

فلما كبر الثالثة برز أهل النجدات فأنشبو القتال وخرج أمثالهم من الفرس فاعتوروا الطعن والضرب ، وارتجزوا الشعر ، وأول من أسر في ذلك اليوم هرمز من ملوك الكبار^(١) وكان متوجاً أسره غالب بن عبدالله الأسدي^(٢) فدفعه إلى سعد ورجع إلى الحرب . وطلب البراز أسوار منهم فبرز إليه عمرو بن معدي كرب فأخذه وجلده الأرض فذبحه وسلب سواريه ومنطقته . ثم حملوا القبيلة على المسلمين وأمالوها على بحيلة فثقلت عليهم ، فأرسل سعد إلى بني أسد أن يدافعوا عنهم ، فجاءه طليحة بن خويلد وحمل بن مالك فردوا القبيلة ، وخرج على طليحة عظيم منهم فقتله طليحة ، وعير الأشعث بن قيس كندة بما يفعله بنو أسد فاستشاطوا ونهدوا معه فأزالوا الذين بازائهم . وحين رأى الفرس ما لقي الناس والقبيلة من بني أسد حملوا عليهم جميعاً وفيهم ذو الحجاب والجالحنوس .

وكبر سعد الرابعة فزحف المسلمون وثبت بنو أسد ، ودارت رحى الحرب عليهم وحملت الفيول على الميمنة والميسرة ونفرت خيول المسلمين منها فأرسل سعد إلى عاصم بن عمر هل من حيلة لهذه القبيلة ؟ فبعث الرماة يرشقونها بالنبل واشتد لردّها آخرون يقطعون الوضن ، وخرج عاصم يجميعهم ورحى الحرب على أسد ، واشتد عواء القبيلة ووقعت الصناديق فهلك أصحابها ، ونفس عن أسد أن أصيب منهم

(١) وفي نسخة ثانية : اللباب .

(٢) وفي نسخة ثانية : الازدي .

خمسائة وردوا فارس إلى مواقعهم . ثم اقتتلوا إلى هدم من الليل وكان هذا اليوم الأول وهو يوم الرماة . ولما أصبح دفن القتلى وأسلم الجرحى إلى نساء يقمن عليهم ، وإذا بنواصي الخيل طالعة من الشام . كان عمر بعد فتح دمشق عزل خالد بن الوليد عن جند العراق وأمر أبا عبيدة أن يؤمر عليهم هاشم بن عتبة يردهم إلى العراق ، فخرج بهم هاشم وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، فقام القعقاع على الناس صبيحة ذلك اليوم يوم أغواث ، وقد عهد إلى أصحابه أن يقطعوا أعشاراً بين كل عشرين مد البصر وكانوا ألفاً ، فسلم على الناس وبشرهم بالجنود وعرضهم على القتال ، وطلب البراز فخرج إليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع ونادى بالثأر لأصحاب الجسر ، وتضارباً فقتله القعقاع وسر الناس بقتله ، ووهنت الأعاجم لذلك . ثم طلب البراز فخرج إليه الفيرزان والبندوان .

وأكثر المسلمون القتل في الفرس وأخذوا الفيلة عن القتال لأن نوابتها تكسرت بالأمس ، فاستأنفوا حملها ، وجعل القعقاع إبلاً وجعل عليها البراق وأركبها عشرة عشرة ، وأطاف عليها الخيول تحملها ، وحملها على خيل الفرس فنفرت منها وركبتهم خيول المسلمين ، ولقي الفرس من الإبل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة . وبرز القعقاع يومئذ في ثلاثين فارساً في ثلاثين حملة فقتلهم ، كان آخرهم بزرجمهر الهمداني ، وبارز الأعور بن قطنة ^(١) شهر يار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه .

ولما انتصف النهار تراحف الناس فاقتتلوا إلى انتصاف الليل وقتلوا عامة أعلام فارس ، ثم أصبحوا في اليوم الثالث على مواقعهم بين الصفين ومن المسلمين ألفا جريح وقتيل ومن المشركين عشرة آلاف ، فدفن المسلمون موتاهم وأسلموا الجرحى إلى النساء ووكلوا النساء والصبيان بحفر القبور ، وبقي قتلى المشركين بين الصفين . وبات القعقاع يسرب أصحابه إلى حيث فارقه بالأمس ، وأوصاهم إذا طلعت الشمس أن يقبلوا مائة مائة يحدّد بذلك الناس ، وجاء بينها يلحق هاشم بن عتبة . فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع فتقدموا والمسلمون يكبرون ، فتراحت الكتائب طعناً وهرباً ، وما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى لحق هاشم فعبى أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن المكشوح فلما خالط القلب كبر وكبر المسلمون ثم كبر فخرق الصفوف إلى

(١) وفي النسخة الباريية : بن خطبة .

العتيق ، ثم عاد وقد أصبح الفرس على مواقفهم وأعادوا الصناديق على الفيلة وأحدقوا الرجال بها يحمونها أن تقطع وضنها ، وأقام الفرسان يحمون الرجال فلم تنفر خيل المسلمين منها . وكان هذا اليوم يوم عماس وكان شديداً ، إلا أن الطائفتين فيه سواء وأبلى فيه قيس بن المكشوح وعمرو بن معدي كرب ، زحفت الفيلة وفرقت بين الكتائب . وأرسل سعد إلى القعقاع وعاصم أن أكفياني الأييض وكان بازائهما ، وإلى محمل والذميل^(١) أن أكفياني الأجرى وكان بازائهما ، فحملوا على الفيلين فقتل الأييض ومن كان عليه وقطع مشفر الأجرى وفقت عينه وضرب سائسه الذميل بالطيرزين فأفلت جريحاً ، وتخير الأجرى بين الطائفتين وألقى نفسه في العتيق واتبعت الفيلة وخرقت^(٢) صفوف الأعاجم في اثره ، وقصدت المدائن بثوابتها^(٣) وهلك جميع من فيها . وخلص المسلمون والفرس فاختلفوا على سواء إلى المساء واقتتلوا بقية ليلتهم وتسمى ليلة الهرير .

فأرسل سعد طليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل السكر يقومون عليها خشية أن يؤتى المسلمون منها ، فتشاوروا أن يأتوا الأعاجم من خلفهم ، فجاء طليحة وراء العسكر وكبر فارتاع أهل فارس ، فأغار عمرو أسفل المخاضة ورجع وزاحفهم الناس دون إذن سعد وأول من زاحفهم من الناس دون إذن سعد زاحفهم القعقاع وقومه فحمل عليهم ، ثم حمل بنو أسد ثم النخع ثم بجيلة ثم كندة ، وسعد يقول في كل واحدة اللهم اغفر لهم وانصرهم . وقد كان قال لهم إذا كبرت ثلاثاً فاحملوا ، فلما كبرت الثالثة لحق الناس بعضهم بعضاً صلاة العشاء واختلطوا وصليل الحديد كصوت القرن إلى الصباح .

وركدت الحرب وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورسم وأقبل سعد على الدعاء ، وسمع نصف الليل صوت القعقاع في جماعة من الرؤساء إلى رسم حتى خالطوا صفه مع الصبح فحمل الناس من كل جهة على من يليهم واقتتلوا إلى قائم ظهيرة ، فناجز الفيضان والهرمزان بعض الشيء وانفرج القلب ، وهبت ريح عاصف فقلبت طيارة رسم عن سريره فهوت في العتيق ، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير

(١) وفي نسخة ثانية : الذميل .

(٢) وفي نسخة ثانية : وقرقت .

(٣) وفي نسخة ثانية : بوئوبها .

وقد قام رستم عنه فاستظل في ظل بغل وحمله ، وضرب هلال بن علقمة الحمل فوق أحد العدلين على رستم فكسر ظهره ، وضربه هلال ضربة نفحت مسكا وضرب نحو العتيق فرمى بنفسه فيه فاقنحم هلال وجره برجله فقتله ، وصعد السرير وقال : قتلت رستم ورب الكعبة إليّ إليّ . فأطافوا به وكبروا . وقيل إن هلالاً لما قصد رستم رماه بسهم ، فأثبت قدمه بالركاب ثم حمل عليه ، فقتله واحتر رأسه ونادى في الناس قتلت رستم .

فانهزم قلب المشركين وقام الجالtnوس على الردم ونادى الفرس إلى العبور ، وتهافت المقترون بالسلاسل في العتيق وكانوا ثلاثين فهلكوا ، وأخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس العظيمة وهي درفش كايان فعوض منها ثلاثين ألفاً وكانت قيمتها ألف ألف ومائة ألف ألف ، وقتل ذلك اليوم من الأعاجم عشرة آلاف في المعركة ، وقتل من المشركين في ذلك اليوم ستة آلاف دفنوا بالخندق سوى ألفين وخمسمائة قتلوا ليلة الحرير ، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يجمع قبله ولا بعده مثله . ونفل سعد هلال بن علقمة سلب رستم ، وأمر القعقاع وشرحيل باتباع العدو وقد كان خرج زهرة بن حيوة قبلهما في آثارهم ، فلحق الجالtnوس يجمع المنهزمين فقتله وأخذ سلبه ، فتوقف سعد من عطائه ، وكتب إلى عمر ، فكتب إليه : تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به وقد بقي عليك من حربك ما بقي تفسد قلبه أمض له سلبه وفضله على أصحابه في العطاء بخمسمائة .

ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي وأخذه عبد الرحمن بطائفة من الفرس قد استماتوا فقتلوهم أجمعين ، واستمات بعد الهزيمة بضعة وثلاثون رئيساً من المسلمين فقتلوهم أجمعين . وكان ممن هرب من أمراء الفرس الهرمزان وأهودوزاد بييس^(١) وقارن ، ومن استمات فقتل شهريار بن كبارا وأسر المدمرون والفردان الأهوازي وحشرشوم الهمداني . وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبمن أصيب من المسلمين ، وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله ، فلما ألقى البشير قال : من أين ؟ فأخبره فقال : حدثني فقال : هزم الله المشركين . ففرح بذلك . وأقام المسلمون بالقادسية ينتظرون كتاب عمر إلى أن وصلهم بالإقامة . وكانت وقعة القادسية سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة .

(١) وفي نسخة ثانية : الفرزاد بن بييس .

فتح المدائن وجلولاء بعدها

ولما انهزم أهل فارس بالقادسية انتهبوا إلى بابل وفيهم بقايا الرؤساء النخيزجان ومهران الأهوازي والهرمزان وأشباههم واستعملوا عليهم الفيرزان . وأقام سعد بعد الفتح شهرين وسار بأمر عمر إلى المدائن وخلف العيال بالعتيق في جند كثيف حامية لهم ، وقدم بين يديه زهرة بن حيوة وشرحبيل بن السمط وعبدالله بن المعتمر^(١) ، ولقيهم بعض عساكر الفرس برستن فهزموهم حتى لحقوا ببابل . ثم جاء سعد وسار في التعبئة ونزلوا على الفيرزان ومن معه ببابل ، فخرجوا وقاتلوا المسلمين ، فانهزموا وافترقوا فرقتين ولحق الهرمزان بالأهواز والفيرزان بناوند وبها كنوز كسرى ، وسار النخيزجان ومهران إلى المدائن فتحصنوا وقطعوا الجسر . ثم سار سعد من بابل على التعبئة وزهرة في المقدمة ، وقدم بين يديه بكير بن عبدالله الليثي وكثير بن شهاب السبيعي^(٢) حتى عبرا ولحقا بأخريات القوم ، فقتلا في طريقهما اسوارين من أساورتهم ، ثم تقدموا إلى كوثى^(٣) وعليها شهر يار فخرج لقتالهم فقتل وانهزم أصحابه فافترقوا في البلاد . وجاء سعد فنفل قاتله سلبه .

وتقدم زهرة إلى ساباط فصالحه أهلها على الجزية وهزم كتبية كسرى ، ثم نزلوا جميعاً نهرشیر^(٤) من المدائن ، ولما عاينوا الإيوان كبروا وقالوا : هذا أبيض كسرى هذا ما وعد الله . وكان نزولهم عليها ذا الحجة سنة خمس عشرة فحاصروها ثلاثة أشهر ثم اقتحموها ، وكانت خيولهم تغير على النواحي وعهد إليهم عمر أن من أجاب من الفلاحين ولم يعن عليهم فذلك أمانة ، ومن هرب فأدرك فشأنكم به . ودخل الدهاقين من غربي دجلة وأهل السواد كلهم في أمان المسلمين واغتبطوا بملكهم ، واشتد الحصار على نهرشیر ونصبوا عليها المجانيق واستلحسهم في المواطن ، وخرج بعض المرازبة يطلب البراز ، فقاتله زهرة بن حيوة فقتل معا ، ويقال إن زهرة قتله شبيب الخارجي أيام الحجاج . ولما ضاق بهم الحصار ركب إليهم الناس بعض الأيام

(١) وفي النسخة البارسية : ابن المعتر .

(٢) وفي النسخة البارسية : السعدي .

(٣) وفي النسخة البارسية : كوتا .

(٤) وفي نسخة ثانية : بهرشير .

فلم يروا على الأسوار أحداً إلا رجلاً يشير إليهم فقال : ما بقي بالمدينة أحد وقد صاروا إلى المدينة القصوى التي فيها الإيوان ، فدخل سعد والمسلمون وأرادوا العبور إليهم فوجدوهم جمعوا المعابر عندهم ، فأقام أياماً من صبر ودلّه بعض العلوج على مخاضة في دجلة فتردد ، فقال له أقدم فلا تأتي عليك ثلاثة إلا ويزدجرد قد ذهب بكل شيء فيها . فعزم سعد على العبور وخطب الناس وندبهم إلى العبور ورغبهم ، وندب من يحجز أن لا يجيء الفراض حتى يحجز إليه الناس ، فانتدب عاصم بن عمر في ستائة واقتحموا دجلة فلقبهم أمثالهم من الفرس عند الفراض وشدوا عليهم فانهزموا وقتل أكثرهم وعوروا من الطعن في العيون ، وعانينهم المسلمون على الفراض ، فاقتحموا في أثرهم يصيجون نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وساروا في دجلة وقد طبقوا ما بين عدوتها وخيلهم ساجدة بهم وهم يهيمنون تارة ويتحادثون أخرى حتى أجازوا البحر ولم يفتقدوا شيئاً ، إلا قدحا لبعضهم غلبت صاحبه عليه جرية الماء وألقته الريح إلى الشاطئ .

ورأى الفرس عساكر المسلمين قد أجازوا البحر فخرجوا هاربين إلى حلوان ، وكان يزدجرد قدم إليها قبل ذلك عياله ، ورفعوا ما قدروا عليه من عرض المتاع وخفيفه ومن بيت المال والنساء والذراري ، وتركوا بالمدائن من الثياب والأمتعة والآنية والألطف ما لا تحصر^(١) قيمته ، وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف مكررة ثلاث مرات تكون جملتها ثلاثة آلاف قنطار من الدنانير ، وكان رسم عند مسيره إلى القادسية حمل نصفها لنفقات العساكر وأبقى النصف . واقتحمت العساكر المدينة تجول في سككها لا يلقون بها أحداً ، وأرز سائر الناس إلى القصر الأبيض حتى توثقوا لأنفسهم على الجزية .

ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الإيوان به مصلى ولم يغير ما فيه من التماثيل ، ولما دخله قرأ «كم تركوا من جنات وعيون» الآية ، وصلى فيه صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينهن وأتم الصلاة بنية الإقامة . وسرح زهرة بن حيوة في آثار الأعاجم إلى النهروان وقراها من كل جهة ، وجعل على الأخماس عمرو بن عمرو بن مقرن ، وعلى القسم سلمان بن ربيعة الباهلي وجمع ما كان في القصر والإيوان والدور وما نهبه أهل المدائن عند الهزيمة ، ووجدوا حلية كسرى ثيابه وخرزاته وتاجه ودرعه التي كان

(١) وفي نسخة ثانية : لا تحصى .

يجلس فيها للمباهاة أخذ ذلك من أيدي الهاربين على بغلين ، وأخذ منهم أيضاً وقر بغل من السيوف وآخر من الدروع والمغافر منسوبة كلها : درع هرقل وخاقان ملك الترك وداهر ملك الهند وبهرام جور وسياوخش والنعمان بن المنذر وسيف كسرى وهرمز وقباز وفيروز وهرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان أحضرها القعقاع وخبره في الأسلحة ، فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام ، وبعثه إلى عمر سيف كسرى والنعمان وتاج كسرى وحليته وثيابه ليراها الناس . وقسم سعد النبي بين المسلمين بعدما خمس ، وكانوا ستين ألفاً فصار للفرس اثنا عشر ألفاً وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل ، ونفل من الأخماس في أهل البلاد ، وقسم في المنازل بين الناس ، واستدعى العيالات من العتيق فأنزلهم الدور ولم يزلوا بالمدائن حتى تم فتح جلولاء وحلوان وتكريت والموصل ، واحتطت الكوفة فتحولوا إليها ، وأرسل في الخمس كل شيء يعجب العرب منهم أن يضع إليهم ، وحضر إليهم نهار كسرى وهو الغطف وهو بساط طوله ستون ذراعاً في مثلها مقدار مزرعة جريت في أرضه وهي منسوجة بالذهب طرقات كالأنهار وتماثيل خلأها بصدف الدر والياقوت وفي حافاتها كالأرض الزردرة والمقبلة بالنبات ورقها من الحرير على قضبان الذهب وزهره حبات الذهب والفضة وثمره الجواهر ، كانت الأكاسرة يبسطونه في الإيوان في فصل الشتاء عند فقدان الرياحين يشربون عليه ، فلما قدمت الأخماس على عمر قسمها في الناس ، ثم قال أشيروا في هذا القصب ، فاختلفوا وأشاروا على نفسه ، فقطعه بينهم ، فأصاب عليّ قطعة منه باعها بعشرين ألفاً ولم تكن بأجودها .

وولى عمر سعد بن أبي وقاص على الصلاة والحرب فيما غلب عليه ، وولى حذيفة بن اليمان على سقي الفرات ، وعثمان بن حنيف على سقي دجلة ، ولما انتهى الفرس بالهرب إلى جلولاء ، وافترقت الطرق من هنالك بأهل آذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس ، وقفوا هنالك خشية الافتراق واجتمعوا على مهران الرازي وخندقوا على أنفسهم وأحاطوا الخندق بحسره الحديد ، وتقدم يزدجرد إلى حلوان . وبلغ ذلك سعداً فكاتب عمر بذلك يأمره أن يسرح بجلولاء هاشم ابن أخيه عتبة في اثني عشر ألفاً وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، وأن يولي القعقاع بعد الفتح ما بين السواد والجبل . فسار هاشم من المدائن لذلك في وجوه المسلمين وأعلام العرب حتى قدم جلولاء فأحاط بهم وحاصره في خنادقهم ، وزاحفهم ثمانين يوماً ينصرون عليهم في

كلها والمدد متصل من ههنا وههنا ثم قاتلهم آخر الأيام فقتلوا منهم أكثر من ليلة
الحرير ، وأرسل الله عليهم ريحاً وظلمة فسقط فرسانهم في الخندق وجعلوه طرقاً مما
يليم ففسد حصنه ، وشعر المسلمون بذلك فجاء القعقاع إلى الخندق فوقف على
بابه ، وشاع في الناس أنه أخذ في الخندق ، فحئل الناس حملة واحدة إنهمز
المشركون لها وافترقوا ، ومروا بالجرسة التي تحصنوا بها فعقرت دوابهم فترجلوا ولم يفلت
منهم إلا القليل ، يقال إنه قتل منهم يومئذ مائة ألف . واتبعهم القعقاع بالطلب إلى
خانقين ، وأجفل يزدجرد من حلوان إلى الري واستخلف عليها حشرشوم^(١) ، وجاء
القعقاع إلى حلوان فبرز إليه حشرشوم وعلى مقدمته الرمي ، فقتله القعقاع وهرب
حشرشوم من ورائه ، وملك القعقاع حلوان وكتب إلى عمر بالفتح واستأذنوا في
اتباعهم ، فأبى وقال : وددت أن بين السواد والجبل سداً حصيناً من ريف السواد
فقد أثرت سلامة المسلمين على الأنفال .

وأحصيت الغنيمة فكانت ثلاثين ألف ألف ، فقسمها سلمان بن ربيعة ، يقال : إنه
أصاب الفارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب . وبعثوا بالأخماس إلى عمر مع زياد
ابن أبيه . فلما قدم الخمس قال عمر : والله لا يحنه سقف حتى أقسمه ، فجعله في
المسجد ويات عبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن أرقم يحرسانه ، ولما أصبح جاء في
الناس ونظر إلى ياقوتة وجوهرة فبكى ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ما يبكيك يا أمير
المؤمنين وهذا موطن شكر ؟ قال : والله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا
فيلقي الله بأسهم بينهم . ومنع عمر من قسمة السواد ما بين حلوان والقادسية فاقره
حبساً ، واشترى جرير بعضه بشاطيء الفرات فردّ عمر الشراء .

ولما رجع هاشم من جلولا إلى المدائن بلغهم أن أدين بن الهرامون جمع جمعاً وجاء
بهم إلى السهل ، فبعث إليه ضرار بن الخطاب في جيش فلقيم بما سبدان فهزمهم
وأسر أدين فقتله ، وانتهى في طلبهم إلى النهروان وفتح ما سبدان عنوة وردّ إليها أهلها
ونزل بها فكانت أحد فروج الكوفة ، وقيل كان فتحها بعدنهاوند والله سبحانه أعلم .

(١) وفي النسخة الباريسية : حشرشوم وفي نسخة أخرى حشرشوم وفي الطبري ج ٤ ص ١٣٦ : خسروشموم .

ولاية عتبة بن غزوان على البصرة

كان عمر عندما بعث المثنى إلى الحيرة بعث قطبة^(١) بن قتادة السدوسي^(٢) إلى البصرة فكان يغير بتلك الناحية ، ثم استمدَّ عمر فبعث إليه شريح بن عامر بن سعد ابن بكر فأقبل إلى البصرة ومضى إلى الأهواز ، ولقيه مسلحة الأعاجم فقتلوه . فبعث عمر عتبة بن غزوان والياً على تلك الناحية ، وكتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّه بعرفجة بن هرثمة وأمره أن يقيم بالتخوم بين أرض العرب وأرض العجم ، فأنهى إلى حيال الجسر وبلغ صاحب الفرات خبرهم فأقبل في أربعة آلاف وعتبة في خمسمائة والتقوا فقتلوا الأعاجم أجمعين وأسروا صاحب الفرات ، ثم نزل البصرة في ربيع سنة أربع عشرة ، وقيل إن البصرة بصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت . أرسل سعد إليها عتبة فأقام بها شهراً وخرج إليه أهل الأبله ، وكانت مرفأً للسفن من الصين ، فهزمهم عتبة وأحجرهم في المدينة ورجع إلى عسكره ، ورعب الفرس فخرجوا عن الإبله وحملوا ما خف وأدخلوا المدينة وعبروا النهر ، ودخلها المسلمون فغنموا ما فيها واقتسموه .

ثم اختط البصرة وبدأ بالمسجد فبناه بالقصب . وجمع لهم أهل دست ميان فلقبهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيراً ، وأخذ قتادة منطقته فبعث بها إلى عمر ، وسأل عنهم فقيل له : ائثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة . فرغب الناس في البصرة وأتوها . ثم سار عتبة إلى عمر بعد أن بعث مجاشع بن مسعود في جيش إلى الفرات ، واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة إلى قدوم مجاشع^(٣) ، وجاء ألف بيكان من عطاء الفرس إلى المسلمين ولقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب وبينما هم في القتال إذ لحق بهم النساء وقد اتخذن خمرهن رايات ، فانهزم الأعاجم وكتبوا بالفتح إلى عمر ، فردَّ عتبة إلى عمله فمات في طريقه ، وقيل إن إمارة عتبة كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة فوليا ستة أشهر ، واستعمل عمر بعده المغيرة بن شعبة ستين فلما رمى بما رمى به عزله ، واستعمل أبا موسى . وقيل استعمل بعد عتبة أبا سبرة وبعده المغيرة .

(١) وفي نسخة ثانية : قتبة .

(٢) وفي نسخة ثانية : السلوسي .

(٣) وفي النسخة البارسية : مشاجع .

وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام بعدها

لما انهزم الروم بفحل سار أبو عبيدة وخالد إلى حمص واجتمعوا بذى الكلاع في طريقهم وبعث هرقل توذر البطريق للقائهم فترلوا جميعاً بمرج الروم ، وكان توذر بازاء خالد وشمس^(١) بطريق آخر بازاء أبي عبيدة وأمساو متبارين^(٢) . ثم أصبح فلم يجدوا توذر وسار إلى دمشق واتبعه خالد ، واستقبله يزيد من دمشق فقاتله ، وجاء خالد من خلفه فلم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم . وقاتل شمس^(٣) أبو عبيدة بعد مسير خالد فانهزم الروم وقتلوا واتبعهم أبو عبيدة إلى حمص ومعه خالد ، فبلغ ذلك هرقل فبعث بطريق حمص إليها وسار هو في الرهاء ، فحاصر أبو عبيدة حمص حتى طلبوا الأمان فصالحهم ، وكان هرقل يعدهم في حصارهم المدد ، وأمر أهل الجزيرة بامدادهم فساروا لذلك . وبعث سعد بن أبي وقاص العساكر من العراق فحاصروا هبت وقرقيسيا فرجع أهل الجزيرة إلى بلادهم . وئس أهل حمص من المدد فصالحوا على صلح أهل دمشق ، وأنزل أبو عبيدة فيها السمط بن الأسود في بني معاوية من كندة الأشعث بن ميناك في السكون والمقداد في بلي وغيرهم ، وولى عليهم أبو عبيدة عبادة بن الصامت وصار إلى حماة فصالحوه على الجزية عن رؤسهم والخراج عن أرضهم ، ثم سار نحو شيزر فصالحوا كذلك ، ثم إلى المعرة كذلك ويقال مهرة النعمان وهو النعمان بن بشر الأنصاري . ثم سار إلى اللاذقية ففتحها عنوة ثم سلمية أيضا ، ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين فاعترضه ميناك عظيم الروم بعد هرقل فهزمهم خالد وأنخن فيهم ، ونازل قنسرين حتى افتتحها عنوة وخربها . وأدرب إلى هرقل من ناحيته ، وأدرب عياض بن غنم لذلك ، وأدرب عمر بن مالك من الكوفة إلى قرقيسيا ، وأدرب عبدالله بن المعتمر من الموصل ، فارتحل هرقل إلى القسطنطينية من أمدها ، وأخذ أهل الحصون بين الإسكندرية^(٤) وطرسوس وشعبها أن يتنفع المسلمون بعمارتها . ولما بلغ عمر صنيع خالد قال : « أمر

(١) وفي نسخة ثانية : شمر .

(٢) وفي نسخة ثانية : مستترين .

(٣) وفي نسخة ثانية : شمس .

(٤) هي الاسكندرونة مع مقتضى السياق .

خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم مني بالرجال . وقد كان عزل خالدًا والمثنى بن حارثة خشية أن يداخلها كبر من تعظيم فوكلوا إليه ، ثم رجع عن رأيه في المثنى عند قيامه بعد أبي عبيد ، وفي خالد بعد قنسرين فرجع خالد إلى إمارته . ولما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب وبلغه أن أهل قنسرين غدروا فبعث إليهم السمط الكندي فحاصرهم وفتح وغنم ، ووصل أبو عبيدة إلى خناصر^(١) حلب وهو موضع قريب منها يجمع أصنافاً من العرب ، فصالحوا على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك . ثم أتى حلب وكان على مقدمته عياض بن غنم الفهري فحاصرهم حتى صالحوه على الأمان ، وأجاز ذلك أبو عبيدة ، وقيل صالحوا على مقاسمة الدور والكنائس ، وقيل إنتقلوا إلى أنطاكية حتى صالحوا ورجعوا إلى حلب .

ثم سار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية وبها جمع كبير من فل قنسرين وغيرهم ولقوه قريباً منها فهزمهم وأحجرهم وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء أو الجزية ورحل عنهم ، ثم نقضوا فبعث أبو عبيدة إليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول وكانت عزيمة الذكر ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتب فيها حامية مرابطة ولا يؤخر عنهم العطاء^(٢) . ثم بلغ أبا عبيدة أن جمعاً بالروم بين معرة مصرين وحلب فسار إليهم فهزمهم وقتل بطارقهم ، وأمعن بل وأثنى فيهم ، وفتح معرة مصرين على صلح حلب . وجالت خيوله فبلغت سرمين وتيري وغلبوا على جميع أرض قنسرين وأنطاكية ، ثم فتح حلب ثانية .

وسار يريد قورس ، وعلى مقدمته عياض ، فصالحوه على صلح أنطاكية . وبث خيله ففتح تل نزار وما يليه ، ثم فتح منبج على يد سلمان بن ربيعة الباهلي ، ثم بعث عياضاً إلى دلك وعينتاه فصالحهم على مثل منبج واشترط عليهم أن يكونوا عوناً للمسلمين . وولى أبو عبيدة على كل ما فتح من الكور عاملاً وضم إليه جماعة وشحن الثغور المخوفة بالحامية . واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات ، وعاد أبو عبيدة إلى فلسطين .

وبعث أبو عبيدة جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي ، فسلخوا درب تفليس إلى بلاد الروم فلقى جمعاً للروم ومعهم عرب من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل

(١) وفي نسخة ثانية : حاضر

(٢) وفي النسخة الباريسية : ولا يجبي منهم العطاء .

فأوقع بهم وأثنخ فيهم ، ولحق به على أنطاكية مالك بن الأشتر النخعي مدداً ، فرجعوا جميعاً إلى أبي عبيدة . وبعث أبو عبيدة جيشاً آخر إلى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وخرّبها ، وبعث جيشاً آخر مع حبيب بن مسلمة إلى حصن الحرث كذلك . وفي خلل ذلك فتحت قيسارية ، بعث إليها يزيد بن أبي سفيان أخاه معاوية بأمر عمر فسار إليها وحاصروهم بعد أن هزمهم ، وبلغت قتلهم في الهزائم ثمانين ألفاً وفتحها آخرّاً وكان علقمة بن مجزز^(١) على غزة وفيها القيفار من بطارقة الروم .

وقعة أجنادين وفتح بيسان والاردن وبيت المقدس

لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص بعد واقعة مرج الروم نزل عمرو وشرحيل على أهل بيسان فافتتحها وصالح أهل الأردن ، واجتمع عسكر الروم بأجنادين وغزة وبيسان وعليهم أرطوبون من بطارقة الروم ، فسار عمرو وشرحيل إليهم واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي . وكان الأرطوبون قد أنزل بالرملة جنداً عظيماً من الروم وبيت المقدس كذلك ، وبعث عمرو وعلقمة بن حكيم الفراسي ومسروق^(٢) بن العكي لقتال أهل بيت المقدس ، وبعث أبا أيوب المالكي إلى قتال أهل الرملة ، وكان معاوية محاصراً لأهل قيسارية فشغل جميعهم عنه ، ثم زحف عمرو إلى الأرطوبون واقتتلوا كيوم اليرموك وأشدّ ، وانهزم أرطوبون إلى بيت المقدس وأفرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها حتى دخل .

ورجعوا إلى عمرو وقد نزل أجنادين . وقد تقدم لنا ذكر هذه الوقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها وهذا على قول من جعلها بعدها . ولما دخل أرطوبون بيت المقدس فتح عمرو غزة ، وقيل كان فتحها في خلافة أبي بكر ، ثم فتح سبسطية وفيها قبر يحيى بن زكريا ، وفتح نابلس على الجزية ، ثم فتح مدينة لدّ ، ثم عمواس وبيت حبرين ويافا ورفح وسائر مدائن الأردن . وبعث إلى الأرطوبون فطلب أن يصالح كأهل الشام ويتولى العقد عمر وكتبوا إليه بذلك ، فسار عن المدينة واستخلف علي بن أبي طالب بعد أن عدله في مسيره فأبى ، وقد كان واعد أمراء الأجناد هنالك فلقيه

(١) مجزز : يميم مفتوحة وزاين الاولى مشردة مكسورة كما في الكامل اهـ .

(٢) وفي نسخة ثانية : مسروق .

يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فترل ورماهم بالحجارة ، وقال : أتستقبلوني ^(١) في هذا الزم ؟ وإنما شبعتم منذ ستين والله لو كان على رأس المائين لاستبدلت بكم فقالوا : إنها بلا ثمن . وإن علينا السلاح ، فسكت ودخل الجابية . وجاءه أهل بيت المقدس وقد هرب أرطوبون عنهم إلى مصر ، فصالحوه على الجزية وفتحوها له وكذلك أهل الرملة . وولى علقمة بن حكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة ، وعلقمة بن مجزز على النصف الآخر وأسكنه بيت المقدس ، وضم عمراً وشرحبيل إليه فلقياه بالجابية . وركب عمر إلى بيت المقدس فدخلها وكشف عن الصخرة وأمر ببناء المسجد عليها وذلك سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة . ولحق أرطوبون بمصر مع من أبى الصلح من الروم حتى هلك في فتح مصر ، وقيل إنما لحق بالروم وهلك في بعض الصوائف . ثم فرق عمر العطاء ودون الدواوين سنة خمس عشرة ورتب ذلك على السابقة .

ولما أعطى صفوان بن أمية والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو أقل من غيرهم قالوا : لا والله لا يكون أحد أكرم منا . فقال : إنما أعطيت على سابقة الإسلام لأعلى الأحساب . قالوا فنعم إذاً . وخرجوا إلى الشام فلم يزوالوا مجاهدين حتى أصيبوا .

ولما وضع عمر الدواوين قال له عليّ وعبد الرحمن إبدأ بنفسك ، قال لا بل بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب ، ورتب ذلك على مراتب ففرض خمسة آلاف ثم أربعة ثم ثلاثة ثم ألفين وخمسمائة ثم ألفين ثم ألفاً واحداً ثم خمسمائة ثم ثلثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين ، وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف لكل واحدة وفضل عائشة بألفين ، وجعل النساء على مراتب فلاهل بدر خمسمائة ثم أربعماية ثم ثلثمائة ثم مائتين ، والصبيان مائة مائة والمساكين جريبين ^(٢) في الشهر ، ولم يترك في بيت المال شيئاً . وسئل في ذلك فأبى وقال : هي فتنة لمن بعدي . وسأل الصحابة في قوته من بيت المال ، فأذنوا له وسألوه في الزيادة على لسان حفصة ابنته متكمين عنه ، فغضب وامتنع ، وسألها عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيشه وملبسه وفراشه فأخبرته بالكفاف من ذلك ، فقال والله لأضعن الفضول مواضعها ولأبلغن بالترجية وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلثة سلكوا طريقاً

(١) الأصح ان يقول : تستقبلوني .

(٢) وفي نسخة ثانية : جريتين .

وتزود الأول فبلغ المترل واتبعه الآخر مقتدياً به كذلك ثم جاء الثالث بعدهما فإن اقتضى طريقهما وزادهما لحق بهما وإلا لم يلغها .

وفتحت في جمادى من هذه السنة تكريت لأن أهل الجزيرة كانوا قد اجتمعوا إلى المرزبان الذي كان بها وهم من الروم وإياد وتغلب والنمر ومعهم المشهارة ليحموا أرض الجزيرة من وراثهم ، فسرّح إليهم سعد بن أبي وقاص بأمر عمر ، كاتبه عبدالله بن المعتمر وعلى مقدمته ربيعي بن الأفكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة ، فحاصروهم أربعين يوماً وداخلوا العرب الذين معهم فكانوا يطلعونهم على أحوال الروم ، ثم يشس الروم من أمرهم واعتزموا على ركوب السفن في دجلة للنجاة ، فبعث العرب بذلك إلى المسلمين وسألوهم الأمان ، فأجابوهم على أن يسلموا فأسلموا وواعدوهم الثبات والتكبير وأن يأخذوا على الروم أبواب البحر مما يلي دجلة ففعلوا . ولما سمع الروم التكبير من جهة البحر ظنوا أن المسلمين استداروا من هناك فخرجوا إلى الناحية التي فيها المسلمون فأخذتهم السيوف من الجهتين ، ولم يفلت إلا من أسلم من قبائل ربيعة من تغلب والنمر وإياد . وقسمت الغنائم فكان للفارس ثلاثة آلاف درهم وللراجل ألف . ويقال إن عبدالله بن المعتمر بعث ربيعي بن الأفكل بعهد عمر إلى الموصل وبنينوى وهما حصنان على دجلة من شرقها وغربها ، فسار في تغلب وإياد والنمر وسبقوه إلى الحصنين فأجابوا إلى الصلح وصاروا ذمة . وقيل بل الذي فتح الموصل عتبة بن فرقد سنة عشرين وأنه ملك نينوى وهو الشرقي عنوة . وصالحوا أهل الموصل وهو الغربي على الجزيرة وفتح معها جبل الأكراد^(١) وجميع أعمال الموصل وقيل إنما بعث عتبة بن فرقد عياض بن غنم عندهما فتح الجزيرة على ما ذكره والله أعلم .

مسير هرقل إلى حمص وفتح الجزيرة وارمينية

كان أهل الجزيرة قد راسلوا هرقل وأغروه بالشام وأن يبعث الجنود إلى حمص وواعدوه المثلث ، وبعثوا الجنود إلى أهل هيت مما يلي العراق ، فأرسل سعد عمر بن مالك بن جبير بن مطعم في جند وعلى مقدمته الحرث بن يزيد العامري فسار إلى هيت وحاصروهم ، فلما رأى اعتصامهم بخندقهم حفر عليهم الحرث بن يزيد وخرج

(١) وفي النسخة البارسية : معاقيل الاكراد .

في نصف العسكر وجاء قرقيسيا على غرة فأجابوه إلى الجزية ، وكتب إلى الحرث أن
يخندق على عسكر الجزيرة فبيت حتى سألوا المسألة والعود إلى بلادهم فتركهم ولحق
بعمربن مالك .

ولما اعترم هرقل على قصد حمص وبلغ الخبر أبا عبيدة ضمّ إليه مساحله وعسكر
بفنائها ، وأقبل إليه خالد من قنسرين ، وكتبوا إلى عمر بخبر هرقل فكتب إلى سعد
أن يذهب بل أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسرحهم من يومهم فإن أبا
عبيدة قد أحيط به ، وإن يسرح سهيل بن عدي إلى الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين
استدعوا الروم إلى حمص ، وأن يسرح عبدالله بن عتيان إلى نصيبين ثم يقصد حران
والرها ، وأن يسرح الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وأن يكون
عياض بن غنم على أمراء الجزيرة هؤلاء إن كانت حرب . فمضى القعقاع من يومه في
أربعة آلاف إلى حمص ، وسار عياض بن غنم وأمراء الجزيرة كل أمير إلى كورته ،
وخرج عمر من المدينة فأتى الجابية يريد حمص مغنياً لأبي عبيدة . ولما سمع أهل
الجزيرة خبر الجنود فارقوا هرقل ورجعوا إلى بلادهم ، وزحف أبو عبيدة إلى الروم
فانهزموا ، وقدم القعقاع من العراق بعد الوقعة بثلاث ، وكتبوا إلى عمر بالفتح
فكتب إليهم أن أشركوا أهل العرب في الغنيمة . وسار عياض بن غنم إلى الجزيرة
وبعث سهيل بن عدي إلى الرقة عند ما انقبضوا عن هرقل فنهضوا معه ، إلا إياد بن
نزار ، فإنهم دخلوا أرض الروم . ثم بعث عياض بن سهيل وعبدالله يضمها إليه ،
وسار بالناس إلى حران فأجابوه إلى الجزية . ثم سرح سهيلاً وعبدالله إلى الرها فأجابوا
إلى الجزية ، وكمل فتح الجزيرة . وكتب أبو عبيدة إلى عمر لما رجع من الجابية ،
وانصرف معه خالد أن يضم إليه عياض بن غنم مكانه ففعل ، وولى حبيب بن مسلمة
على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على عربها .

ولما بلغ عمر دخول إياد إلى بلاد الروم ، كتب إلى هرقل بلغني أن حياً من أحياء
العرب تركوا دارنا وأتوا دارك فوالله لتخرجنهم أو لنخرجن النصارى إليك ،
فأخرجهم هرقل وتفرق منهم أربعة آلاف فيما يلي الشام والجزيرة ، وأبى الوليد بن
عقبة أن يقبل منهم إلا الإسلام ، فكتب إليه عمر إنما ذلك في جزيرة العرب إلى تل
التي فيها مكة والمدينة واليمن فدعهم على أن لا ينصّروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من
الإسلام . ثم وفدوا إلى عمر في أن يضع عنهم اسم الجزيرة فجعلها الصدقة مضاعفة .

ثم عزل الوليد عنهم لسطوته وعزتهم ، وأمر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمر الجملي .

وقال ابن اسحق : إن فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة وإن سعداً بعث إليها الجند مع عياض بن غنم وفيهم ابنه عمر مع عياض بن غنم ، ففتح عمر مع عياض الرها ، وصالحت حران ، وافتتح أبو موسى نصيبين ، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية فصالحوه على الجزيرة ، ثم كان فتح قيسارية من فلسطين ، فتكون الجزيرة على هذا من فتوح أهل العراق والأكثر أنها من فتوح أهل الشام . وأن أبا عبيدة سير عياض بن غنم إليها ، وقيل بل استخلفه لما توفي ، فولاه عمر على حمص وقسرين والجزيرة فسار إليها سنة ثمان عشرة في خمسة آلاف فأنهت طائفة إلى الرقة فحاصروها حتى صالحوه على الجزيرة والخراج على الفلاحين . ثم سار إلى حران فجهز عليها صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة ، وسار هو إلى الرها فحاصرها حتى صالحوه . ثم رجع إلى حران وصالحهم كذلك ، ثم فتح سميساط وسروج ورأس كيفا فصالحوه على منبج كذلك ، ثم آمد ثم ميفارقين ثم كفرتوثا^(١) ثم نصيبين ثم ماردين ثم الموصل وفتح أحد حصنها ، ثم سار إلى أرزن الروم ففتحها ودخل الدرب إلى بدليس^(٢) . ثم خلاط فصالحوه وانتهى إلى اطراف أرمينية ، ثم عاد إلى الرقة ومضى إلى حمص فمات . واستعمل عمر عمير بن سعد الأنصاري ففتح رأس عين وقيل إن عياضاً هو الذي أرسله ، وقيل إن أبا موسى الأشعري هو الذي افتتح رأس عين بعد وفاة عياض بولاية عمر ، وقيل إن خالداً حضر فتح الجزيرة مع عياض ودخل الحمام بآمد فأطلى بشيء فيه خمر وقيل لم يسر خالد تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة .

ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة إلى ملطية ففتحها عنوة أيضاً ورتب فيها الجند وولى عليها ، ولما أدرب عياض بن غنم من الجالية . فرجع عمر إلى المدينة سنة سبع عشرة وعلى حمص أبو عبيدة ، وعلى قسرين خالد بن الوليد من تحتة ، وعلى دمشق يزيد ، وعلى الأردن معاوية ، وعلى فلسطين علقمة بن مجزز ، وعلى السواحل عبدالله بن قيس . وشاع في الناس ما أصاب خالد مع عياض بن غنم من الأموال فانتجعه رجال منهم الأشعث بن قيس وأجازه بعشرة آلاف ، وبلغ ذلك

(١) وفي النسخة الباريسية : كفرتوثا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : نفليس .

عمر مع ما بلغه في آمد من تدهلكه بالخمير ، فكتب إلى أبي عبيدة أن يقيمه في المجلس ويترع عنه قلنسوته ويعقله بعمامة ويسأله من أين أجاز الأشعث ؟ فإن كان من ماله فقد أسرف فاعزله واضمم إليك عمله . فاستدعاه أبو عبيدة وجمع الناس وجلس على المنبر وسأل البريد ^(١) خالداً فلم يجبه ، فقام بلال وأنفذ فيه أمر عمر وسأله ، فقال : من مالي فأطلقه وأعاد قلنسوته وعمامة . ثم استدعاه عمر فقال من أين هذا الثراء ؟ قال : من الأنفال والسهان وما زاد على ستين ألفاً فهو لك فجمع ماله فراد عشرين فجعلها في بيت المال ثم استصلحه .

وفي سنة سبع عشرة هذه اعتمر عمر ووسع في المسجد ، وأقام بمكة عشرين ليلة ، وهدم على من أبي البيع دورهم لذلك ، وكانت العمارة في رجب وتولاها : مخزومة بن نوفل ، والأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى وسعيد بن يربوع ، واستأذنه أهل المياه أن يبنوا المنازل بين مكة والمدينة فأذن لهم على شرط أن ابن السبيل أحق بالظل والماء .

غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة وولاية أبي موسى

كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أيام أبي بكر ثم عزله عمر بقدامة بن مظعون ثم أعاده ، وكان العلاء يناوىء سعد بن أبي وقاص ووقع له في قتال أهل الردة ما وقع ، فلما ظفر سعد بالقادسية كانت أعظم من فعل العلاء ، فأراد أن يؤثر في الفرس شيئاً فندب الناس إلى فارس وأجابه ، وقرقهم أجنادا بين الجارود بن المعلى والسوار ابن همام وخليد بن المنذر وأمره على جميعهم وحمله في البحر إلى فارس بغير إذن من عمر لأنه كان ينهي عن ذلك وأبو بكر قبله خوف الفرق . فخرجت الجنود إلى اصطخرو بازائهم الهريذ في أهل فارس ، وحالوا بينهم وبين سفنهم فحاطبهم خليد وقال : إنما جئتم لمحاربتهم والسفن والأرض لمن غلب . ثم ناهدوهم واقتلوا بطاوس ، وقتل الجارود والسوار وأمر خُليد أصحابه أن يقاتلوا رجالة ، وقتل من الفرس مقتلة عظيمة ، ثم خرج المسلمون نحو البصرة وأخذ الفرس عليهم الطرق فعسكروا

(١) وفي نسخة ثانية : اليزيد .

وامتنعوا ، وبلغ ذلك عمر فأرسل إلى عتبة بالبصرة يأمره بإنفاذ جيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا ، وأمر العلاء بالإنصراف عن البحرين إلى سعد بن معه ، فأرسل عتبة الجنود اثني عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثة والأحنف بن قيس وأمثالهم وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم من عامر بن لؤي ، فساحل بالناس حتى لقوا خليداً والعسكر ، وقد تداعى إليهم بعد وقعة طاوس أهل فارس من كل ناحية ، فاقتتلوا وانهزم المشركون وقتلوا . ثم انكفؤا بما أصابوا من الغنائم واستحثهم عتبة بالرجوع فرجعوا إلى البصرة .

ثم استأذن عتبة في الحج فأذن له عمر فحج ، ثم استغفاه فأبى وعزم عليه ليرجعن إلى عمله فانصرف ومات بيطن نخلة على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد . واستخلف على عمله أبا سبرة بن أبي رهم فأقره عمر بقية السنة . ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها ، وكان بينه وبين أبي بكر منافرة وكانا متجاورين في مشرتين يفقد البصر من إحداهما إلى الأخرى من كوتين ، فرعما أن أبا بكر وزباد بن أبيه وهو أخوه لأمه^(١) وآخرين معها عابوا المغيرة على حالة قذفه بها ، وادعوا الشهادة ومنعه أبو بكر من الصلاة ، وبعثوا إلى عمر ، فبعث أبا موسى أميراً في تسعة وعشرين من الصحابة فيهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ومعهم كتاب عمر إلى المغيرة : « أما بعد فقد بلغني عنك نبأ عظيم وبعثت أبا موسى أميراً فسلم إليه ما في يدك والعجل » . ولما استحضرهم عمر اختلفوا في الشهادة ولم يستكملها زياد فجلد الثلاثة . ثم عزل أبا موسى عن البصرة بعمر بن سراقه ثم صرفه إلى الكوفة ورد أبا موسى فأقام عليه .

بناء البصرة والكوفة

وفي هذه السنة وهي أربع عشرة بلغ عمر أن العرب تغيرت ألوانهم ورآى ذلك في وجوه وفودهم فسألهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا ، وقيل إن حذيفة وكان مع سعد كتب بذلك إلى عمر فسأل عمر سعداً فقال : غيرتهم وخومة البلاد والعرب لا يوافقها من البلاد إلا ما وافق إبلها ، فكتب إليه أن يبعث سلمان وحذيفة شرقية فلم يرضيا إلا

(١) وفي النسخة البارسية : اخوه لأبيه .

بقعة الكوفة فضليا فيها ودعيا أن تكون منزل ثبات . ورجع إلى سعد فكتب إلى القعقاع وعبدالله بن المعتمر أن يستخلفا على جندهما ويحضرا ، وارتحل من المدائن فترل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة لستين وشهرين من وقعة القادسية ولثلاث سنين وثمانية أشهر من ولاية عمر ، وكتب إلى عمر إني قد نزلت الكوفة بين الحيرة والفرات برّيا بحريا بين الجلاء والنصر وخيرت الناس بينهما وبين المدائن ومن أعجبه تلك جعلته فيها مسلحة ، فلما استقروا بالكوفة ثاب إليهم ما فقدوه من حالهم . ونزل أهل البصرة أيضاً منازلهم في وقت واحد مع أهل الكوفة بعد ثلاث مرات نزلوها من قبل واستأذنوا جميعاً في بنيان القصب ، فكتب عمر : إن العسكرة أشد لحربكم وأذكر لكم وما أحب أن أخالفكم فابتنوا بالقصب . ثم وقع الحريق في القصرين فاستأذنوا في البناء باللبن فقال : إفعلوا ولا يزيد أحد على ثلاثة بيوت ولا تطاولوا في البنيان والزمو السنة تلزمكم الدولة . وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك ، وعلى تنزيل البصرة أبو المحرب عاصم بن الدلف . وكانت ثغور الكوفة أربعة : حلوان وعليها القعقاع ، وما سبدان وعليها ضرار بن الخطاب ، وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك ، والموصل وعليها عبدالله بن المعتمر . ويكون بها خلفاؤهم إذا غابوا .

فتح الأهواز والسوس بعدها

لما انهزم الهرمزان يوم القادسية قصد خوزستان وهي قاعدة الأهواز فلحقها وملك سائر الأهواز ، وكان أصله منهم من البيوتات السبعة في فارس ، وأقام يغير على أهل ميسان ودست ميسان من ثغور البصرة يأتي إليها من منادر ونهر تيري من ثغور الأهواز . واستمد عتبة بن غزوان سعداً فأمدّه بنعيم بن مقرن ، ونعيم بن مسعود ، فترلا بين ثغور البصرة وثغور الأهواز . وبعث عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة^(١) من بني العدوية بن حنظلة فترلا على ثغور البصرة بميسان ، ودعوا بني العم بن مالك وكانوا يتزلون خراسان ، فأهل البلاد يأمنونهم ، فاستجابوا وجاء منهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي فلقيا سلمى وحرملة وواعداهما الثورة بمناذر ونهر تيري . ونهض سلمى وحرملة يوم الموعد في التعبئة وأنهضا نعيماً والتقوا هم

(١) وفي نسخة ثانية : بن قريضة .

والهرمزان^(١) وسلمي على أهل البصرة ونعيم على أهل الكوفة ، وأقبل إليهما المدد من قبل غالب وكليب وقد ملك منادر ونهرتيري ، فانهزم وقتل المسلمون من أهل فارس مقتلة ، وانتهاوا في اتباعهم إلى شاطئ دجيل وملكوا ما دونها . وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وصار دجيل بينه وبين المسلمين ، ثم طلب الهرمزان الصلح فصالحوه على الأهواز كلها ما خلا^(٢) نهر تيري ومنادر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرد ، وبقيت المسالحي على نهرتيري ومنادر وفيها غالب وكليب . ثم وقع بينهما وبين الهرمزان اختلاف في التخم ووافقها سلمى وحرملة فنقض الهرمزان ومنع ما قبله وكشف جنوده بالأكراد ، وبعث عتبة بن غزوان حرقوص بن زهير السعدي لقتاله ، فانهزم وسار إلى رام هرمز وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها واتسقت^(٣) له البلاد إلى تستر . ووضع الجزية وكتب بالفتح وبعث في أثر الهرمزان جزء بن معاوية فانهى إلى قرية الشجر ، ثم إلى دورق فملكها وأقام بالبلاد وعمرها وطلب الهرمزان الصلح على ما بقي من البلاد ، ونزل حرقوص جبل الأهواز وكان يزدجرد في خلال ذلك يمد ويحرض أهل فارس حتى اجتمعوا وتعاهدوا مع أهل الأهواز على النصرة ، وبلغت الأخبار حرقوصاً وجزءاً وسلمى وحرملة فكتبوا إلى عمر فكتب إلى سعد أن يبعث جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن يتزلون منازل الهرمزان ، وكتب إلى أبي موسى أن يبعث كذلك جنداً كثيفاً مع سعد بن عدي أخى سهيل ويكون فيهم البراء بن مالك ومخزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم ، وعلى الجندين أبو سبرة بن أبي رهم .

فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فخلف حرقوصاً وسلمى وحرملة إلى الهرمزان وهو برام هرمز ، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة ولقيه فانهزم ولحق بتستر ، وجاء النعمان إلى رام هرمز فترها وجاء أهل البصرة من بعده فلحقهم خبر الواقعة بسوق الأهواز فساروا حتى أتوا تستر ، ولحقهم النعمان فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان ، وأمدّهم عمر بأبي موسى جعله على أهل البصرة فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل ، وزاحفهم المشركون ثمانين زحفاً سجالاً ثم انهزموا في آخرها ، واقتحم المسلمون خنادقهم وأحاطوا بها وضاق عليهم الحصار فاستأمن بعضهم من

(١) وفي النسخة البارسية : ولقوا الهرمزان .

(٢) وفي النسخة البارسية : ما عدا .

(٣) وفي نسخة ثانية : اتسعت .

داخل البلد بمكوب في سهم على أن يلهم على مدخل يدخلون منه ، فانتدب لهم طائفة ودخلوا المدينة من مدخل الماء وملكوها وقتلوا المقاتلة ، وتحصن الهرمزان بالقلعة فأطافوا بها واستترلوه على حكم عمرو وأوثقوه . واقتسموا النية فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألف . وقتل من المسلمين في تلك الليلة البراء بن مالك وحزاة بن ثور قتلها الهرمزان .

ثم خرج أبو سبرة في أثر المنهزمين ومعه النعمان وأبو موسى فترلوا على السوس ، وسار زر بن عبد الله الفقيمي إلى جنديسابور فترل عليها . وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بالرجوع إلى البصرة وأمر مكانه الأسود بن ربيعة بن مالك صحابي يسمى المقرب ، وأرسل أبو سبرة بالهرمزان إلى عمر في وفد منهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس فقدموا به المدينة والبسوه كسوته من الديباج المذهب وتاجه مرصعاً بالياقوت وحليته ليراه المسلمون ، فلما رآه عمر أمر بترع ما عليه وقال يا هرمزان كيف رأيت أمر الله وعاقبة الغدر؟ فقال : يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبنكم . فلما صار الآن معكم غلبتمونا . قال : فما حجتك وما عذرک في الانتقاض مرة بعد أخرى ؟ قال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ، قال لا تخف ذلك . ثم استقى فأتني بالماء فقال : أخاف أن أقتل وأنا أشرب فقال لا بأس عليك حتى تشربه ، فألقاه من يده وقال لا حاجة لي في الماء وقد أمتني . قال : كذبت . قال أنس : صدق يا أمير المؤمنين فقد قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني وحتى تشربه وصدق الناس . فأقبل عمر على الهرمزان وقال خدعتني لا والله إلا أن تسلم ! فأسلم . ففرض له في ألفين وأنزله المدينة واستأذنه الأحنف بن قيس في الانسحاب في بلاد فارس وقال : لا يزالون في الانتقاض حتى يهلك ملكهم فأذن له .

ولما لحق أبو سبرة بالسوس^(١) ونزل عليها وبها شهريار أخو الهرمزان فأحاط بها ومعه المقرب بن ربيعة في جند البصرة ، فسأل أهل السوس الصلح فأجابوهم . وسار النعمان بن مقرن بأهل الكوفة إلى نهاوند وقد اجتمع بها الأعاجم ، وسار المقرب إلى زر بن عبد الله على جنديسابور فحاصروها مدة ثم رمى السهم بالأمان من خارج على الجزية فخرجوا لذلك ، فناكرهم المسلمون فإذا عبد فعل ذلك أصله منهم ، فأمضى عمر أمانه . وقيل في فتح السوس إن يزيد جرد سار بعد وقعة جلولاء فترل

(١) وفي النسخة البارسية : بالفارس

اصطخر ومعه سباه^(١) في سبعين ألفا من فارس فبعثه إلى السوس ونزل الكلبانية وبعث الهرمزان إلى تستر ، ثم كانت واقعة أبي موسى فحاصروهم فصالحوه على الجزية وسار إلى هرمز ثم إلى تستر . ونزل سباه بين رام هرمز وتستر ، وحمل أصحابه على صلح أبي موسى ثم على الإسلام على أن يقتلوا الأعاجم ولا يقتلوا العرب وعتقهم هو من العرب ، ويلحقوا بأشراف العطاء فأعطاهم ذلك عمر^(٢) وأسلموا وشهدوا فتح تستر ، ومضى سباه إلى بعض الحصون في زبي العجم فغدرهم وفتحته للمسلمين وكان فتح تستر وما بعدها سنة سبع عشرة وقيل ست عشرة .

مسير المسلمين إلى الجهات للفتح

لما جاء الأحنف بن قيس بالهرمزان إلى عمر قال له : يا أمير المؤمنين لا يزال أهل فارس يقاتلون ما دام ملكهم فيهم فلو أذنت بالإنسيح في بلادهم فازلتنا^(٣) ملكهم انقطع رجاؤهم . فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة غير بعيد ويقم حتى يأتي أمره ، ثم بعث إليه مع سهيل بن عديّ بالويرة الأمراء الذين يسرون في بلاد العجم : ولواء خراسان للأحنف بن قيس ، ولواء أردشير خرة وسابور لمجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء اصطخر لعثمان بن أبي العاص الثقفي ، ولواء فسا ودارا مجرد لسارية بن زئيم الكناني ، ولواء كرمان لسهيل بن عديّ ، ولواء سجستان لعاصم بن عمرو ، ولواء مكران للحكم بن عمير التغلبي^(٤) . ولم يتبأ مسيرهم إلى سنة ثمان عشرة ، ويقال سنة إحدى وعشرين أو اثنين وعشرين ، ثم ساروا في بلاد العجم وفتحوا كما يذكر بعد .

محاكاة عام الرمادة وطاعون عمواس

وأصاب الناس سنة ثمان عشرة قحط شديد وجذب أعقب جوعا بعد العهد بمثله مع طاعون أتى على جميع الناس ، وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يجيا

(١) وفي نسخة ثانية : سباه

(٢) وفي النسخة الباريية : فعقد لهم ذلك عمر وأسلموا .

(٣) وفي النسخة الباريية : فازلت ملكهم

(٤) وفي نسخة ثانية : التغلبي .

الناس ، وكتب إلى الأمراء بالأمصار يستمدّهم لأهل المدينة ، فجاء أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من الطعام ، وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر ، واستقى عمر بالناس فخطب الناس وصلى . ثم قام وأخذ بيد العباس وتوسّل به ثم بكى وجثا على ركبتيه يدعو إلى أن مُطر الناس . وهلك بالطاعون أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابنه عتبة في آخرين أمثالهم . وتفانى الناس بالشام ، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتفع بالمسلمين من الأرض التي هو بها فدعا أبا موسى يرتاد له منزلاً ومات قبل رحيله ، وسار عمر بالناس إلى الشام وانتهى إلى سرّغ ولقيه أمراء الأجناد وأخبروه بشدّة الوباء ، واختلف الناس عليه في قدومه فقبل إشارة العود ورجع ، وأخبر عبد الرحمن بن عوف بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الوباء فقال : «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه» . أخرجاه في الصحيحين .

ولما هلك يزيد ولّى عمر على دمشق مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان وعلى الأرض شرحبيل بن حسنة ، ولما فحش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر على السير إليه ليقسّم موارث المسلمين ويتطوّف على الثغور ففعل ذلك ، ورجع واستقضى في سنة ثمان عشرة على الكوفة شريح بن الحارث الكندي ، وعلى البصرة كعب بن سوار الأزدي . وحج في هذه السنة ويقال إن فتح جلولاء والمدائن والجزيرة كان في هذه السنة وقد تقدّم ذكر ذلك وكذلك فتح قيسارية على يد معاوية وقيل سنة عشرين .

فتح مصر

ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاص في فتح مصر فأغراه ثم اتبعه الزبير بن العوام فساروا سنة عشرين أو إحدى أو اثنين أو خمس فاقترحوا باب إليون ثم ساروا في قرى الريف إلى مصر ولقيهم الجاثليق أبو مريم والأسقف قد بعثه المقوقس ، وجاء أبو مريم إلى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم ، وأجلّهم ثلاثاً ورجعوا إلى المقوقس وأرطبون أمير الروم فأبى من ذلك أرطبون وعزم على الحرب وبيّت المسلمين فهزموه وجنده . ونازلوا عين شمس

وهي المطرية وبعثوا لحصار الفرما أبرهه^(١) بن الصباح ، ولحصار الإسكندرية عوف ابن مالك ، وراسلهم أهل البلاد وانتظروا عين شمس فحاصروهم عمرو والزبير مدة حتى صالحوهم على الجزية ، وأجروا ما أخذوا قبل ذلك عنوة ، فجرى الصلح وشرطوا ردّ السبايا فأمضاه لهم عمر بن الخطاب على أن يحجز السبايا في الإسلام وكتب العهد بينهم ونصّه :

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ودمهم وأموالهم وكافّتهم وصاعهم^(٢) ومدّهم وعددهم لا يزيد شيء في ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليه من جنى نصرتهم فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزى بقدرهم^(٣) وذمتنا ممّن أبى برية وإن نقص نهرهم من غايته^(٤) اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله ما لهم وعليه ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ويخرج من سلطانتنا ، وعليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته ورسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذم المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبدالله ومحمد إبنه وكتب وردان وحضر » هذا نص الكتاب منقولاً من الطبري .

قال فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح ونزل المسلمون الفسطاط ، وجاء أبو مريم الجاثليق يطلب السبايا التي بعد المعركة في أيام الأجل فأبى عمرو من ردّها وقال : أغاروا وقتلوا وقسمتهم في الناس ، وبلغ الخبر إلى عمر فقال : من يقاتل في أيام الأجل فله الأمن وبعث بهم إلى الرباقي^(٥) فردّهم عليهم . ثم سار عمرو إلى الإسكندرية فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط فهزمهم وأنخن

(١) وفي نسخة ثانية : الفورفا أبرهه

(٢) وفي النسخة الباريسية : وصلهم

(٣) وفي نسخة ثانية : من الجزية بعددهم

(٤) وفي النسخة الباريسية : من عادته

(٥) وفي نسخة ثانية : الرقاق

قيهم ، ونازل الإسكندرية وبها المقوقس وسأله الهدنة إلى مدّة فلم يجبه وحاصره
ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة . وقيل إن المقوقس صالح عمراً
على إثني عشر ألف دينار على أن يخرج من يخرج ويقيم من يقيم باختيارهم وجعل
عمرو فيها جنداً .

ولما تم فتح مصر والإسكندرية أغزى عمرو العساكر إلى النوبة فلم يظفروا ، فلما كان
أيام عثمان وعبدالله بن أبي سرح على مصر صالحهم على عدّة رؤوس في كل سنة
ويهدي إليهم المسلمون طعاماً وكسوة فاستمر ذلك فيها^(١) .

وقعة نهاوند وما كان بعدها من الفتوحات

لما فتحت الأهواز ويزدجرد بمرؤ كاتبه واستنجدوه ، فبعث إلى الملوك ما بين الباب
والسند وخراسان وحلوان يستمدّهم فأجابوه ، واجتمعوا إلى نهاوند وعلى الفرس
الفيروزان في مائة وخمسين ألف مقاتل . وكان سعد بن أبي وقاص قد ألب أقوام عليه
من عسكره ، وشكوا إلى عمر فبعث محمد بن مسلمة في الكشف عن أمره فلم يسمع
إلاّ خيراً سوى مقالة من بني عبس ، فاستقدمه محمد إلى عمر وخبره الخبر وقال :
كيف تصلي يا سعد ؟ قال : أطيل^(٢) الأولتين وأحذف الأخيرتين . قال : هكذا^(٣)
الظن بك ، ثم قال : من خليفتك على الكوفة ؟ قال : عبدالله بن عثمان
فأقره وشافهه بخبر الأعاجم وأشار بالانسياح ليكون أهيب على العدو . فجمع عمر
الناس واستشارهم بالمسير بنفسه ، فمن موافق ومخالف إلى أن اتفق رأيهم على أن يبعث
الجنود ويقيم رداء لهم ، وكان ذلك رأي عليّ وعثمان وطلحة وغيرهم ، فولّى على
حربهم النعمان بن مقرن المزني وكان على جند الكوفة بعد انصرافهم من حصار
السوس ، وأمره أن يصير إلى ماء لتجتمع الجيوش عليه ويسير بهم إلى الفيروزان ومن
معه . وكتب إلى عبدالله بن عثمان أن يستنفر الناس مع النعمان ، فبعثهم مع
حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن ، وكتب إلى المقرب وحرمة وزرّ الذين كانوا
بالأهواز وفتحوا السوس وجنديسابور أن يقيموا بتخوم أصهبان وفارس ويقطعوا المدد

(١) وفي نسخة ثانية : فيما بعد .

(٢) وفي النسخة الباريسية : أصلى الأولتين

(٣) وفي النسخة الباريسية : هو

عن أهل نهاوند .

واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة وجريز والمغيرة وابن عمر وأمثالهم ، وأرسل النعمان طليحة وعمرو بن معد يكرب طليعة ، ورجع عمرو من طريقه . وانتهى طليحة إلى نهاوند ونقض الطرق فلم يلق بها أحداً وأخبر الناس ، فرحل النعمان وعبي المسلمين ثلاثين ألفاً ، وجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى الجردة القعقاع وعلى الساقة مجاشع بن مسعود . ومع الفيرزان كتابه وعلى مجنبيه الزردق وهمن جادويه مكان ذي الحاجب ، وقد توافى إليهم بنهاوند كل من غاب من القادسية من أبطالهم .

فلما تراءى الجمعان كبر المسلمون وحطت العرب الأتقال وتبادر أشراف الكوفة إلى فسطاط النعمان فبنوه ، حذيفة بن اليمان والمغيرة بن شعبة وعقبة بن عمرو وجريز بن عبدالله وحنظلة الكاتب وبشير بن الخصاصة والأشعث بن قيس ووائل بن حجر وسعيد بن قيس الهمداني . ثم تراخفوا للقتال يوم الأربعاء والخميس والحرب سجال ثم أحجروهم في خنادقهم يوم الجمعة وحاصروهم أياماً ، وسُم المسلمون إعتصامهم بالخنادق وتشاوروا ، وأشار طليحة باستخراجهم للمناجزة بالاستطراد فتأشبهم القعقاع فبرزوا إليه كأنهم حبال حديد قد توائقوا أن لا يقرؤا وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا ، فلما بارزوا استطرد لهم حتى فارقوا الخنادق وقد ثبت لهم المسلمون ونزل الصبر ، ثم وقف النعمان على الكتاب وحرض المسلمين ودعا لنفسه بالشهادة ، وقال : إذا كبرت الثالثة فاحملوا . ثم كبر وحمل عند الزوال وتجاول الناس ساعة وركدت الحرب ثم انفض الأعاجم وانهزموا وقتلوا ما بين الظهر والعتمة حتى سالت أرض المعركة دما ترلق فيه المشاة حتى زلق فيه النعمان وصرع ، وقيل بل أصابه سهم ، فسجّاه أخوه نعيم بثوب . وتناول الراية حذيفة بعهدته وتواصوا بكتمان موته . وذهب الأعاجم ليلاً وعميت عليهم المذاهب ، وعقرهم حسك الحديد ووقعوا في اللهب الذي أعدوه في عسكرهم فمات منهم أكثر من مائة ألف منها نحو ثلاثين ألفاً في المعركة ، وهرب الفيرزان بعد أن صرع إلى همدان واتبعه نعيم بن مقرن فأدركه بالثنية دونها وقد سدتها الأحمال وترجل وصعد في الجبل ، وكان نعيم قد قدّم القعقاع أمامه فاعترضه وقتله المسلمون على الثنية ، ودخل الفلّ همدان وبها خسرشونم فترل المسلمون عليها مع نعيم والقعقاع ، ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة وغنموا ما فيها

وجمعوه إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع .
 ووَلَّى على الجند حذيفة بعهد النعمان إليه . ثم جاء الهربذ صاحب بيت النار إلى حذيفة
 فأمنه وأخرج له سفطين مملوئين^(١) جوهرًا نفيسًا كانا من دخائر كسرى أودعها عنده
 البخرجان^(٢) فنقلها المسلمون ، وبعث الخمس مع السائب إلى عمر وأخبره بالواقعة
 وبالفتح بمن استشهد فبكى ، وبالسفطين فقال ضعها^(٣) في بيت المال والحق
 بجنحك . قال السائب : ثم لحقني رسوله بالكوفة فردني إليه فلما رأي قال : ما لي
 وللسائب ما هو إلا أن نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني إلى
 السفطين يشتعلان نارا يتوعدوني بالكى إن لم أقسمها فخذها عني وبعها في أرزاق
 المسلمين . فبعتهما بالكوفة من عمرو بن حريث المخزومي بالفي ألف درهم وباعها
 عمرو بأرض الأعاجم بضعفها ، فكان له بالكوفة مال . وكان سهم الفارس بهاوند
 ستة آلاف والراجل ألفين ولم يكن للفرس من بعدها إجماع . وكان أبو لؤلؤة قاتل عمر
 من أهل نهاوند حصل في أسر الروم وأسره الفرس منهم ، فكان إذا لقي سبيّ نهاوند
 بالمدينة يبكي ويقول : أكل عمر كبدي . وكان أبو موسى الأشعري قد حضر نهاوند
 على أهل البصرة فلما انصرف مرّ بالدينور فحاصرها خمسة أيام ، ثم صالحوه على
 الجزية . وسار إلى أهل شيروان^(٤) فصالحوه كذلك . وبعث السائب بن الأقرع إلى
 الصيمرة^(٥) ففتحها صلحاً .

ولما اشتدّ الحصار بأهل همدان بعث خسرشوم إلى نعيم والققعاق في الصلح على قبول
 الجزية فأجابوه إلى ذلك ثم اقتدى أهل الماهين وهم الملوك الذين جاؤا لنصرة يزدجرد
 وأهل همدان ، وبعثوا إلى حذيفة فصالحوه . وأمر عمر بالإنسياح في بلاد الأعاجم ،
 وعزل عبدالله بن عبدالله بن عتبان عن الكوفة وبعثه في وجه آخر . ووَلَّى مكانه زياد
 بن حنظلة حليف بني عبد قصي واستغنى فأعفاه ، ووَلَّى عمار بن ياسر ، واستدعى
 ابن مسعود من حمص فبعثه معه معلماً لأهل الكوفة ، وأمدّهم بأبي موسى ، وأمدّ

(١) وفي نسخة ثانية : صفتين مملوءتين

(٢) وفي نسخة ثانية : البخرجان .

(٣) وفي نسخة ثانية : صنها

(٤) وفي النسخة الباريية : شيروان

(٥) وفي النسخة الباريية : العميرة وفي نسخة ثانية : العميرة .

أهل البصرة مكانه بعبدالله بن عبدالله ، ثم بعثه إلى أصبهان مكان حذيفة ، وولّى على البصرة عمرو بن سراقه .

ثم انتقض أهل همدان فبعث إلى نعيم بن مقرن فحاصرهم ، وصار بعد فتحها إلى خراسان ، وبعث عتبة بن فرقد وبكر بن عبدالله إلى أذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل ، ولما وصل عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى أصبهان ، وكان من الصحابة من وجوه الأنصار حليف بني الحلبى فأمدّه بأبي موسى ، وجعل على محبتيه عبدالله بن ورقاء الرياحي وعصمة بن عبدالله ، فسار إلى نهاوند ورجع حذيفة إلى عمله على ما سقت دجلة . فسار عبدالله بمن معه ومن تبعه من عند النعمان نحو أصبهان ، وعلى جندها الأسبيدان وعلى مقدمته شهر يار بن جادويه في جمع عظيم برستاق أصبهان ، فاقتتلوا وبارز عبدالله بن ورقاء شهر يار فقتله ، وانهزم أهل أصبهان وصالحهم الأسبيدان على ذلك الرستاق ، ثم ساروا إلى أصبهان وتسمى جي^(١) وملكها الفادوسفان^(٢) ، فصالحهم على الجزية والخيار بين المقام والذهاب وقال : ولكم أرض من ذهب . وقدم أبو موسى على عبدالله من ناحية الأهواز فدخل معه أصبهان وكتبوا إلى عمر بالفتح . فكتب إلى عبدالله أن يسير إلى سهيل بن عديّ لقتال كرمان ، فاستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع ، ولحق بسهيل قبل أن يصل كرمان . وقد قيل : إنّ النعمان بن مقرن حضر فتح أصبهان أرسله إليها عمر من المدينة واستجاش له أهل الكوفة فقتل في حرب أصبهان ، والصحيح أنّ النعمان قتل بنهاوند . وافتتح أبو موسى قم وقاشان . ثم ولّى عمر على الكوفة سنة إحدى وعشرين المغيرة بن شعبة وعزل عمّاراً .

فتح همدان

كان أهل همدان قد صالح عليهم خسر شنوم القعقاع ونعيا وضمنها ثم انتقض فكتب عمر إلى نعيم أن يقصدها فودّع حذيفة ورجع إليها من الطريق على تعبيته ، فاستولى على بلادها أجمع حتى صالحوا على الجزية ، وقيل إن فتحها كان سنة أربع وعشرين فبينما نعيم يحول في نواحي همدان إذ جاء الخبر بخروج الديلم وأهل الريّ

(١) وفي النسخة الباريية : وتسمى جرّ

(٢) وفي النسخة الباريية : الفادوسوان

وأسفنديار أخو رستم بأهل اذربيجان ، فاستخلف نعيم على همدان يزيد بن قيس
 الحمداني وسار إليهم فاقتلوا وانهزم الفرس وكانت واقعتهما مثل نهاوند وأعظم . وكتبوا
 إلى عمر بالفتح فأمر نعيماً بقصد الري والمقام بها بعد فتحها . وقيل إن المغيرة بن شعبة
 أرسل من الكوفة جرير بن عبدالله إلى همدان ففتحها صلحا وغلب على أرضها ،
 وقيل تولّاها بنفسه وجرير على مقدمته . ولما فتح جرير همدان بعث البراء بن عازب
 إلى قزوین ففتح ما قبلها ، وسار إليها فاستنجدوا بالديلم فوعدهم ثم جاء البراء في
 المسلمين فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل ينظرون ، فيئس أهل قزوین منهم
 وصالحوا البراء على صلح أهر قبلها . ثم غزا البراء الديلم وجيلان^(١) .

فتح الري

ولما انصرف نعيم من واقعة سار إلى الري وخرج إليه أبو الفرخان من أهلها في الصلح
 وأبى ذلك ملكها سیاوخش بن مهران بن بهرام جوبين ، واستمد أهل ديباوند^(٢)
 وطبرستان وقومس^(٣) وجرجان فأمدّوه^(٤) والتقوا مع نعيم فشغلوا به عن المدينة ، وقد
 كان خلفهم أبو فرخان . ودخل المدينة من الليل ومعه المنذر بن عمر وأخو نعيم فلم
 يشعروا وهم موافقون لنعيم إلا بالتكبير من وراءهم ، فانهزموا وقتلوا وأفاء الله على
 المسلمين بالريّ مثل ما كان بالمدائن ، وصالحه أبو الفرخان الزيني^(٥) على البلاد فلم
 يزل شرفهم في عقبه . وأخرب نعيم مدينتهم العتيقة وأمر ببناء أخرى . وكتب إلى عمر
 بالفتح وصالحه أهل ديباوند على الجزية فقبل منهم .

ولما بعث بالأخماس إلى عمر كتب إليه بإرسال أخيه سويد إلى قومس ومعه هند بن
 عمرو الجملي ، فسار فلم يرقم له أحد وأخذها سلما وعسكر بها . وكتبه الفلّ الذين
 بطبرستان وبالمقارز فصالحوه على الجزية ، ثم سار إلى جرجان وعسكر فيها بيسظام
 وصالحه ملكها على الجزية ، وتلقاه مرزبان صول قبل جرجان فكان معه حتى جسي

(١) وفي النسخة الباريّة : ومرقان التير والطيلسان

(٢) وفي النسخة الباريّة : ديباوند

(٣) وفي النسخة الباريّة : وقومس

(٤) وفي النسخة الباريّة : فأوقدوه وفي نسخة أخرى : فأمره .

(٥) وفي النسخة الباريّة : المرسي

الخراج وأراه مروجها وسدّها ، وقبل كان فتحها سنة ثلاثين أيام عثمان ، ثم أرسل
سويد إلى الأصهبذ صاحب طبرستان على المودعة فقبل وعقد له بذلك .

فتح أذربيجان

ولما افتتح نعيم الريّ أمره عمر أن يبعث سماك بن خرشة الأنصاري إلى أذربيجان ممداً
لبكير بن عبدالله^(١) ، وكان بكير بن عبدالله عندما سار إلى أذربيجان لقي بالجلال
أسفنديار بن فرخزاد مهزوماً من واقعة نعيم من ماح رود^(٢) دون همدان وهو أخورستم
فهزمه بكير وأسرّه . فقال له : أمسكني عندك فأصالح لك على البلاد وإلا فمروا إلى
الجلال وتركوها ، وتحصّن من تحصّن إلى يوم ما فأمسكه وسارت البلاد صلحاً إلا
الحصون . وقدم عليه سماك وهو في مثل ذلك وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد
ما يليه ، وكتب بكير إلى عمر يستأذنه في التقدّم ، فأذن له أن يتقدّم نحو الباب وأن
يستخلف على ما افتتح ، فاستخلف عتبة بن فرقد وجمع له عمر أذربيجان كلها ،
فولّى عتبة سماك بن خرشة^(٣) على ما افتتحه بكير . وكان بهرام بن الفرخزاد قصد
طريق عتبة وأقام به في عسكره مقتصداً^(٤) معترضاً له فلقية عتبة وهزمه ، وبلغ خبر
الأسفنديار وهو أسير عند بكير فصالحه واتبعه أهل أذربيجان كلهم . وكتب بكير
وعتبة بذلك إلى عمر وبعثوا بالأخماس فكتب عمر لأهل أذربيجان كتاب الصلح ،
ثم غزا عتبة بن فرقد شهر زور والصامغان ففتحها بعد قتال على الجزية والخراج ،
وقتل خلقاً من الأكراد ، وكتب إلى عمر أن فتوح بلقت أذربيجان فولّاه إياها وولّى
هرثمة بن عرفة الموصل .

فتح الباب

ولما أمر عمر بكير بن عبدالله بغزو الباب والتقدم إليها ، بعث سراقة بن عمرو على
حربها فسار من البصرة ، وجعل على مقدّمته عبد الرحمن بن ربيعة وعلى إحدى

(١) وفي نسخة ثانية : لبكر بن عبدالله

(٢) وفي نسخة ثانية : معهم ابو حرود

(٣) وفي النسخة الباريسية : ابن خرثة

(٤) وفي النسخة الباريسية : معتصر

محبته ابن أسيد الغفاري وعلى الأخرى بكير بن عبد الله المتقدم وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلي ، وردّ أبا موسى الأشعري إلى البصرة مكان سراقه ، ثم أمدّ سراقه بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة ، وسار سراقه من أذربيجان ، فلما وصل عبد الرحمن بن ربيعة في مقدّمته على الباب والمملك بها يومئذ شهر يار من ولد شهر يار الذي أفسد بني اسرائيل وأغزى الشام منهم ، فكاتبه شهر يار واستأمنه على أن يأتي فحضر وطلب الصلح والمواعدة على أن تكون جزيته النصر والطاعة للمسلمين ، قال : ولا تسومونا الجزية فتوهنونا لعدوكم . فسوّه عبد الرحمن إلى سراقه فقبل منه وقال : لا بدّ من الجزية على من يقيم ولا يحارب العدو . فأجاب ، وكتبوا إلى عمر فأجاز ذلك .

فتح موقان وجبال ارمينية

ولما فرغ سراقه من الباب بعث^(١) أمراء إلى ما يليه من الجبال المحيطة بأرمينية ، فأرسل بكير بن عبد الله إلى موقان ، وحبيب بن مسلمة إلى تفليس ، وحذيفة بن اليمان إلى جبال اللان^(٢) ، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر . وكتب بالخبر إلى عمر فلم يرج تمام ذلك لأنه فرج عظيم ، ثم بلغه موت سراقه واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ، فأقره عمر على فرج الباب وأمره بغزو الترك . ولم يفتح أحد من أولئك الأمراء إلا بكير بن عبد الله فإنه فتح موقان ، ثم تراجعوا على الجزية ديناراً عن كل حالم .

غزو الترك

ولما أمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك سار حتى الباب وسار معه شهر يار فغزا بلنجر وهم قوم من الترك ففرّوا منه وتحصّنوا ، وبلغت خيله على مائتي فرسخ من بلنجر وعاد بالظفر والغنائم . ولم يزل يرّد الغزو فيهم إلى أيام عثمان فتدامر الترك وكانوا يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لأنّ الملائكة معهم ، فأصابوا في هذه الغزاة رجلاً من المسلمين على غرة فقتلوه وتجاسروا ، وقاتل عبد الرحمن فقتل وانكشف أصحابه ، وأخذ الراية أخوه سلمان فخرج بالناس ومعه أبو هريرة الدوسي فسلكوا على جيلان إلى جرجان .

(١) وفي النسخة البارسية : ولما فرغ من الباب بعث سراقه .

(٢) وفي نسخة ثانية : اللات .

فتح خراسان

ولما عقدت الألوية للأمراء للإنسياح في بلاد فارس كان الأحنف بن قيس منهم بخراسان وقد تقدم ، أن يزدرجرد سار بعد جلولاء إلى الريّ وبها أبان جادويه من مرازيته فأكرهه على خاتمه ، وكتب الضحّاك بما اقترح من ذخائر يزدرجرد وختم عليها وبعث بها إلى سعد ، فردّها عليه على حكم الصلح الذي عقد له . ثم سار يزدرجرد والناس معه إلى أصبهان ثم إلى كرمان ثم رجع إلى مرو من خراسان فترها وأمن من العرب ، وكاتب الهرمزان وأهل فارس بالأهواز والفيروزان وأهل الجبال فنكثوا^(١) جميعا وهزمهم الله وخذلهم وأذن عمر للمسلمين بالانسياح في بلادهم .

وأمر الأمراء كما قدّمناه وعقد لهم الألوية ، فسار الأحنف إلى خراسان سنة ثمان عشرة وقيل إثنين وعشرين فدخلها من الطبيين^(٢) ، وافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان^(٣) العبيدي ، ثم سار إلى مرو الشاهجان ، وأرسل إلى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير ، وإلى سرخس الحرث بن حسان ، ودرج يزدرجرد من مرو الشاهجان إلى مرو الروذ فملكها الأحنف ولحقه مدد أهل الكوفة هنالك ، فسار إلى مرو الروذ واستخلف على الشاهجان حارثة بن النعمان الباهلي وجعل مدد الكوفة في مقدّمته ، والتقوا هم ويزدرجرد على بلخ فهزموه وعبر النهر فلحقهم الأحنف وقد فتح الله عليهم ، ودخل أهل خراسان في الصلح ما بين نيسابور وطخارستان . وولّى على طخارستان ربيعي بن عامر ، وعاد إلى مرو الروذ فترها وكتب إلى عمر بالفتح ، فكتب إليه أن يقتصر على ما دون النهر .

وكان يزدرجرد وهو بمرو الروذ قد استنجد ملوك الأمم وكتب إلى ملك الصين وإلى خاقان ملك الترك وإلى ملك الصغد ، فلما عبر يزدرجرد النهر مهزوماً أنجده خاقان في الترك وأهل فرغانة والصغد ، فرجع يزدرجرد وخاقان إلى خراسان فترلا بلخ ، ورجع أهل الكوفة إلى الأحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه ، ثم رحل ونزل سفح الجبل في عشرين ألفاً من أهل البصرة وأهل الكوفة وتحصن العسكران بالخنادق وأقاموا

(١) وفي النسخة الباریسیة : فنكبوا .

(٢) وفي النسخة الباریسیة : الطمسين .

(٣) وفي نسخة أخرى : فلان وكذا في الكامل والطبري .

يقاتلون^(١) أياماً ، وصحبهم الأحنف ليلة وقد خرج فارس من الترك يضرب بطله ويتلوه إثنان كذلك ، ثم يخرج العسكر بعدهم عادة لهم ، فقتل الأحنف الأول ثم الثاني ثم الثالث فلما مرّ بهم خاقان تشاءم وتطير ورجع أدراجه فارتحل وعاد إلى بلخ ، وبلغ الخبر إلى يزدجرد وكان على مرو الشاهجان محاصراً لحارثة بن النعمان ومن معه فجمع خزائنه وأجمع اللحاق بخاقان على بلخ ، ففنع أهل فارس وحملوه على صلح المسلمين والركون إليهم وأنهم أوفى ذمة من الترك ، فأبى من ذلك وقتلهم فهزموه واستولوا على الخزائن ، ولحق بخاقان وعبروا النهر إلى فرغانة ، وأقام يزدجرد ببلك الترك أيام عمر كلها إلى أن كفر أهل خراسان أيام عثمان . ثم جاء أهل فارس إلى الأحنف ودفعوا إليه الخزائن والأموال وصالحوه واعتبطوا بملكة المسلمين ، وقسم الأحنف الغنائم فأصاب الفارس ما أصابه يوم القادسية .

ثم نزل الأحنف بلخ وأنزل أهل الكوفة في كورها الأربع ورجع إلى مرو الروذ فترها ، وكتب بالفتح إلى عمر . وكان يزدجرد لما عبر النهر لقي رسوله الذي بعثه إلى ملك الصين قد رده إليه يسأله أن يصف له المسلمين الذين فعلوا به هذه الأفاعيل مع قلة عددهم ، ويسأل عن وفائهم ودعوتهم وطاعة أمرائهم ووقوفهم عند الحدود وما كلهم وشراهم وملايسهم ومراكبهم ، فكتب إليه بذلك كله . وكتب إليه ملك الصين أن يسألهم فإنهم لا يقوم لهم شيء بما قام نردبيل^(٢) ، فأقام يزدجرد بفرغانة بعهد من خاقان . ولما وصل الخبر إلى عمر خطب الناس وقال : ألا وإن ملك الجوسية قد ذهب فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرب بمسلم ، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم^(٣)

(١) وفي النسخة الباريية : يقتلون .

(٢) كذا في الأصل : وفي الكامل ج ٣ ص ٣٧ : « وكتب ملك الصين إلى يزدجرد «إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجند أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق عليّ ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف ، فسألهم وأرض منهم بالمسألة ولا تبيحهم ما لم يبيحوك» .

(٣) وفي النسخة الباريية : أن تؤتوا الأمر قبلكم .

فتوح فارس

ولما خرج الأمراء الذين توجهوا إلى فارس من البصرة افترقوا وسار كل أمير إلى جهته وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا إلى بلدانهم وكانت تلك هزيمتهم وشتاتهم . وقصد مجاشع بن مسعود من الأمراء سابور وأردشير خرة فاعترضه الفرس دونها بتوج فقتلهم وأثنى فيهم ، وافتتح توج واستباحها وصالحهم على الجزية وأرسل بالفتح والأخماس إلى عمر ، فكانت واقعة توج هذه ثانية لواقعة العلاء بن الحضرمي عليهم أيام طاوس ثم دعوا إلى الجزية فرجعوا وأقروا بها .

اصطخر : وقصد عثمان بن أبي العاص اصطخر فزحفوا إليه بحور^(١) ، فهزمهم وأثنى فيهم وفتح جور واصطخر ووضع عليهم الجزية وأجابه الهربذ إليها ، وكان ناس منهم قرؤا فزاجعوا إليها . وبعث بالفتح والخمس إلى عمر . ثم فتح كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها ، ولحق به أبو موسى فافتتحا مدينة شيراز وأرجان على الجزية والخراج ، وقصد عثمان جنابة^(٢) ففتحها ولقي الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها . ثم نقض شهرك في أول خلافة عثمان فبعث عثمان بن أبي العاص ابنه وأخاه الحكم وأتته الأمداد من البصرة وعليه عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد والتقوا بارض فارس ، فانهزم شهرك وقتله الحكم بن أبي العاصي وقيل سوار بن همام العبدي وقيل إن ابن شهرك حمل على سوار فقتله . ويقال إن اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين . وقيل إن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين إلى فارس في ألفين ، فسار إلى توج وعلى مجنبته الجارود وأبو صفرة والد المهلب ، وكان كسرى أرسل شهرك في الجنود إلى لقائهم ، فالتقوا بتوج وهزمهم إلى سابور وقتل شهرك وحاصروا مدينة سابور حتى صالح عليها ملكها واستعانوا به على قتال اصطخر ، ثم مات عمر رضي الله عنه ، وبعث عثمان بن عفان عبيد الله بن معمر مكان عثمان بن أبي العاص وأقام محاصراً اصطخر وأراد ملك سابور الغدر به ، ثم أحضر وأصاب عبيد الله حجارة منجنيق فمات بها . ثم فتحوا المدينة فقتلوا بها بشرا كثيرا منهم .

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ٤٠ : مقصد عثمان بن أبي العاص الثقي لاصطخر فالتقى هو وأهل اصطخر بحور فاقتلوا .

(٢) وفي نسخة ثانية : جينا .

بساوذر ابجرد : وقصد سارية بن زئيم الكنانيّ من أمراء الانسياح مدينة بسا^(١) ودار
ابجرد فحاصروهم ، ثم استجاشوا بأكراد فارس واقتتلوا بصحراء ، وقام عمر على المنبر
ونادى يا سارية الجبل ، يشير إلى جبل كان ازاءه أن يسند إليه ، فسمع ذلك سارية
ولجأ إليه ثم انهزم المشركون ، وأصاب المسلمون مقاتلهم وكان فيها سقط جوهر
فاستوبه سارية من الناس ، وبعث به مع الفتح إلى عمر ، ولما قدم به الرسول سأله
عمر فأخبره عن كل شيء ودفع إليه السقط فأبى إلا أن يقسم على الجند فرجع به
وقسمه سارية .

كرمان : وقصد سهيل بن عديّ من أمراء الانسياح كرمان ولحق به عبدالله بن عبدالله
بن عتبان ، وحشد أهل كرمان واستعانوا بالقفص وقاتلوا المسلمين في أدنى أرضهم
فهزموهم بإذن الله ، وأخذ المسلمون عليهم الطريق بل الطرق ودخل النسير^(٢) بن
عمرو العجلي^(٣) إلى جيرفت وقتل في طريقه مرزبان كرمان ، وعبدالله بن عبدالله مفازة
شيرزاد وأصابوا ما أرادوا من إبل وشاء . وقيل إن الذي فتح كرمان عبدالله بن بديل بن
ورقاء الخزاعي . ثم أتى الطبسين من كرمان ، ثم قدم على عمر وقال : أقطعي
الطبسين ، فأراد أن يفعل فقال إنها رستاغان فامتنع .

سجستان : وقصد عاصم بن عمرو من الأمراء سجستان ولحق به عبدالله بن عمير
وقاتلوا أهل سجستان في أدنى أرضهم فهزموهم وحصروهم بزرنج وغفروا أرض
سجستان ، ثم طلبوا الصلح^(٤) على مدينتهم وأرضها ، على أن الفدافد حمى ، وبقي
أهل سجستان على الخراج^(٥) وكانت أعظم من خراسان وأبعد فروجا يقاتلون
القندهار والترك وأما أخرى ، فلما كان زمن معاوية هرب الشاه من أخيه نبيل^(٦) ملك
الترك إلى بلد من سجستان يدعى آمل ، وكان على سجستان سلم بن زياد بن أبي
سفيان فعقد له وأنزله آمل ، وكتب إلى معاوية بذلك فأقره بغير تكبر وقال : إن
هؤلاء قوم غدرّ وأهون ما يحيى منهم إذا وقع اضطراب أن يغلبوا على بلاد آمل

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ٤٢ : فسا

(٢) وفي نسخة ثانية : البشير بن عمرو .

(٣) وفي النسخة الباريية : العجلي .

(٤) وفي النسخة الباريية : ثم صالحوهم .

(٥) وفي نسخة ثانية : على أن الفرات حمى ويسقي أهل سجستان على الخراج .

(٦) وفي بعض الكتب رنبيل بدل زنبيل اهـ .

بأسرها ، فكان كذلك . وكفر الشاه بعد معاوية وغلب على بلاد آمل واعتصم منه زنبيل بمكانه ، وطمع هو في زرنج فحاصرها حتى جاءت الأمداد من البصرة فأجفلوا عنها .

مكران : وقصد الحكم بن عمرو التغلبي من أمراء الانسياح بلد مكران ولحق به شهاب بن المخارق وجاء سهيل بن عديّ وعبدالله بن عبدالله بن عتيان وانتهوا جميعا الى دوين^(١) وأهل مكران على شاطئية^(٢) وقد أمدّهم أهل السند بجيش كثيف ، ولقيهم المسلمون فهزموهم وأثخنوا فيهم بالقتل ، واتبعوهم أياما حتى انتهوا الى النهر ورجعوا إلى مكران فأقاموا بها وبعثوا إلى عمر بالفتح والأخماس مع صحّار العبدي ، وسأله عمر عن البلاد فأثنى عليها شراً ، فقال : والله لا يغزوها جيش لي أبدا وكتب إلى سهيل والحكم أن لا يجوز مكران أحد من جنودكما .

خبر الأكراد

كان أمر أمراء الانسياح لما فصلوا إلى النواحي ، اجتمع بيروذ^(٣) بين نهر تيري ومناد من أهل الأهواز جموع من الأعاجم أعظمهم الأكراد ، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى أن يسير إلى أقصى تخوم البصرة ردهاً للأمراء المنساحين ، فجاء إلى بيروذ وقاتل تلك الجموع قتالاً شديداً وقاتل المهاجر بن زياد حتى قتل^(٤) . ثم وهن الله المشركين فتحصّنوا منه في قلّة وذلّة ، فاستخلف أبو موسى عليهم أخاه الربيع بن زياد وسار إلى أصبهان مع المسلمين الذين يحاصرونها حتى إذا فتحت رجع إلى البصرة . وفتح الربيع بن زياد بيروذ وغنم ما فيها ولحق به بالبصرة وبعثوا إلى عمر بالفتح والأخماس ، وأراد ضبة بن محصن العزري أن يكون في الوفد فلم يحبه أبو موسى ، فغضب وانطلق شاكياً إلى عمر بانتقائه ستين غلاماً من أبناء الدهاقين لنفسه وأنه أجاز الخطيئة بألف وولّى زياد بن أبي سفيان أمور البصرة ، واعتذر أبو موسى وقبلة عمر .

وكان عمر قد اجتمع إليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي

(١) وفي النسخة الباريسية : دومن .

(٢) وفي نسخة ثانية : شاطئية .

(٣) بيروذ على وزن فيروز ، قال في الكامل وآخره ذال معجمة اهـ .

(٤) وفي نسخة ثانية : وقتل المهاجر بن زياد .

ودفعهم الى الجهاد على عادته وأوصاهم ، فلقوا عدوا من الأكراد المشركين فدعوههم إلى الإسلام أو الجزية ، فأبوا وقاتلوهم وهزموهم وقتلوا وسبوا وقسموا الغنائم ، ورآى سلمة جوهرأ في سبط فاسترضى المسلمين وبعث به إلى عمر فسأل الرسول عن أمور الناس حتى أخبره بالسبط فغضب وأمر به فوجيء في عنقه ، وقال : أسرع قبل أن تفرق الناس ليقسمه سلمة فيه فباعه سلمة وقسمه في الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفا .

مقتل عمر وأمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله عنه

كان للمغيرة بن شعبة مولى من نصارى العجم اسمه أبو لؤلؤة وكان يشدد عليه في الخراج ، فلقى يوما عمر في السوق فشكى إليه وقال : أعدني على المغيرة فإنه يثقل عليّ في الخراج درهمين في كل يوم ، قال : وما صناعتك ؟ قال نجار حدّاد نقاش ، فقال : ليس ذلك بكثير على هذه الصنائع وقد بلغني انك تقول أصنع رحي تطحن بالريح فاصنع لي رحي . قال : أصنع لك رحي يتحدث الناس بها أهل المشرق والمغرب ، وانصرف ، فقال عمر : توعدني العليج . فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة واستوت الصفوف ودخل أبو لؤلؤة في الناس ويده خنجر برأسين نصابه في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات إحداها تحت سرتّه ، وقتل كليبا بن أبي البكير الليثي ، وسقط عمر فاستخلف عبد الرحمن بن عوف في الصلاة واحتمل الى بيته .

ثم دعا عبد الرحمن وقال : أريد أن أعهد إليك ، قال : أتشير عليّ بها قال : لا . قال : والله لا أفعل . قال : فهبني صمتاً حتى أعهد إلى نفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن معهم ، وقال انتظروا طلحة ثلاثا فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم ، وناشد الله من يفضي إليه الأمر منهم أن يحمل أقاربه على رقاب الناس ، وأوصاهم بالأنصار الذين تبوّأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ويعفو^(١) عن مسيئهم ، وأوصى بالعرب فإنهم مادة الإسلام أن تؤخذ صدقاتهم في فقرائهم ، وأوصى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم ، ثم قال : اللهم قد بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي

(١) مقتضى سياق الجملة ان يقول « يُعْفَى » .

على أنقى من الراحة . ثم دعى أبا طلحة الأنصاري فقال : قم على باب هؤلاء ولا تدع أحدا يدخل إليهم حتى يقضوا أمرهم . ثم قال : يا عبدالله بن عمر اخرج فانظر من قتلني ؟ قال يا أمير المؤمنين : قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة . قال : الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل سجد لله سجدة واحدة . ثم بعث إلى عائشة يستأذنها في دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فأذنت له . ثم قال : يا عبدالله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر ، فان تساوا فكن مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف . ثم أذن للناس فدخل المهاجرون والأنصار فقال لهم : أهذا عن ملاء منكم ؟ فقالوا : معاذ الله . وجاء علي وابن عباس فقعدا عند رأسه ، وجاء الطيب فسقاه نبيذا فخرج متغيرا ثم لبنا فخرج كذلك ، فقال له : اعهده . قال : قد فعلت . ولم يزل يذكر الله إلى أن توفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وصلى عليه صهيب وذلك لعشر سنين وستة أشهر من خلافته .

وجاء أبو طلحة الأنصاري ومعه المقداد بن الاسود ، وقد كان أمرهما عمر أن يجمعا هؤلاء الرهط الستة في مكان ويلزمهم أن يقدموا للناس من يختاروه^(١) منهم وإن اختلفوا كان الاتباع للاكثر وإن تساوا حكموا عبدالله بن عمر أو اتبعوا عبد الرحمن بن عوف ، ويؤجلوهم في ذلك ثلاثا يصلي فيهم بالناس صهيب ويحضر عبدالله بن عمر معهم مشيرا ليس له شيء من الأمر وطلحة شريكهم ان قدم في الثلاث ليال . فجمعهم أبو طلحة والمقداد في بيت المسور بن مخرمة وقيل في بيت عائشة ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال : تريدان أن تقولا حضرا وكنا في أهل الشورى . ثم دار بينهما الكلام وتنافسا في الأمر ، فقال : عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويحتد فيوليا أفضلكم وأنا أفعل ذلك ؟ فرضي القوم وسكت علي . فقال : ما تقول على شريطة أن تؤثر الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألوا الأمة نصحا وتعطينا العهد بذلك . قال : وتعطوني أنتم موائيقكم على أن تكونوا معي على من خالف وترضوا من اخترت وتوائقوا . ثم قال لعلي : أنت أحق من حضر بقرابتك وسوابقك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد في نفسك فمن ترى أحق فيه بعدك من هؤلاء ؟ قال : عثمان . وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك فقال : علي .

(١) الصواب يختارونه لانه لم يتقدم الفعل ما يحذف النون .

ودار عبد الرحمن لئاليه كلها يلقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوافي المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس ويشيرهم إلى صبيحة الرابع ، فأتى منزل السور بن محرمه وخلا فيه بالزبير وسعد أن يتركا الأمر لعلي أو عثمان^(١) فانفقا على علي ، ثم قال له سعد بايع لنفسك وأرحنا فقال : قد خلعت لهم نفسي على أن أختار ولو لم أفعل ما أريدها^(٢) . ثم استدعى عبد الرحمن عليا وعثمان فناجى كلا منهما إلى أن رضوا بل إلى أن صلوا الصبح ولا يعلم أحد ما قالوا . ثم جمع المهاجرين وأهل السابقة من الأنصار وأمراء الأجناد حتى غص المسجد بهم ، فقال : أشيروا علي ، فأشار عمار بعلي ووافقوه المقداد . فقال ابن أبي سرح : إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان ووافقوه عبد الله بن أبي ربيعة ، فتفاوضا وتشاتما ونادى سعد : يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس . فقال : نظرت وشاورت فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سيلا . ثم قال لعلي : عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده . قال : أرجوا أن أجتهد بل أن أفعل بمبلغ علمي وطاقتي . وقال لعثمان مثل ذلك فقال : نعم . فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ، وقال : اللهم اشهد أني قد جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان فبايعه الناس . ثم قدم طلحة في ذلك اليوم فأتى عثمان ، فقال له عثمان : أنت على الخيار في الأمر وإن أبيت رددتها . فقال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم . قال : رضيت ، ولا أرغب عما أجمعوا عليه .

وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض ، ومرّ أبو لؤلؤة بالهرمزان وبیده الخنجر الذي طعن به عمر فتناوله من يده وأطال النظر فيه ثم رده إليه ، ومعهم جفينة نصراني من أهل الحيرة . فلما طعن عمر من الغداة قال عبد الرحمن بن أبي بكر لعبيد الله بن عمر : اني رأيت هؤلاء الثلاثة يتناجون فلما رأوني افرقوا وسقط منهم هذا الخنجر ، فعدا عبيد الله عليهم فقتلهم ثلاثتهم ، وأمسكه سعد بن أبي وقاص وجاء به الى عثمان بعد البيعة وهو في المسجد فأشار عليّ بقتله ، وقال عمرو بن العاص : لا يقتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم ، فجعلها عثمان دية واحتملها وقال انا وليه . ثم قام عثمان وصعد المنبر وبايعه الناس كافة ، وولّى لوقته سعد بن أبي

(١) وفي النسخة البارسية : لعلي وعثمان .

(٢) وفي نسخة ثانية : على ان اختار ولم افعل ما اردتها .

وقاص على الكوفة وعزل المغيرة وذلك بوصية عمر لأنه أوصى بتولية سعد ، وقال لم أعزله عن سوء ولا خيانة منه . وقيل إنما ولّاه وعزل المغيرة بعد سنة وأنه أقر لأول أمره عمّال عمر كلهم .

نقض أهل الاسكندرية وفتحها

لما سار هرقل الى القسطنطينية وفارق الشام واستولى المسلمون على الإسكندرية وبقي الروم بها تحت أيديهم ، فكتبوا هرقل فاستنجدوه فبعث إليهم عسكريا مع منوبل الخصي ونزلوا بساحل الاسكندرية لمنعهم المقوقس من الدخول إليه ، فساروا إلى مصر وقيمهم عمرو بن العاص والمسلمون فهزموهم واتبعوهم إلى الاسكندرية ، وأنحنوا فيهم بالقتل وقتل قائدهم منوبل الخصي ، وكانوا قد أخذوا في مسيرهم إلى مصر أموال أهل القرى فردّها عمرو عليهم بالبينة ثم هدم سور الاسكندرية ورجع الى مصر .

ولاية الوليد بن عقبة الكوفة وصلاح أرمينية وأذربيجان

وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان سعداً عن الكوفة لأنه اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرصاً ، وتقاضاه ابن مسعود فلم يوسر سعد^(١) فتلاحيا وتناجيا بالقبيح وافترقا يتلاومان ، وتداخلت^(٢) بينهما العصبية ، وبلغ الخبر عثمان فعزل سعداً واستدعى الوليد بن عقبة من الجزيرة ، وكان على غربها منذ ولّاه عمر ، فولّاه عثمان على الكوفة فكان مكان سعد .

ثم عزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان فنقضوا ، فغزاهم الوليد وعلى مقدّمته عبد الله بن شبيب الأحمسي فأغار على أهل موقان والبرزند والطيلسان ففتح وغنم وسبى ، وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة ثمانمائة درهم وقبض المال . ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى أهل أرمينية في اثني عشر ألفا فسار فيها وأنحن ، ثم انصرف إلى الوليد وعاد الوليد إلى الكوفة وجعل طريقه على

(١) وعند ابن الاثير في تاريخه الكامل ج ٣ ص ٨٢ : « فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه » .

(٢) وفي النسخة الباريية : وقد دخلت .

الموصل ، فلقية كتاب عثمان بأن الروم أجلبوا على معاوية بالشام فابعث إليهم رجلا من أهل النجدة والبأس في عشرة آلاف عند قراءة المکتوب^(١) ، فبعث الوليد الناس مع سلمان بن ربيعة ثمانية آلاف ومضوا إلى الشام ودخلوا أرض الروم مع حبيب بن مسلمة ، فشنوا عليهم الغارات واستفتحوا الحصون ، وقيل إن الذي أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة هو سعيد بن العاص ، وذلك أن عثمان كتب إلى معاوية أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية فبعثه وحاصر قاليقلا حتى نزلوا على الجلاء أو الجزية ، فجلى كثير إلى بلاد الروم وأقام فيها فيمن معه أشهراً . ثم بلغه أن بطريق أرميناكس وهي بلاد ملطية وسواس وقونية إلى خليج قسطنطينية قد زحف إليه في ثمانين ألفاً ، فاستنجد معاوية فكتب إلى عثمان فأمر سعيد بن العاص بإمداد حبيب فأمدّه بسلمان في ستة آلاف ، وبيّت الروم فهزمهم وعاد إلى قاليقلا ، ثم سار في البلاد فجاء بطريق خلاط وبيده أمان عياض بن غنم وحمل ما عليهم من المال فترل حبيب خلاط ، ثم سار منها فصالحه صاحب السرجان^(٢) ثم صاحب اردستان^(٣) ثم صالح أهل دبيل بعد الحصار ، ثم أهل بلاد السرجان كلهم . ثم أتى أهل شمشاط فحاربوه فهزمهم وغلب على حصونهم ، ثم صالحه بطريق خرزان^(٤) على بلاده وسار إلى تفليس فصالحه وفتح عدّة حصون ومدن تجاورها . وسار ابن ربيعة الباهلي إلى أَران فصالح أهل البيلقان على الجزية والخراج ، ثم أهل بردعة كذلك وقراها . وقاتل أكراد البوشنجان وظفر بهم وصالح بعضهم على الجزية ، وفتح مدينة شمکور وهي التي سميت بعد ذلك المتوكّليّة ، وسار سلمان حتى فتح فلية وصالحه صاحب كسكر على الجزية وملك شروان وسائر ملوك الجبال إلى مدينة الباب وانصرفوا . ثم غزا معاوية الروم وبلغ عمورية ووجد ما بين انطاكية وطرسوس من الحصون خاليا فجمع فيها العساكر حتى رجع وخرّبها .

(١) وفي نسخة أخرى : الكتاب .

(٢) وفي النسخة الباريسية : السفرخان .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ازدشاط .

(٤) : وفي النسخة الباريسية : خرزان .

ولاية عبدالله بن أبي سرح على مصر وفتح افريقية

وفي سنة ست وعشرين عزل عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل مكانه عبدالله بن أبي سرح أخاه من الرضاة ، فكتب إلى عثمان يشكو عمرا فاستقدمه واستقل عبدالله بالخراج والحرب وأمره بغزو افريقية . وقد كان عمرو بن العاص سنة إحدى وعشرين سار من مصر إلى برقة فصالح أهلها على الجزية ثم سار إلى طرابلس فحاصرها شهراً ، وكانت مكشوفة السور^(١) من جانب البحر وسفن الروم في مرساها فحسر القوم في بعض الأيام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين فافتحموا البلد بين البحر والبيوت فلم يكن للروم ملجأ إلا سفنهم ، وارتفع الصياح فأقبل عمرو بعساكره فدخل البلد ولم تفلت الروم إلا بما خف في المراكب ، ورجع إلى مدينة صبرة وكانوا قد آمنوا بمنعة طرابلس فصحبهم المسلمون ودخلوها عنوة ، وكمل الفتح ورجع عمرو إلى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر أهل برقة لواتة . وكان يقال إن البربر ساروا بعد قتل ملكهم جالوت إلى المغرب وانتهوا إلى لوبية ومراقبة كورتان من كور مصر ، فصارت زناتة ومغيلة من البربر إلى المغرب فسكنوا الجبال وسكنت لواتة برقة وتعرف قديماً انطابلس ، وانتشروا إلى السوس ونزلت هواره مدينة لبدة ونزلت نفوسة مدينة صبرة وجلوا من كان هنالك من الروم ، وأقام الأفارق وهم خدام الروم وبقيتهم على صلح يؤدونه إلى من غلب عليهم إلى أن كان صلح عمرو بن العاص .

ثم إن عبدالله بن أبي سرح كان أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين ، وقال له : إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم . وأمر عقبة بن نافع بن عبد القيس على جند وعبدالله بن نافع بن الحرث على آخر وسرحها ، فخرجوا إلى افريقية في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدرُوا على التوغل فيها لكثرة أهلها . ثم إن عبدالله بن أبي سرح^(٢) استأذن عثمان في ذلك واستمده ، فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به ، فجهاز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن

(١) وفي النسخة الباريسية منكشفة السور

(٢) وفي نسخة أخرى : ثم لما ولي عبدالله بن أبي سرح

والحسين وابن الزبير وساروا مع عبدالله بن أبي سرح سنة ست وعشرين ، ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة ، ثم ساروا إلى طرابلس فهبوا الروم عندها ، ثم ساروا إلى إفريقية وبثوا السرايا في كل ناحية ، وكان ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل إليه الخراج ، فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفاً من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيلة دار ملكهم وأقاموا يقتتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر . ولحقهم عبد الرحمن ^(١) بن الزبير مدداً بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم سمع جرجير بوصول المدد ففت في عضده ، وشهد ابن الزبير معهم القتال ، وقد غالب ابن أبي سرح وسأل عنه ف قيل إنه سمع منادي جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي فخاف وتأخر عن شهود القتال ، فقال له ابن الزبير : تنادي أنت بأن من قتل جرجير نفلته مائة ألف وزوجه ابنته واستعملته على بلاده ، فخاف جرجير أشد منه .

ثم قال عبدالله بن الزبير لابن أبي سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للحرب ، ويقاتلون الروم بباقي العسكر إلى أن يضجروا فيركب عليهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا عليهم ، ووافق على ذلك أعيان الصحابة ^(٢) ففعلوا ذلك وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم ثم افترقوا ، وأركب عبدالله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبروا وحملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فانهزموا وقتل كثير منهم ، وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سبيّة فنفلها ابن الزبير ، وحاصر ابن أبي سرح سبيلة ففتحها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الرجل ألف . وبث جيوشه في البلاد إلى قفصة فسبوا وغنموا ، وبعث عسكرياً إلى حصن الأجم وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحها على الأمان ، ثم صالحه أهل إفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار . وأرسل ابن الزبير بالفتح والخمس فاشتره مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار ، وبعض الناس يقول أعطاه إياه ولا يصح ، وإنما أعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة الأولى . ثم رجع عبدالله بن أبي سرح إلى مصر بعد مقامه سنة وثلاثة أشهر . ولما بلغ هرقل أن أهل إفريقية صالحوه بذلك المال الذي أعطوه غضب عليهم وبعث

(١) وفي النسخة الباريسية : عبدالله

(٢) وفي نسخة أخرى : أعيان اصحابه

بطريقا يأخذ منهم مثل ذلك ، فترل قرطاجنة وأخبرهم بما جاء له فأبوا وقالوا : قد كان ينبغي أن يساعدنا^(١) مما نزل بنا . فقاتلهم البطريق وهزمهم وطرد الملك الذي ولّوه بعد جرجير ، فلحق بالشام وقد اجتمع الناس على معاوية بعد علي (رضي الله عنه) ، فاستجاشه على إفريقية فبعث معه معاوية بن حديج السكوني في عسكر ، فلما وصل الإسكندرية وهلك الرومي ومضى ابن حديج في العساكر فترل قونية ، وسرح إليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل وقاتلهم معاوية فهزمهم معاوية ، وحاصر حصن جلولاء فامتنع معه حتى سقط ذات سوره فلكه المسلمون وغنموا ما فيه . ثم بثّ السرايا ودوّخ البلاد فأطاعوا ، وعاد إلى مصر . ولما أصاب ابن أبي سرح من إفريقية ما أصاب ورجع إلى مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازيا إلى الإسكندرية في ستمائة مركب وركب المسلمون البحر مع ابن أبي سرح ومعه معاوية في أهل الشام . فلما تراءى الجمعان أرسوا جميعا ، وياتوا على أمان والمسلمون يقرؤون ويصلّون . ثم قرنوا سفنهم عند الصباح واقتتلوا ونزل الصبر واستحرّ القتل ، ثم انهزم قسطنطين جريحا في قلّ قليل من الروم ، وأقام ابن أبي سرح بالموضع أياما ثم قفل وسمى المكان ذات الصواري والغزوة كذلك لكثرة ما كان بها من الصواري ، وكانت هذه الغزاة سنة إحدى وثلاثين وقيل أربع وثلاثين . وسار قسطنطين إلى صقلية وعرفهم خبر الهزيمة فنكروه وقتلوه في الحمام .

فتح قبرص

كان أبو عبيدة لما احتضر^(٢) استخلف على عمله عيّاض بن غنم وكان ابن عمه وخاله وقيل استخلف معاذ بن جبل ، واستخلف عيّاض بعده سعيد بن حذيم الحمصي ، ومات سعيد فولّى عمر مكانه عمير بن سعيد الانصاري ، ومات يزيد بن أبي سفيان فجعل عمر مكانه على دمشق أخاه معاوية ، فاجتمعت له دمشق والأردن ، ومات عمر وهو كذلك وعمير على حمص وقنسرين ، ثم استعفى عمير عثمان في مرضه فأعفاه وضمّ حمص وقنسرين إلى معاوية ، ومات عبد الرحمن بن أبي علقمة

(١) وفي النسخة الباريسية : يساعدنا

(٢) وفي النسخة الباريسية : استحضر

وكان على فلسطين فضم عثمان عمله الى معاوية فاجتمع الشام كله لمعاوية لستين من إمارة عثمان . وكان يلحّ على عمر في غزو البحر وكان وهو بمحص كتب إليه في شأن قبرص أن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلاب قبرص وصياح دجاجهم ، فكتب عمر الى عمرو بن العاص : صف لي البحر وراكبه ! فكتب إليه : «هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء إن ركذ فلق^(١) القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلّة والشك كثرة وراكبه دود على عود إن مال غرق وإن نجا يرق». فكتب عمر إلى معاوية والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا ، وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله كل يوم وليلة في أن يغرق الأرض فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر ، وبالله لمسلم واحد أحب إليّ مما حوت الروم ، فايك أن تعرض لي في ذلك فقد علمت ما لقي العلاء مني .

ثم كاتب ملك الروم عمز وقاربه وأقصر عن الغزو ، ثم ألحّ معاوية على عثمان بعده في غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم ، فاختر الغزو جماعة من الصحابة فيهم ، أبو ذرّ وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أمّ حرام بنت ملحان ، واستعمل عليهم عبدالله بن قيس حليف بني فزارة ، وساروا إلى قبرص وجاء عبدالله بن أبي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ، ويؤدّون مثلها للروم ، ولا منعة لهم على المسلمين ممن أرادهم من سواهم وعلى أن يكونوا عينا للمسلمين على عدوّهم ، ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم . وكانت هذه الغزاة سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين وقيل ثلاث وثلاثين ، وماتت فيها أم حرام سقطت عن دابتها حين خرجت من البحر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بذلك . وأقام عبدالله بن قيس الجاسي على البحر فغزا خمسين غزاة لم ينكب فيها أحد ، إلى أن نزل في بعض أيام في ساحل المرقى من أرض الروم فثاروا إليه فقتلوه ، ونجا الملاح وكان استخلف سفيان بن عوف الأزدي على السفن فجاء إلى أهل المرقى وقتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة .

(١) وفي النسخة الباريية : خرق

ولاية ابن عامر على البصرة وفتوح فارس وخراسان

وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان خرج أبو موسى من البصرة غازياً إلى أهل آمد والأكراد لما كفروا حمل ثقله على أربعين بغلاً من القصر^(١) بعد أن كان حض على الجهاد مشياً ، فألب الناس عليه ومضوا إلى عثمان فاستعفوه منه وتولى كبر ذلك غيلان بن خرشة^(٢) فعزله عثمان وولى عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان ، وكان ابن خمس وعشرين سنة ، وجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص من عمان والبحرين ، فصرف عبيدالله بن معمر عن خراسان وبعثه إلى فارس ، وولى على خراسان مكانه عمير بن عثمان بن سعد فائخن فيها حتى بلغ فرغانة ولم يدع كورة إلا أصلحها . ثم ولى عليها سنة أربع أمير^(٣) بن أحمر اليشكري ، وعلى كرمان عبد الرحمن بن عيسى ، واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفضيل البرجمي ، وعلى كرمان عاصم بن عمرو فجاشت فارس وانتقضت بعبيدالله بن عمرو وجمعوا له^(٤) فلقبهم بباب اصطخر فقتل عبيدالله وانهزم جنده .

وبلغ الخبر عبدالله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس ، وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص وفي المجنبتين أبو برزة^(٥) الأسلمي ومعقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن حصين ، ولقبهم باصطخر فقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزموا وفتح اصطخر عنوة ، وبعدها دار الجرد . وسار إلى مدينة جور وهي اردشير ، وكان هرم بن حيان محاصراً لها فلما جاء ابن عامر فتحها . ثم عاد إلى اصطخر وقد نقضت فحاصرها طويلاً ورمأها بالجمانيق واقتحمها عنوة ففني فيها أكثر أهل البيوتات والأساورة لأنهم كانوا لجأوا إليها ، ووطئ أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذل . وكتب إلى عثمان بالفتح فكتب إليه أن يستعمل على كور فارس هرم بن حيان اليشكري وهرم بن حيان العبيسي والخريت بن راشد وأخاه المنجاب من بني سلمة والبرجان الهجمي^(٦) ، وأن يفرق كور خراسان

(١) وفي النسخة الباريية : الضهر

(٢) وفي نسخة ثانية : جرشة

(٣) أمير بوزن زبير وكذا كريز وعيسى كما في الكامل اهـ .

(٤) وفي النسخة الباريية : وحملوا له

(٥) وفي النسخة الباريية : أبو بردة

(٦) وفي النسخة الباريية : الهجمي

بين ستة نفر : الأحنف بن قيس على المرو ، وحبيب بن قرّة^(١) اليربوعي على بلخ ،
 وخالد بن عبدالله بن زهير على هراة ، وأمير بن أحمر اليشكري على طوس ، وقيس
 بن هبيرة السلمي على نيسابور ، ثم جمع عثمان خراسان كلها لقيس ، واستعمل أمير
 بن أحمد اليشكري على سجستان ، ثم بعده عبد الرحمن^(٢) بن سمرة من قرابة ابن
 عامر بن كرز ، فلم يزل عليها حتى مات عثمان وعمران على كرمان وعمير بن عثمان
 ابن مسعود على فارس وابن كرز القشيري على مكران ، وخرج على قيس بن هبيرة
 بعد موت عثمان ابن عمه عبدالله بن حازم كما نذكره .

ولما افتتح ابن عامر فارس أشار عليه الناس بقصد خراسان وكانوا قد انتقضوا فصار
 إليها وقيل عاد إلى البصرة ، واستخلف على فارس شريك بن الأعور الحارثي فبنى
 مسجدها . فلما دخل البصرة أشار عليه الأحنف بن قيس وحبيب بن أوس بالمسير إلى
 خراسان فتجهز واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ، وسار إلى كرمان وقد نكثوا
 فبعث لحربهم مجاشع بن مسعود السلمي ولحرب سجستان الربيع بن زياد الحارثي ،
 وسار هو إلى نيسابور وتقدمه الأحنف بن قيس إلى الطبيين حصنان هما بابا خراسان
 فصالحه أهلها ، وسار إلى قوهستان^(٣) فقاتل أهلها حتى أحجرهم في حصنهم ولحقه
 ابن عامر فصالحوه على ستمائة ألف درهم ، وقيل كان المتولي حرب قوهستان أمير بن
 أحمر اليشكري .

ثم بعث ابن عامر السرايا إلى أعمال نيسابور ففتح رستاق رام عنوة وباخرز وجيرفت
 عنوة ، وبعث الأسود بن كلثوم من عدي الرباب وكان ناسكا إلى بيتق^(٤) من أعمالها
 فدخل البلد من ثلثة كانت في سورها وقاتل حتى قتل وظفر أخوه أدهم بالبلد . وفتح
 ابن عامر بشت بالشين المعجمة من أعمال نيسابور ثم اسفراين^(٥) ثم قصد نيسابور ،
 وبعدما استولى على أعمالها فحاصرها أشهراً^(٦) وكان بها أربع مرازية من فارس فسأل
 واحد منهم الأمان على أن يدخلهم ليلاً ، وفتح لهم الباب وتحصن الأكبر منهم في

(١) وفي النسخة الباريسية : قروة وفي نسخة أخرى قرط .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدالله

(٣) وفي النسخة الباريسية : مهزستان

(٤) وفي النسخة الباريسية : بيتق

(٥) وفي النسخة الباريسية : استيفراس

(٦) وفي نسخة أخرى : شهرا

حصنها حتى صالح على ألف الف درهم . وولى ابن عامر على نيسابور قيس بن الهيثم السلمي.. وبعث جيشا إلى نسا وأبيورد فصالحهم أهلها ، وآخر إلى سرخس فصالحوا مرزبانها على أمان مائة رجل لم يدخل فيها نفسه فقتله وافتتحها^(١) عنوة وجاء ، مرزبان طوس فصالحه على ستمائة ألف درهم ، وبعث جيشا إلى هراة مع عبدالله بن حازم فصالح مرزبانها على ألف ألف درهم . ثم بعث مرزبان مرو فصالح على ألف ألف ومائتي ألف وأرسل إليه ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي ، ثم بعث الأحنف بن قيس إلى طخارستان فصالح في طريقه رستاقا على ثلثمائة ألف وعلى أن يدخل رجل يؤذن فيه ويقم حتى ينصرف ومرّ إلى مرو الروذ ، وزحف إليه أهلها فهزمهم وحاصرهم وكان مرزبانها من أقارب باذام^(٢) صاحب اليمن فكتب إلى الأحنف متوسلا بذلك في الصلح فصالحه على ستمائة ألف . ثم اجتمع أهل الجوزجان والطارقان والفارياب في جمع عظيم ولقيهم الأحنف فقاتلهم قتالا شديدا ثم انهزموا فقتلوا قتلا ذريعا .

ورجع الأحنف إلى مروالروذ ، وبعث الأقرع بن حابس إلى فلهم بالجوزجان فهزمهم وفتحها عنوة ، ثم فتح الأحنف الطالقان صلحا والفارياب وقيل فتحها أمير بن أحمد ، ثم سار الأحنف إلى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحوه على أربعمائة ألف وقيل سبعمائة واستعمل عليها أسيد بن المنشمر ، ثم سار إلى خوارزم على نهر جيحون فامتنعت عليه فرجع إلى بلخ . وقد استوفى أسيد قبض المال وكتبوا إلى ابن عامر . ولما سار مجاشع بن مسعود إلى كرمان كما ذكرناه وكانوا قد انتقضوا ففتح حميد^(٣) عنوة وبنى بها قصرا ينسب إليه ، ثم سار إلى السيرجان وهي مدينة كرمان فحاصرها وفتحها عنوة وجلى كثيرا من أهلها . ثم فتح جيرفت عنوة ودوخ نواحي كرمان وأتى القفص وقد تجمع له من العجم من أهل الجلاء ، وقاتلهم فظفر وركب كثير منهم البحر إلى كرمان وسجستان ، ثم أنزل العرب في منازلهم وأراضيم .

وسار الربيع بن زياد الحارثي بولاية ابن عامر كما قدمناه^(٤) إلى سجستان فقطع المفازة

(١) وفي نسخة أخرى : اقتحمها

(٢) وفي نسخة أخرى : باذام

(٣) وفي النسخة الباريية : حمير .

(٤) وفي النسخة الباريية : كما قلناه .

من كرمان حتى أتى حصن زالق فأغار عليهم يوم المهرجان وأسر دهقانهم ، فافتدى
بما غمر عترة قاعة^(١) من الذهب والفضة ، وصالحوه على صلح فارس . وسار إلى
زرنج^(٢) ولقيه المشركون دونها فهزمهم وقتلهم وفتح حصوناً عدة بينها وبينه ، ثم
انتهى إليها وقاتله أهلها فأحجرهم وحاصرهم ، وبعث مرزبانها في الأمان ليحضر
فأمنه وجلس له على شلو من أشلاء القتلى وارتفق بآخر وفعل أصحابه مثله ، فرعب
المرزبان من ذلك وصالح على ألف جام من الذهب يحملها ألف وصيف ، ودخل
المسلمون المدينة ، ثم سار منها إلى وادي سنارود فعبه إلى القرية التي كان رسمه الشديد
يربط بها فرسه ، فقاتلهم وظفر بهم ، وعاد إلى زرنج وأقام بها سنة ثم سار بها إلى ابن
عامر واستخلف عليها عاملاً فأخرجوه وامتنعوا . فكانت ولاية الربيع سنة ونصف سنة
سبى فيها أربعين ألف رأس وكان الحسن البصري يكتب له .

ثم استعمل ابن عامر على سجستان عبد الرحمن بن سمرة فسار إليها وحاصر زرنج حتى
صالحوه على ألفي ألف درهم وألفي وصيف ، وغلب على ما بينها وبين الكش من ناحية
الهند وعلى ما بينها وبين الدادين^(٣) من ناحية الرنج ، ولما انتهى إلى بلد الدادين
حاصرهم في جبل الزور حتى صالحوه ودخل على الزور^(٤) وهو صنم من ذهب عيناه
ياقوتتان ، فأخذهما وقطع يده ، وقال للمرزبان : دونك الذهب والجوهر وإنما
قصدت أنه لا يضرك ولا ينفع . ثم فتح كابل وزابلستان وهي بلاد غزنة فتحها صلحاً .
ثم عاد إلى زرنج إلى أن اضطرب أمر عثمان ، فاستخلف عليها أمير بن أحمر وانصرف
فأخرج أهلها وانتقضوا . ولما كان الفتح لابن عامر في فارس وخراسان وكرمان
وسجستان قال له الناس : لم يفتح لأحد ما فتح عليك فقال : لا جرم لأجعلن
شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً من موقفي هذا . فأحرم بعمره من نيسابور وقدم
على عثمان استخلف على خراسان قيس بن الهيثم ، فسار قيس في أرض طخارستان
ودوخها وامتنع عليه سنجار فافتتحها عنوة .

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ١٢٨ : فافتدى نفسه بأن غرز عترة وغمرها ذهباً وفضة .

(٢) وفي نسخة أخرى : زرينج وفي الكامل زرنج .

(٣) وفي النسخة الباريسية : الدوان وفي الكامل ج ٣ ص ١٢٩ الداون .

(٤) وفي النسخة الباريسية : جبل الزور وفي الكامل ج ٣ ص ١٢٩ : جبل الزور .

ولاية سعيد بن العاص الكوفة

كان عثمان لأول ولايته قد ولى على الكوفة الوليد بن عقبة استقدمه إليها من عمله بالجزيرة وعلى بني تغلب وغيرهم من العرب ، فبقي على ولاية الكوفة خمس سنين وكان أبو زيد الشاعر قد انقطع إليه من أخواله بني تغلب ليد أسداها إليه وكان نصرانياً فأسلم على يده وكان يغشاه بالمدينة والكوفة ، وكان أبو زيد يشرب الخمر فكان بعض السفهاء يتحدث بذلك في الوليد لملازمته إياه . ثم عدا الشباب من الأزدي بالكوفة على رجل من خزاعة فقتلوه ليلاً في بيته وشهد عليهم أبو شريح الغزاعي فقتلهم الوليد فيه بالقسامة ، وأقام آباؤهم للوليد على حقه وكانوا ممن يتحدثون فيه ، وجاءوا إلى ابن مسعود بمثل ذلك فقال : لا نتبع عورة من استر عنا . وتغيظ الوليد من هذه المقالة وعاتب ابن مسعود عليها ، ثم عمد أحد أولئك الرهط إلى ساحر قد أتى به الوليد فاستفتى ابن مسعود فيه وأفتى بقتله ، وحبسه الوليد ثم أطلقه ، فغضبوا وخرجوا إلى عثمان شاكين من الوليد وانه يشرب الخمر . فاستقدمه عثمان وأحضره وقال : رأيتموه يشرب ؟ قالوا لا وإنما رأيناه يقيء الخمر فأمر سعيد بن العاص فجلبه وكان عليّ حاضراً فقال : إنزعوا خميصته للجلد . وقيل إن علياً أمر ابنه الحسن أن يجلبه فأبى فجلبه عبدالله بن جعفر ، ولما بلغ أربعين قال : أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة ^(١) .

ولما وقعت هذه الواقعة عزل عثمان الوليد عن الكوفة وولى مكانه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، مات سعيد الأول كافراً وكان يكنى أحيحة ، وخالد ابنه عم سعيد الثاني ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعاء وكان يكتب واستشهد يوم مرج الصفر ، وربى سعيد الثاني في حجر عثمان فلما فتح الشام أقام مع معاوية ثم استقدمه عثمان وزوجه وأقام عنده حتى كان من رجال قريش . فلما استعمله عثمان وذلك سنة ثلاثين سار إلى الكوفة ومعه الأشر وأبو خشة ^(٢) الغفاري وجندب بن عبد الله والصعب بن جثامة ، وكانوا شخصوا مع الوليد ليعينوه فصاروا عليه ، فلما وصل

(١) المعنى مشوش هنا وربما يعود هذا إلى سقوط بعض الكلمات أثناء النسخ ولم تذكر هذه القصة بالتفصيل كما هي في الكامل وفي الطبري والمسعودي .

(٢) وفي نسخة ثانية : أبو حنيفة .

خطب الناس وحذرهم وتعرف الأحوال ، وكتب إلى عثمان أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب الروادف والتابعة على أهل الشرف والسابقة ، فكتب إليه عثمان أن يفضل أهل السابقة ويحعل من جاء بعدهم تبعاً يعرف لكل منزلته ويعطيه حقه . فجمع الناس وقرأ عليهم كتاب عثمان وقال : أبلغوني حاجة ذي الحاجة . وجعل القراء في سمره فلم ترض أهل الكوفة ذلك وفشت المقالة ، وكتب سعيد إلى عثمان فجمع الناس واستشارهم فقالوا : أصبت لا تطمع في الأمور من ليس لها بأهل فتفسد . فقال : يا أهل المدينة إني أرى الفتن دبت إليكم وإني أرى أن أتخلص الذي لكم وأنقله إليكم من العراق . فقالوا : وكيف ذلك ؟ قال : تبعونه ممن شتم بما لكم في الحجاز واليمن . ففعلوا ذلك واستخلصوا ما كان لهم بالعراق ، منهم طلحة ومروان والأشعث بن قيس ، ورجال من القبائل اشتروا ذلك بأموال كانت لهم بخير ومكة والطائف .

غزو طبرستان

وفي هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان ولم يغزها أحد قبله ، وقد تقدّم أن الأصهبذ صالح سويد بن مقرن عنها أيام عمر على مال ، فغزاها سعيد في هذه السنة ومعه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وحذيفة بن اليمان في غيرهم ، ووافق خروج ابن عامر من البصرة إلى خراسان فترل نيسابور ، ونزل سعيد قومس وهي صلح كان حذيفة صالحهم عليه بعد نهاوند . فأتى سعيد جرجان فصالحوه على مائتي ألف ، ثم أتى متاخمة جرجان على البحر فقاتله أهلها ، ثم سألوا الأمان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ، وفتحوا فقتلهم أجمعين إلا رجلاً وقتل معه محمد بن الحكم بن أبي عقيل جد يوسف بن عمرو ، وكان أهل جرجان يعطون الخراج تارة مائة ألف وأخرى مائتين وثلثمائة وربما منعوه . ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس إلا على خوف شديد ، وصار الطريق إلى خراسان من فارس كما كان من قبل حتى ولي قتيبة بن مسلم خراسان . وقدمها يزيد بن المهلب فصالح المرزبان وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد .

غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف

وفي سنة ثلاثين هذه صرف حذيفة من غزو الري إلى غزو الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة وأقام له سعيد العاص بأذربيجان رداءً حتى عاد بعد مقتل عبد الرحمن كما مرّ ، فأخبره بما رأى من اختلاف أهل البلدان في القرآن وأن أهل حمص يقولون قراءة تنأخبر من قراءة غيرنا وأخذناها عن المقداد ، وأهل دمشق يقولون كذلك ، وأهل البصرة عن أبي موسى ، وأهل الكوفة عن ابن مسعود . وأنكر ذلك واستعظمه وحذر من الاختلاف في القرآن ، ووافقه من حضر من الصحابة والتابعين ، وأنكر عليه أصحاب ابن مسعود فأغلظ عليهم وخطأهم ، فأغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وافترق المجلس ، وسار حذيفة إلى عثمان فأخبره وقال : أنا النذير العريان فأدرك الأمة . فجمع عثمان الصحابة فرأوا ما رآه حذيفة ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن إبعثي إلينا بالصحف ننسخها وكانت هذه الصحف هي التي كتبت أيام أبي بكر ، فإن القتل لما استحر في القراء يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر : أرى أن تأمر بجمع القرآن لتلا يذهب الكثير منه لفناء القراء ، فأبى وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعله . ثم استبصر ورجع إلى رأي عمر وأمر زيد بن ثابت بجمعه من الرقاع والعصب ^(١) وصدور الرجال ، وكتب في الصحف فكانت عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة . وأرسل عثمان فأخذها ، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، وقال إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش ففعلوا . ونسخوا المصاحف فبعث إلى كل أفق بمصحف يعتمد عليه ، وحرق ما سوى ذلك الصحابة في سائر الأمصار ، ونكره عبد الله بن مسعود في الكوفة حتى نحاهم عن ذلك وحملهم عليه .

مقتل يزدرج

لما خرج ابن عامر من البصرة إلى فارس فافتتحها هرب يزدرج من جور وهي أردشير خره ^(٢) في سنة ثلاثين ، وبعث ابن عامر في إثره مجاشع بن مسعود وقيل هرم بن

(١) العصب هو النسل كما في القاموس ولعل ابن خلدون كان يعني العسيب وهي جريدة النخل المستقيمة الدقيقة المكشوط حوصها .

(٢) وفي النسخة الباريية : وهو ازدرج خرج سنة ثلاثين .

حيان اليشكري وقيل العبيسي^(١) ، فاتبعه إلى كرمان فهرب إلى خراسان وهلك الجند في طريقهم بالثلج ، فلم يسلم إلا مجاشع ورجع معه وكان مهلكهم على خمسة فراسخ من السرجان ، ولحق يزدجرد بمرورهم معه خرزاد أخورستم ، فرجع عنه إلى العراق ووصى به ما هو به مرزبان مرو فسأله في المال فمنعه وخافه على نفسه وعلى مرو ، واستجاش بالترك فبيتوه وقتل أصحابه وهرب يزدجرد ماشياً إلى شط المرغاب وآوى إلى بيت رجل ينقر الأرحاء ، فلما نام قتله ورماه في النهر . وقيل إنما بيته أهل مرو ولما جاؤا إلى بيت الرجل أخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله ، واستخرجوا يزدجرد من النهر وحملوه في تابوت إلى اصطخر فدفن في ناوس هنالك .

وقيل إن يزدجرد هرب من وقعة نهاوند إلى أرض أصبهان واستأذن عليه بعض رؤسائها وحجب ففُضرب البواب وشجّه ، فرحل عن أصبهان إلى الري ، وجاء صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده فلم يحبه ومضى من فوره ذلك إلى سجستان ، ثم إلى مرو في ألف فارس ، وقيل بل أقام بفارس أربع سنين ثم بكرمان ستين وطلبه دهقانها^(٢) في شيء فمنعه فطرده عن بلاده ، وأقام بسجستان خمس سنين ، ثم نزل خراسان ونزل مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين وفرخزاد وكاتب ملوك الصين وفرغانة والخزر وكابل ، وكان دهقان مرو قد منعه الدخول خوفاً من مكروه ووكل ابنه بحفظ الأبواب ، فعمد يزدجرد يوماً إلى مرو ليدخلها فمنعه ابن الدهقان وأظهر عصيان أبيه في ذلك ، وقيل بل أراد يزدجرد أن يجعل ابن أخيه دهقاناً عليها فعمل في هلاكه ، وكتب إلى نيزك طرخان يستقدمه لقتل يزدجرد ومصالحة العرب عليه وأن يعطيه كل يوم ألف درهم ، فكتب نيزك إلى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وأنه يقدم عليه فيلقاه منفرداً عن العسكر وعن فرخزاد ، فأجابه إلى ذلك بعد أن امتنع فرخزاد واتهمه يزدجرد في امتناعه فتركة لشأنه بعد أن أخذ خطه برضاه بذلك . وسار إلى نيزك فاستقبله بأشياء وجاء به إلى عسكره ثم سأله أن يزوجه ابنته فأنف يزدجرد من ذلك وسبه فعلا رأسه بالمقرعة فركض منهزماً وقتل أصحابه ، وانتهى إلى بيت طحان فكث فيه ثلاثاً لم يطعم ، ثم عرض عليه الطعام فقال لا أطعم إلا بالزمزمة ، فسأل من زمزم

(١) وفي نسخة ثانية : العبيسي .

(٢) وفي النسخة الباريسية : قهرمانها .

له حتى أكل ووشى الزمزم بأمره إلى بعض الأساورة^(١) فبعث إلى الطحان بخنقه والقائه في النهر ، فأبى من ذلك وجحد ، فدل عليه ملبسه وعرف المسك فيه فأخذوا ما عليه وخنقوه وألقوه في الماء فجعله أسقف مرو في تابوت ودفنه .
وقيل بل ساريزدجرد من كرمان قبل وصول العرب إليها إلى مرو وفي أربعة آلاف على الطبسين وقهستان ، ولقيه قبل مرو قائدان من الفرس متعادين فسعى أحدهما في الآخر ، ووافقه يزدجرد في قتله ، ونمى الخبر إليه فبيت يزدجرد وعدوه ، فهرب إلى رحي على فرسخين من مرو ، وطلب منه الطحان شيئا فأعطاه منطقته فقال : إنما أحتاج أربعة دراهم ، فقال : ليست معي . ثم قام فقتله الطحان وألقى شلوه في الماء . وبلغ خبر قتله إلى المطران بمرو فجمع النصارى ووعظهم عليه من حقوق سلفه فدفنوه وبنوا له ناووسا وأقاموا له مأتما ، بعد عشرين سنة من ملكه ستة عشر منها في محاربة العرب .

وانقرض ملك الساسانية بموته . ويقال إن قتيبة حين فتح الصغد وجد جارين من ولد المخدج ابنه كان قد وطئ أمه بمرو فولدت هذا الغلام بعد موته ذاهب الشق فسمى المخدج^(٢) ، وولد له أولاد بخراسان ووجد قتيبة هاتين الجاريتين من ولده فبعث بهما إلى الحجاج ، وبعث بهما إلى الوليد أو بإحدهما فولدت له يزيد الناقص .

ظهور الترك بالشغور

كان الترك والخزر يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لما رأوا من شدتهم وظهورهم في غزواتهم حتى أكمنا لهم في بعض الغياض فقتلوا بعضهم فتجاسروا على حريمهم . وكان عبد الرحمن بن ربيعة على ثغور أرمينية إلى الباب ، واستخلف عليها سراقه بن عمرو وأقره عمر وكان كثير الغزو في بلاد الخزر ، وكثيرا ما كان يغزو بلنجر وكان عثمان قد نهاه عن ذلك فلم يرجع ، فغزاهم سنة إثنين وثلاثين وجاء الترك لمظاهرتهم وتذاامروا فاشتدت الحرب بينهم وقتل عبد الرحمن كما مر ، واقتربوا فرقتين فرقة سارت نحو الباب لقوا سلمان بن ربيعة قد بعثه سعيد بن العاص من الكوفة مدداً للمسلمين بأمر عثمان فساروا معه ، وفرقة سلكوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبو

(١) وفي النسخة البارسية : الى بعض المرازبة .

(٢) وفي النسخة البارسية : ولد المخدج والمخدج : ناقص الخلق .

هريرة . ثم استعمل سعيد بن العاص على الباب سلمان بن ربيعة مكان أخيه ، وبعث معه جندا من أهل الكوفة عليهم حذيفة بن اليمان وأمدّهم عثمان بجيب بن مسلمة في جند الشام وسلمان أمير على الجميع ، ونازعه حبيب الامارة فوقع الخلاف ، ثم غزا حذيفة بعد ذلك ثلاث غزوات آخرها عند مقتل عثمان .

وخرجت جموع الترك سنة اثنتين وثلاثين من ناحية خراسان في أربعين ألفا عليهم قارن من ملوكهم فانتهى إلى الطبيين ، واجتمع له أهل بادغيس وهراة وقهستان ، وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم السلمي استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه إلى مكة محرما فدوّخ جهتها ، وكان معه ابن عمه عبدالله بن حازم فقال لابن عامر : اكتب لي على خراسان عهداً إذا خرج منها قيس ففعل ، فلما أقبلت جموع الترك قال قيس لابن حازم : ما ترى ، قال : أرى أن تخرج عن البلاد فإن عهد ابن عامر عندي بولايتها . فترك منازعته وذهب إلى ابن عامر ، وقيل أشار عليه أن يخرج إلى ابن عامر يستمدّه ، فلما خرج أظهر عهد ابن عامر له بالولاية عند مغيب قيس ، وسار ابن حازم للقاء الترك في أربعة آلاف . ولما التقى الناس أمر جيشه بايقاد النار في أطراف رحالهم فهاج العدو على دهش ، وغشيم ابن حازم بالناس متتابعين ، فانهزموا وأتخن المسلمون فيهم بالقتل والسبي . وكتب ابن حازم بالفتح إلى ابن عامر فأقره على خراسان فلم يزل والياً عليها إلى حرب الجمل ، فأقبل إلى البصرة وبقي أهل البصرة بعد غزوة ابن حازم هذه حتى غزوا المنتقضين من أهلها وعادوا تجهزوا كتيبة من أربعة آلاف فارس هناك .

بدء الانتقاض على عثمان رضي الله عنه

لما استكمل الفتح واستكمل للملّة المُلْك ونزل العرب بالأمصار في حدود ما بينهم وبين الأئم من البصرة والكوفة والشام ومصر ، وكان المختصون بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهديه وآدابه المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم . وأما سائر العرب من بني بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والازد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم ، فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان إلا قليلا منهم وكان لهم في الفتوحات قدم ، فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم ، وما كانوا فيه من

الذهول والدهش لأمر النبوة وتردد الوحي وتنزل الملائكة ، فلما انحسر ذلك العباب وتنوسي الحال بعض الشيء وذلّ العدو واستفحل الملك ، كانت عروق الجاهلية تنفض ووجدوا الرياسة عليهم للمهاجرين والأنصار من قريش وسواهم ، فأنفث نفوسهم منه ، ووافق أيام عثمان فكانوا يظهرن الطعن في ولاته بالأمصار ، والمواخذة لهم باللحظات والخطرات ، والاستبطاء^(١) عليهم في الطاعات والتجني بسؤال الاستبدال منهم والعزل ، ويفيضون في النكير على عثمان . وفشت المقالة في ذلك من أتباعهم وتنادوا بالظلم من الأمراء في جهاتهم وانتهت الأخبار بذلك إلى الصحابة بالمدينة ، فارتابوا لها وأفاضوا في عزل عثمان وحمله على عزل أمرائه . وبعث إلى الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر : محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعبدالله بن عمر إلى الشام ، وعمار بن ياسر إلى مصر وغيرهم إلى سوى هذه ، فرجعوا إليه فقالوا : ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعيان المسلمين ولا عوامهم إلا عمّاراً فإنه استماله قوم من الأشرار انقطعوا إليه منهم عبدالله بن سبأ ويعرف بابن السوداء ، كان يهودياً وهاجر أيام عثمان فلم يحسن إسلامه وأخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه فلحق بمصر ، وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو في السر لأهل البيت ويقول : إن محمداً يرجع كما يرجع عيسى . وعنه أخذ ذلك أهل الرجعة ، وإن علياً وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يحز وصيته وإن عثمان أخذ الأمر بغير حق ، ويحرص الناس على القيام في ذلك والطعن على الأمراء . فاستمال الناس بذلك في الأمصار وكاتب به بعضهم بعضاً ، وكان معه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر فثبطوا عماراً عن المسير إلى المدينة . وكان مما أنكروه على عثمان إخراج أبي ذر من الشام ومن المدينة إلى الربرة ، وكان الذي دعا إلى ذلك شدة الورع من أبي ذر وحمله الناس على شدائد الأمور والزهد في الدنيا وأنه لا ينبغي لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه ، يأخذ بالظاهر في ذم الادّخار بكثر الذهب والفضة . وكان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب^(٢) قوله المال مال الله ، ويوهم أن في ذلك احتجانه للمال وصرفه على المسلمين ، حتى

(١) وفي النسخة الباريية : والاشتطاط .

(٢) وفي النسخة الباريية : ونقيم .

عتب أبو ذر معاوية فاستعجب له وقال سأقول مال المسلمين^(١) ، وأتى ابن سبأ إلى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ذلك فدفعوه ، وجاء به عبادة إلى معاوية وقال هذا الذي بعث^(٢) عليك أبا ذر . ولما كثر ذلك على معاوية شكاه إلى عثمان فاستقدمه وقال له ما لأهل الشام يشكون منك فأخبره ، فقال : يا أبا ذر لا يمكن حمل الناس على الزهد وإنما عليّ أن أقضي^(٣) بينهم بحكم الله وأرغبهم في الاقتصاد ، فقال أبو ذر : لا نرضى من الأغنياء حتى يبدلوا المعروف ويحسنوا للجيران والايخوان ويصلوا القرابة ، فقال له كعب الأحبار : من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه . فضربه أبو ذر فشجّه وقال : يا ابن اليهودية ما أنت وهذا . فاستوهب عثمان من كعب شجّته فوهبه . ثم استأذن أبو ذر عثمان في الخروج من المدينة وقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعا ، فأذن له ، ونزل الربرة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا ، وكان يتعاهد المدينة فعند أولئك الرهط خروج أبي ذر فيها ينقمونه على عثمان مع ما كان من أعطاء مروان خمس مغنم أفريقية والصحيح أنه اشتراه بخمسمائة ألف فوضعها عنه .

ومما عدّوا عليه أيضا زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة ، وإتمامه الصلاة في منى وعرفة مع أن الأمر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده كان على القصر . ولما سأله عبد الرحمن واحتج عليه بذلك قال له : بلغني أن بعض حاج اليمن والحفاة جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاتي وقد اتخذت بمكة أهلا ولي بالطائف مال . فلم يقبل ذلك عبد الرحمن فقال : زوجتك بمكة إنما تسكن بسكنائك ولو خرجت ومالك بالطائف على أكثر من مسافة القصر . وأما حاج اليمن فقد شهدوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده وقد كان الإسلام ضرب بجرانه . فقال عثمان : هذا رأي رأيته . فمن الصحابة من تبعه على ذلك ومنهم من خالفه . ومما عدّوا عليه سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يذه في بئر أريس على ميلين من المدينة فلم يوجد .

(١) وفي نسخة أخرى : ما للمسلمين .

(٢) وفي النسخة الباريسية : الذي خير .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ان اقصد

وأما الحوادث التي وقعت في الأمصار فمنها قصة الوليد بن عقبة وقد تقدّم ذكرها وأنه عزله على شرب الخمر واستبدله بسعيد بن العاص منه ، وكان وجوه الناس وأهل القادسية يسمرون عنده مثل مالك بن كعب الأرحبي والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس من النخع وثابت بن قيس الهمداني وجندب بن زهير الغامدي وجندب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد وابن الكواء وكميل بن زياد وعمير بن ضابيء وطليحة بن خويلد ، وكانوا يفيضون في أيام الوقائع وفي أنساب الناس وأخبارهم وربما ينتهون إلى الملاحاة ويخرجون منها إلى المشاتمة والمقاتلة ، ويعذبهم في ذلك حجّاب سعيد بن العاص فينهرونهم^(١) . وقد قيل إن سعيداً قال يوماً : إنما هذا السواد بستان قريش ، فقال له الأشر : السواد الذي أفاء الله علينا بأسيافنا تزعم أنه بستان لك ولقومك ؟ وخاص القوم في ذلك ، فأغلظ لهم عبد الرحمن الأسدي^(٢) صاحب شرطته فوثبوا عليه وضربوه حتى غشي عليه ، ففزع سعيد بعدها السير عنده . فاجتمعوا في مجالسهم يثلبون سعيداً وعثمان ، والسفهاء يغشونهم .

فكتب سعيد وأهل الكوفة إلى عثمان في إخراجهم ، فكتب أن يلحقوهم بمعاوية وكتب إلى معاوية إن نفراً خلقوا للفتنة فقم عليهم وإنهم وإن آنت منهم رشداً فاقبل وإن أعياك فارددهم علي ، فأنزلهم معاوية وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق ، وأقاموا عنده يحضرون مائتته ثم قال لهم يوماً : «أنتم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وعليةم الأمم وحويتهم مواريتهم وقد بلغني أنكم نقيتم قريشاً ولو لم تكن قريش كنتم أذلة إذا أتمتكم لكم جنة فلا تفتروا على جنتكم وإن أتمتكم يصبرون لكم على الجور ويحملون عنكم المؤنة والله لتنتهن أوليبتلينكم الله بمن يسومكم ولا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم^(٣) فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم» . فقال له صعصعة منهم : أمّا ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر الناس ولا أمنعها في الجاهلية فتحوفنا ، وأمّا ما ذكرت من الجنة فإن الجنة إذا

(١) وفي نسخة أخرى : فيزيمونهم .

(٢) وفي نسخة أخرى : الأزدي

(٣) وفي النسخة الباريسية : ثم يكونون شركاءكم

اخترمت^(١) خلص إلينا . فقال معاوية : الآن عرفتكم وعلمت أن الذي أغراكم على هذا قلّة العقول وأنت خطيبهم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك أمر الإسلام ، وتذكرني الجاهلية أخرى الله قوما عظموا أمركم فقهوا عني ولا أظنكم تفقهون ، ثم ذكر شأن قريش وأن عزّها إنما كان بالله في الجاهلية والإسلام ولم يكن بكثرة ولا شدة ، وكانوا على أكرم أحساب وأكمل مروءة وبوأهم الله حرمة فأمّنوا فيه مما أصاب العرب والعجم والأسود والأحمر في بلادهم ، ثم ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأنّ الله ارتضى له أصحابا كان خيارهم قريشا فبنى الملك عليهم وجعل الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك إلاّ بهم ، ثم قرّعهم ووبّخهم وهددهم ، ثم أحضرهم بعد أيام ، وقال : إذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم احدا ولا يضرّه ، وإن اردتم النجاة فالزموا الجماعة ولا تبطرنكم النعمة وسأكتب الى أمير المؤمنين فيكم . وكتب إلى عثمان : «أنه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان أبطروهم العدل إنّما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة ، والله مبتليهم ثم فاضحهم وليسوا بالذين ينكون أحد^(٢) إلّا مع غيرهم فإنه سعيدا ومن عنده عنهم^(٣) .

فخرجوا من عنده قاصدين الجزيرة ومروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد بجمص فأحضرهم ، وقال : «يا أله الشيطان^(٤) لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد في نشاط خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم يا معشر من لا أدري أعرب هم أم عجم» . ثم مضى في توبيخهم على ما فعلوا وما قالوا لسعيد ومعاوية ، فهابوا^(٥) سطوته وطفقوا يقولون : نتوب إلى الله أقلنا أقالك الله ، حتى قال : تاب الله عليكم . وسرح الأشر إلى عثمان تائبا فقال له عثمان : أحلك حيث تشاء ، فقال : مع عبد الرحمن بن خالد قال : ذاك إليك فرجع إليهم . وقيل إنهم عادوا إلى معاوية من القابلة ودار بينهم وبينه القول وأغلظوا له وأغلظ عليهم ، وكتب إلى عثمان فأمر أن يردهم إلى سعيد ، فردّهم ، فأطلقوا ألسنتهم وضجّ سعيد منهم ، وكتب إلى

(١) وفي نسخة أخرى : اذا اخترت

(٢) وفي نسخة أخرى : يأتون الأمر

(٣) وفي الطبري ج ٥ ص ٨٧ : وليسوا بالذين ينكون احدا إلا مع غيرهم فإنه سعيدا ومن قبله عنهم ، فأنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير .

(٤) الآلة : بتشديد اللام الحرب

(٥) وفي النسخة الباريسية : فرهبوا

عثمان ، فكتب إليه أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد فدار بينهم وبينه ما قدمناه . وحدث بالبصرة مثل ذلك من الطعن وكان بدؤه فيما يقال شأن عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، هاجر إلى الإسلام من اليهودية ونزل على حكيم بن جبلة العبدي وكان يتشيع لأهل البيت ، ففشت مقالته بالطعن وبلغ ذلك حكيم بن جبلة فأخرجه وأتى الكوفة فأخرج أيضا واستقر بمصر ، وأقام يكاتب أصحابه بالبصرة ويكاتبونه والمقاتلات تفشو بالطعن والنكير على الأمراء . وكان حمران^(١) بن أبان أيضا يحقد لعثمان أنه ضربه على زواجه امرأة في العدة وسيّره إلى البصرة ، فلزم ابن عامر وكان بالبصرة عامر بن عبد القيس وكان زاهدا متقشفا فأغرى به حمران صاحب ابن عامر فلم يقبل سعائته ، ثم أذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس أنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة ، فألحقه عثمان بمعاوية وأقام عنده حتى تبيّنت براءته وعرف فضله وحقه وقال : إرجع إلى صاحبك فقال : لا أرجع إلى بلد استحلّ أهله مني ما استحلوا وأقام بالشام كثير العبادة والإنفراد بالسواحل إلى أن هلك .

ولما فشت المقاتلات بالطعن والأرجاف على الأمراء اعترم سعيد بن العاص على الوفاة على عثمان سنة أربع وثلاثين ، وكان قبلها قد ولي على الأعمال امراء من قبله ، فولّى الأشعث بن قيس على أذربيجان وسعيد بن قيس على الري والنسير العجلي على همدان والسائب بن الأقرع على أصبهان ومالك بن حبيب على ماه وحكيم بن سلامة على الموصل وجريز بن عبد الله على قرقيسيا وسلمان بن ربيعة على الباب وجعل على حلوان عتيبة^(٢) بن النّهاس وعلى الحرب القعقاع بن عمرو ، فخرجوا لأعمالهم وخرج هو وافدا على عثمان ، واستخلف عمرو بن حريث وخلت الكوفة من الرؤساء وأظهر الطاعنون أمرهم وخرج بهم يزيد بن قيس يريد خلع عثمان ، فبادره القعقاع بن عمرو فقال له : إنما نستعفي من سعيد . وكتب يزيد إلى الرهط الذين عند عبد الرحمن بن خالد بجمص في القدوم ، فسااروا إليه وسبقهم الأشتر ووقف على باب المسجد يوم الجمعة يقول جئتكم من عند عثمان وتركتم سعيدا يريد على نقصان

(١) وفي النسخة الباريية : عمران

(٢) وفي النسخة الباريية : عيينة .

نسائكم على مائة درهم وردّ أولى^(١) البلاء منكم إلى ألفين ، ويزعم أن فيثكم بستان قریش . ثم استخف الناس ونادى يزيد في الناس من شاء أن يلحق بيزيد لردّ سعيد فليفعل ، فخرجوا وذوو الرأي يعذلونهم فلا يسمعون .

وأقام أشراف الناس وعقلاؤهم مع عمرو بن حريث ونزل يزيد وأصحابه الجزعة^(٢) قريبا من القادسية لاعتراض سعيد وردّه ، فلما وصل قالوا : إرجع فلا حاجة لنا بك قال : إنما كان يكفيكم أن تبعثوا واحدا إليّ وإلى عثمان رجلا . وقال مولى له : ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع ، فقتله الأشر ورجع سعيدا إلى عثمان فأخبره بخبر القوم وأنهم يختارون أبا موسى الأشعري ، فولاه الكوفة وكتب إليهم : «أما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد والله لأقرضنكم عرضي ولا بذلنكم صبري ولا استصلحنكم بجهدي» . وخطب أبو موسى الناس ، وأمرهم بلزوم الجماعة ، وطاعة عثمان ، فرضوا ورجع الأمراء من قرب الكوفة واستمرّ أبو موسى على عمله .

وقيل إنّ أهل الكوفة أجمع رأيهم أن يبعثوا إلى عثمان ويعذّلوه فيما نقم عليه ، فأجمع رأيهم على عامر بن عبد القيس الزاهد وهو عامر بن عبد الله من بني تميم ثم من بني العنبر^(٣) فأتاه وقال له : إن ناسا اجتمعوا ونظروا في أعمالك فوجدوك ركبت أمورا عظاما ، فاتق الله وتب إليه . فقال عثمان : ألا تسمعون إلى هذا الذي يزعم الناس أنه قارىء ثم يجيء يكلمني في المحقرات ؟ والله لا يدري أين الله . فقال له عامر : بل والله إني لأدري إنّ الله للبرصا . فأرسل عثمان إلى معاوية وعبد الله بن أبي سرح وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاص ، وكانوا بطانته دون الناس فجمعهم وشاورهم ، وقال : إنكم وزرائي ونصحاؤي وأهل ثقتي وقد صنع الناس ما رأيتم فطلبوا أن أعزل عمالي وأرجع إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم . فقال ابن عامر : أرى أن تشغلهم بالجهاد ، وقال سعيد : متى تهلك قادتهم يتفرّقوا ، وقال معاوية : إجعل كفالتهم إلى أمرائهم وأنا أكفيك الشام ، وقال عبد الله : استصلحهم بالمال . فردّهم عثمان إلى أعمالهم وأمرهم بتجهيز الناس في البعث ليكون لهم فيها شغل ، ورد سعيد إلى الكوفة فلقية الناس بالجزعة وردوه كما ذكرناه وولّى أبا موسى وأمر عثمان

(١) وفي النسخة الباريية : على نقض اعطينكم للنساء وذو النساء

(٢) وفي النسخة الباريية : المخزعة وفي نسخة أخرى : الجرعة

(٣) وفي نسخة أخرى : بني العنيس .

حذيفة بغزو الباب فسار نحوه ،

ولما كثر هذا الطعن في الأمصار وتواتر بالمدينة وكثر الكلام في عثمان والطعن عليه ، وكان له منهم شيعة يذبون عنه مثل زيد بن ثابت وأبي أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فلم يغنوا عنه ، واجتمع الناس إلى علي بن أبي طالب وكلموه وعددوا عليه ما نقموه ، فدخل على عثمان وذكر له شأن الناس وما نقموا عليه وذكره بأفعال عمر وشدة ولينه هو لعماله وعرض عليه ما يخاف من عواقب ذلك في الدنيا والآخرة ، فقال له : إن المغيرة بن شعبة ولينا وعمر ولآه ، ومعاوية كذلك ، وابن عامر تعرفون رحمه وقرابته . فقال له عليّ إن عمر كان يظأ على صهاخ من ولآه وأنت ترفق بهم وكانوا أخوف لعمر من غلامه يرفأ^(١) ومعاوية يستبد عليك ، ويقول هذا أمر عثمان فلا تغير عليه . ثم تكالما طويلا وافترقا وخرج عثمان على أثر ذلك ، وخطب وعرض بما هو فيه من الناس وطعنهم وما يريدون منه ، وأنهم تجرؤا عليه لرفقه بما لم يتجرؤا بمثله على ابن الخطأب ، ووافقهم برجوعه في شأنه إلى ما يقدمهم .

حصار عثمان ومقتله رضي الله عنه وأتابه ورفع درجته

ولما كثرت الإشاعة في الأمصار بالطعن على عثمان وعماله ، وكتب بعضهم إلى بعض في ذلك وتوالت الأخبار بذلك على أهل المدينة ، جاؤا إلى عثمان وأخبروه فلم يجدوا عنده علما منه . وقال : أشيروا عليّ وأنتم شهود المؤمنين . قالوا : تبعث من تثق به إلى الأمصار يأتوك^(٢) بالخبر . فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعبدالله بن عمر إلى الشام وغيرهم إلى سواها فرجعوا ، وقالوا : ما أنكرنا شيئا ولا انكره علماء المسلمين ولا عوامهم ، وتأخر عمار بن ياسر بمصر واستماله ابن السوداء وأصحابه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر ، وكتب عثمان إلى أهل الأمصار : إن قد رفع إليّ أهل المدينة أن عمالي وقع منهم أضرار بالناس ، وقد أخذتهم بأن يوافوني في كل موسم فمن كان له حق فليحضر يأخذ بحقه مني أو من عمالي ، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين . فبكى الناس عند قراءة كتابه عليهم

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٣ ص ١٥٢ : فقال عليّ : انشدك الله ! هل تعلم ان معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ ، غلام عمر ، له ؟ قال : نعم .

(٢) الاصح ان يقول يأتونك .

ودعوا له ، وبعث إلى عمّال الأمصار فقدموا عليه في الموسم : عبد الله بن عامر وابن أبي سرح ومعاوية وأدخل معهم سعيد بن العاص وعمراً وقال : وبحكم ما هذه الشكاية والاذاعة واني لأخشى والله أن يكونوا صادقين ! فقالوا له : ألم يخبرك رسلك بأن أحداً لم يشافهم بشيء ؟ وإنما هذه إشاعة لا يحل الأخذ بها واختلفوا في وجه الرأي في ذلك . فقال عثمان : إن الأمر كائن وبابه سيفتح ولا أحب أن تكون لأحد عليّ حجة في فتحه وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً فسكتوا الناس وبيّنوا لهم حقوقهم . ثم قدم المدينة فدعا عليّاً وطلحة والزبير ومعاوية حاضر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أنتم ولاية هذا الأمر واخترم صاحبكم ^(١) يعني عثمان وقد كبر وأشرف وفشت مقالة خفتها عليكم فما عنيتم فيه من شيء فأنا لكم به ولا تطمعوا الناس في أمركم . فأنهره عليّ ، ثم ذهب عثمان يتكلّم ، وقال : اللذان كانا قبلي منعنا قرابتهما احتساباً وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي قرابته وأن قرابتي أهل عيلة وقلة معاش فأعطيتهم فإن رأيتم ذلك خطأ فردّوه ، فقالوا : أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفاً ومروان خمسة عشر ألفاً ، قال : آخذ ذلك منها ، فانصرفوا راضين .

وقال له معاوية : أخرج معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك ما لا تطيقه ، قال : لا أبتغي بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلاً . قال : فأبعث إليك جندا يقيمون معك ، قال : لا أضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية : لتغتالن ولتعرين ^(٢) ، قال : حسبي الله ونعم الوكيل . ثم سار معاوية ومرّ على عليّ وطلحة والزبير فوصّاهم بعثمان وودّعهم ومضى . وكان المنحرفون عن عثمان بالأمصار قد تواعدوا عند مسير الأمراء إلى عثمان أن يشبوا عليه في مغيبهم ، فرجع الأمراء ولم يتبها لهم ذلك ، وجاءتهم كتب من المدينة ممن صار إلى مذهبهم في الانحراف عن عثمان أن أقدموا علينا فإن الجهاد عندنا ، فتكاتبوا من أمصارهم في القدوم إلى المدينة ، فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة وقيل في ألف وفيهم كنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وميسرة أو قتيبة بن فلان السكوني ، وعليهم جميعاً الغافقي بن حرب العكّي ، وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان

(١) وفي النسخة الباريسية : وولوا صاحبهم

(٢) وفي نسخة ثانية : لتعيرن

العبدی والأشتر النخعی وزیاد بن النضر الحارثی وعبدالله بن الأصمّ العامري ،
وخرج أهل البصرة وفيهم حکیم بن جبلة العبدی وذریع بن عبّاد وبشر بن شریح
القیسی وابن الحرش وعليهم حرقوص بن زهير السعدي وكلهم في مثل عدد أهل
مصر ، وخرجوا جميعا في شوال مظهرين للحجّ .

ولما كانوا من المدينة على ثلاث مراحل تقدّم ناس من أهل البصرة وكان هواهم في
طلحة فترلوا ذا خشب ، وتقدّم ناس من أهل الكوفة وكان هواهم في الزبير فترلوا
الأعوص ، ونزل معهم ناس من أهل مصر وكان هواهم في عليّ وتركوا عامتهم بذی
المروة . وقال زیاد بن النضر وعبدالله بن الأصمّ من أهل الكوفة : لا تعجلوا حتى
تدخل المدينة فقد بلغنا أنهم عسكروا لنا فوالله إن كان حقا لا يقوم لنا أمر .

ثم دخلوا المدينة ولقوا عليّا وطلحة والزبير وأمّهات المؤمنین وأخبروهم أنهم إنما أتوا
للحجّ وأن يستعفوا من بعض العمّال ، واستأذنوا في الدخول فنعوهم ورجعوا إلى
أصحابهم وتشاوروا في أن يذهب من أهل الكوفة وكل مصر فريق إلى أصحابهم
کیادا وظلما في الفرقة ، فأتى المصريون عليّا وهو في عسكر عند أحجار الزيت وقد
بعث ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع عليه فعرضوا عليه أمرهم ، فصاح بهم
وطردهم وقال : إن جيش ذی المروة وذی خشب والأعوص ملعونون على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم ذلك الصالحون . وأتى البصريون طلحة
والکوفیون الزبير فقالا مثل ذلك فانصرفوا واقتربوا عن هذه الأماكن إلى عسکرهم
على بعد . فتفرّق أهل المدينة فلم يشعروا إلا والتكبير في نواحيها ، وقد هجموا وأحاطوا
بعثمان ونادوا بأمان من كف يده ، وصلى عثمان بالناس أياما ولزم الناس بيوتهم ولم
يمنعوا الناس من كلامه ، وغدا عليهم عليّ فقال : ما ردكم بعد ذهابكم ، قالوا
أخذنا كتابا مع بريد بقتلنا . وقال البصريون لطلحة والکوفیون للزبير مثل مقالة أهل
مصر وإنهم جاؤا لينصروهم ، فقال لهم عليّ : كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلکم
على مراحل من صاحبه حتى رجعت علينا جميعا ؟ هذا أمر أبرم بلیل . فقالوا :
اجعلوه كيف شئتم لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعترلنا ، وهم يصلّون خلفه ومنعوا الناس
من الاجتماع معه .

وكتب عثمان إلى الأمصار يستحثهم فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهريّ ، وبعث

عبدالله بن أبي سرح معاوية بن حديج^(١) وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو ،
وتسابقوا إلى المدينة على الصعب والذلول ، وقام بالكوفة نفر يحضون على إعانة أهل
المدينة فمن الصحابة عقبة بن عامر^(٢) وعبدالله بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب ، ومن
التابعين مسروق الأسود وشريح وعبدالله بن حكيم . وقام بالبصرة في ذلك عمران بن
حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر ، ومن التابعين كعب بن سوار وهرم بن
حيان . وقام بالشام ومصر جماعة أخرى من الصحابة والتابعين .

ثم خطب عثمان في الجمعة القابلة وقال يا هؤلاء الله الله فوالله إن أهل المدينة ليعلموا
أنكم ملعونون على لسان محمد فأحوا الخطايا بالصواب . فقال محمد بن مسلمة : أنا
أشهد بذلك . فأقعه حكيم بن جبلة ، وقام زيد بن ثابت فأقعه آخر ، وحصبوا
الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وأصيب عثمان بالحصباء فصرع وقاتل دونه سعد
بن أبي وقاص والحسين وزيد بن ثابت وأبو هريرة . ودخل عثمان بيته وعزم عليهم في
الإنصراف فانصرفوا ، ودخل عليّ وطلحة والزبير على عثمان يعودونه وعنده نفر من
بني أمية فيهم مروان فقالوا لعليّ : أهلكتنا وصنعت هذا الصنع والله لئن بلغت الذي
تريد لتمرن عليك الدنيا ، فقام مغضبا وعادوا إلى منازلهم . وصلى عثمان بالناس وهو
محصور ثلاثين يوما ، ثم منعه الصلاة ، وصلى بالناس أمير المصريين الغافي بن
حرب العكي ، وتفرق أهل المدينة في بيوتهم وحيطانهم ملازمين للسلاح وبقي الحصار
أربعين يوما . وقيل بل أمر عثمان أبا أيوب الأنصاري فصلى أياما ، ثم صلى عليّ
بعده بالناس وقيل أمر عليّ سهل بن حنيف فصلى عشر ذي الحجة ثم صلى العيد
والصلوات حتى قتل عثمان .

وقد قيل في حصار عثمان أن محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر
يحرّضان على عثمان ، فلما خرج المصريون في رجب مظهرين للحجّ ومضمرين قتل
عثمان أو خلعه وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي كان فيمن خرج مع المصريين
محمد بن أبي بكر ، وبعث عبدالله بن سعد في آثارهم وأقام محمد بن حذيفة بمصر ،
فلما كان ابن أبي سرح بأيلة بلغه أن المصريين رجعوا إلى عثمان فحصره ، وأن محمد
بن أبي حذيفة غلب على مصر فرجع سريعا إليهما فنع منهما ، فأتى فلسطين وأقام بها

(١) وفي نسخة ثانية : بن جريح

(٢) وفي النسخة الباريسية : ابن عمر .

حتى قتل عثمان . وأما المصريون فلما نزلوا ذا خشب جاء عثمان إلى بيت عليٍّ ومثَّ إليه بالقرابة في أن يركب إليهم ويردّهم لثلا تظهر الجراءة منهم ، فقال له عليٌّ : قد كلمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتني ! يعني مروان ومعاوية وابن عامر وابن أبي سرح وسعيدا . فعلى أي شيء أردّهم ؟ فقال : على أن أصير إلى ما تراه وتشيره وأن أعصي أصحابي وأطيعك . فركب في ثلاثين من المهاجرين والأنصار فيهم سعيد بن زيد وأبو جهم العدويّ وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب ، ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسان وكعب بن مالك ، ومن العرب نيار^(١) بن مكرز ، فأتوا المصريين وتولى الكلام معهم : عليٌّ ومحمد بن مسلمة ، فرجعوا إلى مصر ، وقال ابن عديس لمحمد اتوصينا بحاجة ، قال : تتقي الله وتردّ من قبلك عن إمامهم فقد وعدنا أن يرجع ويتزع . ورجع القوم إلى المدينة ودخل عليٌّ عني عثمان وأخبره برجع المصريين ، ثم جاءه مروان من الغد فقال له : أخبر الناس بأن أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغهم عنك كان باطلا قبل أن تجيء الناس من الأمصار ويأتيك ما لا تطيقه ففعل . فلما خطب ناداه الناس من كل ناحية^(٢) اتق الله يا عثمان وتب إلى الله وكان أولهم عمرو بن العاص ، فرفع يده وقال لهم : إني تائب . وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين ، ثم جاء الخبر بحصاره وقتله .

وقيل إن عليًّا لما رجع عن المصريين أشار على عثمان أن يسمع الناس ما اعترم عليه من التزع قبل أن يجيء غيرهم ، ففعل وخطب بذلك وأعطى الناس من نفسه التوبة ، وقال : «أنا أول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فليأت أشرافكم يروني رأيهم فوالله إن ردّني الحق عبداً لاسن^(٣) بسنة العبد ولأذلّ ذل العبد وما عن الله مذهب إلاّ إليه فوالله لأعطينكم الرضى ولا أحتجب عنكم» . ثم بكى وبكى الناس ودخل منزله ، فجاءه نفر من بني أمية يعذّلونه في ذلك فويخّتهم نائلة بنت الفرافصة فلم يرجعوا إليها ، وعابوه فيما فعل واستذلّوه في إقراره بالخطبة والتوبة عند الخوف ، واجتمع الناس بالباب وقد ركب بعضهم بعضا ، فقال لمروان : كلّمهم فأغلظ لهم

(١) في النسخة الباريسية : يناروي نسخة اخرى : دينار

(٢) وفي النسخة الباريسية : من كل جهة

(٣) وفي النسخة الباريسية : لاسيرن

في القول . وقال : « جئتم لتزع^(١) ملكنا من أيدينا . والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب^(٢) رأيكم إرجعوا إلى منازلكم فإننا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا » . وبلغ الخبر علياً فنكر ذلك ، وقال لعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث : أسمعت خطبته بالأمس ومقالة مروان للناس اليوم ؟ يا لله ويا للناس إن قعدت في بيتي ، قال : تركتني وقرابتي وحي وإن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان ويسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول . وقام مغضباً إلى عثمان واستقبح مقالة مروان وأنبه عليها وقال ما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتكم فقد أذهبت شرفك وغلبت على رأيك . ثم دخلت عليه امرأته نائلة وقد سمعت قول علي ، فعذلت في طاعة مروان ، وأشارت عليه باستصلاح علي فبعث إليه فلم يأت . فأثاه عثمان إلى منزله ليلاً يستلينه وي بعده الثبات على رأيه معه فقال : بعد أن قام مروان على بابك يشتم الناس ويؤذيهم ، فخرج عثمان وهو يقول : خذلني وجرأت الناس ، فقال علي : والله إني أكثر الناس ذباً عنك ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضى جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولي . ثم منع عثمان الماء فغضب علي غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان .

وقيل إن علياً كان عند حصار عثمان بخير فقدم^(٣) والناس مجتمعون عند طلحة فجاء عثمان وقال : يا علي إن لي حق الإخاء والقرابة والصهر ، ولو كان أمر الجاهلية فقط كان عاراً على بني عبد مناف أن تتزع تيم أمرهم ! فجاء علي إلى طلحة وقال : ما هذا ، فقال طلحة : أبعد ما مسّ الحزام الطيبين^(٤) يا أبا حسن . فانصرف علي إلى بيت المال ، وأعطى الناس فبقي طلحة وحده وسرّ بذلك عثمان وجاء إليه طلحة فقال له والله ما جئت تائباً ولكن مغلوباً فالله حسيبك يا طلحة .

وقيل إن المصريين لما رجعوا خرج إليهم محمد بن مسلمة فأعطوه صحيفة قالوا وجدناها عند غلام عثمان بالبويب وهو على بعير من إبل الصدقة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمر بن الحمق وعروة بن السباع وحبسهم وحلق رؤوسهم

(١) وفي النسخة الباريية : ولا تتزعون

(٢) وفي النسخة الباريية : راغب

(٣) وفي النسخة الباريية : فقام

(٤) هذا مثل يضرب به عند بلوغ الأمر غايته في الشدة

ولجاهم وصلب بعضهم ، وقيل وجدت الصحيفة بيد أبي الأعور السلمي . فعاد المصريون وعاد معهم الكوفيون والبصريون وقالوا لمحمد بن مسلمة حين سألهم : قد كَلَّمْنَا عَلِيًّا وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فوعدونا أن يكلموه فليحضر عليٌّ معنا عند عثمان . ثم دخل عليٌّ ومحمد على عثمان وأخبروه بقول أهل مصر فحلف ما كنت ولا علم . وقال محمد صدق هذا من عمل مروان . ودخل المصريون فشكى ابن عديس بابن أبي سرح وما أحدثه بمصر وأنه ينسب ذلك إلى كتاب عثمان وأناجئنا من مصر لقتلك فردنا عليٌّ ومحمد وضمنا لنا التزوع عن هذا كله فرجعنا ولقينا هذا الكتاب وفيه أمرك لابن أبي سرح بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس وهو بيد غلامك وعليه خاتمك ، فحلف عثمان ما كتب ولا أمر ولا علم . قالوا : فكيف يجترأ عليك بمثل هذا فقد استحققت الخلع على التقديرين ولا يحل أن يولّى الأمور من ينتهي إلى هذا الضعف ، فاخلع نفسك فقال : لا أنزع ما ألبسني الله ولكن أتوب وأرجع . قال : رأيناك تتوب وتعود فلا بدّ من خلعتك أو قتلك وقتال أصحابك دون ذلك أن يخلص إليك أو تموت ، فقال : لا ينالك أحد بأخرى^(١) ولو أردت ذلك لاستجشت بأهل الأمصار . ثم كثر اللغط وأخرجوا ومضى عليٌّ إلى منزله ، وحصر المصريون عثمان وكتب إلى معاوية وابن عامر يستحثهم وقام يزيد بن أسد القسري فاستنفر أهل الشام وسار إلى عثمان وبلغهم قتله بوادي القرى ، فرجعوا وقيل سار من الشام حبيب بن مسلمة ومن البصرة مجاشع بن مسعود فبلغهم قتله بالربذة فرجعوا . وكانت بطانة عثمان أشاروا عليه أن يبعث إلى عليٍّ في كفهم عنه على الوفاء لهم ، فبعث إليه في ذلك فأجاب بعد توقف ثم بعث إليهم فقالوا لا بدّ لنا أن نتوثق منه وجله فأعلمه وتوثق منه على أجل ثلاثة أيام ، وكتب بينهم كتابا على ردّ المظالم وعزل من كرهوه من العمّال . ثم مضى الأجل وهو مستعدّ ولم يغير شيئا ، فجاء المصريون من ذي خشب يستنجدون عهدهم فأبى فعصروه وأرسل إلى علي وطلحة والزبير وأشرف عليهم فحيّاهم ودعا لهم ، ثم قال : «أنشدكم الله تعالى هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم ؟ أتقولون أنه لم يستجب لكم أو تقولون أن الله لم يبال بمن ولي هذا الدين أم تقولون أن الأمة ولوا مكابرة وعن غير مشورة فوكلهم إلى أمرهم أو لم يعلم عاقبة أمري ، ثم أنشدكم الله

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ١٧٠ : فن قاتلكم فغير أمري قاتل .

هل تعلمون لي من السوابق ما يجب حقه فهلا فلا يحل إلا قتل ثلاثة : زانٍ بعد إحصان وكافر بعد إيمان وقاتل بغير حق ثم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ، ثم لا يرفع الله عنكم الاختلاف» . فقالوا له : ما ذكرت من الاستخارة بعد عمر فكل ما صنع الله تعالى فيه الخيرة ، ولكن الله ابتلى بك عباده وأما حَقُّك وسابقتك فصحيح ، لكن أحدث ما علمت ولا نترك إقامة الحق مخافة الفتنة عاما قابلا ، وأما حصر القتل في الثلاثة ففي كتب الله قتل من سعى في الأرض فسادا ومن قاتل على البغي وعلى منع الحق والمكابرة عليه ، وأنت إنما تمسكت بالأماراة علينا وإنما قاتل دونك هؤلاء لهذه التسمية فلو نزعتها انصرفوا . فسكت عثمان ولزم الدار وأقسم على الناس بالانصراف فانصرفوا إلا الحسن بن عليٍّ ومحمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير . وكانت مدة إنحصاره أربعين يوما ، ولثمان عشرة منها وصل الخبر بمسير الجنود من الأمصار فاشتد الانحصار ومنعوه من لقاء الناس ومن الماء ، وأرسل إلى عليٍّ وطلحة والزبير وأمّهات المؤمنين يطلب الماء فركب عليٌّ إليهم مُغلسا ، وقال : يا أيها الناس إن هذا لا يشبه أمر المؤمنين ولا الكافرين وإنما الأسير عند فارس والروم يُطعم ويُسقى . فقالوا : لا والله ونعمة عين . فرجع وجاءت أمّ حبيبة على بغلتها مشتملة على أدوات وقالت : أردت أن أسأل هذا الرجل عن وصايا عنده لبني أمية أو تهلك أموال أيتامهم وأراملهم ، فقالوا : لا والله ، وضربوا وجه البغلة فنفرت وكادت تسقط عنها وذهب بها الناس إلى بيتها .

وأشرف عليهم عثمان وقرّر حقوقه وسوابقه فقال بعضهم مهلا عن أمير المؤمنين ، فجاء الأشر وفرق الناس وقال : لا يمكر بكم . ثم خرجت عائشة إلى الحج ودعت أخاها فأبى ، فقال له حنظلة الكاتب : تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها وتتبع سفهاء العرب فيما لا يحل ولو قد صار الأمر إلى الغلبة غلبك عليه بنو عبد مناف . ثم ذهب حنظلة إلى الكوفة وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليٍّ وأمّ حبيبة فلزموا بيوتهم . وكان آل حزم يدسون الماء إلى بيت عثمان في الغفلات ، وكان ابن عباسُ ممن لزم باب عثمان للمدافعة فأشرف عليه عثمان وأمره أن يحجّ بالناس ، فقال : جهاد هؤلاء أحب إليّ ، فأقسم عليه وانطلق .

ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم ، وأنّ أهل الأمصار يسيرون إليهم اعترموا على قتل عثمان رضي الله عنه يرجون في ذلك خلاصهم واشتغال الناس

عنهم ، فقاموا إلى الباب ليقتحموه فنعهم الحسن بن عليّ وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة وقتلوهم وغلبوهم دون الباب ، ثم صدهم عثمان عن القتال وحلف ليدخلنّ فدخلوا وأغلق الباب فجاءوا بالنار وأحرقوه ، ودخلوا وعثمان يصليّ وقد افتتح سورة طه ، وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ وجلس إلى المصحف يقرأ فقرأ : « الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فآخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » . ثم قال لمن عنده إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه ، ومنعهم من القتال وأذن للحسن في اللحاق بأبيه وأقسم عليه فأبى وقاتل دونه ، وكان المغيرة بن الأحنس بن شريق قد تعجلّ من الحج في عصابة لنصره فقاتل حتى قتل . وجاء أبو هريرة ينادي يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار وقاتل ، ثم اقتحمت الدار من ظهرها من جهة دار عمرو بن حزم فامتلات قوماً ولا يشعر الذين بالباب ، وانتدب رجل فدخل على عثمان في البيت فحاوره في الخلع فأبى فخرج ، ودخل آخر ثم آخر كلهم يعظه فيخرج ويفارق القوم ، وجاء ابن سلام فوعظهم فهموا بقتله ، ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلاً بما لا حاجة إلى ذكره ثم استحيا وخرج . ثم دخل عليه السفهاء فضربه أحدهم وأكبت عليه نائلة امرأته تتقي الضرب بيدها فنضحها أحدهم بالسيف في أصابعها . ثم قتلوه وسال دمه على المصحف ، وجاء غلمانهم فقتلوا بعض أولئك القاتلين وقتلاء آخر ، وانتهبوا ما في البيت وما على النساء حتى نائلة ، وقتل الغلمان منهم وقتلوا من الغلمان ، ثم خرجوا إلى بيت المال فانتهبوه ، وأرادوا قطع رأسه فنعهم النساء فقال ابن عديس : اتركوه . ويقال إن الذي تولى قتله كنانة بن بشر التّجيبى وطعنه عمرو بن الحمق ظعنات ، وجاء عمير بن ضابية . وكان أبوه مات في سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعا من أضلاعه . وكان قتله ثمان عشرة خلت من ذي الحجة وبقي في بيته ثلاثة أيام .

ثم جاء حكيم بن حزام وجبير بن مطعم إلى عليّ فأذن لهم في دفنه ، فخرجوا به بين المغرب والعشاء ومعهم الزبير والحسن وأبو جهم بن حذيفة ومروان فدفنوه في حشّ كوكب^(١) ، وصلى عليه جبير وقيل مروان وقيل حكيم ، ويقال : إنّ ناساً تعرّضوا لهم

(١) هو حائط من حيطان المدينة وهو خارج البقيع

لِئَمْنَعُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ وَزَجَرَهُمْ . وَقِيلَ إِنَّ عَلِيًّا وَطَلْحَةَ حَضَرَا جَنَازَتَهُ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ .

وَكَانَ عَمَّالُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ عَلَى مَا نَذَرَهُ : فَعَلَى مَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، وَعَلَى الطَّائِفِ الْقَاسِمُ بْنُ رَبِيعَةَ الثَّقَفِيِّ ، وَعَلَى صَنْعَاءَ يَعْلَى بْنُ مَنِئَةٍ ، وَعَلَى الْجَنْدِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ وَالْبَحْرَيْنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ ، وَعَلَى الشَّامِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَعَلَى حِمَصِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ مِنْ قَبْلِهِ ، وَعَلَى قَنْسَرِينَ حَبِيبُ بْنُ مُسْلِمَةَ كَذَلِكَ ، وَعَلَى الْأُرْدُنِّ أَبُو الْأَعْوَرِ السَّلْمِيُّ كَذَلِكَ ، وَعَلَى فِلَسْطِينَ عُلْقَمَةُ بْنُ حَكِيمٍ الْكَنْدِيِّ ^(١) كَذَلِكَ ، وَعَلَى الْبَحْرَيْنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الْفَزَارِيِّ ، وَعَلَى الْقَضَاءِ أَبُو الدَّرْدَاءِ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى الْحَرْبِ ، وَعَلَى خِرَاجِ السَّوَادِ جَابِرُ الْمَزْنِيِّ وَسَمَّاكَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الْخِرَاجِ ، وَعَلَى قَرْقِيسِيَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى أَدْرِيْجَانَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ، وَعَلَى حُلْوَانَ عَتِيبَةُ ^(٢) بْنُ النَّهَّاسِ ، وَعَلَى أَصْبَهَانَ السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ ، وَعَلَى مَاسْبِدَانَ خَنِيسَ ^(٣) ، وَعَلَى بَيْتِ الْمَالِ عَقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَلَى الْقَضَاءِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ .

بَيْعَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَمَّا قَتَلَ عُثْمَانُ اجْتَمَعَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَأَتَوْا عَلِيًّا بِبَايَعُونِهِ ، فَأَبَى وَقَالَ : أَكُونُ وَزِيرًا لَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَكُونَ أَمِيرًا وَمِنْ اخْتَرْتُمْ رَضِيَّتَهُ ، فَأَلْحَوْا عَلَيْهِ وَقَالُوا : لَا نَعْلَمُ أَحَقَّ مِنْكَ وَلَا نَخْتَارُ غَيْرَكَ حَتَّى غَلِبُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَبَايَعُوهُ وَأَوَّلَ مِنْ بَايَعِهِ طَلْحَةُ ثُمَّ الزُّبَيْرُ بَعْدَ أَنْ خَيَّرَهُمَا وَيُقَالُ إِنَّهَا ادَّعِيَا الْإِكْرَاهَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَخَرَجَا إِلَى مَكَّةَ ، ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ . وَجَاؤَا بِسَعْدٍ فَقَالَ لِعَلِيٍّ : حَتَّى تَبَايَعَكَ النَّاسُ ^(٤) فَقَالَ : اخْلَوْهُ وَجَاؤَا بِابْنِ عُمَرَ فَقَالَ : كَذَلِكَ . فَقَالَ : إِيْتَنِي بِكَفِيلٍ . قَالَ : لَا أَجِدُهُ فَقَالَ الْأَشْجَرُ : دَعْنِي أَقْتُلْهُ فَقَالَ عَلِيٌّ : دَعُوهُ أَنَا كَفِيلُهُ . وَبَايَعَتِ الْأَنْصَارُ وَتَأَخَّرَ مِنْهُمْ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَمُسْلِمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ وَأَبُو

(١) وَفِي النُّسخَةِ الْبَارِسِيَّةِ : الْكَتَانِي .

(٢) وَفِي النُّسخَةِ الْبَارِسِيَّةِ : عَيْنُهُ .

(٣) وَفِي النُّسخَةِ الْبَارِسِيَّةِ : عَنِيسَ .

(٤) الْأَضْحَ انْ يَقُولُ : حَتَّى يَبَايَعَكَ النَّاسُ .

سعيد الخدريّ ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وقُضائل بن عبيد وكعب بن عجرة وسلمة بن سلامة بن وقش^(١) ، وتأخر من المهاجرين عبدالله بن سلام وصُهيب بن سنان وأسامة بن زيد وقُدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة . وأمّا النعمان بن بشير فأخذ أصابع نائلة امرأة عثمان وقبضه الذي قتل فيه ولحق بالشام صريخاً .

وقيل إنّ عثمان لما قتل بقي الغافقي بن حرب أميراً على المدينة خمسة ايام ، والتمس من يقوم بالأمر فلم يجبه أحد ، وأتوا إلى عليّ فامتنع ، وأتى الكوفيون الزبير والبصريّون طلحة فامتنعوا ، ثم بعثوا إلى سعد وابن عمر فامتنعوا^(٢) . فبقوا حيارى ورأوا أنّ رجوعهم إلى الأمصار بغير إمام يوقع في الخلاف والفساد ، فجمعوا أهل المدينة وقالوا : أنتم أهل الشورى وحكمكم جائز على الأمة فاعقدوا الامامة ونحن لكم تبع وقد أجبناكم يومين وإن لم تفعلوا قتلنا فلانا وفلانا وغيرهما يشيرون إلى الأكابر . فجاء الناس إلى عليّ فاعتذر وامتنع ، فخوّفه الله في مراقبة الإسلام ، فوعدهم إلى الغد . ثم جاءه من الغد وجاء حكيم بن جبلة^(٣) في البصريّين ، فأحضر الزبير كرها ، وجاء الأشر في الكوفيين فأحضر طلحة كذلك وبايعوا لعليّ ، وخرج إلى المسجد وقال : هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلّا من أردتم وقد افترقنا أمس وأنا كاره فأبيتم إلّا أن أكون عليكم ، فقالوا : نحن على ما افترقنا عليه بالأمس ، فقال لهم : اللهم إشهد ! ثم جاؤا بقوم ممن تخلف قالوا نبايع على إقامة كتاب الله . ثم بايع العامة ، وخطب عليّ وذكر الناس وذلك يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة ورجع إلى بيته ، فجاء طلحة والزبير وقالوا : قد اشترطنا إقامة الحدود فأقمها على قتلة هذا الرجل ، فقال : لا قدرة لي على شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق ، فافترقوا عنه .

وأكثر بعضهم المقالة في قتلة عثمان وباستناده إلى أربعة في رأيه ، وبلغه ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم ، ثم هرب مروان وبنو أمية ولحقوا بالشام ، فاشتدّ على عليّ منع قريش من الخروج ، ثم نادى في اليوم الثالث برجوع

(١) وفي نسخة أخرى : وخشب .

(٢) وفي النسخة الباريسية : ثم بعثوا إلى سعد بن عمر فامتنع .

(٣) وفي النسخة الباريسية : وجاء حكم بن عبله .

الاعراب إلى بلادهم ، فابوا وتدمرت معهم السبئية ، وجاءه طلحة والزبير فقالا : دعنا نأتي البصرة والكوفة فنستنفر الناس فأمهلها . وجاء المغيرة فأشار عليه باستبقاء العمال حتى يستقر الأمر ويستبدلوا بمن شاء فأمهله ، ورجع من الغد فأشار بمغاجلة الاستبدال ، وجاءه ابن عباس فأخبره بخبر المغيرة ، فقال : نصحك أمس وغشك اليوم . قال : فما الرأي ؟ قال : كان الرأي أن تخرج عند قتل الرجل إلى مكة وأما اليوم فإن بني أمية يشبهون على الناس بأن يلجموك طرفاً من هذا الأمر ويطلبون ما طلب أهل المدينة في قتلة عثمان فلا يقدرّون عليهم والأمر أن تقرّ معاوية . فقال علي رضي الله عنه : والله لا أعطيه إلاّ السيف . فقال له ابن عباس : أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة . قال : بلى ! فقال ابن عباس : أما والله إن أطعني لأتركهم ينظرون في دبر الأمور ولا يعرفون ما كان وجهها من غير نقصان عليك ولا إثم لك . فقال : يا ابن عباس لست من هنيئاتك ولا هنيئات معاوية في شيء^(١) . فقال ابن عباس : أطعني والحق بمالك يُنبئ وأغلق بابك عليك فإنّ العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك ، وإن نهضت مع هؤلاء القوم يحملك الناس دم عثمان غداً . فأبى عليّ وقال : أشر عليّ وإذا خالفتك أطعني . قال : أيسر مالك عندي الطاعة . قال : فسر إلى الشام فقد وليتكها . قال : إذا يقتلني معاوية بعثمان أو يحبسني فيتحكم عليّ لقرايتي منك ولكن أكتب إليه وعده فأبى . وكان المغيرة يقول نصحته فلم يقبل فغضب ولحق بمكة .

ثم فرّق عليّ العمال على الأمصار فبعث على البصرة عثمان بن حنيف ، وعلى الكوفة عمار بن شهاب من المهاجرين ، وعلى اليمن عبيد الله بن عباس ، وعلى مصر قيس بن سعد ، وعلى الشام سهل بن حنيف . فمضى عثمان إلى البصرة واختلفوا عليه فأطاعته فرقة وقال آخرون : ما يصنع أهل المدينة فنقتدى بهم ، ومضى عمار إلى الكوفة فلما بلغ زباله لقي طليحة بن خويلد فقال له : إرجع فإنّ اليوم لا يستبدلون بأبي موسى وإلاّ ضربت عنقك ، ومضى ابن عباس إلى اليمن فجمع يعلى بن منية^(٢) مال الجباية

(١) وفي النسخة الباريسية : لست من سنامك ولا سنامك معاوية في شيء .

— وفي الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٩٨ : لست من هناتك ولا هنات معاوية في شيء .

— وفي الطبري ج ٥ ص ١٦١ : لست من هنيئتك وهنيئات معاوية في شيء .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بن حقة .

وخرج به إلى مكة ودخل عبيد الله إلى اليمن ، ومضى قيس بن سعد إلى مصر ولقيه بأيلة خيالة من أهل مصر فقالوا : من أنت ؟ قال : قيس بن سعد من فلّ عثمان أطلب من آوي إليه وأنتصر به . ومضى حتى دخل مصر وأظهر أمره فافترقوا عليه فرقة كانت معه وأخرى تربصوا حتى يروا فعله في قتلة عثمان . ومضى سهل بن حنيف إلى الشام حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقال لهم : أنا أمير على الشام ، قالوا إن كان بعثك غير عثمان فارجع فرجع .

فلما رجع وجاءت أخبار الآخرين دعا عليّ طلحة والزبير وقال قد وقع ما كنت أخطركم . فسأله الإذن في الخروج من المدينة وكتب عليّ إلى أبي موسى مع معبد^(١) الأسلمي فكتب إليه بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ومن الكاره منهم والراضي حتى كأنه يشاهد . وكتب إلى معاوية مع سيرة الجهني فلم يجبه إلى ثلاثة أشهر من مقتل عثمان ، ثم دعا قبيصة من عبس وأعطاه كتابا محتوما عنوانه من معاوية إلى عليّ وأوصاه بما يقول وأعادته مع رسول عليّ ، فقدم في ربيع الأول ودخل العباسي وقد رفع الطومار كما أمره حتى دفعه إلى عليّ ، ففضه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول : ما وراءك ؟ قال : آمن أنا ؟ قال نعم قال تركت قوما لا يرضون إلا بالقود قال : ومن ؟ قال منك وتركك ستين ألف شيخ سيكون تحت قبض عثمان منصوباً على منبر دمشق . فقال : اللهم اني أبرأ إليك من دم عثمان ! قد نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله . ثم رده إلى صاحبه وصاحت السبيّة اقتلوا هذا الكلب وافد الكلاب ، فنادى يال مضر يا لقيس أحلف بالله ليردّنها عليكم أربعة آلاف خصي فانظروا كم الفحول والركاب وتقاووا عليه ، فننعت مضر ودس أهل المدينة على عليّ من يأتيهم برأيه في القتال وهو زياد بن حنظلة التيمي وكان منقطعاً إليه فجالسه ساعة فقال له عليّ : سيروا لغزو الشام . فقال لعليّ : الأناة والرفق أمثل فتمثل يقول :

متى تجمع القلب الذكيّ وصارماً . وأنفاً حميّاً تجتنبك المظالم
فعلم أنّ رأيه القتال^(٢) ثم جاء إلى القوم الذين دسوه فأخبرهم ثم استأذنه طلحة والزبير في العمرة ولحقا بمكة . ثم اعترم على الخروج إلى الشام ودعا أهل المدينة إلى قتالهم ،

(١) وفي النسخة البازيسية : فهد .

(٢) وفي الطبري ج ٥ ص ١٦٣ : « فرج زياد على الناس والناس ينتظرونه فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : السيف يا قوم . فعرفوا ما هو فاعل » .

وقال : انطلقوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم .

وأمر الناس بالتجهز إلى الشام ودفع اللواء لمحمد بن الحنفية ، وولى عبدالله بن عباس ميمنته ، وعمرو بن سلمة ميسرته ، ويقال بل عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وولى أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي عبيدة مقدمته ، ولم يول أحدًا ممن خرج على عثمان . واستخلف على المدينة تمام بن العباس ، وعلى مكة قثم بن العباس . وكتب إلى قيس بن سعد بمصر وعثمان بن حنيف بالبصرة وأبي موسى بالكوفة أن يندبوا الناس إلى الشام ، وبينما هو على التجهز للشام إذ أتاه الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وأنهم على الخلاف فانتقض عن الشام .

أمر الحمل

ولما جاء خبر مكة إلى عليّ قام في الناس وقال : ألا إن طلحة والزبير وعائشة قد تمالأوا على نقض إمارتي ودعوا الناس إلى الإصلاح وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكفّ إن كفوا وأقتصد نحوهم ، وندب أهل المدينة فتأقلوا ، وبعث كميلاً النخعيّ فجاءه بعبد الله بن عمر فقال : انهض معي ، فقال : أنا من أهل المدينة افعل ما يفعلون ، قال : فأعطني كفيلاً بانك لا تخرج ^(١) ، قال : ولا هذه ، فتركه ورجع إلى المدينة ، وخرج إلى مكة وقد أخبر ابنة عليّ أم كلثوم ^(٢) بأنه سمع من أهل المدينة تتأقلهم وأنه على طاعة عليّ ويخرج معتمراً . وجاء الخبر من الغداة إلى عليّ بأنه خرج إلى الشام فبعث في أثره على كل طريق ، وماج أهل المدينة ، وركبت أم كلثوم إلى أبيها وهو في السوق يبعث الرجال ويظاهر في طلبه فحدثته فانصرف عن ذلك ووثق به فيما قاله ، ورجع إلى أهل المدينة فخطبهم ^(٣) وحرّضهم فرجعوا إلى اجابته ، وأول من أجابه أبو الهيثم بن التيهان البصري وخزيمة بن ثابت وليس بذي الشهادتين . ولما رأى زياد بن حنظلة تتأقل الناس عن عليّ انتدب إليه وقال : من تتأقل عنك فإننا نخفّ معك ونقاتل دونك .

(١) وفي النسخة الباريية : بأنه لا يخرج .

(٢) وفي نسخة أخرى : أخبر أخته أم كلثوم .

(٣) وفي النسخة الباريية : فخطبهم .

وكان سبب اجتماعهم بمكة أن عائشة كانت خرجت إلى مكة وعثمان محصور كما قدمناه ، فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة فلقيت في طريقها رجلا من بني ليث اخوالها فأخبرها بقتل عثمان وبيعة علي ، فقالت : قتل عثمان والله ظلماً ولأطلين بدمه فقال لها الرجل : ولم أنت كنت تقولين ما قلت ؟ فقالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وانصرفت الى مكة . وجاءها الناس فقالت : « إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً ونقموا عليه استعمال من حدثت سنة وقد استعمل أمثالهم من كان قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلماً لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام : والله لاصبغ من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ولو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه » . فقال عبدالله بن عامر الحضرمي وكان عامل مكة لعثمان : أنا أول طالب ، فكانت أول مجيب وتبعه بنو أمية وكانوا هربوا إلى مكة بعد قتل عثمان ، منهم : سعيد بن العاص والوليد بن عقبة . وقدم عبدالله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن منية^(١) من اليمن بستائة بغير وستائة ألف فأناخ بالأبطح ، ثم قدم طلحة والزبير من المدينة فقالت لها عائشة : ما وراءكما ؟ قالوا : تحملنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب غلبوا على خيارهم فلم يمنعوا أنفسهم ولا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ، فقالت : إنهضوا بنا إليهم ، وقال آخرون : نأتي الشام ، فقال ابن عامر : إن معاوية كفاكم الشام فأتوا البصرة فلي بها صنائع ولهم في طلحة هوى . فنكروا عليه مجيئه من البصرة واستقام رأيهم على رأيه وقالوا : إن الذين معنا لا يطيقون من بالمدينة ويحتجون ببيعة علي وإذا أتينا البصرة أنهضناهم كما أنهضنا أهل مكة وجاهدنا ، فاتفقوا ودعوا عبدالله^(٢) بن عمر الى النهوض فأبى وقال : أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون . وكانت أمهات المؤمنين معها على قصد المدينة ، فلما نهضت إلى البصرة قعدوا عنها وأجابتها حفصة فنعها أخوها عبدالله . وجهزهم ابن عامر بما معه من المال ويعلى بن منية بما معه من المال والظهر ، ونادوا في الناس

(١) يعلى بن منية هو يعلى بن أمية ، وهو أبوه ، ومنه أمه كما في شرح مسلم والكامل يتسبب تارة الى أبيه وتارة الى أمه وقول الناس منيه تحريف ، قاله نصر .

(٢) وفي نسخة أخرى : عبد الرحمن .

بالحملان فحملوا على ستمائة بعير وساروا في ألف من أهل مكة ومن أهل المدينة وتلاحق بهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف ، وبعثت أم الفضل وأم عبد الله بن عباس بالخبر استأجرت على كتابها من أبلغه عليًا ، ونهضت عائشة ومن معها ، وجاء مروان بن الحكم إلى طلحة والزبير فقال : على أيكما أسلم بالأمرأة وأؤذن بالصلاة ، فقال ابن الزبير على أبي ، وقال ابن طلحة على أبي ، فأرسلت عائشة إلى مروان تقول له أتريد أن تفرق أمرنا ليصل بالناس ابن أخي^(١) تعني عبد الله بن الزبير .

وودع أمهات المؤمنين عائشة من ذات عرق باقيات ، وأشار سعيد بن العاص على مروان بن الحكم وأصحابه بادراك ثأرهم من عائشة وطلحة والزبير . فقالوا نسبر لعنا نقتل قتلة عثمان جميعا . ثم جاء إلى طلحة والزبير فقال : لمن تجعلان الأمر إن ظفرتما ؟ قالا : لأحدنا الذي تختاره الناس ، فقال : بل اجعلوه لولد عثمان لأنكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا : وكيف ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ؟ قال : فلا أراني أسعى إلا لإخراجها من بني عبد مناف فرجع ، ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد ووافقه المغيرة بن شعبة ومن معه من ثقيف فرجعوا ، ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان . وأركب يعلى بن منية عائشة جملا اسمه عسكر اشتراه بمائة دينار وقيل بثمانين ، وقيل بل كان لرجل من غرينة عرض لهم بالطريق على جمل فاستبدلوا به جمل عائشة على أن خمله بألف فرادهو أربعائة درهم ، وسألوه عن دلالة الطريق فدلهم ومروهم على الماء الحوآب فنبحتهم كلابه . وسألوه عن الماء فعرفهم باسمه . فقالت عائشة : ردوني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعري أيتكن تبيحها كلاب الحوآب ، ثم ضربت عضد بعيرها^(٢) فأناخته وأقامت بهم يوما وليلة إلى أن قيل النجاء النجاء قد أدرككم علي ، فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التيمي ، وأشار بأن يتقدم عبد الله بن عامر إليهم فأرسلته عائشة وكتبت معه إلى رجال من البصرة ، إلى الأحنف بن قيس وسمرة وأمثالهم ، وأقامت بالحقيين^(٣) تنتظر الجواب ، ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجلا عامّة ، وأبا الأسود الدؤلي وكان

(١) وفي النسخة الباريسية : ابن أخي .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عضب بعيرها .

(٣) لعلها : حفير وهو موضع بين مكة والمدينة وعن ابن دريد : بين مكة والبصرة (معجم البلدان) .

رجلا خاصّة ، وقال : انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها . فجآآها بالحفين وقالا : إنّ أميرنا بعثنا نسألك عن مسيرك ؟ فقالت : إنّ الغوغاء ونزاع القبائل فعلوا ما فعلوا فخرجت في المسلمين أعلمهم بذلك وبالذي فيه الناس وراءنا وما ينبغي من إصلاح هذا الامر .. ثم قرأت لا خير في كثير من نجوا هم الآية . ثم عدلا عنها إلى طلحة فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان . فقالا : ألم تباع عليّا ؟ قال : بلى والسيف على رأسي وما أستقبل على البيعة إن هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان . وقال لها الزبير مثل ذلك ، ورجعا إلى عثمان بن حنيف فاسترجع وقال : دارت رحى الإسلام وربّ الكعبة ، ثم قال أشيروا عليّ ، فقال عمران : اعتزل . قال بل أنصنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين . فجاءه هشام بن عامر فأشار عليه بالمسألة والمسامحة حتى يأتي أمر عليّ ، فأبى ونادى في الناس فلبس السلاح ثم دس من يتكلم في الجمع ليرى ما عندهم ، فقال رجل : إنّ هؤلاء القوم إن كانوا جاؤا خائفين فبلدهم يأمن فيه الطير وإن جاؤا لدم عثمان فما نحن بقتلته فأطيعوني وردّوهم من حيث جاؤا . فقال الأسود بن سريع السعدي : إنما جاؤا يستعينون بنا على قتلته منا ومن غيرنا . فحصبه الناس فعرف عثمان أنّ لهم بالبصرة ناصرا وكسره ذلك كلّه .

وانتهت عائشة ومن معها إلى المربد ، وخرج إليها عثمان فيمن معه وحضر أهل البصرة ، فتكلّم طلحة من الميمنة : فحمدا لله وذكر عثمان وفضله ودعا إلى الطلب بدمه وحثّ عليه ، وكذلك الزبير فصدقها أهل الميمنة . وقال أصحاب عثمان من اليسرة : بايعتم عليّا ثم جئتم تقولون . ثم تكلمت عائشة وقالت : « كان الناس يتجنّون على عثمان ويأتوننا بالمدينة فنجدهم فجرة ونجده برّا تقيا وهم يحاولون غير ما يظهرون ، ثم كثروا واقتحموا عليه داره وقتلوه واستحلّوا المحرّمات بلا ترّة ولا عذر ، ألا وأنّ مما ينبغي لكم ولا ينبغي غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله » ثم قرأت « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم » الآية . فاختلف أصحاب عثمان عليه ومال بعضهم إلى عائشة ، ثم افترق الناس وتحاصبوا وانحدرت عائشة إلى المربد ، وجاءها جارية^(١) بن قدامة السعدي فقال : « يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الحمل الملعون عرضة للسلاح ، إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبجت حرمتك وآته من

(١) وفي النسخة الباريسية : حارثة .

رأى قتالك يرى قتلك ، فإن كنت أتيتنا طائعة فارجمي إلى منزلك وإن كنت مكرهة فاستعيني بالله وبالناس على الرجوع » .

وأقبل حكيم بن جبلة وهو على الخيل ^(١) فأنشب القتال ، وأشرع أصحاب عائشة رماحهم فاقتتلوا على فم السكة ^(٢) ، وحجز الليل بينهم وباتوا يتأهبون وعاداهم حكيم بن جبلة فاعترضه رجل من عبد القيس ^(٣) فقتله حكيم ، ثم قتل امرأة أخرى ، واقتتلوا إلى أن زال النهار . وكثر القتل في أصحاب عثمان بن حنيف ولما عضتهم الحرب تنادوا إلى الصلح وتوادعوا على أن يبعثوا إلى المدينة فإن كان طلحة والزبير أكرها سلم لهم عثمان الأمر وإلا رجعا عنه . وسار كعب بن سوار القاضي إلى أهل المدينة يسألهم عن ذلك ، فجاءهم يوم جمعة وسألهم فلم يجبه إلا أسامة بن زيد فإنه قال : بايعا مكرهين . فضربه الناس حتى كاد يقتل . ثم خلّصه صهيب وأبو أيوب ومحمد بن مسلمة إلى منزله ، ورجع كعب وبلغ الخبر بذلك إلى عليّ ، فكتب إلى عثمان بن حنيف يعجزه ويقول والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل ، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا . ولما جاء كعب بقول أهل المدينة بعث طلحة والزبير إلى عثمان ليجتمع بهما ، فامتنع واحتج بالكتاب وإقال هذا غير ما كنا فيه . فجمع طلحة والزبير الناس وجاءا إلى المسجد بعد صلاة العشاء في ليلة ظلماء شاتية ، وتقدم عبد الرحمن بن عتاب في الوحل فوضع السلاح في الجائفة من الزطّ والسابجة وهم أربعون رجلا فقاتلوهم وقتلوا عن آخرهم ، واقتحموا على عثمان فأخرجوه إلى طلحة والزبير وقد تنفوا شعر وجهه كله ، وبعثوا إلى عائشة بالخبر فقالت خلوا سبيله ، وقيل أمرت بإخراجه وضربه ، وكان الذي تولى إخراجه وضربه مجاشع بن مسعود . وقيل إن الاتفاق إنما وقع بينهم على أن يكتبوا إلى عليّ فكتبوا إليه وأقام عثمان يصلي فاستقبلوه ووثبوا عليه فظفروا به وأرادوا قتله ، ثم استبقوه من أجل الأنصار وضربوه وحبسوه .

ثم خطب طلحة والزبير وقالوا يا أهل البصرة توبة بحوبة ^(٤) إنما أردنا أن نستعيب عثمان

(١) وفي نسخة ثانية : على ظهر الخيل .

(٢) وفي النسخة الباريية : فم السمكة .

(٣) وفي النسخة الباريية : من عبد الله بن القيس .

(٤) توبة بحوبة : أي توبة بإثم وفي النسخة الباريية : توبة نحويه .

فغلب السفهاء فقتلوه . فقالوا لطلحة قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا ! قال الزبير :
أما أنا فلم أكتبكم ، وأخذ يرمي عليًا بقتل عثمان فقال رجل من عبد القيس : يا
معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب داعي الإسلام وكان لكم بذلك الفضل ، ثم
استخلفتم مراراً ولم تشاورونا ، وقتلتم كذلك ، ثم بايعتم عليًا وجئتم تستعدوننا عليه
فإذا الذي نقتم عليه ؟ فهموا بقتله ومنعته عشيرته ، ثم وثبوا من الغد على قتل عثمان
ومن معه فقتلوا منهم سبعين . وبلغ حكيم بن جبلة ما فعل بعثمان بن حنيف فجاء
لنصره في جماعة من عبد القيس ، فوجد عبدالله بن الزبير فقال له : ما شأنك ؟
قال : تخلوا عن عثمان وتقيمون على ما كنتم حتى يقدم عليّ ولقد استحلتم الدم الحرام
ترعمون الطلب بثأر عثمان وهم لم يقتلوه . ثم ناجزهم الحرب في ربيع الآخر سنة ست
وثلاثين ، وأقام حكيم أربعة قواد فكان هو بجيالة طلحة ، وذُرَيْج بجيالة الزبير ، وابن
المحرش بجيالة عبد الرحمن بن عتاب ، وحرقوق بن زهير بجيالة عبد الرحمن بن
الحرث بن هشام . وتراحفوا واستحروا القتل فيهم حتى قتل كثير منهم وقتل حكيم
وذريح ، وأفلت حرقوق في فلّ من أصحابه إلى قومهم بني سعد ، وتبعوهم بالقتل
وطالبوا بني سعد بحرقوص وكانوا عثمانيّة^(١) ، فاعتزلوا وغضبت عبد القيس كلهم
والكثير من بكر بن وائل ، وأمر طلحة والزبير بالعطاء في أهل الطاعة لها ، وقصدت
عبد القيس وبكر بيت المال فقاتلوهم ومنعواهم ، وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة
بالخبر^(٢) وأمرتهم أن يثبطوا الناس عن عليّ وأن يقدموا بدم عثمان ، وكتبت بمثل
ذلك إلى اليمامة والمدينة .

ولنرجع إلى خبر عليّ وقد كان لما بلغه خبر طلحة والزبير وعائشة ومسيرهم إلى البصرة
دعا أهل المدينة للنصرة وخطبهم ، فتثاقفوا أولاً وأجابه زياد بن حنظلة وأبو الهيثم
وخزيمة بن ثابت وليس بذي الشهادتين وأبو قتادة في آخرين ، وبعثت أم سلمة معه
ابن عمّها وخرج يسابق طلحة والزبير إلى البصرة ليردّهما ، واستخلف على المدينة تمام
ابن عباس وقيل سهل بن حنيف ، وعلى مكّة قثم بن عباس ، وسار في ربيع الآخر
سنة ست وثلاثين ، وسار معه من نشط من الكوفيين والمصريين متخفين في تسعمائة ،
ولقيه عبدالله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين : لا تخرج منها فوالله إن

(١) أي من اتباع الخليفة عثمان .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بالفتح .

خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً . فبدر الناس إليه ، فقال : دعوه فنعلم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وسار فأنتهى الى الربذة ، وجاء خبر سبقهم إلى البصرة فأقام يأتمر بما يفعل ولحقه ابنه الحسن وعذله في خروجه وما كان من عصيانه إياه ، فقال : ما الذي عصيتك فيه حين أمرتني ؟ قال : أمرتك أن تخرج عند حصار عثمان من المدينة ولا تحضر لقتله ، ثم عند قتله ألا تباع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة الأمصار ، ثم عند خروج هؤلاء أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا . فقال : أما الخروج من المدينة فلم يكن إليه سبيل وقد كان أحيط بنا كما أحيط بعثمان ، وأما البيعة فحفظنا ضياع الأمر والحل والعقد لأهل المدينة لا للعرب ولا للأمصار ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحق بالأمر بعده فباع الناس غيري واتبعهم في أبي بكر وعمر وعثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين ، فأنا أقاتل من خالف بمن أطاع إلى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وأما القعود عن طلحة والزبير فاذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر فمن ينظر فيه ؟

ثم أرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس ، وأقام بالربذة يحرض الناس وأرسل إلى المدينة في أداته وسلاحه ، وقال له بعض أصحابه عرفنا بقصدك من القوم ؟ قال : الإصلاح إن قبلوه وإلا فنظرهم وإن بادرونا امتنعنا . ثم جاءه جماعة من طيء نافرين معه فقبلهم وأثنى عليهم . ثم سار من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمرو بن الجراح ، ولما انتهى الى فيد أته أسد وطيء وعرضوا عليه النفير معه ، فقال : الزموا قراركم في المهاجرين كفاية . ولقيه هنالك رجل من أهل الكوفة من بني شيبان فسأله عن أبي موسى ، فقال إن أردت الصلح فهو صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه . فقال : والله ما أريد إلا الصلح حتى يرد علينا . ثم انتهى إلى الثعلبية والأساد ، فبلغه ما لقي عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ، ثم جاءه بذي قار عثمان بن حنيف وأراه ما بوجهه ، فقال : «أصببت أجراً وخيراً إن الناس ولهم قبلي رجلاًان فعلاً بالكتاب ثم ثالث فقالوا وفعلوا ثم بايعوني ومنهم طلحة والزبير ثم نكثا وألبا عليّ . ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وعثمان وخلافهما عليّ ! والله إنهما ليعلمان اني لست دونهم» . ثم أخذ في الدعاء عليهما وابن وائل هنالك يعرضون عليه النفير فأجابهم مثل طيء وأسد ، وبلغه خروج عبد القيس على طلحة والزبير فأنثى عليهم . وأما محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فبلغا إلى الكوفة

ودفعا إلى أبي موسى كتاب عليّ وقاما في الناس بأمره فلم يجبها أحد وشاوروا أبا موسى في الخروج إلى عليّ ، فقال : الخروج سبيل الدنيا والقعود سبيل الآخرة ففقدوا كلهم . وغضب محمد ومحمد وأغلظا لأبي موسى ، فقال لهما : والله إن بيعه عثمان لني عني وعنت عليّ وإن كان لا بدّ من القتال فحتي نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ، فرجعا إلى عليّ بالخبر وهو بذئ قار ، فرجع عليّ باللائمة على الاشر ، وقال : أنت صاحبنا في أبي موسى فاذهب انت وابن العباس وأصلح ما أفسدت . فقدما على أبي موسى وكلما أستعانا عليه بالناس لم يجب إلى شيء ولم ير إلا القعود حتى تنجلي الفتنة ويلثم الناس ، فرجع ابن عباس والأشتر إلى عليّ فأرسل عليّ ابنه الحسن وعمّار بن ياسر وقال : لهما : انطلقا فأصلح ما أفسدت . فانطلقا حتى دخلا المسجد ، وخرج أبو موسى فلقى الحسن بن علي فضمه إليه وقال لعمّار : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا وأحلت نفسك مع الفجّار؟ فقال : لم أفعل . فأقبل الحسن على أبي موسى فقال : لم تثبط الناس عنا وما أردنا إلا الإصلاح ومثل أمير المؤمنين لا يخاف على شيء . قال : «صدقت بأبي أنت وأمي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب والمسلمون اخوان ودمائهم وأموالهم حرام» فغضب عمّار وسبه فسبه آخر وتناور الناس ، ثم كفّهم أبو موسى . وجاء زيد بن صوحان بكتاب عائشة إليه وكتابتها إلى أهل الكوفة فقرأها على الناس في سبيل الإنكار عليها فسبه شبت بن ربعي^(١) ، وتهاوى الناس وأبو موسى يكفّهم ويأمرهم بلزوم البيوت حتى تنجلي الفتنة ، ويقول : أطيعوني وخلوا قريشا إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم . حتى ينجلي الأمر . وناداه زيد بن صوحان بإجابة عليّ والقيام بنصرته وتابعه القعقاع بن عمرو فقام بعده فقال : لا سبيل إلى الفوضى وهذا أمير المؤمنين ملء بما ولي وقد دعاكم فأنفروا ، وقال عبد خير مثل ذلك وزاد : يا أبا موسى هل تعلم أن طلحة والزبير بايعا؟ قال : نعم . قال : فهل أحدث عليّ ما ينقض البيعة؟ لا أدري قال : لا دريت ونحن نتركك حتى تدري . ثم قال سيحان^(٢) بن صوحان مثل ما قال القعقاع ، وحرّض على طاعة عليّ وقال : فإنه

(١) شبت : بفتح الشين المعجمة والموحدة كما في القاموس .

(٢) سيحان بوران جيحان اهـ .

عَاكُم تَنْظُرُونَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِيهِ^(١) وَهُوَ الْمَأْمُونُ عَلَى الْأُمَّةِ الْفَقِيهَ فِي الدِّينِ ،
فَقَالَ عَمَّارٌ وَهُوَ دَعَاكُمْ إِلَى ذَلِكَ لِتَنْظُرُوا فِي الْحَقِّ وَتَقَاتِلُوا مَعَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ الْحَسَنُ :
أَجِيبُوا دَعْوَتَنَا وَأَعِينُونَا عَلَى مَا ابْتَلَيْنَا بِهِ وَابْتَلَيْتُمْ وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ : إِنْ كُنْتُ
مَظْلُومًا أَطِيعُونِي^(٢) أَوْ ظَلَمًا فَخُذُوا مِنِّي بِالْحَقِّ . وَاللَّهُ إِنْ طَلَحَهُ وَالزَّبِيرُ أَوَّلُ مَنْ بَايَعَنِي
وَأَوَّلُ مَنْ غَدَرَ . فَأَجَابَ النَّاسُ ، وَحَرَّضَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ قَوْمَهُ وَحُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ
كَذَلِكَ فَفَرَّغَ مَعَ الْحَسَنِ مِنَ الْكُوفَةِ تِسْعَةَ آلَافٍ سَارَتْ مِنْهَا سِتَّةٌ فِي الْبَرِّ وَبَاقِيَهُمْ فِي
الْمَاءِ .

وَأَرْسَلَ عَلِيٌّ بَعْدَ مَسِيرِ الْحَسَنِ وَعَمَّارَ الْأَشْثَرِ إِلَى الْكُوفَةِ فَدَخَلَهَا وَالنَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ وَأَبُو
مُوسَى وَالْحَسَنُ وَعَمَّارٌ فِي مَنَازَعَةٍ مَعَهُ وَمَعَ النَّاسِ ، فَجَعَلَ الْأَشْثَرُ يَمُرُّ بِالْقَبَائِلِ
وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْقَصْرِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ فِي جَمَاعَةٍ النَّاسِ فَدَخَلَهُ وَأَبُو مُوسَى بِالْمَسْجِدِ
يَخْطِبُهُمْ وَيُثَبِّطُهُمْ وَالْحَسَنُ يَقُولُ لَهُ اعْتَرَلْ عَمَلْنَا وَاتْرَكْ مَنَبْرَنَا ، فَدَخَلَ الْأَشْثَرُ إِلَى
الْقَصْرِ وَأَمَرَ بِأَخْرَاجِ غُلَامَانِ أَبِي مُوسَى مِنَ الْقَصْرِ ، وَجَاءَهُ أَبُو مُوسَى فَصَاحَ بِهِ
الْأَشْثَرُ : أَخْرِجْ لَا أُمُّ لَكَ وَأَجَلُهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةُ . وَدَخَلَ النَّاسُ لِيَنْهَوِيَ مَتَاعَهُ فَتَنَعَهُمُ
الْأَشْثَرُ ، وَنَفَرَ النَّاسُ مَعَ الْحَسَنِ كَمَا قُلْنَا وَكَانَ الْأَمْرَاءُ عَلَى أَهْلِ الْفَقْرِ عَلَى كَنَانَةٍ وَأَسَدُ
وَتَمِيمُ وَالرَّبَابُ وَمَزِينَةُ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارِ الرِّيَاحِي ، وَعَلَى قَبَائِلِ قَيْسِ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ
الثَّقَفِيُّ عَمُّ الْمُخْتَارِ ، وَعَلَى بَكْرٍ وَتَغْلِبُ وَعِلَّةُ بْنُ مَجْدُوحٍ الذَّهْلِيُّ ، وَعَلَى مَذْحِجٍ
وَالْأَشْعَرِيِّينَ حَجْرَ بْنَ عَدِيٍّ ، وَعَلَى بِجِيلَةَ وَأَنْغَارٍ وَخَثْعَمٍ وَالْأَزْدِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمٍ
الْأَزْدِيُّ ، وَرُؤَسَاءُ الْجَمَاعَةِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَهَنْدُ بْنُ
عَمْرِو وَهَيْثَمُ بْنُ شَهَابٍ ، وَرُؤَسَاءُ النِّفَارِ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ وَالْأَشْثَرُ وَعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ
وَالْمَسِيبُ بْنُ نَجْبَةَ وَيَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَأَمْثَالُهُمْ . فَقَدِمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِذِي قَارٍ ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ
وَرَحَّبَ بِهِمْ وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ دَعَوْتُكُمْ لِتَشْهَدُوا مَعَنَا إِخْوَانَتَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَإِنْ
يَرْجِعُوا فَهُوَ الَّذِي نَزِيدُ وَإِنْ يَلْحَوْا دَاوَيْنَاهُمْ بِالرَّفَقِ حَتَّى يَبْدُوْنَا بِالظُّلْمِ وَلَا نَدْعُ أَمْرًا
فِيهِ الصَّلَاحُ إِلَّا آثَرْنَاهُ عَلَى مَا فِيهِ الْفُسَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَهُ بِذِي قَارٍ
وَعَبْدُ الْقَيْسِ بِأَسْرَاهَا وَهُمْ أَلُوفٌ يَنْتَظِرُونَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ دَعَا الْقَعْقَاعُ وَكَانَ
مِنَ الصَّحَابَةِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقَالَ : إِلَيَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فَادْعُهُمَا لِلْأَلْفَةِ

(١) فِي النُّسخَةِ الْبَارِسِيَّةِ : صَاحِبِهِ .

(٢) فِي النُّسخَةِ الْبَارِسِيَّةِ : أَعِينُونِي .

والجماعة وعظم عليها الفرقة وقال له : كيف تصنع اذا قالوا ما لا وصاة مني فيه عندك ؟ قال : نلقاهم بالذي أمرت به فاذا جاء منهم ما لي عندنا منك رأي فيه اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى انه ينبغي ، قال : أنت لها .

فخرج القعقاع فقدم البصرة وبدأ بعائشة وقال : أي أمة ما أشخصك ؟ قالت : أريد الاصلاح بين الناس ، قال فابعثني الى طلحة والزبير تسمعي مني ومنهما ، فبعثت إليهما فجاءا فقال لهما : اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح وكذلك قالوا .

قال فأخبراني ما هو ؟ قالوا : قتلة عثمان ! فإن تركهم ترك للقرآن ، قال : فقد قتلتم منهم ستائة من أهل البصرة وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم حرقوص بن زهير ففنع ستة آلاف فان قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمعت مضر وربيعة على حربكم فأين الاصلاح ؟ قالت عائشة : فاذا تقول أنت ؟ قال هذا الأمر دواؤه التسكين واذا سكن اختلجوا فأثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير ولا تعرضونا للبلاء فتعرض له ويصرعنا واياكم ، فقالوا قد أصبت وأحسنست فارجع فان قدم عليّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر ، فرجع وأخبر علياً فأعجبه وأشرف القوم على الصلح . وقد كانت وفود أهل البصرة أقبلوا إلى علي قبل رجوع القعقاع وتفاوضوا مع أهل الكوفة واتفقوا جميعا على الاصلاح ، ثم خطب عليّ الناس وأمرهم بالرحيل من الغد وأن لا يرحل معه أحد ممن أعان على عثمان . فاجتمع من أهل مصر ابن السوداء وخالد بن ملحج والأشتر والذين رضوا بمن سار إليه مثل علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسي وشريح بن أوفى ، وتشاوروا فيما قال عليّ وقالوا : هو أبصر بكتاب الله وأقرب إلى العمل به من أولئك وهو يقول ما يقول ، وإنما معه الذين أعانوا على عثمان فكيف إذا اصطلحوا واجتمعوا ورأوا قتلنا في كثرتهم . فقال الأشتر رأيهم والله فينا واحد وأن يصطلحوا فعلى دمائنا فهلّموا نشب على طلحة نلحقه بعثمان ثم يرضى منا بالسكون ، فقال ابن السوداء : طلحة وأصحابه نحو من خمسة آلاف وانتم القان وخمسائة فلا تجدون إلى ذلك سبيلا ، وقال علباء بن الهيثم : اعتزلوا الفريقين حتى يأتيكم من تقومون به . فقال ابن السوداء : ودّ والله الناس لو انفردتم فيتخطفونكم ، فقال عدي : والله ما رضيت ولا كرهت فاما اذ وقع ما وقع ونزل الناس بهذه المتزلة فان لنا خيلا وسلاحا . فإن أقدمتم أقدمنا وإن أحجمتم أحجمنا ، ثم قال سالم بن ثعلبة وسويد بن أوفى : أبرموا أمركم . ثم تكلم ابن السوداء فقال : يا قوم إن عزكم

في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال فلا يجدون بداً منه
ويشغلهم الله عما تكرهون ، وافترقوا على ذلك .

وأصبح عليّ راحلاً حتى نزل على عبد القيس فانضموا إليه وساروا معه فترل
في الزاوية ، وسار من الزاوية إلى البصرة . وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة والتقوا
بموضع قصر عبيد الله بن زياد منتصف جمادى الآخرة ، وتراسلت بكر بن وائل وعبد
القيس وجاؤا إلى عليّ رضي الله عنه فكانوا معه ، وأشار على الزبير بعض أصحابه أن
يناجز القتال ، فاعتذر بما وقع بينه وبين القعقاع . وطلب من عليّ رضي الله تعالى عنه
أصحابه مثل ذلك فأبى وسئل ما حالنا وحالهم في القتلى ؟ فقال : أرجو أن لا يقتل
منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الله الجنة ، ونهى عن قتالهم وبعث إليهم حكيم
بن سلام ومالك بن حبيب إن كنتم على ما جاء به القعقاع فكفّوا حتى ننزل وننظر في
الأمر ، وجاءه الأحنف بن قيس وكان معتزلاً عن القوم وقد كان بايع علياً بالمدينة
بعد قتل عثمان مرجعه من الحج ، قال الأحنف : ولم أبايعه حتى لقيت طلحة والزبير
وعائشة بالمدينة وعثمان محصور وعلمت أنه مقتول فقلت لهم من أبايع بعده ؟ قالوا علياً
فلما رجعت وقد قتل عثمان بايعت علياً فلما جاؤا إلى البصرة دعوني إلى قتال عليّ
فحرت في أمري بين خذلانهم أو خلع طاعتي ، فقلت : ألم تأمروني بمبايعته ؟ قالوا
نعم لكنه بدل وغير فقلت لا أنقض بيعتي ولا أقاتل أم المؤمنين ، ولكن أعتزل ، ونزل
بالجلاء على فرسخين من البصرة في زهاء ستة آلاف ، فلما قدم عليّ جاءه وخيره بين
القتال معه أو كف عشرة آلاف سيف عنه ، فاختر الكف ونادى في تميم وبني سعد
فأجابوه فاعتزل بهم حتى ظفر عليّ فرجع إليه واتبعه . ولما تراءى الجمعان خرج
طلحة والزبير وجاءهم عليّ حتى اختلفت اعناق دوابهم . فقال عليّ : لقد أعددتما
سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان
دمي وأحرّم دمكما فهل من حدث أحلّ لكما دمي قال طلحة : آلبت على عثمان !
قال عليّ : يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة . أما بايعتني ؟
قال : والسيف على عني . ثم قال للزبير : أتذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتقاتلنّه وأنت له ظالم ؟ قال اللهم نعم ولو ذكرت قبل مسيري ما سرت .
والله لا أقاتلك أبداً وافترقوا . فقال عليّ لأصحابه : إنّ الزبير قد عهد أن لا
يقاتلكم . ورجع الزبير إلى عائشة وقال : ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا

أعرف أمري غير موطني هذا ! قالت : فما تريد أن تصنع ؟ قال أدعهم وأذهب . فقال له ابنه عبد الله : خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أن حاملها فتية أنجاد وأنّ تحتها الموت الأحمر فجنبته فأحفظه ذلك . وقال : حلفت . قال : كفر عن يمينك فأعتق غلامه مكحولاً . وقيل إنما أراد الرجوع عن القتال حين سمع ان عمّار بن ياسر منع عليّ لما ورد : ويح عمّار تقتله الفئة الباغية .

وكان أهل البصرة على ثلاث فرق مفترقين مع هؤلاء وهؤلاء وثالثة اعترلت كالأحنف ابن قيس وعمران بن حصين ، ونزلت عائشة في الأزدي ورأسهم صبرة بن شيان ، وأشار عليه كعب بن سور بالإعتزال فأبى وكان معها قبائل كثيرة من مضر والرباب وعليهم المنجاب بن راشد ، وبنو عمرو بن تميم وعليهم أبو الجربا ، وبنو حنظلة وعليهم هلال بن وكيع وسليم وعليهم مجاشع بن مسعود ، وبنو عامر وغطفان وعليهم زفر بن الحرث ، والأزدي وعليهم صبرة بن شيان ، وبكر وعليهم مالك بن مسمع ، وبنو ناجية وعليهم الحرث بن راشد ، وهم في نحو ثلاثين ألفاً . وعليّ في عشرين ألفاً . والناس جميعاً متنازلون مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة ، ولا يشكون في الصلح وقد ردّوا حكماً ومالكا إلى عليّ : إنّنا على ما فارقنا عليه القعقاع ، وجاء ابن عباس إلى طلحة والزبير ، ومحمد بن طلحة إلى عليّ وتقارب أمر الصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشّر ليلة يتشاورون ، واتفقوا على إنشأ الحرب بين الناس فغلسوا وما^(١) يشعر بهم أحد ، وقصد مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة وعين إلى يمن فوضعوا فيهم السلاح ، وثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم . وبعث طلحة والزبير عبد الرحمن بن الحرث بن هشام إلى الميمنة وهم ربيعة ، وعبد الرحمن بن عتاب إلى الميسرة ، وركبا في القلب ، وسألا^(٢) الناس ما هذا ؟ فقالوا : طرقتنا أهل الكوفة ليلاً فقال طلحة والزبير إنّ عليّاً لا ينتهي حتى يسفك الدماء . ثم دفعوا أولئك المقاتلين فسمع عليّ وأهل عسكره الصيحة ، فقال ما هذا ؟ ف قيل له أظنه سقط من هنا طرقتنا أو نحوه السبئية بيتونا ليلاً فرددتهم^(٣) فوجدنا القوم على أهبة فركبونا ، وثار الناس وركب عليّ . وبعث إلى الميمنة والميسرة صاحبها ، وقال : إنّ طلحة والزبير لا

(١) وفي النسخة الباريسية : ولم .

(٢) وفي نسخة أخرى : وتساءل

(٣) وفي نسخة أخرى : فرددناهم .

ينتهيان حتى تسفك الدماء ونادى في الناس كفّوا ، وكان رأيهم جميعا في تلك الفتنة أن لا يقتلوا حتى يقيموا الحجة ولا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلّوا سلباً .

وأقبل كعب بن سور إلى عائشة وقال : قد أبى القوم إلّا القتال فلعل الله يصلح بك . فأركبها وألبسوا هودجها الأذراع وأوقفوها بحيث تسمع الغوغاء ، واقتتل الناس حتى انهزم أصحاب الحمل وذهب ، وأصيب طلحة بسهم في رجله فدخل البصرة ودمه يسيل إلى أن مات . وذهب الزبير إلى وادي السباع لما ذكره عليّ ، فرّ بعسكر الأحنف وأتبعه عمرو بن الجرموز وكان يسأله حتى اذا قام إلى الصلاة قتله ورجع بفرسه وسلاحه وخاتمه إلى الأحنف فقال والله ما أدري أحسنت أم أسأت . فجاء ابن جرموز إلى عليّ وقال للحاجب : استأذن لقاتل الزبير فقال لحاجبه : ائذن له وبشره بالنار . ولما بلغت الهزيمة البصرة ورأوا الخيل أطافت بالحمل فرجعوا وشبت الحرب كما كانت . وقالت عائشة لكعب بن سور وناولته مصحفاً : تقدّم فادعهم إليه واستقبل القوم فقتله السبيّة رشقا بالسهم ، ورموا عائشة في هودجها حتى جارت بالاستغاثة ثم بالدعاء على قتلة عثمان ، وضج الناس بالدعاء فقال عليّ ما هذا قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان ! فقال : اللهم إلعن قتلة عثمان .

ثم أرسلت عائشة إلى الميمنة والميسرة وحرّضتهم ، وتقدّم مضر الكوفة ومضر البصرة فاجتلدوا أمام الحمل حتى ضرسوا ، وقتل زيد بن صوحان من أهل الكوفة وأخوه سيحان وارث أخوها صمصمة ، وتراحف الناس وتأخرت يمن الكوفة وربيعتها ثم عادوا فقتل على راياتهم عشرة . ثم أخذها يزيد بن قيس فثبت ، وقتل تحت راية ربيعة زيد وعبدالله بن رقية وأبو عبيدة بن راشد بن سلمة ، واشتدّ الأمر ولزقت ميمنة الكوفة بقلبيهم وميسرة أهل البصرة بقلبيهم ، ومنعت ميمنة هؤلاء وميسرة هؤلاء ، وميمنة هؤلاء ، وتنادى شجعان مضر من الجانبين بالصبر وقصدوا الأطراف يقطعونها ، وأصيب يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله ، وقاتل عند الحمل الأزدي ثم بنو ضبة وبنو عبد مناة ، وكثر القتل والقطع وصارت المجنّبات إلى القلب واستحرّ القتل إلى الحمل حتى قتل على الخطام أربعون رجلاً أو سبعون كلهم من قريش ، ففرح عبدالله بن الزبير وقتل عبد الرحمن بن عتاب وجندب بن زهير العامري وعبدالله بن حكيم بن حزام ومعه راية قريش قتله الأشتر وأعانه فيه عدي بن حاتم ، وقتل الأسود

بن أبي البخزري وهو آخذ بالخطام وبعده عمرو بن الأشرف الأزدي في ثلاثة عشر من أهل بيته وجرح مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة ما بين طعنة ورمية ، ونادى عليّ اعقروا الحمل يتفرقوا ، وضربه رجل فسقط فما كان صوت أشد عجيجاً منه . وكانت راية الأزدي من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل فأخذها الصقعب أخوه فقتل ثم أخوهما عبدالله كذلك ، فأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهي بيده . وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل ومعه زيد وسيحان ابنا صوحان وأخذها عدة فقتلوا منهم عبدالله بن رقية ثم منقذ بن النعمان ، ودفعها الى ابنه مرة فكان الفتح وهي بيده . وكانت راية بكر بن وائل في بني ذهل ^(١) مع الحرث بن حسان فقتل في خمسة من بني أهله ورجال من بني محدوج ^(٢) وخمسة وثلاثين من بني ذهل .

وقيل في عقر الحمل : ان القعقاع دعا الأشتر وقد جاء من القتال عند الحمل إلى العود فلم يجبه ، وحمل القعقاع والخطام بيد زفر بن الحرث فأصيب شيوخ من بني عامر ، وقال القعقاع لبجير بن دلجة ^(٣) من بني ضبة وهو من أصحاب عليّ يا بجير صح بقومك يعقروا الحمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين ، فضرب ساق البعير فوقع على شقه ، وأمن ^(٤) القعقاع من يليه واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملوا الهودج فوضعا وهو كالقنفذ بالسهم ، وفر من ورائه ، وأمر عليّ فنودي لا تتبعوا مديبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ، وأمر بحمل الهودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبة وأن ينظر هل بها جراحة فجاء يسألها . وقيل لما سقط الحمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار فاحتمل الهودج إلى ناحية ليس قربه أحد وأتاها عليّ فقال : كيف أنت يا أمة ؟ قالت : بخير قال : يغفر الله لك . قالت : ولك . وجاء وجوه الناس إليها فيهم القعقاع بن عمرو فسلم عليها ، وقالت له : وددت اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . وجاء إلى عليّ فقال له مثل قولها ولما كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر الصديق البصرة ،

(١) وفي النسخة الباريية : بني هذيل .

(٢) وفي نسخة أخرى : بني عذوم .

(٣) وفي النسخة الباريية : ابن دجلة .

(٤) وفي نسخة ثانية : أمر .

فأقرها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي على صفية زوجته بنت الحرث بن أبي طلحة من بني عبد الدار أم طلحة الطلحات بن عبدالله ، وتسَلَّ الجرحى من بين القتلى فدخلوا ليلا إلى البصرة وأذن عليّ في دفن القتلى فدفنوا بعد أن أطاف عليهم ، ورأى كعب بن سور وعبد الرحمن بن عتاب وطلحة بن عبيدالله وهو يقول : زعموا أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء مع أن هؤلاء فيهم . ثم صَلَّى على القتلى من الجانبين وأمر بالأطراف فدفنت في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من كل شيء وبعث به إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه إلا سلاحا عليه سمة السلطان . وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة الاف منهم من ضُيِّب ألف رجل .

ولما فرغ عليّ من الواقعة جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد فقال له : تربصت فقال ما أراني إلا قد أحسنت وبأمرك كان ما كان ، فارفق فأنَّ طريقك بعيد وأنت إليَّ غداً أحوج منك أمس فلا تقل لي مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحاً . ثم دخل البصرة يوم الإثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة ، وأتاه عبد الرحمن بن أبي بكر فبايعه وعرض له في عمه زياد بأنه مترّص ، فقال والله إنه لمريض وعلى مسرّتك لحريص . فقال : إنهض أمامي فمضى فلما دخل عليه عليّ اعتذر فقبل عذره واعترض بالمرض قبل عذره ، وأرادَه على البصرة فامتنع وقال : ولها رجلا من أهلك تسكن إليه الناس وسأشير عليه ، وأشار بابن عباس فولاه ، وجعل زياداً على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس بموافقته فيما يراه . ثم راح علي إلى عائشة في دار ابن خلف وكان عبدالله بن خلف قتل في الواقعة فأساءت أمه وبعض النسوة عليه ، فأعرض عنهنّ وحرضه بعض أصحابه عليهنّ فقال : إن النساء ضعيفات وكنا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات فكيف بهنّ مسلمات . ثم بلغه أن بعض الغوغاء عرض لعائشة بالقول والإساءة ، فأمر من أحضر له بعضهم وأوجعهم ضرباً ، ثم جهّزها عليّ إلى المدينة بما احتاجت إليه وبعثها مع أخيها محمد مع أربعين من نسوة البصرة اختارهن لمرافقتها ، وأذن للفل من خرج عنها أن يرجعوا معها ، ثم جاء يوم ارتحالها فودّعها واستعّبت له واستعّبت لها ، ومشى معها اميالا وشيعها بنوه مسافة يوم ، وذلك غرة رجب ، فذهبت إلى مكة فقضت الحج ورجعت إلى المدينة . ورجع^(١)

(١) وفي نسخة اخرى : وخرج .

بنو أمية من الفلّ ناجين الى الشام ، فعتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن (١) ويحيى
أخو مروان خلصوا إلى عصمة بن أبي التيمي إلى أن أندملت جراحهم ، ثم بعثهم إلى
الشام . وأمّا عبدالله بن عامر فخلص إلى بني حرقوص ومضى من هنالك ، وأمّا
مروان بن الحكم فأجاره أيضا مالك بن مسمع وبعثه وقيل كان مع عائشة فلما ذهبت
إلى مكة فارقها الى المدينة ، وأمّا ابن الزبير فاختلفى بدار بعض الأزد وبعث إلى عائشة
يعلمها بمكانه فأرسلت أخاها محمدا وجاء إليها به .

ثم قسم عليّ جميع ما في بيت المال على من شهد معه ، وكان يزيد على ستمائة ألف
فأصاب كل رجل خمسمائة ، وقال : ان أظفركم الله بالشام فلکم مثلها إلى
أعطياتكم . فخاض السبئية في الطعن عليه بذلك وبتحرير أموالهم مع اراقة
دمائهم ، ورحلوا عنه فأعجلوه عن المقام بالبصرة ، وارتحل في آثارهم ليقطع عليهم
أمرا إن أرادوه .

وقد قيل في سياق أمر الحمل غير هذا ، هو أنّ عليّا لما أرسل محمد بن أبي بكر إلى
أبي موسى ليستنفر له أهل الكوفة وامتنع ، سار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى
عليّ بالربذة فأخبره فأعاده إليه يقول له : إني لم أولك إلا لتكون من أعواني على
الحق ، فامتنع أبو موسى وكتب إليه هاشم مع المحل بن خليفة الطائي ، فبعث عليّ
ابنه الحسن وعمار بن ياسر يستنفران كما مرّ . وبعث قرظة (٢) بن كعب الأنصاري
أميرا وبعث إليه : إني قد بعث الحسن وعمارا يستنفران الناس وبعثت قرظة بن
كعب واليا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا وان لم تفعل فقد أمرته أن ينادك
وإن ظفرك أن يقطعك إربا إربا وإن الناس توافقوا للقتال ، وأمر عليّ من يتقدّم
بالمصحف يدعوهم إلى ما فيه وإن قطع وقتل وحمله بعض الناس وفعل ذلك فقتل .
وحملت ميمنتهم (٣) على ميسرتهم فاقتتلوا ولاذ الناس بحمل عائشة أكثرهم من ضبة
والأزد ثم انهزموا آخر النهار ، واستحرّ في الأزد القتل وحمل عمار على الزبير يحوزه
بالرمح ثم استلان له وتركه ، وألقى عبدالله بن الزبير نفسه مع الجرحى . وعقر الحمل
واحتمل عائشة أخوها محمد فأنزلها وضرب عليها قبة ووقف عليها عليّ يعاتبها ، فقالت

(١) وفي النسخة الباريسية : عبدالله .

(٢) وفي النسخة الباريسية : قرظة .

(٣) يعني ميمنة عليّ (رض)

له ملكت فأسجح^(١) نعم ما أبكيت قومك اليوم ، فسرّحها في جماعة رجال ونساء الى المدينة وجعلها بما تحتاج إليه . هذا أمر الحمل ملخص من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين . وقتل يوم الحمل عبد الرحمن أخو طلحة من الصحابة والمحرز بن حارثة العبسمي وكان عمر ولّاه على أهل مكّة ، ومحاشع ومخالد ابنا مسعود مع عائشة . وعبدالله بن حكيم بن حزام وهند بن أبي هالة وهو ابن خديجة قتل مع عليّ وقيل بالبصرة وغيرهم . انتهى أمر الحمل .

ولما فرغ الناس من هذه الواقعة اجتمع صعاليك من العرب وعليهم جبلة بن عتاب الحنظلي وعمران بن الفضيل البرجمي ، وقصدوا سجستان وقد نكث أهلها ، وبعث عليّ إليهم عبد الرحمن بن جرو الطائي فقتلوه ، فكتب إلى عبدالله بن عباس أن يبعث إلى سجستان واليًا ، فبعث ربيعي بن كاس العنبري في أربعة آلاف ومعه الحصين بن أبي الحرّ فقتل جبلة وانهزموا وضبط ربيعي البلاد واستقامت .

انتقاض محمد بن أبي حذيفة بمصر ومقتله

لما قتل أبو حذيفة بن عتبة يوم اليمامة ترك ابنه محمدًا في كفالة عثمان وأحسن تربيته وسكّر في بعض الأيام فجلبه عثمان ، ثم تنسك وأقبل على العبادة وطلب الولاية من عثمان ، فقال : لست بأهل فاستأذنه على اللحاق بمصر لغزو البحر فأذن له وجعله ولزمه الناس وعظّموه لما رأوا من عبادته ، ثم غزا مع ابن أبي سرح غزوة الصواري كما مرّ ، فكان يتعرّض له بالقدح فيه وفي عثمان بتوليته ويحتمع في ذلك مع محمد بن أبي بكر ، وشكاهما ابن أبي سرح إلى عثمان فكتب إليه بالتجافي عنها لوسيلة ذلك بعائشة وهذا لتربيته . وبعث إلى ابن أبي حذيفة ثلاثين ألف درهم وحمل من الكسوة فوضعها ابن أبي حذيفة في المسجد ، وقال : يا معشر المسلمين كيف أخادع عن ديني وأخذ الرشوة عليه . فازداد أهل مصر تعظيمًا له وطعنًا على عثمان وبايعوه على رياستهم ، وكتب إليه عثمان يذكره بحقوقه عليه فلم يرده ذلك . وما زال يحرّض الناس عليه حتى خرجوا لحصاره وأقام هو بمصر ، وخرج ابن أبي سرح إلى عثمان

(١) اي احسن العفواء . وفي النسخة الباريية : ملكت فاسمح .

فاستولى هو على مصر وضبطها إلى أن قتل عثمان وبويع عليّ وباع عمرو بن العاص معاوية ، وسار إلى مصر قبل قدوم قيس بن سعد ففنعها فخذعا محمد حتى خرج إلى العريش فتحصن بها في ألف رجل ، فحاصراه حتى نزل على حكمهم فقتلوه . وفي هذا الخبر بعض الهون لأنّ الصحيح أنّ عمرا ملك مصر بعد صفّين ، وقيس ولاء عليّ لأول بيعته ، وقد قيل ان ابن أبي حذيفة لما حوَصر عثمان بالمدينة أخرج هو ابن أبي سرح عن مصر وضبطها ، وأقام ابن أبي سرح بفلسطين حتى جاء الخبر بقتل عثمان وبيعة علي وتوليته قيس بن سعد على مصر ، فأقام بمعاوية . وقيل إنّ عمراً سار إلى مصر بعد صفّين فبرز إليه ابن أبي حذيفة في العساكر وخادعه في الرجوع إلىبيعة عليّ ، وأنّ يجتمعا لذلك بالعريش في غير جيش من الجنود ، ورجع إلى معاوية عمرو فأخبره ، ثم جاء إلى ميعاده بالعريش وقد استعدّ بالجنود وأكمنهم خلفه حتى إذا التقيا طلعا على أثره فبين ابن أبي حذيفة الغدر فتحصن بقصر العريش إلى أن نزل على حكم عمرو . وبعث به إلى معاوية فحبسه إلى أن قرّ من محبسه فقتل ، وقيل إنّما بعثه عمرو إلى معاوية عند مقتل محمد بن أبي بكر وآنه آمنه ثم حمله إلى معاوية فحبسه بفلسطين .

ولاية قيس بن سعد على مصر

كان عليّ قد بعث إلى مصر لأوّل بيعته قيس بن سعد أميراً في صفر من سنة ست وثلاثين وأذن له في الإكثار من الجنود وأوصاه فقال له : لو كنت لا أدخلها إلّا بجند آتي بهم من المدينة لا أدخلها أبداً فانا أدع لك الجند تبعهم في وجوهك ، وخرج في سبعة من أصحابه حتى أتى مصر وقرأ عليهم كتاباً يعلمهم بمبايعته وطاعته وآنه أميرهم ، ثم خطب فقال بعد أن حمداً لله : أيها الناس قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله . فبايعه الناس واستقامت مصر ، وبعث عليها عماله إلّا بعض القرى كان فيها قوم يدعون إلى الطلب بدم عثمان ، مثل يزيد بن الحرث ومسلمة بن مخلد ، فهادتهم وجبى الخراج وانقضى أمر الحمل وهو بمصر . وخشي معاوية أن يسير إليه عليّ في أهل العراق وقيس من ورائه في أهل مصر ، فكتب إليه يعظم قتل عثمان ويطوّقه عليّاً ويخصّه على البراءة من ذلك ومتابعته على أمره على أن يوليه العراقيين إذا ظفر ولا يعزله ، يولي من أراد من أهله الحجاز

كذلك ، ويعطيه ما شاء من الأموال . فنظر في أهله بين موافقته أو معاجلته بالحرب فأثر الموافقة ، فكتب إليه : «أما بعد فإني لم أقارف^(١) شيئا مما ذكرته وما اطلعت لصاحبني على شيء منه . وأما متابعتك فانظر فيها وليس هذا مما يسرع إليه ، وأنا كاف عنك فلا يأتيك شيء من قبلي تكرهه حتى نرى وترى » . فكتب إليه معاوية : «إني لم أرك تدنو فأعدك سلما ولا تتباعد فأعدك حربا ، وليس مثلي يصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل والسلام» . فعلم قيس أن المدافعة لا تنفع معه فأظهر له ما في نفسه ، وكتب إليه بالرد القبيح والشتم والتصريح بفضل عليّ والوعيد ، فحينئذ أيس معاوية منه وكاده من قبل علي ، فاشاع في الناس أن قيسا شيعة له تأتينا كتبه ورسله ونصائحه وقد ترون ما فعل باخوانكم القاعمين بئار عثمان وهو يجري عليهم من الأعطية والارزاق ، فأبلغ ذلك إلى عليّ محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وعيونه بالشام فأعظم ذلك ، وفاوض فيه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ، فقال له عبدالله : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك واعزله عن مصر . ثم جاء كتابه بالكفّ عن قتال المعتزلين فقال ابن جعفر : مره بقتالهم خشية أن تكون هذه ممالأة . فكتب إليه يأمره بذلك فلم ير قيس ذلك رأيا وقال : متى قاتلناهم ساعدوا عليك عدوك وهم الآن معتزلون والرأي تركهم . فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر ، وكان أخاه لأمه ، واعزل قيسا فبعثه . وقيل بعث قبله الأشتر النخعي ، ومات بالطريق ، فبعث محمد ولما قدم محمد على قيس خرج عنها مغضبا إلى المدينة وكان عليها مروان بن الحكم فأخافه ، فخرج هو وسهل بن حنيف إلى عليّ . وكتب معاوية إلى مروان يعاتبه لو أمددت عليّا بمائة ألف مقاتل كان أيسر عليّ من قيس بن سعد .

ولما قدم قيس على عليّ وكشف له عن وجه الخبر قبل عذره وأطاعه في أمره كله ، وقدم محمد مصر فقرأ كتاب عليّ على الناس وخطبهم^(٢) ، ثم بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم . ادخلوا في طاعتنا أو اخرجوا عن بلادنا . فقالوا : دعنا حتى ننظر . وأخذوا حذرهم ، ولما انقضت صفين وصار الأمر إلى التحكيم

(١) وفي النسخة الباريسية : لم افارق .

(٢) وفي النسخة الباريسية : خاطبهم .

بارزوه وبعث العساكر إلى يزيد بن الحرث الكنانى بخربتنا وعليهم الحرث بن جمهان فقتلوه ثم بعث آخر فقتلوه .

مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية

لما أحبط بعثان خرج عمرو بن العاص إلى فلسطين ومعه ابنه عبدالله ومحمد ، فسكن بها هاربا مما توقعه من قتل عثمان إلى أن بلغه الخبر بقتله ، فارتحل يبكي ويقول كما تقول النساء ، حتى أتى دمشق فبلغه بيعة عليّ ، فاشتد عليه الأمر وأقام ينتظر ما يصنعه الناس ، ثم بلغه مسير عائشة وطلحة والزبير فأمل فرجا من أمره ، ثم جاءه الخبر بوقعة الجمل فارتاب في أمره . وسمع أن معاوية بالشام لا يبايع عليّا وأنه يعظم قتل عثمان ، فاستشار إبنه في المسير إليه ، فقال له أبنه عبدالله توفي النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان بعده وهم راضون عنك فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس . وقال له محمد : أنت ناب من أنياب العرب وكيف يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صيت . فقال : يا عبدالله أمرتني بما هو خير لي في ديني ، ويا محمد أمرتني بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخري . ثم خرج ومعه ابنه حتى قدم على معاوية فوجدوهم يطلبون دم عثمان ، فقال : أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم . فأعرض معاوية قليلا ، ثم رجع إليه وشركه في سلطانه .

أمر صفين

لما رجع عليّ بعد وقعة الجمل إلى الكوفة مجمعا على قصد الشام ، بعث إلى جرير بن عبدالله البجلي بهمدان وإلى الأشعث بن قيس باذريجان وهما من عمال عثمان بأن يأخذا له البيعة ويحضرا عنده ، فلما حضرا بعث جرير إلى معاوية يعلمه ببيعته ونكث طلحة والزبير وحزبهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ، فلما قدم عليه طاوله في الجواب وحمل أهل الشام ليرى جرير قيامهم في دم عثمان واتهامهم عليّا به ، وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان مَلُونًا بالدم كما قدّمناه وبأصابع زوجته نائلة ، وضع معاوية القميص على المنبر والأصابع من فوقه ، فكث الناس يبكون مدة وأقسموا ألاّ يمسه ماء إلاّ لحنابة ولا يناموا على فراش حتى يثأروا لعثمان ومن حال دون ذلك قتلوه . فرجع جرير بذلك إلى عليّ وعذله الأشر في بعث

جرير وآنه طال مقامه حتى تمكن أهل الشام من رأيهم^(١) ، فغضب لذلك جرير ولحق بقرقيسيا واستقدمه معاوية فقدم عليه . وقيل ان شرحبيل بن السمط الكندي اشار على معاوية برّد جرير لأجل منافسة كانت بينهما منذ أيام عمر ، وذلك أن شرحبيل كان عمر بن الخطاب بعثه إلى سعد بالعراق ليكون معه فقرّبه سعد وقدمه ونافسه له أشعث بن قيس ، فأوصى جريرا عند وفادته على عُمر أن ينال من شرحبيل عنده ، ففعل فبعث عمر شرحبيل إلى الشام فكان يحقد ذلك على جرير ، فلما جاء إلى معاوية أغراه شرحبيل به وحمله على الطلب بدم عثمان .

ثم خرج عليّ وعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري وقدم عليه عبدالله بن عباس في أهل البصرة ، وتجهّز معاوية وأغراه عمرو بقلّة عسكر عليّ واضطغان أهل البصرة له بمن قتل منهم ، وعبى معاوية أهل الشام وعقد لعمر وولابنيه وغلّامه وردان الألوية . وبعث عليّ في مقدمته زياد بن النضر الحارثي في ثمانية آلاف وشريح بن هانيء في أربعة آلاف ، وسار من النخيلة إلى المدائن واستنفر من كان بها من المقاتلة وبعث منها معقل بن قيس في ثلاثة آلاف يسير من الموصل ويوافيه بالركة . وولّى عليّ على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيد ، وسار فلما وصل إلى الرقة نصب له جسر فعبر وجاء زياد وشريح من ورائه ، وكانا سمعا بمسير معاوية وخشيا أن يلقاها معاوية وبينهما وبين عليّ البحر ورجعا إلى هيت وعبر الفرات ، ولحقا بعليّ فقدمها امامه ، فلما أتيا إلى سور الروم لقيها أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام فظاولاه وبعثا إلى عليّ فسرّح الأشتر وأمره أن يجعلهم على مجنبته ، وقال : لا تقاتلهم حتى آتيك . وكتب إلى شريح وزياد بطاعته فقدم عليهما وكف عن القتال سائر يومه حتى حمل عليهم أبو الأعور بالعشي فاقتلوا ساعة وافترقوا ، ثم خرج من الغداة وخرج إليه من أصحاب الأشتر هاشم بن عتبة المرقال واقتلوا عامة يومهم . وبعث الأشتر سنان بن مالك النخعي إلى أبي الأعور السلمي يدعوهم إلى البراز فأبى وحجز بينهم الليل ، ووافاهم من الغد عليّ وعساكره ، فتقدم الأشتر وانتهى إلى معاوية ولحق به عليّ . وكان معاوية قد ملك شريعة الفرات فشكى الناس إلى عليّ العطش فبعث صمصعة بن صوحان إلى معاوية : «بأنّا سرنا ونحن عازمون على الكفّ عنكم حتى نغذر إليكم فسابقنا جندكم بالقتال ونحن رأينا

(١) وفي النسخة الباريية : من ورائهم .

الكفّ حتى ندعوك ونحتج عليك وقد منعتم الماء والناس غير منتهين فابعث إلى أصحابك يخلّون عن الماء للورد حتى ننظر بيننا وبينكم وإن أردت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا». فأشار عمرو بن العاص بتخيلة الماء لهم ، وأشار ابن أبي سرح والوليد بن عقبة بمنعهم الماء ، وعرضاً بشتم فتشائم معهم صعصعة ورجع ، وأوعز إلى أبي الأعور بمنعهم الماء وجاء الأشعث بن قيس إلى الماء فقاتلهم عليه ثم أمر معاوية أبا الأعور يزيد بن أبي أسد القسري جدّ خالد بن عبد الله ثم بعمر بن العاص بعده ، وأمر عليّ الأشعث بشبث بن ربعي ثم بالأشتر وعليهم أصحاب عليّ وملكوا الماء عليهم ، وأرادوا منعهم منه فنهاهم عليّ عن ذلك .

وأقام يومين ثم بعث إلى معاوية أبا عمر وبشير بن عمرو بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي ، يدعونه إلى الطاعة وذلك أوّل ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، فدخلوا عليه وتكلّم بشير بن عمرو بعد حمدا لله والثناء عليه والموعظة الحسنة وناشده الله أن لا يفرّق الجماعة ولا يسفك الدماء ، فقال : هلاًّ أوصيت بذلك صاحبك . فقال بشير : ليس مثلك أحق بالأمر بالسابقة والقراية . قال : فما رأيك ؟ قال : تجيئه إلى ما دعا إليه من الحق ، قال معاوية : ونترك دم عثمان لا والله لا أفعله أبداً ! ثم قال شبث بن ربعي : يا معاوية إنما طلبت دم عثمان تستميل به هؤلاء السفهاء الطغام إلى طاعتك ، ولقد علمنا أنك أبطأت على عثمان بالنصر لطلب هذه المثّلة فاتق الله ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله . فأجابه معاوية وأبدع في سبّه وقال : انصرفوا فليس بيني وبينكم إلّا السيف . فقال له شبث : أقسم بالله لنعجلنها^(١) لك . ورجعوا إلى عليّ بالخبر .

وأقاموا يقتتلون أيام ذي الحجة كلها عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء ، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام حذراً من الاستئصال والهلاك . ثم جاء المحرم فذهبوا إلى الموادة حتى ينقضي طمعا في الصلح ، وبعث إلى معاوية عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزباد بن خصفة^(٢) ، فتكلّم عدي بعد الحمد والثناء ودعا إلى الدخول في طاعة عليّ ليجمع الله به الكلمة فلم يبق غيرك ومن معك واحذر يا معاوية أن يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل . فقال معاوية :

(١) وفي نسخة أخرى : لنجعلها لك .

(٢) وفي نسخة أخرى : زياد بن خصفة .

كأنك جئت مهتدداً لا مُصلحاً هيئات يا عدي أنا ابن حرب والله ما يقعق لي بالشنان
وأنتك من قتلة عثمان وأرجو أن يمتلك الله به . فقال له يزيد بن قيس : إنما أتيناك
رسلاً ولا ندع مع ذلك النصيح والسعي في الالفه والجماعة وذكر من فضل عليّ
واستحقاقه للأمر بتقواه وزهده . فقال معاوية بعد الحمد والثناء : أمّا الجماعة التي
تدعون إليها فهي معنا وأمّا طاعة صاحبكم فلا تراها لأنه قتل خليفتنا وأوى أهل ثأرنا
ونحن مع ذلك نجيبكم إلى الطاعة والجماعة إذا دفع إلينا قتلة عثمان . فقال شيب بن
ربيعي : أيسرك يا معاوية أن تقتل عمّاراً ؟ قال : نعم بمولاه . قال شيب : حتى
تضيق الأرض والفضاء عليك . فقال معاوية : لو كان ذلك لكنت عليك أضيق .
وافترقوا عن معاوية ثم خلا بزياد بن خصفة وشكى إليه من عليّ وسأله النصر منه
بعشيرته وأن يولّيه أحد المصريين ، فأبى وقال : إني على بينة من ربي فلن أكون
ظهيرا للمجرمين . وقام عنه فقال معاوية لعمره : كأنّ قلوبهم قلب رجل واحد .

ثم بعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة وشرجيل بن السمط ومعن بن يزيد بن
الأخنس فدخلوا عليه ، فتكلّم حبيب بعد الحمد لله والثناء فقال : إنّ عثمان كان
خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله وينيب إلى أمره فاستثقلت حياته واستبطأتم موته
فقتلتموه فادفع إلينا قتله إن كنت لم تقتله ثم اعتزل أمر الناس فيولّوا من أجمعوا
عليه . فقال عليّ : ما أنت وهذا الأمر ؟ فاسكت فلست بأهلٍ له ، فقال والله لتراني
بحيث تكره ، فقال : وما أنت لا أبقي الله عليك ان ابقيت اذهب فصوّب وصعد ،
ثم تكلم بعد الحمد لله والثناء وهداية الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم وخلافة
الشيخين وحسن سيرتهما ، وقد وجدنا عليهما أن تولّينا ونحن أقرب منهما إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكن سمحنا لها ^(١) بذلك ، وولّي عثمان فعاب الناس عليه وقتلوه ،
ثم بايعوني مخافة الفرقة فأجبتهم ، ونكث عليّ رجلاً وخالف صاحبكم الذي ليس
له مثل سابقتي ، والعجب من انقيادكم له دون بيت نبيكم ولا ينبغي لكم ذلك ،
وأنا أدعوكم إلى الكتاب والسنة ومعالم الدين وإمارة الباطل وإحياء الحق فقالوا :
نشهد أن عثمان قتل مظلوماً ، فقال : لا أقول مظلوماً ولا ظالماً . قالوا : فمن لم يقل
ذلك فنحن منه برآء وانصرفوا . فقرأ عليّ انك لا تسمع الموتى الآية ثم ، قال
لأصحابه : لا يكن هؤلاء في ضلالهم أجداً منكم في حقكم .

(١) وفي نسخة أخرى : ساحتها .

ثم تنازع عدي بن حاتم في راية طيء وعامر بن قيس الخزرمي^(١) وكان رهطه أكثر من رهط عدي ، فقال عبدالله بن خليفة البولاني : ما فينا أفضل من عدي ولا من أبيه حاتم ولم يكن في الإسلام أفضل من عدي وهو الوافد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس طيء في النخيلة والقادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند وتستر ، وسأل عليّ قومهم فوافقوه على ذلك فقصى بها لعدي . ولما انسلخ المحرم نادى عليّ في الناس بالقتال وعبى الكتائب وقال : لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فاذا هزمتهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تملأوا ولا تأخذوا مالا ولا تهيجوا امرأة وإن شتمتكم فإنهن ضعاف الأنفس والقوى ، ثم حرّضهم ودعا لهم وجعل الأشر على خيل الكوفة وسهل بن حنيف على خيل البصرة وقيس بن سعد على رجالة البصرة وعمّار بن ياسر على رجالة الكوفة وهاشم بن عتبة معه الراية ومُسعر بن فدكي على القراء ، وعبى معاوية كتابه فجعل على الميمنة ذا الكلاع الحميري وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة ، وعلى المقدمة أبا الأعور وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالتها مسلم بن عُبّة المُرّي . وعلى الناس كلهم الضحّاك بن قيس . وتبايع رجال من أهل الشام على الموت فعملوا أنفسهم بالعائم في خمسة صفوف فاقتتلوا عامة يومهم ، وفي اليوم الثاني هاشم بن عُبّة وأبو الأعور السلمي ، وفي اليوم الثالث عمّار بن ياسر وعمرو بن العاص فاقتتلوا أشدّ قتال وحمل عمّار فأزال عمرا عن موضعه ، وفي اليوم الرابع محمد بن الحنفية وعبيدالله بن عمر بن الخطاب وتداعيا إلى البراز فردّ عليّ ابنه وتراجعوا ، وفي اليوم الخامس عبدالله بن عباس والوليد بن عُبّة فاقتتلا كذلك ، ثم عاد في اليوم السادس الأشر وحبيب فاقتتلا قتالا شديدا وانصرفا .

وخطب عليّ الناس عشية يومه^(٢) وأمرهم بمناهضة القوم بأجمعهم وأن يطيلوا ليلتهم القيام ، ويكثروا التلاوة ويدعوا الله بالنصر والصبر ، ويرموا^(٣) غدا في لقاءهم بالجد والحزم . فبات الناس يصلحون ليلتهم سلاحهم ، وعبى عليّ الناس ليلته إلى الصباح ، وزحف وسأل عن القبائل من أهل الشام وعرف مواقفهم وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام ، ومن ليس منهم أحد بالشام يصرفهم إلى من ليس منهم أحد

(١) وفي نسخة أخرى : الجرهمي .

(٢) وفي نسخة أخرى : عشية يومهم .

(٣) وفي النسخة الباريية : ويدنوني الكامل : القوم .

بالعراق مثل بجيلة صرفهم الى لخم . وخرج معاوية في أهل الشام فاقتتلوا يوم الأربعاء قتالا شديدا عامة يومهم ثم انصرفوا ، وغلس عليّ يوم الخميس بالزحف وعلى ميمته عبدالله بن بُدِيل بن ورقاء وعلى مسيرته عبدالله بن عَبَّاس والقراء مع عمَّار وقينس بن سعد وعبدالله بن يزيد والناس على راياتهم ومراكبهم ، وعليّ في القلب بين أهل الكوفة والبصرة ومعه أهل البصرة والكوفة ومعه أهل المدينة من الأنصار وخزاعة وكنانة .

ورفع معاوية قبة عظيمة وألقى عليها الثياب وباعه أكثر أهل الشام على الموت ، وأحاط بقبته خيل دمشق^(١) وزحف ابن بُدِيل في الميمنة فقاتلهم إلى الظهر وهو يحرّض أصحابه . ثم كشف خيلهم واضطروهم إلى قبة معاوية ، وجاء الذين تبايعوا على الموت إلى معاوية فبعثهم إلى حبيب فحمل بهم على ميمنة أهل العراق فانجفل الناس عن ابن بُدِيل إلا ثلثمائة أو مائتين من القراء وانتهت الهزيمة إلى عليّ ، وأمدّه عليّ بسهل بن حنيف في أهل المدينة فاستقبلهم جموع عظيمة لأهل الشام ففزعهم ، ثم انكشفت مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وجاء عليّ بمشي نحوهم فاعترضه أحمر مولى أبي سفيان فحال دونه كيسان مولاه فقتله أحمر ، فتناول عليّ أحمر من درعه فجذبه وضرب به الأرض وكسر منكبيه وعضديه ، ثم دنا من ربيعة فصبرهم وثبت أقدامهم وتنادوا بينهم إن أصيب بينكم أمير المؤمنين افترضتم في العرب ، وكان الأشتر مرّ به راكضا نحو الميمنة واستقبل الناس منهزمين فأبلغهم مقالة عليّ : أين فراركم من الموت الذي لا تعجزوه^(٢) إلى الحياة التي لا تبقى لكم ، ثم نادى أنا الأشتر فرجع إليه بعضهم فنادى مذحجا وحرّضهم فأجابوه ، وقصد القوم واستقبله شباب من همدان ثمانمائة أو نحوها وكان قد هلك منهم في ذلك اليوم أحد عشر رئيسا وأصيب منهم ثمانون ومائة وزحف الأشتر نحو الميمنة ، وتراجع الناس واشتد القتال حتى كشف أهل الشام وألحقهم بمعاوية عند الاصفرار وانتهى إلى ابن بُدِيل في مائتين أو ثلثمائة من القراء قد لصقوا بالأرض ، فانكشفوا عنهم أهل الشام وأبصروا إخوانهم وسألوا عن عليّ ف قيل لهم هو في الميسرة يقاتل ، فقال ابن بُدِيل استقدموا بنا ونهاه الأشتر فأبى ومضى نحو معاوية وحوله أمثال الجبال تقتل كل من دنا منه حتى وصل

(١) وفي النسخة الباريسية : وأحاط نفسه بخيل دمشق .

(٢) الصحيح ان تقول : لا تعجزونه .

الى معاوية ، فنهض إليه الناس من كل جانب وأحيط به فقتل وقتل من أصحابه
ناس ورجع آخرون مجرحين^(١) وأهل الشام في اتباعهم ، فبعث الأشتر من نفس
عنهم حتى وصلوا إليه وزحف الأشتر في همدان وطوائف من الناس فأزال أهل الشام
عن مواقفهم حتى ألحقهم بالصفوف المعقلة بالعائم حول معاوية ، ثم حمل أخرى
فصرع منهم أربعة صفوف حتى دعا معاوية بفرسه فركبه ، وخرج عبدالله بن أبي
الحصين الأزدي في القراء الذين مع عمّار فقاتلوا ، وتقدّم عقبة بن حديد النخعي
مستميًا ومعه إخوته وقاتلوا حتى قتلوا ، وتقدّم شمر بن ذي الجوشن مبارزا فضرب
أدهم بن محرز الباهليّ وجهه بالسيف وحمل هو على أدهم فقتله ، وحمل قيس بن
المكشوح^(٢) ومعه راية بجيلة فقاتل حتى أخذها آخر كذلك .

ولما رأى عليّ أهل ميمنة أصحابه قد عادوا إلى مواقفهم وكشفوا العدوّ قبالتهم أقبل
إليهم وعذلهم بعض الشيء عن مقرهم وأثنى على وجوههم ، وقاتل الناس قتالا
شديدا وتبارز الشجعان من كل جانب وأقبلت قبائل طيء والنخع وخرجت حمير من
ميمنة أهل الشام ، وتقدّم ذو الكلاع ومعهم عبيدالله بن عمر بن الخطاب فقصد
ربيعة في ميسرة أهل العراق وعليهم ابن عباس وحملوا عليهم حملة شديدة فنبتت
ربيعة وأهل الحفاظ منهم وانهمز الضعفاء والفسلة ، ثم رجعوا ولحقت بهم عبد القيس
وحملوا على حمير فقتل ذو الكلاع وعبيدالله بن عمر وأخذ سيف ذي الكلاع وكان
لعمرو ، فلما ملك معاوية العراق أخذه من قاتله . ثم خرج عمّار بن ياسر وقال اللهم
اني لا أعمل اليوم عملا أرضى من جهاد هؤلاء الفاسقين ثم نادى من سعى في
رضوان ربّه فلا يرجع إلى مال ولا ولد فأثابه عصابة فقال : «اقصدوا بنا هؤلاء الذين
يطلبون بدم عثمان يخادعون بذلك عمّا في نفوسهم من الباطل» ، ثم مضى فلا يمرّ بواد
من صفّين الا اتبعه من هناك من الصحابة . ثم جاء الى هاشم بن عتبة وكان صاحب
الراية فأنهضه حتى دنا من عمرو بن العاص وقال : يا عمرو بعث دينك بمصر ؟ تبّا
لك فقال : إنما أطلب دم عثمان ، فقال : أشهد أنك لا تطلب وجه الله في كلام
كثير من أمثال ذلك وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في عمّار تقتله الفئة
الباغية .

(١) وفي نسخة أخرى : مجروحون .

(٢) المكشوح لقب واسمه هبيرة اهـ .

ولما قتل عمار حمل عليّ وحمل معه ربيعة ومضر وهذان حملة منكرة فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض حتى بلغوا معاوية فناداه عليّ : علام يقتل الناس بيننا هلّم أحاكمك إلى الله فأبنا قتل صاحبه استقام له الامر ، فقال له عمرو : أنصفك . فقال له معاوية : لكنك ما أنصفت . وأسر يومئذ جماعة من أصحاب عليّ فترك سبيلهم ، وكذلك فعل عليّ . ومرّ عليّ بكتيبة من الشام قد ثبتوا فبعث إليهم محمد ابن الحنفية فزالهم عن مواقعهم ، وصرع عبدالله بن كعب المرادي فتربه الأسود بن قيس فأوصاه بتقوى الله والقتال مع عليّ ، وقال أبلغه عني السلام ، وقال له قاتل عليّ^(١) المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فانه من أصبح غدا والمعركة خلف ظهره فانه العالي .

ثم اقتتل الناس إلى الصباح وهي ليلة الجمعة وتسمّى ليلة الهريز ، وعليّ يسير بين الصفوف ومحرض كل كتيبة على التقدّم حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره ، والأشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة والناس يقتتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة . ثم ركب الأشتر ودعا الناس إلى الحملة على أهل الشام فحمل حتى انتهى إلى عسكرهم وقتل صاحب رايتهم ، وأمدّه عليّ بالرجال ، فلما رأى عمرو شدة أهل العراق وخاف على أصحابه الهلاك ، قال لمعاوية : مر الناس يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم فإن قبلوا ذلك ارتفع عنا القتال وإن أبى بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة . ففعلوا ذلك ، فقال الناس : نجيب إلى كتاب الله فقال لهم عليّ : «يا عباد الله امضوا على حَقِّكم وقتل عدوكم فإنّ معاوية وابن أبي معيط وحبيبا وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم صحبتهم أطفالا ورجالا فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ، ويحكم والله ما رفعوها إلا مكيدة وخديعة» . فقالوا : لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فلا نقبل ، فقال : إنما قتلناهم ليدنوا بكتاب الله فإنهم نبذوه . فقال له مسعر بن فذك التميميّ وزيد بن حصين الطائيّ في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا عليّ أجب الى كتاب الله وإلاّ دفعنا إرمتك إلى القوم . أو فعلنا بك ما فعلنا بابن عفّان . فقال : إن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر وكفّه عن القتال ، فبعث إليه يزيد بن هانئ بذلك فأبى ، وقال : قد رجوت أن يفتح

(١) وفي النسخة الباريسية : عن المعركة .

الله لي فلما جاء يزيد بذلك ارتج الموقف باللفظ ، وقالوا لعليّ : ما نراك إلا أمرته بقتال فابعث إليه فليأتك وإلا اعتزلناك ، فقال عليّ : وبحك يا يزيد قل له أقبل إليّ فان الفتنة قد رفعت ، فقال : أرفع المصاحف ؟ فقال : نعم قال : لقد ظننت أن ذلك يوقع فرقة كيف ندع هؤلاء ونصرف والفتح قد وقع ، فقال يزيد : تحب أن تظهر وأمير المؤمنين يُسلم إلى عدوّه أو يقتل ، ثم أقبل إليهم الأشر وأطال عتبه ، وقال امهلوني فواقا فقد احسست بالفتح ، فأبوا فعذلهم وأطال في عذلهم ، فقالوا دعنا يا أشر قاتلناهم لله ، فقال : بل خدعتم فأنخدعتم . ثم كثرت الملاحة بينهم وتشتموا فصاح بهم عليّ فكفّوا ، فقال له الأشعث بن قيس : إن الناس قد رضوا بما دعوا إليه من أحكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية وسألته ما يريد . قال : افعل . فأتاه وسأله : لأي شيء رفعت المصاحف ؟ قال : لئرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به من كتابه تبعثون رجلا ترضونه ، ونحن آخر ونأخذ عليها أن يعملوا بما في كتاب الله لا يعدوانه . ثم تتبع ما اتفقا عليه ، فقال الأشعث هذا الحق ورجع إلى عليّ والناس وأخبرهم ، فقال الناس رضينا وقبلنا ، ورضي أهل الشام عمرا ، وقال الأشعث وأولئك القراء الذين صاروا خوارج : رضينا بأبي موسى ، فقال عليّ لا أرضاه فقال الأشعث ويزيد بن الحصين^(١) ومسر بن فذك : لا نرضى إلا به . قال فإنه ليس ثقة قد فارقتي وخذل الناس عني وهرب مني حتى أمّته بعد شهر ، قالوا لا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، قال فلاأشتر ، قالوا : وهل سعر الأرض غير الأشر ؟ قال : فاصنعوا ما بدا لكم . فبعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل القتال ، فقبل إن الناس قد اصطالحوا ، فحمد الله ، قيل وقد جعلوك حكما فاسترجع ، وجاء أبو موسى إلى العسكر وطلب الأحنف بن قيس من عليّ أن يجعله مع أبي موسى ، فأبى الناس من ذلك وحضر عمرو بن العاص عند عليّ لتكتب القضية بحضوره ، فكتبوا بعد البسملة هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين ، فقال : عمرو ليس هو بأمرنا ، فقال له الأحنف : لا تمحها فاني أطير بمحوها فكث مليا ، ثم قال الأشعث : امحها . فقال عليّ : الله أكبر وذكر قصة الحديّة وفيها أنك ستدعي إلى مثلها فتجيبها ، فقال عمرو : وسبحان الله نشبه بالكفار ونحن مؤمنون . فقال عليّ : يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدوا ، فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك

(١) وفي النسخة الباريّة زيد بن الحصن .

مجلس بعد اليوم ، فقال عليّ : أرجو أن يظهر الله مجلسي منك ومن أشباهك .
 وكتب الكتاب : « هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان
 قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم ومعاوية على أهل الشام ومن معهم أنا ننزل
 عند حكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته
 نحبي ما أحيا ونميت ما أمات مما وجد الحكماء في كتاب الله . وهما أبو موسى عبد الله
 ابن قيس وعمرو بن العاص وما لم يجد في كتب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة
 وأخذ الحكماء من عليّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنها آمان على أنفسهما
 وأهليهما والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن
 العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة ولا يورداها في حرب ولا فرقة حتى
 يقضيا ، وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبّا أن يؤخرا ذلك أخره وأن مكان قضيتهما
 مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام » . وشهد رجال من أهل العراق ورجال من
 أهل الشام وضعوا خطوطهم في الصحيفة ، وأبى الأشر أن يكتب اسمه فيها وحاوره
 الأشعث في ذلك فأساء الردّ عليه وتهدّده . وكتب الكتاب لثلاث عشرة خلت من
 صفر سنة سبع وثلاثين . واتفقوا على أن يوافي عليّ موضع الحكمين بدومة الجندل
 وبأذرح في شهر رمضان ، ثم جاء بعض الناس إلى عليّ يحضه على قتال القوم فقال :
 لا يصلح الرجوع بعد الرضى ولا التبديل بعد الإقرار .

ثم رجع الناس عن صفين ورجع عليّ ، وخالفت الحرورية وأنكروا تحكيم الرجال
 ورجعوا على غير الطريق الذي جاؤا فيه حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة ، ومّر
 عليّ بقبر خباب بن الأرت توفي بعد خروجه فوقف واسترحم له ، ثم دخل الكوفة فسمع
 رجة البكاء في الدور فقال يبكين على القتل فترحم لهم ، ولم يزل يذكر الله حتى
 دخل القصر فلم تدخل الخوارج معه وأتوا حرورا فترلوا بها في اثني عشر ألفا ، وقدموا
 شبت بن عمر التيمي أمير القتال وعبيد الله بن الكوا الشكري أمير الصلاة ، قالوا
 البيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر شورى بعد الفتح . فقالوا
 للناس بايعتم عليّا إنكم أولياء من وإلى وأعداء من عادى ، وباع أهل الشام معاوية
 على ما أحب وكرهوا فلستم جميعا من الحق في شيء . فقال لهم زياد بن النضر : والله
 ما بايعناه إلا على الكتاب والسنة لكن لما خالفتموه تعيّنتم للضلال وتعينا للحق . ثم
 بعث عليّ عبد الله بن عباس إليهم قوال لا تراجعهم حتى آتاك فلم يصبر عن

مكالمتهم ، وقال : ما نقمت من أمر الحكّمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين فكيف بالأمة فقالوا لا يكون هذا بالرأي والقياس فإنّ ذلك جعله الله حكما للعباد وهذا أمضاه كما أمضى حكم الزاني والسارق . قال ابن عباس : قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم ، قالوا والأخرى كذلك وليس أمر الصيد والزوجين كدماء المسلمين . ثم قالوا له : قد كنّا بالأمس نقاتل عمرو بن العاص فان كان عدلا فعلى ما قتلناه وان لم يكن عدلا فكيف يسوغ تحكيمه ؟ وأنتم قد حكمت الرجال في أمر معاوية وأصحابه والله تعالى قد أمضى حكمه فيهم أن يقتلوا أو يرجعوا وجعلتم بينكم المودة في الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة .

ثم جاء عليّ إلى فسطاط يزيد بن قيس منهم بعد أن علم أنهم يرجعون إليه في رأيهم ، فصلّى عنده ركعتين وولّاه على أصبهان والريّ ، ثم خرج إليهم وهم في مجلس ابن عباس فقال من زعيمكم قالوا : ابن الكوّ قال : فما هذا الخروج ؟ قالوا لحكومتكم يوم صفين ، قال أنشدكم الله أن تعلمون أنّه لم يكن رأيي وإنما كان رأيكم مع أبي اشتطت على الحكّمين أن يحكما بحكم القرآن فان فعلا فلا ضير وإن خالفا فلا خير ونحن برآء من حكمهم ، قالوا فتحكيم الرجال في الدماء عدل ؟ قال إنّنا حكمنا القرآن إلا أنه لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال ، قالوا : فلم جعلتم الأجل بينكم ؟ قال لعلّ الله يأتي فيه بالهدنة بعد افتراق الأمة فرجعوا إلى رأيهم ، وقال ادخلوا مصركم فلنمكث ستة أشهر حتى يجبي المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا فدخلوا من عند آخرهم .

أمر الحكّمين

ولما انقضى الأجل وحان وقت الحكّمين بعث عليّ أبا موسى الأشعري في أربعائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي ومعهم عبدالله بن عباس يصلّي بهم ، وأوصى شريحا بموعظة عمر ، فلما سمعها قال متى كنت أقبل مشورة عليّ وأعتدّ برأيه ؟ قال وما يمنعك أن تقبل من سيد المسلمين ، وأساء الردّ عليه فسكت عنه . وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعائة من أهل الشام والتقوا بأذرح من دومة الجندل ، فكان أصحاب عمرو أطوع من أصحاب ابن عباس لابن عباس ، حتى لم يكونوا يسألوه عن كتاب معاوية إذا جاءه ، ويسأل أهل العراق ابن عباس ويتهمونهم ، وحضر مع الحكّمين :

عبدالله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبد الرحمن ابن الحرث بن هشام ، وعبد الرحمن بن عديغوث الزهري ، وأبو جهم بن حذيفة العدوي ، والمغيرة بن شعبة ، وسعد بن أبي وقاص على خلاف فيه ، وقيل قدم على حضوره فأحرم بعمره من بيت المقدس .

ولما اجتمع الحكماء قال عمرو لأبي موسى : أتعلم أن عثمان قتل مظلوما وأن معاوية وقومه أوليائه ، قال : بلى ، قال : فما يمنعك منه وهو في قريش كما علمت وإن قصرت به السابقة قدمه حسن السياسة وأنه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبه وصاحبه والطالب بدم عثمان وعرض بالولاية ، فقال أبو موسى : يا عمرو اتق الله واعلم أن هذا الأمر ليس بالشرف وإلا لكان لآل أبرهة بن الصبح وإنما هو بالدين والفضل مع أنه لو كان بشرف قريش لكان لعلي بن أبي طالب وما كنت لأرى لمعاوية طلبه دم عثمان وأوليه وأدع المهاجرين الأولين . وأما تعريضك بالولاية فلو خرج لي معاوية عن سلطانه ما وليته وما أرتشي في حكم الله ، ثم دعاه إلى تولية عبدالله بن عمر ، فقال له عمرو : فما يمنعك من ابني وهو من علمت ؟ فقال : هو رجل صدق ولكنك غمسته في الفتنة ، فقال عمرو : إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل له ضرر يأكل ويطعم . وكانت في ابن عمر غفلة وكان ابن الزبير بازائه فنبهه لما قال ، فقال ابن عمر : لا أرشو عليها أبداً . ثم قال أبو موسى : يا ابن العاص إن العرب أسندت أمرها إليك بعد المقارعة بالسيوف فلا تردنهم في فتنة ، قال له : فخبّرني ما رأيك ، قال : أرى أن نخلع الرجلين ونجعل الأمر شورى يختار المسلمون لأنفسهم . فقال عمرو : والرأي ما رأيت .

ثم أقبلوا على الناس وهم ينتظرونهم ، وكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في الكلام لما له من الصحبة والسن ، فقال : يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق ، فقال : إنا رأينا أمراً نرجو الله أن يصلح به الأمة ، فقال له ابن عباس : ويحك أظنه خدعك فاجعل له الكلام قبلك ، فأبى وقال : أيها الناس إنا نظرنا في أمر الأمة فلم نر أصلح لهم مما اتفقنا عليه وهو أن نخلع عليا ومعاوية ويولي الناس أمرهم من أحبوا وإني قد خلعتهما فولوا من رأيتموه أهلاً ، فقال عمرو : إن هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعه وأثبت معاوية فهو ولي ابن عقان وأحق الناس بمقامه . ثم غدا ابن عباس وسعد على أبي موسى باللائمة فقال : ما أصنع غدرني ورجع باللائمة على

عمرو وقال لا وفكك الله غدرت وفجرت . وحمل شريح على عمرو فضربه بالسيف^(١) وضربه ابن عمر كذلك ، وحجز الناس بينهم ، فلحق أبو موسى بمكة وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح إلى عليّ بالخبر فكان يقنت اذا صَلَّى الغداة ويقول اللهم إعن معاوية وعمرا وحبيبا وعبد الرحمن بن مخلد والضحّاك بن قيس والوليد وأبا الأعور ، وبلغ ذلك معاوية فكان إذ اقنت يلعن عليّاً وابن عباس والحسن والحسين والأشتر^(٢) .

أمر الخوارج وقتالهم

ولما اعترم عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة أناه زُرعة بن البرح الطائي وحرقرص بن زهير السعديّ من الخوارج وقالوا له : تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم ، وقال عليّ : قد كتبنا بيننا وبينهم كتابا وعاهدناهم ، فقال حرقرص : ذلك ذنب تنبغي التوبة منه ، فقال عليّ : ليس بذنب ولكنه عجز من الرأي ، فقال زُرعة : لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله ، فقال عليّ : يؤسا لك كآتي بك قتيلا تسفى عليك الرياح ، قال : وددت لو كان ذلك . وخرجا من عنده يناديان لا حكم إلّا لله ، وخطب عليّ يوما فتنادوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة ، فقال عليّ : الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل ، وخطب ثانيا فقالوا كذلك ، فقال : أما آن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا النية ما دمتم معنا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا ونتنظر فيكم أمر الله .

ثم اجتمع الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسبي^(٣) فوعظهم وحرّضهم على الخروج إلى بعض النواحي لإنكار هذه البدع ، وتبعه حرقرص بن زهير في المقالة ، فقال حمزة بن سنان الأسدي^(٤) : الرأي ما رأيتم لكن لا بدّ لكم من أمير وراية ، فعرضوها على زيد بن حصين الطائي ، ثم حرقرص بن زهير ، ثم حمزة بن سنان ، ثم

(١) وفي النسخة الباريسية : بالسوط .

(٢) قال ابن كثير في تاريخه : ان هذا لم يصحّ أه ولعلّ الدعاء كان لغير اللعن . قاله نصر .

(٣) وفي النسخة الباريسية : عبدالله بن وهيب الراسبي .

(٤) وفي نسخة اخرى : حمزه بن سنان الأزدي .

شريح بن أوفى العنسي فأبوا كلهم . ثم عرضوها على عبدالله بن وهب فأجاب فبايعوه
لعشر خلون من شوال ، وكان يقال له ذو الثغفات . ثم اجتمعوا في منزل شريح
وتشاوروا . وكتب ابن وهب إلى أهل البصرة منهم يستحشدهم ^(١) على اللحاق بهم ،
ولما اعترموا على السير تعبدوا ليلة الجمعة ويومها ساروا ، فخرج معهم طرفة بن عدي
بن حاتم الطائي ، واتبعه أبوه إلى المدائن فلم يقدر عليه فرجع ولقيه عبدالله بن وهب
في عشرين فارسا وأراد قتله فمنعه من كان معه من طيء .

وأرسل عليّ إلى عامل المدائن سعد بن مسعود بخبرهم فاستخلف ابن أخيه المختار بن
عبيد وسار في طلبهم في خمسمائة فارس ، فتركوا طريقهم وساروا على بغداد ولحقهم
سعد بالكرخ مساء ، وجاءه عبدالله في ثلاثين فارسا وقاتلهم وامتنعوا ، وأشار
أصحابه بتركهم ^(٢) إلى أن يأتي فيهم أمر عليّ فأبى ، ولما جنّ عليهم الليل عبر عبدالله
إليهم دجلة وسار إلى أصحابه بالنهروان ، واجتمعت خوارج البصرة في خمسمائة رجل
عليهم مُسعر بن فدكي التميمي واتبعهم أبو الاسود الدؤليّ بأمر ابن عباس ولحقهم
فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فأدلىج مُسعر بأصحابه فلقى بعبدالله بن وهب
بالنهروان ، ولما خرجت الخوارج بايع عليّ أصحابه على قتالهم ، ثم انكر ^(٣) شأن
الحكمين وخطب الناس وقال بعد الحمد لله والموعظة : ألا إن هذين الحكمين نبذا
حكم القرآن واتبع كل واحد هواه واختلفا في الحكم وكلاهما لم يرشد ، فاستعدوا
للسير إلى الشام . وكتب إلى الخوارج بالنهروان بذلك واستحثهم للمسير إلى العدو
وقال : نحن على الأمر الأول الذي كنّا عليه . فكتبوا إليه : إنك غضبت لنفسك ولم
تغضب لربك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت نظرنا بيننا وبينك وإلا فقد
نابذناك على السواء .

فيئس عليّ منهم ورأى أن يمضي إلى الشام ويدعهم ، وقام في الناس يحرضهم
لذلك ، وكتب إلى ابن عباس من معسكره بالنخيلة يأمره بالشخص بالعساكر
والمقام إلى أن يأتي أمره ، فأشخص ابن عباس الأحنف بن قيس في ألف
 وخمسمائة ، ثم خطب ثانية وندب الناس وقال : كيف ينفر هذا العدد القليل وأنتم

(١) وفي نسخة أخرى : يستحث بهم .

(٢) وفي النسخة الباريية : وأمر أصحابه فتركهم .

(٣) وفي النسخة الباريية : ثم بلغه شأن الحكمين .

ستون ألف مقاتل ! ثم تهدّدهم وأمرهم بالنفير مع جارية بن قدامة السعدي ، فخرج معه ألف وستائة ^(١) ووافوا علياً في ثلاثة آلاف ويزيدون . ثم خطب أهل الكوفة ولطفهم بالقول وحرّضهم وأخبرهم بما فعل أهل البصرة مع كثرتهم وقال ليكتب إليّ كل رئيس منكم ما في عشيرته من المقاتلة من أبنائهم ومواليهم ، فأجابه سعيد بن قيس الهمداني ومعل بن قيس وعدي بن حاتم وزباد بن خصفة وحجر بن عدي وأشرف الناس بالسمع والطاعة ، وأمروا ذويهم ألا يتخلّف منهم أحد ، فكانوا أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر من بلغ الحلم ، وانتهت عساكره إلى ثمانية وستين ألفاً . وبلغه أنّ الناس يرون تقديم الخوارج فقال لهم : إنّ قتال أهل الشام أهم ^(٢) علينا لأنّهم يقتلونكم ليكونوا ملوكاً جبارين ويتخذوا عباد الله خولاً فرجعوا إلى رأيهم وقالوا : مربنا إلى حيث شئت . وبينما هو على اعتزام السير إلى أهل الشام بلغه أنّ خوارج أهل البصرة لقوا عبدالله بن خباب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من النهروان فعرفّهم بنفسه ، فسألوه عن أبي بكر وعمر فأثنى خيراً ، ثم عن عثمان في أول خلافته وآخرها فقال : كان محقاً في الأوّل والآخر ، فسألوه عن عليّ قبل التحكيم وبعده ، فقال : هو أعلم بالله وأشدّ توقياً على دينه ، فقالوا : إنك توالي الرجال على أسمائهم ، ثم ذبحوه وبقروا بطن امرأته ثم قتلوا ثلاث نسوة من طيء . فأسف علياً قتلهم عبدالله بن خباب واعتراضهم الناس ، فبعث الحرث بن مرّة العبدى لينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، فقال له أصحابه : كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم في أموالنا وعيالنا إنّنا نقدّم أمرهم على الشام ، وقام الأشعث بن قيس بمثل ذلك فوافقهم عليّ وسار إليهم ، وبعث من يقول لهم ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم فنكف عنكم حتى نرجع من قتال العرب ^(٣) لعل الله يردكم إلى خير ، فقالوا : كلنا قتلهم وكلنا مستحل دماءكم ودماءهم ، ثم جاءهم قيس بن سعد ووعظهم وأبو أيوب الأنصاري كذلك .

ثم جاءهم عليّ فتهدّدهم وسفّه رأيهم ويريههم ^(٤) شأن الحكّمين وأنهما لما خالفا حكم

(١) وفي النسخة الباريية : ألف وسبعائة .

(٢) وفي النسخة الباريية : أحب علينا .

(٣) يعني المؤرخ قتال أهل الشام .

(٤) وفي نسخة أخرى : بين لهم .

الكتاب والسنة نبذنا أمرهما ونحن على الأمر الأول فقالوا : إنا كفرنا بالتحكيم وقد تبنا فان تبنت أنت فنحن معك وإن أبيت فقد نابذناك ، فقال : كيف أحكم على نفسي بالكفر بعد إيماني وهجرتي وجهادي ثم انصرف عنهم . وقيل إن علياً خطبهم وأغلظ عليهم فيما فعلوه من الاستعراض والقتل فتنادوا لا تكلموهم وتأهبوا للقاء الله . ثم قصدوا جسر الخوارج ولحقهم عليّ دونه ، وقد عبى أصحابه : وعلى ميمته حجر بن عديّ وعلى ميسرته شيبث بن ربعي أو معقل بن قيس وعلى الخيل أبو أيوب وعلى الرجال أبو قتادة وعلى أهل المدينة سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد . وعبأت نحوه الخوارج : على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي وعلى الميسرة شريح بن أوفى العنسي^(١) وعلى الخيل حمزة بن سنان الأسدي وعلى الرجال حرقوص بن زهير . ودفع عليّ إلى أبي أيوب راية أماناً لهم لمن جاءها ممن لم يقتل ولم يستعرض فناداهم إليها وقال : من انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن . فاعتزل عنهم فروة بن نوفل الأشجعيّ في خمسمائة وقال أعتزل حتى يتضح لي أمر في قتال عليّ فترل الدسكرة ، وخرج آخرون إلى الكوفة ، ورجع آخرون إلى عليّ وكانوا أربعة آلاف ، وبقي منهم ألف وثمانمائة فحمل عليهم عليّ والناس حتى فرقهم^(٢) على الميمنة والميسرة . ثم استقبلتهم الرماة وعطفت عليهم الخيل من المحببتين ونهض إليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلهم في ساعة واحدة كأنما قيل لهم موتوا ، وقتل عبدالله بن وهب وزيد بن حصن وحرقوق بن زهير وعبدالله بن شجرة وشريح بن أوفى . وأمر عليّ أن يلتمس المخدج في قتلهم وهو الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في علاماتهم فوجد في القتلى فاعتبر^(٣) عليّ وكبر واستنصر الناس ، وأخذ ما في عسكرهم من السلاح والدواب فقسّمه بين المسلمين وردّ عليهم المتاع والإماء والعبيد . ودفن عدي بن حاتم ابنه طرفة ورجالا من المسلمين فنهى علي عن ذلك ، وارتحل ولم يفقد من أصحابه إلا سبعة أو نحوهم .

وشكا إليه الناس الكلال ونفود السهام والرماح وطلبوا الرجوع إلى الكوفة ليستعدوا

- (١) وفي النسخة الباريّة : العنسي .

(٢) وفي النسخة الباريّة : فحملوا على الناس حتى فرقهم .

(٣) الاصح ان يقول استنصر (من العبرة)

فإنه أقوى على القتال^(١) ، وكان الذي تولي كلامه الأشعث بن قيس فلم يجبه ، وأقبل فترل ومنعهم من دخول منازلهم حتى يسيروا إلى عدوهم ، فتسللوا أيام المقامة إلى البيوت وتركوا المعسكر خاليا فلما رأى عليّ ذلك دخل ثم نديهم ثانيا فلم ينفروا ، فأقام أياما ثم كلم رؤساءهم على رأيهم والذي يبطيء بهم فلم ينشط من ذلك إلا القليل ، فخطبهم وأغلظ في عتابهم وأعلمهم بما له عليهم من الطاعة في الحق والنصح فتأقلا وسكتوا .

ولاية عمرو بن العاص مصر

قد تقدّم لنا ما كان من اجتماع العثمانية بنواحي مصر مع معاوية بن حُديج السكوني ، وإن محمد بن أبي بكر بعث إليهم العساكر من الفسطاط مع ابن مضاهم^(٢) فهزموه وقتلوه ، واضطربت الفتنة بمصر على محمد بن أبي بكر ، وبلغ ذلك عليّا فبعث إلى الأشر من مكان عمله بالجزيرة وهر نصيين فبعثه على مصر وقال : ليس لها غيرك . وبلغ الخبر إلى معاوية وكان قد طمع في مصر فعلم أنها ستتمنع بالأشر ، وجاء الأشر فترل على صاحب الخراج بالقلزم فمات هنالك ، وقيل إن معاوية بعث إلى صاحب القلزم فسمّه على أن يسقط عنه الخراج وهذا بعيد . وبلغ خبر موته عليّا فاسترجع واسترحم وكان محمد بن أبي بكر لما بلغته ولاية الأشر شق عليه فكتب عليّ يعتذر إليه وأنه لم يولّه لسوء رأي في محمد وإثنا هو لما كان يظن فيه من الشدة ، وقد صار إلى الله ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب ، فاصبر لعدوك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر من ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفيك ما أهمك ويعينك على ما ولأك . فأجابه محمد بالرضى برأيه والطاعة لأمره ، وأنه مزعم على حراية من خالفه .

ثم لما كان من أمر الحكمين ما كان واختلف أهل العراق على عليّ ، وباع أهل الشام معاوية بالخلافة ، فاراد معاوية صرف عمله^(٣) إلى مصر لما كان يرجو من الاستعانة على حروبه بخراجها ، ودعا بطانته أبا الأعور السلميّ وحبيب بن مسلمة وبسر بن

(١) وفي النسخة الباريّة : أقوى على العدو .

(٢) هو ابن مضاهم الكلبي .

(٣) وفي النسخة الباريّة : فازداد معاوية وصرف همه .

أرطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشرحيل بن السمط وشاورهم في شأنها ، فأشار عليه عمرو بافتتاحها وأشار بيعث الجيش مع حازم صارم يوثق ويجتمع إليه من كان على رأيه من العثانية ، وقال معاوية : بل الرأي أن نكتب العثانية بالوعد ونكتب العدو بالصلح والتخفيف ونأتي الحرب من بعد ذلك ، ثم قال معاوية : إنك يا ابن العاص بورك لك في العجلة وأنا في التؤدة ، فقال : أفعل ما تراه وأظن الأمر لا يصير إلا للحرب . فكتب معاوية إلى معاوية بن حُديج ومسلمة بن مُخلد يشكرهما على الخلاف ، ويحثهما على الحرب والقيام في دم عثمان ، وفرحا بجوابهما ^(١) فطلب المدد فجمع أصحابه وأشاروا بذلك ، فأمر عمرو بن العاص أن يتجهز إلى مصر في ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة ، فترل أدنى أرض مصر واجتمعت إليه العثانية ، وبعث كتابه وكتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر بالتهديد وأن الناس اجتمعوا عليك وهم مسلموك فاخرج ، فبعث بالكتابين إلى عليّ فوعده بانفاذ ^(٢) الجيوش وأمره بقتال العدو والصبر .

فقدّم محمد بن أبي بكر كنانة بن بشر في ألفين ، فبعث معاوية عمرو بن حُديج ^(٣) وسرّحه في أهل الشام فأحاطوا بكنانة ، فترجل عن فرسه وقاتل حتى استشهد . وجاء الخبر إلى محمد بن أبي بكر فافترق عنه أصحابه وقرؤا ، وآوى في مفرّه إلى خربة واستتر في تلك الخربة ، فقبض عليه فأخذه ابن حُديج وجاء به إلى القسطنطين ، وطلب أخوه عبد الرحمن من عمرو أن يبعث إلى ابن حُديج في البقاء عليه فأبى ، وطلب محمد الماء فنعه ابن حُديج جزاءً بما فعل بعمان ، ثم أحرقه في جوف حمار بعد أن لعنه ودعا عليه وعلى معاوية وعمرو . وكانت عائشة تقنت في الصلاة بالدعاء على قتلته . ويقال إنه لما انهزم اختفى عند جيلة بن مسروق حتى أحاط به معاوية بن حُديج ^(٤) وأصحابه ، فخرج إليهم فقاتل حتى قتل .

ولما بلغ الخبر عليّاً خطب الناس وندبهم إلى أعدائهم وقال : اخرجوا بنا إلى الجزعة بين الحيرة والكوفة . وخرج من الغد إلى منتصف النهار يمشي إليها حتى نزلها فلم يلحق

(١) وفي النسخة الباريسية : وجاء جوابها .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بانقياد .

(٣) وفي النسخة الباريسية : فبعث عمرو معاوية بن حُديج .

(٤) أي من الشاميين والمصريين الذين قتلوا محمد بن أبي بكر اهـ (ابن كثير)

به أحد ، فرجع من العشي وجمع أشراف الناس ووبّخهم فأجاب مالك بن كعب الأرحبيّ في ألفين ، فقال سر وما أراك تدركهم فسار خمسا ، ولقي ^(١) حجاج بن عرفة الأنصاري قادمًا من مصر فأخبره بقتل محمد ، وجاء إلى عليّ عبد الرحمن بن شبيب الفزاريّ وكان عيناً له بالشام ، فأخبره بقتل محمد واستيلاء عمرو على مصر ، فحزن لذلك ، وبعث إلى مالك بن كعب ^(٢) أن يرجع بالجيش وخطب الناس فأخبرهم بالخبر وعذلهم على ما كان منهم من الثاقل حتى فات هذا الأمر ووبّخهم طويلاً ثم نزل .

دعاء ابن الحضرمي بالبصرة لمعاوية ومقتله

ولما فتح معاوية مصر بعث عبدالله بن الحضرمي إلى البصرة داعياً لهم وقد آنس منهم الطاعة بما كان من قتل عليّ أباهم يوم الجمل وأنهم على رأيه في دم عثمان ، وأوصاه بالتزول في مصر يتودّد إلى الأزد وحذّره من ريبة وقال إنهم ترائبه يغني شيعة لعليّ . فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة . وكان ابن عباس قد خرج إلى عليّ واستخلف عليها زياداً ، ونزل في بني تميم واجتمع إليه العثمانيّة فحضرهم على الطلب بدم عثمان من عليّ ، فقال الضحّاك بن قيس الهلاليّ : قَبِحَ الله ما جئت به وما تدعو إليه تحملنا على الفرقة بعد الاجتماع وعلى الموت ليكون معاوية أميراً ؟ فقال له عبدالله بن حازم السلمي : اسكت فلست لها بأهل . ثم قال لابن الحضرميّ : نحن أنصارك ويدك والقول قولك ، فقرأ كتاب معاوية يدعوهم إلى رأيه من الطلب بدم عثمان على أن يعمل فيهم بالسنة ويضاعف لهم الأعطية . فلما فرغ من قراءته قام الأحنف بن قيس معتزلاً وحض عمر بن مروحوم على لزوم البيعة والجماعة ، وقام العباس بن حُجر في مناصرة ابن الحضرميّ ، فقال له المثني بن مخزومة لا يغرنك ابن صحّار وارجع من حيث جئت ، فقال ابن الحضرمي لبصرة بن شيان الأزدي ألا تنصرتني ؟ قال : لو نزلت عندي فعلت . ودعا زياد أمير البصرة حُصين بن المنذور ومالك بن مسمع ورؤوس بكر بن وائل إلى المنعة من ابن الحضرمي إلى أن يأتي أمر عليّ ، فأجاب حُصين وثاقل مالك وكان هواه في بني أميّة ، فأرسل زياد إلى صبرة بن شيان يدعو

(١) وفي نسخة ثانية : ولحق .

(٢) وفي النسخة الباريّة : كعب بن مالك .

إلى الجوار^(١) بما معه من بيت المال^(٢) فقال : إن حملته إلى داري أجرتك فتحول إليه بيت المال والمنبر ، وكان يصلي الجمعة في مسجد قومه ، وأراد زياد إختبارهم فبعث إليهم من ينذرهم بمسيره بهم إليهم ، وأخذ زياد جندا منهم بعد صبره لذلك وقال : إن جاؤا جئناهم ، وكتب زياد إلى علي بالخبر فأرسل أعين بن ضبيعة^(٣) ليفرق تيميا عن ابن الحضرمي ويقا تل من عصاه بمن أطاعه ، فجاء لذلك وقتلهم يوما أو بعض يوم ، ثم اغتاله قوم فقتلوه يقال من الخوارج .

ولاية زياد على فارس

ولما قتل ابن الحضرمي بالبصرة والناس مختلفون على علي طمع أهل النواحي من بلاد العجم في كسر الخراج ، وأخرج أهل فارس عاملهم سهل بن حنيف ، فاستشار علي الناس فأشار عليه جارية بن قدامة^(٤) بزياد فأمر ابن عباس أن يوليها عليها ، فبعثه إليها في جيش كثيف فطوى بهم أهل فارس وضرب ببعضهم بعضا وهرب قوم وأقام آخرون ، وصفت له فارس بغير حرب . ثم تقدّم إلى كرمان فدوّخها مثل ذلك فاستقامت وسكن الناس ، ونزل اصطخر وسكن قلعة بها تسمى قلعة زياد^(٥) .

فراق ابن عباس لعلي رضي الله عنهم

وفي سنة اربعين فارق عبدالله بن عباس علياً^(٦) ولحق بمكة ، وذلك أنه مرّ يوما بأبي الأسود^(٧) ووبّخه على أمر ، فكتب أبو الأسود إلى علي بأن ابن عباس استتر بأموال الله فأجابه علي يشكره على ذلك وكتب لابن عباس ولم يخبره بالكاتب ، فكتب اليه

(١) وفي نسخة اخرى : الجدار .

(٢) وفي الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٦١ : فارسل الى صبره بن شيان الحداني الأزدي يطلب أن يحيره وبيت مال المسلمين .

(٣) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٣ ص ٣٦٢ . وفي النسخة الباريية : ابن صعصعة .

(٤) وفي النسخة الباريية : حارثة بن قدامة وفي الكامل جارية بن قدامة السعدي .

(٥) وفي نسخة اخرى : زيار .

(٦) وفي النسخة الباريية : البصرة .

(٧) وفي النسخة الباريية : بابي الحسن .

بكذب ما بلغه من ذلك وانه ضابط للمال^(١) حافظ له ، فكتب إليه عليّ أعلمني ما أخذت ومن أين أخذت وفيما صنعت^(٢) ؟ فكتب إليه ابن عباس فهت استعظامك لما رفع إليك اتى رزأته من هذا المال فابعث إلى عملك من أحببت فاني ظاعن عنه واستدعى أخواله من بني هلال ، فجاءته قيس كلها ولم يبعث الأموال^(٣) وقال : هذه أرزاقنا ، وأتبعه أهل البصرة ووقفت دونه قيس . فرجع صبرة بن شيان الحمداني بالأزد وقال قيس : إخواننا وهم خير من المال فأطيعوني ، وانصرف معهم بكر وعبد القيس ثم انصرف الأحنف بقومه من بني تميم وحجز بقية تميم عنه ، ولحق ابن عباس بمكة .

مقتل علي

قتل عليّ رضي الله عنه سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان وقيل لإحدى عشرة وقيل في ربيع الآخر والأول أصح ، وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك^(٤) بن عبدالله التميمي الصُرَيمِيّ واسمه الحجاج وعمرو بن بكر التميمي السعديّ ، ثلاثهم من الخوارج لحقوا من فلهم بالحجاز ، واجتمعوا فتذاكروا ما فيه الناس وعابوا الولاة وترحموا على قتلى النهروان ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس ، فقال ابن ملجم وكان من مصر : أنا أكفيكم علياً ، وقال البرك : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت . واتفقوا لسبع عشرة من رمضان وانطلقوا ، ولقي ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم ، ثم جاء إلى شبيب بن شجرة من أشجع ودعاه إلى الموافقة^(٥) في شأنه ، فقال شبيب ثكلتك أمك فكيف تقدر على قتله . قال : أكمن له في المسجد في صلاة الغداة فان قتلناه وإلا فهي الشهادة ، قال : ويحك لا

(١) وفي النسخة الباريية : وانه برىء ضابط للمال .

(٢) وفي نسخة ثانية : وضعت

(٣) وفي نسخة ثانية : فحمل المال .

(٤) البرك على وزن صرد كذا خطه الحافظ اهـ . (تاج العروس)

(٥) وفي النسخة الباريية : المرافقة .

أجديني أنشرح لقتله مع سابقته وفضله ، قال : ألم يقتل العباد الصالحين أهل
النهران ؟ قال : بلى . قال : فنقتله بمن قتله منهم ، فأجابه : ثم لقي امرأة من تيم
الرباب فائقة الجمال قتل أبوها وأخوها يوم النهران ، فأخذت قلبه فخطبها فشرطت
عليه عبداً وقينة وقتل عليّ ، فقال كيف يمكن ما أنت تريدين ؟ قالت التمس غرته
فان قتله شفيت النفوس وإلاّ فهي الشهادة . قال : والله ما جئت إلاّ لذلك ولك ما
سألت ، قالت : سأبعث معك من يشدّ ظهرك ويساعدك ، وبعثت معه رجلا من
قومها اسمه وردان .

فلما كانت الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل عليّ وكانت ليلة الجمعة جاء
إلى المسجد ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليّ للصلاة ،
فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع بعصاة الباب ، وضربه ابن
ملجم على مقدم رأسه ، وقال : الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك . وهرب
وردان إلى منزله وأخبر بعض أصحابه بالأمر فقتله . وهرب شبيب مُغلسا . وصاح
الناس به فلحقه رجل من حضرموت فأخذه وجلس عليه والسيف في يد شبيب
والناس قد أقبلوا في طلبه ، وخشي الحضرمي على نفسه لاختلاط الغلس فتركه
وذهب في غمار الناس ، وشدّ الناس على ابن ملجم واستخلف عليّ على الصلاة
جعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانيء فصلّى الغداة بالناس ، وأدخل ابن ملجم
مكتوبا على عليّ فقال : أي عدوّ الله ما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين
صباحا وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه ، فقال : أراك مقتولا به . ثم قال إن هلك
فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي ، يا بني عبد المطلب لا تُحرضوا على
دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا إلاّ قاتلي ، يا حسن إن أنا متّ من
ضربتي هذه فاضربه بسيفه ولا تمثلنّ بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول إياكم والمثلة . وقالت أمّ كلثوم لابن ملجم وهو مكتوف وهي تبكي : أي
عدوّ الله إنه لا بأس على أبيي والله مخزبك قال : فعلام تبكين ؟ والله لقد شرّيته
بألف وصقلته أربعين ولو كانت هذه الضربة بأهل بلد ما بقي منهم أحد . وقال جندب
بن عبد الله لعليّ أنبايع الحسن إن فقدناك ؟ قال : ما أمركم به ولا أنهاكم أنتم
أبصر ، ثم دعا الحسن والحسين ووصّاهما قال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن

بغتكما ولا تأسفا على شيء زوى منها عنكما^(١) وقولا الحق وارحما اليتيم وأعيننا الضائع^(٢) وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذك في الله لومة لائم . ثم قال لمحمد بن الحنفية : اني اوصيك بمثل ذلك وبتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك ولا تقطع أمرا دونهما ، ثم وصّاهما بابن الحنفية ، ثم أعاد على الحسن وصيته . ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض .

فأحضر الحسن ابن ملجم فقال له : هل لك في البقاء عليّ واني قد عاهدت الله أن أقتل عليّاً ومعاوية واني عاهدت الله على الوفاء بالعهد فخلّ بيني وبين ذلك فإن قتلته وبقيت فلك عهد الله أن آتيك ، فقال : لا والله حتى تعاین النار ثم قدّمه فقتله . وأما البرك فإنه قعد لمعاوية تلك الليلة فلما خرج للصلاة ضربه بالسيف في إتيته وأخذ فقال : عندي بشرى^(٣) اتفغني ان أخبرتك بها قال : نعم . قال : إن أخي قتل عليّاً هذه الليلة ، قال : فلعله لم يقدر عليه ، قال : بلى إن عليّاً ليس معه حرس ، فأمر به معاوية فقتل ، وأحضر الطيب فقال : ليس إلا الكي أو شربة تقطع منك الولد . فقال : في يزيد وعبدالله ما تقرّ به عيني والنار لا صبر لي عليها ، وقد قيل إنه أمر بقطع البرك فقطع وأقام إلى أيام زياد فقتله بالبصرة ، وعند ذلك اتخذ معاوية المقصورة وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه إذا سجد . ويقال إن أول من اتخذ المقصورة مروان بن الحكم سنة أربع واربعين حين طعنه اليماني .

وأما عمرو بن بكر فإنه جلس لعمر بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى فأمر صاحب شرطته خارجة بن ابي حبيبة بن عامر بن لؤي يصلي بالناس فشدّ عليه فضربه فقتله وهو يرى أنه عمرو بن العاص ، فلما أخذه وأدخلوه على عمرو قال فن قتل إذا ؟ قالوا خارجة فقال : لعمر بن العاص والله ما ظننته غيرك ! فقال عمرو : وأردت عمرا واراد الله خارجة . وأمر بقتله .

وتوفي عليّ رضي الله عنه وعلى البصرة عبدالله بن عبّاس وعلى قضائها ابو الأسود الدؤلي وعلى فارس زياد بن سمية وعلى اليمن عبيدالله بن العبّاس حتى وقع أمر بسربن

(١) وفي النسخة الباريية : ولا تبكيها منها على شيء رزى عنكما

(٢) وفي النسخة الباريية : واضنعا لله .

(٣) وفي النسخة الباريية : مسرة .

أبي أرتاة ، وعلى مكة والطائف قثم بن عباس وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري وقيل سهل بن حنيف .

بيعة الحسن وتسليمه الأمر لمعاوية

ولما قتل علي رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن ، وأول من بايعه قيس ابن سعد وقال : أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقاتل الملحدين . فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله . ويأتیان على كل شرط . ثم بايعه الناس فكان يشترط عليهم انكم سامعون مطيعون تسلمون من سلمت وتحاربون من حاربت ، فارتابوا وقالوا : ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال .

وبلغ الخبر بمقتل علي إلى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمر المؤمنين ، وقد كان بويع بها بعد اجتماع الحكمين . ولأربعين ليلة بعد مقتل علي مات الأشعث بن قيس الكندي من أصحابه ، ثم مات من أصحاب معاوية شرحبيل بن السمط الكندي .

وكان علي قبل قتله قد تجهز بالمسلمين إلى الشام ، وبايعه أربعون ألفا من عسكره على الموت ، فلما بويع الحسن زحف معاوية في أهل الشام إلى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقائه وعلى مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفا ، وقيل بل كان عبدالله بن عباس على المقدمة وقيس في ثلاثه . فلما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر أن قيس بن سعد قتل ، واهتاج الناس وماج بعضهم في بعض وجاؤا إلى سراق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعه بساطه الذي كان عليه واستلبوه رداءه وطعنه بعضهم في فخذه . وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن ودخل إلى القصر وكاد أمره أن ينحل ، فكتب إلى معاوية يذكر له التزل عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف ، ويعطيه خراج دارايجرد من فارس والآن يشتم علياً وهو يسمع ، وأخبر بذلك أخوه الحسين وعبدالله بن جعفر وعذلاه فلم يرجع إليهما . وبلغت صحيفته إلى معاوية فأمسكها وكان قد بعث عبدالله بن عامر وعبدالله بن سمرة إلى الحسن ومعها صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك فاشترط فيها أضعاف ما كان في الصحيفة ، فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال هو الذي

طلبت^(١) . ثم نزع أهل البصرة خراج دار الجرد وقالوا : هو فيثنا لا نعطيه . وخطب الحسن أهل العراق وقال : سخي نفسي عنكم ثلاث : قتل أبي وطعني وانتهاب بيتي ، ثم قال ألا وقد أصبحتم بين قبيلين قبيل بصفين سيكون له وقيل بالنهروان يطلبون بثأره وأما الباقي فخاذل ، وأما الباكي فتائر وأن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة ، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظبا السيوف ، وإن أردتم الحياة قبلنا وأخذنا لكم الرضى . فناداه الناس من كل جانب البقية البقية فأمضى الصلح . ثم بايع لمعاوية لسته أشهر من بيعته .

ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس ، وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلالة ، فقال له الناس : طاعة الإمام أولى ، وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف . فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يقيم الحسن للناس خطيبا ليبدو للناس عيّه ، فلما قدم حمدا لله وقال : أيها الناس إن الله هذاكم بأولنا وحقق دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول الله عزل وجل يقول لنبيه : وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، فقال له معاوية اجلس وعرف أنه خدع في رأيه . ثم ارتحل الحسن في أهل بيته وحشهم إلى المدينة وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين ، فلم يزل مقبيا بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع واربعين . وقال أبو الفرج الأصبهاني سنة احدى وخمسين وعلى فراشه بالمدينة ، وما ينقل من أن معاوية دس إليهم السم مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك .

وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة وكان معاوية قد بعث عبدالله بن عامر في جيش إلى عبيدالله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه ، فلقيه ليلا وأمنه وسار معه إلى معاوية ، فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة ، وبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله ، وقال معاوية : يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه . ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال : اكتب في هذا ما شئت فهو لك ، فكتب قيس له ولشيعة الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ،

(١) وفي النسخة الباريسية : اشترطت .

ولم يسأل مالا فأعطاه معاوية ذلك وباعه قيس والشيعه الذين معه ، ثم جاء سعد بن أبي وقاص فباعه . واستقر الأمر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة احدى وأربعين وسمي ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك . ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم فقاتلهم واستلحمهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشترطناه في تأليفنا من أفراد الأخبار عن الدول وأهل النحل دولة دولة وطائفة طائفة .

وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردّة والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أثق ما رأيناه في ذلك ، وأبعد من المطاعن عن الشبه في كبار الأئمة من خيارهم وعدوهم عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ، فكثيرا ما يوجد في كلام المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبه في حقهم أكثرها من أهل الأهواء فلا ينبغي أن تسود بها الصحف ^(١) ، وأتبعها بمفردات من غير كتاب الطبري بعد أن تحيرت الصحيح جهد الطاقة وإذا ذكرت شيئا في الأغلب نسبته إلى قائله ، وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحة ، ولا ينظر في ذلك إلى حديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة فانه لم يصح ، والحق أن معاوية في عداد الخلفاء وإنما أخره المؤرخون في التأليف عنهم لأمرين : الأول أن الخلافة لعهد كانت مغالبة لأجل ما قدّمناه من العصبية التي حدثت لعصره ، وأما قبل ذلك كانت اختيارا واجتماعا فيزوا بين الحالتين ، فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك ، ويشبهون بعضهم ببعض وحاشى الله أن يشبه معاوية بأحد ممّن بعده ، فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المروانية من تلاه في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بني العباس ، ولا يقال إن الملك أدون رتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكا .

واعلم أن الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التي أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها ، وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات

(١) وفي نسخة اخرى : العيون .

الله عليهما نبيّين وملكين وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربّهما عز وجل . ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبّته للإستكثار من الدنيا ، وإنما ساقه أمر العصبيّة بطبعها لمّا استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستفحل العصبيّة وتدعو لطبيعة الملك . وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعته ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه ، والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا بالواهي ، فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في المسلمين ، ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وإنما سمي خليفة بالمجاز .

الأمر الثاني في ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة أنهم كانوا أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية ، فجعل مع أهل نسبه ، والخلفاء الأولون مختلفو الأنساب فجعلوا في نمط واحد وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحوق بهم قريبا في الفضل والله يحشرنا في زمرةهم ويرحمنا بالاعتداء بهم .

تمت تكملة الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وأوّله

الخبر عن الدول الاسلامية ونبدأ منها بدولة بني أمية معقبة لخلفاء صدر الإسلام وذكر أوليتهم وأخبار دولهم واحدة واحدة الى انقضائها

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
٣	الكتاب الثاني في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم
٣	المقدمة الأولى في أمم العالم واختلاف أجيالهم
١٦	المقدمة الثانية في كيفية وضع الأنساب
١٦	القول في أجيال العرب وأوليئها واختلاف طبقاتهم
١٩	برنامج بما تضمنه الكتاب من الدول في هذه الطبقات الأربع
٢١	الطبقة الأولى من العرب وهم العرب العاربة
٣٦	الخبر عن ابراهيم أبي الأنبياء وعليهم السلام
٥٢	الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعربة
٥٧	الخبر عن ملوك التباغة من حمير
٦٩	ملك الحبشة واليمن
٧١	غزو الحبشة الكعبة
٧٣	قصة سيف بن ذي يزن وملك الفرس على اليمن
٧٨	الخبر عن ملوك بابل من النبط والسريانيين
٨٤	الخبر عن القبط وأولية ملكهم ودولهم
٩٢	الخبر عن بني اسرائيل وما كان لهم من النبوة والملك
١٠١	الخبر عن حكام بني اسرائيل بعد يشوع
١٠٩	الخبر عن ملوك بني اسرائيل بعد الحكام
١١٦	الخبر عن افتراق بني اسرائيل
١٢٨	الخبر عن دولة الاسباط العشرة
١٣٤	الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الأول
١٤٤	ابتداء أمر انظفتر أبو هيرودوس
١٥٢	انقراض ملك بني حشمناي وابتداء ملك هيرودوس وبنيه
١٦٧	الخبر عن شأن عيسى بن مريم صلوات الله عليه
١٨٠	الخبر عن الفرس وذكر ايامهم ودولهم وتسمية ملوكهم
١٨٢	الطبقة الأولى من الفرس وذكر ملوكهم

- ١٨٧ الطبقة الثانية من الفرس وهم الكينية وذكر ملوكهم
- ١٩٧ الطبقة الثالثة من الفرس وهم الاشكانية ملوك الطوائف
- ١٩٩ الطبقة الرابعة من الفرس وهم الساسانية والخبر عن ملوكهم
- ٢١٨ الخبر عن دولة يونان والروم وانسابهم
- ٢٢٠ الخبر عن دولة يونان والاسكندر
- ٢٣٢ الخبر عن اللطينيين وهم الكيثم المعروفون بالروم
- ٢٣٤ الخبر عن فتنة الكيثم مع أهل افريقية وتخريب
- ٢٣٥ الخبر عن ملوك القياصرة من الكيثم وهم اللطينيون
- ٢٥٠ الخبر عن القياصرة المنتصرة من اللطينيين
- ٢٦٦ الخبر عن ملوك القياصرة من لدن هرقل والدولة الإسلامية
- الخبر عن القوط وما كان لهم من الملك بالاندلس الى
- ٢٨٠ حين الفتح الإسلامي
- ٢٨٣ الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب
- ٢٨٩ الخبر عن انساب العرب من هذه الطبقة الثالثة
- ٢٩٠ الخبر عن حمير من القحطانية وبطونها وتفرع شعوبها
- ٢٩٦ الخبر عن قضاعة وبطونها والإمام يبعض الملك الذي كان فيها
- ٣٠٢ الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم
- ٣١٠ الخبر عن ملوك الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة
- ٣٢٧ ملوك كندة — الخبر عن ملوك كندة
- ٣٣٣ الخبر عن ابناء جفنة ملوك غسان بالشام
- ٣٤٢ الخبر عن الأوس والخزرج ابناء قبيلة
- ٣٥٦ الخبر عن بني عدنان وانسابهم وشعوبهم
- ٣٩٥ الخبر عن قریش وملوكهم بمكة
- ٤٠٤ أمر النبوة والهجرة
- ٤٠٧ المولد الكريم وبدء الوحي
- ٤٠٩ بدء الوحي
- ٤١٢ هجرة الحبشة والعقبة الأولى
- ٤١٨ العقبة الثانية

٥٠٧	بعوث العراق وصلح الحيرة
٥١٠	فتح الحيرة
٥١٠	فتح ما وراء الحيرة
٥١١	فتح الأنبار وعين التمر — غزوة ذات العيون
٥١٣	الوقائع بالعراق
٥١٤	بعوث الشام
٥١٦	بعوث الشام
٥١٧	خلافة عمر (رضي الله عنه)
٥١٨	فتح دمشق
٥١٩	خبر المثنى بالعراق بعد مسير خالد الى الشام
٥٢٠	ولاية أبي عبيد بن مسعود على العراق ومقتله
٥٢٤	أخبار القادسية
٥٣٦	فتح المدائن وجلولاء بعدها
٥٤٠	ولاية عتبة بن غزوان على البصرة
٥٤١	وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام بعدها
٥٤٣	وقعة اجنادين وفتح بيسان والاردن وبيت المقدس
٥٤٥	مسير هرقل الى حمص وفتح الجزيرة وأرمينية
٥٤٨	غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة .
٥٤٩	ولاية أبي موسى
٥٥٠	بناء البصرة والكوفة
٥٥٣	فتح الأهواز والسوس بعدها
٥٥٣	مسير المسلمين الى الجهات للفتح
٥٥٣	مجماعة عام الرمادة وطاعون عمواس
٥٥٤	فتح مصر
٥٥٦	وقعة نهاوند وما كان بعدها من الفتوحات
٥٥٩	فتح حمدان
٥٦٠	فتح الري
٥٦١	فتح أذربيجان
٥٦١	فتح الباب
٥٦٢	فتح موقان وجبال أرمينية

٥٦٢	غزو الترك
٥٦٣	فتح خراسان
٥٦٥	فتوح فارس
٥٦٧	خبر الاكراد
٥٦٨	مقتل عمر وأمر الشورى وبيعة عثمان (رضي الله عنه)
٥٧١	نقض أهل اسكندرية وفتحها
٥٧١	ولاية الوليد بن عقبة الكوفة وصلاح ارمينية وأذربيجان
٥٧٣	ولاية عبد الله بن ابي سرح على مصر وفتح افريقية
٥٧٥	فتح قبرص
٥٧٧	ولاية ابن عامر على البصرة وفتح فارس وخراسان
٥٨١	ولاية سعيد بن العاص الكوفة
٥٨٢	غزو طبرستان
٥٨٣	غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف
٥٨٣	مقتل يزيد جرد
٥٨٥	ظهور الترك بالثغور
٥٨٦	بدء الانتفاض على عثمان (رضي الله عنه)
٥٩٣	حصار عثمان ومقتله
٦٠٢	بيعة علي (رضي الله عنه)
٦٠٦	أمر الحمل
٦٢٢	انتفاض محمد بن ابي حذيفة بمصر ومقتله
٦٢٣	ولاية قيس بن سعد على مصر
٦٢٥	مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية
٦٢٥	أمر صفين
٦٣٥	أمر الحكمين
٦٣٧	أمر الخوارج وقتلهم
٦٤١	ولاية عمرو بن العاص مصر
٦٤٣	دعاء ابن الحضرمي بالبصرة لمعاوية ومقتله
٦٤٤	ولاية زياد على فارس
٦٤٤	فراق ابن عباس لعلي (رضي الله عنهم)
٦٤٥	مقتل علي
٦٤٨	بيعة الحسن وتسليمه الامر لمعاوية
٦٥٢	الخبر عن الدول الإسلامية